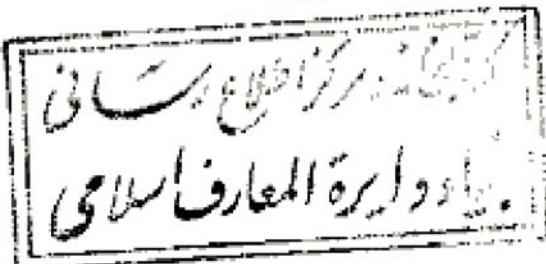


اللسان العربي

مجلة دورية للباحثات اللغوية ونشاط الترجمة والتغريب



المجلد العشرين

الجزء الأول

شهر شباط ١٤٠٤

الطبعة الأولى



- سجل للأعمال
- مجتمع اللغة العربية
- المجالس العليا للعلوم والآداب والفنون
- الجامعات والمعاهد العالمية
- الرئاسات والهيئات والشعب الوطنية للترجمة
- رجال الفكر والقادة في إعداد اللغة العربية وحملها في مستوى اللغات العالمية

يصدرها

المكتب الدائم لتنمية العربية في الوطن العربي
جامعة الدول العربية:

الرباط - المملكة المغربية



مرکز تحقیقات کمپیوٹر علوم اسلامی

دِرَاسَاتٍ وَأَبْحَاثٍ

- من مظاهر الوحدة : التكامل بين شقي العروبة
للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- الدالة الجديدة والتطور اللغوي
للاستاذ ابراهيم السامرائي
- الاصداد في اللغة
للاستاذ حسين محمد
- دور اللغة في تنمية الطاقات البشرية وتجربة
اللغات الأجنبية في البلدان الأمريكية
للاستاذ ادريس الكتاني
- نقل الانفاظ
للاستاذ عبد الهادي الفضلي
- مظاهر التعريب
للاستاذ محمد بن تساويت
- الفصحى لغة القرآن
للاستاذ آنسور الجندي
- نلسنة الحركات في اللغة العربية
للاستاذ أحمد الأخضر غزال
- التعریف والتفتح في المغرب العربي
للكتور محمود عبد المولى
- اللغة العربية في مرآة قواعدها القومية
للاستاذ انطون شلال
- اللغة العربية تماثي امة العربية الى الامام
لانها جزء حي منها
للاستاذ الياس قنصل
- تحقيقات لغوية
للاستاذ عبد القادر زمامنة
- دخيل ام اثيل
للاستاذ عبد الحق فاضل
- اختلاف المفاهيم اللغوية بين الام
للاستاذ عبد الرحيم أبو اليمن
- الانفاظ الهندية المعرفية
للكتور محمد يوسف

من مظاہر الوجهة:

العقل بين شرقيه وغربيه

للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

المراحل الاولى من استقلالنا الفتى لا تزال اللغة الفرنسية مهيمنة باجهزه فكرية منظمة على جانب من حياتنا الحضاريةذلك يفكربعضنا في كثير من الاحيائين تفكيرا يستمد جذوره من ثقافة المستعمر حتى ولو كانت لغة تعبيره هي العربية فرسالة التعریف في المغرب العربي هي غيرها في الشرق العربي لأن الشرقي ينطلق من لغة الضاد فيطعمها بلوازم العصر وتحسن تنطلق حتما من المريخ الحضاري الغربي العربي الذي عشناه ونعيشه لتخليق تراث جديد يربط ماضينا الجيد في كامل مقوماته بحاضر انصرت في بوقته عناصر علمية وتقنية وحضارية انسانية فالشيء الذي بهمنا الان هو تحقيق هذا الهدف القريب الذي يستلزم عجز الطينة العربية عجنا جديدا في غير هواة حتى تصبح لفتنا - كما كانت في المصور الوسطي بل اكثر مما كانت في المصور - أداة دولية للتواصل بين الاجناس في دقة علمية ورصانة تقنية وتجاذب عميق مع ما استجده في العصر من خلجان وولجانات فتحن في المكتب الدائم نعد العدة لهذا التعریف مستمدین من الشرق ما سبقنا الشرق الى تعریبه ومستمدین من الغرب ما يجب ان يدرج بوضوح لتعظيم هذا المدد فلا تقبل من هنا او هناك الا ما يكفل استقصاء عراقية الضاد واستقراء مفاهيم المصر دون لبس ولا غموض فمثلنا مثل الطفل الغرير الذي يسأله والده عن اسم هذه الآلة او تلك فإذا اعطاه اسمما لمسمى ما قبله ولكن اذا اعطاه نفس الاسم لمسمى مفاير سأله والده

لن نأتي بجديد اذا قلنا ان المقرب العربي الاسلامي استمد ولا يزال يستمد كثيرا من مقوماته الحضارية من شقه الشرقي وخاصة في الحفل الثقافي فالتفكير العلمي الاسلامي عندنا ليس سوى امتداد اصيل مبدع للتراث الذي اتبثق من قلوب المروبة النابضة في الحرمين ودار السلام والقاهرة ودمشق وحتى بالنسبة للصور الحديثة فإن اسبقية الشرق الى تعظيم الفكر العربي بمعطيات الفكر الغربي المعاصر جعلت من اللغة العربية وهي المفهوم الجوهرى للوحدة اداة تتصارع في تصاعد مطرد مع مقتضيات التطور العلمي والتكنى الجديد على الصعيد الانساني ولعل من ابرز ما استرددناه من الغرب المستعمر ما كان لفتنا من دقة في التعبير وجلاء في التصوير وضبط في التنظير وقد استطاع الفكر اللاتيني خلال فترة الاستعمار ان يقحم لفته وثاقته في البرامج الدراسية بحصة الامد حتى أصبحت الفرنسية بالنسبة لجانب مهم من رجال الفكر في المغرب العربي الجهاز الاساسي للتفكير والتعبير هذا بينما ترك نفس الاستعمار اخواننا في الشرق يمرحون في حرية نسبية داخل قفص مغلق مغرب البرامج والمناهج ، فحركتنا المادفة للتعریف في المغرب العربي لا تنطلق من نفس الأساس الذي انطلق منه التعریف في الشرق - اذا كان هناك انطلاق للتعریف في الشرق حيث احتفظت العربية في الواقع بمكانها العربية مع جمود نسبي ناتج عن عوامل الاستعمار - فنحن بالرغم عن جهودنا الجهد في هذه

العربي مضيفا احيانا ما يوحى به اللفظ الاجنبي بكلام الدقة وثاركة المؤتمرات التعريب المقلبة اصدار الكلمة الفاصلة في ذلك فهذه مرحلة أولى وضرورية للتوحيد فيها جرد للتراث وتقييم لمطباته يسهلان مهمة الانتقاء .

فمجمع اللغة وال المجالس العلمية العليا والاتحادات التقنية يجب ان تقوم بالبادرة الاولى لتسهيل عملية التنسيق في المكتب انطلاقا من اختصاصها وعلى المكتب ان يجمع وان ينسق في استقراره واف واستقصاء كشاف واستكمال للمفاهيم بالمقارنة والتنظير بين محتويات القواميس والمعاجم قديمهما رحديتها صحيحة وستقيمهما على اختلاف لغاتها وخبرات أصحابها ولا شك ان بذلك تتكون حصيلة لفوية صالحة تساير العصر وتجعل لغة الفداد جديرة - كما كانت - بأن تفرض وجودها في المحافل الدولية لا استجابة لعوامل وضفوط سياسية بل استنادا الى قيمة حقيقة علمية وتقنية لفتنا كادة امية للتقارب والتواصل .

ان سلفنا قد كد واجهد لاحلال اللغة مكانتها العالمية المرموقة ونحن يجب ان نواصل هذا الجهاد بسلاح العصر ومراوغات العصر للاحتفاظ بهذه المكانة وتصعيدها اذا اقتضى الحال .

واذا كان الناس يعرفون ما حققه الشرق العربي من بادرات لکفالة هذا الاستمرار والاستقرار في مختلف الامصار والاعصار فان الكثير لا يعرفون بدقة مدى اسهام المغرب العربي في هذا الجهاد فلذلك ندعم هذه الدبياجة بذلكة موجزة هي انماذج مبسط يلقي ضوءا على جانب من المبادرات المغربية عبر الاجيال في هذا الحقل الحيوي من جهادنا الحضاري المشترك .

وتجدون في غير هذا المكان من هذا العدد الممتاز معينا للقويين يبرز جزءا من التراث اللغوي المغربي الذي هو امتداد اصيل لتراثنا العربي العام .

في غرارة الطفولة كيف اذن نفرق بين مسميين لهما اسم واحد فنحن نريد ان يوفر العرب لكل مسمى عمي قديم او حديث كلمة موحدة تعبر عنه في جزالة وجلاء ونحن اذا تقدمنا ما بين ايدينا من غث وسمين مما يرد علينا من الشرق فلتنا بزاعمين اتنا نتقن الشرف الا بقدر ما يلقن الطفل والده او التلميذ استاذه في نطاق الاستمداد البناء واذا كان هنالك شيء سيفيده الوالد من ولده والاستاذ من تلميذه في هذا المجال فهو احراج هذا ذاك تعبئة ما له من خبرة اوسع وحنكة ادق وتجربة ابلغ لتجلية الدلالة وتعزيق الاصلية وتدقيق العبارة وتوحيد الاشارة .

وقد زاد في الطين بلة بين شقي المروبة ما بين قوام الاستعمارين اللاتيني والانجليزي من بون يتسع احيانا ليعمق الهوة بين الثقافتين الاجنبيتين اي بين ينبعي الاستمداد النسبي في حضارتنا الموحدة فال مقابل العربي المقترن للتعبير عن مدلول علمي او تقني حدث مستمد من خلال هذه اللغة او تلك يختلف في بعض الاحيان الى حد التناقض لما يكون احيانا بين الافتین من نشاز لا يتلافاء الا من تطلع فيما ونظر بين قواميهما لاستخلاص القدر العلمي المشترك او المشاع بينهما ويكتفي لندرك هذه الظاهرة ان تقارن بعض ما يرد عليك من دمشق ببعض ما يرد من القاهرة لتلمس صعوبة مجرد التنسيق ولا تقول التوحيد ونحن نعلق على اتحاد الجامع الثلاثة في القاهرة ودمشق و بغداد اكبر الامال لتقريب الهوة وتنوير الصورة لان رسالة التوحيد يجب ان تنبثق في الحقيقة من هذه الجامع اذ لا تتجاوز نحن تجميع وتنسيق ما تتحفنا به هي نفسها غير ان خبراءنا في الوطن العربي يدفعون دفعا الى ان يتساءلوا ويلمحوا في التساؤل، انتجاعا للدقة، عما تنطوي عليه بعض المقابلات العربية الشائعة والمفترحة من ليس وسطحة او عما يتم عنه احيانا معجمنا الجديد من تذكر للاصالة وللدقة والوضوح .

وهذا مشكل لا تحله معاجمنا التي ترصن فى صف واحد ما يستعمل هنا وهناك في اجزاء الوطن

الدَّلَالَةُ الْجَدِيدَةُ وَالتَّطَوُّرُ الْلُّغَوِيُّ

الدَّكْتُورُ إِبْرَاهِيمُ السَّاهِرِيُّ - بَغْدَادٌ - كُلِّيَّةُ الْآدَابِ.

ومنهم من رد هذا التطور اللغوي الى ما يطرا على المجتمعات من اختلاف الظروف الجغرافية والمناخية . وهم يبنون هذا على جملة وقائع عرضت لشعوب مختلفة في تطورها التاريخي . على أنهم يذهبون مذاهب في تفسير هذا التطور الصوتي ، غير أن هذه اتفاقيات مختلفة لا تسلم من الطعن فيها فهي وإن كانت وجيهة فإنها تفتقر دالها الى الاصلة والشمول ، بحيث يمكن الأخذ بها على أنها نظريات ثابتة .

وقد حلا لبعضهم ان يفسر التطور الصوتي بقوانين « مندل » في الوراثة ، والرد على هذا من الأمور الهينة . وقد استعاروا طريقة تشارلز دارون العالم الانكليزي في التطور وهو ما يدعى بـ « المذهب الطبيعي ». قال دارون في كتابه « أصل الانواع بمائة تنازع البقاء وظهور

« The Origin of Species »

صفات خاصة في بعض الأفراد وانتقال الصفات الخاصة بالوراثة الى النسل وشبيوه هذه الصفات وكثرتها بحيث يمكن اعتبار من يرثها من النسل نوعا مختلفا عنمن لم يرثها . وقد طبق العالم الجيولوجي « ليل » هذه النظريات على اللغة فقرر : « إن الانواع في الطبيعة ، واللغات في التاريخ تتغير تبعا لنمايس متشابهة ... والعاملان الجوهريان في اللغات هما كما في الانواع الطبيعية التغير والانتخاب الطبيعي . وكما يحصل في الانواع يحصل كذلك في اللغات أيضا نتائج عظيمة لتجمع اسباب عديدة صفيرة لا قيمة

شارك العرب الاقدمون في العلم اللغوي كما شارك غيرهم من الامم القديمة كاليونان والهنود والصينيون . ولعله من غير المجدى في عصرنا الحاضر ان نبحث في اصل اللغة ، والذي يعنيها من اللغة أنها مظهر ونشاط للطبيعة البشرية الإنسانية . وينبني على ذلك أنها مظهر من مظاهر علم الاجتماع الذي يعني بالنشاط الانساني في مختلف أحواله .

ونصف « علم اللغة » في العصر الحاضر باللغة العالمية الخالصة ذلك انه ليس مادة يستعمل على ادراكها بالتأمل كما كان في عصور سلف . انه الان مادة موضوعية يتبع في علاجها ومعرفتها المنهج الوصفي ، ومن هنا يدخل التطور اللغوي في هذا المنهج .

ان علم اللغة بهذه الحدود الجديدة من العلوم القرمية الحديثة التي يبحثها الفريبيون وتشعبوا فيها ، وقد كان ذلك اثر الاهتمام بما دعا به كريسم Grimm بالقوانين الصوتية فقد كان سائدا أنها قوانين عامة شاملة تتطبق على جميع اللغات وهي كالقوانين الطبيعية الأخرى .

وقد عرضا لاسباب هذا التطور في الاصوات فردوا ذلك الى الاختلاف الذي يحصل في اعضاء النطق ، وقد عرضا في ذلك لجملة من الملاحظات والتجارب لبيان ما يعنون الاصوات من تغيير اذا ما حدث اي تشویه في اعضاء النطق .

نها في حد ذاتها كاد خال عبارات أجنبية وكثرة الخطباء والكتبة والاختيارات والاكتشافات وتعلم علوم جديدة وتنافر الالفاظ الى غير ذلك مما يغير اللغة » [1] .

ثم جاء بعد « ليل » العالم اللغوي شليختر فنشر كتابه بعنوان « دارون وعلم اللغات » وقد قرر فيه « ان مبادئ دارون ينطبق جميعها على كيفية نمو اللغات فان جميع اللغات لاوربية يكاد يكون لها اصل واحد هو اللغة الهندية الجermanية ، ومنها تفرعت عدة فروع باديء ذي بدء ثم تفرع من هذه الفروع فروع اخرى . على ان تفسير التطور اللغوي بهذه المحاولات لم يكن الا مجرد آراء اخذ بها اللغويون في مطلع هذا القرن ، وهي من غير شك محاولات لا تسلم من النقد الذي وجه اليها .

غير انه من الثابت ان التطور اللغوي يحدث في مادة اللغة التي تؤلف بنيتها وكيانها واعني بذلك الالفاظ التي تبني منها اللغة . هذه الالفاظ يخضعها الاستعمال فتجد فيها خصوصيات معنوية ذات ظلال دلالية *Sémantique* جديدة يستدعياها الزمان والمكان . وليست العربية بداعا بين اللغات ، ذلك ان اللغات كافة تخضع لسنة التطور ، وان الكلمة في كثير من اللغات مادة حية يعمل فيها الزمان ويؤثر فيها وتجد فيها الحياة فتتطور وتبدل وربما اكتسبت خصوصيات معنوية ابعدها الاستعمال عن اصلها بعدها قليلا او كثيرا . وليست العربية بتجوة من هذا الذي يطأ على غيرها من اللغات .

وعلى هذا ينحتم على الباحثين والدارسين ان يأخذوا أنفسهم بالمنهج الوصفي ، فان كثيرا من الالفاظ انتقلت انتقالات عدة بحيث ان « المصطلح الفنى » يؤلف مثلا مرحلة معنوية من الدلالة التي انتهت اليها لفظة من الالفاظ او تركيب من التراكيب . فلا بد ان يعني المعجم الحديث بهذه الناحية وثبتت هذه الالفاظ التي جدت في العربية واقتضتها ظروف المجتمعات الجديدة .

ومن العجب ان المعجم العربي الحديث لم يول هذه الناحية ما تستحقه من عناية كافية وربما تنكر

(1) من المقالة الثانية من كتاب « فلسفة النشوء والارتفاع » لشيلي شمبل (مطبعة المقطف مصر 1910) ص 120 - 121 .

(2) من هؤلاء Darmestetiv في كتابه « حياة الكلمات » Whitney La vie des mots . ومنهم Richard و Ogden في كتابهما في كتابه « حياة اللغة » La vie du langage The Meaning of Meaning

أو «الإمبراطورية». والامبراليّة كلمة يستعملها صنف كبير من الكتاب السياسيين والاقتصاديين وتظهر في كتاباتهم للتعبير عن مصطلح أعمى لا بد من توسيعه في العربية. وهي كاشفتها «الإمبراطورية» من الشيوع والاستعمال.

وبعد فليس من الحق إلا يعرض أصحاب المعجمات الحديثة لشيء من هذه المعرفات. ومن الناحية التاريخية أن الوصف بـ «الإمبرالي» Impérialiste كان قد عُرف في سنة 1546 بمعنى المتّصّب والمنحاز للإمبراطورية الالمانية. وفي القرن التاسع عشر كان هذا الوصف يعني من يتّصّب للاستراتيجية النابوليونية، ثم صار يعني من يتّصّب للإمبراطورية البريطانية التوسعية.

2) الإنتاجية : مصطلح حديث قذف به كتاب الاقتصاد يريدون به «قابلية الإنتاج» Productivité ، وقد بني هذا المصطلح على المصدر الصناعي . وإذا كان المصطلح كلمة واحدة كان خبرا من آخر مركب من كلمتين أو أكثر . وينبغي أن يراعي في ذلك اللغة التي عرب منها المصطلح .

3) الانتهازية : كلمة تشيع في كتابات المعاصرين للتّعبير عن نمط في الأخلاق غير مقبول ، فالانتهازي عندهم هو النّهاز للفرص بغية الحصول على منفعة . وعلى هذا كان الانتهازي من لا يؤتمن ولا يطمأن إليه ، والكلمة مما ينبع بها في هذا المقص . والانتهازية الخلق الذي يتصف به الانتهازي ، والكلمة من غير شك ترجمة لـ Opportunisme وهي معروفة مستعملة في كتابات السياسيين . والانتهازي من السّاسة من يحسن الافادة من الظروف خدمة لمصالحه .

فإذا كانت الكلمة بهذه الحدود الواضحة وبهذه الكثرة من الاستعمال فمن الغريب أن يخلو منها معجم حديث العربية . ومن المفيد أن أشير إلى الكلمة القديمة «نهاز» وهي وزن المبالغة لـ «ناهز» أو نهزة على «فعلة» لما قد يؤديان من المعنى الجديد ولا يقتربان مما هو انتهائي » .

دلالة جديدة قد وجدت . وهذا يعني أن تطورا ما قد حدث وان المربين وجدوا أنفسهم محتاجين إلى شيء من جديد يؤدي معاني جديدة استحدثت لفرض من أغراض الحياة الجديدة .

أقول : من الواجب علينا ان نفتح لهذا الجديد الذى قذف به المستعملون ، فى كتاباتنا لانه صار من مادة هذه اللغة . وسأعرض لجملة من هذه الالفاظ ونم ارد من ذكرها الا ان تكون أمثلة على النهج الذى أشرت اليه من ذى قبل . وهذه أمثلات جمعتها من هنا وهناك ولم اتبع في جمعي هذا منهاجا خاصا فمنها ما شاع في لغة الصحافة اليومية ، ومنها ما هو جار على السنة المذيعين ، ومنها ما هو مستعمل في لغة الكتابة الخاصة ، واعني بالخاصة لغة الكتابة غير الإدية كاللّفاظ الاقتصادية والسياسية ونحو ذلك .

لعل احدا يقول : ان هذه الالفاظ ينبغي ان تصنف في مجموعات حسب الاختصاص الذى تنسّب اليه ، كان يكون للفاظ السياسة مجموعة خاصة ينتظمها سفر خاص ، وهكذا في سائر الاختصاصات . وهذا صحيح غير ان العربية ما زالت مفتقرة اليه .

على ان هذا لا يعني اغفال هذه الالفاظ الجديدة في المعجم الفوي ، ذلك أنها معان جديدة ينبغي ان يشار إليها بايجاز في معجم لفوي حديث (1) .

ودونك شيئا من هذه الالفاظ الجديدة :

1) الإمبراليّة : لفظة اعجمية الاصل عربى على هبة المصدر الصناعي ، والمصدر الصناعي مادة مهمة في العربية أفاد منها كثيرا في التوصل إلى كثير من المصطلحات العلمية . والكلمة تعرّيب Imperialisme وهي تعني فيما تعنيه الاتجاه السياسي المتصف بالسيطرة والتّوسيع . وعلى هذا كانت الإمبرالية درجة عليا من درجات الاستعمار . والوصف منها «إمبرالي» وهو مقابل لـ Imperial والاصل الاعجمي القديم الذى بنيت منه الكلمة الفريدة هو الكلمة اللاتينية التي ترجع إلى المصور المتأخر Imperialis وهو من Imperium وهذه الأخيرة تعني Empire وقد عربت هذه بـ «الإمبراطورية»

(1) أغلل «المعجم الوسيط» كثيرا من هذه الالفاظ الجديدة كما اغفل غيرها . انظر مجلة المجمع العربي بدمشق (المجلدات: الثامن والتاسع والثلاثون والأربعون) : نظرات في المعجم الوسيط لعدنان الخطيب .

4) الانهزامية : كلمة اخرى تشير في كتابات المعاصرين من يتناولون المسائل السياسية . وهي نعوذ خاص من الخلق ، فالانهزامي هو الذي لا يتحمل مواجهة الامور الصعبة والظروف الدقيقة ، وإنما يفضل الابتعاد عن الصعب ولا يستطيع احتمال النتائج . والكلمة ترجمة للكلمة الاعجمية *Défaïtisme*

وأظن من المناسب ان يشار الى مثل هذه المولدات الجديدة في معجم جديد للعربية .

5) البرجوازية : مصطلح جديد يفيد التزعة الى المصدر الصناعي للتعبير عن طبقة اجتماعية خاصة ، وهي الطبقة الوسطى كما يذهب أصحاب علم الاجتماع . على ان الكلمة قد تكون وصفا فيقال مثلا: المفاهيم البرجوازية اي مفاهيم هذه الطبقة وانماط تفكيرها والكلمة تعريب للكلمة الفرنسية *Bourgeoisie*

والاصل فيها الكلمة Bourg وتعني المدينة فكان «البورجوازي» في الاصل ساكن المدينة Bourgeois ثم تطورت في الاستعمال عبر العصور فصار البورجوازي يعني المجتمع بحقوق خاصة يمليها عليه سكني المدن . ثم صارت تعني الرجل المرفه المترف ، ثم هي عند العمال تعني رب العمل او السيد المطاع . وربما أفادت الكلمة معنى سليبا في نظر طائفة من المجتمع ، ذلك ان البورجوازي لدى العمال في بداية عصر التحول الصناعي ، انسان غير محظوظ ، واذا كان غير محظوظ فالكلمة تشير الى النبر من هذه الناحية .

وهي في كتابات علماء الاجتماع والسياسيين صارت تعني طبقة من الناس لها افكارها ولها اخلاقها، ثم اندست معربة قى العربية بهذه الخصوصية المعنوية . وعلى هذا كان من المفيد ان يشار اليها في مجمنا الحديث .

6) التقديمية : مصطلح جديد يفيد طريقة في التفكير وأسلوبا في العمل وفلسفة تجنيح الى التقدم والعزوف عن الجمود وهي كلمة جديدة شاعت في كتابات السياسيين وعلماء الاجتماع في مطلع هذا القرن ولاسيما في كتابات الاشتراكيين وابصار المذاهب اليسارية . والتقدمي هو القائل بالتقديمية والسايك فى نهجها والأخذ بفلسفتها . وهي من غير شك ترجمة لـ *Progressisme* وهي من غير شك ترجمة لـ *Progressiste* .

ومن المفيد ان نشير الى ان الكلمة حين استعملت في العربية اوشكت ان تكون من لوازيم الاشتراكية . وهذا يعني ان الاشتراكيين والشيوعيين من القائلين بالتقديمية . ثم توسيع في استخدام التقديمية حتى استقرت في مكانها الصحيح حتى صار التقديمي هو المؤمن بالتقديمية في المجالات الاصلاحية . وعلى هذا كان من الضروري ان يشار الى هذه الكلمة في صورها المختلفة في معجم حديث العربية .

7) الثورية : مصطلح جديد يفيد التزعة الى الثورة والاندفاع اليها . و «الثوري» هو المتصف بهذه التزعة وهذا الاندفاع . والكلمة الاخيرة ترجمة لـ *Révolutionnaire*

8) الجمهورية : نظام معروف في الحكم . ولا نرى حاجة للقول ان الكلمة لا بد ان يشار اليها في معجم لفوي لشيوخها واستعمالها .

9) الديمقراطية : وليس من حاجة للإسهاب في شرح هذا المصطلح الذي صار من الشيوخ بحيث صار مفهوما لدى المختص وغيره . وقد عرب الكتاب العرب هذه الكلمة واجروها على المصدر الصناعي للتعبير عن المعاني التي تتضمنها على اهم كثيرة للتعبير عن المعاني نفسها فلابد ان نشير اليها في معجماتنا اشارة كافية . وهي تقابل الكلمة *Démocratie*

10) الديماكوجية : وهذه الكلمة جديدة اخذت سببها في كتابات المعاصرين من أصحاب العلوم الاجتماعية . وهي معربة من *Démagogie* . وهي تعنى في السياسة الطريقة التي يتمثل بها الجمهور والعمامة .

والكلمة من اصل اغريقى هو *Démagogia* والتمذهب بهذه الطريقة يقال له اي الديماكوجي . ولابد من الاشارة الى ان هذه الكلمة قد استعملتها الكتاب العرب في المشرق العربي على هذا النوع من التعریف . غير ان نفرا من الكتاب قد آثر ان يلجموا الى ترجمة هذه الكلمة فاتخذوا «الغوائية» مقابلة للكلمة الاعجمية . وهذه الكلمة الاعجمية المنسوبة الى «الغواء» اريد بها النبر والاحتقار حين جعلت مقابلة للأعجمية . ومن الضروري

الميل للأفكار القديمة وعدم الاقبال على الجديد من الفكر والعمل . ووصف نفر من الناس بالرجعية من باب النبذ والاحتقار ، ولا يصفهم بذلك الا أصحاب التقديمة والقائلون بالفكرة الجديدة . وعلى هذا تكون الرجعية ضد التقديمة .

والكلمة ترجمة للكلمة الاعجمية « Réaction » . وصاحب هذه الصفات (الرجعي) Réactionnaire . ولما كانت هذه الكلمات مما يصف بها التقديميين خصومهم فقد يفترط في استعمالها . وعلى كل حال لابد من الاشارة الى هذه المولدات اللغوية في المعجم الحديث او على الاقل في المعجمات الخاصة كمعجم المصطلحات السياسية ومعجم المصطلحات الاقتصادية ونحو ذلك .

14) **الكولونيالية** : وهو مصطلح جديد معرف على هذه الطريقة استعمله الكتاب السياسيون . والمراد به « الاستعمار » وكان هؤلاء عدلو عن الاستعمار لمومه وشموله وعدم تحديده للمراحل السياسية والحدود التي يجري عليها استبعاد الشعوب . وعند هؤلاء ان « الكولونيالية » الصق بنوع خاص من السيطرة لا تؤديه كلمة « استعمار » وهو من Colonialisme .

ولا ندري ايكتب لهذه الكلمة المعرفة الشبوع والبقاء ام يطويها الزمن كغيرها مما يقتضى به الكتاب لحاجة طارئة تقتضيهم ذلك .

15) **المحسوبيّة** كلمة معروفة يكثر استعمالها في لغة الدوّاين ويراد منها ان يكون لبعضهم حظوظه لدى جماعة من الحكام والرؤساء فهؤلاء يقدموه وبخصوصه بالمنافع و يؤثرونـه على غيره مراعاة له على نحو يتعد عن العدالة والنصفة دون حساب لمصالح الآخرين . والكلمة ترجمة ل Favoritisme .

16) **المسؤولية** : مصدر جديد يراد به الاضطلاع بالأمر وتحمل الواقع والتهيئ للعمل الجاد بحيث ان صاحب المسؤولية مسؤول عما يقوم به . و « المسؤول » نظير الرئيس والحاكم والمتصرف بالامور . وهذا مما ينبغي ان يتبه عليه في كتب اللغة التي تعنى بالجديد من المعانـي . والمسؤولية يقابلها بالفرنسية Responsabilité كما يقابل كلـمة مسؤول Responsible .

ان يشار في معجمنا الحديث الى هذه الكلمة ونظائرها مما هو جار في استعمال الكتاب العرب عملا بالنهج لعمي ندى يورخ اللفاظ في علم المعجمية الحديثة .

11) **الفوضوية** : وهو اصطلاح جديد يزيدون به سيطرة الدهماء والغوغاء . وهو في استعمال الكتاب العربي يتخذ شيئا من النبذ والاحتقار ، في بعض لاحيان . وهو مذهب له انصار في المجتمعات الغربية الحديثة وهؤلاء اصحاب افكار غريبة . والكلمة ترجمة لـ Anarchisme وقد بنيت هذه الكلمة الجديدة في العربية على كلمة « (فوضى) » المعروفة ، وينبغي ان نعرض لها هذه الكلمة التي تقبلت في الاستعمال ، فالمعروف ان « فوضى » جمع فضيـض « فعلى » والاصل فيها « فضى » جمع فضيـض مثل شتى جمع شتـيت ثم عرض لها الابدال ، وكثيرا ما يعرض هذا النوع من الابدال . ثم ان المعنى يدل على هذا الاصل ، فكلمة « فوضى » تعنى في الاصل « المترفين » والى هذا ذهب الشاعر القديم :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم

ولا سراة اذا جهالهم سادوا

اقول : ان هذه الكلمة اسـباب التحول والتبدل سبـب الاستعمال الكبير ، فقد انتقلت من الجمع الى المصدرية اذ المعروف ان « فوضى » في لفتنا الحديثة تعنى « عدم النظام » وما ابعد هذا عن المعنى القديم . وفي هذا عرض للتطور الذي يعرض لـ اللغة .

12) **الرأسمالية** : مصطلح جديد من مصطلحات علم الاقتصاد الحديث . والكلمة مركبة منحوتة ، فان « رأسـمال » بالهـمز ، او « رأسـمال » بـتسهيل الـهمزة كلمة جديدة ، وكان تركيبها قد اغفل النظر اليـه فصارت تجمع على « رـسامـيل » . على ان تركيبها ما زال منظورـا اليـه لـدى من يجمع الكلمة على « رـؤـوسـ اموـالـ » . ومن الطـريف ان يـشار الى ان العامية العـراقـية قد اغفلـتـ النـظرـ الىـ تركـيبـ هذهـ الكلـمةـ فـاشـتـقـتـ منهاـ فـعلـاـ هوـ « رـسـهـلـ » بـمعـنىـ انـ البـضـاعـةـ المـبـيعـةـ قدـ رـدـتـ « رـاسـمالـهاـ » ايـ انـهاـ لمـ تـخـرـ ولمـ تـرـبـ .

13) **الرجعية** مصطلح جديد مبني على طـرـيقـةـ المـصـدرـ الصـنـاعـيـ للـتـعبـيرـ عنـ معـنىـ جـدـيدـ هوـ

« فعيل » من هذه الكلمة ، فهي جديدة في صيغتها الجديدة في معناها . وهي تقابل Agent الاعجمية . والكلمة من الشيوخ في الاستعمال بحيث يجب أن ينص عليها اذا ما أردت تسجيل العربية تسجيلاً تاريخياً .

(21) **الرائد** (Pionnier) : وهي كلمة قديمة . والرائد الذي يرسل في التماس النجمة وطلب الكلا ، وفي حديث أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (ع) في صفة أصحابه : « يدخلون ووداً ويخرجون أدلة » أي يدخلون طالبين للعلم ملتمسين للحلم ويخرجون هداة للناس . وأصل الرائد الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلا ومسانط الفيت .

هذا هو استعمالها المأثور عن العرب القدمين ، أما الاستعمال الحديث لهذه الكلمة ففيه شيء من الجدة ينبغي أن يشار إليه ولا يكتفى بخطوئه فيقال : « الزعيم الرائد » في الكلام على زعيم من الزعماء ، كما يقال : الصحيفة الرائدة أو الفكرة الرائدة . وهذا نوع من الاستعمال جديد يوصل إليه بشيء من اللطف في فهم التشبّه والمجاز .

هذه جملة مصطلحات جديدة لها مكانها في اللغة الحديثة فهي تستعمل في مقامات مخصوصة بحيث صارت جميرة القراء تقرؤها كل يوم وتسمعها كل يوم . ولذا كان من الواجب أن تدون هذه الاستعمالات مقرونة بالظروف والاحوال .

ان الجديد الذي نلاحظه في لفتنا الحديثة آخر بالازدياد لما عرضنا في مقدمة هذا البحث من أسباب . أما القول بأن هذا من لغة الجرائد نبرأ له وباصاداً بذلك غير سليم . ان طائفه كبيرة من الالفاظ القديمة قد انصرفت الى معان جديدة فيما حاجة ماسة اليها .

فإن لم تقبل هذه المعاني الجديدة نكيف نعمل ازاء التأمين ، والتصميم والتخطيط والصمود والمسح والتقطيع والتوعية والارضية والخلفية وأشياء أخرى ؟ وساعود لابحث في هذه الالفاظ الجديدة في مبحث قابل والسلام عليكم .

(17) **النضالية** : وهي كلمة جديدة مبنية على طريقة المصدر الصناعي للدلالة على الاستعمال الطبيعي لنعمل الشاق في سبيل تحقيق هدف سام كالاعمال الوطنية عامة والتضال ضد المستعمر مثلاً . ومجيء الكلمة كما قلت على طريقة المصدر الصناعي يشعر أن هذه الكلمة أصبحت مصطلحاً يفيد « القabilية على النضال » أو « الروح النضالية » (Militantisme) (1)

(18) **الوصولية** : من المصطلح الجديد وهو مصدر صناعي من « الوصول » للدلالة على ما في « الوصولي » من الخلق والعمل . والوصولي من يعمل كل شيء ويسعى لديه كل عمل في سبيل الوصول الى بغيته . والوصولي من الصفات الجديدة التي يوصف بها هذا النوع من خلق الله . وهو خلق رذيل ، ومن هنا كانت الوصولة نبراً وشتماً وهي تحضر في كتابات السياسيين في عصرنا . وعلى هذا كان من الضروري الاشارة الى هذا النوع من المولد الجديد . والوصولية ترجمة لـ « Arrivisme » .

(19) **مؤتمر** : وهذا مصطلح جديد يراد منه ان يكون مقابلـاً لـ « Congrès » وهو الندوة التي يجتمع فيها نفر من الناس يشاورون في أمر ما . وهو الائتمار والاستئمار والتآمر والمأمرة وهو التشاور . وعلى هذا كان التآمر والمأمرة بمعناها الحديث وهو المكيدة والخدعية ، غير معروف في اللغة القديمة . غير ان شيئاً من هذا المعنى الحديث وجد في « الائتمار » جاء في التنزيل : « ان الملا يتأمرون بك ليقتلوك » قال ابو عبيدة : اي يتشاورون عليك ليقتاوك . وعلى هذا كانت الكلمة « مؤامرة » و « تآمر » من الكلمات المعروفة التي شاعت وكثير استعمالها في المعنى المشار اليه في أعلاه وهي تعد من باب المولد الجديد الذي ينبغي ان ينص عليه .

(20) **العملاء** : وهي من كلمات النبر والشتم الجديدة . والكلمة جمع مفردتها « عميل » والمراد به من يعمل لمصلحة دولة أجنبية ضد مصلحة وطنـه . وعلى هذا كأنها تقابل « جاسوس » من الافاظ القديمة . ولا يوجد في العربية صفة على

(1) وردت الكلمة Militantisme في معجم لاروس : « Dictionnaire du Français Contemporain »

الاِضْدَادُ فِي الْفُسْنَةِ

الدُّكْتُورُ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ

- 3 -

اما ما انفرد به ابو حاتم عن قطرب وابن السكيت فاپداد قلائل ، يمكن ان نفرعها الى الانواع التالية :

ا - ما يتبع صيغة انفعل وافتعمل من الاجوف والمضاعف ، وهوما الصيفتان اللتان زادهما هذا المؤلف (175) .

ب - ما يتبع صيغة فعول وفعيل (158 ، 160 ، 165 ، 173 ، 203 ، 204) . وسبب انفراده تجديده في امثالهما .

ج - اضداد كان يشك فيها (246 ، 272) .
د - اخطاء (209 ، 231) .

وظنت في باديء الامر انه حذف ما حذف من اضداد ابن السكيت ، لانه لم يرض عنها او عن نوع الاضداد الذي تمثله . ولكن الدراسة بينت انه ذكر من الاضداد ما هو من نوعها . فقد حذف بعض اضداد مجازية (65 - 69 ، 71) واضداد اللغات (59 ، 57) واضداد التطير (96) واضداد المتعلقات (13) . واضداد فعول وفعيل (87 ، 30) وغيرها . وكان من هذه الاضداد التي حذفها ما رواه أبو عبيدة (60 ، 67 ، 70 ، 71) وأبو عمرو الشيباني (12 ، 14 ، 56) والاصمعي (10 ، 15) وقطرب (98) . وكان فيما زاده اضداد الصيغ المختلفة من افعل وفعول ومحتمل وتفعل (246 ، 246 ، 162 - 165 ، 175 ، 203 ، 231) واضداد مجازية (273) .

خالفت اضداد ابي حاتم السجستاني ما سبقها من كتب في العنوان ، اذ لم تقتصر على الاضداد وحدها ، بل هي « كتاب المقلوب لفظه في كلام العرب ، والمزال عن جهته ، والاضداد » . والمراد بالجزء الاول من هذا العنوان ما يسمى « المقلوب » مثل تهبيني الطريق وبالجزء الثاني الاضداد نفسها مثل الجزء الثالث ، فالمزال عن جهته هو ما وجه وجهة مضادة غير معناه الاصل . فالعنوان يصرح اذن ان الكتاب خاص بالاضداد ، والعبارات المقلوبة . ولكن هذا التقسيم لم يتمثل في متن الكتاب .

وتشتمل اضداد ابي حاتم على 170 ضدا ، اخذ منها 116 من قطرب ، واتفق ابن السكيت معه في 54 منها . ولم يشترك ابو حاتم مع ابن السكيت في شيء من بقية الاضداد التي لم يأخذها من قطرب ، وقدرها 54 ايضا . فلم يقع بينهما اشتراك الا فيما اخذاه من قطرب . ولكن ابا حاتم لم يأت بهذه الاضداد من عنده ، بل اخذه منها من ابي زيد (166 ، 216 ، 211 ، 243 ، 244) ، و 3 من الاصمعي (214 ، 214 ، 267) ، واثنين من ابي عبيدة (118 ، 106) وواحدا من التوزي (180) . واخر من ابي زيد والاصمعي معا (275) . واشتراك مع ابن الباري في 28 ضدا ، لا ندرى مصدرها على وجه اليقين ، وان ورد فيها اسماء بعض اللغويين .

لكتنه حوض من اودى باخوته
ريب المنون فاضحى بيةة البلد
واما قول ابن الزبعرى :

كانت قريش بيضة فتفرقـت
فالمحـ خالصـه لعبد مناف

فليس من هذا في شيء». و قال (3) : «زهق»
الراـقـ : الـيـتـ . يـقالـ : زـهـقـ نـفـسـهـ وـقـالـ تـعـالـيـ :
« وـزـهـقـ أـنـفـسـهـ » وـ « قـلـ جـاءـ الحـقـ وـزـهـقـ
الـبـاطـلـ » وـزـهـقـ بـيـنـ يـدـيـ الـقـومـ : مـضـىـ وـتـقـدـمـ .
وـقـالـواـ : وـزـهـقـ : السـمـينـ ، قـالـ زـهـيرـ :

الـقـائـدـ الـخـيـلـ مـنـكـوبـاـ دـوـابـرـهاـ
مـنـهـ الشـنـونـ وـمـنـهـ الـراـقـ الزـهـمـ

وـقـلـماـ كـانـ يـسـلـكـ الـطـرـيقـةـ الثـانـيـةـ ، إـلـىـ
الـمـقـطـنـفـاتـ الـتـىـ أـخـذـهـاـ مـنـ غـيـرـهـ . وـكـانـ فـيـ بـعـضـ
الـأـحـيـانـ يـتـرـكـ الـطـرـيقـيـنـ ، وـيـذـكـرـ الـمـادـةـ كـمـ تـأـسـىـ .
قـالـ (4) : « ظـهـرـ . بـطـنـ : وـقـالـ الـحـسـنـ وـحـمـهـ اللـهـ :
(ـبـطـانـهـ مـنـ اـسـتـبـرـ) . ظـواـهـرـهـ . وـقـالـواـ : ظـهـرـ
الـسـمـاءـ : وـجـهـهـاـ ، وـبـطـنـ الـسـمـاءـ كـذـلـكـ ، وـقـرـاتـ
الـقـرـآنـ عـنـ ظـهـرـ قـلـبـ . وـعـنـ ظـهـرـ الـلـسانـ . قـالـ
الـشـاعـرـ :

وـانـ مـنـ القـولـ الـتـىـ لـاـ شـوـىـ لـهـ
إـذـ زـلـ عـنـ ظـهـرـ الـلـسانـ اـنـقلـابـهـ

وـقـالـواـ فـيـ قـولـهـ تـعـالـيـ : « فـيـظـلـلـنـ رـوـاـكـدـ عـلـىـ
ظـهـرـهـ » إـيـ عـلـىـ وـجـهـ الـبـحـرـ . وـقـالـواـ : اـمـ ظـاهـرـ
عـنـكـ : إـيـ زـائـلـ ، قـالـ الـهـذـلـيـ اـبـوـ ذـؤـبـ :

وعـيـرـهـ الـوـاـشـونـ أـنـيـ اـحـبـهـاـ
وـتـلـكـ شـكـاـةـ ظـاهـرـ عـنـكـ عـارـهـاـ

إـيـ زـائـلـ . وـيـقالـ : النـعـمـةـ ظـاهـرـةـ عـلـيـهـ : إـيـ
لـازـمـةـ لـهـ ». فـالـمـعـانـيـ وـالـشـوـاهـدـ كـلـهـاـ مـخـتـلـطـةـ لـاـ نـظـامـ
لـهـاـ .

وـاـضـدـادـ الـلـغـاتـ (227) وـاـضـدـادـ الـمـعـلـقـاتـ (236)
وـغـيـرـهـاـ . أـمـاـ الـفـرـقـ الـوـاسـعـ بـيـنـهـاـ فـكـثـرـةـ اـعـتمـادـ
ابـنـ السـكـيـتـ عـلـىـ أـبـيـ عـبـيـدةـ وـابـيـ عـمـروـ الشـيـبـانـيـ ،
وـأـكـثـارـ اـبـيـ حـاتـمـ الرـوـاـيـةـ عـنـ قـطـرـبـ وـابـيـ زـيـدـ
وـالـاصـمـعـيـ .

وـجـمـعـ اـبـوـ حـاتـمـ فـيـ آـخـرـ كـتـابـ ثـلـاثـيـنـ ضـدـاـ ،
أـفـرـدـهـاـ عـنـ بـقـيـةـ الـكـتـابـ لـشـكـهـ فـيـهـاـ . وـوـجهـ الـيـهاـ
نـقـداـ عـامـاـ أـذـ قـالـ (1) : « وـقـدـ ذـكـرـ بـعـضـ اـصـحـابـناـ
حـرـوفـاـ لـاـ عـنـ لـيـهـاـ : اـنـقـالـ أـمـ لـاـ » . وـكـانـ مـنـ هـذـهـ
الـاـضـدـادـ مـاـ شـارـكـهـ فـيـهـ اـبـنـ الـاـنـبـارـيـ (257) وـمـاـ
شـارـكـهـ فـيـهـ قـطـرـبـ وـابـنـ الـاـنـبـارـيـ (252) ، وـمـاـ
وـالـصـفـانـيـ (187) .

وـلـاـ تـخـتـلـفـ الـخـطـةـ الـتـىـ سـارـ عـلـيـهـ اـبـوـ حـاتـمـ فـيـ
مـعـانـيـ الـاـضـدـادـ ، فـيـ مـعـالـمـاـ الـكـبـرـىـ وـاـنـ اـخـتـلـفـ فـيـ
بعـضـ التـفـاصـيلـ ، عـمـاـ رـايـنـاهـ فـيـ اـضـدـادـ اـبـنـ السـكـيـتـ .
فـهـمـاـ مـتـفـقـانـ فـيـ تـقـدـيمـ الـمـادـةـ ، فـمـعـنـيـهـاـ ، فـشـوـاهـدـهـاـ
تـارـةـ ، وـتـقـدـيمـ الـمـادـةـ فـاحـدـ الـمـعـانـيـ وـشـوـاهـدـهـ ، فـمـلـعـنـيـ
الـآـخـرـ وـشـوـاهـدـهـ . قـالـ (2) : « بـيـضـةـ الـبـلـدـ » . يـقـالـ :
فـلـانـ بـيـضـةـ الـبـلـدـ : إـذـ ذـمـ ، إـيـ قـدـ اـنـفـرـ ، وـيـقـالـ
ذـلـكـ فـيـ الدـحـ ، زـعـمـواـ . فـلـامـ فـيـ الذـمـ فـقـالـ الرـاعـيـ
لـعـدـيـ بـنـ الرـقـاعـ الـعـاـمـلـيـ :

تـائـبـ قـضـاعـةـ اـنـ تـعـرـفـ لـكـمـ سـبـاـ
وـابـنـ نـزارـ فـائـتـ بـيـضـةـ الـبـلـدـ

قـالـ اـبـوـ حـاتـمـ : يـجـوزـ اـنـ يـكـونـ قـولـ الرـاعـيـ
هـزـءـاـ ، يـهـزـءـاـ بـهـمـ يـقـولـ : اـنـتـمـ سـادـةـ الـبـلـدـ ، وـهـوـ يـهـزـءـاـ
بـهـمـ . وـقـالـ حـسـانـ لـمـزـيـنـةـ ، وـقـدـ قـتـلـواـ اـبـاهـ فـجـعـلـهـمـ
جـلـابـيبـ ، إـيـ سـفـلـةـ :

أـرـىـ الـجـلـابـيبـ قـدـ عـزـواـ وـقـدـ كـثـرـواـ
وـابـنـ الـفـرـيـعـةـ اـمـسـىـ بـيـضـةـ الـبـلـدـ

وـقـالـ الـتـلـمـىـسـ :

-
- (1) ص 148 .
(2) 171 .
(3) 195 .
(4) 240 .

(نـد) الشيء مثله وشبهه وعدله ، ولا اعلمهم اختلـوا في ذلك ... والجمع انداد .. وكثير من العرب يجعلون النـد ايضا للجمع من الرجال والنساء . وللاثنين من الرجال والنساء ، كما يجعلون المثل والشـبه والعدل والضـد .. ويقال : نـد ، ونـديـد ، ونـديـدة بالهـاء ، كما يقال في الحديث : « اذا أتاكم كـريـمة قـوم فـاكـرـمـوه » : اي كـريم قـوم ... قال تعالى : « كـلا سـيـكـفـرون بـعـبـادـتـهـم ، وـيـكـونـون » اي تكون الـاـلـهـةـ ضـداـ عـلـيـهـم . وـاـنـما جـعـلـ الضـدـ كـالـصـادـرـ التـىـ تكون لـلـوـاحـدـ وـالـجـمـعـ سـوـاءـ . كـقـولـكـ : القـوـمـ رـضـىـ ، وـالـقـوـمـ عـدـلـ . وـهـمـ جـنـبـ ... وـهـذـاـ مـشـهـورـ فيـ الـمـصـادـرـ خـاصـةـ . وـيـقـالـ : قـوـمـ كـرـمـ ، فـىـ مـعـنـىـ : كـرـامـ وـقـالـواـ : قـوـمـ شـرـطـ : وـقـزـمـ : لـلـثـامـ ، وـقـدـ يـجـمـعـ فـيـقـالـ : قـزـامـيـ وـاـشـراـطـ » .

وكتاب الاضداد لا يـأـبـيـ حـاتـمـ اـكـثـرـ اـنـظـالـاـ منـ كـتـابـ ابنـ السـكـيـتـ ، اـذـ يـنـظـمـ اـضـدـادـ فـعـولـ ، وـافـتـعلـ وـافـنـعـلـ منـ الـاجـوـفـ ، وـافـتـعلـ منـ الـمـضـعـفـ التـلـاـئـيـ ، وـلمـ يـظـهـرـ ذـكـرـ التـنـظـيمـ بـهـذـاـ الـبـرـوـزـ فـيـ اـضـدـادـ ابنـ السـكـيـتـ . يـضـافـ الـىـ ذـكـرـ اـضـدـادـ اـبـنـ السـكـيـتـ . يـضـافـ الـىـ ذـكـرـ اـضـدـادـ ، وـصـرـحـ بـشـكـهـ فـيـهاـ . وـاـكـنـ تـسـرـبـ الـيـهـ الـاـخـتـلـالـ فـيـ مـاـدـةـ « ضـنـيـنـ وـظـنـيـنـ » الـتـىـ لـاـ نـدـرـيـ سـبـبـ وـضـعـهـ اـيـاـهـاـ فـيـ اـضـدـادـ ، وـفـىـ مـاـدـةـ « قـعـدـ » الـتـىـ كـرـرـهـاـ مـرـتـينـ (9) .

يـضـافـ الـىـ ذـكـرـ اـبـيـ حـاتـمـ فـيـ اـضـدـادـ اـمـتـازـ عـلـىـ اـبـنـ السـكـيـتـ اـمـتـازـاـ كـبـيرـاـ ، دـلـ عـلـىـ قـدـرـةـ فـائـقـةـ . وـقـدـ ظـهـرـ آثارـ هـذـهـ الـقـدـرـةـ فـيـ التـقـوـدـ الـتـىـ عـقـبـ بـهـاـ عـلـىـ كـثـيرـ مـاـ اـوـرـدـهـ مـنـ اـضـدـادـ . وـعـنـدـمـاـ نـتـبـعـ هـذـهـ التـقـوـدـ نـخـرـ بـالـلـاحـظـاتـ التـالـيـةـ :

اقـامـ اـبـيـ حـاتـمـ الشـطـرـ الـاـكـبـرـ مـنـ نـقـدـهـ ، عـلـىـ عـدـمـ مـعـرـفـتـهـ هـوـ بـالـمـعـنـىـ الـمـقـولـ بـهـ لـالـفـظـ . وـهـوـ يـقـيمـ مـنـ نـفـسـهـ مـثـالـاـ الـلـفـوـيـنـ ، فـيـعـنـيـ بـقـولـهـ : « لـاـ اـعـرـفـهـ » اـنـ الـلـفـوـيـنـ لـاـ يـعـرـفـونـهـ . قـالـ مـرـةـ (10) « اـجـتـمـعـتـ الـلـفـوـيـنـ لـاـ يـعـرـفـونـهـ » .

وـاعـتـمـدـ اـبـيـ حـاتـمـ فـيـ عـلـاجـهـ عـلـىـ الشـوـاهـدـ وـلـكـنـ كانـ يـقـللـ مـنـهـ فـيـ الشـوـاهـدـ التـىـ اـنـفـرـدـ بـهـاـ عـلـىـ اـبـنـ السـكـيـتـ ، وـلـمـ يـظـهـرـ لـيـ اـنـهـ اـخـذـهـ مـنـ غـيـرـهـ . وـلـاـ يـخـتـلـفـ اـسـتـشـهـادـ عـنـدـ اـبـيـ حـاتـمـ عـنـدـ مـنـ سـبـقـهـ ، طـرـيقـةـ وـأـنـوـاعـاـ ، غـيـرـ اـنـهـ اـكـثـرـ مـنـ الـآـيـاتـ الـقـرـآنـيـةـ ، وـقـلـلـ مـنـ الـإـمـتـالـ وـالـاقـوالـ . وـهـذـهـ بـعـضـ اـمـثـلـةـ اـسـتـشـهـادـ عـنـدـهـ . قـالـ (5) : « الـاـدـمـ مـنـ الـاـبـلـ وـمـنـ الـظـباءـ : الـاـبـيـضـ . وـمـنـ كـلـ شـيـءـ بـعـدـ ذـكـرـ : غـيـرـ الـاـبـيـضـ عـلـىـ مـاـ يـقـولـ النـاسـ . يـقـولـونـ : رـجـلـ آـدـمـ : - (اـسـمـ) وـظـبـيـةـ اـدـمـاءـ : بـيـضـاءـ . وـبـعـيرـ آـدـمـ : الـلـاـبـيـضـ ، وـنـاقـةـ اـدـمـاءـ » . وـقـالـ (6) : « قـدـ قـالـواـ : بـصـيرـ ، لـبـصـيرـ الـاعـمـىـ ، وـلـزـنـجـيـ اـبـوـ الـبـيـضـاءـ . وـقـالـ لـيـ رـجـلـ مـنـ شـقـ الـاـسـاءـ : لـيـ اـمـ بـصـيرـ ، بـرـيدـ عـمـاءـ .

وـلـكـنـ اـبـاـ حـاتـمـ خـالـفـ مـنـ قـبـلـهـ فـيـ نـاحـيـةـ وـاحـدـةـ مـنـ الشـوـاهـدـ ، هيـ اـيـرـادـهـ اـحـيـانـاـ السـنـدـ فـيـ تـفـسـيرـ الـآـيـاتـ وـالـاـحـادـيـثـ . قـالـ (7) : « حـدـثـنـيـ اـبـوـ عـامـرـ الـمـقـدـيـ قـالـ : حـدـثـنـيـ سـفـيـانـ بـنـ عـيـنـةـ ، مـنـ عـمـرـ وـبـنـ دـيـنـارـ : اـنـ اـبـنـ عـبـاسـ قـرـاـ : (وـكـانـ اـمـامـهـ مـلـكـ يـاخـذـ كـلـ سـفـيـنةـ صـالـحةـ غـصـباـ) ... » .

وـكـانـ فـيـ الـمـلـاجـ يـحـاـوـلـ اـلـيـسـتـرـدـ كـمـاـ كـانـ يـفـعـلـ اـبـنـ السـكـيـتـ ، وـانـ يـلـزـمـ بـماـ اـنـصـلـ بـالـاـضـدـادـ وـحـدهـ .

وـلـكـنـ هـذـاـ لـمـ يـمـنـعـهـ مـنـ الـاـلـتـفـاتـ إـلـىـ الـمـشـتـقـاتـ الـمـتـصـلـةـ بـالـاـضـدـادـ ، وـالـعـنـيـةـ بـالـلـفـقـاتـ ، كـمـاـ نـرـىـ فـيـ قـوـلـهـ فـيـ « نـدـ » (8) : « التـنـخـلـ ، يـؤـنـشـهـ اـهـلـ الـحـجـازـ وـيـذـكـرـهـ سـائـرـ النـاسـ . وـيـؤـمـلـ : مـنـ اـمـلـهـ ، مـخـفـفـةـ ، وـيـقـالـ : هـوـ مـأـمـولـ وـمـنـ قـالـ اـمـلـهـ ، فـشـدـدـهـ وـشـبـيهـ ، وـعـدـلـ وـعـدـيلـ . وـقـالـواـ لـلـوـاحـدـ : شـبـهـ وـشـبـيهـ : عـدـلـةـ : اـيـضاـ » .

وـكـانـ الـىـ جـانـبـ هـذـاـ يـاتـفـتـ اـحـيـانـاـ إـلـىـ بـعـضـ الـقـوـاعـدـ وـالـاـحـکـامـ الـلـفـقـوـيـةـ وـالـنـحـوـيـةـ ، وـيـذـكـرـهـاـ . قـالـ : « قـالـ اـبـيـ حـاتـمـ : اـجـتـمـعـتـ الـعـربـ عـلـىـ انـ

• 176 (5)

• 225 (6)

• 111 (7)

• 106 (8)

• 261 ، 212 (9)

• 106 (10)

ولا اثق ايضا بقول الفرزدق في القرآن . ولا ادرى لعله قال : « الذي كان اظهرا » اي كتم ما كان عليه . والفرزدق كثير التخلط في شعره ، وليس في قول نظيريه جوبي والاخطل شيء من ذلك. فلا اثق به في القرآن » .

كذلك عند أبي حاتم نجد واحد قام على أن الضد من احتيالات النحويين قال (14) : « قال قوم : سوى الشيء ، غيره ، سواء ، هو هو . وقال قوم : بل سوى تكون زيادة احيانا ، تقول أبي التجم : « كالشمس لم تعد سوى ذرورها » ي يريد لم تعد ذرورها ، أي ان ذرت ، أي طلعت . وانشدنا ابو زيد :

أتانا فلم نعدل سواء بغيره
رسول أتى من عند ذي العرش هاديا

يعني النبي صلى الله عليه وسلم . والمعنى فلم نعدله بغيره . وقائل الاخفش : اراد فلم نعدل سواء بغير سواء ، فالهاء ترجع الى سواء . وهذا من احتيال النحويين ، وكلام العرب على غير ذلك» .

— * —

كتاب ابن الباري

وصلينا ايضا « كتاب الاضداد » لابي بكر محمد بن القاسم الباري . وقد قدم المؤلف - كأبي حاتم - بين يدي كتابه مقدمة ، صدرها بالحمد والصلوة ، ثم عرف الاضداد ، وذكر ما دفعه الى التأليف فيها ، وقسم الكلام العربي تميذا لوضع الاضداد في موضعها اللائق بها ، وبيان نشأتها الاولى في اللغة . ونستبين من الاطلاع عليها ان ابن الباري ادخل في مقدمته مقدمة قطرب كلها .

وكشف ابن الباري عن النهج الذي اختطه في كتابه ، فقال (15) : « وقد جمع قوم من اهل اللغة الحروف المتضادة ، وصنفوها في احصانها كتابا . نظرت فيها . فوجدت كل واحد منهم اتي من الحروف

العرب يجعل الضد مثل الند ، ويقول هو يصادني ، اعلمهم اختلفوا في ذلك ... (و) زعم قوم ان بعض العرب يجعل الند مثل الضد ، ويقول هو يصادني ، في ذلك المعنى ، ولا اعرف انا بذلك . فاما المروف في الضد في كلام العرب فخلاف الشيء ، كما يقال: اليمان ضد الكفر ، والعقل ضد الحمق ... » .

وكان في اكثرا احيانا يأتي بهذا النقد في الاضداد المتعلقة بالقرآن تحرجا منه وورعا . مثال ذلك قوله (11) : « كان ابو عبيدة يقول : خاف من الخوف ، ومن اليقين . وكان يقول : « فان خفتم الا تعلموا » يريد ايقنتكم . ولا علم لي بهذا لانه قرآن ، فانما تحكيه عن رب العالمين ، ولا تدرى لعله ليس كما يظنن » .

والدعامة الثانية عنده . تغليط القائل ، مثل قوله (12) : « قال ابو عبيدة : الخنزير من الخيل : الفحل والخصي . وغلط ، انما الخنزير الفائق من الخيل ، ومن كل شيء . ويقال خطيب خنزيذ ، وشاعر خنزيذ . وقال خفاف بن عبد شمس :

ويراذين كابيات واتنا

وختنزيذ خصية وفحولا

الخصوصية : الخصيان . فاراد منها خصيان ومنها فحول . وقال بشر بن ابي خازم في نعت فرس :

وختنزيذ ترى الغرمول منه
كتسي الرزق علقه التجار

وعشرت على نجد واحد من ابي حاتم قام على عدم الثقة بين روى الضد ، قال (13) : « قال ابو عبيدة : اسررت الشيء : اخفيته واظهرته ايضا . وكان يقول في هذه الآية : (واسروا النساء لما رأوا العذاب) : اظهروها . ولا اثق بقوله في هذا ، والله اعلم . وقد زعموا ان الفرزدق قال :

فلما رأى الحجاج جرد سيفه
أسر الحروري الذي كان اضمرا

-
- | | |
|-------|-----------|
| • 117 | (11) |
| • 115 | (12) |
| • 168 | (13) |
| • 181 | (14) |
| • 13 | ص 13 (15) |

حسابي . ثم كسرت السين منه ، ونقل الى معنى الشك . . . وقال الفراء : خلت اصله من الخيال اذا تخيّل لك الشيء ، ثم اعمل في الاسم والخبر ، ونقل الى معنى الظن . . . » .

وعنى في بعض الاضداد بابراط معانها الاخرى غير المضاد ، مثل (18) : « الظن يقع على معانٍ اربعة : معنيان متضادان : أحدهما الشك ، والآخر البيتين الذي لا شك فيه . . . والمعنيان اللذان ليسا متضادين : أحدهما الكذب ، والآخر التهمة . فإذا كان الظن بمعنى الكذب فلت ظن فلان . اي كذب ، قال الله عز وجل : « ان هم الا يظلون » .

واكثر في علاجه للمواد من ابراد الاحكام والقواعد اللغوية وال نحوية بشكل بارز لم نره عند من قبله . قال في « توسيد (19) » : « وانشد الفراء :

يا رب ساربات ما توسيدا
الا ذراع العنس او كف اليدا

اي كان ذراع الناقة بمنزلة الوسادة . وموضع اليد خفض باضافة الكف اليها ، وثبتت الالف فيها . وهي مخفوقة ؛ لأنها شبهت بالرمح والفتى والعصا ، وعلى هذا قالت جماعة من العرب : قام اباك ، وجلس اخاك ، ف شبهاها بعصاك ورحاك وما لا يتغير من المعتلة . هذا مذهب اصحابنا . وقال غيرهم : موضع اليد نصب بكف ، وكف فعل ماض من قوله : قد كف فلان الاذى عنا » . وقال : « الاون حرف من الاضداد ، يقال : الاون ، للرفق والدعة ، والاون : للتعب والثونة . . . والثونة اخذت من الاون ، وهو التعب والنصب . والاصل فيه ماونة مفعلة ، من الاون ، فنتقلت ضمة الواو الى المهمزة ، ويجوز ان تكون مفعلة من الاون وهو الرفق والدعة فإذا قالوا هو عظيم الثونة فمعناه : عظيم التسكين والرفق . ويجوز ان تكون الثونة مفعلة من الain ، والain التعب . قال الشاعر :

الجزء . واسقط منها جزءا ، واكثرهم امسك عن الاعتلال لها . فرأيت ان اجمعها في كتابنا هذا ، على حسب معرفتي وبلغ علمي ، ليستفي كاتبه وانتظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة في مثل معناه ، اذ اشتمل على جميع ما فيها ، ولم يعد منه زيادة الفوائد ، وحسن البيان ، واستيفاء الاحتجاج ، واستقصاء الشواهد » .

ووفى المؤلف من الخطوة الاولى من نهجه . فقد ذكر جميع ما في اضداد ابن السكري وابي حاتم ، ما عدا قريبا من 30 اهملها لشكه فيها . - وجميع ما في اضداد قطرب غير 12 ضدا . وكان قطرب قد انفرد عشرة منها ، واتفق معه ابو حاتم في الباقين 77 ، 164 . وزاد عليها اضدادا اخرى ، بلغ المجموع 357 . وكانت هذه الزيادة وفاء منه بالخطوة الثانية من منهجه ، الى جانب ما اورده من فوائد في اثناء الحديث عن الاضداد نفسها .

اما « حسن البيان » فظهر اولا في الخطة التي رسمها لنفسه ولم يحد عنها تقريبا . واجزها في الابتداء بالتنبيه على ان اللفظ من الاضداد ثم تقديم معنئيه المضادين ، ثم اتباعهما بالشواهد ان كان بين يديه شيء منها . وهما اتفع الكتاب عفوا ؛ لانقط الضد الذي يكون فيها . قال (16) : « وتأثم حرف من الاضداد . يقال : قد تائم الرجل . اذا اتي ما فيه المائم ، وتأثم اذا تجنب المائم ، كما يقال : قد تحب الرجل اذا تجنب الحوب . ولا يستعمل تحب في المعنى الآخر . اخبرنا محمد بن احمد بن النضر قال : حدثنا معاوية بن عمرو قال : حدثنا زائدة ، عن هشام قال : قال الحسن ومحمد : ما علمنا احدا منهم ترك الصلاة على احد من اهل القبلة تائما من ذلك ، اي تجنب المائم . . . وكان في بعض الاحيان يجمع بين كلام قطرب والاصمعي في سياق واحد ، كما فعل غيره ايضا (ربي) .

وظهر « حسن بيانه وكثرة فوائده » في حشو المواد . فقد عني ببيانه اصل الاضداد وما اتصل بها من مشتقات في احيانا كثيرة ، مثل (17) : « وقال الفراء : حسب اصله من حسب الشيء اي وقع في

-
- 105 (16)
 - 463 (17)
 - 1 (18)
 - 115 (19)

ذهب أهل العراق . ويقال في جمّهـ اقراء وقرءـ .
وقال الاصمعي عن أبي عمرو : يقال : قد دفع فلان
إلى فلانة جاريته تقرئـها ، يعني أن تحيض ثم تظهر
للاستبراء . ويقال : القرءـ هو الوقت الذي يجوز ان
يكون فيه حيض ، ويجوز ان يكون فيه طهر . . .
ويقال : قد اقراتـ النجوم اذا غابت . قال أبو بكر :
وهذا حجة لمن قال : الاقراء الاطهار ، لأنها خرجت من
حال الطلوـع الى حال الفـيبة » وقال الاصمعـي وأبو
عبيـد : يقال : قد اقراتـ المرأة اذا دـنا حـيضـها ،
وأقراتـ اذا دـنا طـهرـها . قال أبو بـكر : هذه رواية
أبـي عـبيـد عنـهما . وروى غـيرـه : اقراتـ اذا حـاضـتـ ،
وأقراتـ اذا طـهرـتـ . وحـكـي بـعـضـهم قـراتـ ، بـفـيـرـ
الفـ فيـ المـعنـينـ جـمـيعـا . والصـحـيـحـ عنـديـ ما روـاه
أبـي عـبيـدـ » .

وقد رأينا - فيما سبق - ان ابن الانباري نقد بعض الاصناد ، لأن المعنيين لصيغتين مختلفتين لا صيغة واحدة مثل فعل وافعل ، او لأن المعنى الثاني لللفظ غير شائع الاستعمال ، او لعدم وجود شواهد تدعم المعنى الثاني . ويمكن ان نضيف اليها ما يحدد السياق معناه ، مثل (21) : « قال قطرب : من الاصناد قولهم اليت المرأة تالي ، اذا عظمت اليتها ، واليت الشاة وغيرها ، اذا قطعت اليتها . قال ابو يكر : وليس هو عندي من الاصناد ، لأن كل واحد من الحرفين ينفرد بمعنى واحد ، ولا يقع على معنيين متضادين » .

وإذا قارنا بين نقد أبي حاتم ونقد ابن الأنباري ،
وجدنا الأول منها معتداً بنفسه ومعلوماته ، عنيفاً
في هجومه ، ولم يجد شيئاً من ذلك عند الثاني .
فابن الأنباري لا يقارن أقوال قطرب أو غيره من
مؤلفي الأضداد بمعارفه هو كما يفعل أبو حاتم بل
باقوال غيره من اللغويين . ولم يفلط ابن الأنباري
أحداً ، ولا حجب ثقته عنه ، ولا عدد أقواله من
الاحتياطات كما فعل أبو حاتم . وبينما كان أبو عبيدة
هدف نقد أبي حاتم الأول ، كان ابن قتيبة الهدف
الأول لنقد ابن الأنباري .

ومن مظاهر قدرة ابن الباري في التمييز
حذف ما حذف من أضداد ابن السكيت وأبي حاتم .
فقد حذف من الاول ارقام 14 ، 17 ، 87 ، 96 ،

لابغمر الساق من اين ولا نصب
ولا يغض على شرسوفه الصفر
وأصلها على هذا القول مائنة ، فتحولوا ضمة
الياء الى الهمزة ، وجعلوا الياء واوا لانضمام ما
قبلها ، كما قال الآخر :

وَكُنْتَ إِذَا جَارِي دُعَاءً لِّمَضْوِفَةٍ
أَشْمَرْتَ حَتَّى يَنْصَفَ السَّاقَ مُثَرِّي
لِمَضْوِفَةٍ مُفْعَلَةٍ مِّنَ الْمُبَاهَةِ ، وَاصْلَهَا مُضِيَّفَةٌ
فَفَعَلَ بِهَا مَا فَعَلَ بِمَتْهُونَةٍ . وَتَكْوِينُ الْمَتْهُونَةِ فَعُولَةٌ مِّنْ
مُنْتَ الْرَّجُلِ ، فَتَهْمَزُ الْوَاوَ لِانْضَامِهَا ، كَمَا قَالَ امْرِي

ويضحي فتيت المسك فوق فراشها
نثوم الضحى لم تنتطق عن نفسل
فنثوم فعل من النوم ، همز الواو لانضماتها
وامثال ذلك في الكتاب كثيرة .

وكثر في حشو النقدي وخاصة نقد قطرب وابن قتيبة ، وأقام ابن الأباري كثيراً من نقاده على تعارض الآقوال المختلفة من اللغويين . فأورد أقوالهم وقارن بينها ليخلص إلى الرأي الصواب عنده ، مثل (20) : « القراء حرف من الأضداد . يقال : القراء للطهر ، وهو مذهب أهل الحجاز ، والقراء للجعيل ، وهو

• 8 (20)

• 322 (21)

وكان يأتي بالشواهد على الامور الاستطرادية في
كلامه . ويعنق على الشواهد ويشرحها ويطيل
احيانا ، وقد يبين ما في الشواهد الشعرية من
روايات . قال مثلا في مادة « ماتت بجمع » (23) :
« وقال الشاعر يذكر ماء ورده :

وردناه فى مجرى سهيل يعانيا
بصر البرى من بين جمع وخارج

فالجمع : التي في بطنها ولد ، ويقال : بجمع بكسر
الجيم . والخارج : التي اقتت ولدها ويقال : فـ
خدجت الناقة تخدج اذا اقت ولدها قبل اوان
النتاج وان كان ثام الخلق ، واخذجت تخدج اذا
اقتنه ناقص الخلق وان كان لتمام » . وقال في
« طرب » (24) : « وقال ليـد في معنى الحزن .

واراني طربا فى اثرهم
طرب الواله او كالمحبـل

معناه : واراني حزينا . وبروى : او كالمحبـل ،
بالباء : اي كالذى يقع في حبـلة الصائـد » .
والشواهد في الواقع كثيرة هذه جدا ، معنى بها
للدرجة كبيرة . فكان يستقصي الاستشهاد على جميع
اضداده . ولم يترك منها الا اضداد التي نقلها عن
غيره بدون ان يكون مستشهدـا عليها ، او في المعانـي
المشهورة . وكان يصرح بأنه لا يستشهد على المعنى
المشهور ، لأنـه ليس في حاجة الى ذلك . فكثيرـا ما
ترى هذه العبارة التالية عنده :

« لا يحتاج فيه الى شاهـد لشهرـته عند الناس » .
او « لا يحتاج مع شهرـته الى ذكر شواهدـ له » او
« شهرـته تفـني عن اقامة الشواهدـ عليه » وما مـائلـها .

يتضح من كل ذلك أن قول دائرة المعارف
صحـيح حين وصفت اضـداد ابن الانبارـي بـانـها اـهم
كتـب اـضـداد ، فـهـذا الكتاب قـرـيب من كتاب اـبـي
حـاتـم ، ولكـنه يـفـوقـه في كـثـرة المـوـاد وـحـسـن العـلاـج ،
وـكـثـرة الشـواـهـد وـتـنوـعـها ، وـدـقـةـ النـقـد وـكـثـرـةـ ، وـفـي
اـسـطـرـادـاتـ التي تـحـويـ كـثـيرـاـ منـ الفـوـائدـ التـحـوـيـةـ ،
عـنـ اـلـمـةـ الـكـوـفةـ .

100 ، 103 ، 105 . وكلـها كان اـبـي حـاتـم قد حـذـفـها
غـيرـ رقمـ 94 الـذـي اـورـدهـ فـيـما شـكـ فـيـهـ منـ اـضـدادـ ،
ولـعلـ ذـكـ الذـي دـعاـ اـبـنـ الانـبـارـيـ الىـ تـرـكـهـ .

وحـذـفـ منـ اـبـيـ حـاتـمـ ثـلـاثـةـ اـنـوـاعـ مـنـ اـضـدادـ :
اـولـهاـ ماـ انـفـرـدـ بـهـ ، مـثـلـ 246 ، 272 ، 244 ، 266 ، 275 ،
166 ، 109 ، 242 ، 173 ، 236 . وـاـكـثـرـهاـ
مـاـ شـكـ فـيـهـ اـبـيـ حـاتـمـ نـفـسـهـ ، اوـ اـقـيـمـ عـلـىـ اـسـاسـ
خـاطـيـءـ 109 ، 166 ، 180 ، 236 . ثـانـيـهاـ بـعـضـ ماـ
كـانـ عـلـىـ صـيـفـةـ فـعـولـ ، مـثـلـ 160 – 163 . ثـالـثـهاـ بـعـضـ
مـاـ كـانـ عـلـىـ صـيـفـةـ اـنـتـعـلـ وـاـنـفـعـلـ مـنـ الـاجـوفـ ، اوـ
اـنـتـعـلـ مـنـ الـضـاعـفـ ، مـثـلـ 118 ، 175 . وـكـانـ حـذـفـهـ
لـماـ حـذـفـ مـنـ هـذـهـ الصـيـفـةـ اـكـتـفـاـ بـمـاـ ذـكـرـهـ هـوـ مـنـهـ لـاـ
لـشـكـ فـيـهـ .

وـاـخـيـراـ وـفـيـ «ـ باـسـتـيـفـاءـ الـاحـتـجاجـ وـاسـتـصـاءـ
الـشـواـهـدـ » . فـأـتـيـ بالـاـنـوـاعـ الـمـخـلـفـةـ مـنـ الشـواـهـدـ ؛
مـنـ الـقـرـآنـ ، وـالـحـدـيـثـ ، وـالـشـعـرـ ، وـالـاـمـشـالـ
وـالـاقـوـالـ . كـمـاـ فـعـلـ سـابـقـوهـ . وـقـدـ مـرـتـ عـلـيـهـ اـمـثـلـةـ
ذـكـ . وـعـنـيـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ الـآـيـاتـ وـالـاـحـادـيـثـ
وـتـفـسـيرـهـاـ ، بـاـيـرـادـ سـنـدـ اـفـوـالـهـ . وـكـانـ عـنـيـشـهـ
هـذـهـ اـكـبـرـ مـنـ عـنـيـةـ اـبـيـ حـاتـمـ . فـكـانـ يـقـولـ (22) :
«ـ اـخـبـرـنـاـ اـبـوـ مـحـمـدـ جـعـفـرـ بـنـ اـحـمـدـ بـنـ عـاصـمـ قـالـ :ـ
حـدـثـنـاـ هـشـامـ بـنـ عـمـارـ قـالـ :ـ حـدـثـنـاـ اـبـوـ عـبـدـ الرـحـمـنـ
عـثـمـانـ بـنـ اـبـيـ الـعـبـاسـ ، عـنـ جـوـبـرـ ، عـنـ الضـحـاكـ قـالـ :ـ
سـالـ تـافـعـ بـنـ الـازـرقـ عـبـدـ اللهـ بـنـ العـبـاسـ عـنـ قـوـلـ اللهـ
عـزـ وـجـلـ :ـ (ـ وـاـنـتـ سـامـدـونـ)ـ قـفـالـ :ـ مـعـنـاهـ لـاهـونـ .ـ
قـفـالـ تـافـعـ :ـ وـهـلـ كـانـتـ الـعـربـ تـعـرـفـ هـذـاـ فـيـ
الـجـاهـلـيـةـ ؟ـ قـالـ :ـ نـعـمـ ، اـمـاـ سـمـعـتـ قـوـلـ هـزـيـلـةـ بـنـ
بـكـرـ وـهـيـ تـبـكـيـ عـادـاـ حـيـثـ تـقـولـ :

بعثـتـ عـادـ لـقـيـماـ

وابـاـ سـمـدـ مـرـيـداـ

وابـاـ جـلـمـةـ الـخـبـ

سـرـ فـتـىـ الـحـيـ الـعـنـودـاـ

قـبـيلـ :ـ قـمـ فـانـظـرـ الـبـهـمـ
ثـمـ دـعـ عـنـكـ السـمـودـاـ

• 17 (22)

• 152 (23)

• 57 (24)

إلى مرتبة الفلسف وال النقد ، بدلاً من الاقتصار على
الجمع .

وتبين هذه النظرة المدققة الناقدة في منهج المؤلف ، اذ قسم كتابه إلى قسمين : الأول للأضداد المرضية عنده ، والثاني للأضداد التي ادخلها السابقون وليست من الأضداد في حقيقتها . قال في مقدمته : « وترى من سبقنا إلى هذا الكتاب قد أدخل فيه ما ليس منه ، مما نحن ذاكرو صدر منه في آخره بعد الفراغ من المقصود فيه » .

اما الأضداد المرضية ، او القسم الاول من الكتاب - وهو الاكبر - فربه فصولاً بحسب حروف المعجم . ووضع في كل فصل اللفاظ المبدوءة بالحرف المعقود له الفصل معتبراً الحرف الاصلي فيها . قال في المقدمة : « وقد رأينا أن تبويب على حروف المعجم ، اذ كانت همة اهل زماننا مقصورة عليه ، وقلوبهم مائلة إليه ، وخير ما تحرى ما نفع . وافضل ما انتدب له ما شفى ونفع » . ولكن ابا الطيب اكتفى بترتيب الفصول ، ولم يحاول ترتيب اللفاظ نفسها في داخلها .

والقسم الثاني من الكتاب ، الخاص بما ادخله السابقون من اضداد ليست منها في الحقيقة ورتبه ابواباً . كل باب منها خاص بنوع من هذه الأضداد . وبان عددتها اربعة ابواب ، اولها لما استوى فيه الفاعل والمفعول من صيغة مفتول ومنفصل من الاجوف ، ثانية لما استوى فيه الفاعل والمفعول من المدغم العين في اللام ، ثالثها للمجازي ، ورابعها للمقلوب . وبالباب الاول مرتبان على الحرف الاول ايضاً ، اما الاخيران فغير مرتبين ..

وحين يلقى المرء نظرة على هذا الكتاب يجده مفتوحاً بمقديمة قصيرة ، تستهل بعد الحمد والصلوة بما تحرأ المؤلف في كتابه من احكام التصنيف واحسان الترصيف ... ثم تعريف الاضداد ويختمها بمنهجه والمعاء .

وتبدأ الاضداد بعنوان « الالف » الذي يشير إلى فصل الالف بالطبع .

ولم يسم المؤلف هذه المجموعات « فصولاً » ولكنى وهبها هذا الاسم للتيسير .

ويظهر منذ الصد الاول تحرى ابي الطيب الجمع والاستقصاء ، اذ يقتبس فيه من جميع السابقون

ولا يعيّب الكتاب غير بعض الاختلال ، الذي كان له أربعة مظاهر :

1 - الاضطراب : فالمؤلف ينظم صيغة فصول لأن قطرها نظمها ، ولا ينظم فعل ، لأن هذا لم ينظمها . وابو حاتم نظم صيغتي افتتعل وافتتعل من الاجوف والاشاعف ، والمؤلف لا يفعل ذلك 262 ، 263 . ولا يبين أنها قاعدة عامة فيما جاء على هذه الصيغة . ويدرك ابن الانباري كثيراً من الاولان على أنها اضداد ، وأمكنه يفرّقها في أماكن مختلفة ، وحقها الجمع في موضع واحد . ونتج عن هذا تكرار الكلام عن بعضها . وينطبق الكلام نفسه على الحروف والادوات التي عدها من الأضداد . ويحصل بذلك تفرّيقه اشباه الاضداد ، وكان واجباً عليه أن يفصل الاضداد ، عن اشباهها ، ويضع كلامها على حدة .

2 - التكرار : مثل الاخضر (223 ، 245) وطلع (202 ، 257) وزعوم (230 ، 259) كرر الكلام عنها في الموضعين مع اتفاق السياق على وجه التقرّب في (طام) واختلافه في (الاخضر) و (زعوم) . وكرر عن فرع ايضاً (129 ، 182) وان اختار في المرة الاولى صيغة (فرع وفرع) وفي الثانية (فرع) .

3 - اضداد لا ينبع في صدرها على ذلك ، ويبتديء في علاجها مباشرة ، مثل ناء (94) حتى اضطراب الناشر المصري الاول فيها ، واتى بها في تصاعيف الكلام عن سابقتها (124) كأنما ليست مادة جديدة .

— * —

كتاب ابي الطيب اللغوي

ظهرت اول محاولة لترتيب الاضداد على يد ابي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي المتوفي عام 351 هـ . فقد اطّلع هذا اللغوي على كتب الاضداد السابقة ، وجمعها امامه ، ثم نظر إليها نظرة ناقدة ، خرج منها بكتابه . واذن فقد كان يرمي أبو الطيب الى « احكام تصنيفه » ، واحسان ترصيفه ، والزيادة على ما ذكر منه ، والفاء ما خلط من غيره فيه ، لتقوى منه القائلين به ، ويضعف قول النافعين له » كما يقول في مقدمته . ويدلّنا هذا على ان حركة التأليف في الاضداد نضجت ، ووصلت

— او احق — بسبقه » : اي بما دنا منه وقرب من داره ». ذكر ابا زيد ، والاصمعي ، وابا عبيدة ، وقطربا ، وابا حاتم .
ونستخلص من دراسة اضداد ابي الطيب
الظواهر التالية :

الانتظام ، فقد ينفي الاضداد عنده نسبتها في الدراسة ، وغایتها في الانتظام الداخلي . فالمعاني تقدم في مفتاح المادة ، ثم ترد الشواهد على المعاني . ثم تعالج المادة كلها .

وتكثر الشواهد وتتنوع عنده بصورة لا تخطتها عين . فيعتمد على الشعر كما رأينا في المادة السابقة . ويعتمد على القرآن كما نرى في قوله (25) : « ومن الاضداد بطانة الثوب . يكون بمعنى البطانة ، وبمعنى الظهارة . وقال الحسن في قول الله تبارك وتعالى : (بطئنها من استبرق) قال : اراد ظواهرها . قال قوم : لان كل واحد من الظواهر والبطانة يكون وجها . تقول العرب : هنا ظهر السماء ، وهذا بطن السماء ، لذى نرى منها . وقال الزبير في قتلة عثمان رضي الله عنه : « ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب » يعني هربوا في البلاد . وقال آخرون في هذه الآية : انما اراد الله تعالى ان بطئن هذه الفرش من استبرق » وهو الغليظ الفاخر من الديباج ، فالظهور أشرف وأعلى . والله اعلم بكتابه » .

ويعتمد على الاحاديث ، مثل قوله في مادة باع (26) : « وروى ابن شهاب ، عن سالم بن عبد الله ، عن ابيه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من باع عبدا وله مال ، فماله الذي باعه الا ان يشترط المباع » اي المشتري . فالمباع يكون بمعنى البائع ، والمباع يكون بمعنى المشتري . بمعنى البيع ، والمباع يكون بمعنى الشيء المشتري . وفي حديث رواه ابن سيرين ، عن شريح ، عن ابن مسعود قال : اذا اختلف البيمان — يعني البيع والمشتري — والبيع قائم بيته ، فالقول ما قال البائع ، او يترادان البيع » . يعني بالبيع الشيء المباع . وفي حديث آخر : « البائعان بالخيار » يزيد البائع والمشتري .. وفي حديث آخر رواه ابن

عليه . قال : « قال ابو زيد : يقال : امر امم : اذا كان عظيما ، وامر امم : اذا كان صغيرا . وقال الاصمعي : امر امم : اي قصد . وقال ابو عبيدة : الام : القريب . وقال عمرو بن قميئه في الصغير :

يا ليف نفسى على الشباب ولم
اقد به اذ فقدته امما

وقال الاعشى :

لئن قتلت عميدا لم يكن امما
لقتلن مثله منكم فمتسل

قالوا : معناه لم يكن صغيرا حقيرا . وقالوا : بل لم يكن قصدا . وانشد قطرب في معنى القصد :

اتاني عن بنى الاحرا
ر قول لم يكن امما
ارادوا نحيث اثنتنا
وكنا نمنع الخطما

وانشد ابو عبيدة في معنى القريب :
يا ليت شعرى عنك والامر امم
ما فعل اليوم اويس فى الغنم

قال ابو حاتم : اظنه والامر قصد ، وانشد في
معنى القريب :

« قومي اياد لو انهم امم »

اي لو انهم قريب . وقال الآخر :

كوفية نازح محلتها
لا امم دارها ولا صقب

ويروى : « لا سقب » بالسين ايضا : وهو
القريب : ولذلك قالوا : دار فلانة مسقبة بدارنا :
اي قربة منها . وفي حديث الشفعة : « الجار اوى

(25) 67 . وانظر فهارس الكتاب .

(26) 47 . وانظر الفهارس .

واغترف أبو الطيب من اضداد سابقيه ، وما اتوا به في سبيل تفسيرها وتحليلها وتقديرها والاستشهاد عليها . وكان حريصا كل الحرص على نسبة كل قول إلى قائله ، حتى في الأحوال التي لم يلتزم فيها عبارة واحد منهم ، وجمع بين عباراتهم ، وأشار إلى ذلك . فكان أكثر من جمع بين عبارته قطرب وباب حاتم . وجاء أيضا بين التوزي ، وقطرب وأبي عمرو ، وقطرب وأبي عبيدة . وجاء أحيانا بين أقوال ثلاثة منهم معاً، مثل قطرب وأبي حاتم والتوزي ، وأبي عبيدة وأبي زيد والاصمعي .

وكانت الثمرة الطبيعية لهذا أن كثرة الاضداد عنده كثرة هائلة تعادل كثرتها عند ابن الأنباري ، وإن تمثلت في كتابه جميع الظواهر التي وجدت في كتبهم ، في الاضداد والشواهد والتفسير . بل إن ما جاءوا به ولم يرض عنه لم يخل كتابه منه ، وجمعته في آخر الكتاب .

ولكن ذلك لم يلغ شخصية أبي الطيب . فما أكثر تعليقاته الشخصية التي يورد بعضها عن لغويين آخرين ، وبأني بيدها من معارفه العامة ، ويقصد فيها إلى زيادة التوضيح ، والاعتراض ، والنقد ، والترجيح ، وما إلى ذلك من أمور .

والحق أنه يعادل كتاب ابن الأنباري قدرها واهمية . وبتفوته في اتجاهه الأدبي ، وكثرة شواهده وتنوعها ، وكثرة الأحاديث عنده ، وفوائده التي أضافها ، وأنصاراه على نسبة كل قول إلى صاحبه ، وما أدخله على الاضداد من ترتيب . أما ابن الأنباري فيتفوقه في القراءات ، والعلل اللغوية والصرفية ، والعبارات المؤلفة .

— * —

كتاب ابن الدهان

اعلن ابن الدهان في مقدمة اضداده أنه نظر في كتب السابقين عليه ، فوجد فيها اختلالاً : إذ يذكرون ما يجب عليهم حذفه ، ويتركون ما يجب

مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم : « اذا اختلف المتبادران استخلف البائع ، ثم كان المبتاع بالخيار » .

ويعتمد على أقوال الصحابة ، كما رأينا في ظهره ، وكما نرى في قوله (27) : « يروى عن حذيفة انه قال حين حضرته الوفاة : بيمعوا لي كفنا ، اي اشتروا لي » .

ويعتمد على أقوال الاعراب والاقوال المتبادلة بين الناس في حياتهم اليومية ، كما رأينا في ظهره ، ونرى في قوله أيضا (28) : « ذكر اعرابي جريسا فقال : كان سفيرا اي حاذقا بالشعر » .

ويعتمد على الأمثال أيضا (29) : « وبشرة الانسان : ظاهر بدنهم عندهم جميما ، والجمع بشرات وبشر ... أبو زيد : يقول العرب في مثل : « اراك بشر ما أحجار مشفر » وبعضهم يقول : او لوح مشفر . قال : سمعتها من رجل من بنى اسد يقول : ما اكلت استبان على بشرتك وفي لونك » .

وكثيرا ما كان يورد تعليقات على الشواهد توضحها ، كما نرى في قوله : « وقول الشاعر :

امك بيضاء من قضاة في الـ
سبيت الذي يستظل في طبـه

اراد نقية من المعائب ، ولم يرد ان يصف لونها . وكذلك قوله :

امك بيضاء من قضاة قد
تمت لها الوالدات والنضـ

النضـ هـا هـا : الاعـام والاخـوال ..

ونسب كثيرا من الشواهد إلى من انشدتها كما رأينا في أمم : ونرى في قوله : « الاميين : المؤمن ، والأمين المؤمن » ، بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول . وانشد أبو حاتم للثانية في معنى المفعول به .

وكـنتـ اـمـيـنـهـ لـوـ لـمـ تـخـنـهـ
ولـكـنـ لـاـ اـسـانـهـ لـلـيـمـانـيـ

(27) 45 . وانظر الفهارس .

(28) 45 . وانظر الفهارس .

(29) 74 . وانظر الفهارس .

الهاء . وكان لا يعتمد في ترتيب الألفاظ إلا على حروفها الأصلية . أما الزائدة فلا اعتبار لها عنده . ويبدو من عباراته الأخيرة أنه تحري الجمع وتدوين ما وضعه السابقون في كتبهم بدون تعجيز أو نقد ، فهو لا يقبل المرضي وحده ، ويحذف المشكوك فيه ، بل يقبلهما معاً . وقد أشار إلى ذلك مرة ثانية في خاتمة كتابه القصيرة التي قال فيها : « آخر كتاب الأضداد ، والله الحمد والمنة . وفيه كلمات ليست هي عندي من الأضداد ، ولكنني قفوت فيه آثار من سبقني إلى جمعها مثل ابن الأنباري وغيره ، حذار أن يقال : أهمل شيئاً مما أثبته ، فليمهد العذر العاشر عليها ، وصلى الله على سيدنا محمد والآله وصحبه كثيراً » .

وгин درس الكتاب لنرى مقدار وفائه بوعوده زراه في الخطوة الأولى جمع 337 ضداً ، ولكنه لم يذكر كل ما في أضداد قطرب وابن السكبت وابن حاتم وابن الأنباري . فقد حذف من الأولى حوالي 67 ضداً ، ومن الثانية حوالي 10 أضداد ، ومن الثالثة حوالي 55 ومن الرابعة حوالي 40 ضداً . واتى في مقابلتها بقريب من 75 ضداً ، ليست في هذه الكتب الثلاثة . ولا يقوم هذا الحذف على أساس الشك والنقد ، إذ لم يحاول المؤلف ذلك بتصريره . أضف إلى ذلك أن كثيراً مما حذفه رواه غير واحد من مؤلفي الأضداد (20 ، 225 ، 217 ، 77 ، 226 ، 193 ، 205 ، 60 ، 219 ، 127 ، 120 ، 210 ، 185 ، 214 ، 85) . ولكن يجب الاشارة إلى أن كثيراً مما حذفه خطيء (231 ، 180 ، 166 ، 109 ، 255 ، 286) أو مشكوك فيه (259 ، 246 ، 272 ، 273 ، 244 ، 243 ، 275 ، 266 ، 270 ، 118 ، 266 ، 271 ، 257 ، 242 ، 271 ، 257 ، 242 ، 100 ، 17 ، 96 ، 105) أو انفرد به فاللهم (16 ، 158 ، 60) وأكثر ما حذفه من أضداد ابن الأنباري ، أو ينطوي تحت صيغ فعل (165 ، 164 ، 163 ، 162 ، 161 ، 159) أو فعل (175) .

اما النهج الذي سار عليه فغاية في البساطة : ايراد اللفظ ومعنىيه المتضادين . ولا عنایة بما بعد ذلك . فلا ذكر للقويين الذين يأخذ عنهم الا قليلاً (688 ، 706) ولا ذكر لشواهد ، ولا لمشتقات ولا لمعان آخرى للأضداد ، ولا لفوائد وزیادات واحکام وقواعد . فالكتاب يمكن تسمیته « متن الأضداد » . وهكذا بعض الأمثلة :

عليهم ذكره ، ووجدها مشحونة بالشواهد . فاستهدف أن يخرج مختبراً حاوياً للأضداد مجردة عن كل شيء . فهدفه الجمع والاختصار . ثم ود على من انكر الأضداد . واتبع ابن الدهان ما فعله أبو الطيب ؟ ترتيب أضداده ، فلم يراع فيها غير الحرف الأصلي الأول وأهمل بقية الحروف .

ولا يزيد الكتاب عن قائمة تورّد اللفظ الضد إليه معنياه . وعلق من وقت لآخر على بعض الأضداد بعبارة « وفيه نظر » دلالة على شكه فيه . وطبعي أن الكتاب حوى الانواع المتعددة من الأضداد ، بسبب اعتماد المؤلف على الكتب السابقة ، التي أشار منها إلى كتب الأصممي والفراء وقطرب وابن السكبت وثعلب والمجستانى وابن الأنباري .

وأمثل لنهج الكتاب بما يلي :

« الأمين : المؤمن والمؤمن .

الماتم : النساء يجتمعن في الحزن ، وفي الفرج ، وفيه نظر .

اذ : للماضي والمستقبل ، وفيه نظر .

اذا : للماضي والمستقبل ، وفيه نظر .

الأمم والأمم : العظير والعظيم .

الأشرة : الأشرة والأشورة » .

— * —

كتاب الصفاني

في أوائل القرن السابع ، أخرج الصفاني كتاباً في الأضداد ، وصل إلينا بتحقيق الاستاذ الدكتور هفتر Dr August Haffner . ويفتح الكتاب بالعبارة التي يبدو أن الصفاني كان يفتتح بها كتبه جميعاً مع البسمة والحمد ، والتي تدل على اعترافه في المسجد الحرام ..

وصرح المؤلف في مقدمته بأنه قرأ جميع كتب الأضداد ، وذكر ما فيها ، مع تحري الاختصار والترتيب على حروف الألفباء ..

ولم اعثر قبل الصفاني على كتاب في الأضداد مرتب على الحروف في جميع الفاظه ، فلعله أول من فعل ذلك . وكان ينظر في ترتيبه هذا إلى أوائل الحروف ، فحروفها الثانية ، فالثالثة فالرابعة اي الترتيب الحديث المعروف لنا ، مع تقديم الواو على

وسار المؤلف ايضا على نهج القاموس في العناية بالتفصير وحده ، وحذف الشواهد . فكان يورد اللفظ ثم معنفيه المتضادين . وكان في غالب الاحيان يحافظ على نص القاموس ايضا . وهذه بعض الامثلة من باب الهمزة منه ، تؤكد ما سبق من اقوال : « ثالثاً الإبل : عطشها وارواها . وثانيات : عطشت ورويت . جفا الباب : اغلقه وفتحه كاجفاه . خجيء : استحياناً وتلتم بالفحش . وادا الشيء : حركه وسكنه . داراته : دافعته ولاينته . رقا بينهم : افسد واصنع . القرء : الحيض والظهر . ناء بانحمل : نهض مثلاً ، وانقل فسقط . وراء : خلف وقدام » .

— * —

كتاب محمد المنشي

تقتني المكتبة السليمانية بالاستانة رسالة اخرى في الاضداد للشيخ محمد المنشي ، تمايل الرسالة السابقة او تقاد ، تحت رقم 1041 . وليس للرسالة مقدمة تبين هدفها ولا منهجها . ولكن لها خاتمة اخذ جزءاً منها من المزهر للسيوطى ، ومن اشداد ابن الانباري . وصرح فيها : « وقد تتبعنا القاموس وغيره من كتب اللغة ، واستخرجت ما صادفته ، ولم ادع الاحاطة » .

وعند مقارنة مادة هذه الرسالة بمادة الرسالة السابقة لا نجد بينهما فرقاً يذكر ، لاعتمادهما الرئيسي على القاموس المحيط في الاضداد ، وترتيبها وتفسيرها . ومثال ذلك قوله :

ثالثاً الإبل : ارواها وعطشتها ضد . وثانيات الإبل عطشت ورويت ضد . جفا الباب : اغلقها كاجفاه وفتحه ضد . داراته : دارته دافعته ولاينته ضد . رقا بينهم رقا : افسد واصلاح ضد . القرء ، وبضم : الحيض والظهر ضد » .

— * —

دورق الانداد للأبياري وشروحه

وفي أوائل العصر الحديث شارك الشعر في حركة الاضداد ، فالفت فيها الرسائل المنظومة ووصل اليها من هذه الحركة رسالتان . اولاًهما المسماة « دورق الانداد في نظم أسماء الاضداد »

« الابض : السكون والحركة .

الابل : الربط واليبس .

الماتم : النساء المجتمعات على الحزن وعلى الفرح .

الارأة : الحفرة التي تحفر النار ، والنار نفسها أيضاً .

الازر : القوة والضعف .

اسد : اذا جزع وجبن ، واذا جسر كالأسد .

افسد : اذا اسرع واذا ابطأ .. الى آخر « الكتاب » .

ولكننا نأخذ عليه اضطراب ترتيب بعض الالغاز عنده . فقد قدم « أون » على « اور » و « تصدق » على « صامت » و « فانس - قنیص - قانع قنوع » على « قمود » والعكس أصح . كما قدم « ناء » في اول حروف الواو اذ ذكرها مع تاء المتكلم « توت » والاصح وضعها في التون مع الواو .

— * —

كتاب عبد الله بن محمد

تقتني دار الكتب المصرية رسالة صفيرة جداً في الاضداد عنوانها : « ذكر بعض الاضداد التي ذكرت في القاموس » جمع من يسمى « السيد عبد الله بن محمد ... ». تحت رقم 241 مجاميع وهي ورقات ، ناقصة من آخرها . اذ وقفت في اثناء مادة « القتين » .

و واضح من عنوانها ان المؤلف جمع ما فيها من اضداد من القاموس المحيط للفيروزابادي وحده وقد سار المؤلف على ترتيب القاموس ، اذ يبدو انه في اثناء اطلاعه كان بدون كل لفظ من الاضداد يعبر عليه . ولم يختار المؤلف الاضداد التي نبه عليها الفيروزابادي وحدتها ، بل اختار ايضاً الالغاز التي روى لها معنيين متضادين دون تنبيه على أنها من الاضداد . ولم يغير المؤلف في ترتيب الالغاز التي اختارها من القاموس ، فبقيت على ترتيبها فيه ، اي على الحرف الاولي الاخير اولاً ، فالحرف الاولي الاول ثانياً ، فحرروف الوسط الاصول مرتبة ..

ويريد بالبيت الثاني - كما نص شراحه - :
 « ان كثرة الاغداد بأن كان اللفظ مشتركا بين
 اربعة معان مثلا ، كل معنيين منها متضادان ، جئـت من
 الأربعـة مثلا . بما يـعني عن الضـد من كل منها وذـلك
 أـنـي اـذـكـرـ مـعـنـيـنـ فـقـطـ : كلـ مـنـهـاـ مـحـدـوـفـ الضـدـ
 لـيـنـفـهـمـ الـمـحـدـوـفـ بـالـذـكـورـ ».
 وسـارـ فـيـ ضـبـطـ الفـاظـهـ عـلـىـ هـذـىـ القـامـوسـ الـمـحيـطـ .
 قال :

ينبـيـكـ قـامـوسـهـاـ بـالـاصـطـلاحـ لـهـاـ
 اـذـ مـنـهـ مـرـجـانـهـاـ وـالـمـأـؤـؤـ اـنـتـظـمـاـ
 ماـ كـانـ مـهـمـلاـ اوـمـفـتوـحـاـ اوـلـهـ
 اـللـقـتـهـ وـضـبـطـ الـفـيـرـ مـعـنـصـاـ
 وـالـوزـنـ فـيـماـ لـهـ قـدـ حـرـكـواـ اوـلـهـ
 قـدـ سـكـنـواـ مـؤـذـنـ بـالـضـبـطـ لـلـفـهـمـاـ
 فـانـ ضـرـورـةـ شـعـرـ قـدـ دـعـتـ لـسـوـيـ
 هـذـاـ ،ـ اـشـرـتـ الـبـهـ خـوفـ اـنـ تـهـمـاـ

وأـتـبعـ تـرـتـيـبـ الـفـيـرـوـزـابـادـيـ وـتـقـسـيمـهـ لـقـامـوسـهـ،
 فـالـكـتـابـ مـقـسـمـ إـلـىـ اـبـوـابـ بـحـسـبـ الـحـرـفـ الـاخـيرـ
 الـكـلـمـاتـ الـتـىـ فـيـهاـ .ـ وـتـرـتـبـ الـكـلـمـاتـ فـيـ دـاـخـلـ هـذـهـ
 الـاـبـوـابـ بـحـسـبـ حـرـوفـهـ الـاـولـىـ فـالـوـسـطـىـ .ـ وـلـكـنـ
 الشـعـرـ أـرـغـمـهـ أـحـيـاـنـاـ عـلـىـ الـاـخـلـالـ بـهـذـاـ التـرـتـيـبـ فـيـ
 دـاـخـلـ الـاـبـوـابـ لـاـ بـيـنـ الـاـبـوـابـ .ـ أـعـنـيـ الـاـخـلـالـ فـيـ
 تـرـتـيـبـ الـحـرـوفـ الـاـولـىـ ،ـ اوـ الـحـرـوفـ الـوـسـطـىـ ،ـ اـمـاـ
 الـحـرـوفـ الـاـخـيـرـةـ فـلـاـ .

وهـاـكـ قـدـراـ مـاـ قـالـهـ النـاظـمـ فـيـ «ـ بـاـبـ الـهـمـزةـ »
 لـتـبـرـزـ مـعـالـمـ مـنـهـجـهـ :

بـفـرـةـ الشـهـرـ فـسـرـ الـبـرـاءـ كـذـاـ
 بـالـاـنـسـ فـسـرـ بـسـاءـ وـاـكـسـرـنـ لـهـمـاـ
 ثـمـ الـبـلـاءـ لـمـنـحـةـ اـتـسـىـ وـلـمـحـ
 نـةـ ،ـ كـمـ جـاءـ فـيـ الـقـرـآنـ مـنـهـمـاـ
 ثـائـاتـ اـبـلـىـ :ـ ايـ اـرـوـيـهـماـ ،ـ وـكـذـاـ
 ثـائـاتـ هـيـ :ـ ايـ اـضـحـتـ ذـوـاتـ ظـمـاـ
 وـالـاجـتـداءـ بـسـؤـالـ فـسـرـواـ وـعـطـاـ
 كـذـاـ الـجـداءـ ،ـ قـالـهـ القـالـيـ عـنـ الـعـلـمـاـ

لـلـسـيـدـ عـبـدـ الـهـادـيـ نـجـاـ الـإـبـيـارـيـ الـتـوـفـىـ عـامـ 1305ـ هـ .ـ
 وـقـدـ الـفـهـ قـرـيبـاـ مـنـ عـامـ 1297ـ ،ـ اـذـ تـمـ النـسـخـةـ
 الـثـانـيـةـ مـنـهـ عـلـىـ يـدـ النـاظـمـ فـيـ ضـحـوـةـ يـوـمـ الـثـلـاثـاءـ
 تـاسـعـ شـوـالـ مـنـ ذـلـكـ الـعـامـ ،ـ كـمـ تـصـرـحـ نـسـخـةـ دـارـ
 الـكـتـبـ الـمـصـرـيـةـ ،ـ الـتـىـ تـحـتـ رـقـمـ 844ـ لـفـةـ .ـ

وـالـسـبـبـ الـذـيـ دـفـعـ الـإـبـيـارـيـ إـلـىـ تـالـيـفـ نـظمـهـ
 اـعـانـةـ الـأـدـبـاءـ الـذـيـنـ يـرـمـونـ إـلـىـ التـأـلـقـ بـالـجـنـاسـ
 وـالـتـورـيـةـ وـالـمـحـسـنـاتـ .ـ وـاـمـاـ الـمـرـاجـعـ الـتـىـ اـعـتـمـدـ عـلـيـهاـ
 فـالـقـامـوسـ الـمـحـيـطـ لـلـفـيـرـوـزـابـادـيـ وـشـرـاحـهـ ،ـ قـالـ
 النـاظـمـ فـيـ مـقـدـمـةـ قـصـيـدـتـهـ :

وـقـدـ تـيسـرـ لـيـ فـيـ جـمـعـهـاـ جـمـلـ
 تـجـمـلـ الـمـجـتـنـيـ مـنـ روـضـهـاـ كـلـمـاـ
 كـلـ اـنـذـيـ ذـكـرـ الـقـامـوسـ جـئـتـ بـهـ
 الاـ الـذـيـ بـصـرـيـ قدـ زـاغـ مـنـهـ وـمـاـ
 وـزـدـتـ اـشـيـاءـ مـنـ شـرـاحـهـ وـسـواـ
 هـاـ ،ـ هـكـذاـ مـنـهـ ،ـ لـكـنـ بـالـذـيـ فـهـمـاـ
 حـتـىـ ظـنـنـتـ بـاـنـ لـمـ يـبـقـ قـطـ مـنـ الـ
 اـضـدـادـ شـيـءـ ،ـ وـلـكـنـ يـاـ اـخـيـ رـبـماـ

وـشـرـحـ لـنـاـ النـاظـمـ مـنـهـجـهـ فـيـ المـقـدـمـةـ اـيـضاـ ،ـ
 فـعـرـفـنـاـ بـاـنـهـ لـمـ يـلـتـزـمـ الـالـفـاظـ الـواـضـحـ تـضـادـ مـعـانـيـهـ
 وـحـدـهـاـ ،ـ بـلـ ذـكـرـ مـاـ اـورـدـهـ غـيـرـهـ وـلـوـ كـانـ فـيـهـ تـجـزـوـ
 وـتـوـسـعـ ،ـ وـانـ تـقـدـهـ فـيـ اـحـيـاـ اـخـرـىـ ،ـ قـالـ :

وـرـبـماـ كـانـ فـيـ بـعـضـ الـذـيـ ذـكـرـواـ
 تـسـامـحـ بـعـمـومـ اوـ بـمـاـ لـزـمـاـ
 فـاقـتـفـيـ اـلـرـهـمـ طـورـاـ ،ـ وـأـونـةـ
 اـبـدـيـ الـذـيـ يـتـرـاءـيـ فـيـ لـلـفـهـمـاـ

وـلـمـ يـلـتـزـمـ اـيـرـادـ الـمـعـنـيـبـنـ الـمـتـضـادـيـنـ فـيـ كـلـ
 اـلـفـظـ مـنـ اـضـدـادـ ،ـ بـلـ حـذـفـ اـحـيـاـنـاـ الـمـعـانـيـ الـمـوـرـفـةـ
 الـمـشـهـورـةـ وـاـكـتـفـيـ بـاـيـرـادـ الـمـعـانـيـ غـيـرـ الـمـعـوـرـفـةـ ،ـ قـالـ :

طـورـاـ اـجـيـءـ بـكـلـ الـمـعـنـيـبـنـ وـطـوـ
 رـاـ بـالـذـيـ كـانـ مـجـهـولاـ وـمـنـهـمـاـ
 فـانـ تـعـدـتـ اـضـدـادـ جـئـتـ بـمـاـ
 يـفـنـيـ عـنـ الضـدـ مـنـ كـلـ ،ـ لـيـنـفـهـمـاـ

وأجفني الباب : أغلقه ، وداداه
معناه حرك ، والتسكين قد فهمها
داران خصمي — مهموزا ، كذلك يبا —
دافعته ، وكذا لايته كرما

ما ستراء ، ان شاء الله ، من الالماء ، بما يسر
الاسماع ، من تحقيقات شريفة ، وتدقيقات طريفة ..
تراها مرة شرعية ، وكرة ادبية ، وطورا يمانية ،
وحينا معدية ... يرتاح اليها الفقيه ومن حدا
حذوه ، واللغوي ومن نحا نحوه ... » .

وداب الرجل في هذا الشرح على معالجة نص
الناظم نحويا وعروضيا وتفسيره تفسيرا كاملا ،
وتناول كل ما عن له من مشاكل في النص . فهو يقوم
على طريقة المتون والشروح والஹاشمي التي كانت
تسود العبود الاخيرة من تاريخنا . وصدر كل باب
 بكلمة عن عنوانه .

منبه الرقاد

تملك دار الكتب رسالة اخرى في نظم الاضداد،
تحت رقم 329 لفة ، باسم « منبه الرقاد في ذكر
جملة من الاضداد » لا يعرف مؤلفها . وقد تسمى
نسخها يوم الثلاثاء الموافق لآخر يوم من شهر رمضان
سنة اربع وثلاث مئة والف ، كما في آخرها .

وتختلف هذه القصيدة عن السابقة في عدة
مظاهر ، او لها ان هذه من المزدوج الذي يقفي
شطراء وحدهما ، وتختلف الفافية في الایات بعد
ذلك . اما السابقة فكانت من بحر البسيط ،
والترمت في روتها اليم الشبعة الفتحة . واتفق
الإثنان في الابتداء بمقديمة شرح كل منها فيها
منهجه . ولكن النهجين لا يتفقان تماما . فقد صرخ
نظم هذه القصيدة بعد الحمد والصلوة بأن قصده
بها علمي هو تنبئه الفاقلين والماهلين — ومن ثم
اسمها — على حين كان مقصد الإبياري ادبيا علميا
كما رأينا . يقول ناظمنا :

وبعد فالقصد بهذا النظم

تنبيه كل غافل وامي
سميته منبه الرقاد
في ذكر جملة من الاضداد

واراد ناظمنا — كما اراد الإبياري — الجمع
ورجع في سبيله الى القاموس والصحاح وكتب ابن
ابن جنی على حين رجع الإبياري الى القاموس
вшروحه . يقول الناظم في المقدمة :

قام المؤلف نفسه بشرح قصيده في كتاب
سماه « الرونق على الدورق » اكثر فيه واطفال
واستطرد . ولكنه — فيما يبدو — لم يتمه ، وإنما
اعطانا وصفه احمد بن احمد بن اسماعيل الحلواني ،
في مقدمة شرحه للدورق . قال : « وكان — حفظه
الله — قد ابتدأ شرحه الموسوم بالرونق على الدورق ،
لكنه طال وسار بل سال ، في رياض الادب الفوال ،
عن يمين وشمال . فانه التزم فيه تحف المناسبات
الطريفة ، طرق الاستطرادات الشريفة ، وحقق
وديق ، ونميق وائق ، وحرر وحبر ، ونضد ونشر ،
ونثر الدر والجوهر ، فاكتثر ... فقد رأيت منه اربعة
كراريس ، يبذل الاديب في مثلها النفس والتفسير .
ولكنه زهر في الاصنام ، وطنبل لم يبلغ حد الفطام ... » .
ورجا المؤلف من الحلواني ان يؤلف شرحا
مختصرًا على قصيده . فحقق الرجاء بكتابه الذي
تحتفظ دار الكتب المصرية بمسودته تحت رقم 844
لفة ، بعنوان « الكأس المروق على الدورق » ، وقد
فرغ منها « يوم السبت الخامس والعشرين من صفر
سنة اثنين وثلاث مئة والالف من الهجرة الشريفة » .

وحدد الحلواني خطوات منهجه بقوله في
مقدمته : « فشرعت في الشرح وما اطليه ،
فالقصود الدورق وهو سبيله . الا اني ان ظفرت
 بشيء من الاضداد ، في باب من الارسواب ، فاني
اذكره تتميما للمراد ، في خاتمة ذلك الباب . ولا
التزم في اخذه من نحو القاموس او تاجه : ان تكون
نصا في الضدية ، سراجع الدورق في منهاجه من
اغبار العبارة الاشارية . ولا التزم ايضا الاستقصا ،
فاني ان رمته استعصى ، كيف واللهفة بعيدة
الساحل ، مديبة المراحل ؟ ... ولكن ما جاء عفوا
اخذته صفووا . ثم لا تراني معاذ الله اعمد الى مقام
مشهور ، مجته اسماع الجمهور ، فأسيود به وجه
السطور ، فذلك مما ينفر الطباع ، ويذكر الاسماع ،
ويكون عارا لا يمحوه اعتذار ولا استثناء ، اللهم الا
ان كان من الحقوق الواجبة ، او سبق لمناسبة ، او
نكتة مناسبة ، فالشيء بالشيء ، والشمس بالغيم ،
فهذا لا اتحماه ، بل أحسي حماه ، واتقني اذاه ، الى

ثائ اذا ابله : ارواهما
كذا اذا اغرى بها صداتها

وثاثات هي : اذا ما رويت
بوم ورودها ، كذا ان عطشت

وجفا الباب : اذا ما اغلقه
كذا اذا فتحه ، ففتحه

دارأت ذا : دفعته لشره
كذا اذا لا ينته لمسره

رقا : افسد واصلاح ، خذ
والصدر الرقة ، والرقا ابد

والقرء ، بالفتح وبالضم اتى
يكون للحيض وظاهر ثبتا

وناء زيد : خف او قد نقلأ
فعجز الحال به بين الملا

ثم السودا بهمز لا اعتلال
يكون خلف وامام تالى

عكس الذى توهם الامام
الجوهرى العمال المهام

ويتبين من هذه الآيات أن الناظم خالق الإيباري
في عدة مظاهر : أهمها التزامه ذكر المعينين المتضادين
في كل نون ، عدم التزام قافية واحدة في جمّيع
الآيات ، ثالثها الاشارة إلى المشتقات مثل مصدر
الرقة ، رباعها الضبط واللغات في القرء ، خامسها
نقد الجوهرى في « وراء » أذ جعلها مع المعتل وأصلها
الهمز ، وقد أخذ هذا النقد من الفيروزابادى ،
سادسها أنه يترك بعض الأضداد التي ذكرها الإيباري ،
أي عنابة الأخير باستثناء الأضداد أشد من عنابة
صاحب « المنبه » . ومن أهم أوجه الخلاف أيضا
شعور المرء - بآن قصيدة صاحب « المنبه » أشد
سلامة ، وأعظم وضوحا ، وأقل تكلفا من قصيدة
الإيباري .

وهناك أوجه خلاف أخرى لم تظهر في الآيات
السابقة ولكنها ظاهرة في القصيدة كلها ، أهمها
اهتمام صاحب « المنبه » بذكر المعانى التي لا تدخل
في المعينين المتضادين للأضداد مثل قوله :

احسب ما وجدت منها مع قصور
وغيبيتي عن فنها مع الحضور

واحسب هنا بمعنى أعد ، ويقول في الخاتمة :

معتمدا ضبطي على القاموس
لأنني في الفن . كالبابوس (30)

وفي الصحاح جاعلا مجنبي
وربما أخذت في ابن جنبي

وجعل من خطته ذكرا للمشتقات المرتبطة
بالتضاد و خاصة المصادر والصفات ، على عكس
الإيباري يقول :

وربما أومي للاشتغال
والقيد ان كان وللاطلاق
والمصادر فاضبط الكلم
والوصف مع بعض اللغات المنهم

وخصص الجزء الأخير من قصيده للالفاظ
المتماثلة - أي الكلمات التماثلة المعنى مع تغير بعض
حروفها بالإبدال - والمقلوبة ، يقول :

وللمتماثلين والمقلوب
عونك يا مقلب القلب

ولجا في تقسيم قصيده الى التقسيم الذي
ارتضاه صاحب القاموس ، والإيباري . فالقصيدة
مقسمة الى أبواب بحسب الحرف الأخير من الأضداد
التي يحتوى عليها كل باب ، والالفاظ ترتب في
داخل الأبواب بحسب حروفها الاولى ، وأواسطها
ولكن الترتيب كثيرا ما أفلت منه في داخل الأبواب .

وختم القصيدة بخاتمة اشارت الى انتهاء ما
يريد نظمها ، وأشياء من منهجه ، والدعاء الى الله أن
يففر ذنبه ، والصلوة على الرسول وآلـه وصحبه
والتابعين .

وهذا باب الهمزة منه ، يمثل تناوله ونظمها :

(30) ولد الناقة ، والصبي الرضيع .

الغريب المصنف

اما ابو عبيد فاعتمد في « باب الاضداد » من غريبه على اساتيذه « ابي زيد ، وابي عبيدة ، والاصمعي ، وابي محمد اليزيدي ، والكسائي » (31) والثلاثة الاول خاصة . وأورد في هذا الباب 41 ضد ، كها موجود في الكتب المستقلة بالاضداد . ولما كان اعتماده على اساتيذه ، كان يروي عنهم مباشرة ، فصدر الباب بعبارة : « سمعت ابا زيد يقول » . وتنوع الاضداد عنده قليلة ، تتألف من الاضداد الحقيقة ، وانداد التفؤل ، واللغات ، والقلب ، وصيغة افضل .

وسار المؤلف على خطوة ابراد النقط ، ثم معنفيه ، ثم شواهد ان وجدت ، ونسبة كل منها الى قائله . وهو في اغلب المواد قريب من اضداد ابن السكين متفق معها . قال مثلا : « قال ابو زيد : طلعت على القوم اطع طلوعا : اذا غبت عنهم حتى لا يرونك ، وطلعت عليهم : اذا اقبلت اليهم حتى يرونك . وقال : لمقت الشيء المقه لمقا : اذا كتبته في لغةبني عقيل ، وسائل قيس يقولون : لمقته : محوطه » . وقال ابن السكين (40) : قال ابو زيد : يقال : طلعت على القوم اطع طلوعا : اذا غبت عنهم حتى لا يرونك ، وطلعت عليهم : اذا اقبلت اليهم حتى يرونك . ويقال : لمقت الشيء المقه لمقا : اذا كتبته في لغة عقيل ، وسائل العرب يقولون : لمقته : محوطه » .

ولكنه كان يميل الى الاختصار ، فاختصر عباره ابن السكين ، كما نرى في قوله : « فرع الرجل في الجبل : صعد ، وفرع : انحدر ، وقال معن بن اوس :

فساروا ، فاما جل حي ففرعوا

جميعا ، واما حي دعد فصعدوا

ويروى : فافرعوا ، وافرع في الحالين جميعا . وقال ابن السكين (41) : « فرع الرجل : اصعد وفرع : انحدر ، قال معن بن اوس :

فساروا : فاما جل حبي ففرعوا

جميعا ، واما حي دعد فصعدوا

الأزد للضعف والقوه قن

وللحادية والظاهر نقل
فمعاني الشرط الثاني لا تدخل في الاضداد ،
وقوله :

وبتر الرجل : اعطي ومنع
كذا اذا على الضحى حين طبع
فصلة الصحي ليست من المعينين المضادين ،
وكذلك قوله :

والشمع - بالكسر - : قبال النعل
ولقليل المال ثم الجسل

فسمع النعل ليس من الاضداد . وامثال ذلك
كثيرة ، ولم يعن الاباري بها .

ويطيب هذه القصيدة امران : قلة الاضداد
فيها عما في الدورق ، وكثرة الاضطراب في
الترتيب ، كما يظهر في باب البناء ، والحان والدال ،
والراء ، والسين ، والضاد ، والعين وغيرها .

(الفصل الرابع)

فصول عن الاضداد

. لم يقتصر لغويو العرب جهودهم على تأليف كتب مستقلة للاضداد ، بل شارك بعضهم في هذه الحرفة ، بتخصيص ابواب او فصول للاضداد من كتبهم الجامعه . ومن الطبيعي اننا لا نستطيع ان ننفل او نحط من هذه الجهود ، وان كانت بحكم وضعها اقل شأنها من الكتب المستقلة .

وقد وصلت اليانا خمس مجموعات تحتوي على ابواب مخصصة للاضداد ، وهي بترتيب ظهورها : الغريب المصنف لابي عبيد القاسم بن سلام المتوفى بين عامي 223 - 230 هـ ، وادب الكاتب لابن قتيبة 270 هـ ، وسر العربية لعبد الملك بن محمد الشعابي المتوفى عام 429 ، والمخصص لابن سيده المتوفى عام 458 ، والمزهر للسيوطى المتوفى عام 911 هـ .

(31) البغية 376 .

(40) 4 - 323

• 313 (41)

فأعمد لما تعلو فمالك بالذى
لا تستطيع من الامور يدان

قوله : يشعب أمره : يعني يفرقه ويشتبه .
وقواعه : لما تعلو ، يقول : تكفل من الامور ما تقهقره
وتطيقه » . وشرح ابن السكري أوفي من ذلك ، اذ
قال (45) : « قوله : يشعب أمره : يفرقه . يقال :
شعبت أهوازهم : أي تفرقت . وقوله : لما تعلو : يعني
تكتف من الامر ما تطيقه وتقهقره ، ويقال : هو عال
لذلك الامر : أي ضابط له قاهر » .

وتنافي مزاياها هذا الباب من الاضداد من أنه
يصحح بعض نقول ابن السكري ، كما فعل في (المق)
اذ نسب معنى (محا) الى قيس . موافقا بذلك ابا
حاتم (46) وابن الانباري (47) ، ومخالفما قول
ابن السكري (48) .

ويمتاز ايضاً بأنه ينسب كثيراً من الاضداد
التي اهملها ابن السكري وأبو حاتم الى اصحابها
الذين قالوها ، مثل أفاد ، واودع . والمشيخ وصارخ
وهاجد وصرير وبشر وظن ووراء وغيرها .

ومن الطبيعي ان نضع في مزاياه زياداته في
تضاعيف الشرح ، والخطة التي اتبعها في علاج
الاضداد ، وجعلته لا يعني الا بما اتصل بها ، ويحذف
ما عدا ذلك ، ويقتل الشواهد ، حتى صار الباب
في مرحلة متوسطة بين كتب ابن السكري وأبي
حاتم وابن الانباري الفاسدة بالشواهد والمعلومات ،
ويبين كتاب الصفاراني الذي حذف الشواهد جميعها.

ولكننا نأخذ عليه تكرار مادة « وراء » وتبعاً لها
مادة « دون » مرتين : اولاًهما في منتصف الباب
عن أبي عبيدة ، وثانيةهما في آخره تقريراً عن غير
أبي عبيدة . ولن نعذر عنه باختلاف السراوي لانه
كان يستطيع التنبية الى ذلك في الموضع الاول ،
ويستفني عن التكرار .. والمأخذ الثاني عليه ايراده
بعض الاضداد التي نقدتها المؤلفون ، مثل خنديد

ويروى : فأصعدا . ويروى : فأفرعوا . وقد
افزع الرجل : اذا انحدر من الجبل ، وافرع : اذا
صعد ، قال الشمام :

فإن كرهت هجائى فاجتنب سخطي
لا بدركتك افراعي وتصعيدي
وقال رجل من العلات منبني امية :
اني امرؤ من يمان حين تنسيني
وفى امية افراعي وتصعيدي
الرواية : وتصوبي » . فحذف ما اورد في
ما بعدها من شواهد . وكثيراً ما كان يحذفها
اختصاراً .

وبيرغم هذا الاختصار ، كان يزيد احياناً على ما
في اضداد ابن السكري ، مثل قوله : « قال ابو
زيد : السدفة في لغةبني تميم : الظلمة ، والسدفة ،
في لغة قيس : الضوء . وكذلك قال ابو محمد
اليزيدي ، وانشد للعجب :

« واقطع الليل اذا ما اسدفا »
اي اظلم . وبعضهم يجعل السدفة اختلاط
الضوء والظلمة مثل ما بين طلوع الفجر الى الاسفار ».
ولم يرو ابن السكري (42) ولا ابو حاتم (43) ولا ابن
الانباري (44) العبارة الاخيرة .

ولم يمنعه الاختصار من شرح شواهد ،
والالتفات الى ما فيها من رواية . وكان يتفق مع ابن
السكري في اكثر الشرح مع اختصاره . مثال ذلك
في قوله : « قال الاصمي : شعبت الشيء اصلحته »،
وشعبته : شققته . قال : والشعوب منه ، وهي
النية لانها تفرق . وانشدنا لعلي بن نمير الفنوبي :

وإذا رأيت المرء يشعب أمره
شعب العطا ويلع في العصيان

-
- 316، 43 (42)
 - 1144 (43)
 - 645 (44)
 - 277 (45)
 - 1372 (46)
 - 133 (47)
 - 324، 50 (48)

على شدتين فقط ، أحدهما بيت من الشعر ، والثاني
بأيابة من القرآن : قال الخيلولة للشاعر واليقين ،
قال أبو ذئب :

واسر ، التي أوردهما أبو عبيدة ، ونقدهما أبو حاتم ،
ونقل التقد أيضا ابن الأنباري .

— * —

ادب الکتابت

وأورد ابن قتيبة ببابا صغيرا من ادب الكاتب ، « للمتضادين باسم واحد » (49) اورد فيه 27 ضدا . ونهج على ان يقدم التحفظ المراد ثم معنیه المتضادين . واكتفى بذلك كثيرا ، وفي مرات اخرى اورد شاهدا من الشعر ، وكثيرا ما اكتفى بشطر واحد من الشاهد . ونسب في احد الاصفادات قوله لابي عبيدة ، « آخر للفراء . وأورد في احد الاصفادات ايضا قوله يبطل التضاد اخذه من ابى عبيدة وان لم يتبه الى ذلك ..

وامثل له بقوله : « الجون : الاسود ، وهو
الابيض ، قال الشاعر :
بسادر الجونة ان تفيبا
يعني الشمس .

والصرير الليل ، والصرير الصبح .
والسدفة الظلمة ، والسدفة الضوء ، وبعضهم
يحمل السدفة اختلاط الضوء والظلمة كوقت ما بين
طلع الفجر الى الاسفار .
والجلل الشيء الكبير ، والجلل الشيء
الصغير » .

سر العربية

وأفرد الثعالبي في كتابه « سر العربية في
مجاري كلام العرب وسنتها والاستشهاد بالقرآن
على أكثرها » فصلاً خاصاً بالاضداد ، سماه « فصل
في تسمية المتضادين باسم واحد (50) » .

وهذا الفصل قصير جداً كبقية فصول الكتاب،
يحتوي على ثمانية أضداد فحسب . نهج المؤلف في
معالجتها ، على أن يذكر الكلمة ، ثم معنیها . قال
مثلاً : « الجون للابيض والاسود ، والقروء للاظهار
والحبيض ، والصرىم للليل والصبع .. » واستشهد

• 181 - 177 (49)

• 5652 (50)

• 492 (51)

الاختصار في تفسيير عبارته ، وعبارة ابن السكيت ، بما يضفيها ولا يخرجها عن معناها . نرى ذلك في قوله (53) : « يقال لقت الشيء المقه لعثا : كتبته ، عقبيلية ، ولقته محوته ، قيسية » .

ونرى ذلك في قوله (54) : « المقوى : الذي لا زاد معه ولا مال له ، والمقوى : المثار : يقال : أكثر من اثنين) فلان فانه مقو ، والمقوى : الذي ظهره قوي » . وحذف في بعض المواقع عبارات ضرورية في المادة ، مثل ذلك قوله (55) « السدفة : اختلاط الضوء والظلمة مما كوفت ما بين صلاة الفجر الى الاسفر » فاقتصر على العبارة الاخيرة من قول أبي عبيد ، ولم ينثر وجه اعتباره المادة من الاضداد لما حذفه منها .

وتمثل الاختصار فيما حذفه من اشياء . فقد حذف أسماء الغوغاء الذين رروا الاضداد وذكرهم أبو عبيد وابن السكيت ، واكتفى ببنسبتها الى أبي عبيد وابن السكيت . وكان أبو عبيد خاصة يحب ان يشير الى الاضداد التي اتفق فيها بعض الغوغاء ، فحذف ابن سيده كل ذلك ..

وحذف بعض الشواهد ايضا .

اما الشواهد التي ذكرها فحذف كثيرا من أسماء قائلها ، وكان أبو عبيد وابن السكيت يذكرهم . وأخر مظاهر الاختصار عدم تكريره اللفظ مع المعنيين المتضادين اكتفاء بذكره مرة واحدة في اول المادة ، في بعض الاضداد ، مثل : « شربت : بعت واشترىت ... دحت الشيء دوها : جمعته وفرقته ...

ولكن - برغم ميله الى الاختصار - كان لا يحذف شرح الشاهد او التعليق عليه ، كما نرى في شري ، وشعب ، وجون وخلوف والظن وغيرها . وكان في بعض المواقع يحذف الشاهد ويأتي باخر بدلا منه ، كما فعل في « سوء » .

ويمتاز هذا الباب - الى جانب الاختصار - بما اتى به من اضداد زائدة على ما في كتب ابن السكيت وابي حاتم وابن الانباري . فقد رجع - للمرة

ويحتوي الفصل الثالث على اربع عبارات ، تجري مجرد الاستهزاء في كتب الاضداد ، والاخرين منها آياتان قرآنيتان . ولم يعلق المؤلف على الاقوال او الآيات ، ولم يفسرها لوضوح مقصده منها في عنوان الفصل . قال : « العرب تفعل ذلك (يريد الاستهزاء بالتضاد) فتقول للرجل تستجهله : يا عاقل . وللمرأة تستجهلها : يا فمر . وفي القرآن : (ذق انك انت العزيز الكريم) . وقال عز ذكره : (انك لانت الحليم الرشيد) » .

- - -

المخصص

وافرد ابن سيده في كتابه « المخصص » (52) بابا للاضداد سماه « كتاب الاضداد » . واعتبر ابن سيده هذا الباب كتابا بالفعل ، والاضداد مشكلة علمية جديرة بالبحث ، فصدر الباب بمقدمة في بحثها . وتناول في هذه المقدمة تقسيم الكلام الى مختلف ، ومتراويف ومشترك وعلل كل قسم منها ووضع الاضداد في المشترك وبين ان اصل وجودها اللغات والمجاز ، ورد على منكريها كما مر على منكري الترادف . واقام كلامه هذا في المقدمة على ما قاله سيبويه في اول كتابه ، وشرح أبي علي الفارسي بهذه الاقوال .

واورد ابن سيده في بابه حوالي مئة ضد ، اعتمد في الشطر الاول منها على أبي عبيد ، وفي الثاني على ابن السكيت ، ووارد في الجزء الاخير منها اضدادا من مصادر متفرقة . ولذلك نرى الشطر الاول يسير متفقا مع ترتيب باب اضداد الفريب المصنف اتفاقا تماما ، عدا مواقع متفرقة قليلة زاد فيها ابن سيده مادة من مصدر آخر ، او اختل الترتيب فيها . ونرى الشطر الثاني يسير متفقا مع ترتيب كتاب ابن السكيت تماما ، مع حذف الماء الذي سبق اقتباسها من أبي عبيد . اذا كان الاثنان اشتراكا فيها .

وسار ابن سيده على النهج الذي سار عليه ابو عبيد الا انه مال الى الاختصار اكثر منه . وتمثل هذا

-
- 258 : 13 (52)
 - 26 (53)
 - 265 (54)
 - 261 (55)

على متن الاصناد ، او هو بعبارة ادق ، في مرحلة
متوسطة بين باب الاصناد عند أبي عبيد وكتاب
الصفاني من حيث التناول ، ولكنه يفوق باب أبي
عبيد من حيث عدد الاصناد التي يحويها . وادق
ووصف له انه اعظم باب من مجموعة لغوية في عدد
الاصناد ، ومن احسنها دقة تناول . ولا يعييه غير
بعض ما اجراه من حذف شديد في بعض الاصناد
القليلة حتى جعلها غير واضحة ..

المزيد

وفي القرن العاشر الهجري افرد السيوطي فصلاً من كتابه «الزهر» للأضداد ، وعنوانه «النوع السادس والعشرون : معرفة الأضداد» . وعالج السيوطي الأضداد علاج ابن سيده لها ، اي اعتبرها مشكلة لغوية تستحق البحث والنقاش . فقدم بين يدي فصله مقدمة تناولت تقسيم الكلام ، واتساع بعض اللغويين في ذلك وفي الأضداد بنوع خاص ، والدفاع عنها ، والرد على منكريها . واقتبس اقواله هذه من علماء لم نرهم في المختص ، مثل الكبار ، وابن فارس والمردود . ثم انتقل من هذه المقدمة الى الأضداد نفسها .

واعتمد السيوطى فى الجزء الاول من اصداده على ما رواه ابو عبيد فى الغريب المصنف ، كما فعل ابن سيده . ولكنه حين انتهى من اصداد ابن عبيد لم يقتبس اصداد ابن السكين مثله بل تتبع الاصداد فى بعض المعاجم مثل جمهرة ابن دريد ، وديوان الادب للفارابي ، والصحاح للجوهرى ، والجمل لابن فارس والقاموس للقيرزى بادى ، وكتب الامالى والرسائل الخاصة مثل امالى الفالى ، ومجاز الكلام وتصاريفه لشلب ، وادب الكاتب لابن قتيبة ، ونوادر ابن الاعرابى والمقصور والممدود للاندلسى ، والمشاكمة للأزدى ، والافعال لابن القوطية . ويتبين من هذا ان السيوطى خالف القديمة فى المراجع التى اعتمد عليها . فقد كانوا يستقون من كتب الاصداد نفسها ، واستقى ابن سيده للمرة الاولى من بعض المعاجم . فلما جاء السيوطى اكثر من هذا الورد وتوسيع فيه حتى صار الاصل عنده .

ونهج السيوطي لنفسه ان يذكر اللفظ و معنیه المتضادین ، وقد يكرر اللفظ مع كل معنی . ولا يعني الا بما تعلق بالاضداد نفسها ، اي بحذف

الاولى فى تاريخ الاضداد - الى معاجم اللغة الكبيرة ،
كجمهرة ابن دريد (دوح والمعكوك وخفق وغيرها)
والعين للخليل (الحباء والراهنق) ورجمع الى علماء
لم يُؤلفوا في الاضداد ، ولكن التقاطوا منها اشياء
كان بي حنيفة الدينوري : الراهنق) او الفوا فيها ، ولكن
روى عنهم اضدادا ليست في كتبهم كابن السكريت
(الحرج) . ولا يختلف علاجه لهذه الاضداد الزائدة
عن علاجه لاضداد ابي عبيد وابن السكريت ، غير انه
يخصس لها الجزء الاخير من بابه . وان تناشر منها
شيء فى داخل كلامه المقتبس عن ابي عبيد وابن
السكريت ..

ولم يزد فى الاشداد وحدها ، بل زاد احيانا
فى الشرح ، مثل ما فى (اودع) ، واحيانا
بابيراد بعض المستقدات التى لم يوردها سابقاوه ، مثل
ما فى (المشيخ) ، وبعض الزيادات الاخخرى التى
نرى امثالتها فى نهل . وشرى ، ومثل ، وظن ،
وسوء ، وخشب وغيرها . وكان فى بعض الاحيان
او اكثراها يتسبب هذه الزيادات الى اصحابها .

وفي آخر الباب جمع ابن سيده بعض الالفاظ،
وجعل عنوانها « ما هو في طريق الفد ». وهو
فصل شبيه بالغريب من الاضداد او ما يجري
مجرها ، مما رأيناه في كتب الاضداد . واورد فيه
بعض الالفاظ التي تختلف معانيها اختلافا يكاد يكون
متضادا ، مثل قوله : « سنج عليه الشيء ينسج
سنوا : سهل ، وسنجت بالرجل : احرجته ». .
وروى أحد هذه الالفاظ عن ابن السكري (وليس
في اضداده واحدها عن صاحب العين واحدها عن
ابي زيد والخليل معا . ويحتوي الفصل على أربعين
الاظاظ فقط .

وخلاله القول ان هذا الباب من المخصص
جدير باسم «كتاب الاضداد» الذي اطلقه عليه
مؤلفه فهو لا يقل عن الكتب المستقلة في شيء - لا
في مقدمة بحث المشكلة ، ولا عدد الاضداد او
علاجها او شواهدتها ، او ما الى ذلك . بل مائلها في
الغاية بما يجري مجرياها ايضا . ولكن من الكتب
التي تميل الى الاختصار ، فتركز اهتمامها
بالاضداد ، وما يوضح تضادها من شواهد وعلاج ،
فلا تكثرون الاستطراد وتناول الامور النحوية واللغوية
والمعاني الاخرى للاظداد ، وما مائل ذلك من امور
وجدناها في بعض الكتب المستقلة . فهو في مرحلة
متوسطة بين هذه الكتب وبين كتاب الصفاني القاصر

وخلصة القول في هذا الفصل انه يضارع فصل ابن سيده ، ولا يقل من شأنه الا استثناؤه عن الشواهد ، فهو من هذه الناحية يوضع مع كتاب الصفاني ، غير ان هذا يفوقه في الترتيب والتنظيم وخلوه من التكرار .

— * —

«الخاتمة»

الاضداد ظاهرة غريبة .

فالذهن ينكرها للوهلة الاولى ، وينبئ ان يصدق وجود لفظ واحد يدل على معنى وضده . فالمنطق العقلي يعرف الضدين بأنهما الامران اللذان لا يقعن على شيء واحد ، وفي وقت واحد . ومن ثم كانت اللفاظ الاضداد غريبة في ماهيتها . وعلى هذا الاساس انكرها من انكرها . ولكن هذا الاساس لم يمنع ان يؤمن بها جماعات من القدماء ، وقلة من المحدثين . وكانت الفئة الاخيرة – او افراد منها – هي التي حاولت ان تعلل هذه الظاهرة الغريبة بالرجوع الى التفكير البشري في نظرته وسذاجته ، او بالتأمل في مراحل معينة من التاريخ البشري او التاريخ العربي القديم .

ولعل ظاهرة لغوية اخرى بمثيل سوء الفهم الذي احيطت به ظاهرة الاضداد . فمنذ عهد مبكر ، اختلف اللغويون فيها ، ولا زالوا مختلفين . فاذا تأملنا ما دار بينهم من نقاش وجدنا الفاظهم وعباراتهم تتنافر وتتصادم ، والمؤدي الاخير لما يقولون واحدا . فهم يتجادلون حول تصورين لا تصور واحد ، وفي مجالين لا مجال واحد . ولو تحدثوا عن تصور واحد ، وفي داخل مجال واحد ، لهذا كثير من الخصومة ، وبطل كثير من الادلة ، وربما ضاع الخلاف .

فقد كان المذكورون للاضداد ينظرون في مجال ضيق لا يتجاوز آية لهجة قبلية على حدتها . ولما لم يعثروا على اضداد في داخل اللهجة الواحدة انكروا الاضداد برمتها . وابوا ان يسمعوا بالاضداد ما جاء دالا على معان متضادة في لهجات قبلية مختلفة ، وان ضمتها اللغة العربية بعد .

الشواهد ، والشرح ، والمشتقات وما إليها ، فلا ذكر لها عنده ، الا في النادر جدا . فبابه من « متون الاضداد » اي من نوع كتاب الصفاني . يقول مثلا (56) : « اجعلب الرجل : اذا اضطجع ساقطا ، واجعلبت الابل : اذا مضت جادة . وبعت الشيء : اذا بعثه من غيرك ، وبعنته : اشتريته . وشربت : بعث واشترىت . وشعبت الشيء : اصلاحته . وشعبته : شقتها ، وشعوب منه ، وهي المية لأنها تفرق . والهاجد : المصلي بالليل . والهاجد : الشائم » .

ولجا في الاضداد التي نقلها عن أبي عبيد الى ترتيبها على قائلها . فقد نشر أبو عبيد اضداد كل لغوي نثرا دون ان يجمعها في موضع واحد ، فكانت عنده مختatte بما يروي لغيره فلما أدخلها السيوطي في فصله ، فصل كل نوع على حدة ، وقدم اضداد أبي زيد ، فالاصمعي فابي عبيدة فالكسائي فالاموي ، فمارواه غير واحد ، فاضداد أبي عمرو ، فالاحمر . وكان واجبا عليه تأخير الاضداد المهمة الى ما بعد اضداد الاحمر . ومن الفريب ان « الاحمر » لا يرد له ذكر في فصل الاضداد من كتاب الغريب المصنف الموجود في ايدينا اليوم ، وربما سقط الاسم من سختنا وكان في نسخة السيوطي . اذ ان هناك بعض الاختلاف بين النسختين ، فيبينما تنسب سختنا : « شعب » للاصمعي ، ينسبها السيوطي لابي زيد ، وسقط من سختنا احد معنوي « اشكى » المتضادين ، وهو موجود عند السيوطي .

ولكن السيوطي عندما ترك اضداد أبي عبيد اضطرب ، ولم يفلح في ترتيبها حتى على ترتيب الكتب التي اخذ منها ، بل اورد ما وقع منها تحت نظره ، ولو كان سبق ذكره . ولذلك تكررت عنده بعض الموارد مرتين وأكثر ، مثل « سوى » رواها عن أبي عبيد – وابن دريد ، و « الفابر » رواها عن ابن دريد والجوهري ، و « نصل » عن الفارابي والجوهري ، وغيرها . فبلغت الاضداد عنده قريبا من مائة وعشرين ، وهي في الحقيقة اقل من ذلك كثيرا .

وختم السيوطي فصله بفائدة ذكر فيها اسماء بعض من الف في الاضداد ، ثم سرد اکثر مقدمة كتاب الاضداد لابي بكر بن الانباري ..

2 - هل تعد هذه الالفاظ ظاهرة خاصة يجدر بها التسجيل بين الظواهر اللغوية ؟ اعتقد ان احدا لا ينكر هذا ايضا . واغيف الى ذلك ان هذه الظاهرة لا تتفرق بها اللغة العربية ، بل توجد في بعض اللغات السامية كما كشف بعض المستشرقين ، وفي بعض اللغات الاوربية كما كشف الاستاذ عبد الفتاح بدوي . واذن فوجود الاضداد ليس منقحة للفترة العربية ، كما ظائف الشعوبيون قدما ، وكما يفهم من قوله بعض المستشرقين حينها ، مما كان واحدا من الدوافع - في اعتقادي - التي حملت عبد الفتاح بدوي على المغالاة في رفض الاضداد .

3 - هل تستحق هذه الظاهرة تسمية خاصة ؟ اعتقد ان كل ظاهرة مهما كان شيوخها يجدر بها ان يكون لها اسم خاص .اما المؤيدون فقد سموها «الاضداد» ، فإذا كان المذكورون يجدون لها تسمية اكثر ملائمة ، فأهلها بها .

4 - هل الاضداد بالشروع الذي صورة القدماء ؟

واضح من الدراسة الماضية ان تصور الاضداد اختلف من وقت لآخر ، ومن رجل الى رجل ، ففارق حينا واتسع آخر . فكان تصور الاضداد ضيق المجال ، باديء الامر عند المحدثين فيما دون ان يحاولوا لها جمعا او تدوينا . ولكن هذا التصور اتسع اتساعا غريبا عند اول مؤلف في الاضداد : قطرب ، فشمل شتانا غريبا من الالفاظ ، مما يدل على ان قطربا لم يكن يحسن تصور الاضداد ، ولا احسن وضع العواجز الفاصلة بينها وبين غيرها واضطر اكثرا من جاء بعد قطرب الى تضييق المجال الذي وسعه ، ونفي كثير من الفئات والالفاظ التي ادخلها في كتابه . فأخذ تصور الاضداد في الوضوح ، وحدودها في البروز . ثم اتسع المجال مرة اخرى عند ابن الانباري خاصة بما ادخل من انواع جديدة من الاضداد . واذن فال المجال كان متغيرا عند القدماء ، وما اظن انه كذلك عند المحدثين ، وان كان اضيق عندهم منه عند القدماء .

5 - هل نعد كل الانواع التي اتفق عليها القدماء من الاضداد ؟ .

اعتقد ان احدا لا يجادل في ان ذلك مستحيل ، وان بعض ما عده القدماء من الاضداد لا يستحق هذه التسمية . وأضرب امثلة لذلك بما يلي :

وقصر المذكورون تصورهم على الالفاظ في وضعها الاول . واعلنوا انهم لم يجدوا لفظا واحدا وضعه العرب حين وضوه دالا على معنيين متضادين . اما اذا كان الاستعمال او التبسيلات اللغوية او التغيرات الصرفية قد ادت بعد ذلك الى ان تزول الفوارق بين بعض الالفاظ ذات المعاني المضادة ، فتبعد الان في صورة واحدة ، ومتضادة المعنى ، فليس ذلك من الاضداد عندهم .

ونستطيع ان نقول : ان كل لفظ توفر له سبب ما فادى به الى الدلالة على معنيين متضادين يابسى المذكورون ان يسموه ضدا ، مهما كان هذا السبب : لهجات قبلية ، او حذفا ، او تخفيفا او ابدالا ، او اعلا ، او مجازا ، او تفاؤلا وتطير ، او ما شاكل ذلك من امور . وانما الضد عندهم يجب الا يكون هناك سبب في دلالته هذه ، بل وضع اصلا لها .

اما المؤيدون للاضداد فوسعوا نظرتهم ومجاههم . نظروا الى اللغة العربية في شمولها وعمومها . فلفت نظرهم وجود هذه الفئة من الاضداد . ثم لم يعنوا بالبحث عن اسبابها او - ان شئنا الدقة - لم تهمهم الاسباب - فقد عرفا اسبابا الظاهرة . واعلن اكثرا من كثيرا من الاضداد آتية من اللهجات القبلية ، وكشفوا عن كثير من هذه الطائفة من الالفاظ . ولا خلاف بينهم وبين المذكورون غير انهم ارتضوا تسمية هذه الالفاظ القبلية بالاضداد ، ولم يرتكبها الاخرون .

كذلك لم يقصر المؤيدون نظرتهم على الالفاظ عند وضعها الاول ، بل اغفلوا هذا الوضع عامدين اذ لا اهمية له عندهم . واعلنوا النظر في الالفاظ العربية التي يسمعونها ، ويتحدثون بها ، ويدونون ما يدونون . فوجدوا فيها فئة من هذه الالفاظ ، التقطوها ومنحوها اسم الاضداد دون ان يأبهوا للأسباب التي ادت بها الى ذلك ، ودون ان ينكروا هذه الاسباب . بل لقد شارك بعضهم كقطرب في الكشف عن بعضها كالتوسيع وما شاكله ، لأن وجود سبب للتضاد لا يتنافي عندهم مع التسمية .

ولعل الاجابة عن الاسئلة التالية تزيل كل لبس امام المتراءين :

1 - هل توجد في العربية الفصحى التي نعرفها اليوم الالفاظ ذات صورة واحدة ، ومعنيين متضادين ؟ اعتقد ان احدا لا يستطيع ان ينكر هذا الوجود .

ج - ما وضع في الأضداد تعسفاً أو تكراً ، مثل الألفاظ التي تختلف معانيها دون أن تتضاد ، والالفاظ التي تتضاد معانيها بسبب ما يتعلق بها من أدوات كر غب عن والى ، وانصرف عن والى ، وغيرهاما .

6 - ما السبيل إلى معرفة اللفظ الجدير باسم الفد ؟

اعتقد ان السبيل الوحيد الى ذلك هو المعنى الذي يدل عليه اللفظ . وهنا احتزز فأقول المعنى الحق لللفظ . واعني بهذا الاحتراز أمثال هذه الألفاظ التي لم يحسن بعض اللغوين التنبه الى معناها الحق؛ ونسبوا اليها معانٍ بدت متضادة . فالصري姆 هو الوقت المنقطع ، اعني الوقت المنقطع من وقت آخر ، كالليل ينقطع من النهار ، والنهر ينقطع من الليل ، وليس الصريم الليل خاصة ولا النهر خاصة . والدليل الجلي على ذلك أصل اللفظ ، ومنعنه ، فاصله الصرم ومعناه القطع .

والسدفة ليست ظلمة حالكة ولا ضوءاً مثراً ، بل هي الظلمة التي ينبعث فيها الضوء ، او الضوء الذي تشوبه الظلمة ، هي اختلاط الظلمة بالضوء ، سواء كان هذا عند دخول الليل او ابلاج الصباح . وامثال ذلك كثيرة ، فطن اليها بعض القدماء انفسهم ، كما فعلوا في المآتم والطرب وغيرهاما . وليست هذه الألفاظ من الأضداد في شيء .

واذن فما وجدنا معانٍ تؤول الى معنى واحد لا تضاد فيه يجب ان نخرجه من الأضداد . وما دل من الألفاظ على معنى واحد : سواء كان معنى خارجيأ او ذهنياً ، يجب ان نخرجه من الأضداد .

وانما يجب ان يكون الفد لفظاً واحداً ، ذا صورة واحدة ، ومعنىين متضادين حقاً لم يمكن الجمع بينهما . تلك هي الصورة الصحيحة للأضداد ، وذلك هو السبيل القوي الى تطبيقها .

أ - ما اختلف في تفسيره من الآيات ، والاشعار ، والاقوال . فالاتفاق تام بين اللغويين انه لا يوجد فيها لفظ ذو معنيين متضادين . وانما جاء التضاد من اختلاف الناس في فهم هذه العبارات في مجدها . ومثال ذلك الآية التي اوردناها سابقاً : (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) . فقد اختلف المفسرون فيما يتعلق به الجار والمجرور (من آل فرعون) . فذهب بعضهم الى انه متعلق بمحذف صفة لـ (رجل) ، فصار القائل عندهم رجلاً مؤمناً من أقرباء فرعون ، يكتم ايمانه عن الناس جميماً . وذهب بعضهم الى انه متعلق بالفعل (يكتم) وان الآية حدث فيها تقديم وتأخير ، وان الترتيب العادي لها : قال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون ، فصار القائل عندهم رجلاً مؤمناً ، غير انه يخفى هذا اليمان عن آل فرعون . وليس هذا وامثاله من الأضداد في شيء .

ب - الفاظ وعبارات التفاؤل والتطير والاستهزاء . فانتا يجب ان تعرف ان المتحدث قد يتكلم على وقع ذهني ، يصدق احياناً على الواقع الخارجي ولا يصدق اخرى . فالمتحدث (المتفائل او التطير) يكره الواقع الخارجي ، ويحاول ان يتجاهله ، فيوف لنفسه كل السبل التي تؤدي به الى نسيانه . ومن اهمها عدم التحدث عنه او اعطاؤه اسم آخر لا يدل عليه . واذن فالمتفائل حين يسمى المدوح سليماً ، والمريض معافى ، لا يريد الصورة التي يكرهها ، بل الصورة التي يحبها . فاللفظ اذن مستعمل في معناه الاصلي ، وان كان لا يتفق مع الواقع الخارجي . اضيف الى ذلك ان المتحدث يريد ان يرسم في ذهن المستمع صورة متفائلة . فاللفظ لا يدل الا على معناه الاصلي عند المتكلم والمستمع كلّيهما ، وان كان معناه ذهنياً لا واقع له في الخارج . لو لم يكن الامر كذلك ، لما كان هناك تفاؤل او تطير او استهزاء . واذن ليس هذا وامثاله من الأضداد في شيء .

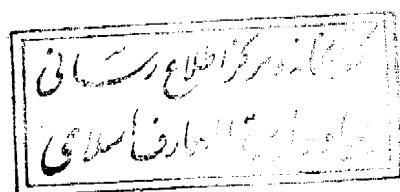
«المراجع»

المطبوعة

- الاصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب : الأضداد ، طبع بيروت 1913 .
- ابن الأباري ، أبو بكر محمد بن القاسم : الأضداد ، طبع الكويت 1960 .
- الشعالي : سر العربية في مجاري كلام العرب وستتها والاستشهاد بالقرآن على اكثريها ، طبع المكتبة التجارية 1938 .
- الخليل بن أحمد : العين ، مصور بمكتبة الجمع العلمي العراقي ببغداد ، وطبع الجزء الأول منه ببغداد 1967 .
- ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن : الجمهرة ، طبع حيدر آباد بالهند .
- ابن الدهان ، أبو محمد سعيد بن المبارك : الأضداد ، المطبعة العيدية بالنجف 1371 - 1952 في نفائس المخطوطات .
- الرازي ، أبو الحسن أحمد بن فارس : الصاحبي في فقه اللغة و السنن العرب في كلامها ، طبع بيروت 1964 - 1383 .
- السجستاني ، أبو حاتم سهل بن محمد : الأضداد ، طبع بيروت 1913 .
- سيبوه ، أبو بشر عمرو بن عثمان : الكتاب ، طبع بولاق 1316 .
- ابن سيده : المخصوص ، المجلد 13 ، طبع بولاق .
- السيوطى : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، طبع دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة .
- الصفاني ، أبو الفضائل الحسن بن محمد : الأضداد ، طبع بيروت 1913 .
- أبو الطيب اللغوي الحلبي عبد الواحد بن علي : الأضداد في كلام العرب ، طبع دمشق 1382 - 1963 .
- عبد الفتاح بدوى : دائرة المعارك الإسلامية ، مادة أضداد (الطبعة العربية) .
- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري : أدب الكاتب ، ط الرابعة 1382 / 1963 .
- قطرب ، أبو علي محمد بن المستنير : الأضداد ، في مجلة Islamic ، المجلد الخامس ، سنة 1931 ، من ص 247 إلى 293 .
- المبرد : الكامل ، طبع مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
- منصور فهمي : الأضداد ، مجلة مجمع اللغة العربية (الملكي) ، الجزء الثاني ، صفر 1354 - مايو 1935 .

المخطوطة

- أحمد بن أحمد بن اسماعيل الحلواي : الكأس الروق ، مخطوط بدار الكتب المصرية .
- عبد الله بن محمد بن القاضي : منه الرقاد في ذكر جملة من الأضداد ، مخطوط بدار الكتب المصرية .
- عبد الله بن نجا الابياري : دورق الانداد فينظم أسماء الأضداد ، مخطوط بدار الكتب المصرية .
- أبو عبيد القاسم بن سلام : الفريب المصنف . مصور بمكتبة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
- محمد المدنى : الأضداد . المكتبة السليمانية بالاستانة ، في مجموعة تحت رقم 1041 ، يبدأ الكتاب من وجه ورقة 98 إلى وجه ورقة 103 .



المراجع الأجنبية

- Abel: Über den Gegensinn der Urworte, Leipzig 1884.
- Giese: Untersuchungen über die Addad auf Grund von Stellen aus altarabischen Dichtern, Berlin 1894,
- H. Hirschfeld: The Journal of Royal Asiatic Society, 1895.
تعريف وتعليق على كتاب جيز السابق .
- Landau: Die gegensinnigen Wörter im Alt—und Neuhebräischen, Berlin 1896.
- Landberg, Le comte de: La langue arabe et ses dialectes, Leide 1905.
- Leguest: Etudes sur les formations des racines sémitiques, Paris 1858.
- Nöldeke: Wörter mit Gegensinn (Addad), Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg 1910.
- Th. M. Redslob: Die arabischen Wörter mit entgegengesetzten Bedeutungen, Göttingen 1873.
- Weil: Addad, in Encyclopedia of Islam.

دور اللغة في تنمية العلاقات البشرية وتجربة اللغات الأجنبية في البلدان الإفريقية⁽¹⁾

إدريس الكتاني

الأستاذ بجامعة محمد الخامس (الرباط)

ان الدور الهام الذي لعبته اللغات في تاريخ الحضارات والفكر البشري ليس بالشيء المجهول الذي يحتاج الى توضيح جديد هنا ، واذا كانت الدول الكبرى خلال التاريخ ، وفي العالم المعاصر ، تهتم بتطوير ونشر لغاتها الوطنية ، فلتقديرها لهذا الدور ، وشعورها باهميتها البالغة في بنائها الاجتماعي ، وعظمتها الدولية .

وتعتبر فرنسا من اشد الدول المعاصرة احساساً بهذا الدور ، ولذلك فهي تبذل في سبيل لغتها ما لا تبذل اي دولة اخرى .

منظمة اليونسكو تنصح الدول النامية باستعمال لغاتها الوطنية في التعليم

وفي تقرير اعدته لجنة من خبراء اليونسكو كلفت بدراسة مسألة الحفاظ على اللغات الوطنية للشعوب النامية ، وتطورها ، والتدابير التي يمكن اتخاذها للتعجيل باستعمالها في التعليم ، طبقاً لرغبات هذه

ان اللغة ليست اداة تفاهم واتصال فقط ، ولكنها ايضاً اداة للتفكير والتأمل . والانسان يفكر باللغة التي يتكلمها ، ويعيش تحت تأثير قيمها الثقافية والعلمية والدينية ، وباختصاصه واستيعابه لرموز لغته الوطنية ، وكتاباتها ، واستعارتها ، وابحاثها ، ودلالاتها الخاصة بالزمان والمكان ، يستطيع أن يدرك الحقائق العلمية ، والظواهر الاجتماعية ، ويتجاوب مع الناس والحداث ، وينمي طاقاته العقلية والدينية والانتاجية ، وذلك ببذل نفس المجهود المعتمد في البلدان المتقدمة .

لكن عندما يفرض على شعب مختلف استعمال لغة أجنبية عنه ، لأسباب استعمارية أو سياسية أو طبقية أو مذهبية ، هل تستطيع اللغة الأجنبية ان تؤدي وظيفة اللغة الوطنية ، وان تصبح اداة سهلة لتحقيق الاهداف الوطنية ، وخاصة ما يتعلق بمحاربة الامية ، وايقاظ الوعي الوطني ، ونشر الثقافة والقيم الاخلاقية ؟ وهل سيكون بوسعها ان تساعد على تعميم التعليم ، وتحقيق تطور اقتصادي واجتماعي لعموم المجتمع ؟ ..

(1) نشر هذا البحث اولاً باللغتين الفرنسية والإنجليزية بمجلة « Cahiers Africains d'Administration Publique » الاداري للتنمية « CAFRAD » التابع للامم المتحدة بمدينة طنجة ، في عددها الخاص بتحضير المؤتمر الافريقي المنعقد بطنجة في 18 شتنبر 1972 لدراسة « مشاكل نمو العلاقات البشرية والتسيير في القطاع العام الافريقي » عدد 8 غشت 1972 . وقد تفضل السيد الاستاذ الكتاني باتخاف مجلتنا بهذا البحث القيم الذي نختصره للقراء .

مع مصلحته هو لا مصلحة البلد الافريقي الذي يعنيه الامر ، ونظراً لذلك فان الشخصية الوطنية لاغلب الدول الافريقية أصبحت هي نفسها من مخلفات الاستعمار ، فليس من المدهش اذن ان عدداً قليلاً جداً من هذه الدول هي التي استطاعت ان تبني لغة فصحى لل تقين (Langue véhiculaire) تكون في نفس الوقت « وطنية » و « افريقية » .

ان الاساتذة Low وGrant et Williams (Low, Grant et Williams) فضلاً عما اكدوه من أن الاطفال الذين يدرسون بلغة تختلف عن لغة الامومة لا يتقدمون الا ببطء ، يعترفون بأن الانجليزية تعلم بطريقة سيئة جداً في افريقيا ، وأغلب المعلمين في عدة نواح افريقية لم يتلقوا اي تكوين ، وخاصة في Afrique du Sud ، وحسب تقرير Banjo سنة 1962 ، كان يوجد في نيجيريا الفنية 26 000 معلم من بين 40 000 لم يقع تكوينهم .

« وهذه الانتقادات تتوجه خاصة الى المدارس الابتدائية ، ومع ذلك فان التعليم الثانوي أيضاً لا يقوم الا على أقلية من التلاميذ ، ويوشك الامر ، كما هو حاصل في الهند ، ان تنفصل النخبة عن الشعب ، بسبب استعمال اللغة الانجليزية » .

وبعد استقلال الدول الافريقية استعملت بعض اللغات الافريقية المحلية في نطاق معين ، في المستوى الابتدائي ، ولكن الانجليزية والفرنسية لم تلبثا ان دخلتا في سلك التعليم ، وغالباً في السنة الاولى من الثانوي ، وأصبحتا لغات فصحى .

ويلاحظ ان طاجانيقا هي احدى البلدان الافريقية النادرة – باستثناء الدول العربية الافريقية – التي لها لغة وطنية ، هي اللغة السواحلية . وقبل استقلال هذه البلاد في 2 ديسمبر سنة 1961 ، عمل حزب الاتحاد الوطني الافريقي لطاجانيقا « Tanu » على تعليمها في مدارس وطنية خاصة تابعة له ، كما عمل على تعليمها للكبار في البلاد كلها ، ولم يتتردد بعد استقلال البلاد في استعمالها كلغة رسمية في دوائر الحكومة والبرلمان والتعليم ، وشرع في ترجمة النصوص التشريعية الى هذه اللغة ، وفي سنة 1965 أصبحت اللغة السواحلية اجبارية في جميع المدارس الثانوية ، وفي سنة 1968 فقط نظم اول درس جامعي عن الادب السواحلى في تنزانيا .

الشعوب ، وعلى أساس التجارب المعروفة في البلدان الأخرى ، أكدت لجنة اليونسكو هذه انه لا يوجد أي عائق في نظام لغة ما يحول بينها وبين جعلها لغة حضارة حديثة ، وترى هذه اللجنة انه اذا كانت (اللغة الأم) كفيلة بأن تكون لغة للتعليم الجامعي والتكنى ، فانه يجب استعمالها لهذا الغرض ، وطلبت اللجنة أيضاً من هيئة اليونسكو أن « تدرس » امكانيات تسيير المصطلحات العلمية والفنية للغات العلمية ، وذلك لمساعدة اللغات النامية على ان تكون لها مصطلحاتها الخاصة ، وان تتطابق في ذلك ، بقدر الامكان ، مع المصطلحات اللغات العالمية .

البنك الدولي للبناء والتنمية ينصح باستعمال اللغة الوطنية في التعليم

وهناك مؤسسة مالية دولية أخرى اتخذت موقفاً من اللغات الأجنبية يتفق مع موقف اليونسكو ، ففي سنة 1963 طلبت الحكومة المغربية من البنك الدولي للبناء والتنمية القيام بدراسة عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية بال المغرب ، وفي التقرير الذي اعدته بعثة البنك ، بعد ان قضت في المغرب شهراً في الدراسة والبحث ، نصحت الحكومة المغربية ، ومن وجهة نظر اقتصادية بــ « ت » ، بأن تضع هذا لتعليم اللغة الفرنسية في المدارس الابتدائية توقيراً لـ 30 % من وقت التلاميذ والمعلمين ، وتوفيراً لنحو 7 ملايين من الفرنك التي تتفق بدون طائل في هذا المجال ، وتخصيص هذا المبلغ الضخم في طبع الكتب ، واعداد الادوات المدرسية ، وتكوين المعلمين ، الى آخر ما جاء في التقرير من النصائح المتعلقة بــ تحديد سياسة وطنية ملائمة لــ حاجاتنا ومصالحنا .

تجربة اللغة الأجنبية في شرق وغرب افريقيا

كانت اللغة الانجليزية حتى سنة 1963 هي اللغة الرسمية للدول افريقيا الشرقية الثلاث : طنجانيقا وكينيا وأوغندا ، كما هي الحال في مستعمراتهما الافريقية السابقة الأخرى ، ولكن هذا لا يعني أكثر من أنها لغة نخبة تمثل نسبة ضئيلة من السكان ، لا يتجاوز مستواها بضعة اعوام في التعليم .

واكبر مشكلة واجهتها هذه البلدان بعد استقلالها السياسي هي ان الاسلوب التربوي عندها من وضع النظام الاستعماري الذي عمل على ان يتناسب وينتظر

هذه اللغة ، و اذا كان الرئيس نيريري قد استطاع ترجمة « يوليوس قيصر » الى اللغة السواحلية فان هذه اللغة لا يمكن ان تكون صعبة للغاية – كما حاولت التايمز (Times) في ملحقها الادبي سنة 1967 اظهار ذلك – مثلما يقال بالنسبة للغات افريقية اخرى . وهناك عقبات كبرى وضعت لحذف اللغة الانجليزية او الفرنسية لفائدة لغات محلية ، وحتى لو لم تكن هذه شائعة كاللغة السواحلية .

ونشير اخيرا الى ان وجود لغة وطنية افريقية واسعة الانتشار ، كاللغة السواحلية كان له تأثير كبير على القادة الافارقة الذين كانوا بصدده انشاء منظمة سياسية قوية .

وتلعب اللغة السواحلية في اوغندا – التي استقلت سنة 1962 ، ويبلغ عدد سكانها 10 ملايين – دورا أقل أهمية من دورها في تنزانيا ، فحتى سنة 1963 كان في اوغندا عدد كبير من الاوغنديين يفهمون اللغة السواحلية في مستوى قضاء حاجاتهم من السوق ، كما ان عددا أقل من ذلك يتكلم هذه اللغة بسهولة ، مع العلم بأنها تعلم في المدارس الاوغندية خلال فترة التقارب بين البلدين ، وقبل أن يقع التخلص منها في سنوات 1930 . أما النقابات والاحزاب فكانت تستعمل الانجليزية في اجتماعاتها ، وتترجم خطبها الى اللغة الاوغندية او السواحلية .

ويرجع ضعف اللغة السواحلية بأوغندا لكون الطرق التجارية بها لم تكن قد تطورت بالقدر الذي حدث في طنجانيقا ، وهناك سبب آخر أكثر أهمية وهو وجود قبيلة كبيرة وقوية كانت تتمسك باستعمال لغتها .

وبالرغم عن القرار الذي صادق عليه مجلس الشعب الاوغندي سنة 1962 بتنمية استعمال اللغة السواحلية لفائدة الوحدة بين الشعبين الاوغندي والتانزياني ، فان المسؤولين الاوغنديين ظلوا مستمرين في استعمال لهجات قبليه في برامجهم الاذاعية ، ولم يقتصروا على السواحلية .

وكان يبدو ان النخبة الاوغندية قد اختلفت فيما يرجع لمسألة اللغات ، واتضح هذا بمناسبة حوار جرى سنة 1962 حيث انتصر عدد من الشخصيات السامية (ثلاثة منهم أصبحوا وزراء بعد ذلك) لفائدة اللغة السواحلية ، وظل أحدهم وهو نكوبى موقفه بأنه استحال عليه مدة عشرين عاما القاء خطب بالانجليزية امام الجماهير الشعبية ، بينما عرض سروانو الذي

ولم تصل سنة 1970 حتى فرض على جميع التلاميذ ان يجتازوا امتحانا في هذه اللغة في مستوى البكالوريا . « مع العلم بان تعليما متقدما باللغة الانجليزية لا يزال مفروضا في السنة الاولى من التعليم الثانوي ، ويتمثل في بعض الاوساط ان تصريح التربية الوطنية كلها بما فيها التعليم الجامعي باللغة السواحلية ، ومع ذلك فان اعداد المواد البيداغوجية قلما يتجاوز مستوى المدارس الابتدائية » .

وفي سنة 1970 ايضا اعتبرت اللغة السواحلية الوحيدة التي يمكن لمرشحي الاتحاد الوطني الافريقي استعمالها أثناء حملتهم الانتخابية ، وفعلا فقد صرخ نائب رئيس الجمهورية رشيدى كاواوا قائلا : « اذا كان السكان لا يعرفون اللغة السواحلية فان جميع المرشحين يجب ان يكونوا مصحوبين بمترجم » ، وعندما أصدر كاواوا الامر لجميع الادارات الرسمية ، والى لجان الاتحاد ، سواء على المستوى الاقليمي او في المقاطعات ، باستعمال اللغة السواحلية كلها تعبير ادارية قدم ، بصفة خاصة ، الملاحظات التالية : « ان اكبر جزء من الاوراق المستعملة لا تزال حتى الان مطبوعة بالانجليزية مع اننا نعلم جيدا ان اغلبية الذين يعنيهم الامر لا يعرفون هذه اللغة ، ابها اهانة موجهة الى الامة » .

وفضلا عن ذلك فقد قام الرئيس نيريري بترجمة يوليوس قيصر (Jules César) لشكسبير الى اللغة السواحلية ، وهو الذي قال : « في خلال ثمانى سنوات لم التجيء لمترجم الا مرة واحدة » .

وقد اكتسبت اللغة السواحلية اهميتها من عدة عوامل ، فهي منتشرة في جزء كبير من افريقيا الشرقية ، وخاصة في الكونغو الشرقي واوغندا الجنوبي وهى ايضا منتشرة في كينيا ، فضلا عن انها أصبحت اللغة الرسمية في تنزانيا ، وهي لغة تعبير عن جميع الاشياء والافكار ، وبفضلها استطاع موظفو الاتحاد الوطني الافريقي لطنجانيقا ان يتصلوا بالقاعدة الشعبية ، وان يقوموا بنشاطهم في الاقاليم التي لا تكاد تعرف . يضاف الى ذلك ان اللغة السواحلية كانت دائما مقوما أساسيا للشخصية الوطنية لطنجانيقا ، واحدى خصائصها العميقة .

ومن المفيد ان نشير الى ان اللغة السواحلية ، حسب جميع القواعد ، بعيدة من ان تعتبر لغة « بدائية » ذلك ان ادبها المعي الشعري يرجع الى القرن السادس عشر ، ومن اجله وقع استعمال الكتابة العربية ، ولم يقتصر الامر على الكتابة ، فقد كانت تعرف ايضا من

السواحلية ، بأن حوالي نصف السكان يفهمون اللغة السواحلية .

ومن الجدير باللحظة ، كمثل على صعوبة اختيار لغة وطنية ، انه يوجد بكينيا 42 جماعة قبلية لعدد من السكان يبلغ احد عشر مليونا ، ولا يتتجاوز عدد اكبر جماعة منها وهي كيكويو مليونا ونصف مليون ، ومن الوجهة القبلية تعتبر السواحلية الاخذة في الانتشار بكينيا لغة « محايدة » ، لها حظوظ لتصبح لغة وطنية ، ولكن الانجليزية حتى الان لا تزال هي اللغة الرسمية والتربيوية .

والارقام المنشورة في الجدول التالي عن اللغات المستعملة في صحف الدول الثلاث تؤكد أن السواحلية هي اللغة الوطنية لطنجيانيقا ، وانها لغة مهمة في كينيا ، كما انها تستعمل الى حد ما في اوغندا . وهذا التشابه اللغوی بين كينيا وطنجيانيقا يوضح الفكرة التي أعلنتها سنة 1963 عدّد كبير من السياسيين ، والتي تؤكد ان الروابط بين الكينيين والطنجيانيين أقوى منها بينهما وبين الاوغنديين .

اصبح فيما بعد الرئيس المساعد للمجلس ، وندیوب الذي أصبح نائب رئيس الدولة ، بصراحة في استعمال السواحلية .

واخيرا ، في سنة 1963 قرر الوزير الاول ميلتون اوبيوت الاستعمال العال للغة السواحلية ، ولكن رئيس U.P.C. جوهن بابها لم يكن متحمسا ، بينما اكد وكيل الدولة بأن الاوغنديين لن يقبلوا ابدا اللغة السواحلية .

ف اذا انتقلنا الى كينيا ، وهي الدولة المجاورة لكل من اوغندا وطنجيانيقا على ساحل المحيط الهندي ، والتي نالت استقلالها سنة 1963 ، فسنجد انها توفر على سكان يتكلمون سواحلية « اهلية » في الساحل ، كما كانت صورة مشوهة منها تستعمل منذ زمن طويل بين أصحاب الاعمال وعمالهم ، وهكذا قاومت اللغة السواحلية الجهد التي بذلها النظام الاستعماري لازالتها .

وقد اكد وزير البناء الكيني السابق السيد اشيانك اوينيكو سنة 1963 ، وهو من اكبر انصار

نسبة الصحف المنشورة بمختلف اللغات سنة 1962

لغات محلية	الانجليزية	السواحلية	
—	30	70	طنجيانيقا
2	26	72	
—	64	36	كينيا
13	41	46	
51	49	—	اوغندا
93	7	—	

لقد حصلت مدحشقر ، البالغ عدده سكانها 6.750.000 ، على استقلالها سنة 1960 ، ومن الجدير باللحظة ان طيبة الجامعة وتلاميد التعليم الثانوي الذين قاموا باضرابات ابريل وماي 1972 التي شارك فيها السكان ، وهزت كيان الدولة ، وارغمت رئيس الجمهورية على تسليم سلطاته للجيش ، هؤلاء الطلبة يمثلون الجيل الذي بدأ تعليمه في المدرسة الملائبة المتفرقة في عهد الاستقلال . وهذا

تجربة اللغة الاجنبية في مدحشقر

وإذا كانت مشكلة اللغة الاجنبية لا تبرز للعيان بحدة في كثير من الدول الافريقية ، فلأنها غالباً ما تختفي خلف مشاكل التعليم التي تلتزم بها ، وهذه المشاكل نفسها كثيراً ما تندمج في إطار المطالب الوطنية والسياسية العامة التي تتبناها المعارضة ، وتواجه بها الحكم القائم .

فهذا اولا وبالذات ، ان التعليم القائم ليس وطنيا طالما انه لا يعتمد على اللغة الوطنية التي هي شرط أساسى في نظرهم ليصبح التعليم عاما ، وديمقراطيا ، وفي خدمة المصالح القومية العليا للشعب كله ، ويتحلى من التبعية والسيطرة والتوجيه الاجنبى ، ذلك التوجيه الذى يحصر هدفه فى تكوين عدد محدود من الاطر التى تحتاج إليها ادارة الدولة فقط .

تجربة اللغة الاجنبية في الجزائر

وفي اطار النظام الاستعماري الذى عرفته الجزائر من 1830 الى 1962 ، والذى فقد معه الشعب الجزائري ارضه وسيادته وجميع ثرواته الوطنية ، جاءت اللغة الفرنسية الاجنبية لتحل محل اللغة الوطنية فى الادارة والتعليم والحياة اليومية ، وتسلب الشعب الجزائري ثقافته العربية الاسلامية، وشخصيته القومية ، حتى تسهل عملية ادماجه النهائي فى الامبراطورية الفرنسية .

وفي سنة 1938 ، اي قبل الحرب العالمية الثانية ، وبعد مرور أكثر من مائة عام على هذا النظام، كان يعتقد ان عملية الادماج هذه قد نجحت نهائيا ؟ عندما كتب زعيم وطني جزائري ، عضو فى البرلمان الفرنسي يومئذ ، يتساءل بحسن نية : هل توجد حقا امة جزائرية ؟ .

وبعد اعلان حرب التحرير الجزائرية سنة 1954 من طرف الشعب الابي ، اكتشف هذا الرعيم فجأة ظهور هذه الامة التي كان يبحث عن لغتها وثقافتها وشخصيتها الوطنية دون جدوى ، فارتدى بين احضان الثورة ليصبح أول رئيس للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية .

وفي سنة 1962 كان أول عمل للجمهورية الجزائرية المستقلة هو استعادة سيادتها المطلقة والكاملة على الارض والثروات الوطنية الجزائرية ، أما العمل الثاني الذي شرعت فيه فور انتهائها من المرحلة الاولى فهو استعادة اللغة والثقافة الوطنية ولم تكن هذه القضية تحتل آية مناقشة ، رغم الصعوبات التي كانت تكتنف تطبيقها ، ذلك ان كل تطور ونمو للشخصية الجزائرية ، وكل تعليم ، وكل ثقافة وطنية ، يستحيل قيامها بغير اللغة العربية ، لغة المدرسة الحرة الاسلامية الجزائرية ، باعثة النهضة ، وشعلة الثورة ، ولغة تحرير الانسان الجزائري من العبودية والجهل والاستغلال .

يعنى ان هذا الجيل لم يندمج اجتماعيا ونفسيا وتربيويا فى هذه المدرسة الاجنبية ، ولم تتكامل شخصيته الوطنية بواسطة لغتها ومناهجها وأطراها الاجنبية ، وعندما شعر بأنها لن تحقق اهدافه ومطامحه فى التطور والتقدم ثار ضدها ، ووجد تجاوبا كاملا مع جميع المنظمات الملغاشية التي تطالب معه بتعلّم وطني كشرط أساسى لصلاح التعليم .

وفى وصف هذه الحالة عقب الاضرابات المذكورة يقول مراسل جريدة « لوموند » الباريسية : « كانت مطالب الطلبة ذات اهمية ، ولكنها لا تخرج عن النطاق الطلابي ، ورغم ذلك فان الرئيس تسيير انانا قد وصل الى حد اغلاق الجامعة فى شهر مارس 1971 بعدما طالبته الجمعيات بتعلم وطني ، وتحفييف برامج الدراسات والامتحانات ، وقد أصبحت المساعدات الثقافية الفرنسية بكمالها معرضة للفقد من طرف المنظمات التي تدين التبعية الثقافية .

وبعد ان استعرض المراسل المذكور العوامل السياسية الاخرى التي تدعو اغلبية الشبان لاستئثار نظام الحكم الذى يعتبرونه شديد الارتباط بالاستعمار السابق ، اشار الى ان هذا لم يبد فى الشعارات التي حملها الطلبة المتظاهرون يوم 24 ابريل الماضى حيث اكتفوا بشعارات كهذه : « معاهدات التعاون معاهدات استعباد » الفرنسية لغة الاستعباد » .

وقد جاء فى تصريح ادلى به لجريدة « لوموند » ريموند وليام ربمنجرا عضو الحركة الجمهورية الملغاشية الحرة ، بعد ان تولى الجيش جميع السلطات ، حول مستقبل هذه الجمهورية ما يلى : « اما فيما يتعلق بمصير اللغة والثقافة الفرنسية فان للملغاشيين كامل الحق فى الدفاع عن لغتهم الاصلية ، وعن التراث الروحي والثقافي لاجدادهم ، ولكن من الواجب عليهم ايضا بالنظر للحاضر والمستقبل ، ان لا يعزلوا عن الفكر العالمي ، وداخل هذا النطاق ، سوف لا انفرط فى كل ما هو فرنسي » .

هذا هو الموقف الصريح والعلنى من قضية اللغة الاجنبية فى بلد افريقي نام ، كان لا بد ان تمر اثنتا عشرة سنة على استقلاله قبل ان يلاحظ شعبه انكاسات هذه التجربة المرة على حياته الاقتصادية والاجتماعية والقومية ، ويعلن سخطه وثورته ضدها.

ومن الجدير بالذكر انه عندما يطالب الطلبة فى مدغشقر ، او فى اي بلد افريقي آخر بتعلم وطني ،

للتّعلّم ، وكانت نقطة الصراع الوحيدة والمقطّعة بمشاكل التعليم ، هي التي جاءت في هذه التوصية التي كانت محل اجماع أعضاء المناقشة ، وانتصر فيها ممثلو المؤسسات الوظيفية الشعبية انتصارا ساحقا :

« لغة التعليم هي اللغة العربية في جميع المراحل الدراسية ، ويشرع في تعليم اللغات الأجنبية ابتداء من الطور الثانوي » .

وبعد مصادقة الجمع العام للمناظرة (400 ممثلا) على هذه التوصية الصادرة عن « لجنة السياسة العامة للتّعلّم » تمكّنت اللجان المشتركة الأخرى – بعد أسبوعين من العمل الجاد ليلاً ونهاراً – من اصدار توصياتها المتعلقة بالسياسة الوطنية العامة للتّعلّم .

وقد انعقدت مناظرة أخرى في افران للبحث عن اسباب الاضرارات ومحاولة ايجاد حل لها وأصدر المثقفون المغاربة بياناً تاريخياً وقاموا 500 من الشخصيات المغربية في طليعتهم كبار العلماء ، وقادة الاحزاب الوطنية ، ونقابات العمال ، واتحادات الطلاب والاساتذة والمثقفون .

ومما جاء في هذا البيان أن الشعب المغربي لا يريد بعد تحرره واستقلاله أن يظل مربوطاً بعجلة آية دولة أجنبية ، ويظل فكره القومي محتكراً لفتتها ، وإنما يريد أن يستوعب الحضارة الإنسانية العالمية بمختلف لغاتها الحية ، وعن طريق التبادل الثقافي والعملي والصناعي ، دون أن يتخلى قيداً نهلاً عن لغته العربية ، كلّفة رسمية حية ، في التعليم والإدارة والعمل اليومي ، فان علماء المغرب ومثقفيه ، ورجال الفكر والاصلاح فيه ، يرون من واجبهم القومي والديني بمناسبة الحوار المفتوح حول سياسة التعليم ومستقبله في المغرب :

أولاً – أن يجددوا نصّهم وتحذيرهم من آية سياسة لم تتحقق غير المزيد من فرنّسّة الأجيال المغاربية الناشئة ، وفرنسّة لغة التخاطب العامية ، وترشيح فرنّسّة الادارة والمصالح العمومية والخصوصية بالمغرب المستقل ، مما يهدد وحدة وكيان ومستقبل الشعب المغربي ، ويعرقل تقدمه وازدهاره وامنه الفكري .

ثانياً – ان يذكروا بأن التعرّيب الكامل العام ، في التعليم والإدارة والعمل والشارع هو مطلب قومي

لقد استفادت الجزائر منذ استقلالها سنة 1962 من تجربة المغرب السابقة في سياسة التعليم والتّعلّم منذ استقلاله سنة 1956 ، واستطاعت بفضل وضوح رؤيتها ، وبعد نظرها ، وعمق تجربتها ومحنتها في عهد الاحتلال ، ان تتجنب الاخطاء التي وقع فيها غيرها ، وان تقرر جعل اللغة العربية أداة علم وعمل في جميع قطاعات الشّباط الوطني ، وادخلها إلى الميادين العلمية والثقافية ، وخلق مدرسة جزائرية ذات صبغة قومية .

وقد تحدث الرئيس الجزائري هواري بومدين يوم 28 ابريل 1970 امام اللجنة الوطنية لاصلاح التعليم عن التّعلّم بوصفه اختياراً أساسياً لا رجوع فيه ، فأكّد بأنه مطلب وطني ، وهدف من الاهداف الكبرى بالنسبة للجماهير ، وقال : انه توجد بالجزائر نخبة وشعب وفي مثل هذه الحالة يجب على النخبة ان ترجع للشعب خاصة بالنسبة لهذا الموضوع ، لأن الشعب هو الذي احتضن عبر القرون كل ما يمثل عنصراً أساسياً لما نسميه اليّوم « بمقومات الشخصية الوطنية » .

وبهذا القرار التاريخي الحاسم ، فتحت الجزائر الباب على مصراعيه لتطبيق مبدأ تعميم التعليم ، وديمقراطيته ، ومحاربة الامية ، وتكوين الاطر الوطنية ، وخلق الوعي لدى الجماهير الشعبية بأهمية التدابير المتخذة في سياسة التعليم ، والتطور الاقتصادي ، والاجتماعي ، والإصلاح الزراعي .

تجربة اللغة الأجنبية في المغرب

ومنذ استقلال المغرب سنة 1956 حتى اليّوم لم يحدث أن أجمعـت الأحزاب الوطنية ، والنقابات العمالية ، واتحادات الطلاب ، والنقابات العمالية ، واتحادات الطلاب ، والمؤسسات العلمية والثقافية والدينية على مبدأ وطني مثل اجتماعها على ضرورة استعمال اللغة العربية في التعليم والإدارة والحياة اليومية بدل اللغة الفرنسية التي فرضتها الحماية في عهدها السابق .

ففي 13 ابريل 1964 قامت وزارة التعليم بتجربة عندما نظمت مناظرة وطنية كبيرة حول التعليم دعت لها 400 شخص يمثلون جميع المؤسسات الحكومية والشعبية لوضع سياسة وطنية قصيرة

معرفته ، وليس نتيجة لفتة ، أما دعوى عزل الشعب عن تيارات الحضارة العالمية ، فهي مجرد خداع وتضليل للرأي العام الوطني .

3 - ان السكان يتسبقون ، حسب زعم هؤلاء ايضا ، لتسجيل ابنائهم في مدارس البعثات الاجنبية ، حرصا منهم على ان يتعلموا بلغتها ، والحقيقة هي ان طبقة من السكان المترافقين اذا كانت تفر من مدارس الدولة الرسمية - وهذا لا يشرف اية حكومة بهذا الوضع - فليس ذلك لتعلقها أكثر باللغة الاجنبية ، ولكن لأنها تخشى المصير التّعس الذي ينتظر أبناء الشعب الذين يغادرون المدرسة دون أن يحصلوا حتى على شهادة الثانوية العامة .

4 - ان استعمال اللغة الاجنبية أصبح مرتبطة بالمصالح الاقتصادية والثقافية والسياسية للدولة صاحبة هذه اللغة ، وبمساعدةاتها المختلفة للدولة التي تستعمل لغتها ، ومن شأن التحول الى اللغة الوطنية ، حسبما يعتقد هؤلاء ، ان يسيء الى علاقات الدولتين ، والى صالح المنتفعين فيهما ، وليس من شأن دولة غير ثورية أن تقوم على مثل هذه الخطوة الجريئة .

5 - ان استعمال اللغة الاجنبية قد يكون - فضلا عن الاسباب السابقة - لمجرد الحاجة ، لأن الدولة المعنية لا تملك لغة علمية مكتوبة ، او بحسب الضفت الاستعماري المتواصل ، او فقط عبارة عن اختيار سياسي لتحقيق اهداف سياسة معينة ، قلما يقع الانتباها لها . او لأن النخبة الحاكمة لا تزال تشعر بالنقض تجاه المستعمر القديم وتجاه لغته ، فهي لا تجرؤ على المس بالمؤسسات التي خلفها ، وكثيرا ما تجتمع اغلب هذه العوامل في البلد الواحد .

هذه ، على الأقل ، خلاصة الاسباب التي تجعل اغلبية الدول الافريقية تبني اللغات الاجنبية ، دون ادراك واضح منها بأن هذا التبني يشكل عقبة كبرى في طريق نمو شعوبها ، وتقدمها ، واستغلال طاقاتها البشرية .

الافارقة سيخلصون عاجلا او آجلا من اللغات الاجنبية :

وهناك شعور متزايد لدى الرأي العام ، ولدى المؤسسات الوطنية في القطر الافريقيه بأن الدول الغربيه المستعمرة السابقة لها ، كانت تهتم بنشر

اجمعت عليه الامة منذ الاستقلال ، وهو لا يتعارض بحال من الاحوال مع دراسة اللغات الاجنبية الحية كلغات ، ولا يتناقض مع رغبتنا جمعيا في التفتح على حضارة القرن العشرين ، وإنما يؤكد فقط رغبة الشعب المغربي في المحافظة على مقومات شخصيته الوطنية ، ومن المعلوم انه لا يمكن لهذه الشخصية ان تنمو وتزدهر الا في اطار اللغة القومية ، ولا يمكن للتعليم ان يصبح شعريا وديمقراطيا ومزدهرا الا باللغة القومية .

ثالثا - ان ينبهوا الى التجني الذي يرتكب في حق اللغة العربية عندما يراد ببطها بالوضع الذي يوجد عليه العالم العربي اليوم ، وبالنقص الذي يلاحظ في المصطلحات العلمية الحديثة ، مع انه لا ينكر احد ان اللغة العربية كانت هي اللغة العلمية العالمية الوحيدة في العصور الاسلامية الراهنة (الفرسون الوسطى في اوروبا) ، وان تخلفها اليوم في ميدان المصطلحات الحديثة لا يرجع لعجزها هي ، بل لجمود المجتمعات العربية التي عليها ان تقوم بسد هذا النقص في الميدان النفوذى ، في نفس الوقت الذي تعمل فيه على سد نقصها في الميادين العلمية والصناعية ، ذلك ان اللغة العربية ، بكل اللغات الحية ، لا يمكن ان تتطور وتتقدم بمعدل عن الحياة والعلم والمجتمع ، وأبعادها عن ان تكون لغة التعليم والادارة والعمل ، هي الطريق المفضية بها الى الموت البطيء ، لا الى الحياة الخالدة .

أسباب المحافظة على اللغات الاجنبية بافريقيا :

1 - ان اغلب المسؤولين والمشرفين على سياسة التخطيط يجعلون هم أنفسهم لغتهم الوطنية ، لأنهم تعلموا باللغة الاجنبية التي لا يزال نفوذها مستمرا بالرغم من استقلال بلدانهم ، وحيث انهم عاشوا في هذا الوضع ، واندمجوا فيه اداريا فهم يخشون أي تغيير قد يمس مصالحهم بسوء .

2 - ان عودة اللغة الوطنية لاحتلال مركزها الطبيعي كلغة رسمية للدولة سيؤدي حسبما يزعمه هؤلاء الى خلل في سير الادارة ، والى انخفاض المستوى في التعليم والتكنولوجيا ، والى عزل الشعب عن تيارات حضارة القرن العشرين . والواقع ان الخلل الاداري ، وانخفاض المستوى ، هما بعض ما تعانيه هذه البلدان ، بالرغم من استعمال اللغة الاجنبية ، لأنها نتيجة لسلوك الرجل ومستوى

الإنجليزية ، وهذا يعني أن التربية الباتونية (لغة الباتو) لا تعني فقط تلقين مواد ولكن أيضا وجود لغة معبّرة » .

وعندما انعقد الملتقى الجامعي الأول حول الوحدة الأفريقية بالجزائر في نهاية مارس 1971 ، أكد ما سجله الجميع على البيئة التربوية القائمة في القارة الأفريقية المستقلة ، التي تميّز بظاهرة الاستلاب الثقافي ، أو التبعية الثقافية . وهذه التبعية جعلت أغلب المثقفين الأفارقة لا يقدرون ثقافتهم الوطنية ، ولا يشعرون بالدور الذي يمكن أن تلعبه هذه الثقافة ، وإنزعالهم عن شعورهم لم يكن نتيجة ل أفكارهم الجديدة فقط ، بل لأنهم أيضاً أصبحوا يتحدثون بلغة تختلف عن لغة شعوبهم » .

هذا الموقف الأفريقي من اللغات الأجنبية الذي ادركه يوعي وتجربة خبراء آجانب في شؤون التعليم واللغات بأفريقيا كالاستاذين طابو وبورني في سنة 1962 ، جاءت اضرابات الطلبة والتلاميذ لتؤكد هذه بقوّة في شعاراتها ضد التبعية الثقافية وسيطرة اللغة الفرنسية، بينما غاب هذا الادراك عن بعض السياسيين والمسؤولين الأفارقة أنفسهم .

خلاصة :

ان تعلم اللغات الأجنبية وخاصة الانجليزية والفرنسية بالنسبة للطبقة الاجتماعية المتعلقة بالقاراء الأفريقية ، هو مطعم كل متعلم دون جدال ، ووسيلة ضرورية لاغناء الثقافات الوطنية ، وتكوين الاطر العلمية والتقنية الوطنية فيسائر المجالات ، وتيسير التبادل العلمي والثقافي مع شعوب العالم المتقدم ، هذه هي الحقيقة الاولى التي لا يجادل فيها أحد .

ولكن أسلوب التعليم الذي فرضه الاستعمار الغربي على شعوب القارة ، كان يهدف بالدرجة الأولى إلى نشر لغة الدولة المحتلة ، وفرضها كلغة رسمية في الادارة والتعليم ، وقد تبيّن لهذه الشعوب ، بعد التجربة المرة ، انه أسلوب خطير ، وان أقل اخطاره القضاء على الشخصية الوطنية ، وعلى الثقافة والقيم التاريخية والدينية ، وعرقلة كل تقدم وازدهار حقيقي للشعب ، وانخفاضه باستمرار لتبعة الدولة التي يفك ويكلّم بلغتها ، وهذه هي الحقيقة الثانية التي بدأت هذه الشعوب تدركها .

لغاتها في هذه البلدان ، أكثر مما تهم بتطورها أو نشر التعليم فيها ، وهذا الشعور تؤكده حتى اليوم الدراسات والمجلات التي تعنى بهذا الموضوع .

ان تجارب الشعوب الأفريقية مع اللغات الإنجليزية أكدت بأن تبني هذه اللغة أو تلك من طرف نسبة قليلة من شعب أفريقي لا يعني حصول هذا الشعب على تقدم أو تطور بفضلها ، فالشعب الجزائري ، مثلاً ، الذي استمرت عملية فرنسه خلال 132 سنة من الاستعمار ، كان قد وصل أقصى درجة من الفقر والجهل والانحطاط قبل قيام ثورته العجيبة سنة 1954 ، وتجربة الشعوب الأفريقية بعد الاستقلال ، سواء منها التي ورثت اللغة الانجليزية أو الفرنسية ، جعلتها تزداد اقتناعاً بأن استعمال هذه اللغات لن يحل مشاكلها ، بل ربما خلق مشاكل جديدة لم تكن في الحساب ، ولذلك فإن الشعور الوطني العام يسير نحو التخلص من هذه اللغات التي اقترن تاريخها بالعبودية والاستغلال الاقتصادي .

ان هذا الاتجاه قد ادركه بذكاء المفتش العام للتعليم في فرنسا طابو « R. Thabault » الذي كان آخر مدير للتعليم في المغرب عندما قال : .. . كيّفما كان سبب تبني الإفارقة للفرنسيّة ، سواء كان اختياراً ، أو مجاملة ، أو مصلحة ، أو ضرورة ، فإن هذا لا ينفي أن يحجب عنا حقيقة تقاد تكون مجهولة في فرنسا ، وهي أنه مهما كانت الصعوبات وعدم الملاءمة مع المنشروات ، فإن الإفارقة لهم رغبة جامحة في أن تكون لهم لغة خاصة بهم ، لغة إفريقية مشتركة تعيش الفرنسيّة ، وفي الحقيقة فإن التحول الى الاستقلال قلل من حدة هذه المشكلة ، بيد أن الجذور الاحساسية والعاطفية لهذه الرغبة عميقة جداً ، وتشكل المشكلة أن توضع بقوّة من جديد في المستقبل » .

ونفس الفكرة عبر عنها بيير بورني (Pierre Burney) بالنسبة لدول المغرب العربي عندما قال : « كيّفما كانت الاسباب التي حددت اختيار الفرنسيّة لغة ثانية ، سواء التقليدي ، أو السهلة ، أو المصلحة ، أو المجاملة ، فإن تعريبها تدريجياً للتعليم سيتم حتماً » .

وقد لاحظ نفس الاتجاه في إفريقيا الجنوبيّة الاساتذة لووكرانت ووليامس السابق ذكرهم قائلاً : .. . ومع ذلك فإنه يلاحظ في إفريقيا الجنوبيّة أنه يقع الالاحاج بقوّة على التعليم باللغة المحظية أكثر من

واعتنق بعض الحركات الشيوعية نفسه ليس اجتهادا فكريًا متأثرًا بالدعائية الأجنبية ، بقدر ما هو عبارة عن رد فعل اجتماعي قوي للتحالف مع آية قوة خارجية ضد الحكم الذي لا يخدم مصالح الشعب ، وما دام هذا الحكم يؤثر عليها مصالح المستعمر السابق ، ويدعم لفته وثقافته على حساب اللغة والثقافة الوطنية ، فإن التيار العام ، وخاصة لدى الطبقة المتعلمة - سيزداد اتساعا وعثنا ضد هذه السياسة ضد أصحابها ، وسيعمل على التخلص من هذه اللغات في التعليم والإدارة عاجلا أو آجلا ، وهذه هي الحقيقة الرابعة التي تستخلصها في النهاية من هذا العرض .

ومن خلال التجارب الأفريقية اتسع المعرفة، وأزداد اليقين بحقيقة علمية ، وهي أن الأطفال الذين يدرسون بلغة أجنبية ، تختلف عن لغة الأمومة - وخاصة أصحاب الذكاء العادي وهم الأغلبية الساحقة - لا يتقدمون في دراساتهم إلا ببطء ويشتد هذا البطء إذا فرض عليهم التعلم باللغة الأجنبية ، وباللغة الفصحى الأم لغة الأمومة ، أو بلغتين أجنبيتين عن لغة الأمومة وهذه هي الحقيقة الثالثة .

وقد بررحت الحركات الالتفافية أو الثورية التي تغلقت في القارة الأفريقية على أن دوافعها الأساسية لا تخرج عن النطاق الوطني الذي يستهدف النمو وتقدير الإنسان الأفريقي ، وتحريره من كل أنواع العبودية

القباب الصوفية في المشرق :

الاولى : المجلس العالمي يكتب بها لشيخ الشيوخ بالديار المصرية وهي المجلس العالمي الشيعي الكبير العالمي العالمي السالكي

الـ ..

المرتبة الثانية : المجلس السامي (بالباء)

المرتبة الثالثة : المجلس السامي (بغير باء)

المرتبة الرابعة : مجلس الشیخ (صبح الاعشی ج 11 ص 85)

تنقل الألفاظ

الأستاذ عبد الهادي الفضلي
كلية الآداب - جامعة الملك عبد العزيز

الجواليقي ومغرب المطري وشفاء الخفاجي واللغاظ الفارسية المعاشرة لadi شير الكلداني ، وتتوفرت جملة أخرى منها على التعريف بالكلمات العربية التي استعجمت كقاموس دوزي المستشرق الهولندي الذي جمع فيه المفردات العربية التي دخلت الإسبانية والبرتغالية و (الكلمات العربية في اللغة البرتغالية) لجورج ليان و (الكلمات العربية الشائعة في اللغة الانكليزية) لجريجس فتح الله المنشورة بمجلة المجمع العلمي العراقي .

والفرق بين ظاهرة الاستعجمام - واعني بها دخول الكلمة العربية إلى اللغات الأخرى - وظاهرة الاستعراب - وهي دخول الكلمة غير العربية إلى العربية - وبين ظاهرة التنقل في مجال الدراسة والبحث ومجال التدوين المعجمي واضح لا يتطلب فيما اعتقد أي شيء من التوضيح .

والفرق في مجال الاستثمار الدراسي هو المهم هنا - فيما أدخل - ذلك أن دراسة الدخيل لا تكشف لنا في الغالب إلا عن مجال من مجالات الكلمة قبل دخولها العربية قد يكون الأصل وقد يكون غيره . ودراسة الاستعجمام هي الأخرى قد لا توقفنا على أكثر من مجال دخاته الكلمة العربية .

قد تعد ظاهرة تنقل الألفاظ من أبرز الظواهر اللغوية الاجتماعية لشيوعها بين مختلف اللغات ، وبخاصة اللغات الحية منها ، وفي كثير من المجتمعات ، وفي شتى أنماط لغاتها من فصيحة وعامية .

وهي : تعني تنقل الكلمة من لغتها الأصل إلى أكثر من لغة ، ومن مجتمعها الأم إلى أكثر من مجتمع . وتنشأ تلقائياً كأي ظاهرة اجتماعية أخرى ، وذلك بسبب الاتصال الحضاري عن طريق الترجمات ونقل المعرفة وبسبب الاتصال الاجتماعي عن طريق الاسفار والهجرة .

ويفاد من دراستها وبحثها في التعرف على تاريخ الكلمة في نشأتها وتطورها وتطورات هيئتها وتقديرات مضمونها .

وقد تُوفّر جملة من معجمات بعض اللغات على التعريف بها كالإنكليزية في مثل Webster's International Dictionary وكالفارسية في (فرهنك نفيسي) .. غير أنها لا تجد مثل هذه المعجمات في اللغة العربية مع توفر جملة من معجماتها على التعريف بالدخيل أمثل : معرب

- 10 - امبراطور Emperor - اللاتينية .
الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 11 - بنك Bank - الابطالية القديمة .
الفرنسية . الانكليزية . الفارسية . العربية .
- 12 - كاش Cash - اللاتينية . الابطالية .
الانكليزية . العربية .
- 13 - بلاتين Platinum - الاسانية .
الانكليزية . العربية .
- 14 - ماركة Mark - الالمانية . الانكليزية .
ال العربية .

وكنموذج تطبيقي نأخذ مثلا واحدا من الكلمات العربات المتنقلة ، هو كلمة (كعك Cake) المربدة عن الفارسية ، وهي من المربد القديم الذي يمتد في تاريخه الى اوائل المصر العباسي .

فانتا عندما نرجع الى تاريخها في لفظها الانكليزي (كيك Cake) نجد انها انتقلت من اللغة التراثية القديمة الى اللغة الالمانية القديمة ، ومن الالمانية القديمة انتقلت الى اللغة الانكليزية ، ومن الانكليزية انتقلت الى العربية بلفظها الانكليزي (Cake) وراحت تستعمل الى جانب لفظها السابق المربد عن الفارسية (كعك) وفي معنى آخر يشبه معناها السابق .

وهذا الاختلاف جاءها - فيما اخال - من انها سلكت في دخولها الى اللغة العربية طريقين : طريق الفارسية قديما وطريق الانكليزية حديثا ، واخضعت في اولهما الى اصول التعریب فتحولت الى (كعك) ، بينما لم تخضع في ثالثهما الى تلکم الاصول فبقيت على لفظها الانجامي (كيك) ، وربما عاد ذلك الى التفرقة بين معنیي استعمالها والى ضعف الالتزام باصول التعریب .

وفى ختام حديثي هذا اعود فأقول : ان هذه الظاهرة تتطلب كثيرا من العناية في دراساتنا اللغوية وبخاصة المعجمية منها لما ستلقيه من الاضواء على الكثير من المسائل والقضايا اللغوية بمختلف حقوق اللغة وفروعها .

اما في دراسة تنقل اللفاظ ف مجالات الدراسة كثيرة ، منها ما تحت اليه اعلاه ، ومنها الكشف عن قابلية الاستيعاب في لفتنا وقوه الهضم والتomial وسعة التفاعل مع اللغات الاخرى اخذا وعطاء مما يجعلها مرتفعة الى مصاف اللغات الحية المرنة ، التي اكتسبت صفة التقدم نتيجة التأثير والتآثر والتبادل اخذا وعطاء .

ولعلنا في ضوء ما نراه من توسيع كبير في الدراسات اللغوية المقارنة يجعلنا نتوقع صدور مثل هذا المعجم الذي يعني بتاريخ الكلمة العربية المستعربة او العربية عن قريب بذن الله تعالى .

وكمثلة اضع بين يدي القاريء الكريم انسامة صفيرة من الكلمات العربية المتنقلة التي اندتها من بعض المعاجم الانكليزية وبخاصة المعجم المذكور اعلاه ، وبمساعدة زميلي السيد جورج يول George Yule استاذ اللغة الانكليزية بكلية الآداب - جامعة الملك عبد العزيز الذي يسر لي كثيرا مهمة الرجوع الى المعاجم الانكليزية . والكلمات هي :

- 1 - موسيقى Music - اليونانية .
اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 2 - مفناطييس Magnat - اليونانية .
اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 3 - كريستال Crystal - اليونانية .
اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 4 - نرجس Narcissus - اليونانية .
اللاتينية . الانكليزية . الفارسية . العربية .
- 5 - بولييس Police - اليونانية .
اللاتينية . الفرنسية . الانكليزية . الفارسية .
العربية .
- 6 - كلية College - اللاتينية .
الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 7 - بروفسور Professor - اللاتينية .
الفرنسية . الانكليزية . العربية .
- 8 - ليمون Lemon - اللاتينية . الفرنسية .
الانكليزية . العربية . الفارسية .
- 9 - صراط Street - اللاتينية .
الالمانية القديمة . الانكليزية القديمة .
العربية . القديمة .

مَظْلِهِ حِرَابُ التَّحْتِ

الأستاذ محمد بن تاویت

اما ابدال تلك الهاء « المخفى » كما يسمىها الفرس ، قافا ، فذلك ما كان مطردا في العربية ، كما كان مطردا ايضا ابدالها جميعا ، كما في الكلمة « برنامه » التي أصبحت برنامج ، وقد عقد سببوبه في كتابه فصلا سماه « باب اطراط الابدال في الفارسية » فذكر من هذا كوسه وموزه وكربق وقربيق ، الى غير ذلك من الكلمات ، التي يكتفي فيها بهذا العناء العربي في نهايتها ، اعني الجيم او القاف .

وطبعا انهم لا يقللون الحروف التي لا يستعملونها ولا يالغون اجراسها ، فالحرف P ينقلب باء او فاء ، والحرف G ينقلب جيما غالبا ، والحرف V ينقلب واوا في الفالب كذلك .

وبعد هذا لابد من انسجام في الهيئة والامتداد، فتبديل بعض الحركات بغيرها او تحذف بعض الحروف التي تتعذر الكلمة طورها في العربية ، ان لم تحذف منها تلك الحروف ، في الفالب ايضا ، ولم يتتحموا هذا للاضطرار ، بل اخذوا الكلمة « جلاب » وهي ماء الورد .

وهكذا كانت مشكلة التعريب في القديم ، مسألة التعليم بمدلولنا ، ولم تكن مشكلة التعريب كما فهمنا ، فالقضية تهدى لفهمي بوسائل في غاية البساطة .

لما ترجمت العلوم الى العربية ، اتخد فيها ما كان معهودا من ذي قبل ، فقيل ، فلسفه في

كثيرا ما فلنا ان التعريب كان منصب على الانفاظ ، بينما التعريب الان منصب على المعانى فما معنى هذا الكلام ؟

معناه ان العربي ، كان اذا جلب كلمة او جلب اليه ، يستفني بالباسها لباسه العربي ولو بخطاء الرأس مثلا او الحذاء

جاءته الكلمة « كروان » بمعنى اتفاقلة ، فقال فيها قروان ، وغطى راسها بالالف واللام فاصبحت القرروان او القيرروان ، وبذلك صارت الكلمة تتمتع بكل الحقوق التي تتمتع بها الكلمة العربية في اعرابها ، فلا تمنع من الصرف لعلة الجمة ، لأنها قد ارتفعت عنها بهذا العقال ، الذي هو هنا الف واللام ، كما حدث في الهند والصين والروم والترك.

سمع النبي عليه الصلوة والسلام ، من سلمان الفارسي ، الكلمة خندق فاستفسره عن معناها ، وهي اسم مفعول ، من كندين الفارسي بمعنى الحفر ، وكانت كنده ، وعربت بأن ابدلتها الهاء التي لا تنطق قافا ، فصارت خندق ، فتقبلها النبي ولم يأتف من استعمالها بل اشتق منها خندقوا ، فسميت الغزو بغزوة الخندق .

ولعل الكاف كانت في النطق تعيل الى الخاء ، كما هي في اليونانية والعبرية ، وهي ما تسمى عند مقرئي المغرب بالكاف الموس ، ولهذا نطق خندق .

كل ما في طاقتها من قوة فهل العربية قادرة على هذا؟

نعم ، هي قادرة ، لو مكنها من قدرتها ، نفسها بطول الأنفاس ، إن لم تكن فيها .

والعربية ، إلى جانب احتمالها للالفاظ ، تحتمل كذلك ما نطلبها من معان فيها ، إن كلماتها لا تنفد . بما فيها من اشتراق وخيالها بحمد الله خيال خصب ، يسعفها بالتشبيه وما ينشأ عنه من استعارات ، وبسعفها بهذا التداعي الذي تتولد منه الكتابات ، ولا يخل عليها استعمالها العتيق ، بهذه المجازات المرسلة . ثم النحت .

لقد تقدمت في الاشتراق ، الكلمة « خندقاً » من الخندق ، ولنا أن نزيد على هذه الصيغة كل الصيغ المعروفة في المادة العربية نفسها ، فتسعننا في الأفعال بتنوعها وأوضاعها ، وتسعننا في الصفات بتنوعها كذلك وأوضاعها ، وتسعننا في أسماء الرمان والمكان والمصادر على اختلافها ، كما تسعننا الكلمة العربية ، عند الحتاج إلى نسخها من أولاً واحفاد

هذا الاشتراق الطليق، لا نجد في غير العربية ونجد أمثلة من الباقي في غيرها ، مثل ما نجد في الفارسية والتركية والفرنسية ، إزاء البطاطا ، حيث شبهتها جميعاً بالتفاح الذي أضافته إلى الأرض ، فقالت الفارسية « سبب زمین » والتركية « ير الماسى » والفرنسية Pomme de terre

وسمت الإسبانية ملابس العمال ، ذات القطعة الواحدة « Mono » اي قرد ، كما سمت الآلة التي ترفع بها جوانب السيارة باسم « Gato » اي الهر ، لأنها تتشبب مخلبها في جانب السيارة ولم تائف ان تسمى بالبق « Chinche » الميمرات التي ثبت الورق ونحوه .

وقالت الإنجليزية للقطار السائر تحت الأرض Underground اي تحت الأرض ، مجازاً مرسلًا ، كما استعمل هذا المجاز المرسل في نحو « سنديوثش » « Sanduch » و« كرافاط » « Cravate » وكان الأصل في هذين أنهما اسمان لرجلين استعملاهما .

وأمعن الالمان ، كما نمعن نحن في الأشياء لستخرج أسماءها ، بدقة وطبق الأصل ، فسموا « الهيدروجين » باسم Wasserstoff

Philosophia وفياسوف Sofisikae Kategoria والسفسطة Isagoge قاطيفورية وغير ذلك من الكلمات اليونانية الأصل ، ولم تجد العربية الفسيحة الصدر في هذا حرجاً او احراجاً ، وقد وجدنا الإبهري من رجال القرن السابع يؤلف في المنطق رسالته « ايساغوجي »

Taos	كما عربوا الطوس من
Zone	والزنار من
Kassitoros	والقرديسر من
Ibrizón	والإبريز من
Diáblos	وابليس من
Thériaka	والتریاق من
Chartés	والقرطاس من
Genos	والجنس من
Esthlós	والاثير من
Gramaatika	والاجرومیة من
Asfaltos	والزفت من
Karyofyllon	والقرنفل من
Gypsos	والجبص من
Staflinos	وصطفلينة من
Sotolos	والاسطول من
Astron-lambauo	واسطرباب من
Drachmē	والدرهم من
Kados	والقادوس من
Atlas	والاطلس من

ولا شك ان كلمات من هذه عرفتها الجاهلية ، كالقرنفل والدرهم وابليس ، ولكن معظمها لم يعرف الا عند الترجمة ، ولا يعزب عن البال ، ان كلمة الاجرومیة ، ليست منسوبة الى ابن آجروم المغربي ، كما يتوهם ، فان القضية اتفاقية ، وكثيراً ما يقع هذا الاتفاق في اللفات .

هذه أمثلة بسيطة ، اذا كانت الحياة على نمط من البساطة ، أما الان فقد تعقدت الحياة وتعاقتبت المخترعات وأزدحمت في هذه الدنيا المخلوقات ، فأصبحت وكأنها دار سكنتها عائلة واحدة ، لابد من التعارف التام فيها والاتحاد في مدلولاتها ومزاولتها كل فرد منها ما يزاوله الآخر

فصارت مسؤولة اللغة شاقة ومتطلباتها كثيرة ، وعليها ان تقوم بأعباء ذلك وعليها ان تستنفذ

يتصل بالوصف ، وتسجيل خطوات اللغة . و موقفها من طبيعة الاشياء ، فكان منها بعض اللمحات عن موضوعها هذا ، مثل « باب الحكمة التي لا تغير فيها الاسماء عن حالها » فالتركيب اذن معروف بين كلمتين عند النحوة ، قديماً وحديثاً .

اما النحت بهذا الاسم فقليل ما يتعرض له النحويون . ومن هؤلاء الخضري ، اذ يقول فيه « وهو ان يختصر من كلمتين فأكثر ، الكلمة واحدة ، ولا يشترط فيه حفظ الكلمة الاولى بمعناها بالاستقراء ، خلافاً لبعضهم ، ولا الاخذ من كل الكلمات ، ولا موافقة الحركات والسكنات » .

وبهذا نعم كلمة النحت في تركيب الكلمة من كلمتين وفي اختصار الكلمة من كلمتين او أكثر ، والنوعان معاً موجودان في العربية ، وفي جل اللغات غيرها ، وان كان بعض منها يميل الى التركيب اكثر مما يميل الى الاختصار ، على عكس العربية . كما سترى :

تقول العربية « البسمة » و « الحمدلة » و « السبحة » و « العوقة » و « السمعلة » ، من قولنا : « بسم الله » و « الحمد لله » و « سبحان الله » « ولا حول ولا قوة الا بالله » و « السلام عليكم » ، كما تقول « الهيللة » و « الحيعلة » . ويزعم ابن فارس ان كل ما زاد على ثلاثة فقهه نحت وتقول « التجيد » كما تقول غيرها من جمل عديدة ، ونشتقت من ذلك الاعمال وغيرها مما يشتق من كل مصدر ، وهذا ايضاً مما تمتاز به العربية وتفضل على غيرها ، فان باقى اللغات ، تستعمل هذا النحت في حالة معينة ، تستوجب منها هذه العملية ، وتفقد عند هذا الحد ولا تتعداه غالباً فهي في ذلك تلتزم ما التزم - غالباً - في اسماء الاعمال والاصوات من العربية ، وهذا الباب ايضاً ، مما توسعنا فيه العربية ، بخلاف غيرها .

مثلاً ، نجد الالمانية تمن في حقائق الاشياء ، وتحاول ، مثلاً ، ما امكنتها الحيلة ، ان تدخل المعاني الى لفتها ولا تدخل اليها اللفاظ ، سواء منها ما كان مفرداً وما كان مركباً ، فمن المفردات ، نجد كلمة التاريخ ، غير مستعملة عندها ، كما هي في باقي اللغات الاوربية ، بل اشتقت لها من مادتها الالمانية كلمة سرد *Geschichte* ولكن المؤرخ *Historiker* والوصف *Historisch* فهي اذن لم تبق حرة طيبة وكذلك الامر في المركبات ،

فركبوا الاسم من كلمتين *Stoff* اي جوهر ، و *Wasser* اي ماء ، فصار الاسم هكذا ، الجوهر المائي ، او جوهر الماء (كما في الفارسية والتركية مولد الماء)

وقد كلفهم هذا الاعتزاز كثيراً من العناء . اضطروا معه ، الى تركيب اسم لم يسم واحد من كلمتين او كلمات ، في بعض الاحيان ، فلا يكتفون غالباً بالنحت ، الذي نجده في جل اللغات ، ومنها العربية .

وقيل ان ناتي بامثلة من العربية لهذا النحت . نرى ان نقف وقفة قصيرة ، عند اصله اللفوي . فالتناحت اصله ، النثر والقشر والقطع في الصلب من الماد ، كالخشب والحجر ونحوهما . وقد يكون هذا من قطعتين ، كما ينحت التجار ، خشبيتين ويجعلهما قطعة واحدة ، كما يكون من قطعة واحدة ، وهو الاصل ، كالنجية التي تنحت من جذم شجرة ، على هيئة الجب للنحل ، وهذه النجية هي المعروفة عندنا باسم الجباج ، ومن هذا قول الاعشى :

الست منتهيا عن نحت أللتنا
ولست ضائعاً ما اطت الإبل

اما النحت في الحجر ، ف منه قوله تعالى « وتنحتون من الجبال بيوتاً فرهين »

هذا ما يتعلق ، باصل المادة من اللغة .

اما معنى النحت في الاصطلاح ، فهو صوغ كلمة من كلمتين فأكثر .

ويدخل في هذا التعريف ، تركيب الكلمة من كلمتين ، مما تناوله النحوة ، في عدة ابواب من كتبهم . وفي الالغية نجد التعرض للتركيب المزجي ، في باب العلم ، وباب ما لا ينصرف ، وباب النسب ، كما نجد الاشارة الى المركبات عامة في ابواب غير هذه .

وجملة القول ان النحو تعرض للمركيبات من الاسماء الا ان تعرسه هنا كان مجرد الاحكام النحوية والصرفية الواجب تطبيقها عليها في الجملة .

نعم ان « الكتاب » لسيبويه لم يقف عند تطبيق الاحكام ، بل وقف عدة وقفات ، كان منها ما

فهي في التصريف وال نحو، وضررنا لذلك أمثلة باللغات الأجنبية ، وهي تم الجميع .

ومن تلك الأمثلة ، ادركنا انه لا حدود فاصلة تامة بين النوعين المذكورين ، فقد تدعوا الفرورة، فلا تجد من يسعفها الا وسائل الترف ، وقد لا تكون هناك ضرورة ، ومع هذا تستعمل وسائلها . وبذلك ينشأ الترافق ، كما ينشأ بالترف والمغرب وتعدد اللهجات . ومن المفيد أن نأتي بعض الأمثلة التي هي في العربية مقابلة لتلك التي ذكرناها من غيرها .

فمن الإضافة وجدنا قوس قزح واكسير الحياة ، وحب العزيز في مصر ، وحب الملوك في المغرب ، ودار الصنعة ، وبيت المال ، ودار الثقاف بالغرب . ومن النسب : اليماني والهندي في الغصي ، وفي معناه الجديد في عاميتنا ، كالكونية والوزانية فيها ، والمليبية بالشرق والنصرية بالغرب ومن الاستفاق ، كالنشيرة ، بمعنى ما يعرف الآن باسم « الفاتورة » ويصبح ان نضع فيها « النفالة » أيضا ، وكلتاهم للفعلية والأخيرة « التفولة » . ومن الاستعارة كيد الدهر ، ورأس الكلام ، ومرأة الحياة ، وشباب الزمان ، ولحن السعادة ، ودمدة الشقاوة ، و « طعام الايثم » و « العزيز الكريم » تهكما . ومن المجاز المرسل ، شرب الكأس ، (ولا يأس بالجري Jersey) والتلائم مع الدار ، وجعل الاصابع في الاذن وعصر الخمر ، والبرتقال للفاكهه المعروفة، ومن الكتابة اهل الحجر والدر والوبر، وبيت الماء، وأهل الدار، وعرس القفاء للحمار، كما في حديث من فهم الخطط الایض و الاسود على الحقيقة ، وريق النحل ، والتكتفف وخفة اليد ... أما التشبيه ، على ما هو عليه ، فلا وجود له ، فيما نعلم بالعربية ، ولكن خايل التركي استعمله كثيرا ، في مختصره المعروف ، وقلما يخلو منه باب من أبوابه ، وهذه أمثلة قليلة من ذلك : « بكمالعزمى » في اليمين ، « في كسبيل الله » بالتلدر « من كفاعة » في الجهاد ، « في كافريقيه » بالتكلح « لا بكماعtrap » في الخيار منه ، « من كابل » في الصداق ، « عند كامها » في تناح التفويف ، « على كجدار » في وليمة البناء بالعروض ، « ولو بكتقويم » في الطلاق ، « وان بكارحرام » في الارتجاع ، و « بكمشيتها » في الظهار ، و « وفي كالثلاثة » - الايام ، وفي التطوع او غيره ان خرج - « الكرياط » فهذا مثالان وردا في رفع زوجة المفقود، و«بند بكمباء»

ونقدم انها سمت « الهيدروجين » باسم أصل الماء او Wasser الماء ، هكذا Wasserstoff ماء Stoff ومادة باصل الكلمة اليونانية hudór أي ماء : و gen اي اصل من مصدر genna-ein فحلت مشكلتها ووقفت عند هذا الحد بالرغم من ان لها في لغتها رواقة عديدة ، حيث انها تحتوي على عدة لهجات تفيها عن غيرها غالبا .

ومهما يكن ، فانتنا بقصد العربية ، ومويقها من عملية النحت الذى عرفه ابن فارس بقوله « تؤخذ كلمتان وتتحت منها كلمة آخذة منها جميها » فقد رأينا انها تجمع بين الطرفيتين فيه ، والقديمي حاويا احصاء المنحوت في العربية ، فوقف بعضهم عند بضعة عشر من امثلته ، وآخرون لم يتعدوا او لم يصلوا بها الى المائة .

غير ان ابن فارس جرى بعملية النحت اشواطا ، قارب بها نحو الألف ، حيث يرى ان اكثر الرباعي والخمسى منحوت من كلمتين .

والواقع ان هذا العدد لا يعنينا بقدر ما يمكننا من الحرية في عملية النحت ، الذى أصبحت الحياة المعقّدة تاج علينا فيه ، واصبحت الاجناس البشرية ، تتقارب فيما بينها وتكون لها مجتمعات على مستوى الدول عامة او على مستوى جماعة منها او على فكرة من الافكار ، بعد المخترعات العديدة ، التي قد تتطلب مئات الاشياء وآلاف الادوات ، وكل ذلك لابد من تسميتها مركبا بعد ان كان مسمى مفككا او على افراد اجزائه ، فكان الاتوموبيل والتيلفون والتلفراف ثم التلفزيون والنيلون ، هذه الاشياء تعد من ابسط ما واجهنا به النحت ، كما واجهنا بالديمقراطية والديكتاتورية والنازية ونحوها ، وكانت اليونسكو والمخترعات الكيماوية مما وجدت لها حل في اللغات ، فكيف بنا الان امام المخترعات الفضائية التي تتألف من مئات الاشياء وآلافها ؟

وعلى كل حال فانا من استعراضنا للوسائل التي تستعملها العربية في تعبيرها ، وجدنا منها ما استعمل ترفا ، كالتشبيه والمجاز عموما وكالكتابية ، وما استعمل بداعي الحاجة ، كالإضافة والنسب والاستفاق الذى يطبق على هذه جميها ، كما يطبق على غيرها فيما سترى وعلى العموم فقد دخلت الاولى في منطقة تجميل الكلام ، وهي « في البلاغة » ، ودخلت الباقي في ضروريات الكلام ،

يُكَن مناطِ الدلَّالات ، بمعنى أنهم أقرُوا ببعض العمومات في دلالاتها اللغوية وإن خصصوها في أحكامها الفقهية، فجاءتها هذه الأخصوصية بنحو الاستثناء الذي أجاز فيه أبو حنيفة وغيره أن يتأخر عن المستثنى منه بمدة السنوات ، أو نحو الصفات التي تقصُّر الأحكام على موصوفاتها ؛ وهكذا مما يطول الكلام فيه ، وحسبنا أن نجد له نماذج في باب اليمين بمختصر خليل عند قوله « وخصمت نية الحال وقيدت » إلى آخر الباب وفيه أيضاً تعليم للخصوص والعام الذي أريد به الخصوص وهو الغالب .

ثم كان انبلاغيون والمنافقون يعالجون هذا النوع من التوسيع ، فالبلاغيون حينما امعنوا في المجازات المرسلة وجدوا من نماذجه ما يتصل بهذا المجاز ، لدرجة أن نشا الخلاف بين الأصوليين فيه ، هل هو جميعاً من قبل المجاز هذا ؟ والمنافقون نظروا إليه وهو يقوم بمهمة الدلالة اللغوية ؛ فكان تناولهم فقهياً لغويَا في الصميم : كما نجد في السلم اذ يقول :

دَلَالَةُ الْفَظْوَ عَلَى مَا وَافَقَهُ
يَدْعُونَهَا دَلَالَةُ الْمَطَابِقَةِ

وجزئه تضمناً وما لسْرَم
 فهو التزام ان يعقل انتزَم
وقد توسيع فقه اللغة الحديث في هذه الدلالات وسلط عليها الاستقراء التاريخي والتطور الاجتماعي والجنسي وهي على كل حال خاضعة لهذا الحصر المنطقى .

ومهما يكن فالعربية عرفت في الجاهية هذه النماذج التي تتراوح بين التخصيص والتعيم ، وتوسيع فيها الإسلام فالشهادة والصلة والزكارة والصوم والحج والعطارة والوضوء والكفر والإيمان والشرك والجهاد والتکبير والتحميد والركوع والمسجدود وغير هذه من مئات الكلمات التي جدت دلالاتها في الدين الجديد ، كلها من هذا القبيل .

وقد ألف الراغب الأصفهاني كتابه القيم « مفردات غريب القرآن » فارجع هذه المفردات إلى عموماتها أو خصوصاتها في أصل الاستعمال اللغوي، الذي لم يقطع الاستعمال الجديد في الإسلام صلاه بالقديم فيها .

فهذه الصلاة والزكاة والطهارة ، نجدها في آية واحدة تمد يدها إلى عمومها فتقول « خذ من أموالهم

في الطعام المباح ، وهو كثير جداً . ويكلف الشراع تأويلاً يدعونه بحذف المعموت والواقع ، إن الصنيع التركي ، هو الذي شجع هذا التركي العظيم على استعماله ، المذكور ، وهو الذي جعل شوقي التركي يقول :

وَدَخَلَتْ فِي لَبَلَينْ فَرِعَكْ وَالْدَجْسِي
وَلَثَمَتْ كَالْصَّبِيجَ الْمَسُورَ فَسَكَ

فهذا التشبيه « كالمسور » هو المعمول به على الحقيقة ، كما ان ما قام مقامه ، في قوله : « ما يشبه الاحلام » هو الفاعل في البيت :

يَا جَارَةَ الْوَادِي طَرِيبَتْ وَعَادَنِي
« مَا يَشْبِهُ الْأَحْلَامَ » مِنْ ذَكْرِكَ

وكذلك نجد لشوقي هذا الصنيع في نحو قوله :

وَلَا يَنْبَيكَ عَنْ خَلْقِ الْبَالِسِي
كَمْ فَقَدَ الْأَحْبَةُ وَالصَّحَابَا

فقد جعل الفاعل هنا ، المشبه به أداة التشبيه ، ولا شك أنه نظر في ذلك إلى قوله تعالى : « ولا ينْبِئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ » .

فالفاعل في الواقع المشبه به أداة التشبيه « مثل » أذ هي في المعنى لا تستقل بنفسها ، وأن كانت في الصناعة فاعلاً بنفسها ، مما أهلها في التركيب العربي ، لما لم تؤهل له كاف التشبيه .

ولكن غير شوقي وخليل ، إن احتاج إلى هذا التشبيه ، احتال عليه ، فقال : « ذهب الاصيل » و « لجين الماء » و « حمار الشيخ » ونحو ذلك ، مما أضيف فيه المشبه إلى المشبه ، وقد استعمله جداً ، ابن خفاجة ، زيادة على الصورتين الاوليين خصوصاً في قصيدة له مطلعها :

يَا رَبَّ لِيْلَ بَتَّهِ
وَكَانَهُ مِنْ وَصْفِ شَعْرَكَ

ومن الوسائل التي توسيع بها اللفظات في دلالتها ، وسيلة التعيم والتخصيص ، فالخاص يستعمل في المعنى العام والعام يستعمل في المعنى الخاص .

وقد تنبه الأصوليون وعلى رأسهم الشافعي إلى هذا في النصوص الشرعية بصفة خاصة ، إلا أنهم توسعوا فيه ، حيث كان قصدهم مناط الأحكام ، ولم

نعود الى هذا العام الذى خصص فى غير العربية ، لنقارن بين طبيعة المتخصص فى العربية والمتخصص فى غيرها فكلمة Avion فى الإسبانية وغيرها ، وكلمة Aviación فيها وفي غيرها ، تقابلان ما تخصص فى العربية بالطائرة والمطار ، بضم اليم ، كما سنرى .

وهنا تقف غير العربية ، فليس فيها طيار مشتق من Aviar بل فيها Piloto ونحوها ، بما لا علاقة لها بمادة الطيران ، بل هو من العام فى الجو والبحر والارض ، وان كان قد اشتق له فيما مضى Aviador فى الإسبانية ، ونحوها ، و Aviator فى الانجليزية كذلك ، الا ان الاستعمال الان جنح الى المعروف يكونه يعم القائد والمرشد فى السماء والارض والبحار ، وقد بدأت العربية تجاري هؤلاء فى هذا الانحراف عن المادة الاصلية ، فصارت تسمى الطيار ، ربان الطائرة او ملاحها . ولا لزوم لهذه المجازة ، خصوصا وانها تستبدل بالكلمة الواحدة ، وهي الطيار ، كلامتين ، وهما ربان الطائرة او ملاحها ، زيادة على ان العربية لها فضل السبق فى خلق كلمة طيار للأدمي ، وقد مضى عليها اربعة عشر قرنا ، منذ لقب بها الشهيد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .

نكتفى بهذا المثال ، مما هو فى غير العربية من العام المخصص ، وتوجه الى مقابله ، الخاص المعم .

فمن ذلك كلمة الرائد ، فقد اشتق هذا من الورد الى الماء خاصة ، ثم تعمم بالاتيان الى كل مطلوب ، وكان الرائد الذى يتقدم قومه فى السفر ليهدىهم الطريق ، ومنه الرائد لا يكذب قومه ، بل صار الورود عاما فى كل آت مادي او معنوي حقيقي او مجازي ، مثل ورد فلان وورد الخبر علينا وورد الماء والتيار الكهربائي او الضوء ان اردنا .

ومن ذلك كلمة الاستنباط ، فقد كانت خاصة بعمل النبط ، وهو استخراجهم للمياه ، الذى مهروا فيه ، كالفيلايين فيما مضى عتنا ، ثم صار كل استخراج للمياه يدعى استنباطا ، ولو لم يكن المستخرج نبطيا . ثم زاد التعميم فى كل استخراج للمياه وغيرها ثم تعدى هذا الى المعنويات ، ولا زمها حتى اصبح او كاد يتخصص بها فيقع له ما سيقع لرواد الفضاء ، فيطلق عليهم رواد بدون هذا القيد .

ومن ذلك كلمة ماهية التى دخلت الى العربية من « ماه » القمر فى الفارسية ، وهي بمعنى المرتب

صدقه تطهرهم وتزكيتهم بها وصل عليهم ، ان صلواته سكن لهم » .

والكفر نجده يستعمل فى معناه من الستر ، فعم الزراع لسترهم البذور ، ولهذا وردت الآية « كمثل غيث اعجب اكفار نباته » اي الزراع ، ومن هذا الستر تكفير السينات الذى ورد منه فى القرآن عشرات من الآيات ، مثل « كفر عنهم سباتهم وأصلاح بالهم » ومثل « ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا » ومن العجيب ان نجد هذا الستر فى الكلمة باللغات الاوربية ، فى مثل Cover الانجليزى و Cubrir الاسبانى ونحو ذلك فى اللغات الاخرى من اللاتينية كالإيطالية والرومانية وغيرهما .

ومن الكلمات التى صارت تجنيح الى المتخصص كلمة الانقاد ، فهي كذلك فى العربية وكذلك اختها Critic فى غيرها وهكذا العربية استفادت من التخصيص فى عصرنا ، كما نجد ذلك فى تسمياتها الطيارة والدبابة والفوامة والعاومة والمدمرة والمدفع والحائلة والشاحنة والجرار والجراف والسيارة والدراجة والاسعاف والامن والنظام والاستقرار والمخبر والساعي والتاجدة والانتقاد والامين والشوكة والسكنينة ، وغير هذه مما يجد باطراد مستمر ، وقد يشتق من بعض هذه ، كالطيار والمطار ، كما اشتق من المطبعة الطباعة وغيرها .

فهذه كلها معان جديدة ولدتها ان التخصيص لهذه العربية ، ولا افهم مطلقا من يقولون ان دلالات الالفاظ فى العربية لم يطرأ عليها تغيير بهذه القوله تسيء الى العربية ولا تشيد بفضلها .

بل ان التطور فى الدلالة ، حاصل حتى فى هذا المتخصص . وهذه الكلمة نفسها ، وقد جاءت عفوا فى عبارتنا تطورت فى مدلولها بما كانت عليه بالامس ، فكلمة « المتخصص » الان لها مدلول لم يكن يعرف على ما هو عليه عندنا ، فهذا متخصص فى فقه اللغة العام وهذا فى فقه اللغة الخاص ، بالمقارنات او الاشتراكات او التاريفيات او ما الى ذلك من نوع الدراسات اللغوية وهذا متخصص فى امراض الكلى وآخر فى ليس المظام وآخر فى الجهاز الهضمى او البولي او السمعى او التنفسى او ما الى ذلك من الاجهزة الكثيرة ، زيادة على المتخصص فى الاسنان والعيون ، مما اصبح مستقل بنفسه تمام الاستقلال ، وسيأتي يوم يتخصص فيه طبيب الاستئنان بالفك الاعلى ، وآخر بالفك الاسفل ، وطبيب العيون ، بالغين اليمنى وآخر بالغين اليسرى ، وطبيب الان كذلك .

اصبحت من بعد لون واحد
وهو لونان وفي ذاك اعتبار
ومن المساء ، كذلك ، مما نجده في قول أبي
تمام :
وما كان الا مال من قيل ماله
وذخرا لعن امسى وليس له ذخر
ومن الفدأة كما في قول الفند الزمانى :
مشينما مشينة الليث
غدا والليث غضبان
ومن الضحى ، قول عمر بن الخطاب : « اضحوا
عباد الله » اي صلوا بالضحى
ومن العشاء ، قول الحطيئة :
مني تانه تعشو الى ضوء ناره
تجد خير نار عندها خير موقف
نعمى تعشو تراها ليلا وتصدتها فيه عشاء .
ومن القائلة ، الحديث « قيلوا فان
الشياطين لا تقليل ».
ومن الليل ، قول ابن حبوب الفاسى :

والكل فى علم الامام مقصر
حسب المبرز منهم ان ليلا

وقالوا كذلك : البيل فلان اذا دخل في الليل ،
والليل الكروان ، لتفريده ليلا ، ولهذا اسمه
بالإنجليزية Nightingale في فيها هذا الاشتراق من
الليل كذلك ، كما اشتقت من الصباح Morning
واشتقت الإسبانية من الصبح Madrugar فالاول
من Morn والثاني من Madrugada التي يرادفها
Alba وهو أول ضوء للنهار ، كما اشتقت الإنجليزية
من المساء ايضا Evening فهو مشتق من
اي انتصاف النهار ، ونحوه موجود في الإسبانية ،
وان كانت قد جنحت به الى معنى ما تؤديه « ظل »
في العربية ، وهو تطور في الدلالة ، من القيد الى
الاطلاق ، او من التخصيص الى التعميم ، كما حدث
في العربية ، للافعال السابقة ، أصبح وأمسى
واضحى وحتى غدا ايضا ، فصارت من الافعال
الناطقة ، وهي في تلك الامثلة السابقة افعال تامة ،
والا لما دخلت واو الحال على ما ندعوه خبرا في
غيرها ، كما رأينا ، وكما في قول الفند المذكور :

الشهري ، ثم أصبحت تطلق على كل مرتب ، شهرية
كان أم غير ذلك .

ونظيره كلمة مشهرة التي دخلت الفارسية من
العربية بمعنى المرتب الشهري ثم صارت تطلق على
كل مرتب شهريا كان أم غير شهري .

ومن ذلك الكلمة كفل ، وقد جاءت الى عفوا ،
فوجدت أصلها خاصا بالكساء الذي يوضع على ظهر
البعير فيعقد طرفاه ويلقى مقدمه على كاهل البعير
ومؤخره على عجزه ، فالاكتفال غير الاحلاس ، كما في
الامثال ، ثم قيل تكفل الحمار ، اذا حلق ثوبا على
ظهره وركبه ، ثم اطلق على كل اشتغال مادي ، ثم
معنوي كالنفقة والقيام بالاشتاء عامنة ومضاعفة
الجزاء ، وصارت الكلمة تجتمع الى المعنيات فيقال
تكفل فلان بالأمر ، اذا تمهد القيام به .

وهكذا تعمم الكلمات في مدلولاتها التي كانت
خاصة ، بالكثره التي جعلت اللغوين ، يدعون أن
الكلمات في نشأتها كانت خاصة ، وما تعممت الا
أخيرا ، حيث ارتقى الانسان ، فادرك الكلمات بعد
ادراكه للجزئيات ، وهو ما ادركه المناطقة عموما ،
فقد قال السلم مثلا :

من اوليات مشاهدات مجرمات متواترات

الى آخر اليقينيات التي نشأت من المشاهدات
هذه امثلة من العربية ، أما غيرها ، فكلمة
Arrive الانجليزية ، كان معناها الوصول الى
River اي النهر ، ثم صار معناها الوصول مطلقا
وكلمة Salary كان معناها النقود التي تصرف
لشراء الملح من كلمة Sal ثم صار معناها ما
يدفع للأجير او الموظف عامنة وصارت تجتمع الى
المرتب الشهري وهكذا نجد في عدد من اللفاظ
يصبح الخاص عاما ثم تدور الدائرة فيصبح هذا العام
خاصا في معنى جديد غالبا ولللغة كائن حي تشيبط
ومن هذه الوسائل التي توسل بها العربية في
توسيعها او يمكن ان تتسل بها الاشتراق من الزمان
والمكان فالزمان ، كالصباح والفتاء والمساء والعشاء
والضحى والقائلة والليل
فمن الصباح اشتقت العربية اصبح ونحوه ،
كما قال الاوفوه الاودي :

ومن الشام ، قول الشاعر :

سمعت بنا قيل الوشاة فاصبحت
صرمت جبالك في الخليط المشتم
ومن البداوة ، الحديث الشريف « من بدا
جفا » اي من سكن البداية اكتسب منها الجفاء
ومن المدينة ، قولهم تمدن فلان ، اذا سكن
المدينة .

ومن البلد ، قولهم أبلد بالمكان اتخذه بلدا
ومن الجنوب ، قولهم أجنب القوم ، اذا دخلوا
في الجنوب
ومن الشمال ، قولهم : أشملوا ، اي دخلوا
الشمال .

ومن الشرق ، قولهم : شرق فلان ، اذا اخذ
في ناحية الشرق .
ومن الغرب ، قولهم : غرب ، اذا اخذ في ناحية
الغرب ، قال الشاعر فيما :

سارت مغربية وسرت مشرقا
شتان بين مشرق ومغرب
وبهذا نرى العربية قد استفادت من المكان ،
استفادتها من الزمان استفادة واسعة ، وهو ما لا نجد
في غيرها ايضا كذلك فقد نجد في الاسبانية من
الاندلس Andaluzada و Andalucismo فالكلمة الاولى يراد بها المبالغات الاندلسية ، والثانية
اللهجة كذلك ومن قشتليلة Castillanizar ،
والمراد بها الاسلوب النسوب لكتيليا يلقن للاجانب
عنها ، فالاشتقاق اذن حصل بعد النسبة لها ولا تقاد
نجد هذا الاشتقاء في غير هاتين التاحيتين ، وطبعا
لا يتوقع ان يوجد شيء من ذلك في الانجليزية التي
تحترك في اشتقاءها بمساعدة فعل الكيتونة ، ان لم
يكن هناك مصدر تعمد عليه مباشرة ، وكذلك
الشأن في الالمانية والفارسية والتركية .

نعم ، قد سبق ان « Arrive » ماخوذ من
« River » ولكن قواميسهم في Etymology تذكر ان
الانجليز اخذوا هذه من الفرنسية بعد اشتقاق الكلمة
فيها

حقيقة ان الاسبانية اشتقت من الطريق فقالت:
Caminar من Camino ولكن الملاحظ في هذه
الحركة اكثر من الصيغة فيه ، ولهذا لم تذكره

فلما صرخ الشر

فأمسى وهو عريان
بل ان « ليس » التي ادعى فيها النصان دائمًا ،
وردت تامة ، كما في قول النابفة :
اذا ذهب العتاب فليس حب
ويبقى الحب ما بقي العتاب
وهذا بحث آخر ستناوله عند تناولنا للفة
في تراكيبيها ، اما الان فنحن بصفد مفرداتها
ومن الاستعارة بالزمان ، قولنا الفداء ، لطعم
الفداء ، والعشاء لطعم العشاء
ثانيا - المكان ، نقول : انجد فلان صار في
نجد

واسهل صار في سهل
وأجمل صار في جبل ، قال ابن حبوس الفاسي :
وتفجرت عين النهاية بعدما
قد كان خاطرها اكل واجيلا

اي انقطع ، والاصل فيه صعد في الجبال
واوكل فيها ، فانقطع خبره ، بل الوقل نفسه من
هذا ، فهو الحجارة ، وبذلك يكون من قبيل المكان
وأتهم صار في تهامة
وأيمن صار في اليمن ، وكذلك ، يامن
وعرض صار في المروض ، وهي مكة
المدينة ، والطريق في عرض الجبل ، قال عبد
يفسوث :

في راكبا اما عرضت بلفا
ندامي من نجران الا تلاقيا
وهكذا استفادت العربية من الزمان ، كما
استفادت ايضا من المكان ، فقالت اعرق وبدأ وتمدن
وغار وابلد واعمن وشام واجنب واثمل وشرق
ونجد .

فمن نجد ، وغير قول الاعشى :
نبي يرى ما لا ترون وذكره
أغار لعمري في البلاد وانجدا
ومن العراق وتهامة وعمان ونجد ايضا ، قول
العز العبدى :

فان تهموا انجد خلافا عليكم
وان تغمدوا مستحقيبي الحرب اعرق

« الطبولة » باسم طقططم Tomtom وتنسمة لعبة « البيتكبونك Ping-pong و Croquet ربما تكون كلمة « التراكتور » من هذا القبيل . وعلى فرض أنها مأخوذة من اللاتينية ، فإن هذه قد حاكت الصوت . فيما سمت به قديما ، وقلدت في ذلك حدثا . قل لي طالب إسرائيلي ، كان يحضر على درس الفارسية . أني ادركت تماما معنى كلمة « كرفتن » أي القبض والاستيلاء ، ولا شك أن ذلك كان في خفة وانتشال ، وهذا طبعا يفهمه الإسرائيلي أكثر من غيره .

الاساطير ، فنسمى طائرة من الطائرات ، مثلا ، باسم العنقاء ، أو آلة هلتة باسم الغول ، وقد نفلت هذه انجلترا فسمت الآلة الرافعية للانقلاب العظيمة باسم Bogey ومنها الغول ، وأخيرا وجدنا أميركا تلتجيء إلى اساطير اليونان ، فتسمى باسم الله الشمس وغيرها Apollo ثم تستعين بالارقام بعد ، فيكون أبواب واحد واثنين إلى خمسة عشر ، وهكذا دواليكم ، وهي التي سمت طائرتها المدمرة Phantom أي ببعض .

وقد يلعب الخيال ، فيصور الاشياء وهي لا ترى ، بصورة ما ، كدائرة السوء ، أو يضفي عليها لونا ، كالحمر الصفراء والسودين للتمر والماء او يجعلها تصيب كندا المجهول ، وهذا في الواقع من صنيع الشعراء ، واصحاب الخيال الخصب ، ولكنه اذا ما شهر صار يؤدي ما تؤديه الاسماء العتادة فمن منا يجهد فهمه في ادراك « صوت الضمير » و « دائرة السوء » التي جاءت في القرآن الكريم ، وأدركتها الافهام بلا كلفة او مشقة ، كما ادركت « رؤوس الشياطين » وقد جاءت في القرآن ، وأدركت « آنياب اغوال » في شعر امريء القيس :

أيقتلني والمرفرفي مضاجعي
ومسنونة زرق. كانياب اغوال

وبعد هذا كله فللة ان تخترع ، وهذا من علامات حويتها واستجابتها الى كل ما يجد في الحياة ومتطلباتها ، وقد جاء الاسلام بجديد فاحتاجت اللغة الى جديد في اللغة ، فاختبرت الفاظا قرآنية ، لم يكن العرب يعرفونها ، وخصوصا فيما يتصل بالآخرة من تصوير احوالها وعذابها او نعيم جناتها ، كالسلسلي ، والصعود ، وسفر ، وسبعين ،

في هذه الظروف المكانية ، وبعبارة ان الطريق ، كان بعد الطريق ، فهو مأخذ من الفعل لا الفعل مأخذ منه ، ومادة الفعل اوسع منه فهو فعل من الطرق بمعنى مفعول منه .

وبالجملة فالزمان والمكان لهما أهمية خاصة في العربية ، ولذلك الف المرزوقي الاصفهاني من رجال القرن الرابع واوائل الخامس كتابه القible « الازمنة والامكنة » وكان استاذنا المستشرق Paul Kraus اذا سأل احدنا عن هذا الكتاب ، فأجاب بأنه لا يعرفه ، ينحي عنه بالتجهيز والتقرير ، لأن مثل هذا الكتاب ، يجب ان يكون كل طالب في العربية على علم به واطلاع عليه .

ومهما يكن ، فاننا زبادة على تلك الوسائل التي ذكرنا ، لنا وسائل اخرى نعملها فيما يلي :

الالوان ، كتسمية نوع من الحيات ، باسم الاسود ، والسمية بالحمر ثعود ، والاعتماد على اللون ، نجده حديثا في مثل البطاقة الرمادية والبطافة الخضراء ، المعروقتين لكل سائق سيارة .

الاشكال ، كما هو معروف عند الموقتين ، في نحو « الربع الجيد » و « الربع المفتر » و « الربع المفتر » ، عند أصحاب الهندسة ، كالичесنات والمثلثات ونحوهما ، وقد تتعاون الالوان والاشكال والاموات ، مما حصل هذا في « الربع الاحمر » لاصحاب زيت لوسيور . وقد ذكر النحاة امثلة ذلك ، في نحو طاق للضرب ، وطق لوقع الحجر ، وقب لوقع السيف ، وساق حر ، لطائر ، قال الشاعر :

وما هاج هذا الشوق الا حمامة
دعت ساق حر ترحة وترنما

· وقد وقف فقهاء اللغة عند هذه الكلمة وقفه طويلة ، يعللون اشتقاها .

اما النحاة ، فعقدوا لهذا باب حكاية الاصوات ، كما ان اللغوين القديمي والحديثي ، والفلسفه في القديس ايضا ، استرعى نظرهم ذلك ، فكان منهم من ادعى ان الالفاظ اللغوية كلها ، انما نشأت حكاية للاصوات ، وهذا لا يعني ، ان كان صحيحا ام لا ، بقدر ما يستفيد منه ، وهو كائن في اللغة ، ويمكن الاستفادة منه ، وقد رأينا في اللغات الحية ، شيئا من هذا ، كما في تسمية

تلقي النظرة الأخيرة على ميدان التعرّيب ، يكون بهذا تلخيص ما تقدم وتبسيط بعض الجوانب منه ، بأمثلة منها ما يعيشنا ويسايرنا في تنقلاتنا اليومية ، ونحن في مضمون الحياة ومعترك الاحداث .

ولا شك ان امامنا مشاكل متنوعة في هذا المضمار وذلك المفترك . فهناك العامية ، التي يجب ان تأخذ بيدها ونسمو بها الى مستوى راق . بدل ان ننزل اليها من هذا المستوى الراقي ، وهنالك الفن ومذاهبه ، كما قيل ، فهو يصور الحياة في لوحاته الزاهية والشاجة والقاتمة ، برسومه وموسيقاه ، التي أصبحت تتطور مع الايام بادواتها واصداحها ، الى جانب ذلك الرسم الذي لا يقتصر على المشاهد ، بل اصبح يجاذب الكتابة ويرقى الى الرموز ، التي قد تعجز عنها الكتابة نفسها ، فهو يسبح في عوالم خارقة للعادات وهو يخاطب او يحاول ان يخاطب وجdanات ، بلغات لا تقوى عليها الكتابات والاصوات ، فهو حر طالق لا يعترف حتى بسلطان النصوص والسجلات للخطرات الرببية ، في سهولة تزاد منه او اسلام ينقاد به ، انها الثورة التي يريدها الخيال الجامع في اعلانها المكسرة لاصنامها . وهناك النحت ، لا يقل في غياته عن غيات الرس ، وان كان طريقه ورعا ، تكتنفه الصخور عليه ان ينحت منها ، والاحوال عليه ان يفوض فيها فهو على رعنونه ، أصبح لا يقل عما عليه الرسم في اطيافه واحلامه ، ووداعته وتوراته .

وهنالك الكلام ، وهما كما يقول الشاعر :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

والفؤاد هذا قلب قلب ، يقلبه من هو كل يوم في شأن ، فعلى اللغة ان تسجل خطراه ، وان تضبط دقاته ، وهي كما قال شوقي :

دقفات قلب المرء قاتلة له

ان الحياة دقائق وثوان

نعم ، انها دقائق وثوان ، ولكن هذه الدقائق والثوان ، ما اعظم متطلباتها ، وما اشد ما يتحمل الانسان من اماناتها ، وقد ابى السيمواط والارض والجبال ان يحملن هذه الامانات ، كما قال تعالى « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها وابشقن منها وحملها الانسان انه

وطوبى ، وغساق ، وغير هذه ، وان ادعى كونها معربات .

وهذا ليس بدعا في اللغات عامة ، وعندنا كلمة *Gaz* تعيش في كل مكان . ولا يعرف لها اصل البتة.

واذكر ان احدهم صنع شيئا ، فدخل عليه طفل ساله عن اسم المصنوع : فسأله هذا الصانع : كيف تسميه ؟ قال له . كذا ، فسماه بذلك . ولم يكن لذلك الاسم اصل من اللغة ، وقد وضع احدهم رسوما متكسرة . على شكل زوايا حادة متسلسلة ، ودعاهما « كيكريكو » ورسم الى جانبه رسما آخر . عبارة عن سلسلة من انصاف دوائر ودعاهما « امبر » ولكنه وضع الاسمين ، ودعا تلاميذ من مختلف الجنسيات واللغات وسئلهم : اي الرسميين « كيكريكو » فكلهم اجاب بأنه صاحب الزوايا الحادة ولا شك انهم يدركون العلاقة بين ترجمة مك التراكبة والاضطراب و trouble والواقع ان الرسم له صلة بما يعرف عند الرسامين ، باسم « كروكي » . وأعرف سيدة اخترعت الكلمة « زوطوطو » فسارت الكلمة في الوسط العائلي ومن الكلمات المختربة الكلمة « رووكوكو » Rococo وهو من اسماء الزخارف ، وكلمة « كوداك » Kodak .

ولا شك ان هذه الكلمات ، سيزداد عليها ، ولن تقف مكتوفة ، بل ستشتق منها فيما بعد ، شأنها شأن باقي الكلمات في العربية . سال الضيف صاحب المنزل المترهل عن طعام ، قد أتى عليه ، فاغاظ صاحب المترهل الاب الفقير ، ما اسم هذا الطعام ؟ فأجابه بفظ : « التكجدور » فقال له : « على ش ما كجدرتoshi منو بزاف »؟ وهكذا اشتقت من الكلمة الفريبة عليه ، بمجرد فهم مدلولها ، كما اعتقاد ، وهي طبيعة العربية الام الولد ، التي تمكن اولادها من حرية التصرف ، فيشتقون من « الاستيك » ، فعل « استك » وغيره ، كما يشتقون من da le المركبة في الإسبانية من فعل أمر من صدر dar اي الاعباء ، والمفعول فكان التعبير *dale* اي اعطا ، ولكننا قلنا دالا عليه ويدالى الى غير ذلك من كل ما يدخل الى العربية من كلمات لها اصولها او مخترعة لا اصول لها ، كما تقدمت امثلة له .

وبعدما تعرضنا للتعرّيب في مفهومه القديم والحديث والوسائل التي تمكنا من سد الحاجة التي نشعر بها حيال هذا العصر واختراعاته المتلاحقة ، وما تتطلبها حضاراته المختلفة .

ويطبق على ذلك قواعد ما يشبه عنده ، كما عليه ان يخترع اسماجديدا لهذا العلم ، والكماوي عليه ان يحلل عناصر ما في هذا الكون او الاكون ، ويسمى تلك العناصر بما يخترع لها من اسماء ، لان المداولات قد تكون غريبة عن هذا الكون ، وليس لهؤلاء ان يقولوا لمرئي تلك الافلاك :

صوني جمالك عننا انتا بشر
من التراب وهذا الجسم روحاني
او فابتغي فلما تأويه ملكا
لم يتخد شركا في العالم الغاني

لأن هذه المرئي تأوي فعلا هذه الافلاك فلم تتخذ لها شركا في عالم غير عوالمها ، ولكن الانسان هتك استارها وكشف خدورها فتجلت مفاتنها للإعصار ، وانبهرت لاسرارها البصائر ، فلا اقل للغة من الوصف ولا مناص لها من الكشف ، بكل دقة وكل تبيان .

ان هذا الاكتشاف الذي ستتلوه اكتشافات ، قد تطأب آلاف الالات والادوات ، فعلى اللغة ان تسمى كل ذلك بدقة وفهمه للافهمه وليس بقادره على هذا الا اهل العلم انفسهم ، وقد وضعت اللغة امامهم وبين ايديهم ما تملك من ادوات التعبير ، ووسائله كالاشتقاق من الحقيقة والمجاز والتأثبيه وحكاية الاصوات والنحو والتخصيص والتعيم وكالاستعارة من اللغات بعضها من بعض وكالاختراع للكلامات وخلقها من العدم ، اذا لم نجد في هذه الوجود ما تستفيد من لونه او شكله او رائحته او حركته او ما الى ذلك او مما يسعفنا بمعاشرة ما ولو في الوهم او الخيال الذي يساورنا او يخلف لنا من اساطيره وخرافاته .

لقد سمي آباونا سائل الكلوينيا، باسم «سيكيو» فاسعفهم الرائحة ، واخترع «شيكسبير» اسم «دولار» قبل ان يكون دولار وسمى آباونا ايضا الدراجة ، باسم «عود الرياح» معمتمدين على السرعة في الحركة ، وكان هذا تلقائيا منهم ووقفوا كل التوفيق (وفي الفارسية «دوجرخه » اي فلكتان) اذن فالعزم اولا هو ما تستدرع به ، في مواجهة التعریب ، وفي القديم واجه القوم ، فيما وهنوا ولا ضعفوا ، وحلوا مشاكلهم في تدوين الدواوين ، ونقل العلوم المختلفة والاداب المتباعدة والعقائد المتضاربة الى لغة الضاد ، ولم يكن اولئك اقدر منا في العربية ولا افهم من تلك العلوم

«لن ظلوما جهولا » هو ظلوم عليه ان يتصف نفسه بینصف الناس . وهو جهول عليه ان يعلم ويتعلم ما يبني رغبات الافتدة في هوانها . وامقول في مناطقها ، والاجسام في عللها واسقامها ، وصحتها وملاذها . من المشاهد والادواف والمساعر والاسماع .

فهذا في الكلام في آدابه ، التي تتولد وتتفاعل في الوانها وامشاجها ومعطياتها ومقاصدها ، وجميعها في تطور مطرد وفي انسفال هلامي مستمر ، وفي استقلال بيء اصحابها واوطانها ومجتمعاتها وافكارها وثقافاتها ، بعد اللغات ، وقد أصبحت تعد بالآلاف .. واسبع على الانسان ان يفهم كل شيء ، وقد واجه في حياته كل شيء ، فخيّمت عليه الظلال من كل مكان ، ووجهت عليه الانوار والنيران ، فعلى هذه اللغة ان تسمد بكل شجاعة ، وعليها ان تقوم برسالتها ، بكل عزم وقوة ، فتمثل دورها في جميع المحافل خير تمثيل ان كانت على قيد الحياة .

ومن وراء هذا كله الفلسفة التي أصبحت من هذا الجيل مطالبة بالجديد ، والا فعلها ان تنزوي من مسرح الحياة الجديد في جميع فروعها ، حتى «الميتافيزيقا» نفسها ، فهمها صعبة في هذا العالم الصعب المعقّد ، الذي لا يرحم احدا ولا يحجم عن الاخذ بتلقييب العلماء العظام والفلسفه الكبار ، فعليهم ان يفهموا ويسطوا عليهم ان يقنعوا المقول وهي في زيفانها وصراعها للایكترونيه العملاق .

وهذا العام لم يبي بالرتابة او القدسية التي كان عليها ، فهو يطارد مطاردة لا هواة فيها ، منذ بداية هذا القرن ، واشتدت المطاردة اثناء الحرب الاخيرة ، وازدادت اشتدادا بعدها ، وصارت الدنيا تميد بها ، واذا بالافلاك والنيسترات تناجي الانسان فيطالب العالم بأن يحمله الى هذه الكواكب والافلاك ، فلا يجد المiskin مناصا من ان يستجيب لطلاب الانسان الجبار ، فيبني له الراكب الفضائية ويزوده فيها بما يضمن له السلامة ولا يحرمه مع هذا من الاتصال بالعالم الارضي لحظة ، ويتکفل بالعودة به اليه بعد ان يحط رحاله بتلك الكواكب . ويطوف في ارجائها ويحمل من متعها ويستمتع من بقاعها ، فلا يلبث بعد عودته ان يطالب العلم بدراسة هذه العوالم العليا .

فالجغرافي عليه ان يخترع ما يشبه علمه لهذه الكواكب ، بل عليه ان يخترع اسماء خاصة لهذا العلم ، والجيولوجي عليه ان يدرس طبقات هذه الكواكب ،

والفارسية ثم التركية سمت الهيدروجين « مولد الماء » كما تقدم ، واستعملت التركية « تهالكة » بدل « خطر » ، والاسبانية « انبوب » Embubo بدل قمع . وهكذا نجد الفاظا تستفيد من وجودها في الخارج او اختيارها منه .

وهذا عمل يحتاج الى تعبئة عامة ، وكفاح يشارك فيه الجميع : الحكومة بتدخلها في تعريب اللافتات والتذاكر واللوائح والصحافة باختيار الكتب والمثقفين حقاً والمتخصصين في العربية تخصص عمياً . فلا تترك الصحافة في ايدي من لا يحسن لغتها من المتطفين عليها ، والتمثيل المسرحي كذلك له رسالة في هذا التعريب ، فعليه ان يختار الموضوعات التي يستفيدها الشعب حتى يقبل عليها في لغتها ، فتعمل فيه بطريق الابحاء ، وكذلك التمثيل الخيالي ومسرحه في الواقع أفسح من غيره ، والأغاني العربية وحتى الشعبية تخدم كذلك التعريب ، اذا احسنا استعمالها واخترنا اصواتها الجميلة والحانها السجية واعدناها باللوسيقى المذيبة المؤثرة والاذاعة والتلفزة من اقوى دعائم هذه التعريب ، فهي الصوت الذي يصيغنا ويسمينا والشاهد التي تحبينا وتسامينا وتناجينا .

اما المدرسة والكتاب فعني امرهما عن البيان ، ولابد من الاستمرار والتذكرة ، فقد كنت كتبت في كون العمالة بالكسر ، فكان لهذا صدأه في اذاعة تطوان وناس ولكن التذكرة بهذا انقطع فعاد الناس الى العمالة بالفتح وعدت انا معهم الى هذا الضلال على علم به مني .

واخيراً ، لقد تركنا المفردات وما يمكن ان يستفيد منه التعريب في حركته الدائمة بنشاط هذه الاحياء البشرية وبقي علينا ان نوجه العناية الى المفردات في تركيبها ، او تعريب الاساليب ، ان صح هذا التعريب .

وموقفنا ها هنا لن يطول ، لانه لن يكون معرجاً بحق وحقيقة ، فالعربية قد انتهت الى تراكيبها ، وليس في الامكان ابدع مما كان في بنيتها ، وارتقت الاقلام عن تسويتها وجفتها الصحف بما فيها .

الا ان هناك ، جوانب لا تمت الى الخلق والابداع من جديد ، بل هي في الواقع محافظة على ذلك الكيان اللغوي الذي هو بالنسبة اليها القلعة العتيدة والغضن الحصين ، الذي يجب الدفاع عنه الى آخر قطرة من دماء هذه اللغة الآية المستينة الصامدة .

والأدب وغيرها ، بل كانوا دوننا في ذلك ولا شك ، الا انهم كانوا يتوفرون على شيء لا تتوفر عليه ، وهو الشعور بالعزيمة والكرامة وانهم سادة يجب ان يخضعوا لهم ، لا ان يخضعوا لغيرهم ، وبذلك اخضعوا لغتهم ، في يسر ، كل ما وصلوا اليه او اتصل بهم .

هذا هو موقفنا الذي يجب ان نقفه ازاء هذا التعريب ، وهو موقف : لا محالة . يدعو الى انتخاب ، بعد تلك المزيمة ، والى التهل من العربية والتعمعق فيها . حتى يمكن كل عالم او صانع او مفن او متلفس ، ان يتولى ما يزاوله او يعانيه بالتعريب .

وعليه ، فالطيب يتولى تعريب ما ينصل بطبعه . والمهندس يتولى ما ينصل بهندسته ، والمتلفس والمفن ، كل لما ينصل بهاويته والصانع كذلك يعرب ما ينصل بصناعته ، وقد مكانه من ذلك بالتعليم ، الذي يسير في ركب هذا التعريب .

ولا نهمل مع هذا استشارة الشعب ، بل نعود الى قاموسه الحي ، الذي يمدنا بنحو « عود الريح » و « ميكو » و « الصدفة » و « الكسكاس » و « غولية » و « تراثية » ، وغير هذه من الكلمات التي تخضع للعربية وقوائينها ، كما تلقى منهم من غير مشقة ما عربوه هم مثل يكمي ، من Quemar الإسبانية والкро من Cigarro الإسبانية ايضاً اانا نخضع الكلمة لقانون العربية ، فلا تتركها لمنها هذا ، وفي آخرها واو قبلها ضمة لازمة ، بل تخت باءاً مثلاً ، كما فعلنا في يشهه ويليه وسيبوه ، وسميت الصورة السالبة باسم « عفريتة » في عامية الشرق ، فلنا ان نستعير حتى من العالمية .

كما نستعين برصيدنا في الخارج فالاسبانية اخذت كلمة « كحال » Oculista لطبيب العيون وعنها اخذتها باقي اللغات الاوربية كما اخذتها مباشرة الفارسية فالتركية . فلماذا لا نستعملها نحن العرب فنجاري اللغات الحية التي استعمرت منا ولنا الفضل عليهم ؟ ربما ثائف من هذا ، فلم لم يائف غيرنا ان يسموا طبيب الاسنان بالسني Dentiste كما في اللغات الاوربية والتركية ؟ وعلينا ان نجاري غيرنا في ذلك ، وقد استعملت هذه التسمية « دنتيلة » في الاندلس وان كانت في الاحتلال يبدو الاسنان ، وادعى بعضهم ان لها اصلاً في الفصحى ، وتوقف الربيدي هنا .

و لكن المستقبل المنفي وقع فيه من المصائب ما لا عين رأت ولا اذن سمعت بمثله في غير هذه اللغة الشريفة نسمع دائمًا و تقرأ دائمًا ، وخصوصاً في صحفتنا المسكونة هذا التعبير :

« سوف لا يأتي فلان » و نسمع و تقرأ في صحفتنا المكتوبة ، ما هو اقطع من هذا وادهى ...
نسمع و تقرأ :

« سوف لن يأتي فلان » ، فض الله فم من كان اول الناطقين ، بتلك العبارة المسوخة ، وهذه العبارة الملعونة من السماء ، لأن الله ما انزل بها من سلطان ، و لأن كتابه الكريم قال : « لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه سوف تراني » فعلمنا كيف تغير بالمستقبل المنفي « لن تراني » و قابل به المستقبل المثبت «سوف تراني » .

اذن فادة الاستقبال في الفعل العربي المنفي ، هي الاداة « لن » فنقول « لن يسافر فلان » في المستقبل من الزمان ، ولا نقول « سوف لا يسافر » ، ومن المخجل ان تستعمل هذه العبارة ، في التمثيلية التي جاءت من مصر فعرضت في تلفزيوننا بمناسبة المولد الشريف ، وهي تحكي حواراً كان على عهد الرسول ، عليه الصلاة والسلام .

وانقطع من هذه العبارة ، هو « سوف لن يسافر » ، فتلك جهالة جهلاء ، وعدم اكتراث باللغة ، التي ظن أصحابها اليوم ، كانوا قيل لهم فيما : « تكلموا كيف شئتم » ، وصدق الشاعر :

رأيت الحلم دل على قومي
وقد يستحمل الرجل العظيم

ان مثل هذا التعبير انما هو استعمار انجليزي تعدد الى اللغة بعد ان اعتدى على اصحابها ، وما ابغضه من استعمار ، تخلص منه الناس ، ولم يتخلصوا من أدواته العديدة ، التي منها هذا الداء الوبييل ، فقد ثلقي احد الكتاب الطفليين ، وما اكثراهم واسعهم ، مثل هد التعبير الانجليزي I shall not come عليه عريته المذهبة ، في قبضته الايثيمة ، فقال : «انا سوف لا آتي » او « سوف لن آتي » ولو أمعن جداً في التعبير الذي سحره ، لقال : «انا سوف لا آتيان » هكذا ، وهو تركيب لا يوجد الا في الانجليزية والالمانية بهذا النسج وهذا الترتيب ، ولا نعرف له مثيلاً في لغة اخرى غيرهما ، وهكذا نجد

ان العربية كما قلنا ، كريمة كاصحابها مضياف تكرم نزلاءها ، فوجود مائات اوآلاف من الكلمات الدخلية فيها لا يهدى حوزتها ، بل بالعكس يزيدها قوة و يكسبها منعة ، في مواجهات كل الطواريء .

ولكن العيب بالنظام المتبع فيها ، واحداث الغوضى في مجتمعها ، هو الذي لا تقبله بحال . و هو الذي يجب الا تقبله ، كما لا يقبله اي عرف من اعراف اللغات قاطبة ، وهي لغات لها كرامتها ونها وجودها الازلي والخالد خلود الدهر .

ونعود فنقول ، اتنا لن نطيل في هذا التعریب التركيبى . و سنقف وقفه قصيرة : عند بعض الاعراض ولا نقول الامراض التي طرأت على هذه العربية في عصرنا المريض برجائه ومثله العاليا .

فأول تلك الاعراض ، بل أول تلك الامراض ، مع العدراة ، مرض حل بمستقبل هذه اللغة ، نعم ، حل بمستقبلها مع الاسف ، ولكنه حل بمستقبلها السببى ، لا الايجابى ، لحسن الحظ ، والله الحمد على كل حال .

من المعلوم ، أن الافعال في اللغات ، هي مفاتيح تلك اللغات ، بل هي حياتها التي بها يكون حيوانها ، والحيوان في الواقع ، ما هو الا الحركة الجياشة ، كالفيضان والغليان والثوران والجيشان نفسه ، وبهذا الاعتبار ، قال تعالى : « وان الدار الاخره لهى الحيوان لو كانوا يعلمون » وبذلك تكون هذه الكلمة في مدلولها الان قد انحرفت بما خلقت لأجله .

وهذا لا يهمنا الان ، فقد انتهينا من المفردات ، كما قلنا وعلينا ان نعالج مستقبل هذه اللغة في افعالها السلبية ، وهي التي تحتاج الى علاج ناجع وسرعى .

نقول سوف تفعل ، كما نقول سنفعل ، وهذا الاخير مختلف من الاول ، وكان قد عمل فيه هذا الاختزال ، فقيل سو ا فعل ، وسف ا فعل ، واخيراً سافعل ، فوقع الاقتصار على حرف السين وحده ، واهمل الاقتصار عليه مع الواو او الفاء ، وحوفظ على الام الرؤوم « سوف ا فعل » وهذا جميل في هذه العربية التي تتجدد وتتطور ، ولكنها لا تتنكر للماضي ، ولا تعق الأمومة والأبوة .

هذا هو الفعل المستقبل الموجب في العربية ، سلمه الله من كل بلاء ، ودرا عنه كل اذاء ، فبقي يوم ولدته امه على فراش الصون والغفاف

فكون العربية استعانت بسوف ظرف زمان ، او **saupa** الaramية على تعين مستقبلها ، هذا شيء ليس بغير في اللغات الانجليزية ، في غير التكلم خاصة ، والفارسية عموما ، استعانت بفعل الارادة ، الذي ما زال بهما يستقل بنفسه أحيانا ، فكان الاصل في « سيفعل » مثلا هكذا « يزيد الفعل » وفي التكلم استعانت الانجليزية ، يكون الفعل ملزما ، فكان الاصل « سافعل » هكذا « يلزمني الفعل » فهو الفاعل على الحقيقة ، وفي الالمانية استعين بفعل أصبح ، فكان الاصل في التعبير السابق هكذا « أنا لا أصبح أحيانا » ويستعمل كذلك مستقلا وهذه الاستعانة نجدها في نحو « غادي » او « ماشي » او « خصني » او « نحب » التي تستعمل بالعامية كما يستعمل الروح والود بالشرق وليس لنا اداة لا تؤدي الا هذا الاستقبال المجرد ، سوى الاداة التركية والاداة الاسانية الابية من اللاتينية في غير العامية هذه مقارنات في سوف مثبتة في العربية ، ومطلقة في غيرها .

وبقيت « لن » فما أصلها ؟

اختلف فيها ، فمنهم من يراها خلقت كذلك ، ومنهم من يرى ان النون ، حل محل الالف من « لا » للتاكيد ، ومنهم من يرى ان أصلها « لا ان » فكان الأصل في « فلان لن يفعل » فلان لا ان يفعل ، فهي تفهم كون فعل لن يقع في الاستقبال .

ويمهم يكن فجميع هذه اللغات - ما عدا التركية - استعملت النون للنفي هنا ، أما التركية فالليمي وهي اخت النون التي طفت عليها تماما بالفارسية .. والنتيجة ان الفعل المستقبل في العربية ، اذا نفي يكون بن وحدها ، كما قال الشاعر :

هي الشمس مطلعها في السما
فمز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصمودا
وان تستطيع اليك التسزو لا

ومن قبل بثلاث وعشرين سنة كتبت في اداة الاستقبال ، فاهتمت بذلك مجلة الروس البيض بتونس وأبدته في مجلتها « Ibla »

العبارة المذكورة . تكون في الالمانية **ich werde nicht kommen** سواء سواء ، فتجعل اداة النفي تالية لاداة الاستقبال ، كما في الانجليزية وفي تعبيرنا هذا المعسون « سوف لا » او « سوف لن » كما تقدم ، بينما الفارسية تدخل اداة النفي على اداة الاستقبال ، ولا يجعلها تالية لها ، فتقول في نفس الجملة « من خواهم آمد » فالنون نفي وتخالف هذه جميعا التركية ، التي تأتي بالمصدر المرخ وتلحق به اداة النفي ، تم تأتي اداة الاستقبال فتقول « بن كله ميه جسم » ويبقى بعد هذا اللغات المتفرعة من اللاتينية ، كالاسبانية ، فإنها تأتي باداة النفي ثم المصدر المرخ ثم اداة الاستقبال **Yo no vendre**

ويلاحظ ان هذه اللغات - ما عدا الانجليزية - تصل ضمائر الفواعل او علاماتها ، باداة الاستقبال ، وإنها جميعا تستعين بالمصادر ، في صوغ فعل الاستقبال ، الا ان الانجليزية وليس لها مصدر غير مؤول ، تحذف الحرف الموصول . والالمانية تأتي بالمصدر كما هو ، بينما الفارسية والتركية والاسانية ترجم هذا المصدر عموما .

تم انها تتحد في كونها لها اداة تدخل عليها او تلحق بها اداة النفي ، وهي واحدة الا في الانجليزية ، فتختلف بحسب التكلم وغيره ، فهي للتكلم كما رأينا **shall** ولغيره **will** وقد يتبدلان قصد التأكيد كما يقول شيلي Our breath shall intermix وربما استعمل هذا الفعل في معناه الاصلي ، اذ لا مهمة له في الاستقبال « We shall become the same. We shall be one spirit »

وكذلك العربية لها اداتان ، واحدة في الإثبات ، وهي « سوف » او ما اخترل منها ، وواحدة في النفي وهي « لن » لا غيرها .

ولعل « سوف » كانت ظرف زمان في أصلها ، بنيت على الفتح للازمتها الظرفية ، وان كان المستشرق **Bergstraesse** يرى أنها مستعارة من الaramية **Saupa** ومعنى هذه « النهاية » او « الغاية » ، فكان معنى « سوف افعل » اني انفع في النهاية والغاية .

يقول علماء الالسن ، ان اللغات السامية - ما عدا الاكادية منها - ليس لها الا زمان ، ماض وقب انتهى ، وغيره لم ينته ويشمل الامر وال الحال والاستقبال .

الفُصِحَّى لِغَةُ الْقُرْآنِ

لغة فكر عالمي لنمو سبعمائة مليون مسلم جغرافياً ويمتد أربعة عشر قرناً في التاريخ والتراث

الأستاذ أنور الجندي (القاهرة)

ان طرح القضية على هذا النحو يمكن ان يكون صحيحاً في أي بلد من بلاد العالم وفي مواجهة أي لغة ولكن يصبح عسيراً جداً حين يطرح بالنسبة للغة العربية . ولو لم تربط اللغة العربية بالقرآن والاسلام لكان يمكن ان يكون هذا الكلام مقبولاً .

اما وقد انزل القرآن منذ اربعة عشر قرناً باللغة العربية فأنشأ عالم الاسلام الفكري والاجتماعي والديني فقد أصبح لغة العربية وضع مختلف لا شبيه له في اي لغة اخرى . ولم يعد للعرب وحدهم حق التصرف في اللغة العربية . ولم تعد اللغة العربية لغة اقلية تخص قطراً ، بل لم تعد الامة العربية نفسها مطلقة الارادة في التصرف بها .

هذه هي الحقيقة التي واجه بها المفكرون المسلمين منذ اكثر من ثمانين عاماً تلك المحاولة التي قام بها لوكوكس في مصر وماسينون في الشام وكولان في المغرب ، ثم تابعهم بعد ذلك سلامه موسى والخوري مارون غصن وكثيرون .

ان اخطر ما تمثل اللغة العربية هو ان قارئها اليوم في العقد الثامن من القرن العشرين يستطيع ان يقرأ ويفهم ما كتب بها منذ القرن الخامس الميلادي (اي ما كتب قبل نزول الاسلام بأكثر من نصف قرن) .

ان التاريخ ليذكر ذلك الجهاد المتصل الذي حمل لواءه رجال امثال : مصطفى صادق الرافعي ، ومحب الدين الخطيب ، وأحمد زكي ناشا الملقب شيخعروبة ، عبد العزيز جاويش ، علي يوسف ، والدكتور محمد محمد حسين ، وأحمد الحوysi ، وغيرهم في سبيل مقاومة الهجوم على اللغة العربية وانتقادها ، والحملة عليها طوال تاريخ طويل يمتد الان أكثر من خمسين عاماً من خلال حملات المستشرقين والمبشرين ، ومن خلال مقررات حملها وزراء في عهد الحماية البريطانية ودعوات في الصحف وبعض الماجazines من اجل تجزئة مفهوم اللغة العربية الاصل المتكامل ، ومحاولات تصوير اللغة العربية على أنها لغة « امة » ومن حق هذه الامة التصرف فيها .

تلك هي القضية : لقد حاول الاستعمار والتغيير ان يطروح شبهة جزئية وجرت الاقلام في سبيل دعمها واقناع الناس بها ، ان اللغة العربية لغة امة هي الامة العربية وان كل قطر من شأنه ان يكتب لغة ، وان هذا الامر يستدعي كل بلد ان يتناول هذه اللغة على النحو الذي يرضاه ويراه محققاً هذه الفایة .
وكان هذا الاتجاه في طرح القضية يحمل طابعاً خطيراً من التمويه والتزييف والتجازف .

العالم كله وحملت معها ثقافة القرآن ، وحصيلة المعلوم ، ونظريات السياسة والاجتماع والاقتصاد ، وحملت معها المنهج العلمي التجريبي . فالقرآن هو الذي اعطاهها هذه المكانة وفتح امامها هذه الآفاق ، فهـى بوصفها لغة الاسلام قد حملت رسالة ضخمة الى العالم كله والى البشرية : هي رسالة التوحيد .

ولقد وهب القرآن اللغة العربية حصيلة ضخمة من المعطيات الفكرية والاجتماعية من خلال رسالته العالمية التي اتخذت من الفاظ اللغة العربية المتباشرة تشكلاً جديداً طرح على البشرية منهاجاً شاملـاً من الحياة والفكر والنظر في الكون وبـاس المجتمعات والأخلاق .

وكان هذا هو مصدر دهـة الناس عند نزول القرآن ، فقد كانت هذه الانفاظ معروفة لهم بأعيانها ، ولكن الاعجاز كان متمثلاً في هذا التشكـل الذي تشكلـت به فكرـاً وأداءـاً ، في هذه القيم الجديدة التي قدمـها ، وهذه الصور المتعددة ، وهذه الروعة في اسلوب الاقناع وال唬ـار ، وهذه المناهج المتعددة في مخاطبة القلب والعقل .

ويعنى هذا أن ثروة اللغة العربية انما ترجع في تشكلـها القرآـني الذي أعطاها هذه القـوة ، وفي نفس الوقت أعطاها الاسلام هذا الاتساع والذـيـوع .

ومن هنا قد أصبحت صـلة اللغة العربية بالقرآن والاسلام صـلة عضوية تمثل التجـربـة الاولـى والأخـيرـة ، من نوعـها في صـلة رسالة السمـاء بلـغـةـ من اللـفـاتـ ، ولا يـربـ أنـ هـذاـ المـفـهـومـ لهـ آثـرـ البعـيدـ فيـ اـمـتـلـاكـ المسلمينـ جـمـيعـاـ لـهـذـهـ اللـفـةـ ، وماـ يـتـصلـ بـهـذاـ منـ خـطـاـ القـولـ بـانـ لـقـطـرـ ماـ أوـ شـعـبـ ماـ ، الـقـدرـةـ عـلـىـ التـصـرـفـ فيـ اللـفـةـ العـرـبـيـةـ .

ومن الحق أن يقال ان اللغة العربية هي لـغـةـ فـكـرـ عـالـمـيـ يـضمـ سـبعـمـائـةـ مـلـيـونـ مـسـلـمـينـ جـفـافـيـاـ ويـمـتدـ أـرـبـعـةـ عـشـرـ قـرـنـاـ فيـ التـارـيخـ وـالتـرـاثـ .

(2)

هذه الحقائق كانت واضحة في اذهان اولئك المنافقين عن اللغة العربية في كل عصر : نراه واضحاً في عبارات مصطفى صادق الرافعي قبل خمسين عاماً حين يعرض للقول بـانـ العـرـبـيـةـ لـغـةـ اـمـ لـفـةـ فـكـرـ :

أـيـ انـ تـرـاثـ حـافـلـ قـامـ فـيـ خـلـالـ هـذـهـ الفـتـرةـ كـلـهاـ وـاعـظـمـهـ مـاـ جـاءـ بـعـدـ الـاسـلـامـ بـالـطـبـعـ .ـ هـذـاـ التـرـاثـ هـوـ مـلـكـ حـرـ لـقـراءـ اللـفـةـ العـرـبـيـةـ يـلـمـونـ بـهـ المـامـاـ صـحـيـحاـ دونـ أـنـ يـكـونـواـ فـيـ حـاجـةـ إـلـىـ مـرـاجـعـ أـوـ مـعـاجـمـ وـيفـهـمـونـ فـهـماـ صـحـيـحاـ .ـ وـهـذـاـ مـاـ لـمـ يـتـبـسـرـ بـالـقـطـعـ لـأـيـ لـفـةـ فـيـ الـعـالـمـ كـلـهـ الـيـوـمـ ،ـ وـذـلـكـ أـيـ لـفـةـ قـائـمـةـ الـآنـ بـخـلـافـ الـلـفـةـ العـرـبـيـةـ لـاـ يـسـتـطـعـ قـرـاؤـهـاـ أـنـ يـفـهـمـوـاـ مـنـ تـرـاثـهـ إـلـاـ مـاـ لـيـجـاـزـ الـثـلـاثـةـ قـرـونـ ،ـ أـمـاـ مـاـ يـبـعـدـ عـنـ ذـلـكـ فـانـهـ يـلـتـمـسـونـ لـفـهـمـهـ الـمـعـاجـمـ .ـ أـنـ مـرـدـ ذـلـكـ ثـيـاتـ الـلـفـةـ العـرـبـيـةـ الـذـيـ لمـ يـتـعـلـمـ لـأـيـ لـفـةـ أـخـرـيـ ،ـ وـمـرـجـعـ هـذـاـ الـثـيـاتـ إـلـىـ نـزـولـ الـقـرـآنـ بـهـاـ وـارـتـبـاطـهـ بـهـ عـلـىـ النـحـوـ الـذـيـ اـنـشـأـ هـذـهـ الـثـرـوـةـ الـضـخـمـةـ مـنـ الـعـلـمـ وـالـتـرـاثـ وـالـتـالـيـفـ .

وـمـنـ هـنـاـ أـصـبـحـ لـفـةـ العـرـبـيـةـ خـاصـيـةـ مـتـمـيـزةـ لـاـ يـسـتـطـعـ الـلـفـاتـ الـأـخـرـىـ أـنـ تـشـارـكـهـاـ فـيـهـاـ وـلـاـ يـسـتـطـعـ هـيـ أـنـ تـجـاـوزـهـاـ :ـ تـلـكـ هـيـ اـنـهـ لـفـةـ اـمـةـ وـلـفـةـ فـكـرـ وـدـيـنـ .ـ فـهـيـ لـفـةـ اـمـةـ العـرـبـيـةـ الـتـيـ يـلـغـيـ تـعـدـادـهـاـ أـكـثـرـ مـاـ نـهـيـ مـلـيـونـ يـتـكـلـمـونـ بـهـاـ وـبـهـاـ يـتـعـامـلـونـ ،ـ وـهـيـ فـيـ الـوقـتـ نـفـهـ لـفـةـ الـمـسـلـمـيـنـ جـمـيعـاـ :ـ لـفـةـ فـكـرـهـمـ وـدـيـنـهـمـ وـصـلـاتـهـمـ وـلـفـةـ ذـلـكـ الـرـبـاطـ الـذـيـ يـجـمـعـهـمـ بـالـتـشـرـيـعـ وـالـمـقـيـدـهـ جـمـيعـاـ وـهـوـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ .

وـمـنـ هـنـاـ كـانـ الـخـطـرـ الـوـحـيدـ الـذـيـ يـواجهـ اـهـلـ الـلـفـةـ العـرـبـيـةـ هوـ أـنـ يـسـقطـوـاـ عـنـ مـسـتـانـيـ اـسـلـوبـ الـقـرـآنـ ،ـ لـيـصـبـعـ اـسـلـوبـهـمـ فـاـصـراـ عـنـ فـهـمـهـ وـتـعـمـقـهـ ،ـ لـاـنـ ذـلـكـ مـنـ شـائـعـهـ أـنـ يـفـصـلـ بـيـنـهـ وـبـيـنـهـ ،ـ وـذـلـكـ مـاـ تـحـاـوـلـهـ الـقـوـيـ الـهـدـامـةـ الـعـادـيـةـ لـلـعـرـبـ وـالـاسـلـامـ ،ـ وـالـتـيـ تـدـعـوـهـمـ إـلـىـ مـاـ يـسـمـيـ بـالـلـفـاتـ الـوـسـطـيـ اوـ تـقـرـيبـ الـفـصـحـىـ مـنـ الـعـامـيـةـ .

وـأـمـانـاـ الـقـرـآنـ وـهـوـ الـمـقـيـاسـ الثـابـتـ وـعـلـيـنـاـ فـيـ كـلـ حـرـكـةـ مـنـ حـرـكـاتـ الـعـمـلـ أـنـ تـقـرـبـ مـنـهـ وـتـلـقـيـ بـهـ ،ـ فـعـلـيـ الـعـامـيـةـ أـنـ تـقـرـبـ مـنـ الـفـصـحـىـ وـلـيـسـ عـلـىـ الـفـصـحـىـ أـنـ تـنـزـلـ إـلـىـ الـعـامـيـةـ .

وـالـتـعـلـيمـ كـفـيلـ إـذـ اـسـعـتـ آـفـاقـهـ أـنـ يـقـللـ مـنـ الـحـاجـةـ إـلـىـ الـعـامـيـةـ وـانـ يـقـرـبـ الـاتـصالـ بـالـفـصـحـىـ .

وـالـذـوقـ الـعـرـبـيـ كـلـهـ مـتـصـلـ بـالـفـصـاحـةـ ،ـ وـفـهـمـ الـفـكـرـ الـاسـلـامـيـ وـالـقـاـفـلـةـ الـعـرـبـيـةـ مـتـصـلـ بـهـذـاـ الـمـسـتـوىـ مـنـ اـسـلـوبـ وـبـيـانـ .

لـقـدـ كـانـ لـارـتـبـاطـ الـلـفـةـ العـرـبـيـةـ بـالـقـرـآنـ الـذـيـ نـزـلـ بـهـ آـثارـ الـبـعـيـدةـ الـمـدىـ ،ـ فـلـقـدـ اـنـصـلـتـ الـلـفـةـ العـرـبـيـةـ الـتـيـ كـانـتـ تـعـيـشـ عـلـىـ حدـودـ الـجـزـيرـةـ الـعـرـبـيـةـ إـلـىـ آـفـاقـ

من احوالنا وعلى كل حال فليس من شهـة بين اللغات المشتقة من الـلاتينية التي كما قلنا كانت لغة ميتة وبين اللغة العربية الفصيحة التي هي لغة حية منذ أربع عشر قرنا ، لم تحيط اللغات العالمية الكثيرة من قدرها منع شيوخها ، ولو امكنها ان تعززها عن مرتبتها لفعلت ؛ لما كانت اللغات العالمية سائدة بين الشعب لا تراهمـا المدارس والمعابـع والادباء بتاليـهم ومنتشرـاتهم الدـيمـية والسيـارة على اللغة الفصـيحة (2)

(4)

وليس أدل على قوـة اللغة العـربية من عـبـارة ارنـست رـيتـان ، في كتابـه تاريخـ اللغـات السـاميـة :

« أنـ منـ أغـربـ ماـ وـقـعـ فـيـ تـارـيـخـ البـشـرـ وـصـعبـ حلـ سـرهـ اـنـتـشـارـ اللـغـةـ العـرـبـيـةـ ،ـ فـقـدـ كـانـتـ هـذـهـ اللـغـةـ غـيرـ مـعـرـوفـةـ بـادـئـ ذـيـ بدـءـ ،ـ فـبـداـتـ فـجـأـةـ فـيـ غـايـةـ الـكـمـالـ ،ـ سـلـسـلـةـ أـيـ سـلاـسـةـ ،ـ غـنـيـةـ أـيـ غـنـىـ ،ـ كـامـلـةـ بـحـيـثـ لـمـ يـدـخـلـ عـلـيـهـ حـتـىـ يـوـمـاـ هـذـاـ أـيـ تـعـدـيلـ مـهـ .ـ بـحـيـثـ لـمـ يـدـخـلـ عـلـيـهـ حـتـىـ يـوـمـاـ هـذـاـ أـيـ تـعـدـيلـ مـهـ .ـ فـلـيـسـ لـهـ طـفـولـةـ وـلـاـ شـيـخـوـخـةـ ،ـ ظـهـرـتـ لـأـولـ اـمـرـهـ تـامـةـ مـسـتـحـكـمـةـ ،ـ وـلـمـ يـمـضـ عـلـىـ فـتـحـ الـأـنـدـلـسـ أـكـثـرـ مـنـ خـمـسـيـنـ سـنـةـ حـتـىـ اـضـطـرـ رـجـالـ الـكـنـيـسـةـ أـنـ يـتـرـجـمـوـاـ سـلـوـاـتـهـمـ بـالـعـرـبـيـةـ لـيـفـهـمـاـ النـصـارـيـ .ـ

منـ اـغـربـ المـدـهـشـاتـ انـ تـبـتـ تـالـكـ اللـغـةـ الـقـومـيـةـ وـتـصـلـ إـلـىـ درـجـةـ الـكـمـالـ وـسـطـ الصـحـارـيـ عـنـ اـمـةـ الـرـحـلـ ،ـ تـلـكـ اللـغـةـ التـيـ فـاقـتـ اـخـوـاتـهـ بـكـثـرـةـ مـغـرـدـاتـهـ وـدـقـةـ مـعـانـيـهـ وـحـسـنـ نـظـامـ مـبـانـيـهـ .ـ

وـكـانـتـ هـذـهـ اللـغـةـ مـجـهـولةـ عـنـ الـأـمـمـ ،ـ وـمـنـ يـوـمـ عـلـمـتـ ظـهـرـتـ لـنـاـ فـيـ حـلـ الـكـمـالـ إـلـىـ درـجـةـ اـنـهـ لـمـ تـغـيـرـ أـيـ تـغـيـيرـ يـذـكـرـ ،ـ حـتـىـ اـنـهـ لـمـ يـعـرـفـ لـهـ فـيـ كـلـ اـطـوـارـ حـيـاتـهـ لـأـطـفـولـةـ وـلـاـ شـيـخـوـخـةـ ،ـ وـلـاـ تـكـادـ نـعـلـمـ مـنـ شـانـهـ وـلـاـ فـتوـحـاتـهـ وـأـنـتـصـارـاتـهـ التـيـ لـاـ تـبـارـيـ وـلـاـ نـعـلـمـ شـيـئـاـ عـنـ هـذـهـ اللـغـةـ التـيـ ظـهـرـتـ لـلـبـاحـثـيـنـ كـامـلـةـ مـنـ غـيرـ تـدـريـجـ وـبـقـيـتـ حـافـظـةـ لـكـيـانـهـ خـالـصـةـ مـنـ كـلـ شـائـبـةـ »ـ .ـ

وـمـنـ عـجـبـ اـنـ يـكـونـ هـذـاـ رـأـيـ اـهـلـ الـعـرـبـ فـيـهـ ثـمـ يـقـومـ مـنـ أـبـنـائـهـ مـنـ يـنـتـقـصـ مـنـ قـدـرـهـاـ وـيـدـعـسـوـ اـلـعـامـيـاتـ وـيـحـاـولـ اـنـ يـنـتـرـعـهـاـ مـنـ مـكـانـهـاـ الـعـالـيـةـ .ـ

« انـ فـيـ الـعـرـبـةـ سـرـاـ خـالـدـاـ هـوـ هـذـاـ الـكـتـابـ الـمـبـينـ (ـالـقـرـآنـ)ـ الـذـيـ يـجـبـ اـنـ يـؤـدـيـ عـلـىـ وـجـهـهـ الـعـرـبـيـ الصـحـيـحـ ،ـ وـيـحـكـ مـنـطـقـاـ وـاعـرـابـاـ بـحـيـثـ يـكـونـ الـاـخـلـالـ بـمـخـرـجـ الـحـرـفـ الـواـحـدـ مـنـ كـالـزـيـغـ بـالـكـلـمـةـ عـنـ وـجـهـهـ وـبـالـجـمـلـةـ عـنـ مـؤـادـهـ وـبـحـيـثـ يـسـتـوـيـ فـيـهـ الـلـحنـ الـخـفـيـ وـالـلـحنـ الـظـاهـرـ .ـ ثـمـ هـذـاـ الـمـعـنـيـ الـاسـلـامـيـ (ـالـدـيـنـ)ـ الـمـبـنيـ عـلـىـ فـنـيـةـ وـالـمـعـقـودـ عـلـىـ اـنـقـاضـ الـاـمـمـ)ـ وـالـقـيـمـ عـلـىـ الـفـطـرـهـ الـاـنسـانـيـهـ حـيـثـ تـوزـعـتـ وـأـيـسـنـ اـسـتـقـرـتـ ،ـ فـالـاـمـرـ اـكـبـرـ مـنـ اـنـ يـؤـثـرـ فـيـهـ سـوـرـةـ حـمـقـ اوـ تـأـخـذـ مـنـهـ كـلـمـةـ جـهـلـ »ـ .ـ

« اـنـماـ الـقـرـآنـ جـنـسـيـةـ لـغـوـيـةـ تـجـمـعـ اـطـرـافـ النـسـبةـ الـعـرـبـيـةـ فـلـاـ يـزالـ اـهـلـهـ مـسـتـعـرـيـنـ بـهـ مـتـمـيـزـيـنـ بـهـذـهـ الـجـنـسـيـةـ حـقـيـقـيـةـ اوـ حـكـماـ ،ـ وـلـوـلاـ هـذـهـ الـعـرـبـيـةـ التـيـ حـفـظـهـاـ الـقـرـآنـ عـلـىـ النـاسـ وـرـدـهـمـ اـلـيـهاـ وـأـوـجـبـهـاـ عـلـيـهـمـ لـمـ اـضـطـرـدـ تـارـيـخـ الـاسـلـامـيـ وـلـاـ تـرـاـخـتـ بـهـ الـاـيـامـ الـيـةـ ماـ شـاءـ اللـهـ وـلـمـ تـمـاسـكـ اـجـزـاءـ هـذـهـ الـاـمـمـ وـلـاـ استـقـلـتـ بـهـ الـوـحـدـةـ الـاسـلـامـيـةـ ثـمـ تـلـاحـمـتـ اـسـبـابـ كـثـيـرـةـ بـالـسـلـمـيـنـ وـنـقـبـ بـالـيـهـمـ وـلـمـ يـبـقـ اـلـاـ تـسـتـلـحـمـهـمـ الشـعـوبـ وـتـسـتـلـحـمـهـمـ الـاـمـمـ عـلـىـ وـجـهـهـ الـجـنـسـيـةـ الـطـبـيـعـيـةـ لـاـ السـيـاسـيـةـ فـلـاـ يـتـبـيـنـ مـنـ آـثـارـهـمـ بـعـدـ ذـكـرـ الاـ مـاـ يـشـبـهـ عـنـ طـرـيقـ الـمـاءـ اـذـ اـنـسـابـ الـجـدـولـ فـيـ الـمـحـيـطـ »ـ (ـ1ـ)ـ .ـ

(3)

وـبـرـدـ الـكـثـيـرـوـنـ عـلـىـ شـبـهـةـ الـمـقـارـنـةـ بـيـنـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ وـالـلـغـةـ الـلـاتـيـنـيـةـ :ـ بـقـولـ اـبـ صـالـحـانـيـ :

انـ الـلـاتـيـنـيـةـ مـاتـتـ كـلـغـةـ للـشـعـبـ بـمـوتـ الـدـولـةـ الـرـوـمـانـيـةـ وـبـقـيـتـ كـلـغـةـ لـلـكـنـيـسـ وـالـعـلـمـاءـ .ـ اـمـاـ الـشـعـبـ فـكـانـتـ الـلـغـاتـ عـلـىـ لـسـانـهـ تـكـيـفـ بـتـكـيـفـاتـ مـخـتـلـفـةـ حـسـبـ الـأـمـكـنـةـ وـالـأـزـمـنـةـ وـالـمـنـاـسـرـ ،ـ وـلـمـ تـكـنـ الـلـاتـيـنـيـةـ لـفـتـهـ الـاـصـلـيـةـ وـاـنـهاـ كـانـتـ اـخـرـىـ :ـ كـالـسـلـيـتـةـ السـكـوـنـيـةـ وـالـجـرـمـانـيـةـ الـهـنـدـيـةـ ،ـ وـاـمـتـزـجـتـ بـلـغـةـ الـيـونـانـ فـلـمـ تـبـتـ تـلـكـ الـلـهـجـاتـ اـلـاـ بـتـمـادـيـ الزـمـانـ وـيـتـنـوـعـ الـكـتـبـ وـتـفـتحـ الـمـدـارـسـ وـتـالـيـفـ الـكـتـبـ ،ـ وـسـاعـدـ الشـعـوبـ فـيـ ذـكـرـ انـفـارـدـهـمـ فـيـ اـصـقـاعـ مـتـنـاـيـةـ وـدـوـلـ مـسـتـقـلـةـ،ـ فـاـيـنـ كـلـ ذـكـرـ

(1) البيان م 1913

(2) م المشرق ص 130 م 23 سنة 1965 .

فلسفة الحركات في اللغة العربية

الأستاذ أحمد الأخضر غزال

مدير معهد الدراسات والابحاث للتعريب
— الرباط —

وبلغومه وحفافه ولسانه وشفتيه فيخرج الكلام بكل انواع اصواته الشديدة منها والمتوسطة والخفيفة والتقبيلة والطوبينة والقصيرة الى غير ذلك من غرائب خلق الله وعجائبها سبحانه تعالى عز وجل .

الاصوات الفوبيّة :

واذ لا حركة ولا سكون الا باذن الله فان الاصوات التي يخرجها الانسان من جهازه لا يخرجها بدون سبب كما ان لكل ما يصدر عن الانسان وكل ما يحصل له اسبابا منها المجهول ومنها المعلوم ، بله : كل ما يقع ويحدث في هذا العالم بمعناه العام له اسباب ، وهذه الاسباب اسباب اخرى لها اسبابها التي تنشأ عن اسباب ، منها المجهول ومنها المعلوم الى غير ذلك من اسرار الطبيعة التي لا نعرف عنها الا القليل . وعلم الاصوات يخبرنا بالحركات التي تؤدي بالجهاز الاصطاني الى اخراج الصوانت (فونيمات) التي تشكل المعرف و يجعلنا نقف عند حدود الغوارق ومؤثراتها .

ففيما يخص صوينة الباء بالنسبة الى صوينة الهاء مثلا نعلم جميع ما يحدث اثناء التلفظ بهاتين الصوينتين . فان صوينة الباء يتطلب اخراجها مجهودا اكبر من المجهود الذي يتضمنه اخراج صوينة الهاء ، لانه يفرض العمليات الآتية :

يحدث نشاط كيميائي وكهربائي تفاعلي داخل المشتبكات (والمشتبكات هي الامكنته التي تشتبك

1 - القسم الاول :

من المعلوم ان اللسان هو العضلة الاساسية التي تستعملها داخل الفم لاخراج الاصوات الفوبيّة بمشاركة اعضاء اخرى خصتها طبيعة التركيب البدنى بالمساهمة في انتاج الكلام على اساس تشقق نفساني بدینع يتصرف في عمليات بدنية متسللة خلاصتها ان موجات صوتية متتالية منشأها ذبذبات فيزيائية . تنتشر في الهواء وتدخل في الاذن فتحوّل عندما تقدم العصب السمعي الى سائلة (اي كهرباء بدنية) تتسرب الى ملاير الخلايا الدماغية لتشير صورة سمعية تنشأ عنها صورة بصرية . ويجب ان تكون الصورتان متطابقتين تطابقا تماما والا حصل سوء الفهم . ويحدث في الدماغ أثناء التفكير وقبل الرد بالجواب بموجات اخرى ما يحدث فتنطلق من فم المجيب ذبذبات اخرى تنشيء موجات بدورها تطير في الهواء وتتصدم اذن المستمع وتلتقي بعصبه السمعي فتحوّل الى سائلة اخرى وتصل الى وحداته العصبية لتشير صورته السمعية يجب ان تكون صورتها البصرية مطابقة لها مطابقة تامة والا حصل سوء الفهم من جديد . ويحدث في دماغه ما يحدث من التفاعلات الكيميائية والفيزيائية والاحيائية (اي البيولوجية) والنفسانية والروحانية والعقلية وغيرها ولا يدوم هذا كله الا مدة رمشة العين قبل ان ينبع الامر بالاجابة فتسرب بالسائلة من جديد من المراكز والمناطق الخاصة بالكلام والسمع والبصر لتحرك بواسطة اعصابها العضلات المتحركة في أجهزة الكلام كالحنجرة وأوتارها وغضاريفها وكالفم

الفتوح وحاملا صوت البااء الجهيرية عبر الهواء الطلق
في شكل موحان صوتية .

هذه العمنيات كلها بتناقضها العجيب وأنواع حركاتها الدماغية والعصبية والمضلية الدقيقة هي التي تتطابقها الباء ونحن غير شاعرين .

اما الهاء فلا شيء من ذلك فيها الا خروج الهواء
انحصاراً ذبذبات الوترتين الصوتتين بينما تكاد اعضاً
النم تكون في حالة استراحة وارتخاء .

وما يحدث للباء حفيظ بالنسبة الى القاف والكاف
والراء والخاء والشين والصاد وتقليل بالنسبة الى
الحاء والعين والغين والفاء والمهززة الخ . . .

وإذا اشتد خروج الاصوات الثقيلة فذلك لسبب
وإذا خف ذلك لسبب أيضاً أراده العقل ليعبر عن
الشدة مع الاصوات الشديدة وعلى البوة مع الاصوات
المليئة ومثال ذلك : هف وقض ، فهفت الربيع : هبت
فسمع صوت هبوبها ، وهب الربيع : خف وشب
الرجل : اسرع في سيره والhev الخفيف من الناس ،
وكل شيء خفيف لا شيء في جوفه والسمك الصفار ،
وسحاب هف : رقيق لا ماء فيه . بينما نرى في قض
ما يبني : قض عليهم الخيل ارسلها ونشرها وقضى
الحالات هذه عندما عنيفاً وقض الوتد : قلعه وقضى
الشيء دقه وقض السير أو الوتر ، سمع له صوت
كانه قطع إلى غير ذلك من المعانٍ . فكلما خفت في
حف اشتدت في قض .

وهناك فكرة أخرى وهي فكرة الاستساغة ،
استساغة الصوت بالنسبة للمدلول . فان كان صوت
الهاء لا يتطلب نفس الجهد الذي تتطلبه القاف والراء
مثلاً فان أصوات الحروف وإنفاسها ورئفتها وأجراسها
موضوع استحسان او استخشن من طرف الإنسان
ا انظروا هنا الى الفرق بين مادة حسن ومادة خشن ،
فالهاء لطيفة والخاء ثقيلة) فلكل لطيف وائق وجميل
وحلو ومطرب ومفرح ومسعد اصوات لطيفة لينسة
موسيقية ، ولكل خشن وثقيل وخبيث وبشع ومقلق
ومحزن الخ .. اصوات تناسب تلك الصفات بمعانٍ
اصواتها .

وهذه الافكار انتبه اليها فقهاء اللغة القدماء
فخصصوا لها أبوابا مشهورة عنونوها بمطابقة اللفظ
للمعنى ، ومن أشهرهم في هذا ابن جني ، كما الفو
فيها كتابا أشهرها قاموس مفاسيس اللغة لاحمد ابن
فارس ، الا ان علماءنا المحدثين من تلمذوا على

فيها الاستطارات الشعرية الخاصة بالوحدات العصبية التي تنساب منها السائلة العصبية ، وهذه الشبكات تشبه مرايا كهربائية (اي بطاريات) فيها عدة خلايا في كل واحدة منها مادة كيرونية أساسها الكالسيوم والبوطايسيوم والصوديوم وأنواع مختلفة من العناصر النادرة كالحديد والمنفانيز والببور والماغنيزيوم والكوبالت الخ ... والكل منماث (ذائب) في سائل خاص يسمى الخليل الم逮اري (الاسيتيلكوليцин) والتفاعل الكيروني الذي يحدث في هذه الشبكات يخلق الكهرباء الخاصة بالبدن وهي السائلة . وهذه السائلة مهمتها حمل الإهاجات (اي الطلاقات العصبية) إلى الوحدات العصبية الأخرى أو إلى أجهزة التنفيذ المحيطة كالعضلات مثلا . وفيما يخص نقطة موضوعنا بالضبط تتسرب طبقات سائلية نحو عضلات الحجاب الحاجز لترتفع الأफلاع فتنفتح الرئتان اذاك ويحدث امتصاص للهواء الخارجي الذي يتسرّب اليهما من منفذ الانف او الفم او منهما معا - بعد ان حصلت في المحيط بفتحه - فينساب الهواء مع الرغامي (اي القصبة الرئوية) الى القصبتين اللتين تتشعبان في الرئتين ، وذلك بعد حدوث اهاجات أخرى في الدماغ امررت عضلات الحنجرة بابعاد الوترتين الصوتين الواحد عن الآخر ليُنفَسِّعَ المعجان أمام الهواء الجاري نحو الرئتين - تم بعد ذلك تتطبّق الشفتان الاحدى على الأخرى عندما تضفت الرئتان الهواء ليفر منها متربا مع الرغامي فيجد الاوتار الصوتية قد تباعدت لتسمع له بالمرور فيصل الى البلعوم وعند ذلك او قبل ذلك بقليل يرتفع الحفاف بلهاته وينطبق على منفذ الانف ليسده مائعا الهواء من التسرّب منه حتى لا تحصل الفتنة في صوت الباء ثم يصل هذا الهواء الى الفم ويريد التفود من بين الشفتين فيجد هما منطبقين كما اسلفنا فيصدّهما ويحاول تفريجهما فتزداد حركة عضلات الشفتين تقلصا ويزداد انضمام الشفتين شدة لمنع الهواء من الخروج ويشتد شفط الهواء على الشفتين وعلى الشدقيين وعلى الحفاف وكل هذه الاضطرار تقوم بذلك الضغط بالتبقيض والتقلص ، وإذا بالوترتين الصوتين يقتربان ويشرعان في التذبذب لانشاء ما يسمى باللحن الحنجري الذي سيجعل من حرف الباء حرفانا مجهورا لا مهموسا فتحصل اذاك عملية الترنب وهي فزيائية محضة ، وفجأة تبتعد الشفتان الاحدى عن الأخرى وينفلت الهواء المضغوط بعنف وشدة خارجا من الفم

الزيادة في المبني زيادة في المعنى . بدون اعتبار دوران الحركات في الأوزان . فبحر جمعه بحور وبحار وابحرة وأبahir وابحار ، والبحر قليل التركيب لانه يدل على المفرد وجموعه أطول منه لانه يدل على الكثرة . ولكن تحديد المعاني بالتركيب اختلف فيه كما اختلف في ما سبق لعدم توفر مواد البحث في ما وصل اليه العلم الحديث . الا انهم ترکوا هذا الموضوع لتعقدده واسكانه فلم يعبروا الحركات الاصممية التي تستحقها وغابت عليهم نظرية السماع والقياس التي كانت سائدة في العلوم اللغوية آنذاك مما ادى الى ما يسمى اصطلاحا بالعامل المؤثر باعتبار متن اللغة او في ما هو ضمني باعتبار الاعراب . كل ذلك لغاية واحدة هي المحافظة على التراث اللغوی وعلى القرآن ورفع الحن الذي كان قد انتشر بصورة مهولة . اضف الى ذلك انه كلما ثبت عند بعضهم القياس الا واضعفته شواهد سمعاوية شاذة مما ادى الى بلبلة الافكار واللجوء الى السماع مع البقاء على فكرة القياس رمزيا لان احدا من القائلين بالقياس لم يجرؤ على تغيير ما أصبح شائعا من اللغة واحلال القياس محل السماع . فبقدر ما درسوا معانى الحروف وتوفقا في بعض نواحيها بقدر ما فشلوا في معانى الحركات ولم يصلوا الى نتيجة علمية تجعلهم يشيدونها بمثابة قاعدة . فكلهم قالوا عن الفتحة أنها أخف الحركات العربية لذلك كثرت في اللغة وقالوا عن الضمة أنها أثقل من الفتحة وقالوا عن الكسرة أنها أثقلهما . اذن بنوا حكمهم فيما يرجع إلى الحركات على اساس سمعي لا جسماني كما فعلوا ذلك فيما يخص الحروف . وهذا الاساس السمعي هو الذي سنحاول الكشف عنه :

فجاء ابراهيم مصطفى في عصرنا الحديث والفن كتابه المشهور « أحياء النحو » الذي كان له اكبر صدى في هذا الميدان فعمل الفتحة بأنها أخف الحركات وانها تدل على شيء وعلل الضمة بأنها علم الاستناد ودليل على أن الكلمة المرفوعة يراد بها الاستناد اليها والمحادثة عنها . أما الكسرة فأنها علم الإضافة ، وأشار إلى ارتباط الكلمة بما قبلها سواء كان هذا الارتباط باداة او بغير اداة ، وقال ابراهيم انيس بعدم معانى الحركات في الاعراب (انظر اسرار العربية) وقال المخزومي : ليست الفتحة علما لشيء خاص ولكنها علم كون الكلمة خارجة عن نطاق الاستناد (الذي هو للضمة) او الاضافة (الذي هو للكسرة) وان الفتحة هي الحركة الخفيفة المستحبة التي يبرع اليها العربي ما وجد الى الخفة سبيلا ، وهو رأي الخطيل وسيبويه ، واما ابراهيم

العلماء الاوربيين افلعوا عن هذه الابحاث النفيضة لأنهم عملوا بنظريات العلماء الغربيين الذين فشلوا في بحث هذا الموضوع ولا غرابة ، لأنهم لهم يحافظوا على لغتهم الاصممية فأصبحت لقائهم خليط لهجات لا تطابق طبيعتها عبقراتهم ، اذ لكل شعب خصائصه اللغوية لا سيما في موضوع الاستغافة ، فهذا الشعب الالماني مثلا يستحسن صوتية الغاء وصوتية الراء والناء ، بينما الشعب الفرنسي يستتجها . وهذا الشعب الانكليزي ينفر من « تفرين » الانكليزية ، بينما الشعب الامريكي يستحسنها – وبينما لا نرى شعوبا اوروبية يجيد صوتية الاو (a) اذا بالشعب الفرنسي يكثر منها – وتغلب صوتية الشين في البرتغالية ، كما تغلب عملية التغير البلعومي في اللغة الروسية ، وما أحلى صوات الحاء والهاء في اذنا ، وما ابجحها في اذن غيرنا الغ .. من الاعتبارات التي يرجع سببها الى اختلاف الذوق .

لهذا كنه لا تصح هذه النظريات الا في موضوع لغة اصلية بالنسبة الى شعوبها الاصلية ، ومنى هذا انها لا تنطق على الالفاظ الداخلية والاجنبية مع مراعاة التفاوت داخل شعب واحد ، ومن قبيلة الى قبيلة ، ومن بطن الى بطن ، ومن حي الى حي ، وحتى من عائلة الى عائلة ، ومن اسرة الى اسرة .

ولا ننتظر الوصول الى نظرية شاملة قائمة على اسس متينة في مدة قصيرة لان في هذا المطلب من التداخل بين الاصوات باعتبار الحقيقة والمجاز وبالاعتبار الاقمية والاحادية وتغير الصوات عبر التاريخ بالنسبة الى اللهجات العربية من جهة وبالنسبة الى تغير الدلالات من جهة اخرى مما هو في الحاجة والاحصاء والترتيب والتصنيف الشيء الذي ينتصنا اليوم . وقد يتبدّل الى الذهن ان هذا العلم في متناول اي شخص اذا ما اعتمد على الملاحظة والمقارنة بوسائله الخاصة . كلا ! وحدار ثم حدار ! لان اجدادنا اللغوين وهم المعروفون بالدقّة والاجتهد وسعة الباب اجادوا في بعض هذا العلم فان وسائل تقصّتهم فتوهموا في بعضه الآخر .

وإذا كانت الحروف تتكون من الصوات فان الكلمات تتكون من الحروف . وإذا كان لكل حرف معنى فان مجموع معانى الحروف يؤدي الى معنى الكلمة ومجموع معانى الكلمات يؤدي الى معنى الجملة ، وهنا قال علماءنا بمقابلة التركيب للمعاني كذلك وقالوا ان

لأنه يتغير وليس بتات كالاسماء . ولا تضم الا اذا بني للمفعول . فيبقى الفتح فيفاء كل فعل ماض - اما العرف الاخير فهو مبني على الفتح الا اذا طرأ عليه ما يضمه او يسكنه . وحرف الوسط فقد ذكرنا ما جاء عندهم فيه .

ونستنتج معاً سبق انه ليس هناك قاعدة عامة يطمئن الفكر اليها وبرهن وان السباع هو الاساس بيد انه اذا تبعتنا بازاء معالجة معاني الحروف ، معانى الحركات قد نهمني الى شيء مضبوط ناتج عن الاحماء من جهة وعن اختبار قانون الجهد والكليل المهيمن على كل ما هو من تمثيل تصرف الانسان في عميق حياته . اذ منذ ان ظهر الانسان على البيئة الا وحاول وما يزال يحاول ان يوفر لنفسه اسباب الحياة باقل جهد ممكن مما ادى به الى هذه الاختراعات العجيبة التي يريد تسخيرها لخدمته ليعيش سعيداً والسعادة لديه معناها الحصول على كل ما من شأنه ان يلبي رغباته و حاجاته وآماله بلا تعب ولا مشقة . اضف الى ذلك ان له نشاطاً عقلياً جعله يتصور العالم بصورة مختلفة باختلاف الاغراض والهوايا والاماني والخيال والشعور وبما يؤثر به على الطبيعة وعلى غيره من البشر وبما يتأثر به من الطبيعة ومن المجتمع . ومن اسباب التي دفعتنا الى تركيز البحث على معانى الحركات التناقضية الظاهرة في مدلولاتها .

في هذه اللغة - العربية تبدو لك في كتابتها مبنية على اساس حروف صامدة وهذه الحروف لا تتصوت الا مع علامات خاصة توضع فوقها او تحتها وهذه العلامات لا تنطق وحدتها لانه لا يوجد في العربية معنى يفاد بصوت حركي مفرد كما هو الشأن في اللغات الاوروبية حيث « او » (او) مثلاً تفيد مدلول المكان ، او التغير يعني انه لا يوجد لفظ مكون من حركة واحدة والكلام كله صوائب (جمع صوينة = فونيم) مركبة من حروف مع حركاتها لا من حروف وحدتها ولا من حركات وحدتها فالكلام عند العربي من كلم اي جرح وشق بمعنى فتح الصمت) فهو مكافحة و مباشرة من الكشف اي رفع ستار عن المختبئ ومن البشر اي الشق والفتح - والعربي يعتبر ان الانسان في سكت وسكون وهدوء بالنسبة الى العالم الذي يعيش فيه وبالنسبة اليه اي الى وضعه فيه ، فهو يكلم هذا العالم الغريب عند التعبير كما يفطر ذلك الصمت الذي هو الصيام ، لذا سمي انطارات من فطر اي شق وقطع ، الله فاطر السموات والارض اي خالقها من فعل خلق اي شق : خلق وخرف وخرج وحرث الخ . والحركة

السامراني فانه يقول في الفتحة انها وجدت في كثير من اللغات السامية الا انه سرد اقوال « مارسيل كوهن » و « يوهان فوك » الذين يثبتان بأن اللغات السامية كان لها اعراب ، ولم اعثر على نظر له في هذا الموضوع . اما ايات الاعراب فانه جاء في معظم كتب اللغة من الصاحبي والمزهر الى كتب فقه اللغة الحديثة .

ومن الذين عالجوها هذا الموضوع عبد الله العلaili الذي قال : « باب ضرب يضرب » يخضع له التلبس بحركة الفعل في الزمن الحاضر ، بينما الخمسة الاخرى فلا فادة معنى زائد ... فاذا اردت الدلالة على التفوقية او التركب فسوق الدلالة على التلبس بالحال الفعلية تنقل الفعل الى باب نصر ينصر ولذا طرده اللغويون في المفاخرة والمبالفة (فامرته فقرته فانا اقرره) واذا اردت الدلالة على التقلب والانسراح تنقل الفعل الى فتح يفتح ولا تلق بالا الى ما اشتربطه اللغويون من ان هذا الباب خاص بما كان عليه اولاه حرث حلق فهو تقدير واهن .. واذا اردت الدلالة على التغير خلوا واملاء وجودا او عندما تنقل الفعل الى علم يعلم .. واذا اردت الدلالة على الرسوخ والطبع تنقل الفعل الى حسن بحسن واذا اردت الدلالة على التجزو (والقسم تنقل الفعل الى باب ورث يرث) (انظر المعجم للعلaili) .

وهذه الاقوال كلها اما تكرير لما قاله القدماء واما استنباط منها ، اذ قالوا اجمالاً ان « فعل » يفتح العين لمعانٍ كثيرة لا تنضبط ، منها القلب : قامرني فقرته اقرره اي اغلبه في القمر ، ومنها ان افعال الحدوث تدرج تحت عنوانه - بينما فعل يشمل افعال الفرائض والطبائع فيدل على لزوم مداولاتها لان ما يقتضيه الطبع يدوم بدواهه وتكثر فيه العلل والاحزان واصدادرها .. وتجيء في غير فعل الا انها فيه اكثر منها في غيره ، وفعل للطبائع وهي الافعال الازمة الصادرة عن الطبيعة وهي القوة الموجودة في الشيء التي لا شعور لها بما يصدر عنها ، وخصم بها لانضمام الطبيعة الى الذات عند صدور هذه الافعال منها كان ضم الشفتين عند خروج الفم منها.

وفي العرف الاول من الفعل قالوا : لما كانت العرب لا تبديء بساكن فلا تكون ساكنة فاؤه ساكنة ولا تكون مكسورة - الا للضرورة وذلك عندما يكون الفعل اجوف ويني للمجهول او من باب فعل وهو اجوف كذلك وتضم كذلك في الاجوف من باب فعل لا غير - اذن لا تكون مكسورة لقوة الكرة وهو قليل

الفم من المض والقطع للماكولات وهذه العملية عملية اتفال الفم - هي أساس حياة الرجل لتلبية حاجته الأساسية ليعيش أما أبعاد الفك السفلي عن الفك العلوي فتقوم به ثلاث عضلات كذلك إلا أنها ضعيفة ، وهي ذات البطنين *Digastrique* والضرسية *Mylohyoïdien* والدقنوية الامية *Géniohyoïdien* فعملية الاتفال اذن بفضل عضلاتها القوية أسهل وأيسر من عملية الفتح الضعيفة العضلات فاخراج الفتحة أصعب من اخراج الضمة التي تقتضي فتحا أقل من الذي للفتحة وهي أصعب بدورها من الكسرة التي تقتضي افتتاحا قليلا للفم حتى أن صوينة الكسر قد تخرج ويقاد الكفان يكونان مطبقين الواحد على الآخر وفي الحقيقة اذا قال القداء بخفة الفتحة وثقل الضمة والكسرة باعتمادهم على ظاهرة الجمال الصوتي بذلك له أساس في اعماق الانسان الا وهو الكلام المفتوح يروق لما يوحى به من حركة ونشاط وحيوية وارادة بالنسبة الى الكلام المكسور الذي يشير الى الانهزام والخضوع والرذوخ وبالنسبة الى الضم الذي يدل على التراكم والتفاقم والسكون والركود .

واذا تمهلنا في هذه النظرية وتأملناها تأملا متقدما عميقا في حد ذاته ثم بالنسبة الى اصول اللغة لا الى فروعها وأخطائها وشائعها ، وتبصرنا امورها الباطنية اعتمادا على فلسفة الحركات بالنسبة الى البدن البشري وطبقتها تطبيقا محكما ، امكننا اذا ذلك ان نشيد نحوا جديدا منطقيا يكشف لنا السنار عن النحو القديم الاصيل الذي يبني عليه العرب القدماء لغتهم فأصبحت مطابقة لاغراض عقولهم وشعورهم وأحساسهم اي بكلمة واحدة مطابقة للحياة ، اذا فعلنا هذا ستتصبح اذاك العربية اسهل اللغات بالنسبة الى العقل اي بالنسبة الى ما يريد العقل التعبير عنه فيتمكن حينئذ ان نسترجع ملكة اللغة العربية التي ضاعت وبطيئها انزوت في السمع اي في الحفظ بخطتها وصحبها بدون معيار للتمييز بين الصالح والفالد وبين التطور الدائر المترکر والتقدم القاصد الهدف الى الكمال .

المثلثة :

خلدوا مثلا مادة « دخن » التي جاءتنا منها الابنية الثلاثة : دخن ودخن ودخن ، فانكم تجدون ما يلي :

اما يقوم بها الانسان واما تحصل له من غيره من البشر الذي يعيش معه او من العالم الذي هو فيه بالنسبة الى عناصره من ريح ورعد ومطر ونار الخ ... فهو اما مؤثر على العالم واما متأثر به . فالمربي . بهذه الفلسفة التي تتجلى في لفته واضحة لانه حافظ نسبيا على اوضاعها بينما نراها اندرست في اللغات الاجنبية يرى العالم في ابعاد ثلاثة كما ان لفته مبنية على ثلاث حركات ، حركة الفتح اي التأثير على العالم الخارجي وهو عمل صادر عن الارادة ، مثل ضرب وقتل وخرج وقطع واكل وفتح ودخل وصرع الخ .. وكلها افعال مفتوحة العين لأن الفتحة تدل على العمل الصادر عن الفاعل بارادة منه حقيقة او مجازا - ثم حركة الكسر اي التأثير الذي يحصل للفاعل من طرف العالم الخارجي ، فالكسر والخسر والقصر والخzel كلها بمعنى حصول الشيء للفاعل المغلوب المقهور . فالفعل المكسور العين يدل على كل ما يحصل للفاعل بدون ارادة منه حقيقة او مجازا مثل مرض وحزن وعطب وعلم وفرح وسم وغرق وعسر وحدب وجزع الخ .. تم الضم (والطم والضم وكلاهما تدل على التجمّع والكثر) والدوام والثبات (ك : حسن وخشن وكبر وصغر وقرب وعرج وعور ودخن وشرف وكلها بمعنى حصول الشيء للفاعل لا حصولا طارئا او مؤقتا كما هو في فعل بل بكثرة ودوام وثبات ونهاية . كل هذا مبني على اساس قانون الجهد والكسيل الذي اشرنا اليه . بما ان الحروف بشدتها ورخاؤتها ، برخومتها وخشونتها تصدر عن الانسان للدلالة على الشدة والرخاوة والرخومة والخشونة في الاشياء وأوصافها فان الحركات كذلك يجب ان تعتبر على هذا الاساس الجسماني الا ان فكرة الثقل والخفة بالنسبة الى الاذن حسب ما ذهب اليه الاقدمون فكرة ناقصة لانها مبنية على ظاهر اللفظ لا على باطنها المحرك الذي هو النشاط العصبي الدماغي بالنسبة الى تحكم الانسان في كلامه . واذا كان ذلك كذلك فلتبا ثلا حركات تقوم بها اعضاء الكلام لاخراج ثلاثة انواع من الحركات : الفتحة والضمة والكسرة التي تتصرف في جميع اللغة ، فلماذا الفتحة تدل على العمل الارادي ؟ لأن تكي الفم عند اخراج صوينة الفتحة يتبعها واحد عن الآخر . وما الذي يبعدهما ؟ ثلاثة عضلات : الاولى عضلة قوية جدا عريضة وغليظة تسمى *masseter* وهي الجناحية *Ptéritoïdien* وعضلة ثانية تساعد الاولى هي الصدغية *Temporal* تساعد الثانية اذن ثلاثة عضلات قوية لرفع الفك الاسفل حتى يتمكن

علمت وارتفعت في السن) وشرف (يكسر العين) الرجل : دام على أكل السنام (بمعنى غلبت عليه شهوة أكل السنام أي الشرف وهو السنام أصلًا من نفس العادة) وشرفت (يكسر العين) الأذن وشرف (يكسر العين) المنكب : ارتفعا أي شرفًا (يكسر الراء) أي صار مرتقين - وشرف الرجل (بضم العين) صار ذا شرف أي في حالة ارتفاع وعنوان تبنته وأصبح يتصرف بها) وشرفت (بالضم) الناقة : صارت شارفًا والفرق بين شرف الناقة (بالكسر) وشرفت (بالضم) واضح فالاول ملحوظ الوصف بعد عدمه والثانية كثرته وتراكمه ودومته حتى أصبح في أعلى درجة منه) .

وفي مادة « حزن » حزن (بالكسر) حزناً وله وعليه : ضد سر أي حصل له الحزن - وحزنه (بالفتح) ضد سر اللغة تعبر وهي عندي أقرب إلى الأصل العربي من لغة المجاز ، ولم يرد « حزن » (بالضم) في الاستعمال تلافياً للطيرية مع أن مصدره حزونة يعني مستعملًا بالمعنى الحقيقي وهو غلاظة الأرض وشدةها .

وفي مادة « بشر » بشر وبشر بالثليث وجهه خرج به بشر : (والمفهوم الضمني المعاقبة بين الثناء والزاي) : بزر « والمعاقبة بين الثناء والصاد : بصر - ومراوغة القلب المكاني : ثبر - فيأتيها منه معنى القروح ومعنى الكثرة ومعنى نوع من الأرض . وإذا وقفت على المعنى الأول فمفاده : بشر (بالفتح) وجهه : أخرج بثورا . وبشر (بالكسر) وجهه حصلت له بثور . وبشر (بالضم) وجهه وهو : أصبح ذا بثور فهناك تدرج واضح في المعانى بين فعل (بالفتح) وفعل (بالكسر) وفعل (بالضم) وذلك في الافعال كلها .

وباعتبار هذا كله نصل إلى الحقيقة الآتية وهي أن العربي كان ينطق حسب ما في دماغه من أغراض - واللغة العربية - داخل حدود نظريات وقواعد ثابتة - إدامة تمتاز بطوعية للتغيير عن جميع ما يختلط الفكر لا ميل لها في أي لغة من لغات هذا العالم .

دخن (بفتح العين) الدخان : إذا سطع وارتفع ، وهنا تشخيص للدخان وكانته يرتفع بارادة منه .

ودخنت (بفتح العين) النار : ارتفع دخانها ، أي اطلقت الدخان فارتفع . وهنا تشخيص كذلك لفعل الفعل أرادياً .

ودخنت (يكسر العين) : الذي عليها حطّب فأفسدت فجاج دخانها (والمعنى واضح ، أي حصل لها الدخان وأصبت به فأصبح الدخان يحصل لها وبؤر عليها) .

ودخن (يكسر العين) الطعام واللحم وغيرهما : إذا أصابه الدخان في حال شيء أو طبخه حتى تغلب رائحة الدخان على طعمه (وهذا معنى الحصول واضح) .

ودخن (يكسر العين) الطبيخ إذا تدخلت المدر - وشراب دخن (يكسر العين) : متغير الرائحة (أي بالمعنى الحقيقي رائحته هي رائحة الدخان وبالمعنى المجازي : لم تبق رائحته الأصلية فتغيرت واطلق اللفظ على سبيل العموم) -

ودخن (بفتح العين) الغبار : سطع وارتفع أي كما يسطع الدخان يسطع الغبار) -

ودخن (يكسر العين) خلقه : ساء وفسد وخبيث (بمعنى حصل لها السوء والفساد والخبث) ودخن (بضم العين) النبت ودخنت (بضم العين) الدابة دخنة مثل دخن (يكسر العين) (يستخلص منه الثبات والدوام على حالة الدخنة أي الكدرة يعني صار نهائياً في ذلك اللون أو لم يستطع الصبر على كثرة الدخان) .

وإذا أخذنا مادة أخرى فيها الابنية الثلاثة مثل « شرف » ومعناه العلو نرى ما يلي : شرفه (بفتح العين) : غلبه في الشرف . وشرف (بفتح العين) الحافظ : جعل له شرفه ، وشرفت (بفتح العين) الناقة : صارت شارفًا (أي على سبيل التشخيص

التعريب والتفتح في المغرب العربي

لـ الدكتور محمود عبد المؤمن
«تونس»

ـ ان التفتح شطر اللغات الحية والحضارات المتقدمة يجب ان يكون مدروساً ـ لا متروكا للصدف ، لكي يلعب دوره المكمل الفعال لثقافتنا ولغتنا وأصالتنا .. والا انقلب الى خطر ماحق بهد شخصيتنا وكياننا الاجتماعي والثقافي ، بالمسخ ولذبذبة ... كما نرى ـ لا تناقض بين قيمنا القومية واقيم الاممية في مضمار الاصالة والتفتح . نستطيع ان نأخذ عن الفير العلم والتكنية والثقافة المتقدمة وذلك بتعلم بعض اللغات الأجنبية الحية بدقة واتقان ـ اذا امكن ـ وفي نفس الوقت نتمسك بمقومات شخصيتنا العربية والاسلامية حيث تكون اللغة العربية والفكر الثوري من عناصرها الاساسية ، هذا في رأيي هو الانفتاح المنشود . أما الاقتصر فقط على الاخذ من فرنسا وحدها عن طريق لغتها وثقافتها ، فهذا هو التحجر والذوبان معاً .

انه التحجر لأن فرنسا هي في الواقع تعتبر في خصوص بعض الميادين العلمية والتكنولوجية مختلفة بالنسبة لعدد من البلدان المتقدمة كامريكا وانجلترا وروسيا والمانيا ... الا أنها تعتبر طبعاً - متقدمة تقدماً مهولاً - بالنسبة للبلدان المختلفة جمعها .ليس من الافضل للبلدان المغارب العربي ان يستفيد من اختصاصات - هي في حاجة اليها - ولا تجدها في فرنسا بل في بلدان اخرى متقدمة ، سواء كانت في الشرق الاشتراكي او الفرب الرأسمالي ... اذا كان الجواب بنعم ، فلا شك ان تعلم لغة من اللغات

يتحدث الناس تثيراً ، هذه الايام عن الانفتاح او التفتح ، حتى غدت هذه الكلمة مبتذلة واصابها ما أصاب بعض العملات ، اثناء الازمات الاقتصادية ، من تضخم قد قضى على جزء ضخم من قيمتها اشرافية .

ولا نعدو الحقيقة كثيراً اذا قلنا ان كلمة انتفاح او تفتح او تعصير ، أصبحت ، في قاموس البعض ، تعلة لاتهام كل من ابرى للدفاع عن حظوظ اللغة والثقافة الوطنية ، بالتجبر والرمادة والانطواء على النفس ...

وبهذه المناسبة ، ونحن نضع بعض ملاحظاتنا حول « جدلية التعريب والتفتح » او جدلية « الاطالة والتفتح » ـ توکد لادعاء الانفتاح والتفتح والتعصير ـ دون ذكر اسمائهم ـ ان كل من يعتز بلغته وأصالته الثقافية والقومية بطريقة ، ثورية موضوعية ، بإمكانه ان يستفيد من عملية الاخذ والعطاء مع الحركات الفكرية والعلمية في العالم . وذلك على شرط ان تكون اللغة والامالة الحضارية والاجتماعية هي الاصل والمنطلق ، لكل عملية تفتح عبر اللغات والحضاريات الأجنبية . لذلك لن يتم هذا الاخذ والعطاء الخصب الا في شروط موضوعية معينة منها :

ـ تحريك قيمنا الحضارية الخالدة - وتراثنا الشوري الحافز ، وربطها بالحركات الفكرية والعلمية المتقدمة في عالم القرن العشرين .

الحية كالإنجليزية أو الروسية أو الألمانية ...
أمر لازم .

ان افتتاح مغربنا على العالم المتقدم - عن طريق
لغة او لغتين من هذه اللغات الحية ميساعدنا - دون
ريب على الخروج من مرحلة التخلف بنجاح للانطلاق
بعد ذلك - الى التنمية الاقتصادية والاجتماعية
والاشعاع الثقافي والعلمي والتكنولوجي ...

وادبولوجية ونفسية لا تخفي على أحد . واذا صارحنا
انفسنا وضمائرنا ، فهو ، في حقيقة الامر قضية
معيرية تحكم فيها السياسة والاقتصاد ، بحيث
تجاور امكانيات رجال الفكر والتربيه والثقافة في
المغرب العربي . والرأي عندنا ان الحل الجذري
لمشاكل كثيرة يتخطى فيها مجتمعنا العربي اليوم ،
يكمن في تبني سياسة التعرّيف الشامل والمرحني .
فهل لنا ان نعرب ؟ وهل لنا ان نجعل من لفتنا
القومية ، لغة المدرسة والادارة والشارع ، والانتاج
الفكري والعلمي ٠٠٠

اذ لا يمكن ، اطلاقاً عزل المفهوم السياسي
العملية التعرّيف عن مفهومها الثقافي ، فكلاهما وجهان
لعملة واحدة !؟

لذلك ونظراً لشعب قضية التعرّيف ، باعتبارها
قضية سياسية ومجتمع ، وحضارة ، ولغة ، وشعب
ومثقفين ، وهي مطروحة اليوم بثقلها الكامل والملح
على الصعيدين الرسمي والقومي ٠٠٠

لذلك ونظراً لكل هذه الظروف والملابسات
الادبولوجية والنفسية التي تحف بالتعرّيف لا يسعنا
 الا أن نؤكد الحقائق التاريخية التالية :

اننا لا ننكر ابداً المشاكل والصعوبات
النفسية والمادية التي تعرّقل سير قطار التعرّيف ،
خاصة ونحن نعلم ان الاوضاع الاستعمارية التي
رزحت تحتها بلادنا ، قد فرّقت علينا واقعاً ثقافياً
واقتصادياً واجتماعياً مختلفاً . ان هذه التركيبة
الاستعمارية الثقيلة والبعيدة قد عكست على حياتنا
الاجتماعية ارتباطاً لغوياً وثقافياً خطيراً .

كان هدف الاستعمار في العصور الحديثة
سواء كان فرنسيأً او انجليزياً يرمي الى تعزيز
وحدة الامة العربية وتقسيم الوطن العربي الى
دولات وكيانات سياسية عديدة ، وذلك لغاية
السيطرة على مقومات هذه الامة بجماهيرها
الكادحة ، اقتصادياً وثقافياً ولغوياً ٠٠٠

وكان من نتائج هذه السياسة الاستعمارية
الادماجية في المغرب العربي الكبير وخاصة ، هو
تجهيز الجماهير بلغتها وتاريخها وواقعها ... ومن
هنا كانت وضعية شعوبنا المغاربة مطابقة للحقيقة
العلمية التي صدّع بها ، منذ قرون عديدة العلامة ابن
خلدون وهي تؤكّد بان « الامة الفالبة تفرض على
الامة المغلوبة حضارتها ولغتها ... » .

لذلك طالب المثقفون في تونس والمغرب الاقصى
قبل الاستقلال وبعده بالتعريب والاصلة الثقافية
لاسباب عاطفية ، وانما لانه المطبع الطبيعي
والشعبي ، والسبيل الوحيد الى تحقيق ذاتيتنا
ونهضتنا ، والمنطلق السليم نحو وحدة مغربنا العربي
كخطوة نحو وحدة وطننا الافضل ...

الواقع ان موضوع الاصلة والتعرّيف هو موضوع
له حساسية خاصة ويطلب منا قدرًا كبيراً من
الموضوعية والشجاعة . قد يحدث التباس في الاذهان ،
ونحن نشير الى الاسئلة والتساؤلات حول قضية الاصلة
والتعرّيف ، قضية الساعة في مجتمعنا ، هذا
الالتباس يتمثل في ان الفرض من اثاره مشكلة
التعرّيف في تونس او الجزائر او المغرب الاقصى هو
احراج المسؤولين او التهجم على هذه السياسة
التربوية او تلك . لكن الذي حدانا الى معالجة هذه
القضية المصيرية هو حرصنا على بناء المغرب الكبير
على اسس متينة ، كخطوة مرحلية نحو بناء الوطن
العربي .

فالواجب يفرض علينا النقد النزيه والموضوعي
لجواني حياتنا اللغوية والثقافية وغيرها كلما شعرنا
بان هناك خطراً يهدد كياننا . ان اسلوب السكتون
والتفاؤل الكاذب هو بمنزلة الخيانة لانه يقضي على
أمل شعوبنا في التقدم والتحرر والوحدة .

نحن لا ننكر ان موضوع التعرّيف والاصلة هو
موضوع خطير ، قد حفت به ملابسات سياسية

تركيا الفتاة . اما في المغرب باقطاره الثلاثة ، فقد قامت محاولات شرسة على يد الاستعمار الفرنسي ، ترمي فيما ترمي اليه : الى الفرنسي والادماج ، واحلال لغة المستعمر وثقافته محل اللغة العربية وثقافتها .

لذلك أكد المثقفون المغاربة - مرارا وتكرارا - ان لغة المستعمر ، بما تحويه من ثقافة وتقالييد لا تتماشى مع متطلبات السيادة الوطنية ولا تنسجم مع مقومات الشعب العربي في تونس والمغرب الاقصى والجزائر . وإنما هي - بالعكس من كل ذلك - تمسخ او يامكانها ان تسمخ - شخصيته وتلهيه عن مشاكله الحقيقة .

لذلك فواقع اللغة العربية يعود تفسيره لظروف تاريخية وحضارية . بدأت اثر عصور الانحطاط والظلم ، وبخاصة في بداية العهد التركي ، ثم تطورت الامور عندما حاولت عائلات دخلة محاربة اللغة العربية وذلك خطوة نحو تتربيك الاقاليم العربية . وكلمة تتربيك هي كلمة دارجة حتى اليوم في بعض اللهجات العربية في المغرب وتونس وتعني مثلا العبارة : « يحب بتركتني » معناه « يريد ان يملكني » [1] . من هنا ندرك العلاقة المعنوية بين عملية مسخ العرب الى اترك عثمانيين . وعملية الهلاك والاهلاك .

ان عملية التتربيك هذه قد نادى بها - كما نعلم - وحاول تطبيقها دعاة الطورانية من جماعة

(1) **كلمة « تركية »** بتشديد السراء منهاها في عامية المغرب الاقصى : سلب او نهب كل ما يملكه ، وكان « المترك » (يفتح الراء وتشدیدها) مات فصارت تركته تحت رحمة السالب . ومن هنا يتضح اشتقاق الكلمة العامية من الفصحي ، كما يتضح من استعمالها في المغرب الاقصى بالمعنى الذي اشرت اليه .

اللغة العربية في مُرآة قواعدها القومية

الأستاذ أنطون شائى⁽¹⁾ جامعة هايدلبرج ترجمة الأستاذ إدريس الخطابي

الفينا فقرته الحادية عشرة تقول من بين أشياء أخرى: « ينقسم الكلام إلى ثمانية أقسام : اسم و فعل و اسم مفعول و آداة تعريف أو تنكير و ضمير و حرف جر و حال و عطف ». أما النحويون الرومان فاننا نجدهم يتخدون المصطلحات اليونانية مترجمة بالحرف الواحد . ولذلك ظلل نموذج ديونيزيوس تراكس عالقاً بالأذهان للدرجة أن الأقسام الثمانية ظلت قائمة على الدوام مع تغيير بسيط وهو احلال حرف التعجب محل آداة التعريف التي لم توجد في اللاتينية . وقد تولى النحاة الثقات ، مثل دونات (Donat) وبريشيان (Priscian) نشر هذا المذهب طوال القرون الوسطى والزموا به الناس . أما التقسيم الثلاثي الذي أوردناه في مطلع بحثنا فلا يوجد له أثر واحد في هذا الوقت على ما أظن .

وقد أنسن يوهانيس رويشلين (Johannes Reuchlin) سنة (1506) في بفورتسهايم (Pforzheim) قواعد اللغة العبرية عند المسيحيين في كتابه « مبادئ العبرية » . وفي الصفحة (551) يكتب عند تعرضه لاقسام الكلام

اذا فتحنا كتابا من الكتب الحديثة التي تعالج قواعد اللغة اللاتينية لنتعلم عن انواع الكلمات المكونة للجملة وجدنا التقسيم كما يلي: الاسم والفعل والجزيء (أو الآداة) (Partikel) . والعلامات التي يستند إليها هذا التقسيم ذات طبيعة عريضة اي أنها ليست من صميم الكلمة : فالاسماء المعرفة والأفعال المنصرفة كلمات قابلة للتغير . وأما باقي الكلمات غير المتغيرة فتشملها اللفظ العام : جزء . غير ان علامات التمييز هذه لا تفي بالغرض اذا اردنا ان نقسم الجزرء الى اقسامه المختلفة . ومن ثمة ادخلت فكرة وظيفة الكلمة في الجملة وتفرع الجزء الى حال وجار وعطف ونداء . فنحن نرى اذن ، ان قائمة انواع الكلمات او اقسام الكلام ، قد اشتغلت على الفاظ ذات طبيعة متباعدة تابين وجهات النظر النحوية عبر التاريخ .

واذا رجعنا الى ما قبل اليوم بحوالي قرنين اي الى زمن وضع القواعد النحوية الاولى في البلاد الفربية ، والقينا نظرة على « فن القواعد اليونانية » المؤلفة ديونيزيوس تراكس (Dionysios Thrax)

(1) جاءنا هذا البحث من مؤلفه من المانيا الاتحادية ورغم بعض الاراء الفريبية التي جاءت فيه فاننا ننشره حتى تكون على علم بكل ما يكتب عنها فيما كانت نوعيته او قيمته وقد نشرنا الاصل في مكان آخر من هذا العدد . وهو عبارة عن كلمة القيت بمناسبة تولي المؤلف الاستاذية فوق العادة للغات السامية الحديثة والاسلاميات في جامعة هايدلبيرج في 21 ديسمبر 1971 .

قبل الخليل ، الذي يعتبر المؤسس للنحو العربي ، مصادر أقدم منه للرد على هذا السؤال . وفي القرن الثاني المجري أي في نهاية القرن الثامن الميلادي ، طلع على الناس بنيان عجيب ، هو بمثابة صرح لقواعد اللغة العربية . والذي شاد هذا البناء الشامخ هو تلميذ الخليل الفارسي سببويه . واهم أعماله التحوية هو مؤلفه المعنى « الكتاب ». وفيه أول عرض شامل منسق للغة العربية وهو بالنسبة للنحوين العرب « الكتاب » الذي لا يزال ثقة إلى يومنا هذا .

اما نقطة الانطلاق بالنسبة لأكثر العلوم العربية تقاؤة فتدور حولها مجموعة من الأساطير . فقد كان أبو الأسود الدؤلي – أحد أنصار علي بن أبي طالب آخر الخلفاء – قاضياً في البصرة وهي المدينة الكبيرة التي كانت في أول أمرها مسكن الجنود العرب ، وال موجودة اليوم في جنوب العراق . وقد سُئل أبو الأسود الدؤلي : كيف تعلم العلوم التحوية فأجاب بأن الخليفة نفسه هو الذي علمه إياها ولم يكن أبو الأسود يغير معلوماته اهتماماً كبيراً حتى أمره حاكم العراق بوضع دليل اللغة العربية ليتمكن الجمهور من تفهم القرآن كتاب المسلمين المقدس . ولم يبد أبو الأسود رغبة في الانصياع لهذا الأمر بيد أنه سمع يوماً واحداً الناس يتلو جزءاً من السورة التاسعة من القرآن (سورة التوبة) : المترجم) كما يلي : « أَنَّ اللَّهَ بِرَءِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ (ﷺ) بِدَلًا مِنْ وَرْسُولِهِ كَمَا هِيَ الْقِرَاءَةُ الصَّحِيحةُ . وَالْقِرَاءَةُ الْخَطَا لِيُسْتَأْلَى مِنَ الْكُفَّارِ لَأَنَّهُمْ مَعْنَاهَا أَنَّ اللَّهَ بِرَءِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَمِنْ رَسُولِهِ . فَذَهَلَ أَبُو الْأَسْوَدَ مِنْ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ وَفَرَّ عَلَى الْفُورِ تَبَلِّيْةَ أَمْرِ الْحَاكِمِ .

ليس من الصعب معرفة النواة التاريخية لهذه الأسطورة ، فالمسألة تدور حول المحافظة على تراث مقدس أي حول وقاية ما يعتقده العرب أنه كلام منزل من عند الله بلغة عربية خالصة نقية . فكانت إذن الأسباب التي أثارت عند العرب الانتباه إلى القواعد التحوية هي أسباباً دينية . كان من الواجب أن يصان القرآن عن الأخطاء في أفواه العديد من الذين كان عهدهم بالاسلام حدثاً . والاتصال باللغات الأجنبية في البلاد المغروبة هو الذي نبه العرب إلى الاعتناء بلفظهم وليس هذا السبب أقل الدوافع لوضع النحو القومي ، مع العلم بأن الاتصال باللغات الأجنبية في البلاد الغربية

العربي : هناك ثلاثة أقسام : الاسم والفعل والاتي بمعنى – نقول اليوم الجزيء – ، ويشمل الاسم أيضاً على الضمير واسم المفعول . ويشمل الحرف على الاربعة الآتية : الحال والمطف وحرف الجر والتعجب . نرى أن تقسيم كتابنا الحديث للقواعد اللاتينية يتفق مع كتاب روبيشلين اتفاقاً مدهشاً . والجدير بالذكر أن روبيشلين والعلماء المسيحيين المعارضين له اخذوا فكرتهم حول اقسام الكلام عن الاعمال التحوية اليهودية القومية حول اللغة العربية ، غير أن أعمال علماء اليهود النسقية الاولى كتبت باللغة العربية وافتتحت تأثيراً وحسب نموذج القواعد التحوية العربية القومية .

قادتنا هذه الفارة الصغيرة في تاريخ النحو إلى علم هيمن في عهد لمعان الثقافة العربية الإسلامية . وتتأثر هذه الثقافة وبقائها في علوم الغرب الطبيعية والرياضيات وعلم النجوم ودورها الواسطي بالنسبة للتراث اليوناني معروفة معرفة عامة . غير أن الآثار المتواضعة لهذا العلم العربي الاصليل في وسط كتاب من كتب النحو الحديثة لم ينظر إليه بعد ، من هذه الزاوية .

ولم أجد في نطاق عملي ، شعباً من الشعوب القديمة ، يعني بلغته وفكرة فيها وحاول تنسيق تأملاته حولها إلا الشعبين اليوناني والهندي . أما الدور الذي قام به النحو القومي اليوناني فقد سبق أن أشرنا إليه وأما الهند فقد تجاوزوا دقة اليونان في هذا المضمار وأظهروا أصالة في إيجائهم ووصلوا إلى القمة بمؤلفات بانييني (Panini) أواسط القرن الأول قبل المسيح . وقد مهدوا بالفعل الطريق أمام الباحثين الهنود جرمانيين في الدراسات المقارنة بين اللغات . ولم تتم الانجازات المظيمة الرائعة في هذا العلم إلا بعد دراسة السانسكريتية والبحوث الدقيقة التي قام بها النحوين الهنود الذين القوا الضوء على هذه اللغة وأوضحوا غواصتها الدقيقة .

ويقع النحو القومي العربي ، في المكان والزمان ، موقع الوسط بين النحوين الهندي واليوناني وهذا الموقع هو الذي جعل الناس يتساءلون إلى الآن ، بما إذا كان النحوين العرب قد استعملوا بمتذبذب اجنبية ونظراً لهذا الوضع ولعدم تمكن العلماء من إعادة المراجع إلى أصولها بالدقائق المطلوبة أصبح من المستحيل الفصل في هذا الأمر ، إذ ليس من المتوقع أن تجد

(١) بالعربي في الأصل .

التعريف نفس تعريفنا نحن الغربيين ، مع العلم ان العلوم الاسلامية ومعها النحو العربي القومي قد اتجهت وجهة متباعدة تمام التباين عن وجهة العلوم الغربية . فنحن نحاول توسيع المادة الماثورة وتنعمتها حسب الامكان ، ففي مادة التاريخ - مثلا - نجتهد دائما في ضم مصادر أخرى حتى نستطيع تحديد أسباب مصرنا بطريقية ادق . وفي العلوم اللغوية نسعى الى مضاعفة تحقيق نظرتنا حول تطور اللغة وذلك بواسطة طبع امهات الكتب والبحث في اللغة الدارجة . نعم نقيم - نحن ايضا - نظرياتنا على أساس المواد الموجودة بين ايدينا ، واذا تغيرت هذه المواد او وجدت مواد جديدة يمكن ان تغير النظريات تحت ظروف معينة تغيرا حاسما . غير أن العلوم الاسلامية نمط آخر : فالمادة الماثورة قد اكتملت ووصلت الى حدودها في زمان معين في الماضي . فبعد ان اقام اللغويون العرب نظريتهم التحويية على أساس الادب العربي المعترف به آنذاك أصبحت هذه المادة المحدودة ، المقاييس الوحيدة لبناء النسق التحويي .

ولاجل هذا النموذج الذي وضعه النغويون الاولى لم يُؤخذ بعين الاعتبار مع القرآن الكريم الا الشعراء الاقدمون والنصوص التشرية القديمة القليلة من بينها الروايات الخاصة ب أيام العارك التي خاضها العرب الجاهليون والأمثال القديمة واحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، أما الادب التشيي الجيد الذي ازدهر بفترة بعيد عهد الامويين والذي هو جزء مهم من الادب العربي التحوي فلم يستعن به لبناء قواعد اللغة . والسبب في اهماله وفي عدم محاولة تلاميذ سيبويه استخراج الأمثلة التحويية من النثر يرجع الى قدرة الاسلام على التثبت بالمعطيات الاولية . و اذا طبقنا ذلك على اليونان فإنه يعني حصر استخراج النماذج التحويية على مؤلفات هوميروس والشعراء الاقدمين و اعمال هيروdot (Herodot) و توكيديdes (Thukydidies) وبما أن لغة القرآن كانت هي اللغة القانونية والمحترمة الوحيدة وبما أن اللغة العامة كانت تختلف عنها في التشكيل وتركيب الجمل كان من الطبيعي ان يرفض العرب رفضا باتا استعمال ظواهر اللغة العامة في بناء النسق التحويي .

ولقد ادت الاعتبارات الدينية هنا الى تقلص المادة الماثورة وظهرت فعلا وفي زمن مبكر معارضة لهذه الفكرة وذلك في القرن الثاني الهجري وكانت المعارضه توخي توسيع الماثور اي الزيادة في المادة المستعملة لبناء النسق التحويي . لكن سرعان ما انتصر

في نفس الزمن - اي في القرون الوسطى - لم يؤد الى الاشتغال باللغة القومية ، فاللغة العربية عرفت درجات مختلفة من النبو و كانت هذه اللغات المختلفة المستويات تتنافس الصدارة قبل ظهور محمد (صلى الله عليه وسلم - المترجم) . فمن ناحية توجد لغة دارجة منقسمة الى لهجات متباعدة ، ومن ناحية اخرى اللغة العربية المتقدمة الآتية من القدم ، لغة راقية او لغة الادب . ولا نستطيع اليوم تحديد الزمان والمكان اللذين نشأت فيما هذه اللغة الراقية ولا متى اعترف لها بالصدارة ولا متى اعتبر استعمالها ملزما بشرط معينة ، والشيء الذي لا يتطرق اليه الشك هو ان هذه اللغة كانت في زمن محمد (صلى الله عليه وسلم) متميزة عن اللهجات الاخرى وأصبحت لغة تعم جميع القبائل فيما يخص الشعر والاختلافات ذات الابهة والاحترام . وقد احتفظ الشعر العربي القديم باوزانه الصارمة البنية - لهذه اللغة ببناؤتها . وأهمية الشعر - كبديل للفن التشكيلي - الذي كان مستحيلا في الحياة البدوية - جعلت من الممكن ابقاء هذه اللغة حية على الدوام .

والتناقض بين لغة العامة ، ولغة الشعراء والقرآن كان لا بد ان يعمق التفكير في اللغة القومية . ومن المؤكد ان الذين اتخذوا تلاوة القرآن مهنة كانوا في نفس الوقت نحاة . فلم يكن تأويل القرآن الذي كان ينظم الحياة العامة وخاصة ممكنا الا بمعرفة دقيقة للغة الراقية . وفي المدينتين الطموختين الكوفة والبصرة - بادنى العراق - نشأت مراكز للعلوم التحويية ، ربما اقتصر هذا العلم بادنى ذي بدء على مراقبة كلام البدو وجمع وشرح الاشعار والروايات الخاصة بالعرب القديمة والأمثال والتقاليد ، فنعرف - مثلا - أن معظم أعمال الكوفيين مجرد تجميع . أما البصريون فيظهرون انهم بكرروا بترتيب المواد الماثورة والممثلان الرئيسيان لدراسة البصرة الخليل وسيبويه، هما اللذان اتما تنسيق النحو العربي .

نعرض على القارئ فيما يلي تاما قصيرا عن النظرة الاسلامية للعلوم :

عرف السيوطي العالم العربي المشارك كل العلوم بأنها جزء من المنقول الماثور الذي عولج بعقل وتدبر . ويشتمل هذا التعريف على ركتي كل عمل علمي : أحد هذين الركتين هو المنقول اي المادة الماثورة القابلة للمعالجة والتنقيح ، والركن الثاني هو عقل العالم المتع مع موهبته البنائية والتركيبية . ويمكن ان يكون هذا

هذا ولم يعتبر المسلمون قط اللغة شيئاً متطروراً ونامياً كما لم يتفهموا الفرق بين اللغة والكتابة التي هي شيء عارض مخترع والسبب في ذلك هو القرآن أيضاً فمعنى كل كلمة في نصه المأثور لا يوجد في صورته الملفوظة فقط ولكن يوجد أيضاً - بل أكثر منه - في رسمه المكتوب الذي تناقله الأجيال في شكل معين . فللرسم والكلام نفس الوزن . وقد بنيت القواعد النحوية على أساس نص القرآن أي حسب صورة الرسم كما ترى بالعين لا حسب صورة اللفظ كما تسمع بالأذن . فأصغر جزء في الكتابة هو الحرف أما في العربية فهو الحرف المتحرك فقط (1) ولذلك يسوى في الاصطلاح النحوي اللفظ والحرف المتحرك والمدلول الذي تدل عليه الكلمة (Silbe) ، والذي هو أصغر جزء في الكلام الملفوظ المسموع ، لم يكن معروفاً عند النحويين المسلمين في القرون الوسطى ولم تعرف اللغة اصطلاحاً عليه ، وبما أنه لم يحصل إلا حسب صورة الرسم فكان المدلول الذي تدل عليه الكلمة (Vocal) ينقص في اللغة . ولم تدخل علامات الحركة في اللغة إلا عند ما ادخلت العلامات الدالة على قصر الحركة . ولم يحدث ذلك إلا لأن العرب يرمزنون إلى الحركة بعلامة خاصة . والشيء الذي يثير الاستغراب هو أن نظرية صوتية تشبه نظرية قد بنيت على هذا الأساس . بل تطورت منها الأوزان الشعرية وذلك بدون أن يكون المفهوم من الكلمة (Silbe) معروفاً .

وبالإضافة إلى معنى ضيق للمادة لا نفهمه نحن الغربيين ، فالمحجرى الخارجى الذى اخذه النظرية إلى اللغة القومية فى العالمين الغربى والإسلامى متباهى تمام التباين . فالليونان ، وهم أساتذتنا فى العلوم النحوية ، كانوا ، قبل اكتشاف العلوم المختلفة ، قد عنوا كثيراً بالعام الذى يمكن وراء الخاص واهتموا بمبادئ الفلسفة ، وبنوا بالفعل صروح المنطق ، وفي إطار هذا الأخير وجدت المادة التى تستند إليها العلوم المختلفة وخاصة اللسنيات أرضاً صلبة . فالكلام

مذهب المتأور المعهود على مذهب التوسيع والتتجدد حتى في النحو الذي ما كنا نتوقع فيه وجود علاقة بالدين يعكس النزاع المتواصل الذي نلاحظه في التطورات المذهبية والشرعية في الإسلام . وفي هذا النزاع انتصر انصار القديم المتصلبين . ولهذا السبب رفض ممثلو النحو القومي العظام ، الانشغال باللغة العامة أو تصحيح خطائها . ولم يألوا جهداً في الحفاظ - بغيره - عن القانون الذي هو نموذج الاعمال الأدبية العظيمة وعدم توسيعه، ولهذا استعملوا دائماً في مؤلفاتهم نفس الأدلة والامتثال . وبذلك اتخد النحو صيغة « علم معيار » وأخيراً أصبح هذا المعيار والعبارة « ممتوّع » سبباً في أن اللغة العربية الفصحى ظلت هي هي ، في أساسها ، منذ ثلاثة عشر قرناً .

وإذا عرفنا أن النحو العربي لم يتزود بآية مادة حية من آية لغة حية ، سهل علينا أن ندرك كيف جداً هذا العلم بالضرورة ، شيئاً فشيئاً ، جاماً مثل المومية . ويمكننا أن نأخذ فكرة عن ذلك في رواية من روايات الشاعر الفارسي الشهير سعدى في ديوانه « جنة الورد » في القرن الثالث عشر . ففي أحدى رحلاته إلى تركستان الشرقية - التي هي ولا شك ، ثمرة خياله الشعري - رأى سعدى في مسجد كتشكاري طالباً منصباً بحماس على باب من أبواب كتاب الزمخشري . و يجب هنا أن استطرد لأقول إن النحو العربي يشرح حالات الأعراب في جمل نموذجية صغيرة وتدرس نهايات الأعراب مرتبطة بنصوص مفترضة لا يحاد عنها قط ، ولذا سمع سعدى الطالب يقرأ : ضرب زيد عمرو وعمرو هذا مفعول وزيد فاعل . وحدث أنه في السنة نفسها عقد حاكم توران سلماً مع القيصر الصيني بعد حرب طويلة . وقال سعدى للطالب الشاب في سخرية خفية :

لقد تصالح توران والصين ، وما زال زيد يضرب عمرو . وإلى يومنا هذا يتضارب عمرو وزيد في جميع المدارس التي يلقن فيها النحو العربي على الطريقة القديمة .

(1) تنقسم الحروف الأبجدية عند الغربيين إلى (Konsonant) بالفرنسية (Consonne) وهي ذات المخارج و (Vocal) بالفرنسية (Voyelle) وهي ما يسميه العرب الحركات كالفتحة والكسرة والضمة والسكون - الفرق بين العرب والفرنسيين هو أن الحركات عند الغربيين (y, a, e, i, o, u, ü) تعد من الحروف وتكتب إلى جانبها - ولا تعد في العربية من الحروف ولا تكتب بالضرورة معها وإنما توضع فوقها أو تحتها إذا أشكل النطق - (المترجم)

(2) يعبر عن هذه الكلمة اليوم بـ مقطع (المترجم)

وال فعل [1] ، والحرف [1] الذي نعبر عنه نحن بالجزيئ [4] . وهذا هو التقسيم الذي أخذه رويشلين من القواعد القومية اليهودية المقتبسة هي بدورها من القواعد العربية القومية . وقد ظن الناس في الأول أن العرب مدینون ، في معانٍ قواعدهم الأساسية هذه لتأثير أجنبٍ وبالاخص تأثير يوناني . مع العلم اننا ، نحن الغربيين ، لم نعرف الا بعض المؤلفات النحوية التي تحمل آثار التعرفيات الارسطوطالية . وقد ظهرت هذه المؤلفات في وقت متأخر نسبياً وجاءت مرتبطة باصلها ارتباطاً جديراً باللاحظة ولم تفصل عنها الا نادراً . بذلك كان من الممكن أن ينشأ اخيراً اعتقاد القائل أن القواعد القومية العربية ارتكزت على الفلسفة اليونانية ، العكس تماماً لما تواتر عند العرب الذين يعتبرون القواعد القومية علماً عربياً محضاً . وبهذا الاعتقاد فقد الغربيون ملكرة تقدير المصادر القديمة بموضوعية ونسوا أن هذه المراجع الأصلية أقدم من التاريخ الذي دخلت فيه الحكمة اليونانية العالمية في دائرة الفكر العربي . وقد أدى بعضهم بدلالٍ ضعيفٍ جداً ليحاول أن يجد في انشاء المعانٍ عند النحو العربي تأثيراً من القواعد اللاتينية وذلك عند ما قارنوا بين الاصطلاح اللاتيني (Terminus) والعربي « حرف » مع ان « حرف » يدل على شيء من المفظ أو المكتوب صغير ليس محدوداً في حجمه ، ابتداء من حرف أو حرف متحرك حتى الكلمة وعبارة ، وجزء من جملة . ولا ينبغي لهم هذه الكلمة التي نعبر عنها بكلمة (Partikel) أي قسم الكلام الثالث ، كما يفهم اليوم . فالمفهوم العربي لهذه الكلمة ليس كذلك . يقول سيبويه أن الكلام ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الاسم والفعل والحرف [1] ثم يعرف الحرف ويوضحه كما يلي : يعبر الحرف عن معنى ليس بالاسم ولا بالفعل . ولذلك تكلمة « حرف » تعني شيئاً آخر، غير الحرف المفرد أو مجموعة من المعرفات التي تكون كلمة لا معنى لها بذاتها . كل ما ليس اسماء او فعلاء ينتمي الى الحرف ويأتي بمعنى . ولا تمت هذه الكلمة الى الكلمة اليونانية (Syndesmos) بصلة . وفي العبارة « حرف معنى [1] » كما كان يسمى القسم الثالث في الأصل يقع الوزن في الكلمة الثانية « معنى » ويمكن التعبير عنه في لفتنا بـ « مجموعة من المعرفات الابجدية الدالة على معنى » .

والتفكير عند اليونان يشتمل على نفس القوانيين المنطقية . ولذلك كان من الممكن ادراك الاثنين في نفس المنهج الفكري . فيتساوى عندهم الحكم والجملة ، والمدلول والكلمة . أما في الإسلام فقد تطورت الامور تطوراً مضاداً على طول الخطط ، حيث جمع المسلمين ، اولاً ، المادة اللغوية التي هي موضوع البحث والتنظيم ، ثم كونوا منها بعد ذلك نظرية لغوية ولا تقول ان هذه النظرية الأساسية غير منطقية ولكنها ليست ، كما عند اليونان ، منطقية صرفاً ، فالنحويون القوميون العرب ينظرون مع عبر الشكليات والقاليب الى محتويات ومعانٍ الجمل . واليونان ومعهم الغربيون اليوم يرون العام وراء الخاص . أما النحو الإسلامي فلم يستطع ان يخرج من الخاص الى العام الا بشق الانفس . وتصلح نظرية اليونان اللغوية ان تطبق على جميع اللغات لأنها تطورت تطوراً موضوعياً . أما النظرة العربية الإسلامية الى اللغة فلا يمكن تطبيقها أساساً الا على اللغة العربية نفسها لأنها لم تتبّع من مباديء منطقية موضوعية صرفاً . ولذلك يمكن ان يفهم السبب الذي جعل اللفتيين الاديتيين الكباريين الفارسية الحديثة والتركية العثمانية المعتمدين على العربية ، لا تستطيعان تطوير نظرية لغوية خاصة بهما . فالفارسية الحديثة الهندوجيرمانية ابنت ان تخضع لنفق لا يصلح الا للغة العربية .

وتحتختلف التقسيمات في النحو الإسلامي ، حتى في مظهرها ، عن التقسيمات في نحونا اختلافاً كلياً . فعلى أساس التوازن المنطقي بين الكلمة والمعنى وبين الجملة والحكم ، تقسم قواعdena النحوية الى دراسة تكوين الكلمات أي علم الاشكال ، ودراسة تكوين الجمل اي (Syntax) . أما النحويون العرب فينهجون نهجاً آخر ، فهم يميزون بين المفردات من الناحية النحوية الصرف فقط ، حسب نهاياتها وحسب عملها الذي تعمله في الجملة . ثم يكفي تقسيم المفردات تقسيماً خارجياً لا يستند الى بنيتها ، وخلال هذا التقسيم الى مفردات مختلفة الانواع يمكن استخراج نظرية حول تكوين الجمل ، لأن الكلمات تتغير في نهاياتها حسب موقعها من الجملة .

وتقسيم الكلمات هذا الى أنواع ، هو الذي ادى بي الى نقطة الانطلاق في هذا البحث . فيقسم العرب جميع مواد كلامهم الى ثلاثة أقسام : الاسم ، (1)

(1) بالعربية في الأصل وترجمتها المؤلف الى الألمانية

والمنطق الالهي وواجب النحوين هو ازالة الحجاب عن المنطق الذي يمكن وراء الكلمات واكتشاف أسرار اللغة (أسرار العربية) (1)

ويسمى العالم النحوي العربي ، من وراء الظواهر اللغوية الى استخراج قواعد تمكن من تفسير تطور لغوي . أما بالنسبة للعالم للغوي العربي فاللغة مبنية نفسها بناء منطقياً وينبغي له أن يستدل على منطق هذه القواعد ويرهن على أن كل كلمة اینما تقع في هذا المكان على أساس من المنطق السليم ، وانطلاقاً من ظواهر استثنائية معينة يقيم النحوين العرب المتأخرون – باستدلال صارم – قاعدة لغوية مطلقة وقد ثبتت هذه القاعدة دوراً صغيراً في مرحلة النحو العربي المتقدمة لأنها غير عقلانية ولم تلائم حياة اللغة ، ييد أن هذا الدور نما فيما بعد نحواً غير طبيعي وأصبح النحو علماً محتاجاً الى استدلال ومعيار بدلاً من أن يكون علماً مفسراً وشارحاً .

وهذا مثال لمنهجهم : تقتضي الكلمة الاستفهام العربية « كم » المنصوب بعدها . لماذا؟ يفكّر العالم النحوي العربي كما يلي : تحل « كم » محل عدد . ولا يعرف السائل هل « كم » حالة محل عدد صغير أو كبير . واعراب ما بعد العدد يختلف اختلافاً وقوع العدد في أحدي المجموعات الثلاث : (3 - 10) او (11 - 99) او (100 فما فوق) وبما أن الجواب غير معروف بالتأكيد فإن الاختيار المنطقي الوحيد هو مجموعة الوسط (11 - 99) . وهذه المجموعة تقتضي المنصوب وكذلك – اذن – « كم » .

هذا مثال نموذجي لحوار النحوين العرب . فالقواعد العربية شاملة صارمة . ولا تقبل الاستثناءات . وإذا حدث انحراف عنها يستعمل بالتشبيه للدلالة على أن هذا الانحراف منتظم في القاعدة . ويؤتي لاجل ذلك بوجه أو وجه للشبه . وإذا كان عاملان متشاربين يختار للثاني نفس العمل الذي للأول . ولا يهم أن يكون هذان العاملان قابلين أو غير قابلين للمقارنة . وبما أن كل المفردات تكون من الحرروف المتحركة وبما أن هذه الأخيرة أجزاء أقسام الكلام المختلفة يمكن ايجاد علاقة بين الاسم والفعل الماضي ، مثلاً ، وكلما زادت أوجه الشبه الخارجية والداخلية امكن التسوية بين اعمال العوامل المشبهة ، وبما أن هناك خمسة أوجه للشبه بين الاسم والفعل الماضي فذلك يكفي مثلاً

يستعمل النحوين اليهود مراراً ويكل بساطة ترجمة عربية لهذه الكلمة « معنى » للتعبير عن القسم الثالث للكلام . ولا يمكن التحدث عن استعارة من اليونان . والمطابقة بين الاصطلاح العربي « اسم » والاصطلاح اليوناني (Onoma) (تسمية شخص او شيء) على قسم الكلام الاول ليس الا صفة محضة . ولا علاقة أيضاً بين الاصطلاح اليوناني (Rhéma) (هذا الذي يحكى على شخص) والاصطلاح الدال على قسم الكلام الثاني « فعل » في العربية .

فالفاعل عند النحوين العرب ليس هو الفاعل عندنا . كان هذا الاصطلاح في الأصل اصطلاح علم المنطق ونقله اليونان الى النحو ويعبر عندهم عن الكلمة التي يقال عنها شيء . لا يعرف النحو العربي هذا المفهوم الأصلي لكلمة « الفاعل » . فليست الجملة عند النحوين العرب حكماً بل سلسلة من الكلمات الدالة على معنى . ولذلك ، فتحتة انواع مختلفة من الافعال حسب هذا الشيء الذي يقال عنه . فإذا بدأء بالفعل سمي الفاعل ، الذي في محل رفع ، « فاعلاً » . ولكن اذا بدأء بالاسم سمي الفاعل « الكلمة التي بدأء بها » . وإذا بنيت الجملة للمجهول أصبح الفاعل غير فاعل ولكن مفعولاً وسمي المفعول الذي لم يسم فاعله » .

وقد ظهرت هذه المعانى النحوية الأساسية عند أقدم النسقيين العرب . كانت المادة المخصصة للعمل محدودة للغاية ولذلك كان ينبغي أن يهتموا وخلفاؤهم معهم بالركن العلمي الثاني ، أي العقل ، المدبر والمرتب ، أكثر من اهتمامهم بالركن الاول ، بهذه الطريقة قد يكون ما يضيّفه العالم الى المادة أكثر من المادة نفسها التي يستخدمها .

وبالإضافة الى ما سبق ، فإن العرب لم يهتموا إلى مقارنة العربية بلغات سامية أخرى لأنهم كانوا يكادون يجهلونها . أما تطبيق المنطق على اللغة فلم يكن ممكناً لأنعدام النسق عندهم . ولهذا السبب تمت جميع أعمالهم على أساس مبدأ واحد : القرآن كلام الله وهو العقل والمنطق . ولغة القرآن اذن مثال اللغة العربية ونموذج تعبيراتها ، ولا بد أن يظهر في كل جزء من بنائه المنطق الالهي . وإذا كان اليونان قد سروا بين اللغة والفكر وبين قوانين اللغة وقوانين الفكر ، فالنحوين العرب قد سروا بين اللغة العربية

(1) بالعربية في الأصل .

القاضي الذي أنيطت به اقامة العدالة الالاهية والمحافظة عليهما .

تفصلنا عوالم عن هذا المنهج وهذه النظرة العلميين بل من الصعب علينا يمكن أن نساير هذا النوع من طرق التفكير ولا يمكن تفسير هذا المنهج - كما قلت آنفاً بایجاز - خصوصاً بالنسبة الى النحو القومي العربي ، بالتأثيرات الاجنبية . فالعلم اليوناني والعلم العربي مؤسان على مبادئه متباعدة تماماً . ولكن ليس من الانصاف الاستهزاء بهذا العمل العلمي . فانه يصدر عن سبب سام الا وهو واجب الانسان الاساسي في القرون الوسطى الاسلامية اعني المباداة (1) أي خدمة دين الله . ومن ثمة يأتي واجب الفرد أن يحيا حياة مستقيمة ، ومهمة العلم هي تنسيق وتأويل ما أتى به الوحي والحديث لاقامة هذه الحياة المستقيمة . ومهمة النحو كعلم من علوم اللغة ، في نشر القرآن والحافظ عليه مهمة ممتازة للغاية ، ومن ثمة يمكن تفسير جموده فيما بعد ولكن من ثمة أيضاً جاء الدافع القوي الى العمل .

والمرأة التي بحثنا فيها عن صورة اللغة العربية أكثر من مرأة بمعناها المألوف ، فهي بورة اشعاع ومصدر القسوة فيها هو الدين الذي ذات اللغة العربية في اشعته لخدمة الالاه .

لابدات أن هذا الاخير له الحق ، بالضبط كالاسم ، ان يغير ، قبل سواه حر كاته .

يؤتي بالبراهين من كل ميدان و المجال . فالمعروف في الطبيعة مثلاً ان السبب يسبق المسبب . ولذلك فلا تسمع اللغة ان تأتي الجملة الشرطية في المقام الثاني بعد جوابها في مركب شرطي . فهذه الجملة تدل على علة ولذلك يجب أن تسبق اما البقاء الجميل والعرف الرفيع فيفسران لنا كيف يجب أن يتبع المجرور عامل الجر فيه ، على العبد أن يتضرر حتى يأخذ السيد مكانه . وكذلك يجب على الكلمة المعمول فيها أن تقع وراء الكلمة العاملة . فيأتي مثلاً المضاف قبل المضاف اليه ويقع حرف الجر قبل المجرور به .

فاللغة العربية صورة العقل والمنطق ونتيجة الفكر ، والعدالة والانسجام الالاهي . والاستثناءات من القاعدة توجد في هذا النحو بالندرة التي توجد بها الاستثناءات من العقل في الحياة . بل لقد برد بعض النحويين المتأخرين الاستثناءات من القاعدة بواسطة المنطق . وفي الحالات التي لم يكفي فيها المنطق الفيت الاستثناءات بكل بساطة من المادة الاصلية ويقف عقل النحاة فوق المادة ويسهر على عقلانية اللغة ويتساوى في العمل المعياري مع

(1) بالعربية في الاصل .

الورق المهرق stencil

ذكر ابن البار (الحلة السيراءص 137) « انه كان بعد الرحمن كاتب اعتقد أن ينشيء الرسائل الرسمية في منزله ثم ينفذها إلى ديوان خاص يصير فيه اظهارها على الورق وهو من نوع الطباعة فتصدر في نسخ متعددة توزع على عمال الدولة » .

اللغة العربية تماشياً للأمام لأنها جزءٌ حيٌّ منها

الأستاذ إلías قنصل (عاصمة الأرجنتين)

إلى تاريخها ، يريد أن يشهو معالمه الواضحة
العالبة ليزيل الاتصال بين الماضي والحاضر .
إلى نسجها ، يعني أن يبيث فيه من الانفلات ما
يدبب شخصيته المامولة .
إلى اقتصادها ، يرمي إلى وقفه عند حد محدود ،
فلا يتفاعل مع امكانيات النشاط .
إلى كل شيء .

وقد كان « لغة العربية » نصيب واخر من تلك
الحراب المصوبة التي تقطر بالسم الزعاف .
طلعت الدعوات العديدة تشير إلى وجوب البحث
في « تطوير » اللغة ، ولم يكن القصد لا التطوير ولا
ما يشبه ذلك من بعيد أو قريب .

كان القصد ايجاد البليلة في اجزاء الامة التي
تتكلم هذه اللغة ، واحتاجت شكل من اشكال الفوضى
قد يمتد إلى عوامل لها علاقة وثيقة باللغة .

كان القصد منها - إلى ذلك - شغل فئة من
حملة الاقلام بالأخذ والرد والمحاكمات والمناقشات
البىزنطية ، وصرفهم عن اذكاء نيران الحماسة في
النفوس لمحاربة الاستعمار .

لا تقول ان جميع الدعوات التي تعالج مطالبة
بالاصلاح ، كانت من ايجاء الاستعمار ، فقد تنزع بعضها
عن ذلك ، ولكننا نقول ان معظمها كان مدفوعاً من
الاخطبوط المذكور .

والذي يراجع تاريخ هذه الدعوات يجد ظاهر من
أغرب الظواهر لا يمكن أن تكون من عمل الصدف :

كل سلاح وصل إلى يد الاستعمار ، استعمله ،
محاولاً القضاء على القومية العربية .
انزل الاستعمار على المدن العربية قنابلها ،
ووجه إلى صدور أبنائها رصاصه ، وهدم ، وخرب ،
وشرد ، واعتقل ، ما شاءت له مطامعه .

ثم حاول - وقد رأى ان بطيء المكتوف لم
يجد - زعزعة اركان الوعي القومي العربي من الداخل ،
فرشد الانصار ، وجنده الاعوان ، واشتري الضمائر ،
ولكنه على الرغم من ذلك ، لم يستطع الوصول إلى ما
ييفي ، فقد كان هؤلاء الانصار والاعوان من القلة ،
وكانت اليقظة الشعبية من الشمول ، بحيث اخفقت
محاولاته ، ورأى نفسه كما رأه العالم ، متعثراً باذياle
الفشل ، لا يكاد يلملم ذاته من حفره حتى يقع في حفرة
ثانية .

وإذا كان الخذلان قد اصابه في محاولاته ، فليس
المعنى ان المعركة التي استهدفت لها الامة او بعبارة
اصبح أن المعارك التي ساقها إليها ، كانت معارك هينة
ليينة ، كلا ، لقد كانت جولات عنيفة ، تركت في جوانب
الامة جراحها ضمدت بعضها ، ولا يزال بعضها ينزف
بالدم ، إلى الان .

صوب الاستعمار حرابه إلى سائر مقومات الامة
العربية :

إلى اخلاقها ، يريد ان ينفذ بالفجور الى
مناعتها ، فينهار تمسكها .

في قاعدة . وينسى هؤلاء او يتناسون ان جميع لغات الدنيا التي تتداولها المحافل المختبرة لا تخلي من قواعد وقياسات وانظمة وما اليها ، وان بعض اللغات التي يعتبرونها مثالية شواذ لا يقاس اليها ما في لغة الفساد .

وقالوا فيما قالوا :

ان الاحرف العربية في هنستها الراهنة ليست احرفا تماشيا الحضارة التي بلقتها الدنيا ، وان الواجب يقضي باستبدالها بعرف فرنجية ، او بعرف لا هي بالفرنسية ، ولا هي بالعربية .

وما يرمون اليه من هذا الاقتراح واضح : انهم يرمون الى وضع حاجز بين الجيل الحاضر والتراث العربي القديم الخالد ، انهم يرمون الى القضاء دفعة واحدة على ثمرات الفكر العربي في الاجيال الماضية وينسون او يتناسون ان التراث الفكري العربي القديم لا يشكل مخرجا من مفاخر العبرية العربية فحسب ، ولكنه يصل اليها ، وهو خلاصة التجارب الفكرية في المدى العربي ، وهو عصارة الفلسفة العربية في نظرها الى الحياة ، والى ما في الحياة من مشاكل .

وقالوا فيما قالوا : اشياء كثيرة لا تخرج عن هذا النطاق ، ولكنها مفوضحة النبات ، مكتوفة المعامل .

لقد استطاعت اللغة العربية ان تعبر عن ادق الخوالج الإنسانية ، وان تستوعب دقائق الفنون والعلوم في مختلف العصور الماضية ، فكيف تعجز الان عن النهوض بهذه المسؤولية ، وقد سهلت امامها الوسائل التي لم تكن متوفرة في العصور الفائقة ؟ كيف تعجز الان عن ذلك ، وقد تكشف للعلماء كثير من اسرار تراكيبيها ومشتقاتها كانت مغلقة على الذين نقلوا اليها العلوم والأداب من الامم الغربية ؟

نحن لا نندعو الى الجمود .

اننا نعرف ان تقدم الحضاره يتطلب ان ترافق اللغة ما يظهر من اختراعات ، ولكننا نعرف كذلك ان اللغة العربية في وسعها ان تجاري التقدم مجازة ليس بعدها زيادة لمستزيد ، فهي لغة لها اتساعها في مفرداتها ولها دقتها في جلاء اخفى ما تنطوي عليه النفس من شعور ، ولها غزارتها في منح ما يتطلبها الراغب في استيعاب مكوناتها الدقيقة ، ولها جمالها الذي لا يماثله اي جمال في اية لغة اخرى .

كانت هذه الدعوات تطل برؤوسها عندما يستدضف الشعب مطالبا بالحقوق المفروضة .

ان هذه الدعوات لم تكن تظهر ابدا في فترات السكون السياسي ، والاستكانة القومية وهي الغارات التي كانت حرية بان تظهر اثناعها ، لأن هذا الاصلاح - اذا صر ان مرماه الاصلاح - يحتاج الى درس ، لا يتم الا تحت ظلال الاطمئنان .

قال هؤلاء فيما قالوا :

ان اللغة العربية فوق مستوى الجمهور ، وأنها وقف على طبقة مميزة من الامة ، وان هذا عيب من عيوبها ، تلقيه ان تكتب بلغة الشعب بالعامية ٠٠٠

ولو تم لهم ما أرادوا ، لقصي القصاء البرم على واسطة التفاهم بين الاقطار التي تضمها الفكرة العربية لقد رأى هؤلاء ان اللغة العربية - في حالتها الحاضرة - تجمع السوري الى المراكشي ، كما تجمع المصري الى الويطي ، كما تجمع العراقي الى اللبناني حتى لا يكون بين المجتمعين اي فارق ، مهما كان ، فكان المقيم في أقصى القارة الآسيوية كالمقيم في أدنى القارة الأفريقية .

رأى هؤلاء المطالبون باصلاح اللغة ذلك ، فهالهم الامر الذي يكاد يكون منقطع النظر في ادوات التفاهم ، فعمدوا الى تفكير هذه الوحدة ، ويرزوا بالنسمة « النشاز » : تحويل اللغة الفصحى الى العامية ، اي وضع حدود او شيء كالحدود بين اللهجات المختلفة بحيث يصعب التفاهم بين قطر وقطر ، واذا لم يصعب ، فلا أقل من ان يكون ثقيلا .

ولو كانت نية هؤلاء ما قالوه ، لدعوا الى رفع العامية من مستواها الى المستوى الذي تقرب فيه من الفصحى كما يفعل الزعن دون ان يشعرها ، فالإصلاح الحقيقي هو ان تتجه الى الكمال ، لا ان تتجدد الى الناقص ، ومن البديهي الذي لا يكابر فيه ان الفصحى هي رمز الكمال ، لا العامية .

قال هؤلاء فيما قالوا :

ان اللغة العربية ذات صرف معقد ونحو غامض ، وان الانكشار تنصرف عنها لهذه الاسباب التي يستطاع ازالتها بمحو جميع المقد منها ، وملائحة الفموضع ، اي يترك الحبل على الغارب ، لمن يشاء ، ويتحصلون الاعراب فيها من قضايا منطقية ذات قواعد ، الى مجموعة من عناصر التشوش التي لا يضبطها منطق ، ولا تنظم

النتيجة الا ماشاء الحق ، وبقيت اللغة العربية في حصن حصين من مناعتها الطبيعية ، ولم تؤثر عليها هجمات المغتصبين الحاقدين .

والقومية العربية تعرف ان اللغة احد الاسلحة الفعالة في درء الاخطر المخيفة بها ، وهي لذلك تحرص على سلامتها حرسا لا يمكن ان يتسلب اليه الوهن ، وهي لذلك تمر بالساعات التي تبدو بين العين والآخر مرور الاحتقار والامتنان ، لانها تدرك ان الداعين لا يضمرون لها الاحلاص ، ولو اضمروه لتوجهوا الى ايجاد الاصلاح الحقيقي ، لا الى هذه الحملات التي لم تعد تخدع احدا .

ان لغة الضاد التي رافقت امتها في جميع الادوار وابعثت منها الطرائف الغاللة ستظل تماشي هذه الامة في مراحلها الى الامام لانها جزء حي منها .

ان اللغة العربية فيها « حياة » يكاد المرء يلمسها كما يلمس الحياة في الكائن الحي الانساني ، وهي ، الى انها اداة للتعبير والتفاهم ، آصرة من اواصر القومية كان لها عملها في الاحتفاظ بهذه الروح التي نجدها الان في العالم العربي .

والاستعمار لم يكن على خطأ ، حين وجد فيها ، قوة من قوى العروبة ، بقاوئها على جبورتها ، نذير له بأن الوحدة العربية التي يخاف منها ، باقية الاصول ، ينميهما الزمن ، ويفزديها الجهد المخلص اربعمائة سنة او تزيد ، بقيت اللغة العربية تجاهle الطفيان العثماني ، مجاهة ، خرجت منها فائزة منتصرة ، وارتدى الطفيان مدحورا مكسورا .

وعادت قوى الشر التي حشدتها الاستعمار الحديث ، فشلت عليها الغارات المتواصلة ، ولم تكن

تحقیقات لغویة

الأستاذ عبدالقادر زمامرة

في مقال سالف تحدثنا عن كلمات : الشكازة والشکاز . والحوالة . والوادي بمعنى النهر والسبة الى مقرة ... !
وفي هذا المقال نتابع الحديث بالكلام على : المصارة والمصارة ... !

- الاولى : الدلالة الحقيقة لهذه الكلمة .
- الثانية : الرسم الصحيح لكتابتها ولنبدأ في النقطة الاولى ... بالإشارة الى بعض الكتب الاندلسية التي استعمل مؤلفوها كلمة المصارة لذرى مدلولها هناك ... !
- مؤلف الكتاب المسمى (باخبار مجموعة) يستعمل كلمة المصارة باعتبارها اسم مكان معين يقع خارج عاصمة قرطبة ... ! جرت فيه عدة احداث و المعارك بين عبد الرحمن الداخل الاموي ... وبين محاربيه قبل ان يتم له الامر ... !
- بل انتا نجد مؤلف هذا الكتاب يذكر المصارة في اخبار ثعلبة بن سلامة سنة 124 هـ . قبل مجيء عبد الرحمن الى الاندلس ... وقد اقام ثعلبة هذا سوقا عند المصارة ... وي ساع بها اسراء من خصومه المغلوبين ... !! (1)

— ومؤرخ الاندلس ابو مروان ابن حيان القرطبي (377 هـ - 469 هـ) يذكر المصارة عدة مرات

المصارة : كلمة معروفة ومستعملة في كتب المؤرخين والجغرافيين الاندلسيين . كما أنها معروفة ومستعملة في المغرب نجدها في عدة مصادر تاريخية مخطوطة ومطبوعة ستنشير اليها فيما بعد ... !

والمعنى الاجمالي الذي يتبادر الى ذهننا لهذه الكلمة . عندما نجدها في النصوص الاندلسية والمغربية هو انها تعني عند الذين يستعملونها في كتاباتهم ... الفضاء النسبي الذي يقع خارج المدن الكبرى وتحيط به الجبال والحقول مما يجعله معدانا لإقامة المرجانات والأنفاس العامة .. والتتمتع بجمال الطبيعة في نصل الربيع ... !

لكن هذا المعنى الاجمالي الذي ندركه من خلال الاستعمال . لا يكفيانا في ميدان التحقيق اللثوي الذي يحدد المعاني بدقة . اميتنا على نصوص معجمية او استعمالات اصطلاحية معينة .. !

لذا كان البحث هنا في هذه الكلمة منصرفا الى نقطتين :

(1) اخبار مجموعة ... من 45

فإذا أطلق الاندلسيون كلمة (المصارة) على الفضاء النسبي المحيط بمدينة من مدنهم الكبرى المشتمل عادة على الحقول والجنتات والميادين الواسعة ... فإن ذلك ضرب من ضروب المجاز اللغوي المعروفة المستعملة في فصيحة اللغة ... !

اما اذا كان هذا الفضاء مستعملا كلاما او بعضا لعدو الخيول وسباقها بالفعل ... ! فان الاطلاق يكون اذ ذاك حقيقة لغوية ... لا مجازا .. !

وبهذا ظهر ان كلمة (المصارة) لها اصل لغوي صحيح . وان الاصطلاح الاندلسي مبني على هذا الاصل ... ! فلا مجال فيها للتوقف ... ! لا من جهة الاصل ... ولا من جهة الدلالة .. !

وفي المغرب نجد الكلمة مستعملة عند عدد من المؤلفين . الا اننا سنشير الى بعض النصوص التي وردت فيها على سبيل المثال لا على سبيل الاستقصاء ...

— مؤلف كتاب : (روض القرطاس) يقول : « ويقصد الزرع بفحص المصارات — كذا — التي يخارج باب الشريعة من ابواب عدو التقويين عن اربعين يوما ... ! وقد شاهدت الزرع حرث بالمصارة المذكورة في خمس عشر من شهر ابريل . وحمد في آخر مايه ... !! » (5)

— ونجد الروض المريني المسمى بـ روض المصارة مذكورا في عدة مصادر كتبت بأقلام اعلام ذلك العصر .. ومن بعدهم .. !

— ثالث الخطيب في (نفاثة الجراب) يذكر جنة المصارة ويعبر عنها مرة اخرى بـ روض المصارة . ويفصل المرجانات والاحاديث التي شاهدتها هناك .. ! (6)

— وابن خلدون في (العبر) يذكر روض المصارة الذي انزل به ابو الحسن المريني صيفه ابن الاحمر وكان هذا الروض لحق دار ابن الحسن .. ! كما يقول ابن خلدون .. ! (7)

وذلك في القسم المطبوع من كتابه (المقتبس) في بيروت 1965 م ... وذكر ابو حيان في القسم المذكور استقبالات كبرى جرت في مصارة قرطبة احتفالا بضيوف الاندلس الواجبين على عاصمتها اذ ذاك .. !! (2) كما ذكر اشياء اخرى وقعت في هذه المصارة ... !

وفي هذا الكتاب وفي غيره نجد مصاري المصارة (3) لكن المصارة ليست موجودة في قرطبة وفي هذا الكتاب ليست موجودة في قرطبة وحدها بل ان هناك عدة مدن اندلسية نجد فيها مصارات اخرى لا غرض لنا باستقصائها الان .. !

ويكتفيانا الان ان نرجع الى القسم المطبوع من كتاب (ترصيع الاخبار وتنويع الآثار) الذي الفه الجغرافي الاندلسي احمد بن عمر العذري المعروف بابن الدلائي لنجد فيه خبرا عن : « وقيعة المصارة بلورقة » (4) باقليل مرسية ، وبذلك تأكد لنا ان (المصارة) ليست عملا على موضع خاص في قرطبة .. ! بل هي « اصطلاح » اندلسى عرف واستعمل عند الاندلسيين منذ سنواتهم الاولى ... حتى صار لكل مدينة كبرى هناك مصارة ... ! ولابد ان نتسائل عند البحث ... عن الكيفية اللغوية التي نشأ بها هذا الاصطلاح هناك ... ! وعند الرجوع الى (تاج المروس) نجد هذا النص اللغوی :

« مصر الفرس يعني استخراج جريمه .. ! والمصارة بالضم الموضع الذي تمصر فيه الخيل .. !» فالمادة لغوية مجمية ما في ذلك من شك ... ! والمعنى اللغوي لكلمة المصارة كما شاهدنا في النص . هو الميدان الذي تطلق فيه الخيل لاجل العدو والسباق واستخراج الطاقة الحيوانية : ومن شأن الميدان المعد لذلك ان يكون خارج المدينة في فضاء فسيح .. !

(2) الارقام المذكورة في مهرسة القسم المذكور ... ٤

(3) ابن عذاري ج 2 ص 199

(4) نصوص الاندلسي من 5 معهد الدراسات الاسلامية بمدريد 1965 م

(5) الجزء الاول ص 59 . ط . الرباط 1936 م وانظر ايضا ص 54 من نفس الجزء ... !

(6) نفاثة الجراب ص 184 و 213 و 217

(7) العبر ج 7 ص 531 . ط . بيروت 1959 م

اما في المسموّع بين الناس في الغرب . وكذلك في بعض الكتب التاريخية فان المسّرة تعني جنة فيها من جنات مراكش الحمراء وقد استُهْنَت هذه الجنّة وغرسَت وجرت اليها المياه على عهد الموحدين ... !!

وعلى المنهاج الذي سرنا عليه فانتا نبحث عن (كلمة) المسّرة ... ! لا عن (موقعها) او (صفاتها) التي ذكرها المؤرخون ... او بعبارة اوجز وادق ... فانتا نبحث عن الاسم لا عن المسمى ... !

فهل سمى الموحدون منشأتهم التي غرسوها بتنوع الاشجار والرياحين في مراكش بهذا الاسم — المسّرة — فعلا ... ؟؟

ومع اعتقادنا من الناحية اللغوية بصحة تسمية الرياض وما في معناها باسم المسّرة . لكونها ظرفاً للسرور الانتشار ... او سبباً من اسبابها . او لغير ذلك من العلاقات ..! فان البحث هنا منصرف الى شيء آخر ... وهو كما قلنا آنما ... :

— هل سمى الموحدون منشأتهم التي غرسوها بتنوع الاشجار والرياحين في مراكش بهذا الاسم — المسّرة — فعلا ... ؟؟

ونؤكّد اتنا لا نشك ان الموحدين جملوا عاصمة الامبراطورية الكبرى بعدد من الحدائق والجنتات والقصور والمساجد والمبرات ... !

ولكن هناك فرقاً بين « انشاؤا » وبين « سموا » ونحن نبحث عن الثانية دون الاولى ... دفعاً لكل التباس ... !

فالمؤرخون الذين تناولوا تاريخ مراكش وهم كثيرون يذكرون « المسّرة » باعتبارها من منشآت الموحدين ونكتفي هنا بالإشارة الى المقدمة الحافظة لكتاب « الاعلام » بين حل مراكش وأغمات من الاعلام « لمؤله القاضي عباس ابن ابراهيم رحمة الله ... ! فانتا نجد فيها نقلاً عن المؤرخين .. ان عبد المؤمن « انشا » المسّرة ... ! التي بظاهر جنان الصالحة ... كما نجد ان عبد المؤمن « انشا » المسّرة وهي البستان الذي « جده » المنصور الذّهبي ... ! (10)

وبختنا — جهد الامكان — منذ مدة في المصادر والكتب التي لا يبس مؤلفوها دولة الموحدين ومرسوا

وغيّ عن التأكيد اتنا هنا بمصدّد البحث عن (كلمة) المسّارة .. ! لا عن (موضع) المسّارة ...

واشتهرت هذه الكلمة في عصر بنى مرين وفي الوثائق المتعلقة بعاصمتهم ... ومن اجل ذلك تداولتها الاسننة والاقلام طوال طروء بعدهم . واستمر ذلك الى الان ... ! في الوثائق الخطية المتعلقة بالابلال التي كانت تجاور المسّارة لمعينين او للاحياء ... !

ولا شك ان رسم الكلمة رسم صحيحاً يتوقف على استحضار اصلها اللغوي ومعرفته ... ! فاذا نسي هذا الاصل او اهمل ... ! فان الكلمة تأخذ طريقاً او طرفاً الى التحريف والتصحيف ... ! وهذا ما حدث في كلية المسّارة ...

وقد وصلنا الان الى النقطة الثانية ... وهي الرسم الصحيح لكتابتها ... !

ونشير هنا الى اتنا لاحظنا في الوثائق التي مرت امام اعيننا « وجّلها من السکوك المخطوطة » ان هناك من يكتبها ... المسّارة .. ! (بالصاد) ومن يكتبها المسّارة .. ! (بالسّين)

ولا يبعد ان يكون غيرنا قد اطلع على رسماً ثالثاً او اكثراً .. !

— وفي مقدمة (جذوة الاقتباس) لابي العباس ابن القاضي نجد ناتج الكتاب كتب المسّارة هكذا « جنات المسّارة » بالسّين .. !

ولا شك ان ما قدمناه كاف لاقناعنا ان رسم الكلمة الصحيح لغة واصطلاحاً هو (المسّارة) بالصاد ... لا بالسّين .. !

والغريب ان هذا التصحيف الذي لمسناه فيما يرجع للمسّارة المغربية في عاصمة بنى مرين قد لحق المسّارة الاندلسية في عاصمة الامويين .. ! بناء على ما جاء في صحيفـة مـعهد الـدراسـات الـاسـلامـية بمدريد ... ! (8)

وننتقل الى كلمة — المسّرة — فنـيـما يـرجـعـ الىـ الدـلـلـةـ اللـغـوـيـةـ نـجدـ المسـرـةـ مصدرـاـ مـيمـياـ لـلـفـلـعـ سـرـ ... ! كـاـ بـجـدـهاـ اـسـماـ لـاطـرافـ الـريـاحـينـ ... ! (9)

(8) المجلد الثالث عشر مدريد 1965 م - 1966 م

(9) اعتمدنا على تاج العروس في المادة ... !

(10) انظر من الصفحات 67 و 86 و 94 .

وإذا كان المؤرخون الذين كتبوا مؤلفاتهم بعد عصر الوحديين قد استعملوا كلمة «المسيرة» فيما يرجع لمنشآت الموحديين بمراكلش ...! فإنهم استعملوا كلمة «المصارة» فيما يرجع لمنشآت المربيتين بفاس...!

ولكن لا ينفي أن نستنتج من ذلك نتائج جزافية أو فرض فروضاً خيالية لا سند لها من النصوص ... لهذا كان من اللازم أن تتبع البحث الذي بدأناه .. ونسير به في كتب المؤلفين كما فعلنا في كتب المقدمين

— فالمؤرخ اكتسوس في (الجيش العرمي) وهو خبير بتاريخ مراكش وفاس .. يذكر في كتابه ... مسيرة الموحدين بمراكب(12) كما يذكر مسيرة فاس..! ويقول عن هذه الأخيرة بالحرف : « وأما المسيرة فليست الا على صفة نهرها المطرد ... ! (13)

فمن مسيرة مراكش فان كلام اكتسوس يدخل في عموم كلام المؤرخين الذين كتبوا مؤلفاتهم بعد عصر الوحديين ...! حيث اتنا تحفظنا وتحفظت الى ان نجد نصاً موحدياً يسمى منشأة الوحديين «مراكش باسsem المسيرة» فعلاً ... !

و عن مسيرة فاس ...؟

فإن الامر يستدعي أن يقوم دليل يدل على ان هناك بفالس شيئاً اثنين :

(المصارة) التي تحدث المصادر عنها كما شاهدنا ذلك في النصوص السابقة ... !

(والمسرة) التي ذكرها أكتفوس ... ! والحالة هذه . ونحن لحد الآن ... لا نعرف الا الاولى .. !

— والمؤرخ الوعاية أبو العباس المقرى حدثنا في كتابيه : روضة الآنس ... وفتح الطيب عن روض المسرة الذي هو ثالث مصانع المنصور الذهبي .. (14) للبديع ..! والمشتهى ..! .. والمسرة ..! .. والظاهر أنها كلها ببر اكتشاف ..!

ويقول المترى ان المنصور الذهبي ورث بمصانعه
الثلاثة في بيتن انشدهما ..

عاصمتهم مراكش . ومنهم من سكنتها فعلا في العصر الموحدي ... ! فلم نجد فيها تسمية ما أنشاء الموحدون هناك باسم « المرة » ولا باسم « المصارة » .. !! بل وجدنا اسماء اخرى لا غرض لنا بذكرها الان ... !

واهم هذه الكتب الموحدية هي :

- الاستبصار في عجائب الامصار
 - المعجب في تخليص اخبار المغرب
 - القسم المنشور من نظم الجمان لا
 - تاريخي من بالاماة لابن صاحب ا
 - مجموع رسائل موحدة
 - كتاب المؤرخ البيدق

بل إننا نجد المؤرخ البيدق يذكر في كتابه : أخبار المهدى. أن عبد المؤمن كلف أميراً من أمراء الأندلس وهو أحمد بن ملhan ..! ملك وادي آش ..! بتنسيق بستانه العظيم الذي أنشأه بمراكمش وهذا البستان يسميه البيدق « شنطولية » (11) .

فهل جاعتنا كلمة «الميسرة» التي نراها عند بعض المؤرخين من تعريب كلمة «شنتولية» التي حافظت لنا عليها المؤرخ البيدق ..؟؟

ولا بد لنا هنا من تطبيق القاعدة المعروفة في
الابحاث العلمية وهي :

— ان عدم الوجود لا يقتضي عدم الوجود ... !
فإذا لم يتيسر لنا الان الاطلاع على نص موحدي
فيه كلمة «الميسرة» فمن الجائز ان غيرنا من الباحثين
— مستشرقين او عرب — قد اطلعوا عليه فعلا .. او
سيطعون عليه في مخطوط او مطبوع ... !!

اذا ان من السهل ان يثبت الباحث شيئاً وقف على
نص يثبتة ... ولكنه من الصعب ان ينفي شيئاً لم يجد
له نصاً !!

هذا اذا كان يحترم منطق العلم .. !
ويطبق آداب البحث ... !

11) أخبار المهدى ابن نومرت ص 120 . ط باريز 1928 م .

12) الجزء الثاني من 10 و 22

١٣) المُصْدَرُ السَّابِقُ ص ٥٥

14» النفح ج 7 ص 80 و 81 . ط . بيروت وزهرة

والذي يزيدنا اطمئنانا على هذا (التحفظ) الذي تحفظنا به في شأن كلمة (المسرة) هو ان ابا العباس المقرى كان متكتما من معرفة الاسماء والسميات في الموضوع ...

فقد وجدها يفرق بين (روض المسرة) الذي هو من مصانع المنصور الذهبي ببراكش .. ! فيكتب (المسرة) هكذا بالسين وبدون الف ... كما في النص الذي أشرنا اليه قبل في نفح الطيب وروضة الاسن ... وبين (قصر المصارة) بناس الذي هو من منشآت المرينيين فيكتب (المصارة) بالصاد بعدها الف ... كما هو الصواب .

وتد حديث المقرى عن تصر المصارة المريني وروى لنا شعر ابن خبيس الذي سمعه أبو عنان في هذا القصر ... ! (15)

بستان حسنك (أبدعت) زهراته
ولكم نهيت القلب عنه مما انتهى
وقوام غصنك (بالمسرة) ينتهي
يا حسنة رمانة (للمشتته)

فالمنصور الذهبي المتوفى سنة 1012 هـ حينها
سمى أحد مصانعه العظمى ببراكش .. باسم (المسرة)
كان يعبر عن رغبة خاصة ! كالرغبة التي دفعته
ليسمى المصنعين الآخرين باسم (البديع) و
(المشتهي)

ولهذا تكون (مسرا) الذهبي ببراكش امرا
واقعا ليس له من دافع .. !
اما (مسرا الموحدين) بهذا الاسم فتحتاج في
رأينا المتواضع الى نص موحد يثبت ان الموحدين
استعملوا هذا الاسم .. !!

(15) ازهار الرياض ج 2 ص 316

دَخْلُ أَمْ أَشْجَلُ

لِفَرَسَةٍ وَهُجَدَ لَصَافِ الْمَنَالِ

- 4 -

مشيته لانه يدرج اي يمشي قبل ان يطير ، وللدرج في العربية مشتقات كثيرة ليس هناك ما ينبيء ان اسم (الدراج) ليس منها . وائل اللفظة (الدر) — زنة الجر — ومنه الدرير : السريع من الدواب .

الدراعة (زنة الرمانة) :

جبة مشقوقة المقدم ، ار : (دورعو dour'u) ثوب تحتاني من صوف عند الرومان .

ان (الدرع) اثلها (الدرء) اي الدفع وهذه اثلها (رد) ، وانما سميت الدرع بهذا لأنها تدرا اي ترد عن المحارب ضربات قريعه ، ولما كانت الدرع تلبس كالثوب صارت تطلق على بعض الملابس استعارة ، ومن ذلك درع المرأة : قميصها ، ودرع الجارية الصغيرة : ثوب صغير تلبسه في البيت . ومن ذلك سموا الليف الذي يكسو الخلة (درعة) زنة جرعة . فلا عجب أن أطلقوا (الدراعة) على الجبة المشقوقة المقدم . وبنفس المعنى قالوا (المدرمة) — زنة القرعة — ايضا . لكن اللغويين لم يقولوا ان هذه الأخيرة من الأرمية لأنهم لم يجدوا لها فيها شبها .

ويلاحظ ان الصيغة الأرمية يقابل مبتناها درع المرأة ، لا الدراعة التي تعني الجبة المشقوقة المقدم ، كما ان معناها لا يتطابق الثوب التحتاني الصوف عند الرومان .

الطريق :

الطريق ، ار : (دريو darbo) أصل معنى الطريق هو الباب الاكبر ، وبساب السكة الواسع الذي صرنا نسميه البوابة ، مقابل (gate) بالإنكليزية .

اما امثل اللفظة فهو (الدار) بالعربية و (دور dour) بالأشورية كالذى تطرقنا اليه في العدد الماضي من اللسان العربي ، وتوجد الكلمة بشكليها العربين في الفارسية (در dar) ودر (darb) بمعنى الباب وبشكلها الاشوري في الانكليزية (دور door) بمعنى الباب أيضا .

وهذا ينبيء بكل وضوح ان (الدار) كانت تعني الجدار الذى (يدور) اي يحيط بالبيت اول الامر (كما ذكرنا في العدد السابق) ثم اطلقت على البيت نفسه ، ثم على باب البيت ، ثم على باب السكة ، ثم على السكة اي الطريق . وعندئذ ظهرت في الارمية بصيغة (دريو) بهذا المعنى الاخير .

الدراج (زنة الدكان) :

طائر يشبه الحجل ، ار : (دروكو drogo) . انما سمي الحجل بهذا من مشيته لانه يبدو حين يسير كأنه يحجل ، ومثل ذلك سمي الدراج من

ادرکت الشیخی :

هي الاستراحة . ار : (روحتو من (روح) : تنفس .

تحدثنا عن الراحة والروح والريحان والروحة..
في عدد سابق ، وبرهننا على ثالثتها في العربية .

الرب (زنة الفباء) :

المولى ، ار : (ربو rabo) : كبير ، استاذ رئيس :

وردت الكلمة في البابلية أيضاً ومنها اسم حمورابي (= حمو : الحمو أو الاب + رابي : الكبير) وأثلياً هو فعل ربيا يربو الذي أصل معناه الارتفاع بدليل أن الرابية هي ما ارتفع من الأرض . وهذا الفعل أثله (ربيا) بالهمزة بمعنى ارتفع ، ولكن من هذه الأفعال الثلاثة (رب وربا وربأ) استثناءات كثيرة لا تدع مجالاً للشك في أثالة عرويتها . وإن أردنا ترميسها زيادة في الاقتضاء نان (ربيا) أثله رفع وهذا من فرع وهذا من غرق وهذا من فر (أي محاكاة صوت اجنة الطائر عند غراره) .

الرب (زنة الدب)

ما يختر من عصير الثمار ، أر : (Robo) .

ان هذه الكلمة وان كانت من نفس مادة الكلمة السابقة فان اثليها يختلف عن اثليها . فالرجب هنا من الكلمات المائية الكثيرة التي تنتهي بالياء مثل : الجب والصب واللعب والسرب والشرب .. واثليها جميعاً (آب) : ماء . أما (الرب) فاثله البشير الروب ، وقد قالوا راب اللبن : خثر فهو رائب ، وأصل معنى (راب اللبن) هو موه الحليب أي انفصل (ماوه) فتكتفى قوامه وخترت مادته : ومن روب اللبن نشا السرب بمعنى التخثر عاية ومنه تخثر عصير الشمار ، ثم ظهر في الارمية .

السرقة (زنة الخففة) :

الجماعة الكثيرة من الناس ، أر : (ربوتتو . (rêbonto

هذه الكلمة ايضا ائلها ريا بريبو ، وهذا ائله ريا بريبا (بالهمزة) بمعنى ارتفع كالذى تقدم بنا . ومن

علمته، نهتھ، ار: (درک دخل مکان).

نشرط في ترسينا اللغوي التشابه في اللفظ
والمعنى جيمعا ، والا نمان مجرد الشبه اللغظي لا
يؤدي الى نتيجة يعول عليها . فكلمة zink
(خارصين) بالانكليزية مثلا لا نستطيع ان نقول انها
بنت (زنق) العربية ولا امها ، لأن تبادل المعنى لا
يسمح لنا بمثل هذا الادعاء . لكن لما كان المعنى
الباقي من (الزنق) في المعجم هو جعل (الزناق)
تحت حنك الفرس اي ذقنه كان في وسعنا أن نقول ان
(زنق) هذه بنت (الذقن) العربية وام (زنخ
(zenakh) الفارسية التي تعني الذقن أيضا .

فإذا كانت (ادرك) العربية بمعنى فهم تشبه (درك)
الأرمنية التي تعني (دخل مكاناً) فلا نرى وجهـاً
لاعتبار أيهما مقتبسة من الثانية ، وبينهما هذا
التبان في المعنى .

لكننا نستطيع أن نرشدكم إلى أثل هذه الكلمة الارمية في العربية وهو (درج) الشيء في الشيء : أدخله ، ومن ذلك (الدرج) — زنة البرج — بمعنى السقط والقطمر لأنهم يدرجون فيهما الأشياء أي يدخلونها . ومن ذلك قوله أدرجت العبارة بين السطور بمعنى أدخلتها ، وصارت تعنى دونتها أيضا .

وما اظننا بحاجة الى تعداد استعمالات مادة (الدرج) وتطوراتها الكثيرة في العربية لنبرهن على انها امثل (درك drak) الارمية .

داس الخطة:

درسها ، از : (دوش) (doch

ايل الدوس في العربية هو (الدش) - زنة الرش . ومن ذلك قالوا دش القمح ونحوه : رضه . والدش ايله ورسه (الدق) ، والدق من محاكاة صوته . ومنه الدك ايضا . فالدش هو ايل (دوش) الارمية والدوس العربية كليهما . اما في الانكليزية فهي dash .

الرِّبْوَةُ (زَنَةُ النَّسْوَةِ) :

الجماعة العظيمة من الناس ، نحو عشرة آلاف .
أر : (من أصل الربة) .

هذه أيضاً من الكثرة والنماء ، ولم يكن بهم حاجة إلى ذكر كل هذه الالفاظ المشتقة من لفظة واحدة . لكنهم وجدوا لكل منها ما يقابلها في الارمية فظنواها الاول الارمية بينما يعني الامر بمنهومنا ان هذه الالفاظ الارمية القليلة هي المقتبسة من بين المثارات من الصيغ العربية .

الرَّاجِلُ :

الجندى من المشاة . أر : (ركليبو regloyo) .

الرجل مشتق من الرجل (بكسر الراء) لأنه يسير برجله خلاف الراكب . والرجل - بفتح فضم - أيضاً مشتق من الرجل لأنه يسير على رجليه في العادة خلاف النساء والاطفال . وما زال الرجل يسمى (الرجل) بالدرجة المصرية . والسوريون يسمون الرجلين (اجرين) ، وكنا قبل اهتدائنا الى الترسيس نظن هذه الصيغة محرفة من الرجلين لكن يبدو لنا الآن أنها ائيلة وان (الرجلين) هي المحرفة منها . ومفرد (اجرين) السورية هو (اجر) .

وقد قال العرب (جرى) : ركض . وفعل الامر هو (اجر) . ويظهر ان هذه الصيغة هي التي سارت تعنى الرجل (بالكسر) ثم اندثرت في الفصحى وبقيت في السورية الدارجة . لهذا نمان (ركليبو) الارمية تبدو مقتبسة من (الرجل) وهذه من (الرجل) وهذه من (الاجر) - بكسر الميمزة - وهذه من فعل الامر : اجري اجري اجري .. وصلنى يا عم وصلنى

الرَّحِيقُ :

البعيد (معنى ممات) ، الخبر . يقول المؤلف « كان الخبر يأتي إلى شبه جزيرة العرب من بعد بعيدة » . أر : (رحيفو rahiqa) : بعيد .

لا علم لي بعلاقة البعيد بالخمرة العربية ، لكنني ارجو ان المعنى من القرح والقراح . ولا شأن لنا هنا بالقرح والتريح بمعنى الجرح والجريح الذين اثems الحرق .

معنى الارتفاع قالوا ربا النبت بمعنى ارتفع وطال اي نما ، ومن ثم صارت الكلمة تعنى النماء والزيادة والتضخم ، ومن ذلك (الربا) عن المال أي الزيادة المستوفاة عن القرض . ومن ثم صارت الكلمة والزيادة من معانى (رب يرب - بالتشديد ايضاً - ومنهما الجماعة الكثيرة من الناس .

الرِّبَيلُ (زَنَةُ الْخَشْنَ) :

نعت للرجل يعني الجسم . أر : (ربل rbel) : انتخ .

فعل الربيل أيضاً كثير الاشتقات واكثرها تعنى النماء والتضخم . من ذلك تربيل الرجل : كث راحمه ، وتربيل جسمه : انتفخ . وائله فعل ربا يربو . ومنه ربا الفرس : انتفخ . ومنه ربي (بالتشديد) تربية بمعنى انشا وانمى . ومنه تربية الولد .

الرِّبَالَةُ (زَنَةُ الزَّمَالَةِ) :

كترة اللحم ، يقول انها من اصل الربيل الارمي آنفاً .

ونقول في هذه نفس ما قلناه في تلك .

الرِّبَلَسَةُ (بفتح الباء او تسكينها) :

اصل الفخذ . كل لحمة غليظة ، يقول انها من اصل الربيل الارمي .

ونحن نقول فيها ما قلناه في الربيل .

رِبَا الْوَلَدُ :

نما . أر : (ريو rbo) من (ريو rabo) كبير . نوهنا بمعناها في (الربيل) آنفاً .

رِبَسِ الْوَلَدُ :

أنماه . أر : (ربي rabi) .

هذا الفعل المصنف هو الفعل المتعدد من فعل (ربا يربو) الآنف الذكر .

بمعنى خططت عامة ، ثم صارت الكلمة تعنى كتبت أيضا .

ثم اشتقوا الروسم والراسوم بمعنى الختم على الطين وعلى رأس الخابية وعلى غير ذلكم ، لأن الختم يكون فيه رسم أو كتابة .

ونطقها قوم بالشين بنفس المعنى أولا ، ثم تطورت الكلمة الشينية مستقلة كما هي الحال في أمثل هذه الالفاظ ، فقالوا رشمت (بالتخفيض او التشديد) : كتبت ، وقالوا ارشم : الذي به وشم وخطوط ، وقالوا ارشمت الآباء وارشمته : ختمته بالروشم ، وهو الختم . ومثله الراسوم . وكلها (الروشم والراسوم) يطلق كذلك على لوح منقوش لختم البيادر وغيرها ، أي مثل الروسم والراسوم ، ومثل ذلك قالوا رصنت الدابة : وسمتها بالرصن أي المرسم كما هو واضح ، فنتبع تطورات الكلمة ، معاني ومباني ، ابتداء من رسم البعير أي تركه أثرا على الأرض حين يسير ، يربنا بجلاء إلى آية من اللغتين تنتهي كلمة الروشم .

الراسوم :

لوح منقوش تختم به البيادر . أر : (روشمو) : علامة .

من الكلام عليها ضمن (الروشم) . ومعناها الأرمي (العلامة) مستحدث بالقياس إلى معناها العربي . هي والروشم والروسم والراسوم كلمات حضاريات آخريات .

رساء :

برطله . أر : (رشمي) .
اهدى هدية .

أمثل الرشوة هو الرشم ، فمن تطورات الكلمة أنهم قالوا كالذى تم بنا (الأرشم) : الذي به وشم وخطوط . ثم أنهم قالوا (الرشم) : السواد في وجه الضبع ، لأن جسم الضبع مخطط . أي أن الرشم صار يعني السواد بعد أن كان يعني التخطيط . ومن هنا انتقل المعنى إلى النبات فصار الرشم يعني أول ما يظهر من النبات ، وذلك لسواده بالقياس إلى ما حوله من تراب الأرض . وعندئذ صارت (أرشمية) النبات تعنى خيوطه اذا امتدت ، وواحدتها (الرشاء) صبار

اما مرحنا (بضم القاف) فهو أول ماء يستتبط من البثير حين تحفر . ومن البديهي ان هذا المعنى الخاص كان عاما أول الأمر . لكن القراء (فتح القاف) هو الماء الخالص ، وهنا لابد لنا أن نلاحظ ان الرحيق يسمى (رحاتا) — زنة الفرات — أيضا بالعربية ، والرحيق والرحاق من ائل (أهرق اهراتا) و (هرق هرقا) بمعنى اراق اي سكب وسفح . و (هراق) من (اراق) وهذا من (الريق) — زنة العين — اي الماء ، وتسمية الخمر من الماء ليست فريدة ، فالفارسية أيضا تدعى الخمرة (مي may) من (ماء) العربية كما تنطق في الدارجات : ماي بالعربية ، وميسة بالصرية .

واكثر استلاقات الرحيق في العربية تعنى الصانى والخالص . فالحسب الرحيق : الخالص لا شوب فيه ، والمسك الرحيق : الخالص لا غش فيه .

لهذا يخيل لنا ان معنى (البعيد) الممات الذي كان يعنيه الرحيق له ائل آخر غير هذا الائل الذي اكتسبه معنى الخمر .

الرحمون :

« نعت مختص بالله تعالى ». أر : (رحمونو) : رحيم .

ان صيغة الفعلان كثيرة في العربية ، منها الغضبان والظمآن والوسنان واليقظان . لكن كون (الرحمن) من الالفاظ الدينية يجعل من المرجح ان تخصيصها بهذا المعنى من فعل الارمية .

المزراب والمزراب :

قناة يجري فيها الماء . أر : (مزريبو) . سبق الكلام عليهما في المزراب .

رسسم :
كتب . أر : رشم . (rcham) .

اصل معنى الرسم في العربية : الخط والتخطيط وهذا المعنى جاء من (الرسم) فقد قالت العرب رسم البعير : اثر سيره في الأرض ، ثم صار (الترسيم) يعني التخطيط حيث قالوا : رسست الثوب (بشدید السين) : خططته . وقالوا (رسست) بالتخفيض

رقد :

نعت العيش . ار : (رعدو ra'do) : لين .
هذه الكلمة تأثيلها يطول ، لكن لا مفر من ايراده ،
ولا مناص من الاختصار .

قالت العرب ترشش الماء : سال . ومن ثم
ترشش الشيء : استرخي ، ولا سيما الخبز اذا كثر
ماوه وارتخي فقد سمهو رشراشا ، ثم هم نطقوا
الشين خاء فقلوا : رخخت الشراب : مزجته بالماء ،
وارخ (بتشديد الخاء) العجين : كثر ماوه ، والرخخ
(زنة القصبه) : السهولة واللين ، والعيش الرخاخ
(زنة الرجاء) : الهنيء . ورخاخ العيش : رغده
وسعته ، ثم كسمت الكلمة بالفاء فقلوا رخف العجين :
استرخي ، والرخف : المجبن المسترخي ..

ثم هم ابدلوا الفين من الخاء فقلوا رغفت
العجين : جمعته وكتلت .. ثم ابدلوا الدال من الفاء
فصار (رغد) العيش يعني طبيه واتساعه ، والاصل
لينه ، وكثيرا ما عبروا بلين العيش عن رغده ومن
ذلك كان الليان (زنة الزمان) يعني « رخاء العيش
ونعيمه . ويقال هو في لين من العيش ، اي نعيم ورخاء
وخفض » .

رفت العين :

اختلبت . ار : (رف raf) : تحرك

ائل الكلمة ررف الطائر اي حرك جناحيه . وهذه
من فرف ، والفرفور : العصفور . واختلاج العين
يشبه الرفرفة اي تحريك الجناحين ، ومن هنا جاء
معنى الحركة في الارمية .

السرف :

خشبة او نحوها تثبت في حائط لتوضع عليها
كتب او غيرها . جماعة من الطيور . ار : (رفو raf'o)

ان اطلاق الكلمة على الجماعة من الطيور
يرشدنا الى أنها من الرفرفة . وعلى المجاز اطلاقت على
رف الجدار لشبهه بالجناح الناقع من الجدار . ولا
ندرى لماذا ظنوا ان الارمية هي المتتبسة الا على
اعتبار ان الرف من لوازم الحضارة ، وقد سبق
تفنيد هذه النظرية ، في مقدمة هذا البحث وفي اثنائه .

يعنى الجبل عموما ، وجبل الدلو خصوصا ، وكما ان
(السبب) الذي معناه الجبل صار يعني مجازا :
« الذريعة وما يتوصل به الى غيره » على حد تعبير
المعجم صار « الرشاء » وهو الجبل ايضا كما قلنا
يعنى الذريعة التي يتوصل بها لدى الحكم الى قضاء
ال حاجات ، اي الرشوة وكثيرا ما ورد في مأثورات
العرب قولهم لمن يقصد اميرا يسترفة : هل لديك
سبب اليه يا اخا العرب ؟ فيجيب : نعم ، ابيات قلتها
وهذا كثير الشبه بالرشوة .

اما تطور الكلمة في الارمية وخروجها من معنى
الجبل والوسيلة حيث صارت (رشاء) تعنى اهداف
هدية ، فيدل على أنها مستحدثة فيها .

الرصفة (زنة السمسكة) :

« البلاط اي الحجارة التي تسلط بها الشوارع
وغيرها (معنى ممات) ، حجارة مرصوفة في مسيل
الماء » . : (رصوفو rsosofo) : بلاط .

ائل الرصف هو الرص ، وهذا ائله الرس اي
ابتداء الشيء .

وقد قالوا رص . الشيء : الصق بعضه ببعض
وضمه ، ومن ثم تالوا رصف الحجارة : ضم بعضها
إلى بعض . ومن ذلك (الرصف) - زنة الاسف :
الحجارة المرصوف بعضها إلى بعض في مسيل الماء .
والواحدة هي الرصفة - زنة السمسكة - وهي
موضوع حديثنا . وأما استعمالها في الارمية بمعنى
البلاط فواضح انه مستحدث مثل استعمال الرصيف في
العربية بمعنى الشارع المبلط ، ثم بمعنى طواز
الشارع المرصوف ، ثم بمعنى الطوار ولو لم يكن
مرصوفا .

الرصيف :

طريق مبلطة . ار : (رصيفتو rsifto) :
بلاط مرصوف .

هذه الصيغة الارمية مؤنثة الرصيف اي تقابل
(رصيفه) بالعربية . ولا نرى بعد الذي تقدم ما يدل
على أنها غير مقتبسة من العربية .

الرق (فتح الراء وكسرها) :

جلد رقيق يكتب عليه . أر : (رقو *raqo*) .
 من كونه رقيقة نشأ اسمه . ومثله الورق ، وما
 دام العرب قد استطاعوا صياغة الورق من فعل
 (رق رقة) فلا يعجزهم صياغة الرق بمعنى الجلد
 الرقيق . وقد تعلم العرب الكتابة — قبل ظهور الارميين
 في المنطقة — في الراندانين (العراق القديم) والكتعانية
 (ديار الشام) و مصر ، وربما في اليمن أيضا .

وبعد فالرق — بالكسر — يعني ورق الشجر
 أيضا ، مما يدل على أنها أصل التسمية ، ثم اطلقوه
 على الجلد الرقيق يكتب فيه تشبيها ، مثلاً أطلقوا
 الورق على ورق الشجر أولاً ثم عمموه على كاغذ
 الكتابة .

الرق (زنة الرق) :

ذكر السلاحف . أر (رقو *raqo*) : سلحفاة .
 الرق أيضا : الماء الرقيق في البحر أو الوادي .
 ولما كانت السلاحف تعيش في مثل هذا الماء سميت
 الرق من باب تسمية الشيء ببنائه ، ثم تخصص الاسم
 بذكورها . أما في العروبة الدارجة فما زالوا يسمون
 السلحفاة رقة . والرقة في النصي : الأرض التي
 يغطيها الماء ثم ينضب عنها ، وهي بيئة السلاحف
 أيضا .

الرق (زنة البن) :

« الماء الرقيق أي القليل العمق في بحر أو
 نحوه ». أر : (رقوتو *raqoqo*) .

يلاحظ أن هذه الصيغة الارمية تقابل لفظيما
 (رقيق) في العربية ، لا الرق ، ومهما يكن فإن أسرة
 الكلمة كبيرة في العربية ، فقد قالوا ترقق الماء :
 جري جريا سهلا . والرتارق (زنة المراهق) : الماء
 الرقيق في البحر والوادي . والروق من السحاب :
 سيله ، والروق من الماء ونحوه : الصانى . ورافق الماء
 على وجه الأرض : تردد وانصب ، واراق الماء : صبه .
 والريق (زنة العين) : الماء ، والريق (زنة العيد) :
 ماء الفم أي اللعاب ، وأخيراً الرق وهو ماء الطبيخ ...
 إلى غير ذلك ، مما يكتفي العرب بعضه ليشتتوا منه
 (الرق) بمعنى الماء الرقيق .

لابد أن الذين قالوا إن الرق وغيره من الانفاظ
 مقتسبة من الارمية قد نسبوا وبنشوا كثيراً في معاجم
 اللغتين حتى وجدوا الصيغ الملائمة لدعواهم . لهذا
 نساعل : الم يلحظوا كثرة الصيغ العربية الأخرى لتنفس
 الانفاظ ؟

الرقاق (زنة الرفق) :

أرض لينة مستوية التراب أو نضب ماؤها . أر :
 (رقوتو *raqoqo*) .

هذه أيضاً من المعاني الماثلة المشعية من : رق
 ورافق وررق . يقال فيها ما قيل في سالفاتها .

مسراق البطن :

ما رق ولان منه . أر : مرقوتو *marqoqo* .

هذا الوزن ليس بداعاً في العربية ، فمثيله المساد
 جمع مسد والمصاف جمع مصف . وتعريف المراق
 بأنها ما رق من البطن ولان يوضع صلة معناها بمبناها
 في العربية .

الركوبة (زنة الفضوية) :

كل حيوان يركب . أر : (ركوبو *rkobo*) .

تسمى في العربية كذلك الركوب والركوبة
 والمرکوب . ومشتقات الركوب في العربية كثيرة لاتدع
 مجالاً للشك في إثارتها . ولا نرى وجهاً للقول أن صيغة
 (الركوبة) وحدها مقتسبة من الارمية .

الرمج :

أر : رومحو *roñmho* .

تأثيل الكلمة طويل ، وبعيد عن معنى الرمح ،
 ايجازه : قالوا غمض عينه وغمضاها (بالتحفيف
 والتشديد) : اطبق جفنيها . ومن هذا نشأ قولهم
 غمض (بالكسر) : كان يعيشه غمض (زنة قمر) وهو
 رشح أبيض دبق يسيل من العين ، ثم سمه الرمح .
 وقالوا كذلك رمح إليه : نظر إليه نظراً خفياناً ، أي
 تشبيهاً بنظرة من رمحت عينه . ومن هذا نشأ قولهم:
 رمحته : لحظته لحظاً خفياناً ، أو اطلت النظر إليه ،
 ومن فعل (رمح) نشأ : رنا ورمى ، ومن كثرة

التطویر ولو اتنا لا نجد ما يدل على ذلك ، لكن المادة اللغوية عربية على كل حال .

النروح :

النفس . ار : (روح) (rouho)

تنفس . نفس سبق الكلام عليها في الفصل الأول من هذا البحث .

مروحة :

ار : (مروحتو) (marwahto) من (روح) (روحانی) (rawah) .

سبق الكلام عليها كذلك ، وأصل المعنى من الريح واستعمالها في الارمية بمعنى الانعاش مستحدث يقابل في العربية (التدريج) عن النفس . اي عكس ما يظنهلغويون الارمانيون من ان معنى المروحة في الارمية هو الناشيء من معنى الانعاش .

الروسم والروشم :

سبق الكلام عنها في (الراثوم)

الريخ :

هواء متحرك ، ار : (ریحو) (riho) .

الريخ هي اثيل اشتققات الروح والراحنة والاستراحة والروحية والريحان والرائحة والترويج .. فما اثيلها يا ترى ؟ انها من الكلمات المائية التي ترجع الى الريق والريل والريق والري .. وقد قالوا راه الماء : اضطرب على وجه الارض . والري : ارتوى النبات والشجر ، والريا — زنة هيا — الريخ الطيبة كانوا قد صدوا الريخ التي ثاني من جهة الشجر المرتوى . والرية — زنة النية — هي الرئة التي تدخلها الريخ ومن هنا صارت الريخ تعني الهواء ومنها الروح اي النفس — زنة النفع — التي صاغوها من النفس — بفتحتين — اي الهواء الذي يدخل الرئة ايضا .

الرین (زنة الطير) :

» ریق يخرج من فم الطفل « . ار : (ریرو) (riro) .

تشبيههم اللحاظ والنظرات (الرنوات) بالسهام قالوا : (ریبت) السهم عن القوس ! والرمادة : سهم ضعيف .

ان اندثار الكثير من المعاني وتطور الكبير منها يضيع آثار الصلات بين الالفاظ لكن بعضها يبقى منه اثر يمكن تقصيه كاكثر المسافر المارب، فلمعرفة العلاقة بين الرمص والرمج نلاحظ قولهم رمحت الدجاجة : ذرقت ، وقولهم رمح الطائر : القى بذرقه ، وهم صاغوا الرماج (زنة الزمان) بمعنى كعبوب الرمح وابنيبه . ثم قالوا رمحته : طعنته ، ورحمته الدابة : رفسته . ومن معنى الطعن صيغ الرمح لانه اداهه . ثم ظهر الرمح بنفس صيغته في الارمية (رومحو) .

الرمص (زنة القفص) :

وسيخ ابيض في موق العين ، ار : (رمسو) (remso) . اثela غمض ، وهذه اثela غمض ، كالذى قلنا توا .

الرمكمة (زنة السمكة) :

الفرس او انشي . البرذون يتخذ للنسيل . ار : (رمکو) (ramko) : فرس .

يخيل لنا ان اثيل الكلمة هو رمحته الدابة بمعنى رفسته ، ثم تخصمت بالفرس والبرذونة المتذئبين للنسيل .

الرمان (زنة الدكان) :

ار : (رومونو) (roumono) .

اثيل الكلمة هو النار ، ومنها نشا النار (زنة البوق) اي الضوء ، والنور (زنة الثور) اي الزهر ، وقد سمي زهر الرمان قدديما (النار) لشبه لونه بلونها فيما نرى ، ثم اطلقت الكلمة على الثمرة ايضا والشجرة ، وما زالت الكلمة باقية بهذا المعنى في التركية (نار) وفي الفارسية (انار anar) غير ان صيغة (النار) قد اندثرت في العربية لو بالاحرى تحركت وتطورت حتى صارت تنطق (رمان) . ولا يستبعد ان تكون الارمية قد ساعدت في هذا

تدسمت . وفي الفصحي تدسم الشيء : علاه الوسخ والدنس

وأصل المعنى ناشيء من الزفير أي اخراج النفس بعد الشهيق ، ولما كان زفير بعض الناس والحيوانات كريه الرائحة صار يعني خبث الرائحة أولا ثم الدسم ثانيا . ومن ذلك سمي الأسد (الزنر) - بضم وفتح - لبخره ، أي كراهة رائحة فمه . ومن ذلك نشا (الزقر) فقالوا زفر الشيء : ظهرت رائحته واشتدت اطبيه كانت أم خبيثة . فأصل المعنى هو الزفير ، ثم تكون معنى الوسخ متاخرًا حيث ظهرت في الارمية .

زَلْ الدِّرْهَمْ :

نقص وزنه . ار : ازل (zal) : كان مفترط الخفة في الميزان .

ائل زل هو زلق . والأرض الزلق : المتساء ليس بها شيء . والزلقة : الصخرة الملساء . ومن ذلك قالوا زل زللا : كان ازل ، أي خفيف الوركين . ومن ذلك قول المتنبي في وصف الأسد : « كتفا ازل وساعدنا مفتولا » . ومن هنا صار الزلل يطلق على الخفة . وصار الدرهم الناقص الوزن أي الخفيف يسمى الزال . وزل الدرهم : نقص وزنه ، ومن ذلك (زل الميزان) : نقصانه . ومن ثم ظهر في الارمية . (زل) : كان مفترط الخفة في الميزان .

واخوات زل في العربية ليست بالقليلة : زلق ، زلچ ، زلحف ، زحل ، زحف ، وحلت ، زحلق ، زلح ، زلچ ، زلزل ، زلم .. سحف ، سحع ، سحا ، سحل ، سحب ، سح ، سمح .. سل ، سلب ، سلت .. سلحب سخلف (ومنه السلفة) ، سلخ ، سلس (ومنه السلبيل) ، سلف ، سلك ...

زَمِنْ ، زَمَانْ :

ار : (زبنو zabno) من (زمن zabno) عين زمانا .

هذه الكلمة تتنازعها عند اللغويين ثلاث لغات : العربية والأرمية والفارسية التي يسمى الزمان فيها (زمانه) .

والذي نعتقد أنها عربية لأن اثنان دمن ، نقم
قالوا دمنت باب فلان : لزمته ، وأدمنت الشيء : أدمته

قلنا في حديث سابق أن (آب) نشأت منها كلمات مائية كثيرة منها آل ولاب وبيل ورال ورافق وراه ... كالذى نوهنا ببعضه توا ايضا . وتزيد الان نمل (لاب يلوب) الذي بقي من معناه العطش اي تطلب الماء ، والحوم حول الماء . ومنه (اللواب) ومن هذا نشا (اللعب) وكلاهما يعني الريح . ومثل ذلك قالوا من (الريبل) رال الصبي : بيل ريلاه أو ريله ، اي لعابه ، ومن هذا الأخير نشا (الريبر) ، ثم ظهر في الارمية

الزجاج :

ار (زكوكيتتو) (zogoguito) .

ائل الكلمة الجاز . والعراقيون يسمونه الكزار (gzaz) . وهو من فصيلة جز وقر وقص . وقد قال العرب : جز الصوف او العشب : قطعمه ، وهذا يساعنا علم الآثار على تأثير الكلبة . ذلك ان القدامى اكتشفوا حجرا بركانيا شفافا اذا انكسر كان حرفه حادا ماضيا يصلح للحلاقة ، وتدل الحفريات على انهم استعملوه فعلا . وقد جرب أحد الآثاريين - سبايizer - فحلق وجهه في العراق بحجر من هذا الطراز حلقة قال انها كانت جيدة نظيفة . فهذا الحجر سموه الجاز او القزار كما لا يزال يسمى في بعض الدرجات ومنها العراقية التي ينطق القاف فيها كاما مخفينا احيانا نسموه (الكزار) كالذى قلنا ، وقد كانت الفصحي ايضا تتطبقه بالكاف وبقيت من ذلك اثناره هي (القازوزة) : القارورة الصغيرة ، اما في المصرية فالقزار (وتنطق الازاره) هي التي تعنى القارورة .

ويبدو ان هذا قد تم في جزيرة العرب اولا ، ثم تثبت الكلمة - الجاز - فصارت (الزجاج) - بفتح الزاي او كسرها او ضمها . ومن ثم ظهرت في مختلف لهجات القبائل ومنها (زكوكيتتو) في الارمية .

زَفَرْ :

« اكل اللحم . ار : (زفر) (zfar) : توسيخ ، سبب التوسيخ ما يبقى في الاصابع من آثار اللحم » .

الزفر - زنة المطر - بالدارجة العراقية هو الدسم من لحم او دهن او نحوهما ، وتزفرت يده :

تالوا في العربية طوبيت الشيء اي ثبته . ومن الطي نشا التو (الفرد من الطين) والزو (الشفع اي كلا جنبي الشيء المطوي) . ومن الزو نشا الزوج ، كما نشا زوبيت الشيء : طوبيته . ومن هنا نشأت الزاوية .

الزيست :

ار : (زيتو zayto) .

قال العرب زاب الماء يزوب زوبا : جرى . والازيب (زنة الاشيب) : الماء الكثير . ونطقت الكلمة بالدال فنشأت منها صيغ مما بقي منها المزادة : جلود يضم بعضها الى بعض ويوضع فيها الماء ، وكائهم قمدوا المزادة . ومن ثم صارت (المزاد والمزاد والزود / تعني الوعاء الذي يوضع فيه الزاد ايضا ، وهو الطعام في الاصل ، ثم خصوه بطعم السفر .

ومن ثم تالوا زات القوم يزيتهم زينا ، وزتهم (بالتشديد) تزيينا : « اطعمهم زينا او جعل (زادهم) الزيت ؟ والظاهر ان (الزيت) اطلق اولا على السنون ونحوه من الدسم عامة ، ثم اختص بالزيت وهو دهن الزيتون .

الزيتون :

ار : (زيتونو zaytouno) .

صيغ اسم الزيتون من اسم (الزيت) الذي يعصرونه منه . ومن ثم ظهر في الارمية . هل نسمده مادة حضارية ؟

الزيز :

حشرة . ار : (زوزو zouzo) .

هذه الكلمة صوتية ، اي ان هذه الحشرة انما سميت بهذا محاكاة لصوتها (زيز زيز زيز ..) . ويحوز ان نجاري الارمية الى حد ما فنقول ان الصوت (زوز زوز زوز) . لكن كثرة الكلمات الصوتية في العربية من اسماء الطيور والحيشات يجعلنا نرجع امثال العربية ، مثل : الجدد ، الصرصار ، منوان الليل ، الريبلاء (تطلق على انواع من العناكب والمهائم كالذباب ، والاغلب من صوت ترتلها) ، والبلبل والهدمد .

كما قالوا ازمن الشيء : دام ، وأزمن بالمكان : أقام زمانا ، ومثل ذلك مدن بالمكان ومتى به . ويعتقد ان آئل هذه الكلمات الثلاث (زمن ، دمن ، متى) هي دمن وهي من دم الأرض : سوها ، وأصل المعنى كما في الدرجة العارقية دم الشيء : طمره ودفنه ، وأنهما طم بمعناها ومنها الطمي اي الغرين الذي يغمر الأرض ، والطمر من الغمر ، وغير من غم اي غطى ...

الزورق :

ار : (زورقو zawrko) .

ان الزلق والانزلاق من الزرق وهو معنى مائي اله الرق (زنة البن) : الماء الرقيق في البحر او الوادي ، وتررق الماء .. مما سلف ذكره . والماء الأزرق الصافي ، وقد صار الزرق يعني الزلق وبقي من ذلك قولهم ازرقت النافة حملها : اخرته الى الوراء ، اي زلتـه .

وقد ضاعت بعض المعاني المائية من الزرق لكن بقي قولهم زرق الطائر : رمى بسلحه ، والزراقة (زنة السيارة) : المضخة ، و « المزراق » : الرمح التصغير ، لانه ينزرق حين يرى ، و « الرزيق » : ملائكة اكبر من العصفور قليلا . لانه ينزرق في طيراته ، ومن هذا المعنى سمي الزورق لانه ينزرق اي ينزلق على سطح الماء .

زوق ترويقيا :

زين تزيينا . ار : (زيق zayeq) : سطوع .

الزواقي (زنة الزواج) : زينة الجارية . والذى يغلب على ظتنا ان اهل قولهم زوقوا الجارية هو : زوجوها ، لأن التزويف يقتضي التزويق ، ولا بد ان الكلمتين كانتا متراوحتين اولا ثم اختصت الثانية بمعنى تزيين العروس ، ثم التزيين عموما . وما زال الزواقي (بضم الزي) يعني بالدرجة العارقية زينة المرأة خصوصا ، ويقولون عنها زوقوها وتزوقت . كذلك ورد في النصحي تزيقت المرأة بمعنى تزوقت .

الزاوية :

ار : (زووبيتو zowbito) .

مثلها قولهم سقرته الشمس : لوحته وآنت دماغه بحرها . وكلناهما من آتل (شعل) ، وهذه آتلها شعت الشمس : نشرت أشعتها . لهذا كان من المعمول أن يكون معنى (شكر) في الأرمية : شعل وأشعل .

سجن الماء :

تعكر وفسد . ار : (شكتش هبيج .

ان المعنى العربي هو الاصل ، لأن الكلمة مائبة وهي من اخوات سجلت الماء : صببته ، وسحجبت السحابة الماء : صببته . وهذه آتلها سجر الماء النهر : ملاه ، وسجر البحر : فاض ...

وبعد ان تطورت الكلمة لفظا فصارت (سجين) ويعني فصارت تعني تعكر الماء وفساده ظهرت في الأرمية بمعنى التهيج الذي أصله التعكير .

السجين :

الاضطراب . الشفب ، ار : (من اصل سجس) هذا صحيح ، فقد ورد التنوية بظهور معنى الشفب اي التهيج توا في (سجين الماء) .

السجف (زنة الزحف والحزب) :

الستر . ار (شكتش chgaf) غطى .

ومثل السجف : السجاف (زنة اللحاف) والسبجيف (زنة النحيف) . وسجفت البيت واسجفته : ارخيت عليه سترا ، اي ستنته ، وكان أولى بهم ان يقزنوها هذا الفعل العربي بهذا الفعل الأرمي ، بدلا من ان يقزنوها بين هذا الاخير والاسم العربي الستر) وعمل سجف نثما منه في العربية فعل سجا يسجو ، فقد قالوا سجا الليل وسجف بمعنى ، اي امتد واستطال .. وأمثل المعنى : اظلم .

اما آتل السجف فهو السدف قبل اسجفته الستر : ارخيته ، كما قيل اسدفت الحجاب : ارخيته . والسدف (زنة الخزف) والسدفة (زنة الغرفة) هي الظلمة اصلا ، وصارت تعني مجازا : السترة تكون على الباب تقيه المطر .

المسبار :

آللة لسبر الجرح ، ار (سبر (sbar) حكم .. قدر .

آتل رسب يرسب هو رسا يرسو ، وربس الشيء في الماء سقط الى أسفله اي قعره . ومن هذا نشا قولهم سبرت الجرح او البئر : امتحنت غوره لمعرفة عمقه ، والبئر هي الاصل ثم استعير المعنى للجرح . ومجازا قيل سبرت الامر : جربته واختبرته ، ومن هنا قالوا ثبرت الشيء : قدرته ، وصار الشبر يعني مسافة ما بين الخنصر والابهام يقيسون بها .

ويلاحظ ان الفعل الأرمي يعني الحكم والتقدير مثل فعل الشبر العربي بالاضافة الى سبر الامر ، اي نتيجة السبر والشبر .

والمبمار آداة حضارية أخرى (طبية هذه المرة) تشننها العربية كما هو واضح لتبطل الحجة الحضارية في عزو الانفاظ العربية الى الأرمية .

البسيط :

صنف الشعر المسترسل . ار : (شبط (chbat) امتد .

ان للبسيط في العربية اسرة كثيرة العدد تذكر منها لغرض التأثيل وحسب : سبط ، وسبد رامسه : سرح شعره ، وأسبل الستر : ارخاه ، ثم اسدله ومنه (السدل) — زنة الفكر — و (السدل) — زنة الكفر : الستر . وهذا يرجع بنا الى افعال سدف وسجف وسجا الليل ...

اما (شبط) الأرمية فلها واحد من هذه المعاني وهو الامتداد الناشيء من التبساط والانسدال .

سجد :

ار : (سكدر (sgued) سجد . رکع .
يبدو لنا ان فعل (سجد) اثله (الجسد) اي الجسم ، مثل مثل (جنم) الذي نشا منه (الجثمان) اي الجسم ايضا .

سجرو التسوار :

ملاء وقودا ثم احماء . ار : (شكر (chgar) لشعل .

السحتوت (زنة الآنيوب)

والسحتيت (زنة الإبريق) :

سوق قليل الدسم كثير الماء . ار : (شحتيتو chahtito) : حنطة محمصة .

فعل السحت اثله الحت ، ومن أخواته النحت ، فقد قالوا سحل الشيء : نحته ، كما قالوا سحت الشحم عن اللحم : قشره ، ومن ثم قيل سحت الشاة : ذبحها . ومعنى الحت والقشر والذبح والاعلاك يظهر في أخوات فعل (سحت) مثل ساحت الشيء : قشرته .

وسحطه : ذبحه ذبحة سريعا .

وصحف الشعر عن الجلد : كشطه ، وصحف الرأس : حلقه ، والصحفة : الشحمة التي على الظهر ، والصحفة : آلة يقشر بها اللحم ويكتفط الجلد . وهي آداة حضارية عربية أيضا ، لا دخل للغة أخرى في تكوينها .

ومثل ذلك أيضا سحته : اهلكته أو دككه ، وسحت الربيع الأرض : قشرت وجهها بشدة هبوبها ، وسحت الرأس : حلقته .

ثم سحن الشيء : دقه أو كسره .

وسحا الشيء يسحاه ويسحوه ويسيحيه سحيا : قشره ، ومنه المسحاة وهي آداة كالجرنة ، وهما حضاريان أيضا وعربيان .

فمن قولهم سحت الشحم عن اللحم (اي قشره) نشأ معنى قلة الدسم لأن كشط الشحم يقلل دسم اللحم عند طبخه ، وعلى التشبّيه استعير المعنى للسوق الذي قل دسمه وكثُر ماؤه . وبعد هذا ظهر في الأرمية (شحتيتو) بمعنى الحنطة المحمرة اي التي يصنع منها السوق .

السحاف (زنة السلات) :

مرض السل . ار : (سحيقو shifto خراب .

الصحف صيفه ومعاناته كثيرة في العربية اوردنا بعضها آتنا ، واتما اختاروا من بينها السحاف لانه اسم مرض وقد عدوا تسمية الامراض من الشئون

والسدف اثله السدل ، فقد قالوا اسدلت الشعر او الثوب : أرخيته . وفعل سدل من دلس ، وهذا من دمس ، وهذا من طمس ; وهذا من طم وطمي ...

هذا والسجف يعني الستر بالعربية بينما (شكت) يعني غطى بالأرمية كالذي تقدم بنا . ولو كان العكس ، اي لو كان السجف اي الستر والستار والسجاف والسدفة .. هي التي في الأرمية لكان من الصعب انتقامهم بتأليتها في العربية لأنها كلمات (حضارية)

اسجت الناقلة :

كثر لبنيها . ار (اسكى asgui) كثر

السجو كلمة مائية . من أخواتها : السجل والجسم والسجن والسج . فقد قالوا سجلت الماء : صبيته ، ثم صار السجل يعني الدلو العظيمة ، ومن ثم (الضرع العظيم) ، (والضرع السجيل) — زنة السجين : الواسع المتدرلي .

كذلك قالوا سجمت السحابة الماء : صبته كما تقدم ، وانسجم الماء : انصب . (وناقة سجوم وسجام) : كثيرة الدر .

ومن مادة السجن بقي من معنى الماء (الساجنة) : مسبل الماء من الجبل .

ومن السج نجد (السجة والسجاج) — زنة الحجاج : اللبن الكثير الماء .

فلا غرابة أن قالوا من السجو ايضا (اسجت الناقلة) غزر لبنيها ، ومن ثم تطويرا (ناقلة سجواء) : تسكن عند حلتها . ثم ظهر معنى السكون : (امراة سجواء الطرف) : ساكته ، و (ليلة سجواء) : ساكتة ، (واسجي البحر) : سكت امواجها ، و (سجا الليل حتى هاج لي الشعر والهوى) ...

ومن كل هذه المراحل التطورية تظهر في الأرمية مرحلة (اسجت الناقلة) : كثر او غزر على تعبير المجمع ، لبنيها ، في صور (اسكى) : كثر .

ونضيف بالنسبة ان هذه الصيغة الأرمية توحى لنا بأن (السقى ، والسائلة ، والسائلي) أيضا قد تطورت من نفس المادة اللغوية .

اصل المعنى أظلم بصره ، وائل اللفظ سدرت الشعر فانسرد : سدلته فانسدل . ومن هذا الباب ايضا : سترت الشيء : غطيته ، وسدفت الحجاب : ارخيته ، واسجنت الستر : ارخته ايضا ... كما تقدم .

وقد تقدم بنا كذلك معنى الظلمة في هذه الالفاظ مثل سجا الليل واسجف واسدف ارخي سدوله .

ومن الظلمة تحير البصر والاصل غموضه واظلامه . وقد قالوا من مادة السدف « اسدف المرأة » اظلمت عيناه من جوع او كبر » .

ويمكنا ان نضيف : او من سبب آخر . ثم ظهر المعنى في مادة سدر بقولهم « سدر البعير : تحير نظره من شدة الحر » . ثم ظهرت الظلمة في الارمية بمعنى الدوار لأن الدوار ايضا يسبب تحير النظر .

السدان (زنة السجان)

« مسند يطرق عليه الحديد » . ار : سدونو (sadono) .

اصاب المؤلف بتسمية مسندان (السند) هو امثل الكلمة .

و (السدان) هذا لغة ضعيفية في السنдан ، الذي اكتسب اسمه من كونه مسندًا يوضع عليه الحديد عند طرقه . وخلو الصيغة الارمية (سدونو) من النون الاول دليل حداثتها . وهذه كلمة حضارية اخرى ..

السرج :

الرجل ، ار : (سركو) (sargo) .

مادة التسريح اثلاها التشريح . وشرجت الشيء تعني في الاصنل شققته ، لكنها خرجت من معناها هذا ، ويقي فيها من معنى الشق صيغ مثل انشرج الشيء : انشق نصفين ، والتشريح : فلتة العود اذا شق فلقتين متساوين ، ومن هذا المعنى نشأت (التشريحة) . وهي جوالق كالخرج ينسج من سعف النخل ، سميت بهذا لانها نلقتان تتذليان على جنبي الدابة . ثم تطور المبنى والممعنى فنقطوه (السرج) بمعنى الرجل وغلب استعماله للخيل .

الحضارية التي لم يعرفها العرب ، فيما يبدو ، ولو انهم لم يجدوا مقابلة في الارمية .

لقد استعمل السحاف ايضا في العربية بمعنى كشط الشحم ، ومن ذلك (السحبينة) : ما يقتصر من الشحم ، و (السحوف) : الناقات التي ذهب شحمها ، وقد اشتق اسم مرض السبل فيصيبيه المزال ومن ثم لاته يذهب بشحم البطن فيصيبيه المزال ومن ثم الهلاك . وقد قلنا ان اصل المعنى هو الحت والنحت ، وليس قليلا قول العرب براءة السقام او الغرام بمعنى احله وابلاء ، وما معنى الخراب في الارمية الا تطور متاخر .

السخلة (زنة النخلة) :

ولد الشاة . ار : (سحلتو) .

نرجح ان الايل هو (السلخ) زنة السجن : جلد الحيوان المسلح . وقد جاء ذلك من قولهم سلخت الخروف : كشطت جلده . ونما يؤيد ذلك ان (السليخة) تعني الولد ، وائل السلخ هل السل - زنة التل) الذي منه أيضا صيغة السليخ بمعنى الولد .

سخم الله وجمه :

سوده . ار (شحم) (chahem) سود

ايل الكلمة سحم يسحم (كعلم يعلم) : اسود فهو اسحم ، وكما قالوا سخم الله وجهه قالوا اسحم وجهه بنفس المعنى . والتسميم يعني التسميم ايضا وائلها جميعا تولهم حم الماء : سخنه . وقد سبق الحديث عن تأثيل (حم) وترسيسها عند الكلام على (الحمام) في العدد الماضي .

السخدم (زنة الصنم)

السواد . ار : (شحومو) .

هي من نفس المادة .

سدر الجمل :

« اصابه الدوار واختل نظره من فرمط الحر » . ار : (سدر) (sdar) اصابه الدوار .

السراج (زنة المسلاح) :

اداة يستضاء بها وهي وعاء يشعل فيه فتيل
غمومس في الزيت . اور : شرووكو (chrogo)
من (chrag) اضاء .

أثل الكلمة (السيرج) وهو دهن السمسم ،
بدليل قولهم أسرج المراج : أوتده ، وأصل المعنى
فيما يخيل لنا : ملأه بالسيرج الذي يظهر انهم كانوا
يستعملونه للاستضاءة ثم استعملوا سواه من الزيوت
ايضا . وأثل السيرج هو (الشيرج) : زيت السمسم
ايضا اي عصيره . وهذا اثله (الشرو) — زنة الصنو
— اي العسل ، وينطق بفتح الشين كذلك . ومنشأه
فيما نرى عسل الفواكه اي عصيرها من فعل (جرى
يجري لأن عسل الفاكهة ولا سيما التمر يجري عند
تكديسها ، ثم استعيرت الكلمة لعسل النحل)

ومن الشرو - بالكسر - نجد في الفارسية
(شيره) بمعنى عصير الفواكه ونحوها ، اي عسلها
على ما تقدم يمكننا تصحيح تأثيل الكلمة في الارمية
فان فعل (شرك : أضاء) هو المشتق من (شروعو :
السراج) المقتبس من العربية ، كلمة حضارية اخرى

شجر قويم الهيكل . أر : (سروو (sarwoo

معنى فعل سرا يسرى سروا هو علا يعلو . ومنه شرف (من باب كرم) بنفس المعنى . ومن معنى الانتصاف في مادة (شرف) قالوا استشرف الشيء : انتصب .

والسرور شجر منتصب متوجه بجذعه وأغصانه
إلى أعلى ، ويكون بعض أنواعه ساماً مما يحققه في
الفضاء ، فلا غرو أن يسموه (السرور) من معنى
الارتفاع والانتصار . وإذا كانت الإرمية قد سبقت إلى
هذه التسمية — وليس لدينا ما يرجع ذلك — فالمادة
لغوية عربية عريقة .

المسطح (زنة المنجل) :

المطبخ (machtaho) . أر : (مشطوح) البيدر . ميدان .

أي ان كل صيغ مادة (س ط ح) في العربية ائلة ، عدا (المسطح) بمعنى البider على رايهم لانهم وجدوا (مشطوح) في الارامية ولو بمعنى آخر .

معلوم ان فعل سطح يسطح يعني في العربية بسط وسوى . وصيغة المسطح نفسها تعني في العربية عدا البدر اشياء اخرى لها علاقة بالتسطيح ، فهي اولاً آلة التسطيح لاي شيء ومن ذلك اطلق على المراقق الذي يسطح به الرغيف ، كما اطلق على موضع تجيف التمر لانهم يسطحون فيه التمر اي يفرشونه ليجف . معان حضارية اخرى .

اما (مشطوحو) فيظهر انها من قول العرب
« رأيت الارض مساطح : اي لا مرعى بها ، شبهت
باليبوت المسطوحة ». .

: 8

كتبه . ار : (سرط srat : خط ، رسم) الذي نراه ان السطر ائله الشطر ، وما الساطور الا الشاطور . وشطرت الشيء ائلها : شرطته ، وهذه من شرقته وهذه من شرقته .. ومن اخواتها شرجم وشرح وشرح وشرز وشرع وشرك .

فأصل معنى سطرت الشيء هو قطعه ، وقد يقالوا سطره بالسيف : قطعه ، ومجازاً قالوا سطرت الرجل : صرعته .

والسطر يعني الصف من الكلمات او الشجر او البناء او غيره ، ويبدو لنا ان اصل المعنى هو تخطيط الميراث الذي يحدد الارض اي يشرطها صفوفاً ، ثم اطلق على الصف من كل شيء . وقد شاع استعمال السطر لصف الكلمات ومن ثم قالوا سطنته : كتبته . وبعد أن مسار السطر يعني الصف من الكلمات المكتوبة ، نشأت الاسطورة التي ظهرت في اللاتينية بصفحة *historia* بمعنى التاريخ والاحاديث القديمة .

وبعد هذا ظهرت في الارمية بمعنى الخط والرسم.

السطر (بسكون الطاء او فتحها) :
من الكلمات او الشجر. ار : سدرو (sedro)
تكتب . من (سدرو) (sdar)

هذا المعنى الارماني مجازي متتطور من المعنى العربي ، من مثل قولهم « سطرت الترطاس : رسست عليه خطوطا يحتذها » .

الساطور :

سكنين كبير لقطع اللحم . ار : (سوطـورو
 (sotouro) سكين الطيـاخ الكبير .
 ورد ايضاحها ضمن (سطـره) .

السطام (زنة السلاح)

سطم الباب :

سداد التارورة ، ار : يقول انها من اصل
 سطـم) .

نعم ، نؤيد ذلك . فانتظر (سطـم الباب)
 - يـتبع -

اغلقه . ار (سـطـم (stam) اغلق .

(سـطـم) الـباب : اغـلقـه ، ومـثلـه (سـدـمـه) :
 رـده ، اللـهمـا الصـدمـ وـهـذـهـ منـ الصـدـ ، بـدلـلـ تـولـهمـ :
 ردـ الـبـابـ بـعـنـيـ اـطـبـهـ . وـالمـقـصـودـ منـ اـغـلـقـ الـبـابـ

امي شاعر :

هو الزيري صاحب أبي العلاء صاعد بن الحسن اللغوي ، كان أدبيا
 شاعرا فطنا بدبهـا ذـكرـهـ أبوـ عامـرـ بنـ شـهـيدـ وـقـالـ كانـ أمـياـ لاـ يـقـرأـ
 ولاـ يـكـتبـ وـكـانـ معـ هـذـاـ منـ أـطـبـ النـاسـ شـعـواـ وـأـسـرـعـهـمـ بـدـبـهـةـ
 (جـذـوةـ المـقـتـبـسـ فـيـ وـلـاـيـةـ الـأـنـدـلـسـ لـحـمـدـ بـنـ فـتوـحـ الـحـمـيـديـ مـخـطـوـطـ)
 (384 - ص 488)

اختلاف المفاهيم اللغوية بين الأمم، ما المجتمع مثلًا؟

الأستاذ عبد الرحيم أبواليمين
أوبلادن - ألمانيا الغربية

اشخاص من بني انسان لا تميز جماعة عن جماعة الا بالعلاقات . ان المجتمع في حقيقته التفصيلية هو اناس ، وافكار ، ومشاعر ، وانظمة . هذه الامور الاربعة هي المجتمع . ذلك ان الذي ينشيء العلاقة بين الناس هو المصلحة ، فإذا وجدت مصلحة كانت العلاقة ، وإذا لم توجد مصلحة لا توجد علاقة . والمصلحة مبنية على افكار عن الشيء او الامر بأنه مصلحة ، فإذا توافقت افكار الناس على امر بأنه مصلحة وجدت بينهم علاقات وتوحدت هذه العلاقات ، وإذا اختللت افكارهم على امر من حيث المصلحة ، هذا يره مصلحة وذاك يره مفسدة فانه لا توجد بينهم علاقات . فالذى يوجد العلاقات بينهم هو اتفاق افكارهم على ان هذا الامر مصلحة . وهذا اول شيء فى وجود العلاقة . الا ان هذا لا يكفى وحده بل لا بد ان توافق مشاعرهم نحو هذه المصلحة ، فإذا توافق فرجمهم للمصلحة وتوافق حزنهم عليها وتوافق رضاهما عنها وتوافق سخطهم عليها الى غير ذلك من مظاهر المشاعر فان العلاقة توجد ، وإذا لم توافق هذه المشاعر لا توجد العلاقة حتى لو وجدت الافكار ، فإذا حينئذ تكون مجرد افكار فلسفية كفلسفة اليونان عند الفرنسيبين مثلا ، فان الفكر لا يكون فكرا له واقع اي لا يكون مفهوما الا اذا ارتبط بالمشاعر ، قيوجود الافكار والمشاعر تتكون العلاقة . الا ان هذه العلاقة لا تخرج الى حيز الوجود ولا تكون لها ثمرة الا اذا توحدت بينهم الانظمة التي تنظم هذه العلاقة ، فوجود العلاقة ملحوظة

يكثر الكتاب والمفكرون في العالم المسمى بالعالم الحر من ذكر المجتمع وتحليله على اعتبار أن المجتمع هو مجموعة الناس من البلد أو البلد باعتبارها مسكونة بالناس . فيقولون قضايا المجتمع ، والنهوض بالمجتمع أو القضايا المادية للمجتمع وما شاكل ذلك . والعالم الغربي أو ما يسمى بالعالم الحر هو المسيطر على أكثر أجزاء العالم ومنه العالم الإسلامي بحضوره ومفاهيمه ، ولذلك ترکز هذا المعنى للمجتمع في اذهان الناس في العالم الإسلامي ولا سيما في اذهان المثقفين والمفكرين وحتى جمهرة اليساريين بجميع انواعهم . وبالرغم من وضوح خطأ هذا المعنى ، ومن مخالفة الفكرة الاشتراكية له فإنه ظل هو الغالب لدى المثقفين والمفكرين بل ظل هو المسيطر . ولما كان هذا المفهوم المجتمع من الافكار الأساسية لدى الغرب ولدى الحضارة الغربية ، ولما كانا نحن المسلمين نعمل على قلع الحضارة الغربية من جذورها لازالة الخطر وخطر الغرب كله كان لا بد من توضيح معنى المجتمع بشكل شامل لمن سيطرت ثقافة الغرب على عقولهم من ابناء المسلمين ومنهم من يعتقدوا ، لادراك واقعه حين ادرك مدلولاته .

وأقِع المجتمع أَنْه مجمُوعة النَّاس بِمَا بَيْنُهُم مِن عَلَاقَات ، وَلَيَسْ مجمُوعة النَّاس فَقَط . فَمجمُوعة النَّاس هي جَمَاعَةٌ وَلَيَسْ مَجَتمِعًا . وَالذِي يَكُونُ المَجَتمعُ هُوَ الْعَلَاقَاتُ وَتَمْيِيزُ الْمَجَتمِعَاتُ عَنْ بَعْضِهَا بِحَسْبِ هَذِهِ الْعَلَاقَات ، وَالْأَنْسَابُ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ هُمُ النَّاس ، أَيْ هُم

ومشمرة لا يتأتى بتوحيد الأفكار والمشاعر بل لا بد من توحيد الانظمة التي تنظم هذه المصلحة . بل ان الانظمة التي تنظم المصلحة اذا وجدت ، ولو بطريق الفرض والاجبار ، تنشأ عنها الافكار والمشاعر ، ولذلك كانت الانظمة في تكوين المجتمع عاملًا وان كان دون اهمية المفاهيم اي الافكار التي أصبحت مفاهيم .

وعلى هذا فانه من الخطأ ان يقال قضايا المجتمع ويراد الناس ، بل قضايا المجتمع هي قضايا العلاقات بين الناس وليس قضايا الناس ، ولذلك فان اصلاح المجتمع هو اصلاح العلاقات وليس اصلاح الناس ، وتغيير المجتمع هو تغيير العلاقات وليس تغيير ما يستعمله الناس من أدوات ولا تغيير ما يلزم لحياة الناس . ومن هنا لم يكن جمل الفسالة الكهربائية مكان لجن (طشت) الفسيل ، وجعل المكتسبة الكهربائية مكان مكتسبة القش ، وليس السروال الاجنبي مكان القنباز او الجلباب ، لم يكن ذلك كلّه وسيلة لتغيير المجتمع ولا اصلاحه ، فانه لا علاقة له في المجتمع . صحيح انه قد يؤثر على الافكار ، وقد يؤثر على المشاعر ، ولكنه تأثير انطباع وتقليل لا تأثير لهم وأصالحة ، وهو تأثير مؤقت من البهل ازالته ، ومع ذلك فانه لا ينشيء علاقة ولا يكون مجتمعا . بل اصلاح المجتمع وتغييره انما هو بتغيير الافكار والمشاعر والانظمة ، ولا يصلح ولا يتغير الا بذلك ، اي الا بالافكار والمشاعر والانظمة .

وانه وان كان ذلك ، اي فهم المجتمع هذا الفهم المفلوط يؤثر وقد اثر فعلا على الناس بوصفهم افرادا ويوصفهم جماعة ، وحال دون نهضتهم وجعلهم في حلقة مفرغة عشرات السنين ، ولكن تأثيره على السياسة اي على رعاية شؤون الناس كان افظع بل كان الكارثة التي حلّت بهم والتي نقلتهم دون ان يشعروا الى اخذ الحضارة الغربية اخذًا يصل الى حد الاعتناق في بعض الاحيان ، وجعلهم ينتقلون حتى في اذواقهم نحو مفاهيم الغرب من شدة تأثير الحضارة الغربية عليهم في افتئامها فرصة الفهم المفلوط لمعنى المجتمع .

ولنأخذ من ذلك مثالين اثنين هما - مفاهيم الحكم ومفاهيم الاقتصاد ، لأنهما اظهر المفاهيم التي أخذت عن طريق الفهم المفلوط للمجتمع ، وأثرت على تصرفات الناس وأذواقهم . فالغرب يرى ان الحكم للشعب ، وان السيادة للشعب ، وان القيادة جماعية ، وان الامة مصدر السلطات . وهذه المفاهيم هي افكار تتعلق بالعلاقات في السياسة ، اي بالعلاقات في رعاية الشؤون . وهي مفاهيم نشأت عند الغرب نتيجة

الظلم السياسي الذي حصل في اوربا ثم في امريكا من قبل الملوك والامراء والاقطاعيين ، ومن قبل الدول الاستعمارية في امريكا حين كانت مستعمرات ، فنشأت عن هذا الظلم محاولات من قبل المفكرين ادت الى هذه المفاهيم ، فجعل كل الشعب من اجل رفع الظلم السياسي عن الناس . وبالرغم من لهم ان واقع الحكم هو غير هذه المفاهيم ، ومع ذلك ظلت هي المسسيطرة عليهم وعلى مفكريهم وتناسوا ان الواقع لا يمت بصلة الى هذه المفاهيم . ولما كان المجتمع عندهم هو مجموعة الناس فانهم لم يلاحظوا رعاية الشؤون اي السياسة هي علاقات الناس فيما يحكمهم وليس حاكما ومحكوما . ولهذا اعتبروا مجموعة الناس هي المجتمع ، واعتبروا ان الناس هم الذين يحكمون انفسهم ، اي يرعون شؤونهم اي يرعون شؤون انفسهم ، فظلوا تائين عن معاني هذه المفاهيم ، يعتقدونها وان خالفت الواقع الذي هم فيه . فهم لم يلاحظوا ان الشعب لا يحكم ، فهو لا يتولى السلطة وانما الذي يتولاها ينكسون في امريكا ، ويرجحبي في روسيا ، وربما في فرنسا الخ . ومع ذلك ظلوا يقولون ان الشعب هو الذي يحكم ، ولهذا يلاحظوا ان الشعب لا يتولى القضاء وانما يتولاه قضاة قد درسوا القانون ، وانه كما يستحب على الشعب ان يتولى السلطة كذلك يستحب عليه ان يتولى القضاء ، فانهم ظلوا يقولون ان الشعب هو الذي يتولى القضاء تماما كما يقولون ان الشعب هو الذي يتولى الحكم . ولم يلاحظوا ان الشعب لا يتولى التشريع وانما يتولاه رجال القانون وتسنه الحكومة ، ومع ذلك ظلوا يقولون ان التشريع للشعب وان الشعب هو الذي يتولى التشريع ولم يلاحظوا ان الشعب ليس له في الواقع الا اختيار الحاكم وليس له عزله ، وان الحاكم هو الذي يشرع ، وهو الذي يسيطر على القضاء وانه لا توجد الا سلطة واحدة هي سلطة الحاكم . ومع ذلك قالوا ان هنالك ثلاث سلطات هي السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والسلطة القضائية ، وان الشعب هو مصدر السلطات . نعم لم يلاحظوا مخالفة مفاهيم الحكم لواقع الحكم ، اذ اعملاهم عن ذلك الفهم المفلوط عن المجتمع ، الى جانب ما سمعوه عن الظلم السياسي وما يتصورونه من هذا الظلم اذا لم يكن الشعب هو كل شيء .

هذا بالنسبة لمفاهيم الحكم ، اما مفاهيم الاقتصاد فان ما عانته اوربا من ظلم الاغنياء والاقطاعيين والتفاوت الفاحش بين الناس في العيش ، وما عانته امريكا من ظلم الاستعمار واستيلائه على خيرات البلاد الى جانب

المال ، وأن الحاكم لا عليه إلا أن يوفر المال للبلد
بوصفه كلا أي لمجموعة الناس ، فظلوا تائبين عن معانٍ
هذه المفاهيم يعتقدونها وان خالفت الواقع الذي هم
عليه وان الحقٌّ بهم الضرار وركِّزت ظلم الأغنياء
ووسعَتْ التباعد الفاحش بين الناس في العيش .

هذا هو المفهوم المطلوب للمجتمع ، وهذه المفاهيم
المطلوبة عن الحكم وعن الاقتصاد وكل ما ترتب على
معنى المجتمع عندهم من مفاهيم أخرى هي التي نقلت
العلاقات بين الناس ، وتلقت مفاهيم الناس وحتى
اذواقهم إلى الخضوع للحضارة الغربية بل إلى طريقة
العيش (عند الغرب) ووجهة نظره في الحياة . لذلك كان
من أهم ما على الناس جميعاً حتى في الغرب ، ولا سيما
ال المسلمين في العالم الإسلامي ان يتبنوا معنى المجتمع ،
وان يتبنوا ثم يحاربوا مفهوم الغرب عن المجتمع كحظوة
أولى لنجد سائر مفاهيمه لا سيما مفاهيم الحكم
والاقتصاد لأنهما الركيزة الأساسية في التأثير .
لذلك كان لا بد من ان يترکز عند الناس ولا سيما
ال المسلمين في العالم الإسلامي ان المجتمع هو مجموعة
الناس بأفرادهم بما بينهم من علاقات وليس البلد ولا
مجموعة الناس ، وبناء على هذا التركيز يبنون عليه ان
ما بين مجموعة بأفرادها هو علاقات ، وان ما بين
مجموعة ومن يتولى السلطان فيها اي يتولى رعاية
شؤونها هو علاقات ، وان ما بين مجموعة الناس هذه
ومجموعات أخرى اي أمم ودول أخرى هو العلاقات ،
وان المسالة كلها تتعلق بالعلاقات فيكون البحث هو
عن هذه العلاقات .

ظلم الأغنياء والتفاوت الفاحش بين الناس في العيش
قد اوجد عند المفكرين فكرة توفير المال للناس
يأخذونه بقدر قدرتهم على تحصيله وتوصلوا إلى أن
المشكلة الاقتصادية هي الندرة للمال ، أي عدم كفاية
المال في البلد بكميات تكفي لاحتياجات مجموعة الناس ،
كان الفقر هو حاجة البلد للمال وليس حاجة أفراد
الناس له ، فصار الفقير هو المجتمع حسب فهمهم
وليس الأفراد ، أي هو مجموعة الناس وليس أفراد
هؤلاء الناس ، وبناء على ذلك انصب التفكير على ايجاد
المال في البلد بكميات تكفي لاحتياجات مجموعة الناس ،
وليس توفير حاجة كل فرد من الناس . وبالرغم من
لم يتم ان واقع الاقتصاد هو حاجة كل فرد من الناس
وليس مجموعة الناس ، وبالرغم من لمسهم ان ظلم
الأغنياء لا يزال قائماً بل ازداد ، وأن التفاوت الفاحش
بين الناس في العيش قد ازداد ، أي بالرغم من لمسهم
ان واقع الاقتصاد هو غير هذه المفاهيم . ومع ذلك ظل
مفهوم المشكلة الاقتصادية عندهم هو القدرة النسبية ،
وظلت هذه المفاهيم الاقتصادية هي المسيطرة عليهم
وعلى مفكريهم ، وتناسوا ان الواقع لا يمت بصلة الى
هذه المفاهيم ، ونظراً لأن المجتمع حسب فهمهم هو
مجموعـة الناس ، لم يلاحظوا ان الاقتصاد أي التوفير
توفـير المال هو عـلاقات بين الأفراد مع بعضـهم ،
وعـلاقات بين مجموعـة الناس ومن هو مسـؤول عن توـفير
احتياجـتهم ، وليس مـالاً يوضع في الـيد ويـأخذ منه كلـ
بحـسب قـدرته . ولـهـذا اـعتبرـوا مجموعـة الناس هـيـ
المجـتمع، واعـتـبرـوا أنـ الناس هـمـ الذين يـوفـرون لـ مجـتمعـهمـ

اعلانات :

السـاحـ تـعلـقـ فـيـ الاسـواقـ (ـ كـامـلـ اـبنـ الـاثـيرـ جـ 10ـ صـ 171ـ وـ جـ 11ـ)
صـ 29ـ وـ تـارـيـخـ اـبنـ الفـراتـ (ـ جـ 4ـ صـ 17ـ وـ جـ 64ـ) .

الكلمات الهندية المَعْربَة من ماضٍ هر الوجهة:

الأستاذ الدكتور محمد يوسف
أستاذ اللغة العربية - جامعة كراتشي (باكستان)

أوريما إلى الشرق الأدنى » (الحضارة الإسلامية ، 1950 ، ص 4) . كذلك يعتبر اهتماء واسكو دي كاما (Vasco da Gama) إلى طريق الهند نقطة التحول في العلاقات بين الشرق والغرب ، وحقاً لمن كانت صفتة تفوق صفتة أبي غيشان في الخسارة والغبن ، فهي تلك التي جعلت أسد البحر ابن ماجد يقود رائد البرتغاليين إلى بناء كاليكوت (Calicut) في سنة 1498 م.

تأثير تجارة الهند والصين في التطورات السياسية بين الأمم الشرقية والغربية معروف عند كثير من المؤرخين ببارازه وتقدير خطورته ، الا ان هناك ناحية أخرى طالما بقيت غامضة مطوية لم تلق الاهتمام اللائق بها الا منذ زمن قريب ، الا وهي تأثير العلاقات التجارية بالهند وما وراء الهند في حضارات الفرس والعرب والروم في العصور القديمة والوسطى ، ولا أجد ما أقدم به لهذا الموضوع احسن مما كتبه البروفسور هيرن (Heeren) العالم المتخصص في العلاقات التجارية الدولية القديمة وهذا نصه :

لم تارت الهند منذ أقدم العصور بوفرة وتنوع إنتاجها النباتي والحيواني والمعدني كما أنها اشتهرت بجودة الصناعات المختلفة المركزة على ذلك الانتاج الطبيعي ، ثم هي تصايب من الناحية الشرقية بلاد الصين التي اختصت بطائفة أخرى من الحاجيات والكماليات التي لم يكن للعالم الغربي يد منها ، ومن هنا نشأت « التجارة الشرقية » التي تنافس عليها المتناسون من الفرس والعرب والروم ، وأخيراً أقوام أوريا الغربية ، اعني البرتغاليين والفرنسيين والهولنديين والإنجليز ، وقد استمرت هذه التجارة العالمية تجري من الشرق إلى الغرب حتى غير مجرى الألات والمخترعات الحديثة وما ادت إليه من الانقلاب الصناعي والتقدم الاقتصادي في الملك الغربي .

لقد كان لهذه التجارة أثراًها الفعال في مداولة الأيام بين الناس ، فمثلاً يقول العلامة بارتوليد : « صارت ايران مزاحمة قوية للدولة الرومانية في زمن الساسانيين ... واستولت برا ويحراء على طريق تجارة الهند والصين ذات الخطأ لجميع العالم المتحضر ، وبهذا الحادث ينتهي انتقال التفوق في الحضارة من

الجغرافي ، اكثر تلك الشعوب اتصالا وحرما على الاحتفاظ بدورهم في حركة استيراد المنتجات الهندية المختلفة ونقلها عبر اراضيهم الى شواطئ البحر الابيض المتوسط ، ولن كنا ناسف حقا لعدم وجود المصادر اللازمة للحصول على معلومات وافية من نشاط العرب في هذا الميدان فيما يتعلق بالعصور السابقة للإسلام ، ففي وسعنا ان نتلقى هنا النص بالرجوع الى لغة العرب وآدابهم (1) ودراستهما دراسة مقارنة الى جانب اللغات الهندية مثل ما فعل العلماء الافرننج بشأن دراسة علاقات الروم بالهند ، وبما ان العرب كانوا في موقع وسط بين الروم والهند فقد التقت بحوثهم اضواء على العلاقات العربية الهندية الا انها ، بطبيعة الحال ، اضواء جانبية فقط ، أما موضوع العلاقات العربية الهندية بالذات فقد بقي مغمورا مجهولا لا لشيء الا لعدم اتساع علم اللغويين الاول والمعربين بالمسرب والدخول في العربية الى الهند ولغاتها ، نراهم - وكثير منهم ينترون الى اصل فارسي - يقتصرن على ارجاع الكلمات الى الفارسية ، وفي بعض الاحيان يقعن حائرين امام كلمات لا يجدون لها اصلة بالفارسية فيأتون بتعليلات من الخيال (2) ان دلت على شيء فهو ان الكلمة عدت غريبة في نظرهم ، واخيرا لفت دراسات الغربيين النظر الى هذا الموضوع الشيق فاتقبل عليه العلماء الهنود بجد واهتمام ، وفعلا اثمرت جهودهم ثمرة طيبة من حيث أنها مهدت الطريق امام الباحثين في المستقبل الى ميدان واسع يكتر .

١*/

هناك ثلاث طرق سارت عليها تجارة الهند الى موانئ البحر الابيض المتوسط :

"Of all the divisions of Asia the southern, containing the territory of Hindustan, is distinguished by the richness and diversity of its productions. Here we not only find, with very few exceptions), all the products of other parts of civilised Asia, but so great a variety peculiar to its own climate, that it would appear as if a new and more beautiful creation had sprung up under the hand of nature. Nearly all the spices, which become necessary to mankind in exact proportion to the progress of luxury and refinement, have at all times been peculiar to this region, while two of the most important articles used in clothing, viz., cotton and silk, were first produced here, and continue to be so in an especial degree, though their cultivation has been gradually extended to other countries The influence which an intercourse with India may have had on the civilisation of mankind, is a question worthy the close attention of the philosophical student of history; and one which, notwithstanding the important illustrations it has of late received, has been by no means sufficiently elucidated, It is of the greatest consequence to ascertain the channels through which, at various periods, it found its way, or into which it was conducted; and the whole course of history tends to prove that the countries which became the staples or depots of this commerce, uniformly attained a high degree of opulence and refinement; which, however, gradually changed the habits and corrupted the manners of their inhabitants; at the same time that these were softened, sowing among them the seeds of luxury, and consequently of decline and ruin." A. H. L. Heeren: *Historical Researches into the Politics, Intercourse and Trade of the principal Nations of Antiquity*, Oxford, 1833, vol. I, pp. 35-56.

اذن كان من اثر تجارة الهند ان تطورت سبل المعيشة واساليب الحياة ، بل وتغيرت الامزجة والطبع لغير واحد من الشعوب القاطنة غرب الهند ، وغني عن القول ان العرب ، بالاشتراك مع الفرس سكان الخليج الفارسي ، كانوا ، بطبيعة مركزهم

(1) يقرر الاستاذ هيرن هذا الاصل بقوله :

"We too often find ourselves without the information necessary to follow the course of trade into the most remote regions; but when we meet with the mention of articles which are unquestionably peculiar to certain countries, we are warranted in concluding that a communication then existed with those countries, though we may be unable to define its nature and extent. A piece of sugar or a morsel of pepper in a neglected corner of a villageinn would be a certain proof of the trade with either Indies, even if we possessed no other evidence of the commerce of the Dutch and English with these countries." Heeren, 139-40.

(2) راجع مثلا تحقيقنا عن « الفالج » و « القلقى » والكلام على « الشلال » في المصنفات التالية .

واعز أصناف الإبل عند العرب « البختية » وهي على حد تولهم « الإبل الخراسانية تنبع من بين عربية وفالج » (اللسان) والفالج : البعير ذو السنامين... يحمل من السند للنحله (الصحاح) وصف الفالج بهذه المصفة ابن حوقل سنة 350 هـ (6) والمقدسى سنة 375 هـ حيث يقول هو الآخر :

(من خصائص السند) « الفالج الذي تراه بالشرق وفارس يولد البخاتي وهو أعظم من البحت له سنامان مليح لا يستعمل ولا يملأه الا الملوك ولا تكون البحت الا منه » (7).

والفالج كلمة سندية محلية والجيم فيها علامة العجمة لا غير مع ان بعضهم لم يعد مهم التعليل بأن الفالج « يسمى بذلك لأن سنامه نصفان » (المخصوص 68/7) !! وكذلك البختية « دخيل في العربية اعجمي مغرب » (اللسان ومثله في المخصوص 135/7) عن صاحب العين). انن فما هو اصل الكلمة ؟ لم ينصوا عليه بل ربما لم يهتدوا اليه حتى ان بعضهم اجترأ على القول بأن الكلمة عربية (انظر اللسان) ... على كل حال ما من شك في ان « البختية » لم تكن غير « الإبل من Bactria ».

ومن الجدير باللاحظة ايضا في هذا الصدد ان أصحاب المعاجم قد فرقوا ، جريا على عادتهم ، بين مادتي « بخت » و « بختر » الا ان مشية الجمال البختية طوال الاعناق ذات السنامين هي اشبه شيء بمشية الخيال وقد جرت العرب على هذا التموال في قوله « تفختت » من مشي الفاختة (المخصوص 109/3) ومن الثابت ايضا انها كانت تصنف النساء « بالبخت » قال الشاعر :

ونيهن من بخت النساء سبحة
تکاد على غر السحاب تروق (9)

(1) برا من المرات على الحدود الشمالية الغربية للهند الى بلخ ، ثم على خط سير التوابل شمال صحراء كرمان الى المدائن الى اسطاكية والموانئ المجاورة لها .

ب - بحرا من الساحل الغربي للهند الى الخليج الفارسي مصعدا بالفرات ثم برا الى اسطاكية والموانئ المجاورة لها .

ج - بحرا من الساحل الغربي للهند الى ساحل عمان الى ساحل اليمن ومن هناك اما على طول ساحل البحر الاحمر او على خط سير القوائل الى موانئ سوريا وفلسطين .

غنى عن القول ان الطريق البري استخدم قيل ان يستخدم الطريقان البحريان ، وعملاً وجد علماء الآثار ما يؤكد ان العلاقات بين ارض الانهار الخمسة (البنجاب) وارض الراندين ترجع الى عشرات القرون قبل عهد التاريخ المتنضم (3) الا ان التجارة عن هذا الطريق كانت عبارة عن انتقال البضائع من قبيلة الى اخرى ضد احوال طبيعية صعبة وكانت ايضا متراجحة لعدم استقرار الاحوال السياسية ، ولذلك كان التحول الى الطريق البحري ايداناً بزيادة ملوحة في التبادل التجاري بين البلدين .

والدليل الموثق به على جلب البضائع برا من الهند فيلة (4) على مسلة (Shalmanassar) 858 - 824 ق . م) ذكرت باسم غير معهود في الآشورية هو (Baziati) عن السنسكريتية (Bactria) وبما ان الفيلة ذكرت الى جانب « الإبل من ذات السنامين » يتأكد لدينا انها نقلت بالطريق البري عبر الحدود الشمالية الغربية للهند (5) .

ولا باس بأن نقف قليلاً عند ذكر « الإبل من Bactria » في القرن التاسع ق م فنلاحظ أن من أشهر

Wilson: The Persian Gulf, p. 28 (3)

(4) الفارسية « pil » السنسكريتية « pilu » الا ان بعض العلماء يذهبون الى ان هذه الكلمة ليست اصلية في Hobson-Jobson, (Supplement, « Elephant » السنسكريتية . انظر Dozy: Supplement

Kennedy, J.; Early Commerce of Babylon with India. JRAS, 1897, p. 242-288 (5)

(6) المسالك والمالك من 231

(7) احسن التقاسيم من 482 .

(7) احسن التقاسيم من 482 .

(8) انظر Dozy: Supplement

(9) سبط اللالي 351 .

2 - العبرية (almug) (14) عن السنسكريتية والتماليسة (valgu).

(3) العبرية (Koph) القردة عن السشكرتية
 . (قارن المصرية القديمة (Kafu) [Kapi)

٤ - العربية (thuki-im) عن التاميلية (tokei-togai) وعنها الفارسية والعربية « طاووس » .

هذا بالإضافة إلى الذهب والفضة والاحجار الثمينة التي تتألف منها قائمة البضائع المستوردة من الهند على ذلك العهد (15).

ولا يخفى أن هذه الأدلة ، قليلة كما هي ، قد تناولها بعض العلماء بالتجريح والرفض (16) الا انهم في الوقت نفسه اكدوا أن عدم توفر الدليل لا يعني وجود ما يمنع التجارة البحرية ، بل بالعكس امتاز الدراوريون (Dravidians) سكان جنوب الهند منذ قديم الزمان بالاتجاه الى الملاحة .

ومنذ القرن السادس ق.م ينتعش الظلام وتتوفر لدينا الأدلة القاطعة على ازدهار التجارة البحرية ، منها :

1 - العثور على قطع من الساج (الرهيبة Sag) [وغيره من الاختبار الهندية في مصر نبخت نصر (Nebuchadnezzar) 604 - 562 ق.م.) وفي معبد الله القمر الذي جدد نبخت نصر بناء ب(Ur).

2 - انتشار عدد كبير من البضائع الهندية في اليونان حيث كانت ترد عن طريق بابيل ولا تسزال

اما العلاقات التجارية البحرية بين المنطقة الممتدة من الخليج الفارسي الى البحر الاحمر وبين الهند فمن القطعو بـ انها راسخة في القدم الا ان الأدلة فيما يتعلق بالفترة السابقة لسنة 700 ق.م ليست بكثيرة ، من اهمها :

— ورد في الكتابات التي ترجع إلى ما قبل 2000 ق.م أن الأكاديين كانوا يستوردون الأخشاب من (Magan) أي عمان ، ويرجح أن تلك الأخشاب إنما كان أهل عمان بدورهم يجلبونها من الساحل الغربي للهند (10) .

2 - كلمة (Sindhu) الواردة في مكتبة (Assurbanipal) (668 - 626 ق.م.) إنما يرجع أصلها إلى الهند وهي تعني « القطن الهندي » ومنها البربرية (Sadin) والערבية « سدين » (11).

3 - كلمة «Karpas» العبرية توافق السنسكريتية «Karpasa».

4 - في القرن العاشر ق.م استعان سليمان ،
جريا على سياسة أبيه داود ، بالفينيقيين لتشييد
حركة الملاحة والتجارة بين ميناء (Ezion Geber)
(العقبة) (12) و Abhira = Ophir أعلاه
الساحل الغربي للهند (13) وتعد الكلمات الآتية من
آثار هذه الحركة التي كانت ولا شك أقدم بكثير من
عهد سليمان ، ولم يكن منه الا أن جعلها مباشرة بعد
أن كانت تحرى على أيدي وسطاء كثريين :

١ — العبرية « Shen Habbin » = « سن الفيل »
 (العاج) عن السنسكريت « ibha-danta » .

¹⁰⁾ انظر Wilson: The Persian Gulf, p. 27 . هي «مزون» بالعربية .

H. J. Rawlinson: *Intercourse Between India and the Western World*, Cambridge, 1926, p. 2-3(1)

12) لقد أمكن تحديد الموقع بـتل الخليفة غربي العقبة على اثر الاعمال التي قامت بهابعثة أمريكية هناك
اناء 40 — 1938 م.

13) اختلف كثيراً بشأن Ophir بعضهم قرأوا الكلمة Sophir « سوبارة » بالهند أيضاً أو « ظفار » باليمين أو « سفالة » الزنج ، إلا أن المدرج أنها كانت بالهند .

14) نوع من الخشب الثمين ، الصندل الاحمر على الارجح راجع Cheyne : Ency. Biblica

16) في مقدمة هؤلاء الاستاذ J. Kennedy الذي مضت الاشارة اليه .

الالماع اليهم) تيل انهم اثاروا اعجاب اهل بابل بالغراب
تارة وبالطاووس تارة اخرى .

ولا ينقوتنا في هذا المقام التنويه بأن تجارة الهند
هذه كانت السبب الرئيسي في رخاء بابل وعظمتها التي
بلغت اوجها في هذا العصر حتى اثارت حسد فرعون
مصر (نخاو) (Necho) 612 - 596 ق.م) فما كان
منه الا ان بذل الكثير من الاموال والارواح في سبيل
اعادة بناء القناة الموصولة من النيل الى البحر الاحمر،
ذلك التي كان انتقلاها لأول مرة (Sesostris)
في القرن العشرين ق.م .

*/

وقد كان لهذه العلاقات ايضا اثر خالد في اربع
من اهم نواحي الحضارة في الهند :

١ - الخط البراهمي (Brahmi) ، الذي تفرعت
منه الخطوط الهندية المختلفة، انما كان من اصل سامي
قوى الشبه بالحروف الفينيقية الى درجة تؤكد انه دخل
الهند عن طريق الساحل الغربي على ايدي التجار
الفينيقيين وقد حدد الدكتور بوهлер (Dr. Bühler)
تاريخ دخوله الهند بسنة 800 ق.م ومع ان هذا
التحديد لا يزال موضع نقاش الا انه من الديهي ان
الخط لابد ان يكون قد مضى عليه قرون قبل ان
يتطور فيتلاءم مع مقتضيات اللغات الهندية كما يبدو

اسماؤها اليونانية والمعربة ترشدنا الى اصلها فمتلاً :
السنسكريتية (Chandan) = العربية (صندل) .
التاملية (Arisi) = العربية (الارز) (17).
التاملية (Karppu) = العربية (قرفة) .
التاملية (Inchiver) = العربية (زنجبيل) .
التاملية (Pippali) = العربية (ملفف) .
السنسكريتية والتاملية (Vaidurya) (18) = العربية (بلور) .

فهذه هي بعض الكلمات الهندية الاصل التي
دخلت اللغة اليونانية عن طريق بابل في الفترة التي
نحن بصددها (19) .

وقد بحث العلماء عن التطورات التي أدت الى
نمو التجارة البحرية بين بابل والهند في القرنين
السابع والسادس ق.م فوجدوا ان تلك الظاهرة توافق
تنكيل (Sennacherib) بالكلدانين واحلال الفينيقين
محظم في سنة 694 ق.م لأن الكلدانين الذين سكنوا
« سيف البحر » (20) منذ القرن الثامن ق.م لم يكن
لهم من التفوق في الملاحة ما كان لأقرانهم الفينيقيين
الذين جلبهم الملك الاشوري من اعلى دجلة والفرات
وعلى هذا يمكن القول بأن شجاعة الفينيقين
وخبرتهم باعمال الملاحة والتجارة التي اكتسبوها في
موطنهم الغربي هما اللتان تغلبتا على مخاوف البحر
الهندي (21) . ومن ناحية أخرى نجد في المصادر
الهندية الراجعة الى هذا العهد ولاسيما المجموعة
المسماة بـ « Baueru Jataka » قصصاً عن
التجار الهند (أغلبهم من الدرافيرين الذين مضى

(17) الرز والارز والرنت لغات فيه (* الانجليزية « Rice ») وقد اتجه بعض العلماء اخيراً الى الاعتقاد
بان المركز الذي انتشر منه الارز في العالم هو التركستان ولذلك قالوا ان اصل الكلمة هو
« virinzi/virinza » بالفارسية القديمة = « briunj » بالفارسية الحديثة = « bhata » بالسنسكريتية .

Sir George Watt: The Commercial Products of India
London, 1908, p. 824 etseq.

وليعلم ان كلمة اخرى بمعنیة « البهط » : الارز يطبع بالبن والسمن خاصة » هندية ايضاً كما جاء في
المخصص 3/5 واصله « bhata » .

(18) بالبراكريتية « Vailurya » بالبراكريتية « Beryl » انظر : Rawlinson, p. 14

(20) Sealand « الوارد ذكره في الكتابات المسماوية والممتد من مصب الفرات الى
البحرين (فارس نامه لابن بلخي تذكار جب، 1921 م ص 140) ويظهر ان العرب كانوا يعنون
بـ « السيف » هذا السيف الغربي للخليج الفارسي خاصته ، قال الاخفش بن شهاب :
وان ياتها بأس من الهند كارب (المفضلية 41 / 9) لكيز لها البحران والبنيف كلنه

(21) راجع مقال Kennedy السالف الذكر .

في الكتابات التي يرجع عهدها إلى القرن الثالث ق.م وهي أقدم الكتابات التي عثر عليها في الهند (22).

2 - نظام منازل القمر المعهود عند الهنود (Nakshatras) إنما هو مأخوذ من بابل.

3 - يرجع الاستاذ كينيدي (Kennedy) أن الهند إنما اقتبسا نظام التعامل بالعملة المعرفة بـ « Puranas » مما كان متبعاً عند أهل بابل (23) ولا يخفى أن (Puranas) اتّدم عملة عرفت بالهند وقد استمر التعامل بها إلى عهد قریب ، ويرى كاتب هذا المقال إنها هي المعنية بـ « الفهرى » عند مسغر بن مهمل (24) و « الفنهرى » (تصحيف « الفهرى » أو « الفنهرى ») ، عند المتّدسي (25).

4 - يتبيّن بعض العلماء علاقة ما بين الأوزان الهندية القديمة وبين مثيلاتها عند أهل بابل مثل « المن » إذ أن أمرها مشكوك فيه جداً (26).

*/

في سنة 538 ق.م : امتدت سيطرة الفرس على بابل وغرب آسيا كلها وأمتازوا بالجمع بين مصر من جهة ووادي السند من جهة أخرى في جوزتهم إلا أن هذه الميزة ، التي لا يمكن التقليل من أهميتها ، لم تستخدم ، كنتيجة للمنازعات السياسية ، لتسهيل التبادل بين المناطق الثلاث (البنجاب وبابل ومصر) التي كانت أهم مراكز التجارة الدولية ، ومن ثم يعتبر هذا العهد - عهد الأخمينيين (Achaemenians) الذي

(22) كذلك الخط الخروشتي الذي انتشر في المناطق الشمالية الغربية للهند كان من أصل سامي آرامي . Cam. Hist. of India I, pp. 140-142 وانظر أيضا دائرة المعارف البريطانية « Sanskrit »

(23) راجع الجزء الثالث من مقاله الذي سبقت الاشارة اليه .

(24) البلدان لياقوت « الصين » : « درهمهم (أهل كله) يزن ثلثي درهم ويعرف بالفهرى » .

(25) احسن التقسيم 482 - في نسخة « الفهرى » ولابد أن المتّدسي نفسه ينص على التقسيمات غير « القاهرةيات » أو « الفنهرىيات » (كما عند ابن حوقل 228 والامطخري 173) = كل درهم منها خمسة دراهم .

(26) Rawlinson, p. 15

(27) لعل تحول تجارة الهند من طريق الخليج الفارسي إلى طريق البحر الأحمر كان قد بدأ في عهد نجاشي نصر ويعال ونسنت Vincent تخرّب ذلك الملك لمدينة صور بهذا السيف نفسه . انظر Wilson, p. 33 .

(*) بحذاء هجر في الجنوب الغربي من مدينة القطيف تقع « العتير » وهي الآن ميناء صغير وعلى مقربة منها خرائب يعتقد العلماء أنها موضع (Gerrha) = جرهاء . (الدكتور جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام 1/140).

الروم واليونان كانوا يعتقدون طوال هذه المدة ان المنتجات الهندية التي كانت تنقل اليهم عن هذا الطريق كانت من منتجات اليمن المحلية (28) . ويجد باللحظة في هذا المقام ان الاخطار الشديدة التي كانت تحدق بالملاحة في البحر الاحمر فوق عدن من عدم وجود موانيء صالحة وقلة الماء والترمنة وما اليها كانت من اهم العوامل التي جعلت من الخط البري الطريق المفضل ترونا عديدة ، الا ان اليونانيين كانوا دائمًا يبذلون محاولات جدية للتغلب على تلك الصعاب من قاعدهم في مصر مما جعل اليمنيين يرقبون تصرفاتهم بيقظة وحذر ، فمتلا لما عمد بطليموس الثاني (285 - 246 ق.م) ، الذي كانت سلطته تمتد الى فنيقية وفلسطين ، الى اعادة فتح القناة القديمة بين النيل والسويس (Arsinoe) او لا وانشاء الطريقين الصحراويين من (Koptos) الى (Berenike) ومن (Koptos) الى (Myos Hormos) ثانياً احدث ذلك رد فعل قوي بين اليمنيين . على كل حال اتصى ما توصل اليه اليونان ، بعد هذه الجهد المضنية ، هو ابتياع البضايع الهندية من حين الى آخر في الموانئ اليمنية ، خاصة (Mouza) ، ثم نقلها الى (Koptos) كما مر بدون ان يتسع لهم الاستفباء عن وساطة سبا ومن المعتمد ان النساء والكلاب والثيران والابقار والتوايل الهندية المحملة على الجمال ، تلك التي ازدان بها الموكب التاريخي لبطليموس الثاني سنة 271 - 270 ق.م انما وصلت الى عاصمة مصر بعد اعادة شحنها في الموانئ اليمنية . نعم وقد بُرِزَ في هذه الاونة ايضاً اسم جزيرة سقطيرة (29) كسوق دولي هاجر اليها واستوطنها اليونانيون (30) للمشاركة في تجارة الهند والحبشة .

خلاصة القول ان تجارة الهند ما زالت تحول من الخليج الفارسي الى البحر الاحمر منذ بداية عهد الفرس الاختنيين ، بل وقبل ذلك منذ ايام بخت نصر الى ان أصبح الطريق الاخير هو الطريق الرئيسي في القرن الثاني ق.م وفي هذه الفترة بالذات اي منذ انتقال الكلدائيين الى (Gerrha) بدا العرب سكان المناطق الساحلية الجنوبية الشرقية والجنوبية

وسرعان ما ابدى اهتمامه باعادة النشاط التجاري بين ساحل السنند والخليج الفارسي فأرسل بعثة استكشافية لهذا الغرض تحت قيادة (Nearchus) على غرار ما كان فعله دارا الاقبر من قبل الا ان موته حال دون القيام بأي عمل آخر في هذا الشأن . أما خلفاؤه الذين اتقموا المملكة بينهم فقد شغلوا بالحروب الاهلية حتى ان السلوقيين (Seleucids) لم يكن بهم غير الحصول على الفيلة من الهند عن طريق ايران كما ان خصمهم في مصر بطليموس الثاني كان معنى بجلب ذلك الحيوان من الحبشة لاغراض حربية ولكن الى جانب ذلك نلاحظ ان العلاقات بين ملوك الهند من جهة وملوك الشام ومصر من جهة اخرى كانت في هذه الفترة اكثر توئماً من ذي قبل ، لا ادل على ذلك من وفسود (Megasthenes) و (Dionysius) سفيرين لسلوكس وبطليموس على الترتيب لدى بلاط جندر كبت موريما (Chandragupta Maurya) وما يذكر عن ملك الهند هذا انه اقام عدداً من الموظفين للاتصال بالجانب والشهر على راحتهم اثناء زيارتهم للهند ويستنتج من هذا كله ان التجارة بين الهند والخليج الفارسي لم تكن قد وقفت او هبطت الى درجة كبيرة ، ثم ساعدت الاحوال السائدة بارتفاع الخليج على تركيز هذه التجارة في ايدي اهل (Gerrha) الذين ربما كانت تتألف اغلبيتهم الان من العرب وفي نفس الوقت كان نشاط سبا في ازيداد مستمراً وقد شاركهم في هذا النشاط التبطيون بارتفاع البحر الاحمر ، اولئك القوم الذين ما كانت عاصمتهم الرقمية (Petra) لتنسال شهرتها في التاريخ لولا انها وقعت موقعاً هاماً على خطى سير للتوازن من اليمن ومن العقبة (Aelana) ايضاً .

*/

لقد اتفق ما سبق ان مصير سبا ورخاءها وحضارتها كانت مرتبطة ارتباطاً تاماً باستمرار تجارة الهند على الخط البري المحاذي لساحل البحر الاحمر الى اسوق الشام ، وفعلاً نرى تجار سبا حريصين حرصاً بالغاً على الاحتفاظ بهذا الخط الى حد ان

(28) Hitti : Hist. of the Arabs, p. 48

(29) السنسكريتية « Dvipa Sukhatara » اي جزيرة المساعدة.

(30) يقول أبو زيد السيرافي ، باريس 1845 ، ص 133 - 134 ، ان الاسكندر

هو الذي اهتم باسكان اليونانيين تلك الجزيرة تحقيقاً لرغبة اسططالبيين في الاستيلاء على منابت الصبر بها .

يمارسون هذه التجارة ويستولون عليها أكثر حتى أصبحوا محتكرين لها يضعون على احتكارهم بالتوارد ولم يستطيع عملاً لهم اليونان ، مع شدة قلتهم ، أحداث أي تغيير جوهري في الوضع حتى القرن الثاني ق.م.

*/

ولكن ما كاد القرن الثاني يقترب من النهاية حتى حدث ما كان في الواقع بداية لنهاية أمر العرب وهو أن ملاحا هنديا غرقت سفينته نوصل في قارب النجاة إلى الساحل الغربي للبحر الأحمر حيث تولى الخفر نطقه إلى الإسكندرية ، وبينما هو في تلك المدينة وقد أخذه الحنين إلى الوطن أذ التقى بـ (Eudoxus) of Cyzicus) الذي كان له باع في علم الجغرافيا ، ولم يمض وقت طويل حتى تواعد الإثنان وحصل على موافقة الملك (II) Euergetes (Euergetes) ومساعدته للقيام برحلة إلى الهند وقد تم ذلك فعلاً ما بين 120 – 110 ق.م (31) فرجع الملاح الهندي إلى أهله بعد أن دل يودوكسيس على الطريق إلى الأرض التي كان يسمع عنها اليونان أن بها « أشجارا تنبت الصوف » و « أحجارا تذوب في الفم ف تكون أحلى من التين ومن العسل » (القطن والنسر على حد تعبير Herodotus, Megasthenes) على الترتيب .

ولم تكن نتائج هذه الرحلة ، التي كانت الأولى من نوعها ، لتضيع على الملحقين اليونان فقد اتبعها يودوكسيس نفسه على الأقل برحلة أخرى وما من شك أن آخرين حذوا حذوه من حين لآخر لأننا نفاجأ قبل مضي فترة طويلة بسوق الملاح اليوناني ، المتمثل في (Hippalus) ، على العرب إلى الاكتشاف عن طريقة استخدام الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في السفر إلى الهند أيام الصيف . من المؤكد أن العرب لم يكونوا يجهلون الرياح الموسمية ، كفى دليلاً على ذلك ان الكلمة العربية « موسمية » هي التي انتقلت وتطورت

(31) انظر : Rawlinson, p. 96-99

(32) سيدج القاريء بحثاً فيما عن هذا الموضوع في : George Fadlo Hourani Arab Sea-faring in the Indian Ocean, Princeton, 1951, p. 25

(33) Pandya = « Pandion »

(34) Hitti, p. 46

(35) Cam. Hist. of India

(36) سلسلة المتاريخ من 120 .

إلى (monsoon) لكتهم ، لسبب ما ، لم يكونوا قادرين على استخدامها أبان هباج البحر في فصل الصيف بالذات (32). مما يكمن من أمر ثان ما امتاز به اليونان كان كشفنا عظيمها أدى إلى انقلاب خطير في طريق الملاحة والتجارة ويورخ هذا الكشف - كشف (Hippalus) — في سنة 45 م الا ان بين ايدينا ادلة على تغلغل اليونان وكثرة تردادهم على المناطق التجارية بالهند قبل ذلك، منها ايفاد بعثة من قبل الملك (Pandion) بأقصى جنوب الهند (33) إلى (Augustus) بمصر في سنة 20 ق.م ، كذلك شهادة استрабو (Strabo) الصربيحة بأن 120 مركباً سارت إلى الهند في سنة واحدة (25 ق.م) من ميناء (Myos Hormos) ، ثم لا يخفى أن حملة (Aulus Galus) على اليمن في عهد (Augustus) نفسه سنة 24 ق.م لم تكن الا حلقة في سلسلة الخطوات لانتزاع تجارة الهند من أيدي العرب (34) . وذلك بالتواطؤ مع النبطيين شركاء سباً الذين سبقت الاشارة إليهم ، لكن الحملة نشلت نشلاً ذريعاً وظل مركز العرب يقوياً وكان ناقوس الخطر قد دفَ والخراب يتسرّب إلى اليمن رويداً رويداً .

وبمناسبة ذكر الملك (Pandion) لا بأس بأن نستطرد قليلاً لنضرب مثلاً للفائدة التي تعود على الأدب العربي من الدراسات المقارنة فنقول أن مملكة الأدبي من الدراسات المقارنة فنقول أن مملكة (Pandye) بأقصى جنوب الهند قد اشتهرت من قديم الزمان بمقاصات اللؤلؤ الواقعة في المياه الضيقية بين ساحل الهند وجزيرة سيلان وجاء عنها في الأساطير الهندوكية أن الإله كريشن (Krishna) جمع اللآلئ من أنحاء العالم وركزها في تلك المنطقة لتقديرها ابناته ملكة (Megasthenes) . لقد ذكر (Pandye) المقاصات والاسطورة المتعلقة بها (35) كما لم يغفل الاشادة بها أحد من الزائرين لتلك المنطقة في جميع المصور من بينهم سليمان التاجر (36) وماركو بولو (37)

معظمها كانت قد تحولت الى اليمن والبحر الاحمر . ومن الجدير باللحظة ان هؤلاء التجار الوسطاء على ساحل الخليج الفارسي استمروا في اعمالهم ونشاطهم طوال قرون عديدة بدون آية محاولة للتدخل من قبل السلوقيين اللهم الا ما كان من (Antiochus III) الذي أغمار على (Gerrha) حوالي سنة 205 ق.م لكنه سرعان ما رضي بالرجوع قاتعا بالغثائم والمدايا من البضائع التي كان الاهالي يتجررون بها ولا يخفى ان السلوقيين كانت لهم تجارة واسعة بالهند عن طريق البر (ابران) وهكذا ظل الحال ايام البارثين (Parthians) الذين استولوا على بابل والدائن ما بين 140 و 130 ق.م نهم ايضا قصرروا اهتمامهم على تجارة الهند (والصين ايضا) عن طريق البر فقط (42) وقد كانت تكتفي لندر عليهم ارباحا طائلة . على كل حال لم يحدث في منطقة الخليج الفارسي مثل ما حدث في منطقة البحر الاحمر من مناسة اليونان للعرب .

*/\

لم تكن دعائيم الامبراطورية الرومانية تتوطد في سوريا وفي مصر قبيل بدء التقويم المسيحي حتى نعمت البلاد بالاستقرار وتأمين السبيل والقضاء على القرصنة مما ادى الى شدة الاقبال على سلع الكماليات المستوردة من الهند والصين في روما والاسكندرية والمدن الاخرى ، ولذلك يعتبر القرن الأول المسيحي ازهى عصور تجارة الهند بالغرب ، اما التطورات التي كانت قد حدثت في سير هذه التجارة بالنسبة الى العرب فتبينها بوضوح في مذكريات بحار يوناني مجهول كتبها حوالي سنة 80 م باسم (The Periplus of the Erythraean Sea) — تبين منها ان الملحين الروم كانوا اذ ذاك يبحرون رأسا من قنوا او من (Ocelis) الى (Cranganore = Muziris) بالجزء الاسفل من الساحل الغربي للهند وذلسك في الحقيقة يمثل تقدما كبيرا على ما جرت عليه العرب

The Travels of Marco Polo, Broadway Travellers, London, 1931, pp. 292-293 (37)
The Periplus of the Erythraean انظر Tinnevelly Tamraparni باقليم (38)

العقد الثمين ق 4/1 (39)
كتاب التشبيهات لابن أبي عون — تذكاركب — ص 97 (40)

Wilson, p. 45 (41)

Hourani, p. 14 (42)

لا انه كان بهذه المنطقة ميناء هام ربما سار اسمه مع اللالي التي كانت تصدر منه وهو (Kolkai) (38) وبما ان مياه البحر انحسرت وابتعد الساحل من موقع هذا الميناء اثناء العصور القديمة نفسها اختفت الاشارة اليه فيما عدا المصادر اليونانية الراجمعة الى الفترة التي نحن بصددها ، ثم مضت قرون فاجأنا على اثرها الشاعر العربي علقة بقوله :

محال كأجواز الجراد ورؤس
من القلقى والكببس الملوب (39)

كذلك تول ابن الرومي ايضا :

ينتر ذاك السواد عن يقق
من ثغرها كاللا القلق (40)

« القلقى » ؟ = الـ (Kolkai) لا غير . لكن انظر ما جاء عنه في اللسان « القلقى ضرب من الحلي » قال ابن سيده : ولا ادرى الى اي شيء نسب الا ان يكون منسوبا الى القلق الذي هو الاضطراب كأنه يضطرب في سلكه ولا يثبت .. ! وفي بعض الاحيان الجات الحيرة النساخ الى التحريف : « القلمى » بدل « القلقى » — الا ان الامر لم يزل مقلقا .

لقد سبق ان رأينا ما كان لـ (Gerrha) من شأن كبير في التجارة الدولية ، يبين لنـ (Eratosthanes) 276 — 194 ق.م كيف ان اهلها — ولاشك ان غالبيتهم كانت من العرب — كانوا يقومون بنقل انواع الطيب والبضائع الأخرى المجلوبة من جنوبى جزيرة العرب والحبشة الى بابل و (Seleucia) كانوا ينقلونها بالقوافل البرية وربما ايضا بالسفين التي كانت تصعد بجدلة الى (Seleucia) نفسها (41) وقد كان لهم نصيب من تجارة الهند ايضا مع ان

على كل حال بلغ استهلاك البضائع الشرقية ، ولاسيما أنواع الطيب ، ذروته في عهد نيرو (Nero) 68 م - فقد ذكر بيلنزي (Pilny) أن الملكة الرومانية كانت تتذبذب ما يقدر بـ ١٠٠ مليون و مائة ألف جنيه سنويًا ثمنا لمشترياتها من جزيرة العرب والهند والصين وكان نصف هذا المبلغ تذهبها من نصيب الهند وحدها (48) . وقد اضطر الملوك الذين جاءوا من بعد إلى فرض بعض التقييد صوناً للمركز المالي إلا أن حركة الاستيراد ما زالت قوية حتى كان عهد طراجن (Trajan) 98 - 117 م - الذي سعى لتضييق الخناق على العرب وذلك باعادة فتح القناة القديمة بين النيل والبحر الاحمر . (وكانت قد انسدت منذ عهد بطليموس الثاني) و توصيلها إلى بابل مصر ثم بضم أقليم النبطيين ، الذين كانوا قد ساعدوا (Aulius Galus) ضد اليمنيين ، إلى مملكته و انشاء طريق رئيسي من العقبة إلى دمشق وأخيراً بانتزاعه جميع الأراضي المتنازع عليها من أيدي البارثين ، لاشك أن فكرة السيطرة على هذين المنطعين كانت فكرة سليمة جريئة لأنهما كانا على اتصال بحري شرقاً بالهند وقد اتفق لطراجن نفسه حينما كان واقفاً على رصيف Charax أن رأى سفينتين تتأهب للانطلاق إلى الهند فأسف على أنه لم يكن في وسعه التقدم إلى تلك البلاد لكبره وكانت تهتم أيضاً من المنطعين خطوط تجارية غرباً إلى موانئ الشام وعلى ذلك فقد أراد طراجن أن يتم له الجمع بين منطقتي الخليج الفارسي والبحر الاحمر تحت سيطرته وتلك ميزة لم تتبادر من قبل لغير دارا الراشر والأسكندر وكان يرجى أن تكون لمثل هذه الخطوة آثار بعيدة لولا أن البارثين سرعان ما استردوا ما كانوا قد نقدوه فاقتصرت النتيجة على أن برز اسم مدينة Palmyra (تمyr) تمر كخلف للرقيم التي خربها طراجن سنة 105 م وقد نال هذا المركز التجاري الجديد تسطعاً وافراً من الإزدهار لأن الفريقيين رأياً من مصلحتهما عدم التعرض له حتى يبقى أهلها يتجررون

من السير بمحاذاة الساحل إلى «منطقة البواريج» (43) أي كجرات (Gujarat) وربما انحدروا من هناك إلى ساحل المليبار أيضاً - إلا أن الروم ، على الرغم من تفوّهم هذا ، كانوا لا يزالون بعيدين من القضاء على نفوذ العرب التقديم في الأسواق الهندية ، يذكر أن الروم لم يكونوا يستطيعون الحصول على القرفة (اللحاء) إلا في راس (Guadrafui) لأنها كانت تحجب عنهم في الأسواق الأصلية بينما كان ورق تلك الشجرة ، شجرة القرفة نفسها ، معروضاً عليهم في المليبار حتى اشتهر بينهم باسم (Malabathrum) (44) وهذا أطرف مثال للأواصر الوطيدة بين المصدرين من التجارة الهندوس والوسطاء العرب ضد عملائهم الروم .

لكن لا يظن أن الاختلاف بين الشريكيين التقديميين كان كفيراً بمقاومة تغلغل الدخيل الجديد الذي اقتحم الميدان مسلحاً بالتفوق في طرق الملاحة فأن المصدر نفسه يعني (Periplus) يحدثنا أيضاً عن المواجهة بين الروم وبين حمير ملوك ظفار الذين كانوا قد حلوا محل سباً منذ حوالي 115 ق.م ، وذلك شاهد على أن العرب وإن لم يكونوا قد تركوا الميدان إلا أنهم كانوا قد بدأوا يهادنون خصومهم وهل ذلك إلا كنتيجة للضعف والوهن ؟

وما زاد الطين بلة ظهور منافس جديد للعرب في تجارة الهند . لا يخفى أن الهندوس كانت لهم علاقات تجارية قديمة جداً بساحل الصومال والحبشة ، لا أدل على ذلك من أن المصادر الهندوسية تحتوي على أقدم الاشارات إلى « رجال القمر » و « جبال القمر » (45) ، ثم أن العرب ، وإن لم يربحوا بالتجار الهندوس في الموانئ اليمنية ، كانوا قد أمسكوا عن مزاهمتهم في منطقة شرق أفريقيا (46) حتى أصبحت ملتقى للتجار الهندوس والعرب واليونان والروم أيضاً وقد ظلت على حالها هذه إلى أن بدا الخشبيون يتطلعون في الفترة التي نحن بصددها إلى نصيب أكبر لأنفسهم من تجارة الهند وسرعان ما راحوا ينشدون تحالنا مع الروم ضد العرب لهذا الغرض (47) وهكذا أصبحوا عاملاً جديداً كان له شأن يذكر شيئاً بعد .

(43) هكذا يسميه أبو الفداء : التقويم (باريس) من 358.

(44) Periplus من 4

(45) المصدر نفسه من 87 نقل عن

(46) المصدر نفسه من 3

(47) Hitti من 59

(48) Rawlinson من 103

اشتد ايضاً في الوقت نفسه مركز الايجابيات حتى
اصبحوا المنافع الوحيدة للفرس في تجارة الهند :

انتقل زمام الحكم من البارثين إلى الساسانيين
في سنة 225 م ومن أهم ما امتاز به الساسانيون
اهتمامهم بتشجيع الملاحة عند الفرس - الناحية التي
لم يلتفت إليها أسلافهم قط ، يتجلّى هذا الاهتمام فيما
قام به أول ملوك الأسرة الجديدة ، أردشير الأول
(225 - 241 م) من إنشاء الموانئ وما إليها . وفي
مطلع القرن الرابع نسمع عن حملة العرب سكان
الساحل الغربي على الفرس بالساحل الآخر عبر
الخليج الناري ثم عن انتقام سابور الثاني من
العرب بعد ذلك بزمن قليل مما يدل على تقدم الملاحة
وأجيال العنصرين دوراً من المزاج والصهر في بوتقة
واحدة . وفي هذه اللحظة زالت روما وخلفتها قسطنطينية
سنة 330 م كما أن حمير استكملت سيادتها على الجزء
الجنوبي من جزيرة العرب حتى أصبح التابع « ملك
سبا وحضرموت وبهارات ونهامة » لكن حمير كانت
الآن مهددة تماماً من قبل الحشيشيين الذين كان يجري
في عروقهم دم المهاجرين من اليمن نفسها وفعلاً بدأ
ملوك كسمو (Axum) يتحرّشون بسكان الساحل
الشرقي للبحر الأحمر منذ أواخر القرن الثالث حتى
نجحوا في النصف الأول من القرن الرابع في اخضاع
حمير لسيادتهم ، ومع أن سيادتهم لم تدم إلا برهة
قصيرة استأنفت حمير بعدها استقلالها إلا أن
الحشيشيين بقوا عاملاً يعتمد به في كل ما يتعلق بالتجارة
والسياسة في البحر الأحمر .

لقد مررنا سريعاً بالقرن الثالث والرابع
والخامس لقلة المصادر عنها غير أن الوقائع التي
سردناها تعطينا فكرة عن التغيرات الأخيرة في النمو
والاشتداد وما ان نصل إلى القرن السادس حتى نرى
نتائجها واضحة مستكملة وهي تتلخص في استيلاء
الحشيشيين مرة أخرى على حمير سنة 525 م ، وما
يستطيع الإتناء أن ذاتوا لم يكن يملك أسطولاً ولم
يظهر أية مقاومة إلا بعد وصول المهاجمين إلى البر ،
ثم جاءت النهاية الكبيرة للخراب الذي كان يتسرّب

في كلتا الملكتين المتخالمتين وينقلون البضائع بينهما
وذلك إلى سنة 273 م - الوقت الذي رأى فيه الروم
أن الفرصة قد سُنحت للاستيلاء على تدمر كما كانت
قد استولت على الرقى من قبل .

يتجلّى لنا في جغرافية بطليموس (حوالي 150 -
160 م) مدى التقدّم الذي كان قد أحرزه التجار
الروم في الاستيلاء على التجارة الشرقية وذلك طبعاً
على حساب نفوذ العرب ومصالحهم فقد كانوا عرفوا
خليج البنغال بما فيه مصب نهر الكنك (Ganges)
و « بلاد الذهب » (جنوبى ملايو) كما أن واحداً
منهم على الأقل يسمى الاسكندر كان قد زار طونكتج
(Tong King) ، كذلك وصل وقد منهم في سنة 166 م
إلى عاصمة الصين ليشكّو من احتكار الإيرانيين لتجارة
الحرير ويعرض إنشاء علاقات مباشرة عن طريق
المهند (49) ومن جهة أخرى تفيدنا المصادر الهندية
التاملية (Tamil) عن وجود جاليات للروم في جنوب
المهند وانخراطهم في خدمة الأمراء الهندود (50) كما أن
ظهور التجار الهندود في أسواق الاسكندرية - الأمر
الذي يشهد به Dio Chrysostom على عهد طراجن (51)
بعد دليلاً على نمو العلاقات التجارية المباشرة بين
الروم والمهند .

وهكذا استمرت هذه الحركة قوية طوال القرنين
الثاني والثالث بينما أصبحت العرب غير ذات شأن
إلى أن حدثت تطورات سياسية جديدة ومساعٍ
أحوال روما الاقتصادية وانخفضت قيمة عملتها التي
كان يتعامل بها كل من العرب والمهند وكانت النتيجة
أن ركبت التجارة وتفاعلـت إلى أدنى حد بدليل أنه لم
يُمثـر في الهند على العملة الرومانية الراجعة إلى ما
بعد 211 م الا القليل النادر (52) .

*/\

لقد رأينا آنفاً كيف أن العرب غلبت على تجارة
المهند ولكن القضاء لم يمهل الروم طويلاً ليجذبوا من
ثمرات نصرهم فسرى كيف أن الفرس حلوا محل
العرب والروم جميعاً أثناء القرون التالية ، نعم وقد

(49) انظر Hirth: China & the Roman Orient, 1885

(50) Rawlinson ص 121

(51) المصدر نفسه ص 140

(52) المصدر نفسه ص 151

لم ينجحوا في ذلك لما كان يتمتع به الفرس من النفوذ وحسن ادارة الامور في اسواق سيلان والهند. ولم يقتصر نفوذ الفرس عند هذا الحد بل تدها الى انشاء مراكز لهم في سقطرة وفي (Adulis) نفسها واخيراً نراهم يطربون الحبشيين من اليمن وينتزعونها لأنفسهم حوالي 570 م .

هكذا تمت للفرس السيطرة على جميع المياه الواقعة بين سيلان من جهة وساحل شرق افريقيا من جهة اخرى ، وكان من الطبيعي ان يصبح الخليج الفارسي الطريق الرئيسي لتجارة الهند في عهدهم ، كما كان البحر الاحمر ابان نبوغ الروم من قبل . ونجد هذه الاحوال منعكسة على الشعر الجاهلي العربي والروايات التي وصلتنا عن ذلك العهد : انهل ادل على الاتصال الوثيق المستمر بين الهند والخليج الفارسي من ان الابلة كانت تعرف بـ « فرج الهند » (55) كذلك يرجح ان « عدولية » في قول طرفة :

عدولية او من سفين ابن يامن (56)
يجور بها الملاج طوراً ويمتدى

هي السفينة النسوية الى (Adulis) مما يدل على الاتصال بينهما وبين الخليج الفارسي .
يقي ان نتسائل : ماذا كان نصيب العرب من الملاحة والت التجارة في هذا العهد ؟ يبدو انه لم يكن لهم صفة مستقلة ، انما كان أهالي عمان وما حولها

الى اليمن منذ قرون بشكل انتقامي سد مأرب ما بين 542 — 570 (53) أما الفرس فكانت مكانتهم عالية ممتازة جداً ، كانوا قد اكتسحوا الروم من الموانئ الهندية وكانتوا كما يشهد به (Procopius) و (Cosmos) يتسلمون الحرير الوارد عن طريق البحر من « الصين » (Sinae) الساحلية في سيلان بينما كانوا هم أنفسهم مسيطرین على الخطوط البرية الموصولة عبر وسط آسيا الى (Seres) مصدر « الشرق » (54) اي الصين الشمالية . فخلالمة القول انه لم يكن احد ينفذ من الحصار المضروب من قبل الفرس على الموانئ الهندية الا الحبشيون الذين كثيراً ما ترددوا ببضائعهم ، ولا سيما العاج ، على سيلان والساحل الغربي للهند حتى على موانئ الفرس أنفسهم وكانت (Adulis) (حالياً Massawa) ميناء الحبشة الرئيسي (وقاعدة الهجوم على اليمن) ، في هذا الوقت مركزاً تجارياً هاماً لأن الروم كانوا قد اضطروا الى تصر نشاطهم على الاتصال بهما والحصول على طلباتهم منها ولم يكونوا يستطيعون التجاوز عن باب المدب الا تليلاً ، وهل ادل على تخرج موقف الروم وعجزهم من انهم تو ما سمعوا عن استيلاء الحبشيين على اليمن بعثوا بعيد 531 م بسفارة من قبل الامبراطور (Justinian) الى اكسوم يطلبون من الحبشيين ان يحاولوا شراء الحرير راساً من الهند وبيعه لهم (الروم) لكي توفر الاموال التي كان الروم مضطرين الى دفعها لأعدائهم الفرس ، وفعلاً حاول الحبشيون العمل بهذا الاقتراح الا انهم

(53) المهم ان انشقاق سد مأرب كان نتيجة لا سبباً لخراب اليمن وتشتت سباً . انظر Hitti من 65 ظل العالم الغربي يجهل حقبة طويلة ان (Sinae) التي كان الوصول اليها عن طريق البحر و (Seres) التي كان الوصول اليها عن طريق البر اناها كانتا تمثلان جزئين لبلد واحد ، كما ان سكانهما كانوا من شعب واحد ، وتمثل كلمة « السرق » بالإنجليزية « Silk » وبالعربية (« سرقة » بالحرير الوارد من طريق البر اي ايران (sirkek) والاصل باللغوية « سره » والصينية « ssi ») انظر (Periplus) ص 266 .

(54) تاريخ الطبراني (لدين 12 / 2021) ، انظر ايضاً 2023 حيث جاء : « كان فرج الهند اعظم فروج فارس ثانياً واثدتها شوكة وكان صاحبها يحارب العرب في البر والهند في البحر »

(55) ورد ذكر ابن يامن في بيت لامرئ القيس ايضاً :

او المكرمات من نخيل ابن يامن دوين الصفا اللائي يلين المشقرا
المشقرا : تصر بالبحرين (البلدان لياقوت) . يرجح الدكتور سليمان الندوی انه كان تاجرًا عربياً يهودياً هناك (عربون کی جہاز رانی ص 26) .

(56) انظر (Hourani) ص 42 . أما اللغويون فنجد اقوالهم متناقضة مما ينم على نوع من التخييط : عن الاصمعي عدوبي قرية بالبحرين ، وتقبل موضع يسمى عدولة ، وعن ابن الكلبي : عدوبي ليسوا من ربيعة ولا مضر ولا من يعرف من اليمن انما هم امة على حدة (كذا في اللسان « عدل ») .

عهد الساسانيين وما زاد في نشاط هذه الناحية زيادة ملموسة انتقال عاصمة الخلافة ومركز الحضارة إلى بغداد ولعل قول مستشار المنصور الذي يسط فيه مزايا الموقع الجغرافي لتلك المدينة يقوم أوضاع دليل على أهمية العلاقات التجارية التي تحن بمقدارها، قال دهقان بغداد للمنصور : « ... تحمل البك طرائف الهند والسندي والصين والبصرة وواسط في دجلة ... » (60) .

يصدق هذا القول ما أورده الرحاليون والجغرافيون أمثال سليمان التاجر (237 هـ) وابن خردانبه (232 هـ) والم Saunders (332 هـ) والمقدسى (375 هـ) بشأن ازدهار التجارة والعمارة في الإبلة وسيراف والبصرة ، لقد كانت المراكب تتطلع من هذه الموانئ إلى مسقط ومن هناك رأسا إلى كولم ملى (Quilon

جنوب الهند حيث كانت تفترق الطرق فاما إلى ساحل الدكن (جنوب الهند) الشرقي وأما إلى سرديسب (جزيرة سيلان) وكله Kedah بمبليو على الطريق إلى الصين ، هذا فضلا عن حركة التجارة المتصلة بالموانئ القائمة على الساحل الغربي للهند فوق كولم ومن أشهرها الدليل على مصب نهر السندي وكتابات وبروص (Broach) بجرات وتنانه وصيمور (Chimur) وسوباراه (Churparaka = Sopara)

باقليم يومباي ولنقدر مدى توثيق العلاقات بين المصرين الهنود وزيلائهم يقول سليمان عن ملوك الككم (Konkon) إنهم « يعمرون ربما ملك أحدهم خمسين سنة وتدعى أهل مملكة بلهرا (Rashtrakutas) = Vallabhrail) » إنما يطول مدة ملوكهم وأعمارهم في الملك لمجتبهم للعرب وليس في الملوك أشد حبا للعرب منه وكذلك أهل مملكته (61) لم لا والرخاء الاقتصادي في البلاد كان يتوقف على تصريف المنتجات في أسواق العرب ؟

ومما يلاحظ في هذا الصدد أن انتشار الإسلام إلى الجانب الشرقي للخليج الفارسي ساعد كثيرا على تكوين شعب واحد من الفرس والغرب سكان السواحل في تلك المنطقة وقد كانوا اختلطوا

قد اختلطوا اختلاطا كبيرا بغيرائهم الفرس ، وكان من الطبيعي أن يشاركونهم أعمالهم مما أكبهم دراية وخبرة . أو لا نرى إلى أزيد عمان وهم يحتقرن لكونهم « مزونين » وملحين كما أن كبراءهم ريمسا نسبيا في معرض الهجو إلى أصل فارسي (58) . أما الصور الرائعة لمناظر البحر وآهواله وسيير السفن فيه التي يزخر بها ديوان العرب ، فلا يصح أن تتخذ دليلا على مزاولة العرب للملاحة أو اهتمامهم بها ولا سيما إذا كان هناك ما يؤكد استهجانهم لها ، إنما كانت تلك الصور كليشيهات نقلت إلى داخل الجزيرة من المناطق الساحلية (59) .

*/

على ضوء ما سردناه آتانا من الأوضاع السائدة في القرن السادس نستطيع أن نفهم جيدا بعض الحوادث التي وقعت في أوائل العهد الإسلامي ، فمثلا حملة أهل عمان البحري على فارس و حتى سواحل السندي وكجرات بدون سابق اذن من الخليفة الثاني عمر أنها ندل على المعرفة القديمة والتحميس الجديد لآيات استقلالهم عن الفرس الذين كانوا متقوين عليهم من قبل ، كذلك نرى كيف أن عمر الذي كان حذرا خائفا من « حمل الدود على العود » اضطر إلى السماح بمحاكمة (Adulis) لأشعار الحبشيين بانتهاء سيطرتهم السابقة على المياه المجاورة ثم توسيع النتوء الإسلامي حتى شملت مصر من جهة والسندي من جهة أخرى فكانت النتيجة أن أصبح طريقا الخليج الفارسي والبحر الأحمر تحت سلطة واحدة وذلك غاية طالما ثاقت الحكومات المختلفة إلى تحقيقها لم تتحقق إلى أزلة الحدود بين العراق وسوريا كما قد رأينا من قبل وتبعد هذا التطور الجديد أن ارتفع التمانس والتقارب بين المقطعين ورجع نشاط كل منهما إلى ما كانت تقتضيه طبيعة العمارة والاستهلاك المحلي ، وبما ان خط الخليج الفارسي كان أكثر استقامة وأقرب مسافة وأوسع اتصالا وأن التجار لم يلجموا إلى البحر الأحمر إلا للضرورة ، لذلك استمر هو الأول الطريق المفضل لتجارة الهند كما كان منذ

-
- (58) المهلب بن أبي صفرة مثلا .
(59) انظر دائرة المعارف الإسلامية « السفينة » .
(60) البلدان لياتوت (ط أوريا) 681/1 .
(61) سلسلة التوارييخ من 27 .

يركبون في البحر الغربي فربما عدوا بتجارتهم إلى القسطنطينية فباعوها من الروم وربما صاروا بها إلى ملك فرنجة فبيعنها هناك ، وان شاعوا حملوا تجارتهم من مرتجة في البحر الغربي فيخرون بانطاكية ويسرون على الأرض ثلث مراحل إلى الجابية ثم يركبون في الفرات إلى بغداد ، ثم يركبون في دجلة إلى الألة ومن الألة إلى عمان والسندي والهند والصين كل ذلك متصل بعضه بعض (63) .

ثم يحدثنا ابن خرداده عن التجار الروس الذين كانوا يقومون بالعمل نفسه :

« هم جنس من الصقالبة فائهم يحملون جلود الخز وج LOD التعالب السود والسيوف من أقصى سقلية إلى البحر الروسي فيعشرهم صاحب الروم وان صاروا في تيس نهر الصقالبة مروا بخليج مدينة الخزر فيعشرهم صاحبها ثم يصيرون إلى بحر جرجان ... وربما حملوا تجارتهم من جرجان على الأبل إلى بغداد ويترجم عنهم الخدم الصقالبة ويدعون أنهم نصارى غيودون الجزيرة ، فاما مسلكم في البر فما ي الخارج منهم يخرج من الاندلس او من فرنجة فيعبر إلى السوس الأقصى فيصير إلى طنجة ثم إلى الكوفة ثم إلى مصر ثم إلى الرملة ثم إلى دمشق ثم إلى الكوفة ثم إلى بغداد ثم إلى البصرة ثم إلى الأهواز ثم ما يراس ثم إلى كرمان ثم إلى السندي ثم إلى الهند ثم إلى الصين (64) .

اما البضائع والمنتجات التي عرفت الهند بها بين العرب فقد أشار إليها بالأجمال أيوب بن التربة (من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث) حينما ساله الحاج عن الهند فأجاب بقوله : « بعرها در وجلها ياقوت وشجرها عطر » (65) - وقد عرض لها بالتفصيل أبو زيد السيراني حيث قال :

« بحر الهند والصين الذي في بطنه اللؤلؤ والعنبر ، وفي جباله الجوهر ومعدن الذهب ، وفي أنواعه دوابه العاج ، وفي منابعه الابتوس والبقمن والخيزران وشجر العود والكافور والجوزبوا والقرنفل والصندر وسائل الانواع الطيبة الذكية وطيوره الغافى (يعني البيرغات والطواويس) وخرشات

وامتزجا إلى حد كبير في العصر السابق ، ولذلك تراهم في العصر الإسلامي يشتراكون في أعمال الملاحة والتجارة اشتراكهم في استعمال اللغة العربية كتابة وخطابة مما يجعل من المسير التمييز بين المنصرين ، الا أن نظرة واحدة على أسماء النواخذة الوارد ذكرهم في كتاب عجائب الهند لبزرك بن شهريار (62) تكتفي للتدليل على وجود العنصر التارسي بل وعلى غلبه أيضا .

اما مقدار التجارة عن طريق البحر الاحمر مكان وفنا لحاجة مصر لا غير وللسبب نفسه يرجع انه زاد كلما ارتفع شأن مصر على اثر انحلال الدولة العباسية لاشك ان عمر كان قد جدد فتح القناة القديمة بين النيل والقلزم الا انه لم يكن يستهدف من ورائه غير نقل الميرة الى الجار ميناء المدينة .

واخيرا يجب التنبيه على ان ظهور الاسلام وان ادى الى قيام دولة واحدة تشرف على طرفي الخليج الفارسي والبحر الاحمر الا انه في الوقت نفسه سبب القطيعة بين الدولة الجديدة وبizenطة ، تلك القطيعة التي استمرت طوال القرون المتعاقبة بحيث لم تكن تسمح لتجار احدى الدولتين بالاطمئنان الى انشاء صلات مستديمة مع الدولة الأخرى فكانت النتيجة ان انحصرت مهمة نقل البضائع بين دار الاسلام وبلاد المسيحية في ايدي اليهود الذين يتحدث عنهم ابن خرداده بقوله :

« يتكلمون بالعربية والفارسية والرومانية والأنجنجية والأندلسية والصقلية وانهم يسافرون من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق برا وبحرا ، يجلبون من المغرب الخدم والجواري والعلماء والديباج وج LOD الخز والفراء والسمور والسيوف ، ويركبون من فرنجة في البحر الغربي فيخرون بالفرما (Pelusium) ويحملون تجارتهم على الظهر الى القلزم ... ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم الى الجار وجدة ، ثم يمضون الى السندي والهند والصين فيحملون المسك والمعود والكافور والدارسي وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يرجعوا الى القلزم ثم يحملونه الى الفرما ، ثم

(62) Leide, 1883-86

(63) المسالك والممالك 153 - 154 .

(64) المسالك والممالك 153 - 155 .

(65) الاخبار الطوال للدينوري ص 326 .

نمنها المisk والكافور والعنبر والمندل وأصناف من الطيب ليستعمل من يغسل وأنواع الأغواية وجوز الطيب والسبيل ومنها العاج والساج ومنها العود والصندل وإن التوتيا فيها كمثل الجبل الأطول ومنها البير والنمر ومنها الفيل والدغفل ومنها الكرك والببغاء والطاووس والجوzel ومنها شجر الراتنج والسام والفنفل سيف ما لها مثل قد استففت عن الصيقل وارماح اذا ما هزت اهتز بها الجھل مهل ينكر هذا الفضل الا الرجل الاخطر ؟

الآثار للتزويني ص 85 وانظر الحيوان 50/7 .

أرضه الزباد وظباء المisk وما يحصيه أحد لكترة خيره » (66) .

هذا وقد جمع أحد من الشعراء الوالي اسمه أبو الفتح (كذ) في معجم المرز باني 513 وفي الفهرست 174 « أبو الصلع ») السندي كل ما امتازت الهند به من وفرة الانتاج واشتهرت به من جودة المنتجات في أبيات رائعة في معرض المدح والافتخار ، قال :

لقد انكر أصحابي : وما ذلك بالأمثل
اذا ما مدح الهند وسمى الهند في المقتول
لعمري انها ارض اذا القطر بها ينزل
يسير الدر والياقوت والدر لم يعطلي

الألفاظ الهندية المُعَرِّبة

بعد . وعلى هذا فالتأكد من كون الهند الوطن الاول للبضاعة من البضائع اذا اقتنى بثبوت استيراد العرب لتلك البضاعة منها (الهند) ينهض دليلا قويا . بل قاطعا . في كثير من الاحوال ، على ان الاسم هندي الاصل كالبضاعة ذاتها . فمن الامثلة المتفق عليها من هذا القبيل الموز والكافور والقرنفل والصندل والساج والمسك والليمون والنارجيل وأسماء عد من العقاقير كالاطريف وجميع أصناف التوابيل تقريبا كالفلفل ، وسنرى اننا لو سرنا على هذه القاعدة لكان في وسعنا ان نلقى بعض الضوء على اصول عدد من الكلمات التي لا يزال يكتنفها شيء من النموض ..

ولا يخفى أن لبحثنا هذا جانب آخر على درجة كبيرة من الأهمية وهو ان معظم تلك الكلمات التي يقل عنها أنها عربية دخلة في اللغات الأوربية ، ولاسيما الإسبانية والفرنسية والإنجليزية ، هي في الأصل معربة عن الهندية واللغات المحلية لمناطق أخرى شرقية الهند ، وذلك لأن تلك الكلمات إنما شقت طريقها إلى أوروبا عن طريق التجارة على أيدي العرب ، ولكن العرب لم يكونوا منتجين في أي من حقول الزراعة والصناعة لا شيء إلا لأن الطبيعة حرمتهم من الثروة البناءة والمعدنية . اذن فكان

ان العلاقات التجارية بين الهند والعرب راسخة في القدم تمثل في الأسماء الهندية المعربة أكثر منها في إشارات او روايات في بطون المجاميع الادبية والتاريخية او المؤلفات الجغرافية ، وقد استحضرت في ذهني عددا من المفردات المتعلقة بالتجارة وما إليها اتوسها لعلها قد يقي فيها بعد طول انتراها ما يمكننا من ردها الى اصلها الهندي العتيق ، وأقدم فيما يلي بعض النتائج التي وصلت إليها بشأن اصل طائفة من الالفاظ العربية ، والتي ربما اعتبر بعضها عربيا محضا .

ويهمني ان انوه في هذا المقام بظاهرة ربما يكفل ابرازها القضاء سلفا على اي استغراب يلحق بالمغاريء فيما بعد ، وهي ان العرب الاول الذين نزاهم عبر التاريخ يغامرون بحياتهم في لحج البحر الهندي انما دابوا على ذلك ليجلبوا من الهند وما وراء الهند لا البضائع فحسب بل أسماءها المحلية ايضا كما سمعوها من أنفوا الذين اختلطوا بهم وعاملوهم ، وسيبدو ذلك طبيعيا اذا نحن قدرنا ان معظم تلك البضائع هي التي لم يعرفها العرب في اوطانهم وغير اوطانهم من قبل ، بل انما عرفوها لأول مرة فى الهند ثم عرفتها العالم الغربي عن طريق العرب فيما

الاقدار حتمت عليهم ان يقوموا بدور الوسيط في جلب البضائع الهندية والصينية وتوصيلها الى اوربا الى ان قدر لاوربا الاتصال مباشرة بالشرق الاقصى في اواخر القرن الخامس عشر الميلادي ، وهو لعمري دور لعبه العرب لا بجزأة وكفاءة فحسب بل بامانة تركت اطيب الاثر وأعمقه في نفوس السكان غير المسلمين لختلف مناطق الهند الساحلية. بهذه الظروف تقرر علينا . كلما وجدنا في اللغات الاوروبية كلمة تتعلق بالملاحة (67) او التجارة على ايدي العرب في المحيط الهندي ، ان نواصل البحث عن اصلها الهندي بعد ان نهتدي الى شكلها العرب في العربية ، ولعل في مقارنة الطرفين الاوروبي والهندي ما يكشف لنا بعض ما غمض على المتأخرین من العرب انفسهم في بعض الاحيان .

فمثلاً الكلمة (Almanac) لم يشك أحد في أنها انتقلت الى اوربا عن العرب لكن حار الباحثون في الاهتداء الى اصلها فقالوا انه « الماناخ » (محيط - ن و خ) او ان العرب الاندلسيين استعاروا الكلمة **ماناخ** (68) من

المصرين وبدأوا ينطقونها « الماناخ ». (2) الحقيقة ان اطها « رهمناج » عند ابن ماجد (69) وهو تحرير البحارين لكلمة « الراهناج » التي جاء عنها في الناج 51/2 : « فارسية استعملها العرب وأصلها » راه نامه « ومعناه ، كتاب الطريق) وهو الكتاب الذي يسئل به الربابة) في سفر البحر ويهتدون به في معرفة المراسي وغيرها) كالشعب ونحو ذلك » .

صناعة السيف و ما اليها

(1) الآنك : لقد اصاب ادي شير القول بأنها قريبة من « Ranga » بالسنسكريتية (الفارسية) آنك ، والرصاص الابيض معروف الى الان في الهند بذلك الاسم ، وهو جزء من الكلمة « الاسرنج » - اهل اصاها ان يكون « h'sang » (70) لا « سرخ + آنك » كما اوردته ادي شير .

اما معدن الرصاص فيقول عنه مسمر بن مهمل (القرن الرابع الهجري) : « انها (كله) اول بلاد الهند مما يلي الصين ، وانها منتهي مسير المراكب ، ولا يتهما لها ان تجاوزها والا غرفت ،

(67) لقد صرخ المسعودي : فيما يتعلق بالملاحة ، ان العرب حرموا على الاخذ بالالفاظ المحلية في مختلف المناطق التي ترددوا عليها ، انظر الى قوله : « انما نغير بلغة اهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم فيما يتعارفونه بينهم » المروج 332/1 (ايضا 343) « انما نخبر عن عبارة كل بحر وما يستعملونه في خطابهم » .

ويلاحظ ايضا في هذا الصدد ان العرب لم يأخذوا الكلمات الهندية من اللغة السنسكريتية الفصيحة ، ولاهم اعتنوا باشكالها الصحيحة في الكتابة ، بل انما أخذوها من افواه التجار وسكان المناطق الساحلية التي كانوا يتربدون عليها ، ولا يخفى ان تلك المناطق كانت ولا تزال تسودها لهجات متعددة بل لغات مستقلة ..

Hob.-Job. - « Almanack » (68)

Ferrand : Instructions Natiques, Tome 1 (69) ص 60 « رهمناج » - 88 « رهمناجات » - 76 « رهمنجا » .

والبس مثل الذى نشاهد فى اول هذه الكلمة كثير شائع فيما يتعلق بالكلمات الاعجمية التى فى اولها حروف تقارب الالف واللام . فكلمة « انجر » (Anchor) مثلاً اصلها بالفارسية « لتك » (القاموس - نجر) ، اضاف العرب عليها الالف واللام (ال لتك) ، ثم التبس عليهم الامر فظنوا ان اللام ليست من الحروف الاصيلية (اللنك) وقالوا « انجر » - وكذلك الرصاص من « ارزيز » (انظر ادي شير) ، واللأس من « Adamas » (Periplus) ص 224 وانظر بزرك ص 128 « الادماس ») بمعناه كلمة غير عربية والالف واللام من بنية الكلمة ، كلها فى شفاء الغليل واللسان (ماس) عن ابن الائير - وسيأتي الآنك من « Ranga » .

يلاحظ ايضا انهم كثيرا ما يحدفون الكاف والميم من الاول فى التعریب ، انظر مثلاً الرند = كرندة و « انباتي » نسبة الى كنفات و « انجاني » نسبة الى « منبج » واترج / ترنسج تعریب « ما تلنغا » - وكذلك الواو يسقط من الاول مثل « النع » من « valgu » وارز من « virizli » Watt ص 707 (70)

وقد ذهب الباحثون الى ان « كله » توازي « Kedah او « Kra » الحالية (75) .

ويلاحظ ان اهم ما اشتهرت به سيف الهند جودة الصقل ، وهو عمل لا ينافي الا بالانك الذى استأثرت القلعة بانتاجه ، اما الحديد اللازم لصناعتها فقد اورد الاذرسي بشأنه ما يلى :

« ان بلاد سفاله (سفاله الزنج اي شرق افريقيا) يوجد فى جبالها معادن الحديد الجيد الكثيرة ، واهل الرانج (الزانج ؟) وغيرهم من ساكني الجزائر الطيفية لهم يدخلون اليهم ويخرجونه من عندهم الى سائر بلاد السندي وجزائره فيبيعونه بالثمن الجيد ، لأن بلاد السندي اكثر تضرفهم وتجاراتهم بالحديد ، ومع ذلك وان كان الحديد موجودا فى بلاد الهند ومعادنه بها ففى بلاد سفاله هو اكثرا واطيب وأرطب ، لكن الهنديين يحسنون صنعته وتركيب اخلاط الادوية التى يسبكون بها الحديد الذين فيعود هنديا منسوبا الى الهند ، وبها ديار الضرب للسيوف وصناعتهم يجيدونها فضلا عن غيرهم من الامم ، وكذلك الحديد الستي (كذا وفي نسخة اخرى: السندي) والسرندي والجيماني كلها تتغاضى بحسب هواء المكان وجودة الصنعة واحكام السبك والضرب وحسن الصقل والجلاء ، ولا يوجد شيء من الحديد امشى من الحديد الهندي ، وهذا شيء مشهور لا يقدر احد على انكاره فضيلته » (76)

هذا وقد كانت البيامان (البيمنان) مركزا آخر هاما لصناعة السيوف تنسب اليه السيوف البيلمانية ، وكانت تقع على ملتقي حدود السندي والهندي كما يتضح مما ورد في شأنها في فتوح البلدان للبلاذري ص 440 و 442 ، اما القول بأنه « يشبه أن يكون (البيمنان) من أرض اليمن » (انظر البلدان لياقوت والمأمورس « ب ل م ») فلا يقوم على سندي .

وبها قلعة يضرب بها السيف القلعية . وهي الهندية العتيقة لا تكون في سائر الدنيا الا في هذه القلعة .. وليس في جميع الدنيا معدن الرصاص القلعي الا في هذه القلعة » (71) .

فالنسبة في « السيف القلعية » و « الرصاص القلعي » (الفرنسية : Alkalap الى هذه القلعة بكله) (72) وقد شهد الاذرسي ايضا بأنها المعدن الوحيد للرصاص الابيض بالنسبة الى العالم اجمع في زمانه ، فإنه يقول :

« وبهذه الجزيرة (كله) معدن الرصاص القلعي . وهو بها كثير صافي الجوهر ، والتجار يفسونه بعد خروجه عنها ، ومنها يتجر (يجهز) به الى جميع الارض » (73) .

ثم يظهر أن مثل هذا المعدن نجم في الاندلس ايضا فيما بعد ، فبدأ التجار يتوجلون عن الهند إليها ، حتى اذا مضى زمن خلط الناس بين المعدنين كما في قول ياقوت :

« القلعة فيما زعم مسرور بن المهلل بلد في أول بلاد الهند من جهة الصين ، واليه ينسب الرصاص القلعي والسيوف القلعية ، واقتليم القلعة من كورة قلبرة بالاندلس ، وانا اظن الرصاص القلعي منسوبا اليها او الى قلعة بالاندلس فإنه من هناك يجلب » (74) ان شهادة مسرور بن المهلل والاذرسي ليست موضع الشك ، وكل ما أفادنا ياقوت هو ان الرصاص الابيض كان في أيامه يجلب من الاندلس بعد ان كان يجلب من القلعة بكله من ذي قبل . ولعل في الاخذ باسم « القصدير » - الذي يرادف الانك الا انه معرب عن اليونانية - ايضا دلالة على التحول المشار اليه من الشرق الى الغرب .

ثم انه يرجع عندي ان المراد ليس « القلعة » بكله « بل كلمة « قلعة » هي تعرير « كله » لا غير ، والمعدن المسمى « كله » باللغة المحلية انما كان واقعا على الساحل الغربي لشبه جزيرة ملايو ،

(71) الفزويني 69 وياقوت « القلعة » و « الصين » .

(72) المرب للجواليقى ، تحقيق احمد محمد شاكر - ص 276 .

(73) دار الكتب المصرية ، جغرافيا رقم 150 ص 130 .

(74) المشترك والمفترق 357 .

(75) انظر دائرة المعارف الاسلامية « Kalah » و « Kal'i » .

(76) ص 108 - 109 . قارن ابن الوردي ، القاهرة 1328 هـ ، ص 51 .

الرماح

فاطعة لا يتطرق اليها اي شك ان منبت القنا الذى كان العرب يعتمدون عليه لسد حاجتهم - وما اكبر تلك الحاجة - لم يكن غير الهند كما سنبين ذلك آنفا بعد ان نسوق بعض الخدمات ونعرض لبعض الملابس التي لا بد منها نظرا الى غموض المرضوع.

أولا : القنا = قصب السكر . لا يخفى ان طلاق القنا على هذا المعنى انما هو على سبيل التبعة والمجاز - وان كان ذلك مطابقا للمأثور في اللغة السنكريتية وبعض اللغات الهندية الاخرى . وعلى كل حال فالرجوع عند العلماء هو ان موطن قصب السكر الاصلي لا يتجاوز ما بين بنغالة والهند الصينية⁽⁷⁹⁾ والمدليل على ذلك ان جميع منتجات قصب السكر اشتهرت في العالم باسمها الهندية وهاكها فيما ياي :

1 - Candy = الفارسية والعربية « قند »
= سنس « Khanda » و مليالم « Kandi »⁽⁷⁹⁾ .

2 - العربية « فانيذ » = الفارسية « بانيد » =
سننس « Phanita » - قارن « Penidium Med. Lat, »
وقد ذكر ابن حوقل والبشاري الفانيذ من اهم الصادرات من مدن السندي: فنجبور ومولتان وطوران.

3 - Sugar = العربية « سكر »
الفارسية « شكر » = البراكريتية « Sakkara »
/ سنس « Sarkara » .

ومن الطريف في هذا الضدد ان الهند ، وان كانوا اول من قام بانتاج السكر ، سرعان ما بدأوا يستوردونه من الصين ومن مصر ، وذلك لأن الصينيين والعرب ، الذين نقلوا زراعة قصب السكر من الهند الى الصين والى مصر (ثم الى صقلية والأندلس) ، لم يلبثوا ان سبقو الهند في ابتكار وسائل جديدة للتكرير ، ففاقت الصينيون في صنع سكر ناصع البياض بشكل قطع صغيرة ، كما ان المصريين اختصوا بصنعه بشكل قطع كبيرة ، ولم تزل الهند تستورد ذيئن الصنفين من السكر من

ذلك هي قصة السيف التي لم تزل تحمل نسبتها الى انهن كشعار لجودة الصنعة وحسن الصقل ، ولتنقل الان الى الحديث عن الرماح التي طويت نسبتها الى الهند على مر الزمان ، الا انه يمكننا اذا امعنا النظر ان نتشفها من وراء كلمات لا تزال تحمل سمات الفراقة والغرابة مع انها كثيرة من عادات عربية لا شيء الا لعدم الاهتماء الى اصلها .

يتكون الرمح من جزئين : الاول هو النصل او السنان ، والثاني هو القناة . وغنى عن البيان ان صناعة السنان متجلسة مع صناعة السيف بل هما صناعة واحدة ، وعلى هذا يصبح من الطبيعي ان يقُبَّل الظن بأن العرب ربما استعملوا الأستنة الصنوعة في الهند الا انه لا يعدمنا من الدليل الإيجابي ما يرتفع بهذا الظن الى درجة اليقين ، فاننا نراهم يستعينون بعض الكلمات الهندية للتعبيرات الدقيقة المتعلقة بهذه الصناعة . انظر الى كلمة « الخرس »
تبدو كأنها دخلة على مادة « خ و ص » العريضة . فالخرس تعني الجزء الاعلى الذي فيه الحد من السنان ، وهي بهذا المعنى توادي كلمة « Kirch »
بماليالم (Malayalam) احدى اللغات الدكينة -
والاردوية ايضا ، ولعل اصلها في لغة جاوية وملائسو « Kris, Kiris, Kres »⁽⁷⁷⁾ - وربما اطلقت الكلمة على القصيب والرمح نفسه كما قال حميد وابن ثور : « عض الثقاف انحرس الخطيا »⁽⁷⁸⁾ ولا يخفى ان هذه النسبة الى الخط هي اقوى ما يؤيد الاصل الهندي للرماح المنسوبة اليها لأن الخط لم تكن الا من فن الاسفن الوارددة من الهند كما سنبين ذلك بالتفصيل فيما بعد .

اما الجزء الثاني ، وهو بلا شك اهم الجزئين فقد كان العرب شديدي الاهتمام بالقنا والانتقاء لها حتى ان الشعر العربي يزخر باوصافها ونوعتها الا ان كثرة استعمال العرب للاسماء المختلفة للقناة وما يتبعها وجريها على السنفهم مجرى الكلمات العربية في الاشتقاق وما الى ذلك جعلا اصل تلك الاسماء نسيا منسيا . هذا مع انه قد ثبت بصورة

Hob.-Job. - « Crease, Cris »⁽⁷⁷⁾

اللسان 8 / 287⁽⁷⁸⁾

Hob.-Job. - « Candy »⁽⁷⁹⁾

جدا في العصور الوسطى ؛ ومن المتفق عليه أن كلمة الطباشير إنما هي مقلولة عن سنس « Trakkshira » أي أنها هندية الأصل (81) .

ثم أن الخيزران يصفه العرب انفسهم بأنه شجر هندي وهو عروق القناة (انظر اصحاب والتاج « خزر ») أفالا يكون القناة أذن شجرا هنديا ؟ والخيزران الهندي (82) هو الذي يتشكل به في

الصين ومن مصر الى مطلع القرن الماضي حتى انها يعرفان الى الان في أسواق الهند باسم « صيني » و « مصرى » على الترتيب (80) .

ثانيا : القنا بمعنى الرمع . يلاحظ في هذا الصدد ان هناك شيئا يشبه السكر كثيرا ما يتكون داخل القنا (Bamboo Sugar) يسمى عند العرب والفرس « الطباشير » وكان استعماله كدواء شائعا

Hobson-Jobson - « Sugar » (80)

ومما يشهد ببراعة المصريين في هذا المضمار القطعة التالية منقولة عن ماركوبولو : (Ramusio II, 44)

« And before this city » (a place near Fu-chau) « came under the great Can these people knew not how to make fine sugar ; they only used to boil and skim the juice, which when cold, left a black paste. But after they came under the Great Can some men of Babylonia » (i.e., of Cairo) « who happened to be at the court proceeded to this city and taught the people to refine the sugar with the ashes of certain trees » - 1298 A.D.

ومجلة « اللسان العربي » تلاحظ ما يلي :

كان السكر يصنع في شقي العروبة بافريقيا : المغرب ومصر وقد حدثنا المقربى انه كان سمهود سبعة عشر حمرا لعصر القصب كما كان يعلوى عدة أحجار (الخططة ج 1 ص 203) وكذلك فى قابس وجلولا (البكرى فى المسالك جزء افريقي والمغرب ص 17 و 32) .

وقد أكد ماس لاطري Latrie ان المغرب كان يصدر السكر فى القرن الثالث عشر الميلادى الى الفلاند والبن دقية (علاقة وتجارة افريقيا الشمالية ص 376) وقد نبه الحسن بن محمد الوزان المعروف - Léon l'Africain على وجود السكر بسوس قبل السعديين ولكن الشرفاء السعديين هم الذين جلبوا اساليب تصفية هذا السكر وتبسيطه فى معاصر ساهم الاسرى المسيحيون فى تأسيسها باكادير وخاصة ، سكساؤه وشيشاوة (مستندات دوكاستر ج 1 ص 303) .

ويوجد نص رسالة موجهة من مولاي محمد بن عبد الغالب - المسلوخ - عن اذن والده الى ملك فرنسا مؤرخة من قصر الدار البيضاء (فاس الجديد) فى دجنب 968 (مارس 1561 م) حول استعداد المغرب للسماح للملك شارل التاسع باحتكار سكر المغرب بشرط دفع ثمنه بالسعر المغربي مع زيادة نسبة فى المائة وكذلك اصدار النحاس المغربي لفرنسا طبقا لرغبة ملكها بشرط دفع ثمنه سلحا وعتادا (السلسلة الاولى - السعديون ج 3 ص 746) .

ولما عجز الاوربيون المغلوبون لعصر قصب السكر فى معمل اكوال بمراكن وتصفيته واخراجه من القوة الى الفعل عن اتمام عمليتهم جلب محمد بن عبد الرحمن الصناع المهرة من مصر القاهرة (الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 556) .

وأسس مولاي الحسن عام 1878 مصنعا للسكر بمراكن وكلفة ذاك نفقات باهظة . ولكن هذا المصنع احيل بعد سنوات الى مدبة للجلود (كامبو ص 59) .

وقد كان البلاطان الفرنسي والانجليزي يتنافسان فى الترون الاخيرة على اقتناص السكر المغربي المكرر لصفائه وجودته .

(المعجم التاريخي للإسناذ عبد العزيز بنعبد الله ص 38) .

Hob.-Job. - « Tabasheer » (81)

(82) لقد عرف العرب أن بلاد الروم كانت تمتاز بمنابت الخيزران كما يقول النابغة الجعدي : « بلادهم بلاد الخيزران » (انظر اللسان - خزر) الا أنه من المحقق انهم كانوا يجلبونه من الهند ويتمثلون بالهندي منه في شدة اللين . كلها في محيط المحيط - خزر . وقد أورد القزويني في الآثار ص 38 عن كله : « بها منابت الخيزران منها يحمل إلى سائر البلاد » .

(x) وقد كان أهل Magan اي عمان يستوردون الاكتشاب من نفس هذه المنطقة وذلك أربعة آلاف سنة قبل المسيح - انظر : Wilson : The Persian Gulf, p. 27

وهكذا ما ي قوله ابن سيده (المخصص 34/6) عن « الرماح الخطية » أشهر الرماح عند العرب : (الخط مرفأ السفن بالبحرين) (*) ينسب إليها الرماح وليس الخط بمنتهي لها ولكنها مرفأ السفن التي تحمل القنا من الهند كما قالوا مركب دارين (*) وليس هناك مركب ولكنها مرفأ السفن التي تحمل المركب من الهند .

ترى كيف ان القناة المجلوبة من منابتها بالهند والتي ركب عليها خرسان أو سنان مصنوع في مصانع السيف حول معدن الرصاص القلعي بالهند ، كيف أن هذه القناة هي التي تصبح « رماح خطيا » بمجرد دخولها حدود جزيرة العرب ؟

السميري :

والحديث عن « الخطى » يذكرنا على الفور بـ « السميري » و « الرديني » . لو رجع أحد إلى اللغويين وأصحاب الماجم لوجودهم يقولون إن السميري نسبة إلى سمير والرديني نسبة إلى ردينة وهما زوجان كانوا يقومان ببيع الرماح بالخط ، ولكن التتبع للشعر العربي والمتأمل في أقوال اللغويين وأصحاب الماجم انقسم لا يثبت أن يتبعون أن السميري يغير الرديني تماماً من حيث الصفات النسوية إلى كل منهما ، فالسميري يتميز بصفتين هما : - 1 - الاعتدال ، - 2 - الصلابة ، أما الرديني فيتميز بضد الصلابة وهو اللدونة لانه هو الذي يهتز دون السميري . وعلى هذا فيما له من تحديد الاختصاص بحيث يمارس الزوج والزوجة بيع رماح من نوعين مختلفين - ولعل المفروض انهمما كانوا يتخذان محلهما جنباً إلى جنب في سوق الخط - بدون ان يطفي الواحد منها على الآخر ! وبما لها من مراعاة للمناسبات والصلاحيات بحيث يكون بيع الرماح الصلابة من حصة الزوج ويبيع الرماح اللدونة من نصيب الزوجة !! . وما يزيد أقوالهم ارتباكاً كما يزيدنا ارتباكاً أن أحدهما منهم على الأقل - وهو الزبير بن بكار - ذهب إلى أن سمير كانت قرية بالحبشة (انظر التاج حيث جاء ان الصاغاني انكر هذا القول ، كما ان بعضهم قال ان سمير اسم امرأة كانت تقوم بعمليات الرماح !!!)

شدة الدين ومنه قوله : الخيزري والخوزري والخيزلى = مشية فيها تفكك .

وربما اقتربنا اسم القنا بالقطع مما عادا الخيزران عند الربابنة والجغرافيين العرب كما سنرى ، ومن المسلم به أن القبط أو الكبط هندي بحت (سنس « Kustha ») وإنما نسبوه في بعض الأحيان إلى ظفار باليمن لانه كان يجلب إليه من الهند ، القاموس « ظفر ») .

ولنبحث الآن عن المواقع التي كان العرب يترددون عليها لجلب القنا منها . نجد أنها لا تتجاوز ساحل السندي والساحل الغربي والجنوبي لقطعة الدكن بالهند (*) : فهذا قول ابن خرداذبه 62 : « ومن السندي يجيء القسط والقنا والخيزران » ويقول أيضاً : « ومن مهران إلى أوتيكين وهي أول أرض الهند مسيرة أربعة أيام ، وفي هذه الأرض ينبع القنا في جبالها والزرع في أوديتها وأهلها عتاة مردة لصوص » - كذلك يقول ابن الفقيه 251 : « خص الله بلاد السندي والهند ب ... الفنى والخيزران ... » - وهذه شهادة مسعود بن مهائل يقول : « وخرجت إلى سواحل البحر الهندي متيسراً فسرت إلى بلد يعرف بمدورقين منابت غياض القنا وشجر الصندل ومنه يحمل الطباشير وذلك أن القنا إذا جف وهبت عليه الريح احتك بعضه ببعض واشتدت في الحرارة الحركة فانقدحت منه نار فربما أحرقت منه مسافة خمسين فرسخاً أو أكثر من ذلك ، فالطباشير الذي يحمل إلى سائر الدنيا من ذلك القنا . فاما الطباشير الجيد الذي يساوي مثقاله مائة مثقال او أكثر فهو شيء يخرج من جوف القنا إذا هزت وهو عزيز جداً ... » ثم يقول عن مدينة كولم أيضاً : « والخيزران والقنا بها كثير جداً » (انظر ياقوت « الصين ») . كذلك يقول الإدريسي : « ومدينة تانية (بالقرب من يومباي (جايلة ... وبجبالها وارضها ينبع القنا والطباشير يتخذ فيها من اصول القنا ومنها يحمل إلى سائر البلاد من المشارق والمغارب » - ص 297 . وبعد أن تفقدنا منابت القنا ووجب علينا ان نتفقى آثار نواخذة العرب لنرى أين تفرغ سفنهن حمولتها

(*) ذكر Pliny اسم موضع Chateni يقع على سواحل الخليج هو الخط ولا شك ، (الدكتور جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام 309/2) .

(*) Daden/Dirin = البحرين أو جزيرة بالقرب منها - (Heeren, II, 230)

كبير عناء بعد ان حطمنا الاغلال التي كانت تقيد فكرنا . كفانا ان ننظر الى كلمة « Rattan » بالانجليزية هي اسم لنوع معين من الخيزران غابة في المثانة والجودة وتمتاز قناته اكثر من اي شيء آخر بالبرونة واللدنونة ، انظر « Rattan » - (Hob.-Job.) وما لا يشك فيه ان هذه الكلمة بالانجليزية منقولة عن « Rotan » بلغة ملايو والهند الشرقية . افهل يستبعد ان تكون (ردينة) العلقة الوسطى بين « Rotan » من جهة و « Rattan » من جهة اخرى ليس الا ؟

القنا :

لقد آن لنا ان ندون بعض الملاحظات عن اصل الكلمة « القنا » . اشارينا ان العرب ، مع كثرة وصفهم للرماح ، لم يذكروا اي منبت للقنا في ديارهم . بل بالعكس اجمعوا الادلة كلها على انهم كانوا يعتمدون على منابت القنا بالهند ، ولا يغوتنا في هذا المقام ان نذكر ما اورده الجاحظ ١ البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ٢/٣ من ان الشعوبية طعنوا في العرب بقولهم : « انما كانت رماحكم من مران واستنكم من قرون البقر ... » - لعل مفزي هذا الطعن لا يعدو ان العرب لم يجدوا في ديارهم ما يمكنهم من صنع الرماح بجزئها القناة والستان - وآخرها يجب علينا ان لا ننفل اعتبار الاحوال الطبيعية الازمة لنمو القنا وهي تتحصر في سفوح جبال تهطل عليها السماء مدرارا ثلاثة او اربعة أشهر متالية في السنة . افيوجد مثل هذه الاحوال في جزيرة العرب او شرقها وغربيها الا في السند والدكن اي الساحل الغربي والجنوبي للهند ؟ ويخيل الي ان قول الزبير بن بكار السالف الذكر (بان سمهر كانت قرية بالحبشة) يخفي وراءه حقيقة ثابتة وهي ان العرب في وقت من الاوقات اتخذوا من الحبشة بديلا من الهند ، مرجعهم الفضل ،

ان المهم في هذا كله هو ان الزوجين ، على حد تعبير اللغويين ، كانوا يبيعان الرماح بالخط والخط ، كما رأينا آنفا ، لم تكن الا مرفا للسفن الواردة من الهند ، اذن فمن المؤكد ان السمهريات والردبنيسات كانت رماحا هندية ، هذا بغض النظر عن من قام باعمال بيعها او توزيعها في الخط . افيستغرب بعد هذا ان يكون التجار العرب قد أخذوا اسم الصنفين من الرماح - الصلب واللدن - من افواه التجار الهنود ؟ ان مثل هذا القياس يوافق مقتضى طبيعة العاملات التجارية كما انه يصادف حرص العرب على تسمية الاشياء والبضائع التجارية باسمائها المحلية . فربما يكون سمبر اسما هنديا جاءه العرب مع مسماه اي الرماح الممتازة بالاعتدال والصلابة ، الى الخط وطبعا خفي امره على الناس لكونه غير عربي ، فلذلك لم يفهموا غير انه انتشر بين العرب عن طريق ذلك المرفا بالبحرين (83) .
ولعل القاريء الاريب يتبعن في قول ياقوت :
الآتي تأيضا لجميع ما قدمنا آنفا . يقول ياقوت :
« سمهر قرات بخط ابي الفضل بن العباس بن على الصولي المعروف بابن برد الخيار ... قال حدثني سليمان المدائني قال حدثني الزبير بن بكار قال الرماح السمهرية نسبت الى قرية يقال لها سمهر بالحبشة ... قلت انا وحدثني بعض من يوثق به ان هذه القرية في جزر من النيل (الآثار للقرزوني من 30 « جوف النيل ») يأتي من ارض الهند على راس الماء كثير من القنا فجمعه اهل هذه القرية ويستوقدون زواله ويبيعون جده وهو معروف بأرض الحبشة مشهور - وقول من قال ان سمهر اسم امراة كانت تقوم بعمل الرماح فانه كلف من القول وتخمين (**) .

الردبني :

لكن انتفاء شخصية سمهر يستلزم ايضا عدم بقاء ردينة كارملة تخير في خطابها من يخلف في بيع الرماح الصلبة ، الا ان تلك مسألة لا تستدعي

(83) لم استطع الجزم بالاصل الهندي الا انه لفت نظري الكلستان التالستان المعتبران عن الاعتدال SAMA, even, level... straight - Williams : Sanskrit-English Dictionary, p. 1066 . والصلبة : KHARA, hard, harsh, rough... dense - Ibid., p. 74

(**) هذا ونجد مثلا آخر لهذه الاسطورة بالذات فيما يتعلق بكلمة « السندرة » (انظر ص 68 الآية)

وقد ادرك التبيبي ان القول « السندرة امراة كانت تبيع القمح وتوفي الكيل » مجازفة لجا اليها الذين وقفوا حيari أمام كلمة اعجمية الفوا استعمالها وعرفوا مدلولها لكن لم يدرروا ما اصلها .

انعت قوسا نعمت ذي انتقاء
جاء بها جالس بروضاء
بعد اعتيام منه وانتقاء
كافية الطول على انتهاء
مجلوزة الاكعب في استواء
سالمة من آبن السماء

(البيان والتبيين 3/ 93 - 94)

وانظر ايضا الى قول آخر للرقاشي في صفة
القناة التي تبرى منها القسي :

من شنق خضر بروضيات
سفر اللحاء وخوقيات
جدلن حتى اضن كالحيات
رثائقا غير مؤبنات
انفهم متسمطيات
عمرو بن عصفور (85) على استثناء

(المصدر نفسه 3 / 71)

لا يخفى ان بروض ١ كما وردت الكلمة مضبوطة
في القطعة الثانية والتي جعلها الشاعر « بروضاء »
ـ « بروضاء » بالضاد المعجمة تحريف من الكاتب
ليس الا ـ في القطعة الاولى لضرورة الشعر) كانت
ميناء هاما على ساحل كجرات فوق بمباي حاول
العرب عدة مرات ، قبل فتحهم للسندي وابان حكمهم
لها ، الاستيلاء عليها (راجع فتوح البلدان للبلذري)
وهي لا تزال مدينة معروفة باسمها القديم
« Bharoch »

والشريح بمعنى العود يشق منه قوسان (انظر
قول الشماخ : « شرائح النبع براها القواس »)
هي « chari » بالجيم علامة المعجمة باخرها .
ومنه يقال لخطي نيري البرد شريجان .

ولا ننسى كيف ان ياقوت خلط بين كله (القلعة)
وبين معدن القصدير بالأندلس لاسباب مشابهة (**)
اذن اهل كلمة « قنة » نفسها معربة من
الهنديّة « ganna » البراكرتيّة « gandoo »
النسكريتيّة « gandaka » (***)

الوشيج :

اذا كان « الخطى » هندية فهل من الغريب ان
يكون « الوضيج » ـ الذي لا يثبت الخطى الا هو ـ
هنديا ايضا ؟ ان اصل هذه الكلمة هو (Vansha)
والجيم في الآخر علامة المعجمة لا غير . وقد عهدنا
العرب دائما يظهرون ملكة قوية للاحظة الطبيعية
بالدقة والاتقان وان كلمة الوضيج وما اشتق العرب
منها الا دليل على التأثر بالطبيعة واستخلاص
المعاني العامة من مظاهرها فان كل من اتفق له ان
يتمتع بنظرية الى مثبت القنا ليقدر تمام التقدير ان
اهم ما يروع المرء من اشجاره هو التفاف سيقانها
وتعانق أغصانها ، ومنه قولهم الوضيج بمعنى
القرابة ، والوضيج بمعنى الاشتباك . واذا كان احد في
شك من هذا فلينظر الى كلمة « البيش » (184)
لا ريب في أنها هندية معربة اصلها (Visha/Bisa)
استخلص العرب من شجرته معنى الخضراء
والنضارة فقالوا « بيش الله وجهه » ولاحظوا ايضا
ان شجرة البيش شديدة الثبات والتأصل فقالوا
« أباش الشجرة » .

القصسي

اما فيما يتعلق بالقصسي ، فقد كفانا الجاحظ
مؤنة البحث عن اصلها بقوله: « وكل قوس بندق فانما
جيء بكتابتها من بروض ومدح ببريها وصنعتها عصفور
القواس . وقال الرقاشي :

(*) انظر من 34 السابقة .

Nainar, S. Muhammad Husayn : Arab Geographers' Knowledge of Southern India, Madras,
1942, p. 193, note 29, vide Platts : Hindustani Dictionary.

85 .

(84) « البيش وهو نبت لا يوجد الا بالهند » كذا في الآثار للتزويني ص 85 .
(85) لو كان سمهر مثقفا للرماح او بياعا لها لكن من الواجب ان نظر من شاعر من الشعراء القدماء
بasherat صريحة الى ذلك مثل ما نجد امامنا بخصوص عمرو بن عصفور ، ولكن بخلاف ذلك
زراهم ، حسبما اعرف ، دائما يذكرون « السمهرية » و « الردينية » و « رماح ردينة » (الشماخ ،
ديوانه ص 98) من غير ان يزيدوا شيئا ثم يجيء اللغويون فيفسرون هذه النسبة كما بدا لهم
بدون اي سند على نحو ما فصلنا الكلام عنه .

الكلاب السلوافية

يذكر عند العرب ذكر الكلاب «السلوقية» وهي على حد قولهم منسوبة إلى ساوق فربة باليمن إلا أنهم لا يستقررون على رأي بل يظهرون كأنهم يحومون حول (Sileucia) = سقية التي يصفونها بمدينة الروم (معجم الباركي) ، ومدينة اللان ومدينة بالشام ، البندان لياقوت واللسان) . لكن الجدير بالاهتمام تصریح الفزوي بـ «الكلاب يسفدهن الذئاب» (86) فتاتي بالكلاب السلوقية» (الآثار ص 29) : وذلك يذكرنا بمشاهدة الاسكندر بارض الهند وبصحبة الملك (Saubhuti) لكلاب لا ترخي قبضتها على الاسد حتى ونو قطعت ارجلها . قيل انها من نتاج الكلاب من النمور (87) ، ثم تذكر ايضاً ان اهل بابل كانوا يستوردون الكلاب من الميناء الهندي المعروف (Barygaza) = بروص (88) كما نعرف ان المركب التاريخي لبطيموس *Philadelphus* كان حافلاً بالكلاب الضواري الهندية الى جانب النساء الهندبات وانتوايل الهندية ؛ وبعد هذا كله نعثر على قول ابن رسته الآتي في معرض الكلام عن مملوك الهند : -

« وبعد ملك يقال له نجابة (٤) وهو شريف فيهم وبهراً الملك يتزوج فيهم ، وهم السلوقيون ولا يتزوجون الا فيهم لشرفهم وهذه الكلاب السلوقية يقال انها وقفت من بلادهم ولهم الصندل الاحمر في بلادهم وغضاضهم .. الخ » (٤٩) .

ومنه قوله ان فضيحة الهند على العموم هي
التي كان يصرخ بها المثل لما يقول الشاعر :
فضيحة الهند والقناة أخذانك
والمقادير في الورى اعوانك
١- التوبيري ٥٤/٢ وجاء في كتابيات الجرجاجني
٢- ان الشاعر هندي ٦٣

القطن و منسوحاته

لا شك ان الهند هي الوطن الاصلى لشجرة القطن الا ان الشجرة الهندية الامامية كانت طويلاً عمر كما يبدو من اقوال القدماء . أما الشجرة التي تزرع سنوياً فالمظنون انها نتجت على ايدي العرب في العراق وسوريا والبلاد المجاورة ، على كل حال افترضت هذه الشجرة بالعرب الى حد انها هي والسكر والدين ربما اعتبرت المقومات الثلاثة لحضارتهم في نظر الاوربيين (Watt, p. 569) هذا وقد اشهرت الهند منذ قديم الزمان بالجودة ودقّة منسوجاتها التي كان الثوب منها يدخل في حلقة خاتم ، كما شهد بذلك سليمان التاجر (سلسلة التاريخ ص 30) ، ويدرك ابن خرداذبه ، ص 70 ، ان الثياب القطنية الخملة كانت تجيء من الهند كما ان «الشال» و «الشيشت» و «الفوطة» من الاسماء الهندية المعرفة . وبالاضافة الى منسوجات القطن امتازت الهند ايضا بصناعة الثياب من الحشيش ، ابن خرداذبه ص 70 .

(86) من طرائق النسخ ان «الذئاب» تحولت الى «الثعالب» حيث جاء في صبع الاعشى 42/2 نقلًا عن الفرق الشهابي ابن فضل الله ان السلوقية «مولدة بين الثعالب والكلاب» !!

Cam. Hist. of India, 1/407 (87)

Hæren, 2/207 (88)

• 135 النفيّة من الاعلاق (89)

معجم الالفاظ الهندية المغربية

صاحب السكان (91) ، حيث يدخل الماء -
 مغرب من « Creshtin » الكلمة المألوفة في
 المصادر الهندية القديمة بمعنى رأس التجار
 و Cam. Hist. of India) ص 137 و 207)
 (477) مشتقة من سنس « Sreshti »
 وقد تطورت الى « chatim » (بانانيه) شمال
 بجنوب الهند (توازي « chetty » و «
 الهند) ومنها سارت عند الاتراك 1 بارتولد :
 الحضارة الإسلامية ص 88) وهي Seth
 بالهندية الدارجة ، وربما تكون هي أصل الكلمة
 « ستي » عند ابن بطوطة (259/4) لقب
 للتجار الكبار في الصين .
 (Hob.-Job. - « Chetty »)

اطرسيفيل • سنس « Triphal النج / ينج / النجوج / يننجوج / النجيج = عود الطيب وقيل هو شجر غيره يتبعثر به قازن به كلمة « Algmug » بالإنجليزية عن سنس « valgu » والتاميلية « valguka » وهو نوع احمر من عود الصندل كان كثيرا ما يستعمل لتحت الاصنام وصناعة اعمدة البيوت ، ومع ان مثل هذا الاستعمال لم يذكر في المصادر العربية الا ان الصندل من اعواد الطيب بدون شك والمقارنة بين الكلمتين قوية واضحة .

(انظر اللسان « لحج » ، المخصص 198/11 ، Watt O.D. « Algum » ص 24 و 909)

راجح ما ذكرناه آنفا لمس -

اللوه / اللوه / لوه / لوه / ليه = العود
 الذي يت弟兄 به ، قال أبو منصور : أراها هندية
 (السان) ، أصلها سنسكريتية **« Laghu/Lauha »**

ابا^ق = القنب او قشره ◆ ×
 بلغة الفلبين (Watt, 790)

ابنـوس = الكلمة من الهند الصينية سارت شرقا
 وغربا . هي بالصينية « O ban-tzi » : Amoy « wu-mon-tzi »
 (Chau Ju Kua, 216)

اترج / ترنج ◆ سنـس « ماتلنجا »
 (matulunga/matulanga)
 (Watt, 325 Williams, 768)
 (راجع ما ذكرناه آنفا)

ادماسـه ◆ سنـس « ادهماـسا »
 انظر ايضا ص 88 الآتية ، الحاشية (3) .

ارجـوان ◆ ف « ارغوان » ◆ سنـس
 « Ergewan/Argawan »

يقال له ايضا « داذاروان / دار اروان (دار ارغوان) ، وهذا اللون من الملابس مما كانت
 القياصرة تخصل به فيما مضى وتحظره على
 غيرها . كل افة ابر الماء ، 191

أرذ / دذ / دنذ - قد اتجه بعض العلماء أخيراً إلى الاعتقاد بأن المركز الذي انتشر منه الارز في العالم هو التركستان ، ولذلك قالوا ان أصل الكلمة هو virinzi/virinza بالفارسية القديمة = brinj بالفارسية انجديدة = virihi بالسنسكريتية arisi بالتاميلية - قارن « oryza » باليونانية و Rice بالإنجليزية. (Watt, 824 et seq.; Periplus, 176; Rawlinson, 14) لذئز - راجع ما ذكرناه آنفاً

أريين = قبة الارض ، تحريرف «ازين» ◆
 اريين = Ujjiyaini
 اسم مدينة يوسط الهند -
 (Legacy of Islam, p. 93)

اشتيمام = رئيس الركاب ، رأس الملاحين ،
صاحب المتعان المحمول في السفينة (٩٠) ،

◆ رمز معناه «أصله من ..» (x)

Bibl. Geog. (Glossary) (90)

(91) شرح دیوان زهیر ص 118 .

بالهندية الاناء ، لف القماط) - وربما كانت الكلمة برتقالية الاصل كما في Hob.-Job. - « Basan » و « سبنية » = ابقيه : ابن بوططة 232/4 مقاوب من « سبنية » . سنس « vasana » = الهميان .

بانانيه . الواحد منه « بنيان » . الكجراتي « vanij » . سنس « vanij » .
بخت / فالج -
(راجع ما ذكرناه آنفا)

بد / بوذا . Buddha او تمثاله ، ومنه ولد العرب : باذيبود اي افتقر بما ان الفقر من أشهر خصائص الديانة البوذية .

سرمهك -
انظر مقالنا الملحق عن العلاقات العلمية (ص 89 وما بعدها)

بـقـم - لم يأت « فعل » الا قليل بالعربية ا شرح ديوان زهير 54) - ابن دريد : فارسي مغرب (الجوالقى) - الديسوري : ليس في شجر بلاد العرب ولكنها من نبات ارض الهند وأرض الزنج (92) ، « بكم » .
انظر ايضاً « الصرف » و « الورس » .

بـلـاذـر . الهندية « Bhilawa » . سنس « bhallatka » [Anacardiaceae =] جيد لفساد الذهن وجميع الاعراض الحادثة في الدماغ من البرد والرطوبة ، وهو من جملة السموم ايضاً (ابن البيطار) - وقد لقب صاحب فتوح البلدان ب « البلاذري » لانه شرب من عصير هذا النبات فجن ومات .

انظر « Baladhuri » Watt E.I. : ابن العربي - رياض النقوس ص 416 الحاشية (1) ، سواء السبيل) .

بـلـور . البراكريتية « vailurya » . سنس « vaidurya » . والتامانية « vaidurya » .

E.I. « Billaur » Hob.-Job. « Beryl » Watt ص 14 ، Rawl (556) راجع ما ذكرناه آنفا

اف « alwa ») - وقد كان هذا العود . ولا سيما الذي ينسب إلى سقطره ، يستعمل كدواء ايضاً فان عمارته هي الصبر (السقطوري) . فلارن « aloes » بالإنجليزية . ومن عود البخور هذا ما يسمى بالسنكريتية Agaru « Agaru » ، الهندية « Agar » (Aggar/Gahru » . العربية « المغار » (93) - و « Agaru » معناه الذي لا يطفو على الماء Laghu « ضده اعني الذي يرسب في الماء - ولما انتقلت هذه الكلمة إلى الانجليزية عن طريق البرتغاليين (Portg. : Aquila ; Fr. : Bois d'aigle) صارت « Eagle-wood » التقارب في المخرج ، ثم بدأ الناس يبحثون عن وجه لنسبة هذا العود إلى العقاب ف قالوا ان قشرة العود تشبه ريش العقاب ! ولكن هذا محضر اختلاف . (Watt, 72 ; Hob.-Job. - « Aloes » and « Eagle-wood »)

انبج / عنجه . الهندية - « amba » والأنجيجات هي المرببات (او المرببات = المعمولات بالرب) جمع « انبج » وهي فاكهة هندية تربى فاطلاقاً عند الاطباء على ما سواه . كذا في شفاء الفليل .

انجـدان . ف « Anguzan » . سنس « hingu » ابن البيطار : قال بعض الاطباء هو (انجدان) ورق شجرة الحليت ، والحليت صفة ، والمحروث اصله - ابو حنيفة : المحروث اصل الانجدان ومنابته في الرمل التي بين بست وبيلاد التيقان -

(انظر ابن العربي و Watt ص 533)

انجـسـر -
(راجع ما ذكرناه آنفا)

اوج . سنس « uchcha » - (Rawlinson, 174) بارجـه . الهندية « بيره » - انظر البيروني : كتاب الهند ص 102 و Fahmy ص 106

باسـه = الات الصناع وجوالق غليظ من مشaque الكتاب ، ليس بعربي محضر ، « باسن »

(*) قال عدي بن زيد : « رب نيار بت ارمها »
(البخلاء نشر فان فلوتن ، ص 257)

(92) مجلة المجمع العلمي العربي (دمشق) المجلد 26 الجزء الثالث - « الجزء الخامس من كتاب النبات » .

بنج = قال ابن دريد : لا احسبه عربيا
المخصوص 38/10 . • سنن « Bhanga »
— ومنه بنجه اي نومه بالبنج —
بهار = الصنة . الكلمة بهذا المعنى منقوطة عن
« vihara » وهو معبد البوذيين .

انظر مقالتنا الملحقة عن « اعترافات العلمية » .
بهار = شيء يوزن به . ومنه البهار بمعنى:
العدل وحمل العبير ومتاع البحر، قال القتبي:
« يحملن البهارا » اي يحملن الاحمال من متاع
البيت . الكلمة غير عربية كما اجمع عليه
الجميع . ما عدا الاذرحي . وليس قبطية كما
ذهب اليه ابو عبيدة . بل هي هندية اصلها
« Bhara » — وهي انما تعني العمل ويختلف
مقداره باختلاف البضاعة وما تحمل هي عليه
واليلد ايضا (93) وهذا هو منشأ البلبة
وتضارب الاقوال بشأن تحديده (94) .

بھٹة = الارز يطيخ باللبن والسمن خاصة .
هندية ، المخصوص 3/5 والخوارزمي 177 .
اصلها « Bhata » .

بهند = الذى لا يجوز عليه الحكم لقلته
ومهانته وسقوطه مثل المفني والزامر وما اشبه
ذلك (بزرك 117 . سنن « Bhanda ») .
بيش -

(راجع ما ذكرناه آنفا)

تكري = القائد من قواد السند والجمع تكارة
قال :

لقد علمت تكارة ابن تيرزي

غداة البد انى هبرزي

وفى التهذيب الجمع تكاكرة وبذلك انشد
البيت (اللسان « تكر ») . الهندية « thakur »
تلاج / ثلاج = بركة ماء (بزرك 106) ،
الحوض الذى يزيد على عشر فى عشر الى ما
يمكن ان يكون (ظفر الواله 2 - 3) .
الهندية « talla » .

تبول . سنن

تنکار . سنن « tunkar/tankar »
— قارن « tingkal » بلغة ملايو و « tincal »

Hob.-Job. - « Bahar » (93)

انظر المغرب للجواليقى .

كذا — « البالة »؟ (94)

Hob.-Job. « Calputtee » (95)

(96)

دوينـج • الهندية « دونكي » • سنس
 « Drona »
 ياقوت : البلدان - « قيس » و سليمان ندوبي :
 عرب وهندي) تعلقات 63 و
 Williams من 441 .
 زيره • ف « زيره / زيره » • سنس « Jira »
 من مادة « Jri »
 Watt, 442 442
 يعني المسمى) - انظر Watt, 442
 فنات من قصب الطيب الذي ي جاء به من بلد
 الهند ، اللسان .
 رانـج = الجوز الهندي. كانه اعجمي (الجواليق)
 بلقة بورما « Ong » .
 رخ - من اداة الشطرنج ، الیث معرب من كلام
 العجم من ادوات لعبة لهم . سنس « رته »
 ا سواء السبيل .
 ردینـی - (راجع ما ذكرناه آنفا)
 رهمـانـج - (راجع ما ذكرناه آنفا)
 زنجـیـل • التاملية « Inji-ver » .
 « Ginger » - قرن الانجليزية « Sringavera »
 (Watt, 1139 ; Cam. Hist. of India, 593)
 راجع ما ذكرناه آنفا
 سـاج • الميرية
 « Shaka » .
 سنس
 راجع ما ذكرناه آنفا
 سـاسـم / سـلـبـ / سـيـسـبـ - ابو حنيفة :
 هو من شجر الجبال ، وهو من الفتق التي
 يتخذ منها القسي ، و Zum قوم انه الابنوس ،
 وقال آخرؤن هو الشيز ، قال : وليس واحد
 من هذين يصلح للقسي ، ويتخاذ منه السهام
 ايضا ، اللسان « سـسـم ») =
 « shisham » . الهندية « Dalbergia Sissoo »
 سنس « sinsapu » .
 وربما تسوى منها الشيزري اي القصاع من
 خشب ، كما يقول ابن الاعرابي وابو عمرو
 (اللسان « سـسـم » و « شـيزـ ») . سنس
 « S'ans'apa » اي القصعة المتخذة من خشب
 سـامـ - انظر Williams من 998 .
 سـانـسـهـ - الاذرسي (دار الكتب المصرية جفرا في
 رقم 150 ص 114) : ويسمون هؤلاء المختفين
 السـانـهـ . سنس « Santha (Sanda) » .
 (Williams, 989)

Calafate » (96) فالظاهر انها بضاعة الهند ردت
 البـماـ .
جوـنة - لم يستورد العرب من الهند انواع
 الطيب فقط بل جونة العطارين ايضا ، اصلها
 « Goni » - ولا املك في هذا المقام الا ان اردد
 قول الاعشى يصف نساء تصدين لرجال
 حالياً :
 اذا هن نازلن اقرانهن
 وكان المصاع بما فى الجون
 (اللسان) « جـ وـنـ » والشخص 11 / 202)
 قارن الانجليزية « Gunny » (Hob.-Job.) - انظر
 ايضا Watt من 261
جيـباـ (من مصطلحات علم الهيئة) • سنس
 jiva « .
جـتـرهـ بالجمجمة الفارسية) = مظلة من رئيس
 الطواويس ، يتخذونها لرؤساء الهند (السيرافي
 145) والكلمة هي هي بالهندية (والفارسية
 ايضا كما اوردها ادي شير)
خرـصـ = سنان الرمح وقيل ما هو على الجبة
 من السنان ، اللسان « خـ رـصـ ») . الهندية
 « Kirich » وبلغة ملايو « Kris » - قارن
 بالانجليزية « Crease/Cris » (Hob.-Job. « Crease » . etc.)
 (راجع ما ذكرناه آنفا)
الخطـيـ - (راجع ما ذكرناه آنفا)
الخيـزـرانـ - (راجع ما ذكرناه آنفا)
خـيشـ - فارسي محض (ادي شير) ، لعل
 اصلها بالسنسكريتية « Kosh » .
 انظر Watt من 406 .
دـاذـيـ - نوع من الخمر كان العرب يستوردونه من
 الهند ، انظر ابن خرداذبة ص 71) يقول عنه
 سليمان التاجر : « شراب النارجيل وهو
 شراب ابيض ، فإذا شرب ساعة يوخذه من
 النارجيل فهو حلو مثل العسل ، فإذا ترك ساعة
 صار شرابا ، وان بقي اياما صار خلا ».
 (سلسلة التواريخ ص 18) (*) - اصل الكلمة
 الداذي هو « Tari » بالهندية وهي بالانجليزية
 « Toddy »
دلـوـ - مثل « دول » معنى و قريب منه لفظا
 (ادي شير) .

(*) قارن به ما قاله ماركوبولو عن الداذي : The Travels of Marco Polo, Tr. by Prof. Aldo Ricci, London, 1931, p. 285.

«وسنان سندرى اذا كان ازرق حديداً» (اللسان).

اصلها « Sundara » لا « Chandra » كما اوردته ادي شير بالتسكريتية تعنى
- 1 - شجرة معينة و - 2 - الرجل البارز
الشهير و - 3 - اللامع البراق - قارن
« سنان سندري » -
(انظر Williams, p. 315)

سندوروس - السيرافي 117 : « وهو مع النار كائنٌ » ◆ سنسن « Sindur » . (Williams, p. 115 ; Watt, p. 707)

الشال . سنس « Shala » (٤) وانظر الى قول صاحب التاج : « والشال هذا الرداء الذى يعمل بكشمير ولاهور ويجلب به الى البلاد ويقال انه وبر الجمل سمي به لانه يرفع على الاكتاف ان كانت عربية » - لا شك انه تحفظ بقوله « ان كانت عربية » لأن نسبة الشال الى كشمير كانت ولا تزال شائعة معروفة الا ان تعليمه لهذا الاسم يكونه مرفوعا على الاكتاف يبين لنا طريقة اللفوين فى البحث عن الاصول الفامضة لبعض الكلمات .

(Platts, John T.: A Dictionary of Urdu, Classical Hindi and English, Oxford University Press).

الشبيه والشبيه (بالفتح والكسر) = النحاس يصيغ فيصفر ، وفي التهذيب ضرب من النحاس يلقى عليه دواء فيصفر ، قال ابن سيدة : سمي به لانه اذا فعل ذلك به اشبه الذهب بلونه (اللسان) - لقد اشتطر ابن سيدة ولا شك ، انما هو تعریب Shenbu بالهنديه (من الحملانات الممتازة بالمعنىان - انظر ايضا الحيوان 1/83) . (Watt, 401)

شیریج -

شطرنج – اللعبة من ابتكار الهند، انظر اليعقوبي 99/1 وما بعدها • سنس « Chaturanga ». (سليمان ندوي : عرب وهندي) تعلقات من 181 وما بعدها .

سليـن - (راجع ما ذكرناه آنفا)

سرق - (راجع ما ذكرناه آنفا)

سرورة / سريّة = نحل صغير مدور مدملك
 لا عرض له كأنه مخيط أو مسلة أدق ما يكون
 من نصال السهام يدخل في الدروع (اللسان)
 • الهندية « سرورة / سريّة » • سنن
 « S'ora » - فارن ف « سري = تيربي برس »
 ا نفائس اللغات لأوحد الدين البكرامي)
 (Williams, 994)

مسک - (راجع ما ذکر ناه آنفا)

سهم ری - ارجام ما ذکر ناه آنها)

من - نظرا الى سبق اهل الهند في الصقل
وما اليه ، لا يفوتنا البحث عن اصله في سنسن
« shan » (قارن الانجليزية « Hone ») .

منية - اي الدهر :

رب غلام قد صری فی فقریه
ماء الشیاب عنفوان سنته

(الاپسداد لابن الانباری ص 31)

هذه الكلمة هي في الواقع دليل على معرفة العرب بالقويم الهندي فان « Samvat » انما تعني السنة ، ولا شك ان العلاقات التجارية ، قبل الاطلاع على علم الحساب عند الهندوين ، هي التي ادت العرب الى تلك المعرفة.

مندر - «السندر الجريء» التشيع والسندرة
ضرب من الكيل .. والسندر مكيال معروف ..
قال ابن الاعرابي وغيره هو مكيال كبير ضخم ..
وقيل السندرة امرأة كانت تبيع القمح وتوفى
الكيل ... قال القتبي : ويحتمل ان يكون
مكيالاً اتخد من السندرة وهي شجرة يعمل
منها النبل والقسي ومنه قيل سهم سندرى -
ويقال قوس سندرية منسوب الى السندرة
اعنى الشجرة التي عمل منها هذا القوس ،
وكذلك السهام المتخذة منها يقال لها سندرية

صلوة / صلاة وصلية = ما يسحق عليه الطيب
 (المخصوص 11 / 202) • سنن «s'ila»
 والهندية «سل» .

صنج ، يتخذ من صفر يضرب أحدهما بالآخر
 • الهندية «جهانجه» واجتماع الصاد والجيم
 في كلمة واحدة علامة العجمة لا غير . (انظر
 فرهنك آندراج) . والصنج ذو الاوتار مغرب
 «جنك» بالفارسية .

صندل • سنن «Chandan»
 صنفي = العود النسوب الى صنف
 South Cochin China = «Champa»

ضمير / صمر = الشعر الذى يتخذ منه
 المذاب بتصب العاج والفضة الذى يقوم به
 الخدم على رؤوس الملوك (من مملكة رهمي -
 المروج 1 / 385) ، شعر ذنب الحيوان
 التبتي المعروف بـ «Yak» • سنن «Chamar»
 (Hob.-Job. - «Chowry»)

طاووس • التاميلية «tokei / togai»
 قال المعودي : «للطاوويس بارض الهند شان
 عجيب ، والذى يحمل منها الى ارض الاسلام
 وتخرج عن ارض الهند قبيض وتفرخ تكون
 صفيرة الاجسام كدرة الالوان ، لا تعطي انوارا
 للابصار وبادراكها وانما تشبه بالهندية بالشبيه
 اليسير » .. (المروج 2 / 438) .

طباشير • سنن «Trakkshira»
 (راجع ما ذكرناه آنفا)

طن = حزمة القصب ونحوها ، وهو عربي
 صحيح لا دخيل ، وقال في كتاب البيان
 الطن من القصب ومن الأغصان الرطبة اعواد
 تجمع وتحزم ، ويسمى الكنشه وأصلها نبطية
 يقال لها «كنشا» ولا اظن الطن عربيا -
 وقال في كتاب التنبية على الفاظ للبصري :
 الصواب ان الكنشا وقاية بين السفينتين تدفع
 ضرر احدهما عن الاخرى شبه بها الطن وليس
 باسم خاص له بالنبطية ، وأما العرف العربي
 فالطن مشبه بطن الانسان وهو قامته (شفاء
 الغليل)

شكى - من ثمار بلاد الفلفل ، ذكره الادريسي
 وابن بطوطة • بلغة مليالم «Chakka»
 • سنن «Chankalu»
 (Chau Ju Kua, 212)

شلاقاء - الشلاق : الضرب والبضع والشلاقاء
 السكين • سنن «S'alaka» = آلة محددة
 من آلات الجراحين ، كانوا يستعملونها للبضع ،
 وقد جاء في اللسان ان الكلمة ليست بعربية
 (Williams, 995 ; Vaidya, 711) .

شمئية = العياد والنساك من البوذيين كما
 عند البيروني ، • اللغة البابية :

«Cramana» • سنن «Samana» (Pali)
 (Hob.-Job. - «Gautama» ; Cam. Hist. of India,
 420)

والكلمة بالفارسية «شمن» أي عابد الاصنام .
 انظر الى قول رودكي :
 «أين جهان جون بت است وما شمنيم»
 وقول الفردوسي :
 «برستش کنم جون بتان را شمن»

وذهب صاحب القاموس وتبعه الخفاجي في
 شفاء الغليل الى ان «شمن» معربة من «شمن»
 الا ان ذلك خطأ كما جاء بهامش لف القماط
 بدليل ان شمن يعني العابد لا الصنم .

شنك = البوق الذى ينفع فيه (سليمان 7) ،
 معدنه في البحر بين الهند وسرنديب ، • الهندية
 وسنن «S'ankh» .

(Watt, 989; Hob.-Job. - «Chank»; Williams, 988)

شككيل / شناكل • سنن «S'rinkala»
 اي سلسلة من الحديد - (Williams, 1018)

شيست • سنن «chitra» ولا يخفى ان
 الاقبال كان شديدا جدا على المنسوجات الملونة
 التي اشتهرت الهند بصناعتها .

صرف (= البقم / الورس) • التاميلية
 «Shappu»

فنجان • الهندية « بنكام » (ادي شير) .

الفنهري / الفهري
— انظر ما سبق —

فوطة — قال الازهري : رأيت بالكوفة ازرا مخططة يشتريها الحمامون والخدم فيتزرون بها . الواحدة فوطة ، قال الجوالقي : فلا ادري اعربي ام لا » (انظر المعرف) والاصل بالهندية « Pata » .

فوفل • الفارسية « pupal » • سنن « Kubara » — قال النسعودي : « الفوفل وهو الذي قد غلب على اهل مكة وغيرهم من الحجاز واليمن في هذا الوقت مصفه بدلاً من الطين » (مروج الذهب باري 2 / 84) . (Watt, 83)

فييل • نـ القديمة « بيل » • سنن « pilu » مع بعض الشك . يقال ان الفهلوية هي الاصل ومنها انتقلت الكلمة الى السنكريتية . (Hob.-Job. (Supplement) - « Elephant » ; Jefferey : Foreign Vocabulary of the Quran, Baroda, 1938)

القاقي — العود النسوب الى قاقله — مرسى على الساحل الشرقي لشبه جزيرة ملايو بالقرب من Kelantan (كما عند ابن بطوطه 242/4 - 243) — والقاتللة (= الهال بوا) الكبيرة لها صلة بمقاطعة Krakor بلاد Kamboja .

(Vide Gerini, G.E. : Researches on Ptolemy's Geography of Eastern Asia, London, 1909, p. 444)

القامروني = العود النسوب الى قامرون Assam = « Kamarupa » بشرق الهند ، وانظر وصف هذا العود في سلسلة التواریخ ص 130 .

قشارة = حديدة شبه سكة الحrust بدخل الرجل يده فيها فتكسو ذراعه ويفضل منها مقدار ذراعين وضربيها لا تبقى (ابن بطوطة « Katar ») 31 / 4 (Hob.-Job. - « Kuttaur »)

* Khal = sediment, drugs, the deposit of oil, etc. - Williams, 274. (97)

Platt : Dictionary of Urdu, Classical Hindi and English, Oxford University Press. (98)

كسر - انظر « كبار » .

كركدن - « لا احبه عربا لانه مفارق لابنتهم »
« المخصوص 8 / 58) • سنن
Khadgadanta »
أي ذو سن كالسيف - (E.I. - « Sofula » .

كرندة (بزرك 118) • سنن « Karanda »
وربما حذفوا الكاف فقالوا « الرند » - قال
الازهري : والرند عند أهل البحرين شبه
جوالق واسع الاسفل مخروط الاعلى يسفل من
خوص النخل ثم يختلط ويضرب بالشرط
المفتوحة من الليف حتى يتمتنن فيقوم قائمها
ويعرى بعرى وثيقة ينقل فيه الرطب أيام
الخراف يحمل منه رندان على الجمل القوي ؛
قال ورأيت هجريا يقول له « النرد » وكأنه
مقلوب ويقال له « القرنة » أيضا .

كشلي = الزر والماش ، يجمعون بينهما
ويسمون المجموع منهما كشلي يأكلونه بالشيفون
(نخبة الدهر للدمشقي من 169) • الهندية
« Khichri »

كبادو - الغزل المفتول من ليف التارجيل لخرز
المراكب (البيروني 103) .

كر - أيضا قيد من ليف أو خوص ، جبل السفينة •
بلغة ميلالم « Kaiyar » والتاميلية « Kayiru »
وهي أصل « Coir » بالإنجليزية بالاتفاق ،
وهل يستبعد ان تكون هي أصل الكلمة « Cable »
أيضا ، فان مدلولها الأصلي لم يتجاوز ذلك
النوع الخاص من الجبل ؟ (Watt ص 355)

لکيشا = الكثير (المقدسي) • سنن « Iaksha »

ليمون • سنن « Limpaka, nimbuka » الشك .
(Watt, 325)

مسك • سنن « mushka » .

معصرية (ابن بطوطة) = التاموسية • سنن
(Williams, 752) « Masa-hari »

قرفةة • التاميلية « Karppu » = دار صيني
(Watt, 313 ; Raw, 14 ; Cam, Hist., 593)

قرمز • سنن « Kirmi » اي الدودة (قارن
الإنجليزية « Crimson ») (Raw., 14)

قرنفل • لفات الهند الجنوبية
« Kirambu/Karampu »
« Caryophyllon » توازيها باليونانية
وينذهب البعض الى ان الكلمة سارت من
اليونانية الى الهند الجنوبية عن طريق العربية .
(Watt, 526)

قساط • سنن « Kushta » .
- انظر ما سبق -

القطعي
- انظر ما سبق -

القلقي
- انظر ما سبق -

القماري = العود النسوب الى قمار
Cambodia = « Khmer »

قنا - انظر ما سبق -

قند
- انظر ما سبق -

قنقن (الادريسي ، نسخة الدار ، ص 114
اللقنن) • سنن « Kankan » نوع من
الحلى كالأسوار .

كافذ • Kodzo = شجرة موطنها الأصلي
الصين وأعلى بورما ، صنع منها الورق في
قديم الزمان = « الكاذي » عند المسعودي :
المروج 2 / 202 - . (Watt, 186)

كافور • سنن « Karpura »

كبتح = الودع (سلسلة التواريخ ص 6) .
الهندية « Kavadi »

نارنـج • سنس «Nagaranga» - قال المسعودي : « شجر النارنج والاترج المدور جلب من ارض الهند بعد الثلاثمائة فزرع بعمان ثم الى البصرة والشام حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الشفر الشامي وانطاكيه وساحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف ، فعدمت منه الروائح الحمراء الطيبة واللون الحسن الذي يوجد فيه بأرض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة والماء وخاصة الباد المروج 2 / 438 - 439) - هذا وقد جلب النارنج الى الهند من الصين حيث موطنها الاولي (Watt ص 318) .

النـردـين = هو السنبل الهندي (باليونانية « Nardos » أصلها بالسنسكريتية « Nardos » بالفارسية القديمة « ناردا ») - انظر ادي شير - « الرند » .

النمـط - أصلها « Namata » بالسنسكريتية = ف : نمد) وربما استعملوا هذا النوع من الصوف الغليظ لتغطية المرات ، ومن هنا نشأ معنى الطريقة والمذهب .

النيـلـج • سنس « nili » .

هـرـد • سنس « hari dra » اي الخشب الاصفر = الاردوية (Watt) « haldi » من (445) وهو الكركم كانوا يأتون به من الهند (ابن البيطار) وفي الحديث « ينزل عيسى بن مرريم في ثوبين مهرودين (المخصص 211/11) .

هرـهـرة = حكاية اصوات الهند في الحرب • « Hari Hari »

هـنـدـول - مثل لحفة على اعنق الرجال (بزرك 118) • سنس « hindola » - قارن « Andor » بالبرتغالية (H.L.) - ومنه :

هـنـوـيـل = الضخم الانوك المسترخي الضعيف

(98) العود الهندي « سمي عودا حتى صار اسمًا علماً من قبل أنه أشرف أنواع العود » (المخصص 198/11) .

مـطـيـال (بزرك 36) = قارب صغير يشد إلى سفينة كبيرة • الهندية « Patela » (Periplus, 248)

المـنـدـلـي = العود (98) المنسب إلى مندل (Mandal) وهي تعني « الأقليم » عامه المشهور « كورومندل » بجنوب الهند الا انه قد ورد في بعض المصادر ما يشعر بوجوده « مندل » (= اقليم) آخر بالقرب من قامرون بشرق الهند . أما ما ذهب إليه Ferrand من أن النسبة إلى « Mandri » مكان يعينه على الساحل الجنوبي للهنـد فاحتتمـل بعيد جداً (انظر حدود العالم ، تذكار جـب ، 1937 م ص 240) . هذا وقد سجل الشاعر ضيـاء الدين نسبة المنـدـلـي إلى الهند بقولـه :

المنـدـلـيـ كـريـسـ
سـقاـلـهـ وـلـفـرسـهـ

لـمـاـ اـرـادـ بـرـيـنـاـ
لـهـنـدـ نـسـبـةـ جـنـسـهـ
غـدـاـ عـلـىـ النـارـ مـلـقـىـ
يـجـوـدـ فـيـهـ بـنـفـسـهـ

(حلبة الكعـيت ص 153)

وذكر أن الحسين بن برمك هو الذي حمل العود « المنـدـلـي » (كذا في صبع الأعشى 2 / 124 - وفي التوييري 29/12 « الهنـدي ») معه اثر عودته من الهند وعرضه على المنصور فاستحسنـه وامر ان يكتب الى الهند بحمل الكثـير منه فاشتهر بين الناس وعز من يومئـذ واحتـمل ما فيه من مرارة الرائحة وزعـارتها لأنـها تقتل القـمل وتنـعنـ من تكونـه في الشـباب .

مـوـزـ • سنس « mocha » .

نـارـجـيـلـ • « narikila » .

(Hob.-Job. - « Sappan Wood »; « Brazil Wood »)

وشيء

- انظر ما سبق -

اليسارة = « التي تكون بلاد الهند وتفسيرها المطر فانه يدوم عليهم في الصيف ثلاثة اشهر تباعا » (أبو زيد السيرافي في سلسنة التواریخ ص 126) - كانوا يقولون « فلان يسر بارض الهند اي شتا هنالك (المعودي : مروج الذهب 1 / 327) - اصل الكلمة بالهنديه « varsha » .

الهيل أو الهلال ، هي بالسنسكريتية « ايل » وبالفارسية « هيل » وكان معدهن رأس هيل / ايل على الساحل الغربي بجنوب الهند وذكره الجغرافيون العرب وابن بطوطة ٤٨١/ ٤٧٣.

ورس (= البقم / الصرف) - شاعت كلمة «الورس» وانتقلت من العربية الى اللغات الاوروبية في العصور الوسطى (الايطالية «verzi») حتى انه يقال ان البرازيل Brazil من الورس، سميت تلك الخطة من العالم الجديد كذلك لوجود هذا النوع من الخشب فيها .

آلی میوز

سنس = اللغة المنشكية

ف = اللفة الفارسية

* = ان اصل الكلمة باللغة الفارسية او السنسكريتية او .. ما هو كذا وكذا .. الخ.

المراجع

- الآثار للقرويوني = آثار البلاد واخبار العباد ، حنيف زكريا بن محمد بن محمود القرمي .
E. Wustenfeld, Gottingen, 1848

2 — الاخبار الطوال للدينوري ، ليدن ، 1888 م

3 — الادريسي = نزهة المشتاق للشريف الادريسي ، نسخة دار الكتب المصرية ، جفرا فيا رقم 150 .

4 — ادی شیر : الالفاظ الفارسية المعرفة .

5 — بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية.

6 — ابن بطوطة = الرحالة له ، طبعة باريس .

7 — بزرک = كتاب عجائب الهند ، تأليف بزرک بن شهریار الناخداء الرام هرمزی ،
Par P.A. Van Der Lith, Leide, 1883-1886.

8 — البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون .

9 — البيروني = كتاب الهند ، طبعة زخاو

10 — الجواليقي = المغرب له ، طبعة الدار ، 1361 هـ .

11 — سلسلة التواریخ (سليمان التاجر وابو زید السیرافی) ، باریس 1811 م

12 — سليمان ندوی : (عرب وهندکی تعلیقات ، الہ آباد ، 1930 م

13 — شفاء الفلیل للخفاجی .

14 — سواء السبيل فی المغرب والدخلیل ، تأليف توما آرنولد وقاضی ظفر الدین احمد ، مطبع رفاه
عام 1903 م .

15 — ظفر الواله بعطفه وآلہ للحاج دیر ، طبعة السیر دنیس روس .

16 — ابو الفداء : تقویم البلدان ، باریس ، 1830 م .

17 — لف القماط = لف القماط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المغرب والدخلیل والاغلاط ،
لابی الطیب الصدیق بن حسن القنوجی ، بهوبال ، 1296 هـ .

18 — المروج = مروج الذهب للمسعودی ، طبعة باریس .

19 — نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تأليف الشیخ شمس الدین ابی عبد الله محمد بن ابی
طالب الانصاری الصوفی الدمشقی ، بطرسبورغ ، 1865 م .

20 — ابن الوردي (سراج الدين) : خريدة العجائب وفريدة الغرائب .

21 — باقوت : معجم البلدان .

المراجع الانجليزية

- (1) Bibil. Geog. = Bibliotheca Geographorum Arabicorum, Ed. de Geje, Leiden, 1870-94.
- (2) Chau Ju Kua : Chu-fan-chi, translated and annotated by F. Hirth and W.W. Rockhill, St. Petersburg, 1911.
- (3) Fahmy, Ali Muhammad : Muslim Sea-power in the Eastern Mediterranean, 1950.
- (4) Hirth : China and the Roman Orient, 1885.
- (5) Hob.-Job. = Hobson-Jobson : A Glossary of Anglo-Indian Colloquial words and Phrases and of kindred terms by Col. Henry Yule & Arthur Coke Burnell, London, 1886.
- (6) Hourani, George Fadlo : Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early Mediaeval Times, Princeton University Press, 1951.
- (7) Legacy of Islam, ed. Sir Thomas Arnold, Oxford University Press.
- (8) Periplus = The Periplus of the Erythraean Sea (Shoff), 1912.
- (9) Rawlinson, H.G. : Intercourse Between India and the Western world, Cambridge, 1926.
- (10) Smyth, W.C. : Dictionary Hindustani and English, London, 1820.
- (11) Vaidya, L.R. : The Standard Sanskrit - English Dictionary, Bombay, 1889.
- (12) Watt, Sir George : The Commercial Products of India, London, 1908.
- (13) Williams = Sanskrit - English Dictionary by Monier, Williams, Oxford, 1872.

بدء العلاقات العالمية بين الهند والعرب

للبغاة والطغاة التسلل عبر الحدود والاتجاه بملك السندي ، مما زاد في اهتمام العرب بجارتهم ، وفي الوقت الذي كانت المالك الشرقية للدولة الأموية قد استكملت قوتها واستعدادها لشن هجوم شامل برا وبحرا معاً بعد أن انتظمت أمورها وسلست صعابها تحت امرة حاكمها الحازم ذي البأس الشديد الحاج ابن يوسف الثقفي ، في ذلك الوقت سببت الملة التجارية بصورة مألوفة في التاريخ القديم والحديث على السواء ، التدخل السياسي والعسكري من جانب العرب ، وذلك بأن بعض الترامشة استولوا بالقرب من دبيل على مركب كان ينطلق إلى العراق عدداً من الأرامل واليتامى لبعض التجار العرب الذين وافتهم آجالهم في جزيرة سيلان ثم اعتذر داهر ملك السندي بعجزه عن تنفيذ طلب الحاجاج بمعاقبة المجرمين وتسليم الأسرى ، فلم يكن منه هو الآخر إلا أن ندب ابن أخيه الشاب محمد بن القاسم الثقفي لغزو السندي نهاية (3) .

دخل محمد بن القاسم السندي في سنة 89 هـ وونق في إنجاز مهمته توقيتاً تاماً ، فما تمكن في بحر خمسة أعوام من القضاء على مملكة داهر وفتحها المسلمين من متابع نهر جهيل بكتشمير في الشمال إلى البحر في الجنوب ، إلى حدود مملكة قنوج (كنوج) بالقرب من ملنان وحدود كجرات في الشرق ومنذ ذلك الحين ظل أثليم السندي جزءاً من الدولة الأموية ، تعاقب على حكمه عدد من الأمراء العرب ، سعى بعضهم لتوسيع نطاقه في الشرق وعلى ساحل كجرات فلم يلقو في ذلك كبير نجاح ، ولكنهم على كل حال بقوا أقوياء قادرين على إخماد الثورات مالكيين لأزمة الأمور في الداخل .

وهكذا أصبحت للعرب علاقات سياسية وطيدة مع الهند بعد أن كانت لهم علاقات تجارية قوية معها فيما قبل الإسلام ، وكان من المحتوم على هذه القاعدة الجديدة للعرب دخول أراضي الهند ان تصبح مبدأ

من المعروف أنه لم يكن هناك اسم واحد يطلق على الشبه قارة الهندو - الباكتانية باكملها بل كانت الأقاليم المختلفة تعرف بأسمائها كل على حدة وربما شمل اسم العاصمة جميع المناطق الواقعية تحت سلطتها أو نفوذها . وكان نهر « السندي » الذي يذكره العرب القدماء باسم « مهران » - معروضاً باسمه الحالي إلى أن امتد إليه نفوذ أهل فارس في العصر التقديم فسموه « هندو » جرياً على عادتهم في ابدال السين في السنسكريتية بالهاء ، ولذلك أمثلة كثيرة في اللغة الفارسية القديمة . ثم جاء العرب فاقروا اسم « السندي » للأراضي الواقعية على ضفتي ذلك النهر ، وبدأوا يطلقون « الهند » على ما وراءها (1) .

كان العرب قد عرفوا الهند قبل الإسلام وأحبواها إلى حد انهم اتخذوا منها اسماً لنسائهم ، ولكنهم إنما عرفوا عطورها وأحجارها وسيونها وثمارها ولما كانت تجاراتهم عن طريق البحر كان من الطبيعي أن يت弟兄 اتصالهم على الشواطئ والسواحل ، ولا سيما الساحل الغربي والجنوبي ، لا أدل على ذلك من أسماء في العربية هي في الأصل أسماء للأمكنة التي كانت تستورد منها مسمياتها، مثل المندل والميل (2) ثم جاء الإسلام ثمارت هذه المعرفة والصلة التجارية من أهم ما وجه المسلمين من عرب عمان والمناطق الساحلية المجاورة لها إلى شن الغارات البحرية بفية تأسيس دعائم حكمهم على مواقع من ساحل السندي وكجرات ، تهانة (تانه) بالقرب من بومباي وبهروج (بروص) ودبيل بالقرب من كراتشي ، وكان ذلك في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي كان شديد الحذر من « من حمل الدود على العود » ثم تكررت محاولة من هذا التبلي في عهد عثمان أيضاً ، ولكن لم يكن لهذه الغزوات أثر يذكر ، ومضى العرب في هذه الأثناء قدماً من نصر إلى نصر حتى تم لهم فتح بلاد فارس كلها وصارت حدود دولتهم الشرقية تتاخذ حدود مملكة السندي الغربية مباشرة بحيث تنسى

• 12 .

(1) الدكتور السيد سليمان الندوبي : عرب وهندي تعلقات ص 12 .
(2) على الترتيب ، العود المستورد من « كورومندل » كان العرب يطلقون عليها « المعبر » أيضاً وفوه « هال » أو « هيل » (بالعامية : حب هان) المستورد من (رأس) هيلي أو « إيلي » بجنوب الهند بالقرب من كورومندل ، كانت ميناء ومدينة عاصمة أيام زيارة ابن بطوطة لها ، راجع الرحلة 81/4 .

(3) الفتوح للبلاذري 431 - 432 و 435

كبيرة ، كما ان أولئك الدخلاء أقبلوا على الآخرين
بأسباب الحضارة العربية بجد واهتمام ، ولم يلبث العبيد من أهل السنن أن بدأوا يساهمون مساهمة فعالة في الحوادث الجارية حتى أنه ذكر أن أحداً منهم (ابن زياد بن أبي ك بشه) اشترك في قتل الخليفة الوليد بن يزيد في سنة 126 هـ (6) أما مدى سرعة تعربيهم وإندماجهم في المجتمع والثقافة العربية فيمكن أن نقدرها بوجود علماء إجلاء أمثال ابن معشر نجيع بن عبد الرحمن السندي (7) وأبن الاعرابي (8)؛ ورجال الحكومة مثل السندي بن شاهك (9) وشعراء أمثال ابن عطاء السندي وأبي الاملع (10) كلهم موالون انحدروا من أصل سندي لم يتجاوز عهدهم جيلين وثلاثة على فتح السنن ، وقد استغفنت بهذكرهم عن التعرض للذين نشأوا فيما بعد .

لا شك أن الارقاء وغيرهم من عامة أهل السنن لم يكونوا ليعرفوا العرب إلا ببرطانتهم وجعلهم الجيم زاء وبعض الملح تتعلق بالمعاجن والخصيان منهم (11) وما إلى ذلك من عجائب العوائد وغرائب الأخلاق كما أشرت إليه آتنا وربما كان وجودهم مثار التساؤل بين أهل الفكر عن مدى الحضارة والعلوم وحكمة الهندن وبمبعث تطلع الأذهان إلى الوقوف عليها ، ولكن التبادل العلمي ونقل الآداب الهندية إلى العربية إنما كان يتوقف – ولا غرو في ذلك – على الجمع بين الخامسة وأهل العلم من الطرفين العرب والهنود ، وهل يتأتى ذلك إلا إذا استقرت الاحوال الداخلية

خط لسير العلوم والأداب الهندية إلى عاصمتهم ، ولكن الحركة – لأسباب طبيعية عامة – إنما نمت وازدهرت في العهد العباسي الأول . أما في العهد الاموي فلا يلتقط نظرنا الا ظواهر معينة ، هي بمثابة المقدمة لما نحن بصددناه في مقالنا هذا .

كان العرب قد عرفوا من قبل الزط (جات) والميد وهو ما تبليتان من قبائل السنن عرفتا بالفزو والتهور والشراسة فجندهما الفرس ، وربما كثروا احتكاكهما بالعرب حتى اتنا نجد عبد الله بن مسعود يقول عن بعض من رآهم في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم « رجال كأنهم الزط أشعارهم وأجسامهم » (سنن الترمذى ، باب الأمثال) مما يدل على أنهم كانوا معروفيين لدى العرب تماماً في ذلك الوقت (4).

ثم بعد أن تم فتح خراسان على أيدي العرب انخرطت هاتان القبيلتان ولاسيما الزط في جنود الإسلام ، استخدمهم على رضى الله عنه لحراسة أموال البصرة في وقتة الجمل ، وانزلهم معاوية في مدن الشام الساحلية لمواجهة الروم ، وعمرهم وليد ابن عبد الملك في انتطاكيه (5) . هذا ما يتعلق بالعصر الذي سبق فتح العرب للسنن ، أما بعد ذلك فقد تيسر للعرب أن يعرفوا لا الزط المحاربة فحسب ، بل السنديين عامة ومن أهم ما ساعد على ذلك نقل عدد كبير من العبيد والأماء أسرى الحرب إلى العاصمة (6) وبعض المدن الكبيرة الأخرى ، وهناك بدا العرب يتبعون خصائص وعوائد هذا العنصر الجديد بعينة

(4) يرجح أن الإمام آبا حنيفة كان من سلالة هؤلاء الزط ، فإنه ذكر أن جده زوطى كان من كابل (حسب الرواية المشهورة) . راجع ابن خلكان وتهذيب الأسماء للنبي (7) نقل إلى الكوفة بين أسري الحرب أما ادعاء حفيده اسماعيل بن حماد ، الانتساب إلى أسرة مالكة من الفرس فذلك محاولة معروفة حاولها كثير من الموالي لاثبات اصالتهم في العز الذي نالوه في الإسلام .

(5) البلاذري الفتوح : 375 – 379 .
« انظر قول أبي النجم العجلي : علقت خودا من بنات الزط الخ (الاغاني) ابن الأثير 5/217 .

(6) شذرات الذهب 1/278 سمع عنه الواقدي بالمدينة .
« كان أبوه زياد عبداً سندياً » ياقوت : معجم الادباء .

(7) السندي بن شاهك مولى جعفر المنصور ، كان أميراً على دمشق فاخرب سورها في فتنة أبي الهنadam في سنة ست وسبعين ومائة في خلافة هرون وهي القضاء ببغداد وكانت وفاته هناك . ترجمته في مرآة الزمان نسخة دار الكتب المصرية الجزء السادس الورقة 42 ، وكان للسندي هذا ابن يسمى ابراهيم روى عنه الجاحظ كثيراً (البيان والتبيين 1/141) .

(8) أبو عطاء معروف ترجمته في الأغاني وأبو الاملع الهندي له ذكر في المزياني 513 (« أبو الفسلع » كذا في الفهرست 164) والحيوان 7/171 .

(9) (11) البيان والتبيين (تحقيق عبد السلام هارون) 1/70 ، 74 ، 118 ، والحيوان

وتفرغ أولو الامر لتشجيع الحركات العلمية ورعايتها
الادب وذويه ؟

ثم استمرت الاحوال تتهيأ لجلب العلوم من
الخارج في عهد المنصور مما حفز اهل العلم في المسند
إلى عرض ما لديهم ، فوصل أحد منهم كان متضلعماً في
علم الهيئة والرياضيات ، إلى بغداد في سنة 154 هـ ،
فتقى إلى الخليفة بكتاب «سدهانت» (المسند هند ×)
الذي قام ابراهيم الفزارى بترجمته إلى العربية (13)
وطلاع العرب على «سد هانت» يعد نقطة هامة لا
من حيث كونه بداية حسنة للتبدل العلمي بين الهند
والعرب فحسب ، بل من حيث الآثار المترتبة على ذلك
أيضاً ، فإنه وإن يعلم بالضبط متى تعلم العرب
«الارقام الهندية» فالملئون أنهم تعلموها عن طريق
ترجمة «سدهانت» الذي بحتوى البابان الثالث
عشر والرابع والعشرون منه على بسط وبيان لتلك
الارقام (14) . على كل حال نال «سدهانت» من
اقبال العرب وتقديرهم ما كان سبباً لرفع صيت الهند
إلى درجة عالية ، آية ذلك أنهن قاماً في مدة قصيرة
بترجمة كتابين آخرين في علم الهيئة هما «أرجبهند»
(الأصل : آرية بھت) و «أركند» (الأصل كهند
اكهندبك Khanda-Khadyaka) . نقل الأول أبو
الحسن الأهوازي والثاني يعقوب بن طارق في سنة
161 هـ (15) .

كانت أواخر أيام بني أمية الوهن والاختسال
والفتن اعقبها الانقلاب العباسي فلاقى أبو مسلم
الخراساني بعض العناء في اخضاع منصور بن جمهور
الكلبي ذلك الطاغية الذي كان قد اغتصب ولاية المسند
منذ زمن غير بعيد ، ولكنه نجح أخيراً في ضم هذه
الولاية للسفاح على يد موسى بن كعب التميمي في
سنة 134 هـ . وقد اقتنى ظهور العباسيين بنقل
العاصمة من دمشق إلى بغداد فازداد التقارب من
المسند جغرافياً ، مع ما هو معروف عن الخلفاء
العباسيين وأعيان السلطة في عهدهم من الإيل
الشديد إلى النرس والعمج وحضارتهم وأدابهم .

لم تكن الأمور تنتظم في المعهد الجديد حتى نرى
ونجد من أهل المسند يند على السفاح ، وذلك قبل
موته بثلاثة أيام (12) . لا نعلم إذا كان هذا الوفد
يضم أحداً من أهل العلم ، ولكن على كل حال لم يكن
له أثر يذكر لمساعدة وصوله في وقت غير ملائم .

(12) تاريخ اليعقوبي 433/2 .

× قال البحتري (د الجواب 160/2) : ألسنت بالمسند هند ذا بصر ألم تفق حاسبه تتصف

(13) البيروني : كتاب الهند من 208 .

(14) عرب وهندي تعلقات ص 134 هذه الارقام معروفة عند العرب بـ «الارقام الهندية» وعند
الافرنج بـ «الارقام العربية» [Arabic figures] لأنهم بدورهم أخذوها من العرب ، أعني
عرب الاندلس وربما سماها عرب الاندلس «حساب الغبار» لأن الهند كانوا يرسمونها على
التراب أو الرمل بدل اللوحة أو السبورة لتعليم الاولاد كما يشاهد ذلك في بعض أرياف الهند الى يومنا
هذا . انظر قول الشاعر يصف التخت الذي يضرب عليه حساب الهند :

وقلم مداده تراب
في صحف سطورها حساب
يكثر فيها المحظ والأضراب
من غير أن يسود الكتاب
حتى يبين الحق والصواب
وليس اعجم ولا اعراب
فيه ولا شك ولا ارتياش

(الحصري : زهر الاداب 90/2)

(15) هك الالفاظ الهندية التي بقيت كمصطلحات علم الهيئة بالعربية : «كردجه» (الوتر المستوي)
أصلها بالستنكريتية «كرمجيا» ، «جيبي» أصلها «جيوا» ، «أوج» أصلها «اوچ» بالجيم
الفارسية ، «أرين» من «أجين» اسم بلدة في وسط الهند ، «ادماسه» أصلها «ادهماسا» .

و هذه الرواية مختلفة بدليل أن المؤرخين مجمعون على أن « برمك » لقب قديم كان يلقب به رؤساء « نوبهار » قبل الاسلام بكثير . وقال بعض آخرون ان « برمك » اسم لكان والنسبة اليه « برمكي » . و اتى ابن القمي الهمداني وياقوت بتعليقين في منتهي الغرابة حينما قال الاول ان « برمكة » يعني حاكم مكة (17) وذلك لأن معبد بلخ كان قد انشيء ليكون نظيراً له ، وقال الثاني أن « بر » هنا يعني الابن وأن « برمكة » أنها يعني ابن مكة (18) وهذه الآتوال كلها ظاهرة البطلان لا تستحق التعليق عليها بشيء .

وذهب الكاتب الهندي عبد الرزاق —————— و رجح « البرامكة » (باللغة الاردوية) الى ان أصل « برمك » هو « برمغ » — « بر » يعني « كبير » و « مغ » [magos] باليونانية و « مجوس » بالعربية) يعني عبدة النار — وعلى هذا « برمك » يكون معناه « رئيس المجروس » وهذا القول يظهر انه تربى جداً الى الصواب ، مع انه لم يعرف بعد مثال آخر لايصال « الغين » « بالكاف » في التعریف ، الا انه قد يقى ان نتأكد اذا كان معبد بلخ معيناً للمجروس يبعدون فيه النار او معيناً للبوذيين يبعدون فيه الاصنام او « البد » على حد تعبير المؤرخين العرب .

من حسن الحظ ان بآيدينا وصفاً مسهباً لهذا المعبد عند المسعودي والهمداني وياقوت يمكننا ، اذا امعنا النظر فيه ، من الاهتداء الى جواب على هذا السؤال وهكذا ما يقوله ياقوت عنه :

« قال عمر بن ازرق الكرمانى : كانت البرامكة اهل شرف على وجه الدهر يبلغ قبل ملوك الطوائف ، وكان دينهم عبادة الاوثان ... ونصبوا حوله (اي حول بيت النوبهار) الاصنام وزينوه بالديباج والحرير وعلقوا عليه الجواهر النفيسة ... وكانت الفرس تعظمه وتحرج اليه ، وتهدى له وتنبئه انواع الشياطين وتشتبه على أعلى قبته الاعلام ، وكانتا يسمون أعلى قبته « الاستن » وكانت مائة ذراع في مثلثها وارتفاعها فوق مائة ذراع باروقة مستديرة حولها وكان حول البيت ثلاثة وستون مقصورة ليسكناها خدامه وقوامه

وعلى اثر هذه البداية الحسنة لابد ان الامراء واهل العلم في بغداد قد عرفا واعترفوا ببراعة اهل الهند في ميادين أخرى ، ولاسيما الطب ، فلذلك نراهم يشيرون على هارون الرشيد ابان مرضه باستقدام الطبيب الهندي الشهير « منكه » (مانشك) وورد الطبيب الهندي فنج في علاج الخليفة وحظى عنده وبقي يشرف على نقل الكتب من اللغة السنسكريتية (16) .

وفي هذه المرحلة اي بعد ان كان الطريق قد مهد بظاهرة قوية ، يجدر بنا ان نتف عندها لعلنا نكتشف حقيقة طالما غمضت على كثير من المؤرخين التدماء والمحدثين . وتلك الظاهرة هي التي اشار اليها ابن النديم بقوله :

« الذي عني بأمر الهند في دولة انعرب يحيى ابن خالد وجماعة البرامكة واهتمامها بأمر الهند وحضارتها علماء طبها وحكمائها » (كذا / الفهرست 345) .

فما هو مبعث هذه النزعة الى الهند وعلومها في نفوس البرامكة ؟

لتبحث عن اصل البرامكة حتى نصل الى جواب لهذا السؤال .

البرامكة من اصل بوذي لا مجوسي

المعروف عن البرامكة ان اجدادهم كانوا يتولون قبل الاسلام معيناً للمجروس ببلخ ، وكان « برمك » لقباً لرئيس سدنة ذلك البيت الذي كان يسمى « نوبهار ». أما اصل الكلمة « برمك » من ناحية اللغة فلم يتعرض لها التدماء ، وجاء المتأخرؤون من المؤرخين وأصحاب المعاجم من الفرس فقالوا بأن الكلمة مشتقة من المصدر « برمكيدن » اي المص بالفارسية وأيدوا قولهم هذا برواية مؤداها ان أول « برمك » اسلم (بعد ان خرب قتيبة بن مسلم « نوبهار » في سنة 86 هـ) لما وقف امام الخليفة اضطر الى الاعتراف بأنه كان يحمل معه سما في خاتمه حتى يمسنه (بالفارسية : « برمكم ») اذا وجد الموت خيراً من حياة الخزي ،

(16) ابن ابي اصيبيعة 33/2 .

(17) كتاب البلدان ص 323 « فسموا سادتها الاكبر برمكا » ولـى منهم ذلك يسمى برمكا .

(18) معجم البلدان (نوبهار) « كانوا يسمون السادن الاكبر « برمكا » لتشبيههم البيت بمكة يسمون سادته ابن مكة فكان كل من ولـى منهم السданة برمكا .

ان الكتاب كانوا اعرف بكلمة « الاستن » اي العاومود بالفارسية نحرفوا « استب » الى ذلك الشكل .

ثم هناك ادلة اخرى ترشدنا الى الجزم بان معبد بلغ انما كان معبدا للبوذيين وهي :

1) ان بلغ جزء من اقليم خراسان وما وراء النهر ومن الحق ان « على هذا الذهب السنمية اي البوذية ، كان اكثر هل ما وراء النهر قبل الاسلام » (الفهرست 345) .

ب) يزيد المسعودي في وصف التوبهار فيقول : « وقد ذكر بعض اهل الرواية والتنقير انه قرأ على التوبهار بلغ كتابا بالفارسية ترجمته : قال بوذا سف ابواب الملوك تحتاج الى ثلاث خصل عقل وصبر ومال اذا تحنته بالعربية (19) كذلك بوزائف الواجب على الحر اذا كان معه واحدة من هذه الخصال ان لا يلزم بباب السلطان » .

اما « بوزائف » فلاشك ان المراد منها « بوذا » لا غير ولعل اصلها « بودهاستور » كما ذهب اليه المحقق زخاو (انظر مقدمة الترجمة الانجليزية لكتاب الهند) .

وقد وردت هذه الحكاية ايضا في مسالك الابصار (224/1) لابن فضل الله العمري وهناك « سورائف » بدل « بوزائف » مصححا

ج) قال العمري ايضا : « بناء منوشهر الهندي وكان يأتيه من الصالبة من يتقرب بالقمر » لا يستبعد ان يكون المراد من المتقررين بالقمر « الهندوس » لا غير بناء على ان البعض يرون ان اصل « هندو » هو « آندو » اي القمر (قارن المسعودي : « التوبهار ... بناء منوشهر ... على اسم القمر ») .

د) قد ورد لهذا المعبد ذكر كمعبد للبوذيين في مذكرات السائح الصيني هوان كوانك الذي زار بلغ في القرن السابع الميلادي اي قبل او بعد فتح العرب لها (دائرة المعارف الاسلامية « Barmakids » .

نهل من شك في ان التوبهار لم يكن بينما من بيوت النار يعبد فيه المجوس بل انما كان معبدا للبوذيين يعبدون فيه الاصنام او « البد » واذا وثقنا من هذا فليس من الصعب الاهتداء الى ان اصل التوبهار هو « آنوههار » وهو اسم معروف لمعبد البوذيين والخاتمة حوله ولا

وسينته ، وكان على كل واحد من سكان تلك المقاصير خدمة يوم لا يعود الى الخدمة حولا كاملا ، ويقال ان الريح ربما حملت الحرير من العلم الذي فوق القبة نقلقيه بترمذ وبينهما اثنا عشر فرسخا ... وكانت ملوك الهند والصين وكابل شاه وغيرهم من الملوك تدين بذلك الدين وتحج الى هذا البيت ، وكانت سنتهم اذا هم وافوه ان يسجدوا للصنم الاقبر ويقبلوا يد برمك » .

هذا الوصف ليقوت في معجم البلدان (التوبهار) يطابق لفظا ما اوردته المهداني (البلدان ص 3 - 322) بحيث يصبح من المؤكد أنها استقياه من مصدر واحد وان لم يذكر هو الآخر اسم عمر بن ازرق الكرمانى كما فعله ياقوت هو الاول . كذلك يوافق هذا الوصف معنى ما جاء في مروج الذهب - 48/4 - للمسعودي (ايضا آثار البلاد للقزويني 221) ومما يجدر باللاحظة والتتبّي عليه في هذا الوصف :

اولا : لم يرد فيه ذكر للنار حتى يقال ان التوبهار كان بينما من بيوت النار .

ثانيا : بالعكس نص فيه على ان معبد بلغ لم يتجاوز ان يكون بينما لعبادة الاوثان والامسان التي كان من بينها « الصنم الاقبر » الذي كانت سنتهم ، اذا هم وافوه ، ان يسجدوا له .

ثالثا : من المعروف ان « ملوك الهند والصين وكابل شاه » ولنصف اليهم نيزك طرخان ملك تركستان الذي جاء عنه في المهداني ويقوت (وستقول هذه التقطعة فيما بعد) انه غضب من قبول البرامكة الاسلام وزحف اليهم بجيشه ونكل بهم كل هؤلاء الملوك لم يكونوا يدينون الا بالدين البوذى (Budhism) .

رابعا : ان (« الاستن » « آسبت » « است ») ليست الا اشكالا محرفة لكلمة « استب » بالاصل « استوب » (stupa) وهي تطلق على معبد البوذيين الذي اودع فيه رماد جثة بوذا ، وقد كان الرماد قسم ودفن داخل قباب مبنية في عدد من الممالك التي كانت البوذية سائدة فيها ، ولا تزال المعابد من هذا النوع موجودة في الهند منها : « استوب سانجي » بالقرب من مستوطنة رأسى مدينة بوفال في وسط الهند . يظهر

(19) في مسالك الابصار : « ثم لما ملك الاسلام مدينة بلغ في مسالك الابصار : « ثم لما ملك الاسلام مدينة بلغ ، كتب تحت هذه الكتابة بالعربية ... الخ » .

ها المستشر قان زخاو (مقدمة الترجمة الانجليزية لكتاب الهند من 31) وبرتهالد (Barthold) (دائرة المعارف الاسلامية) (Barmakids) كما ان الاول هو الذي بحث عن الامل السنكريتي لكلمة « برمك » ثم تتبع نتائجهما الكاتب الهندي الدكتور السيد سليمان الندوى الذي يرجع اليه الفضل في بسط الدلائل كما قد اقتبسها هنا من كتابه « عرب وهندكي تعلقات 102 - 124 » ، ثم يمضي الدكتور السيد سليمان الندوى خطوة اخرى فيلفت النظر الى ان القول بانحدار البرامكة من اصل ايراني ينتقض ايضا بما جاء به ابن الفقيه الهمداني (وياقوت حرف بحرف) وهذا نصه :

« غلم يزل يليها برمك الى ان فتحت خرسان ایام عثمان بن عفان وقد صارت السданة الى برمك ابی برمك ابی خالد فوجه برمك الى عثمان في الرهائن فورد المدينة ورغب في الاسلام فاسلم وسمى عبد الله ورجع الى ولده وصارت البرامكة في بعض ولده مكتب بعض الملوك الى برمك يعظم ما اتى من الاسلام ويدعوه الى الرجوع في دين آبائه فكتب اليه برمك ائمها دخلت فيه اختيارا وعلما بفضلة عن غير ريبة (ولا رغبة) (20) ولا ارجع الى دين بادي العوار متھتك للاستار فغضب الملك وزحف الى برمك بجمع كثيف فكتب اليه برمك قد عرفت حبي للسلامة واتي ان استجدت عليك الملوك انجدوني فانصرف والا صرت الى لقائك ، فانصرف عنه ووادعه ثم لم يزل ذلك الملك واسمها نازك (نيزك) طرخان يفتر برمك ويطلبه حتى بيته وقتلته وعشرة بنين له فلم يبق لهم برمك سوى ابی خالد فحملته امه وهررت به وكان صغيرا الى بلاد قشمیر ، فنشأ برمك وتعلم النجوم والطب وانواع الحكمة ، وبقي على شركه وأصحابهم وباء فتشاعموا بمقارقة دينهم فكتبوا الى برمك فقدم عليهم فاجلوه في موضع ابيه فتولى امر النوبهار فسمى برمك وتزوج ابنته ملك الصفاريان سان فولدت له الحسن وبه كان يكتن وخلالها وعمرا وام خالد ، وسليمان بن برمك من امرأة غيرها من اهل بخارى وكان صاحب بخارى اهدى الى برمك جارية فولدت له كال بن برمك وام القاسم وبنتا اخرى (كتاب البلدان 323 - 324) .

يزال اقليل الهندي الشمالي الذي ولد فيه بهذا يسمى « بهار » (Bihar) الى وقتنا هذا . وليس بمستغرب ان خفي الامر على العرب فانهم كانوا أعرف بكلمة « بهار » الفارسية بذلك قالوا : « وتقسيم النوبهار البهار الجديد لأن « نو » الجديد ، وكانت سنتهم اذا بنوا بناء حسنا او عقدوا بابا جديدا او طاقتا شريعا كللوه بالريحان وتوجوا بذلك باول ريحان يطلع في ذلك الوقت ، نلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه اول ما يظهر من الريحان ، وكان البهار فسمى نوبهار لذلك » (ياقوت) ، هذا وقد اتفق للعرب ابان فتحهم للسند « ان عرفوا معابد للبوذيين من قبل وهار ، وهكذا اوردت البلاد في وصف واحد منها :

وكان بالديبل بد عظيم عليه دقل طويل وعلى الدقل رأية حمراء اذا هبت الريح اطافت بالدينة ، وكانت تدور ، والبد فيما ذكروا منارة عظيمة يتذبذب بناء لهم فيه صنم لهم او اصنام ليشهر بها وقد يكون الصنم في داخل المنارة ايضا ، وكل شيء اعظموه من طريق العبادة فهو عندهم بد والصنم بد ايضا » .

او لا تؤكد المقارنة بين وصف معبد البوذيين هذا وبين وصف النوبهار بأن الوارد لم يختلف عن الآخر ؟

ذلك نرى العرب يخطبون خطط عشوائية في تقسيم « برمك » فانهم لم يكونوا ليتصوروا ان تكون كلمة « مك (مكا) » غير « مكة » فاضطروا الى القول ان البرامكة « وصفت لهم مكة وحال الكعبة بها ولما كانت تراثا ومن والاها من العرب يأتون اليها ويعظمونها فاتخذوا بيت النوبهار مضاهاة لبيت الله الحرام » (ياقوت) أما « بر » فقد كان في متناولهم كلمة « بور » بمعنى الابن بالفارسية فلجلوا اليها . تم جاء المؤرخون واللغويون من الفرس فلم يكن منهم الا ان اعتمدوا على علمهم باللغة الفارسية فتخرصوا بأن تكون « برمك » مشتقة من « برمكدين » ثم دعموا هذا التخرص برواية مختلفة كما مر . ولكن الحقيقة التي تنسجم « وهار » واباها هي ان « برمك » املها باللغة السنكريتية « برمك » ومعناها الصدر او ذو الرئاسة العليا ، لم يلقب بهذا اللقب احد من سادات بيوت النار او معابد الجوس ، بل ائمها اختص به رؤساء النوبهار لاسباب ذكرناها آنفا .

ولعل من الواجب في هذا المقام ان اثبت ان اول من اشار الى كون « النوبهار » معبدا للبوذيين (وهار)

(20) كذا . زيادة في ابن الفقيه لا توجد في ياقوت .

الكتب من المنسكيرية (الفهرست 2/45) ثم انظر إلى جعفر البرمكي يقدم صالح بهلة إلى الرشيد لمعالجة ابن عمه ابراهيم بن صالح (21) وينج إبان الشاعر جائزه تدرها مائة ألف درهم على نظمه قصيدة كليلة ودمنة (22) أما تصب السبق في هذا الميدان فكان ليحيى بن خالد — حفيد أبي خالد الذي نشأ في بلاد تشمير وتعلم هناك « النجوم والطب وأنواع الحكمة » فإنه هو الذي جلب من الهند علماء وأطباء أمثال بهلة ومنكة وبازيكر قلبرقل وسندباد الذين أقاموا ببغداد ، وربما أسلم بعض أولادهم مثل صالح بن بهلة والذين عرفوا العرب الطب والبلاغة عند أهل الهند (23) ، ولكن أهم الأعمال التي تمت على يدي يحيى بن خالد اطلاقاً هو ارساله رجلاً في بعثة علمية إلى الهند « ليأتيه بمعاقير موجودة في بلادعم وأن يكتب له أدبياته » (الفهرست 345) فإن التقرير الذي وضعه هذا المبعوث ربما كان هو المرجع الوحيد للعرب والمسلمين في كل ما يتعلق بالموضوع طوال مدة قرنين إلى ظهور ذلك النابغة الحق أبي ريحان البرووني . وقد وقع في يد ابن النديم نسخة من هذا التقرير مكتوبة « يوم الجمعة لثلاث خلون من المحرم سنة شمع واربعين ومائتين » ومطابقة حرقنا نسخة أخرى بخط يعقوب بن اسحق الكندي ، اورد منه ابن النديم مقتطفات تتضمن وصفاً لبعض المعابد وفرق الهندود (الفهرست 349 — 345) ونجد بمتنارنة بعض أجزاء هذه المقتطفات بما جاء في كتاب البدء والتاريخ (9/4 إلى 19) إن مؤلفه مطر بن طاهر المقدسي ، ربما اقتبس من ذلك المصدر نفسه . ثم ان بيان مطر بن طاهر المقدسي كانه جزء مما جاء (مترجم بالفارسية) في كتاب زين الاخبار لكرديزي في هذا الباب (24) وتد نص الكرديزي على أنه أخذ عن كتاب التوارييخ لابي عبد الله محمد بن أحمد الجيhamي وزير بنى سامان (أوائل القرن الرابع الهجري) ويذهب البروفسور مينورسكي إلى أن الجيhamي ربما اعتنى بدوره على كتاب المسالك الكبير (أصل المختصر الذي نشره دي غويه) لأن خردادبه . هذا وقد عثرت أخيراً على مخطوطتين في كتاب اخبار الزمان المنسوب إلى المسعودي (القاهرة 1938 م من 27)

هذا وقد جاء في التویری (نهاية الارب 29/12) عن محمد بن العباس المكي عن الاسباب التي حملت البراماكة على اللجوء إلى الهند ما هو أقرب إلى الصواب فإنه يقول : « لما قلت الاموال في أيديهم (الامویین) شرعوا في مصادرات الرعايا وأخذوا الاموال من غير وجهها وتعرضوا إلى اموال الاوقاف والإيتام فتعرضوا ولاة خراسان لبرمئوكولواده وطالبوهما بالأموال وكان تحت يد برمهك أوقاف جليلة مهرب هو ولده من أعمال خراسان إلى بلاد الهند مقابلاً بهما إلى ان ظهرت الدولة العباسية ... ثم قدم خالد بن برمهك وأخوه الحسين وأهلهما على المنصور ، ابى جعفر لما افاضت الخلافة اليه فاصطعنهم وادناهم وتربهم الخ (نفس الروایة في صبح الاعشى 126/2)

اولاً يجدر بنا أن نتساءل : لماذا هربت ام ابى خالد إلى بلاد تشمير ؟ لأن أصل البراماكة كان من الهند لا من ايران ولا يخفى ان تشمير كانت مركزاً من مراكز البوذية مثل خراسان وتركمستان وهناك نشأ برمهك ابو خالد على دين آبائه . لاشك ان الفرس ادعوا انتفاء البراماكة الى جاماسب وزير كستناسب ليثبتوا انها اسرة ايرانية عريقة في الوزارة ، كما ان العرب حاولوا ضم عظمة البراماكة الى أنفسهم بدعوى ان ام خالد جعلته من عبد الله أخي قتبة لكنها دعاء بقيت موضع الشك الى ايامنا هذه . أما الماء الشعراة الى عبادة النار في معرض هجو البراماكة فمن السهل جداً عدم الأخذ به لجهل العرب عامة بالفرق بين المجوس والبوذيين ولاطلاقهم « المجوس » على العجم كلهم . واخيراً لا ننسى انه كان في مصلحة البراماكة التضامن مع الفرس لاغراض سياسية ظاهرة .

اذن يتضح لنا كل الوضوح تلك الظاهرة القوية التي تستوقف كل من يتبع حركة نقل العلوم والأداب الهندية إلى بغداد ، وهي عنابة البراماكة الثامة بهذا الموضوع ، فانتنا نراهم يستخدمون جميع الوسائل الممكنة لعرض ما للهند على العرب وهم في ذلك يبدون كأنهم يعرضون شيئاً من عندهم على غيرهم . انظر إليهم يستخدمون ابن دهن فيعهدون إليه بإدارة المستشفى المعروف باسمهم والاشراف على ترجمة

(21) ابن ابى اصيمة 2/34 .

(22) الجھیماری 259

(23) البيان والتبيین 1 / 92 — منكه كان صحيحاً الاسلام ، كذلك في الحيوان 7/213 .

V. Minorsky: Gardizi on India, Bulletin of London School of Oriental Studies, 1948, XII/3 & 4.

كأنهما أصل الترجمة الواردة في كردبزي (البندان 41 و 42).

هذا هو الجو الذي ازدهرت فيه حركة نقل العلوم والآداب الهندية إلى العرب وإنما قصدنا إلى ابراز بعض العوامل التي ساعدت في قيامها ، ولاشك أنها بدأت قوية بحيث تكونت للعرب في أوائل القرن الثالث للهجرة فكرة واضحة جلية عن مدى براعة

الهنود في العلوم والفنون المختلفة ، كما بسطها الجاحظ في رسالة فخر السودان على البيضان ، وكما يجملها قوله : « إنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب وفارس والهنود والروم » (البيان والتبيين 1 / 137) أما استقماء نتائج هذه الحركة فهو موضوع مستقل لا سيما إذا تذكرنا أنها استمرت فيما بعد إلى أن بلغت ذروتها في شخصية البيروني الذي مر ذكره آنفا .

البرانس (جبال) :

جبال البرانس ويقول لها العرب أيضا جبال البرنات ويقولون اذا تجاوزت معابر البرانصة فاعلم انك قد دخلت في افريقيا (الحل السنديسية في الاخبار والآثار الاندلسية لشكيب ارسلان ج 1 ص 24 ط مصر 1355 - 1936) وذكر ارسلان أنها تسمى ايضا الجبل الحاجز او الفاصل (ص 36) ويسمون جبال فنتالة بجبل الشارات .

أبيات عامة



تَارِيخُهُمْ لغِيَّرُهُمْ

أَطْلَنْ طَلَة

عَبْدُ الْحَكَمِ فَاضِلٌ

هذا جانب من وصف ذلك (الطوفان) المدمر
الذى أغرق البشرية ، كالذى جاء فى ملحمة
فلقىش (1)

والشطران الموضوعان بين قوسين (. . .) هما
من اضافاتى لشرح المعنى الذى كان معروفا لدى
القاريء البابلى الذى له نظمت الملحمة فلم يجد
مؤلفها ضرورة لايضاحه . والذى يهمنا هنا ؟ فى
هذا الحديث الفريب موضوعاً والمجيب نتيجة ، هو
(ايراقال) الذى يرد اسمه فى المصادر الانكليزية
(Irragal) ، وهو عند البابليين . الا مياه العالم
السفلى التي تحبها دعائم او اعمدة ، وكأنهم كانوا
يتصورونها مثل دعائم السدود والخزانات تقام لحبس
مياه السيول والانهار . وكان اقدام هذا الاله
السفلى الشرير على قلع تلك الاعمدة هو تفسير زيادة
مياه الانهار عندهم وارتفاعها عن المستوى المعتاد
أحياناً ، أيام الفيضان كل عام . وكثيراً ما كان افتراق
السدود يفرق القرى والزرروع كما شهدنا مراراً في
الثلاثينيات والاربعينيات ، قبل بناء السدود المهمة
الأخيرة التي الجمت وأسرجت دجلة والفرات أيام

فحين لاحت للبصر
أولى طلائع السحر
انبعثت من أصل أفق السماء
غمامة سوداء
في جوفها يلعلم رب « ادد »
يسعى أمام فيه « خانيش » و « شولات »
لينذرا بين يديه في السهول والجبال
وانقلع الدعامن الالاه « ايراقال »
(فانهال ماء العالم السفلي)
وجاء بعده « نرتقا »
(رب الوغى ، بعزم القوى)
وتفق السدود . . .
وزمجرت
عواصف الجنوب ، يوماً أكملـاً
احتدمت
حتى طفى هبوبها العاتي ففطى الاجلاـ
تفتك فتكاً باللغوسي
هو جاء كالحرب الضروسـي !
ولم بعد اخ يرى اخاه ..
... الخ

(1) ملحمة شعرية بابلية ، سبق التنويه بها فى حاشية موضوع « عشتار » فى العدد الماضى .
ولكاتب السطور كتاب عنوانه « هو الذى رأى » يتضمن ترجمة شعرية للملحمة تتقدمها دراسة
عنها .

ما ثر اثنية قاطبة هو دحرها لجزيرة اطلنطة التي يجدون في مدونات لهم قد تمت ، أنها كانت قبل سبعة آلاف عام - من ذلك العهد - دولة عظيمة تقع قبالة أعمدة هرقل ، ويربو امتدادها على مجموع ليبيا وأسيا الصغرى . وقد كانت ممراً إلى جزر أخرى وقاره أخرى ، وكان البحر المتوسط مجرد ميناء لها . وتمتد امبراطورية اطلنطة من الأعمدة حتى مصر وتيرهنية (Tyrrhenia) . ويقول الكهنة المصريون « إن هذه الدولة القوية كانت قد عبّرت قوانها ضد مصر وهيلاس (Hellas) - اليونان - وجميع الاقطار المحاذدة على البحر المتوسط . وعندها دحرتها مدینتك بشجاعة ، فنذامت شهرتها في الأرض قاطبة . فقد قامت ، معرضة حتى وجودها للهلاك وقد تخلى عنها الهيلانيون الآخرون ، بصد الغير فوهبت الحرية عن طواعية لجميع الأمم الواقعه ضمن الأعمدة . وبعد ذلك بقليل حدث زلزال عظيم فثار كل قومك الصناديد في الأرض واختفت جزيرة اطلنطة كذلك في البحر . وهذا هو تفسير الفحاضن التي توجد في ذلك الجزء من المحيط الاطلسي » .

وتقول المعلمة البريطانية - ط 9 - عام 1875 ! - التي استقينا منها هذه المعلومات ان هذى هي المادة الاساسية لحكاية الجزيرة كما رواها القدمى ، وهي حكاية ان لم تكن خيالية بجملتها فهي تعود الى اشد اصقاع التاريخ عموماً . ولعل القصة تجسد اسطورة شعبية ، ولعل الاسطورة قائمة على ظروف تاريخية معينة ، أما ماذا كانت هذه (الظروف) فمن المتعذر البت فيه الان » .

لكننا نستبعد القول بأنها اسطورة شعبية لأن الأغريق الذين تخصصهم الحكاية احربياء عندئذ ان يكونوا قد سمعوا بها خلال ذلك العهد المطالوب . هذا الى ان الكهنة الذين رووها قالوا أنها من مدوناتهم ، لا من الاساطير المتدوالة . ويسعد قول المعلمة فقط اذا قلنا أن تلك المدونات القديمة نفسها تعتمد على اسطورة شعبية .

اما طبعة عام 1960 - الحديثة - من المعلمة البريطانية فتشكل في صدق افلاطون نفسه حيث تقول « ويتعدد البت الى اي مدى يعتمد هذه الاسطورة على اختراع افلاطون والى اي حد تقوم على وقائع لم يبق تسجيل عنها » .

هياجهما . وما دامت دعائم السدود الفوقية هذه قوية محكمة لم يعد يمكنها اقتلاع دعائم المياه السفلية التي تسبب فوران الانهار .

ويبدو ان ولعي بمقارنة الالفاظ وتمحيص معانيها واستعراض متشابهاتها قد ابتلاني بحساسية خاصة لا شعورية في بعض الالفاظ ، فما سمعت عيني كلمة (ايراقال) ، اعني ما وقعت عليها عيني وتحسستها اذني ، حتى قفز الى ذهني اسم هرقل (Herakles) بالاغريقية و Hercules باللاتينية) . لكني في العادة سرعان ما انبذ الاهتمام بالتشابه اذا لم اجد صلة معنوية تربط بين اللغتين . أما الشبه بين (ايراقال) و (هرقل) فلم استطع ان انبذ بهذه السهولة لأن شيئاً آخر قفز معه الى ذهني هو « اعمدة هرقل Pillars of Hercules بالإنكليزية و Hercules columnae باللاتينية) .

وإذا لحظنا ان اقدم اسماء هرقل على اختلاف صورها في اللغات الاوربية هو الاسم الاغريقي (هراكلس Herakles) الشبيه جداً باسم (ايراقال Irragal) البابلي لم يسعنا الا ان نتساءل جاذين : هل اعمدة هرقل هي نفسها اعمدة ايراقال ، او هل هي متقبسة منها ؟ هل هي اعمدة مائية ؟

ان اعمدة هرقل ليس لها تعريف واضح محدد ، وإنما يطلقها بعضهم على جزيرتين او أكثر في المحيط الاطلسي بالقرب من جبل طارق . ويطلقها بعضهم على جزيرتين او أكثر في البحر المتوسط بالقرب من جبل طارق ايضاً . ولا يدرى احد سبب هذه التسمية .

ثم قفزت الى خاطري مسألة اخرى . كنت قرأت في كتاب عربي ان هذا المضيق كان يقوم عليه جسر بأعمدة يعبر عليه الناس والدواب !

ومسألة رابعة . لترك المسألة الرابعة الان ، لكن نعود اليها حين يجيء دورها في تفسير غرق (اطلنطة) الذي تجرنا اليه ذكرى الطوفان البابلي .

اطلنطة (Atlantis) او Atlantica - قارة او جزيرة اسطورية كانت في المحيط الاطلسي ، كالذى رواه افلاطون نقاً عن بعض قدامى الكتاب . وخلاصة المعروف عنها ان كهنة مصرىين تحدثوا الى (صولون) عن تاريخ غابر لامته فقالوا له ان اعظم

«المحيط الاطلسي» من جهة وانها «تمتد من اعمدة هرقل حتى مصر» من جهة اخرى . فكيف نوافق بين هاتين القالتين ؟ كذلك سبق ان امتدادها «يربو على مجموع ليبية وآسية الصغرى» .. فما الداعي الى مقارنة اطلنطة بهاتين الرقعتين الكبيرتين من الارض في شرق البحر المتوسط وهي واقعة في المحيط الاطلسي ؟

ذلك غرق الاثينيين - في البحر المتوسط طبعا - لا يتفق مع اسم اطلنطة الذي هو اقرب الى اسم المحيط الاطلنطي او الاطلسي منه الى اسم اي بحر آخر .

ثم ما معنى قول الرهبان المصريين ان اثينا بدرها جوش اطلنطة » وهبت الحرية لجميع الامم الواقعة ضمن الاعمدة » ؟ فهل كانت هناك اعمدة لهرقل تحيط بالقطر الايثيني وعدد آخر - يبدو انه عدد كبير - من الاقطار ؟

هنا يأتي دور الحقيقة الرابعة التي خطرت لي مع اعمدة هرقل وكان نصيبها الارجاء حتى الان .

يقول الجفريون ان البحر الابيض المتوسط كان ارضا يابسة تصب فيها الانهار من اوربة وافريقيا اللتين كانتا من ثم متصلتين وان جبل طارق كان يمتد بينهما في اقصى الغرب منهمما كالجسر ، او بالحرفي انه كان يقوم بوجه مياه المحيط الاطلسي كالسد . ثم حدثت تقلبات ارضانية من الزلازل فانتفق الجبل وانقسم ، فتدفقت مياه المحيط الاطلنطي من ذلك الخرق العظيم الذي نسميه الان مضيق جبل طارق فأغرق ارضا شاسعة هي التي تسمى الان بالبحر الابيض المتوسط .. فانفتحت القاراتان اللتان كانتا رتقا .

واذن فان كان لاسطورة اطلنطة نصيب من الصحة فلا بد أنها كانت في منطقة هذا البحر الابيض المتوسط ، لا في المحيط الاطلسي .

وتشبه العقائد بين شعوب العالم القديم في كثير من الكلمات وبعض الجرئيات ، مثل عبادة الشمس والنجوم والظواهر الطبيعية .. يدل على أن عقيدة اعمدة التي تحجز المياه ويحكمها الاه ، قد كانت شائعة أيضاً منذ ذلك المهد السحيق يفسرون بها

والطبعة القديمة - الانفة الذكر - اقرب الى الانصاف والمنطق حين تعزو الشك في صدق الاسطورة الى تقادم العهد وطبيعة المؤثرات الشعبية بدلا من اتهام افلاطون باختلاف الرواية من اساسها، ومهما يكن فقد اثارت المسألة مجادلات طويلة. فكتابها قوم لهم وزنهم وصدقها قوم لهم وزنهم . لكن كاتب المادة في هذه الطبعة الحديثة من المعلمة اميل الى التكذيب حيث يقول كالمستذكر حتى في القرنين السابع عشر والثامن عشر كان صدق الاسطورة ينافي في جد ، وفي تصديق أحيانا حتى من قبل مونتايدين (Montaigne) وبفون (Buffon) وفولتير (Voltaire) !

ومما اضعف الحكاية واوهى حجتها كثرة الاساطير الشبيهة بها - والمنتقدة منها فيما نخال - منذ اودية هوميروس التي وردت فيها قصة شبيهة عن جزيرة الفايaciens (Phaeacians) . وقد اهتم الباحثون بعد عصر النهضة بتحقيق اسطورة اطلنطة ، وقال بعضهم انها امرية ، وآخرون اسكندنافية ، او الكناري .. وقال بعضهم انها فلسطين !

وارتدى بعض الاعراقيين (I) ان اخلف اوئلـك الاطلنطيين المفترضين هم الباستيون او قدامى الإيطاليين او غيرهم .

لقد انكر الكثيرون وجود اطلنطة لكن احدا من المتكلمين لم يستطع ان يدعم انكاره ببرهان مقبول . وقد ايد الكثيرون صحة وجودها لكن احدا منهم لم يتمكن من اثبات تأييده بذلك معمول . فهل في وسع اللغة ان تساغفنا ولو ببعض من التور في هذه الماتحة المظلمة ؟

ارشدتنا اللغة الى الشبه بين اسم هرقل وايراقال ، والى دعائم هذا وأعمدة ذلك . وقد جرنا الطوفان الذي احدثه قلع اعمدة ايراقال وأغرق البشر في العراق الى ذكري تلك الجزيرة او القارة التي اغرقها الزلازل في المحيط الاطلسي . فهل لهرقل علاقة ما باغراق اطلنطة ؟ هل قلع هو الآخر دعائمه فاهمك تلك الامبراطورية التجبرة ؟

ان اسطورة اطلنطة هذه تفرقنا بدورها في بحسر من الفوضى والتناقضات . فقد سلف انها تقع في

(I) نقصد بهم علماء الاجناس او الاعراق البشرية «ethnologists» ونقترح لعلم الاعراق البشرية «ethnology» مصطلح «الاعرائيات» على غرار الارضائيات لعلم «الجيولوجيا» .

وهو نفسه بدون تحرير او تحويل ، اسم الالات باللغة البابلية (Latona) . ويسمى الالاتين (لاتونة) ايضا . ومن فرط افتنانهم بالالات وتقديسهم اياها سموا من باب التبرك والتشريف على ما يظهر - ولديها من جوبيتر هذين باسمين مشتقين من اسمها بالإضافة الى اسميهما الاصليين ، وهما (لاتوبوس Latoius) : ابو لو ، و (لاتوبية Latoia) او (لاتوبية العذراء Latoia virgo) : ديانة (2) .

هذا الذى تقدم هو الذى يبرر لنا الى حد ما اتنا رجحنا كون اسم (هيراكلس) مقتبسا بكامله ، غير مجزأ . اطلقه الاغريق على الاه الدعائم المائية او لا ثم على البطل الانسان ، الاغريقي المشهور .. لا كما ذهب اليه كاتب المعلمة البريطانية من ان « شخصا حقيقيا او رئيا .. يمكن وراء اسطورة هرقل البالغة التعقيد » .. التي زادها ذلك التأثير الخطأىء من اسم (هيبرة) تعقيدا . وتسمية الاشخاص البشر باسماء الآلهة مألوفة منذ القدم ، منها تسمية بعض الملوك الراقدانيس نشهد منهم بالاوهين اللذين من ذكرهما فى اطلاق بلاء الطوفان وهم (آداد Adad) : الاه الزوابع والرعد والامطار ، و (نيرتا Ninurta) : الاه الحرب .

اما الناقضات التى سر حديثها عن موقع اطلنطية فتتحول مشكلتها بمجرد قولنا انها كانت فى البحر المتوسط ، لا فى المحيط الاطلسي كما توهم الاقدونون الذين خلعنتم مشابهة اسم هذا المحيط لاسم تلك لجزيرة . والذى يهدينا الي التأثير ان اسماء اطلنطس (Atlantis) واطلنطيقة (Atlantica) والمحيط الاطلطي (Atlantic) ترجع الى الل واحد هو الصحيح الصريح وتعنى (اطلس) ، وهو اسم عربي خالص يدل على قدم اكمال اللغة العربية وسعة امداده انتشارها فى ربوع العالم القديم .

(1) الفتان البابلية والاشورية متقاربستان لان الشعيبين بطنان من قبيل واحد . وحين استولى الاشوريون على بابل اخذوا اللغة البابلية الفصحى - اي الرسمية - لغتهم الرسمية والثقافية ، وتكونت على مر الزمن لغة قوامها مراج من اللغتين يسمىها علماء الراقدانيس اللغة « البابلية الاشورية » . ونفترض ادماج الاسمين اختصارا فى اسم واحد هو (babissoryan) .

(2) ويحمل بالإضافة الى ذلك ان يكون اسم « لاتو » او احد مشتقاته الل كل من (لاتيوم Latium) اي الواقع الذى تقوم عليه مدينة روما ، و (لاتينيوم Latinum) اي اللاتيني (اللاتيني) واللهة اللاتينية .

فيضان الانهار . واذن فهذا الجبل المنقسم هو المقصود بأعمدة هرقل ، لا الجزر القريبة منه شرقا او غربا . واذن فاللاه هرقل هو المجرم الذى قلع اعمدة مياهه فاغرق اطلنطية وبعض المناطق المحيطة بها مثلما كان ايراقال يرتكب جريمة قلع اعمدة المياه السفلية فى الراقدانيس كل عام فيحدث الفيضان الذى يتقونه بالسدود الكثيرة المنتظمة ، الا اذا فتق الاه الحرب (نيرتا) بعض السدود فيفرق الاراضي الغربة احيانا ، وذات مرة بالإضافة الى تفتيشه السدود أغدق الاه (آدد) مياه العالم العلوى ايضا فحدث الطوفان الاعظم الذى اغرق العالم كله واهلك الحرج والنسل .

كان هرقل الاه عند الاغريق ، ابوه جوبيتر ، وأمه (الكمينة Alcmena) . وكان اسم (هرقل) يطلق كذلك على بطل اغريقي انجز اثنتي عشر فعلاة يتعدى انجازها على البشر العادي . لكن المعلمة البريطانية - ط 1960 - تقول ان هرقل ، اشهر ابطال الاغريق ، لا يمكن ان يكون الاه فى الاصل لأن اسمه الاغريقي (Herakles) ربما كان يعني « العطية المجيدة من (هيبرة Hera) » ، لانه لم يكن للاغريق فقط الاه يتركب اسمه من اسم الاه آخر . « فلم رجل حقيقيا ، او رئيا .. يمكن وراء اسطورة هرقل بالغة التعقيد » - (مادة Hercules) .

بعد الذى رأينا لا نستطيع ان نطمئن الى صحة هذا التأثير القائم على تجزئة الاسم ل مجرد الشبه اللغوى الذى وجوده بين اسم هيبرة والنصف الاول من اسم هيراكلس - بالرغم من عدمهم بمخالفته لهذا التأثير لطريقة الاغريق فى تسمية آلهتهم . بل يغلب على الظن ان الاسم منقول بتمامه من اسم (ايراقال) او من اسم آخر كان آثلا لكليهما .

وشبيه بهذه التسمية المنقوله اسم (لاتو Lato) او ديانة وايلو ، اللذين انجبتهما من جوبيتر ايضا .

والاطلس (Atlas) اسم اطلقه الاغريق على الاه يسند الاعمدة الباسقة التي تستقي الارض والسماء منصفتين ، ثم مسخه الالاه (پرسوس Perseus) جبل صخري يعقا له على سوء استقباله . لكن الذى نخمنه ان العكس هو الصواب اي ان الاسم كان يطلق او لا على جبل اطلس ثم مسخته الاسطورة الاها .. على عادة الاساطير مع الجبال الاخرى والانهار والابسارات والاشجار والاحجار . وامتداد جبل اطلس حتى المحيط الاطلسي هو الذى جعل هذا المحيط يسمى اولاً « البحر الاطلسي » ثم « المحيط الاطلسي » ، نسبة الى الجزء العربى الاخير ، المجاور للمحيط ، من هذه سلسلة الجبوبة الطويلة .

وهذا ايضاً يؤيد ان اطلنطة كانت في البحر المتوسط لأن جبال اطلس موازية ومحاذية له، فمن المعمول عندئذ ان نسمى هذه الجبال باسمها . وهو من جهة يفسر قول اولئك الكهنة ان امبراطورية اطلنطة كانت تمتد من الاعمدة حتى مصر وببرهنية ، ويوحى اليانا من جهة اخرى ان ارض اطلنطة ربما كانت تتضمن هذه السلسلة من الجبال اي أنها لم تفرق كلها طبقاً لحدودها السياسية بل غرق الجزء المنخفض الاهم المأهول او المزدحم بالسكان منها ومن بعض القطرات المجاورة لها ، فقالت الاسطورة أنها غرفت كلها ، كما ان الفيضان البابلي اغرق جزءاً كبيراً من جنوبى العراق . فنالت اسطورتهم أنها اغرقت العالم كله . فعلى هذا ربما يمكن القول ان بعض اراضي المغرب العربي الكبير – من ليبية الى المحيط – كان جزءاً من امبراطورية اطلنطة

ويذكر القاريء ان الكهنة قالوا لصيولون انه بعد حدوث الزلازل العظيم « غار كل قومك الصناديد في الارض ، واختفت جزيرة اطلنطة كذلك في البحر . وهذا هو تفسير الضحاض التي توجد في ذلك الجزء من المحيط الاطلنطي » .

ان النصف الاول من هذه العبارة يؤيد كذلك كون اطلنطة في البحر المتوسط لأن قوم صيولون الصناديد فيه تقع بلادهم . وأما تلك الضحاض « في ذلك الجزء من المحيط الاطلنطي » فلا نعرف المكان المقصود به لكننا واثقون ان امم هذا المحيط مقسمة فى غير موضعه بسبب مشابهة الاسم الذى ضللت الرواية منذ قديم الزمان . غير انه يمكن تطبيق الضحاض على بحر ايجة الذى يكتنف ارض اليونان وعلى الارخبيل بوجه عام .

ومما يستأهل الذكر هنا ان الباحثين المحدثين قد وجدوا بقايا من طمى دلتة النيل في ذلك الارخبيل قرب اليونان ما ينبيء أن هذا النهر كان ينصب هناك ذات زمان ، أي أن أرض مصر كانت تمتد حتى الارخبيل الابجبي قبل الفرق . وذلك تأييد اي تأييد لقول الكهنة العلماء ان اطلنطة كانت قد عبأت قواتها ضد مصر وهيلاس ، لأن امتداد الارض المصرية حتى اسواحل اليونانية يعني طبعاً انهما كانتا متجاورتين .

وقد تسائلنا آنفاً عن معنى كلام الكهنة عن تحرر جميع الامم الواقعية « ضمن الاعمدة » ، الذى يوهم ظاهره ان هناك اعمدة كانت تحيط بعدد غير قليل من القطرات . فالآن تجيئنا حقيقة الفتق جبل طارق عن تسؤالنا . فالملصود هو جميع القطرات التي تقع ضمن المنطقة التي اغرقتها افلات اعمدة ، او البحر الذى لا منفذ له الى المحيط الاطلنطي غير تلك الاعمدة التي انقضت وزالت وبقي اسمها يطلق على مكانها .

واما نعث اطلنطة بالقاراءة تارة وبالجزيرة طوراً من قبل الكهنة أنفسهم فالظاهر أنها تسمية متأخرة . سميت قارة تعبيراً عن اتساع رقعتها ، وسميت جزيرة على اعتبار أنها كانت في المحيط الاطلسي .

لكن العجب العجاب هو شأن اولئك الباحثين الذين شخصوا الارض المفرقة بأمريكا واسكتنداونية والكتاري وفلسطين ، بعد عصر النهضة . ولم تذكر الملمة حجة كل منهم . لكن هذه اراض موجودة لا مفقودة ، ويجوز ان يقول ان زلزالاً قد ابرزها من البحر لا ان يقال ان زلزالاً قد اغرقتها في البحر .

واما قول القائلين ان جسراً كان يقوم على مضيق جبل طارق فهو صراح ، لأن العالم المتحضر لم يستطع حتى اليوم ان يقيم جسراً على مثل هذا المضيق البحري العريض .

لكن هذا الوهم قد سببه فيما يظهر ان بعضهم صار يسمى المضيق نفسه « اعمدة هرقل » فأقول ما يخطر على بال سامع هذه التسمية هي دعائم الجسر ، فخالفوا ان جسراً كان وزال . وحين يكون جسر يعبر الناس ، والدواب ايضاً .

ونعود الى قول الكهنة ان تاريخ اطلنطة يرجع الى تسعه آلاف عام قبل عهد صيولون ، فهذا لا نشك فيه لأن الحضارات وتأسيس امبراطوريات الضخمة والجيوش العباء المنظمة الجرار لم تكن قد ظهرت في ذلك التاريخ البعيد . ولا نستطيع نحن تحديد تاريخ

الجبال المفربة الموازية لها ، أو الداخلة ضمن منتقها على الارجح ، أو المعينة لحدودها الجنوبية . وقد سماها الاجانب اطلنطس (Atlantic) ، ثم سموا المحيط الاطلسي (Atlantis) نسبة اليها ، ثم هم عادوا الى القارة فسموها اطلنطيقية (Atlantica) نسبة الى هذا المحيط ، الذي حسبوها غرفت فيه .

كان الاغريق يسمون الثور *tauros* او اللاتين يسمونه (taurus) وهو اسمه العربي الواضح . حتى زيادة السين في آخر الاسم سبق ان اثنانها في العربية (في عدد سابق من « اللسان العربي » وفي كتابنا « مفارقات لغوية ») . وكان القومان – الاغريق واللاتين – كلاهما يطلقان الاسم على جبال طوروس . وربما كان الذين بدؤوا هذه التسمية قوما اقدم كانوا من الاتين والاغريق ، اي قوما كانوا يتكلمون العربية ، او كانوا يتكلمون لغة اقرب الى العربية من الافريقية التي تدل الملابس اللغوية على أنها هي الاخرى كانت في عهودها الاولى اقرب الى العربية .

فمن اجل هذا وامثاله من القرائن يسعنا القول ، انه لا يستبعد ان يكون هذا شأن الذين اطلقوا اسم (اطلس) على الارض التي تفهمها البحر المتوسط ، بمعنى الارض السوداء .

ولو اتسع بنا الوقت ومصادر البحث لاتينا بالكثير من التسميات الاوربية القديمة التي تناولت في العربية . ولعل لنا عودة الى تفصيل ذلك اذا تسرت لنا الفرصة ذات حين . ويكون الان أن نقول مثلاً ان اسم فرتبة *Corduba* باللاتينية (الذي اطلة (قريت طيبة) اي البلدة الطيبة (2) ، كما سماها بناتها الكنعانيون (الفينيقيون) (3) .. وكما يقول الباحثون .. يذكروننا باسم (ثيباي Thebae) الذي كان الاغريق يطلقونه على مدينة (طيبة) في مصر العليا ، وعلى مدينة ثانية في (بويو提ا Boiotia) اسمها قدموس الكنعاني ، وعلى مدينة ثالثة في (ساليه

ولو تقريبي ، لأننا لا نعرف متى وقع الزلزال الوخيم . وإنما هم الارشانيون الذين يسعهم ان يفيثونا في معرفة ذلك . لكن الواضح ان الرقم (9000) المبالغ فيه يتفق مع طبيعة الاساطير والتاريخ الموجلة في القدم ، التي كثيرا ما يداخلها الخلط والتزييد ، حتى لو كانت قائمة في اصلها على حقائق من الواقع .. كالذى نراه حتى في (تواريختنا) المعاصرة .

الرجح عندنا اذن ان اسم (اطلس) قد كانوا اطلقوه على اطلنطة نفسها اول مرة ، ثم انتقل الى سلسلة الجبال الموازية لها ، او التي كانت ضمن امبراطوريتها او حدودها كالذى نوهنا به قبل ، ومن ثم انتقلت التسمية الى المحيط الاطلسي .

ومعنى (الاطلس) في عريتنا الباقي : الاغبر الى سواد . وأصله فيما نعتقد : الاسود ، وهذا اصله المظلم ، من قولهم طلس البحر : ذهب ، وائله طمس البصر او التجم : ذهب ضوؤها ، اي اظلم . ومثل ذلك دلس ودمس ... (وقد ورد تأثيل هذه الالفاظ وتجانس معانيها في موضوع « دخيل ام انيل » في مكان آخر من هذا العدد من « اللسان العربي ») .

ويبدو ان تلك الارض انما سميت بالاطلس كنابة عن خصبها على غرار تسمية العراق « ارض السواد » .

وانذى يرجع ذلك ويؤيد ان الاقدمين كانوا يطلقون السواد على الارض المخصب لشدة خضرتها هو ان قدامي المصريين ايضا كانوا يطلقون نفس الاسم على بلادهم .

ومعلوم ان العرب كثيرا ما كانوا يذكرون بعض الالوان مكان بعض على المجاز او الاستعارة ، ومن ذلك اطلاق السواد على خضرة الزروع بوجه عام حتى صار قولهم « سواد البلد » يعني ما حولها من الريف والقرى (1) .

فاسم قارتنا المفقودة اذن هو (اطلس) على ما يبدو لنا من تسلسل تطور الكلمة ، ثم اطلقت على

(1) من امثلة خلط العرب الالوان بعضها ببعض تسميتهم الاسود اخضر - على العكس مما تقدم - في مثل قولهم « اخضر شاربه » اي اسود ، واصل المعنى نبت . كذلك قولهم « القبة الخضراء » اي الزرقاء ، و « زرقاء المانيا » اي سودها . والبغداديون يقولون ان الخوخ مثلاً « ازرق » اي اخضر ، فوج لما ينضج .

(2) جاء في الآية : « بلدة طيبة ورب غفور » مما قد يدل على ان هذا التعبير كان مألوفاً ومستحباً عند العرب ، ومن ثم سموا به قرطبة ، وغيرها ايضاً فيما نظن .

(3) يراجع فصل لنا في المصادر المذكورة عن تسمية « فئيقية » .

التي سمي فيها فريق آخر منهم ذلك الربع الفريق
(اطلس) .

ولنزيد الامر غرابة وتطلبا للتأمل وانعام النظر
فنقول لعل اسم (تايسوان) (1) – اي جزيرة فرموزة
كما سماها البرتغاليون الفاتحون – ايضا من هذه
الفترة فهو قريب من اسم (تيبت) ولاسيما اننا سمعنا
من احد الصينيين ان اسمها يعني الارض او الجزيرة
الجميلة !

فمن من قرأتنا اكرام تناح له الفرصة لمعاونتنا في
التحقق من هذه وتلك ؟

فيثيوتيس (Thesalia Phthiotis) ، وعلى بلدة رابعة
في (ميسية Mysia) وهي التي دمرها اخبل .

وان كان بعض هذه المدن حديثا كعنانيا كتلك
التي بنهاها قدموس في بويوتية فلعل (طيبة) مصر
وبعض الاخباريات أقدم عهدا من ذلك بأحقاب كثيرة ،
ولعلها معاصرة لقارة اطلس .

ولولا خشيتنا الاغراق لقلنا ان بلاد (التيبت
(Tibet) في احضان هملاية ايضا قد تكون من هذه
المجموعة الاعربية ولاسيما اذا كان الاسم يعني في لفظهم
قديما او ما زال يعني الطيبة او الحسنة ، او ما الى
ذلك . فان صح هذا كان لنا ان نستنتج ان فريقا من
العرب سموا التيبت بالطيبة ربما في نفس الحقبة

(1) ان الحروف B و W و V . كثيرا ما يحل بعضها محل بعض في مختلف اللغات . وفي الفارسية
ينطق الواو باء في بعض الالفاظ مثل كتاب وکاو : بقرة . لهذا تنطق تايسوان في الفارسية
مثلا : Tayban و Tayvan .

مُلَاحَظَاتٌ مِنْهَجِيَّةٌ حَوْلَ الْدِرَاسَاتِ الإِجْتِمَاعِيَّةِ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ

الدكتور محمد عبد المولى (تونس)

اقتصر هذا المعهد في البداية على البحث في العلوم الجنائية كعلم الجريمة وعلم كشف الجريمة ، وعلم العقاب ليصبح بعد ذلك سنة 1960 «المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية». وانطلاقاً من هذا التاريخ أصبح المعهد يعني بالعلوم الاجتماعية بمعناها المعروف ، ويعنى بذلك علم الاجتماع ، وعلم النفس ، وعلم الأنثروبولوجيا الاجتماعية (1).

- وتأسست ، حوالي سنة 1962 ، دائرة
لعلم الاجتماع في كلية الآداب والعلوم الإنسانية
بجامعة اللبنانيّة ويمكن للطالب أن يتخرج منها
بالإجازة في علم الاجتماع .

— وفي تونس تأسس فرع خاص بالعاصمة الاجتماعية سنة 1964 ... كما تأسس مركز للبحوث الاجتماعية الى جانب مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية (C.E.R.E.S) ومن المعلوم أن هذا المركز يضم الى جانب البحوث الاجتماعية شعباً عديداً مثل شعبية الألسنية والحقوق والاقتصاد والديمغرافية . ومن ميزة هذا المركز — الذي كان يتلقى اعانة مالية من مؤسسة نورد الأميركية حتى سنة 1971 — أنه يهتم بالبحوث الميدانية وخاصة في الحقول الاجتماعية والديمغرافية (2) .

ان مجتمعنا العربية الاسلامية ، والمجتمع المغربي جزء منها ، في اشد الحاجة الى دراسات اجتماعية لجميع مشاكلها ومؤسساتها ونظمها وقطاعات حياتها الاقتصادية والسياسية ، والثقافية

فالباحث العلمي الاجتماعي يعد في الواقع تقليداً جديداً في مجتمعنا ، وليس للعرب فيه اسهام حديث يستحق الذكر . هذا اذا استثنينا العلامة العربي عبد الرحمن بن خلدون (1332 - 1406) الذي كرسنا له ، خارج هذا العرض بحثاً خاصاً .

علم يصل ، الى علمنا ، ان احد الباحثين العرب
تمكن من ربط تراثنا العلمي العربي في حقل الدراسات
الاجتماعية والسياسية بالحركات الفكرية والعلمية في
العالم ، وخاصة ربط هذا التراث بحقول علم الاجتماع ،
وعلم النفس الاجتماعي ، والأنثروبولوجية الاجتماعية ..

ان محاولات اجراء البحوث الميدانية والعلمية في حقول علم الاجتماع (سوسيولوجيا) وعلم النفس الاجتماعي ، في المجتمع العربي ، ما تزال في بدايتها ..

- فالبنية لجمهورية مصر العربية ، فنان البحث الاجتماعي ما زال في بداية المحاولة وليس له جذور راسخة ... ويعتبر انشاء المعهد القومي للبحوث الجنائية عام 1956 نقطة الانطلاق في هذا المجال :

(١) انظر : الدراسات الاجتماعية . وتطوير المجتمع للسيد ياسين . (الطبيعة - العدد العاشر - أكتوبر ١٩٧١ - ص ٩٥ - ١٠٠) ص ٩٥ - ٩٦

النظر متاربع البحث العلمي في نشرتين خاصتين : (1969 و 1970) .
"P.S.E. LES " 23 rue d'Espagne.

1) Programme des Travaux de Recherche - (I.P.S.E.J.E.S.), 23, rue d'Espagne.
2) Programme des Travaux de Recherche - 1970 (C.E.R.E.S.), 23, rue d'Espagne.

2 - اقتصر الجيل الاول من الباحثين واساتذة علم الاجتماع - وكان تكوينهم في الغالب فلسفيا - على تدريس علم الاجتماع (سوسيولوجيا) ، على غرار التقليد الفرنسي التي تهتم شديد الاهتمام بالمقارنة بين الامكانيات والمدارس السوسيولوجية ، مقارنة تفتقر الى الدراسات الميدانية والواقعية ... وانصب جزء كبير من اهتمامهم على شرح اعمال المدرسة الدوركاليمية (1) ابتداء من مؤسسها اميل دوركيم ومرورا باعمال نوكوني (2) عن المسؤولية وسلامتين بوقلي (3) في كتاباته عن المساواة : والديمقراطية امام العلم ورينسي هيربرت (Hubert) (1854 - 1954) في قواعد السلطة في الديمقراطية .. ودراسات ليفي بيريل الانثربولوجية ... الخ .

وقد اقتصر هؤلاء الأساتذة والباحثون الرواد : كما فعل زملاؤهم في أمريكا اللاتينية على التقل دون الفحص والتفسير والتوصيل . وهذا يعني ان هؤلاء جميعا لم يهتموا بربط النظريات الاجتماعية بالظروف الاقتصادية والسياسية التي نشأت وترعرعت في ظلها، فلا يمكن بأية حال من الاحوال ان نفهم مدرسة اميل دور كيم الا في ضوء اوغست كونت (4) الذي هو الآخر لمن يفهم في معزل عن ظروف مصر الذي عاشه : مثلاً المصراع بين البورجوازية والطبقات الكادحة على مستوى حركة المجتمع ، وبين الايجابية الوضعية (Positivisme) والاشتراكية على مستوى المصراع الايديولوجي .

ان الدراسات داخل هذا الاطار تساعدهنا كثيرا على فهم اوغست كونت وبالتالي اميل دوركيم .

ويقول كاتب معاصر في هذا الصدد : «عجز هذا الجيل عن تقديم منظور سوسيولوجي للمعرفة يربط بين الفكر وبين البناء الاجتماعي برباطوثيق ، وبالتالي قدم الفكر السوسيولوجي الفرنسي معزولا عن جذوره ، وبكل ما يتضمنه من تحيزات ايديولوجية ماركسية ، لم يكن الغرض منها سوى الحفاظ على مصالح الطبقة البورجوازية الاوروبية ، وأهم هذه التحيزات ضرورة الفصل بين القيم والواقع ، ومنع

- ومنذ سنوات قليلة تأسست جمعية جزائرية للدراسات الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية Aardes ، وهي تقوم بتنفيذ طلبات وزارة التخطيط والاقتصاد الوطني . كما اكد لي ذلك مديرها - وأعمال هذه الجمعية لا تعمد ان تكون جمع المعلومات الحيوية واصحاءها ونجزها .. حول ناحية معينة او موضوع معين كالملكية الخاصة ، او الاستهلاك العائلي ، او احصاءات تتعلق بالسكان .. الخ بحيث ليس هنا بحوث اجتماعية بالمعنى العلمي للكلمة . - وفي المغرب الاقصى أنشئ معهد العلوم الاجتماعية ثم الحق بكلية الآداب .

اما دائرة العلوم الاجتماعية في جامعة الجزائر، فبحكم حداثة سنها لا اشعاع علمي لها .. ربما ذلك راجع الى قلة الباحثين والاساتذة الاكتفاء .. وفي سنة 1967 تأسس قسم خاص بعلم الاجتماع في جامعة بغداد .

هذه هي ، باختصار محاولات الاعتناء بالبحوث الاجتماعية ، وهي تجربة لا تزال تلتمس طريقها الى النمو والاصالة والابداع .

ولا يسعنا امامها الا ان نبدي الملاحظات المنهجية التالية :

1 - ان اللغة الاساسية لتدريس العلوم الاجتماعية والبحث العلمي الاجتماعي ، في كليات ومعاهد الشرق العربي هي اللغة العربية .. الى جانب لغات اجنبية مساعدة .

اما اقطار المغرب العربي ، فان الفرنسية هي المعتمدة كأساس للتدريس والبحث في حقول الدراسات الاجتماعية ، نستثنى من ذلك دائرة العلوم الاجتماعية بجامعة الجزائر التي قطعت خطوات موفقة في تعريب العلوم الاجتماعية . ومن المألوف ان نلاحظ ان جل الباحثين في علم السوسيولوجيا بتونس والمغرب الاقصى ، عندهم جهل يكاد يكون تاما باللغة الوطنية والتراث الشعبي ، وبالتالي بلغة المجتمع ورموزه وتاريخه ...

Emile Durkheim (1858-1917)	(1)
Paul Fauconnet (1874-1938)	(2)
Célestin Bouglé	(3)
Auguste Comte (1793-1857)	(4)

الظاهر بطبعيتها ورموزها ولغتها ، وحركيتها وتفكيرها الديني ، — استعملوا طرائق منهجية قد تكون صالحة لدراسة مجتمعاتهم ، والتطور التاريخي والاجتماعي والفكري لها — فإذا ما تهافت الباحثون العرب وخاصة في المغرب العربي — لا من رحم ربك — على هذه الدراسات التي وضعها الآجانب عن المجتمع العربي وتاريخه ، فانهم يفقدون بذلك موضوعية بحثهم ويرتكبون بذلك ، خطأ منهجيا ، خطير العواقب (1) .

لابد اذن ، والحالة هذه ، من إعادة النظر في دراسات الأوروبيين والآجانب من مستشرقين ومن دار في فلكلوم من أستاذة ودكتورة ، أن عدم ثقتنا بأنفسنا وتختلفنا العلمي والتكنولوجي ، والاقتصادي قد حبب ال بينما كل ما هو أجنبي « إلى حد أن هناك جماعات تعتقد ، كما أكد علال الفاسي ، أن الخير كل الخير هو في تقليد أروبا الغربية ، وأمريكا السكسونية ، وروسيا السلافية ، والمانيا الجرمانية ». .

5 — ان التقاليد الفرنسية في علم الاجتماع ، جعلت جل الدراسات الاجتماعية مبنية على مبدأ الحياد وتقلة الموضوعية ، وهذا الموقف لا يمكن ان يفسر الا بتطور المجتمع الأوروبي نفسه . ذلك ان المجتمعات الأوروبيية — والمجتمع الفرنسي جزء منها — قد تأثرت بمؤثرات وحفت بها ملابسات ، ما عاشتها مجتمعات العالم الثالث ، والمجتمعات العربية الإسلامية خاصة : مرت هذه المجتمعات (الغربية الرأسمالية) بعصور الانقطاع والجهل والظلم ، الى عصور الثورات التي عصفت وما تزال : فمن ثورة فكرية في القرن السابع عشر ، الى ثورة سياسية في القرن الثامن عشر ، الى ثورة اقتصادية في القرن التاسع عشر الى ثورة اجتماعية في بداية القرن العشرين كل هذه الثورات بذاتها المختلفة وملابساتها الخامسة جعلت للمجتمع الأوروبي ترکيات وانظمة خاصة بها ، وبالتالي تفكيرا اجتماعيا وسوسيولوجيا خاصا . ولا يتسع المجال هنا لعرض تطور الفكر الاجتماعي في أروبا (2) : بل نشير فقط الى ان علم الاجتماع قد ولد صفة رسمية في أروبا في القرن التاسع عشر ، (وفي الوطن العربي في القرن الرابع عشر على يد العلامة

الباحث الاجتماعي من تقييم الظواهر الاجتماعية او الحكم عليها نزولا عن رغبة « موضوعية » العلم و « حياده » .

3 - وبعد سنوات جاء جيل من الأساتذة والباحثين العرب فأدخلوا ، لأول مرة ، في البيئة العلمية العربية مناهج وطرائق البحث الاجتماعية الميداني ، وشرعوا في تطبيقها على نطاق محدود جدا لا يتعدي الدراسات والبحوث ، للحصول على درجة الدكتوراه أو في صورة اعداد بحوث جزئية لدراسة موضوعات خاصة .

ومن الملاحظ ، في هذه المرحلة بالذات ، تأثر الباحثين والأساتذة العرب ، أو جلهم على الأقل ، بالمناهج الغربية وبأدوات البحث المستعملة في الغرب الرأسمالي وكان من الصعب أن تتوفّر الفطنة النظرية لدى الباحث الاجتماعي العربي حتى يكشف عن الجذور الإيديولوجية التي يزخر بها علم الاجتماع .

ولم يكن من الهين ، في هذه المرحلة الانتقالية على الباحثين العرب هضم ما درسوه في الشرق او في الغرب ، والاستقلال يوضع طرائق علمية وعلم اجتماع عربي — اسلامي له اساليبه وطرائقه لدراسة واقع المجتمعات العربية — الاسلامية ، ببنيانها وطبقاتها الاجتماعية ومشكلاتها ومؤسساتها ، وفي تحليل هذا الواقع بما احتوى عليه من قيم غنية خالدة ، الى جانب ما تضمنه من فوضى وتناقض ، صنعت بعضها ، عصور الاتحاط والظلم ، وصنع بعضها الآخر التخلف الفكري والمادي طوال الاحتلال الاستعماري في العصر الحديث .

٤ - ان استعمار المناهج المستوردة في دراسة المجتمعات العربية الإسلامية : دون نظر الى طبيعتها الخاصة وظروفاها وتطورها التاريخي والسياسي والاقتصادي ، ورموزها وحركيتها ، هو خطأ منهجي في منتهى الخطورة . انه مصدر سوء التفاهم والخلط الذي كثيرا ما يحدث في استعمال المناهج العلمية في غير ما وضعت له . واذ عمد الباحثون الأجانب ، الى درامة المجتمعات العربية الإسلامية ، رغم جهودهم

انظر بحثنا عن التحليل العلمي الشامل ... اللسان العربي - المجلد السابع الجزء الاول - يناير 1970
الرباط . ص . 342 - 349 .

2) انظر كتابا مبسطا لبوطول وهو مغرب :

بعد ، أساس علم الاجتماع الفرنسي . لقد وصلت معلومات فكرة علم الإنسان هذه إلى سان سيمون ، عبر الفلسفة المثاليين والاطباء . واحد هؤلاء الأطباء هو الدكتور بيردان (Dr Burdin) الذي أوحى إلى سان سيمون بأن يلقب علم الاجتماع بعلم ايجابي - (Physiologie) وضعي ، وكانته علم الحياة العضوية (Physiologie) أما أوغست كونت ، فابتدا أول الأمر بتسمية علم الطبيعة الاجتماعية كما فعل سان سيمون قبله ، والقصد من هذه التسمية ، هو المناداة بقيام علم جديد يكون على غرار علم الموجودات الطبيعية (Sciences naturelles) عايته دراسة الأحداث الاجتماعية ويتجانس مع بقية اقسام الطبيعة . وفي سنة 1835 تمكن الفلكي البلجيكي كاتلي من نشر تأليف عنوانه : « الإنسان وتطور ملائكته » أو في سبيل ميزياء اجتماعية ، ثم أعاد نشره سنة 1860 تحت عنوان « ميزياء اجتماعية » (2) (Physique sociale) كانت منهجة كاتلي في كتابه الآنف الذكر تعتمد على معطيات مختلفة ديمغرافية وأحصائية في دراسة الجريمة مثلاً . وقد اتضح له من خلال البحث والملاحظة أن القوانين التي تظهر في المجتمع ، تخضع لنفس النظام الذي تخضع له القوانين في الطبيعة . وقد توصل عبد الرحمن ابن خلدون ، قبل كاتلي بقرن ، إلى نفس الملاحظة ، إذ قال : « شأن المجتمع في ذلك (النوميس والعلل) شأن عالم الطبيعة وناموس العلة واحدقيهما (3) .

اما أوغست كونت مكان ينتهي طرائق مغایرة ، وهي ان هناك انقطاعاً بين علوم الطبيعة والعلوم الاجتماعية ، وبالاضافة إلى كراهيته الشديدة للأحصاءات وحساب الاحتمالات ، رفض أن يسمى هذا العلم العلم الجديد بالفيزياء الاجتماعية واختار له أخيراً اسم آخر هو علم الاجتماع (Sociologie) ، وذلك لاسباب شخصية بينها في كتابه : « دروس في الفلسفة الإيجابية » (4) .

عبد الرحمن ابن خلدون) ، لكن لا بد من الرجوع إلى القرن السادس عشر لنعرف « إن أزمة المؤسسات السياسية والدينية والتربوية قد أدت إلى خلق علم اجتماعي لم ينضج بعد ، ولكنه كان متقدماً على آية حال ، للنظام المسائد والأفكار التي تؤيده . مثلاً : قام رابلي ، قبل الثورة الفرنسية (1789) بنقد اجتماعي كما قام منتاني (Montaigne) بتحليل عملية جعل التقافة والعلم والتربية ، لاتكية ، يعني أن التربية ، بعد أن كانت جهازاً تابعاً للكنيسة ، تصبح شيئاً فشيناً جهازاً تابعاً للدولة . وقد قال ما معناه : « إن العلاقة بين الكنيسة والدولة أو العلاقات بين الكائنات وجميع أشكال الدولة في أروبا ، وعلاقات الكائنات بالمدارس والمؤسسات ، وكذلك علاقة العائلة بالكنيسة ... يجب أن تنقلب رأساً على عقب وذلك حسب عملية انتقال لها جميع خصائص الزلازل الأرضية (او السماوية ؟) . ان هذا التحليل والموقف الانجذاري لا يعود أن يكون ، في ذلك الوقت ، محاولات انتقادية أشبه ما تكون بالأدب الساخر . نظراً لنقدان الكشوف البیدانية والاحصاءات .. (1) »

6 — ومن المتأسف ، في تاريخ الفكر الاجتماعي الحديث أن علم السوسيولوجيا قد ولد في نفس الوقت الذي اخترع له أوغست كونت (1798 - 1857) هذا الاسم⁽²⁾ (Sociologie) في أغلب الأحيان ينسى أن هذه التسمية قد وضعت كرد مضاد لمؤسس آخر وهو كاتلي (Quetelet) عندما كان أوغست كونت سكرتيراً خاصاً لهنري سان سيمون (H. de St Simon) (1760 - 1825) الذي أستوحى « فكرة علم الإنسان » من كتاب دائرة المعارف ، ولا شك ، أن لهم أهمية فائقة في عصر سان سيمون : كانوا أول من عمل على جمع العلوم في مؤلف واحد ، بعد ما أكروا وحدة المعارف الاجتماعية ، ثم توصلوا إلى وجوب نصل النظرية عن الواقع ، وهذا الفصل أصبح ، فيما

(1) انظر كتاب :

Clefs pour la Sociologie, Seghers, Paris 1971 (par Georges Lapassade et René Lourau), p. 25

Sur l'homme et le développement de ses facultés, ou essai de physique sociale. (2)

(3) انظر : المقدمة في النصوص الفلسفية الميسرة لكمال اليازجي . ص : 408

(4) الجزء الرابع ، الدرس 47 . ص : 252

ابن الحاجب المصري وأثره في الدراسات اللغوية

للدكتور عبد العال سالم مكرم
أستاذ النحو العربي بجامعة الكويت

الحركة التحوية في عصره :

الستتهم ، ويصلح كلامهم ، وتقهم رسائلهم ، ويكونوا مربين من هذا الشعب العربي الذي يخضع لحكمهم . من أجل ذلك لم يكن عجيبا أن يضرب ملوك هذه الدولة باسم وأفر في إيجاد حركة تحوية قوية .

وقد بلغ بالملك العزيز أن ينتقل لطلب العلم بين الإسكندرية والقاهرة ولا يجد حرجا في أن يجلس مجلس التلميذ أمام معلمه ، وكما أخذ هذا الملك الحديث في الإسكندرية عن الحافظ السلاني ، والنفع من أبي طاهر بن عوف الزهرى أخذ النحو بمصر عن العلامة ابن بري التحوى (1) .

اما الملك الكامل فانه اشتهر بضفة خاصة بعلم النحو، وله فيه آراء وأفكار مما هيأ له ان يكون عالماً بهذا الفن ، مسلماً بمسائله ، خبيراً بمشكلاته فاهماً لخلافاته والغازة .

وهذه المنزلة التي بلغها الكامل جعلت العلامة ابن بري يمنحه اجازة في هذا الفن (2) .

ومعنى هذه الاجازة ان هذا الملك وصل الى درجة الافتاء في النحو والتعبير في مسائله والقدرة على حل مشكلاته .

كان للخلفاء الفاطميين قبل بني ابيوب عناية خاصة بالنحو العربي وفضل كبير في نشره ، ورعاية كتبه ، ورصد الجوائز للتابعين من أبنائه وحرصهم على ان تسير كتبهم وتعاليمهم ورسائلهم على نهجه حتى انه بلغ بهم الامر ان عينوا ابن باشاذ التحوى محررا في ديوان الرسائل والاشاء ، وكان ابن باشاذ من كبار التحويين والقراء في هذه الدولة .

واذا كان الشأن كذلك في الدولة الفاطمية فان دولة بني ابيوب لم تكن اقل منهم عناية بهذا العلم ، بل ان ملوك هذه الدولة جعلوا النحو في مقدمة العلوم التي يتعلمونها لما له من فضل كبير في تقويم السنة ، ومهم القرآن ، ومعرفة اسرار السنة هذا فضلا عن انهم لم يكونوا عربا ، لأنهم اكراد ، واللحن في الستتهم سليقة وطبيعة ، وقد جاءوا على انتقام دولته عربية ، كانت العربية في ابنائهم جبلة وطبعا ، ومع هذا لم يقتروا في تعليمها ، والالامام بقواعدها والزموا ابناءهم بتعلمها لاختلاطهم بغيرهم ومن فسدت الستتهم ، وكثير اللحن في كلامهم .

لهذا فقد رأى ملوك بني ابيوب انهم احوج الى تعلم العربية من سبقهم من الفاطميين حتى تستقيم

(1) النجم الظاهرة ج 6 ص 127

(2) النجم ج 6 ص 228

يقول صاحب النجوم « ... وكان عنده مسائل غريبة من الفقه والنحو يوردها فمن أجابه حظى عنده » (3) .

على ان هذه المنزلة التي وصل اليها الكامل في علم النحو لم تصل الى الدرجة الكبيرة التي وصل اليها اخوه الملك المعظم عيسى ملك الشام في هذا المضمار فقد كان المعظم عيسى اديباً نحوياً ، يحب الادب ، ويقدر النحو والتحاة ولعل نشاته بالشام ، وقراءته الادب والنحو على تاج الدين الكندي كان لها اثر كبير في تكوين شخصيته النحوية الادبية هذه الشخصية التي كانت المع شخصيات ملوك هذه الدولة ، وبخاصة في الميدان العلمي .

وقد ترا المعظم عيسى كتاب سبيويه على التاج الكندي والم بشرحه الكبير للسيرامي وكتاب سبيويه في حقيقة امره مدرسة قائمة بذاتها فكل من فهم هذا الكتاب ، وركب هذا البحر ، ووقف على اسراره ، وغاص الى درره كان حرياً به ان يتتصدر في التحو ، وأن يكون علماً من اعلامه .

ولم يقف امر المعظم عند هذا الحد ، بل انه نبغ في القراءات والقراءات والنحو متلامذان ، فقرأ كتاب الحجة لابي على الفارسي في القراءات على شيخه تاج الدين الكندي وقرأ ايضاً عليه كتاب الايضاح لابي على الفارسي حفظاً (4) .

لهذا كله يحق لنا ان نقول : ان احتضان الملك المعظم عيسى لعلم النحو والقراءات افاد هذا العلم فائدة جليلة ، لأن الناس على دين ملوكهم كما يقولون فقد اتيل المتعلمون على التحو ، وفتح لهم الملك المعظم عيسى ابواب تعليمه ، وتعلمه بل انه جعل لكل من يحفظ كتاب سبيويه جائزة كبرى فتنافس الطلاب في حفظه وتعاونوا على فهمه مما كان له اثر كبير في ايجاد حركة نحوية ، وبخاصة في اقليم الشام حيث يعيش هذا الملك ، وتعيش معه عطایاته وجوانذه .

ومن حسناته التي خلدها التاريخ انه انشأ مدرستين للتخصص في الدراسات النحوية ، واحدة في القدس والآخر في دمشق .

(3) النجوم ج 6 ص 237 .

(4) النجوم ج 6 ص 267 .

(5) خطط الشام ج 6 ص 119 لمحمد كرد علي .

(6) الحياة المقلية في عصر الحروب الصليبية ص 41 .

2 - شاته :

ترأ على أبي الفضل الغزنو ، وأبي الجود اللخمي ، وأخذ عن الشاطبي القراءات كما أخذ عنه النحو (12) .

ولم يقتصر ابن الحاجب على ما أخذ من علماء القاهرة فاتجه إلى دمشق ليأخذ عن أسانتها ، وبكار علمائها مما كان له اثر كبير في تكوين شخصية ابن الحاجب العلمية التي استطاع مصاحبها بفضل ما أتيه من قوة في التفكير وقدرة في النكاء ، وبنوع في العقل ان ينبع بما أخذ من كبار العلماء في عهده .

4 - حياته :

ولما تسلح ابن الحاجب بما يتسلح به العالم من شتى انواع العلوم والمعرفة جلس لللغادة وتربد بين القاهرة ودمشق مرات كثيرة ، واقامته بدمشق مكنته من ان يكون « مدرساً للمالكية » وشيخاً للمستديرين عليه في علم القراءات العربية (13) .

وقد كانت المادة التي تشغله حيزاً كبيراً من تفكيره هي مادة النحو فقد ظل في دمشق يؤدي رسالة العلم والمعرفة ، وكان الأغلب عليه دراسة النحو (14) . واقامته في دمشق لم تستمر بسبب حدث العز بن عبد السلام مع الملك الأشرف فقد كان هناك خلاف بين العز وبين الأشرف ولم يجد العز من يقف في جانبه من العلماء ويشد أزره في محنته غير ابن الحاجب ، وكان هذا الموقف من ابن الحاجب سبباً في تغير الملك الأشرف عليه ، وكراهيته له ، مما أدى به ، وبصاحبه إلى الخروج من دمشق والعودة إلى مصر (15) وكانت عودته إلى مصر سنة 628 (16) وفي مصر تصدر بالفاضلية ، وجلس في موضع الشاطبي (17) .

ولد في أواخر سنة 570 هـ بأسنا من بلاد الصعيد « وهي بلدة كبيرة خرج منها جمع كبير من أهل العلم والآدب (7) .

وقد انتقل إلى القاهرة صغيراً ، لانه كما تحدثنا دائرة المعارف الإسلامية قد حفظ القرآن الكريم ، ودرس العلوم المتصلة به كالفقه وأصوله على مذهب الإمام مالك ، وكذلك النحو والآدب (8) .

وأشتهر باسم الحاجب ، لأن آباء كان حاجباً للأمير عز الدين موسك الصلاحي (9) ووظيفته الحاجب كانت في هذا العصر وظيفة لها مكانتها الاجتماعية ، لأن الحاجب « كانت مهمته ادخال الناس على السلطان حسبما تقتضيه الضرورة بالسماح لهم بالثول بين يديه ، مراعياً في ذلك مقامهم ، وأهمية أعمالهم ولم تتفهمه عند هذا الحد ، بل كان يفصل فيما يحدث بين الامراء والجنود ، وذلك بعد استشارة السلطان او نائبه (10) .

وهناك رواية أخرى يرويها بعض المؤرخين حيث يقول : ان آباء لم يكن حاجباً ، وإنما كان يصحب بعض الامراء فلما مات كان أبو عمرو صبياً فرباه الحاجب فعرف به ، ولكن الأدفوبي في الطالع السعيد ينفي هذه الرواية ، ويؤكد أن الرواية الأولى هي المشهورة (11) .

3 - شيوخه :

وانقاله إلى القاهرة ، واقامته فيها يسرت له الانصال بكتاب الشيوخ والعلماء والجلوس في حلقاتهم ، والأخذ منهم ، والتأندب عليهم .

(7) الطالع السعيد للأدفوبي ص 16 مطبعة الجمالية.

(8) دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول ج 2 ص 126 .

(9) شذرات الذهب ج 5 ص 234 .

(10) الظاهر بيبرس للدكتور جمال الدين سرور ص 132 .

(11) الطالع السعيد من صفحة 188 إلى 195 .

(12) الطالع السعيد من صفحة 188 إلى 195 .

(13) البداية والنهاية ج 13 ص 179 .

(14) روضات الجنات من 8 — ع من .

(15) شذرات الذهب ج 5 ص 646 .

(16) الذيل على الروضتين ونهايات 646 هـ .

(17) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية من 139 د . بدوى .

5 - تلاميذه :

وأشهر تلاميذه الذين أخذوا عنه : المنذري الديمياطي أخذ عنه الحديث . أما علم العربية فقد أخذه عنه الرضي القسطنطيني (21) .

6 - ثناء العلماء عليه :

وصفه شهاب الدين أبو شامة فتى : « وكان من ذكرى الأئمة قريحة وكان ثقة حجة ، متواضعاً ، عفيناً ، كثير الحياة ، منصناً ، محباً للعلم ، واهله ، ناشراً له محتلاً للأذى صبوراً على البلوى (22) .

وأثنى عليه ابن خلkan فتى : وجاء لي مراراً بسبب أداء شهادات وسألته عن مواضع في العربية فنأجاب بالغ اجابة بسكون كثير وثبتت تمام (23) .

7 - كتبه :

خلف ابن الحاچب وراءه تراثاً ضخماً من العلم، وبخاصة علم النحو وكان هذا التراث مثلاً في كتبه . وقد قالوا عن هذه الكتب التي تركها لتحبي ذكره وترفع تدريه عند التحويين ، والدارسين للنحو ، « إنها كانت في غاية الحسن ورزقت قبولاً تاماً بحسنها وجزالتها » (24) .

وكتبه التحوية كانت مدرسة قائمة بذاتها ، عاش على مائدتها التحويون . وقد قال عنه الرواة انه : « خالف النحاة في مواضع ، وأورد عليهم إشكالات والزamas منحمة يسر الجواب عليها (25) . وقد قال الأدفوي يصف كتاب ابن الحاچب : « إن الناس انتفعوا بتصانيفه لما فيها من كثرة النقل مع صغر الحجم ، وتحرير اللفظ » (26) .

وكان الشاطبي إمام مصر في علم القراءات العربية ، وبالنهاية كثر الطلبة وقصدوها من كل مكان من أجل أن يأخذوا العربية عن ابن الحاجب .

وظل ابن الحاجب متصدراً بالنهاية ينفي تلاميذه ويملأ عليهم من مختلف العلوم وبخاصة علم النحو والقراءات حتى انتقل لاسكندرية للإقامة فيها .

ويذكر الدكتور بدوي في كتابه « الحياة العقلية » أن ابن الحاجب انتقل إلى الإسكندرية بعد تصدره بالنهاية ، ولا يدرى سبباً لهذا الانتقال (18) .

ويظهر لي أن ابن الحاجب – وإن فتح له باب النهاية ، وجلس في موضع رجل من كبار شيوخ مصر ، وهو الشاطبي – فقد كان مورده من قصده بالنهاية لم يمكنه من الحياة الهدئة المستقرة التي تتطلبها حياة العلماء لتجدد قرائحهم وتتنفس عقولهم .

ولم يجد في القاهرة من يحس بحاله ، ويشعر بحاجته ، فبكبه مؤونة البحث عن الرزق . فماجر إلى الإسكندرية عليه يجد فيها ما ينفيه في القاهرة .

وقد أوحى إلى بهذه الفكرة هذان البيتان اللذان يدلان على نفس ثلاثة وروح مضطربة ، وحياة بايضة.

يا أهل مصر رأيت أيديك
عن بسطهما بالنوال منقضية
ما جئت نازلاً بأرضك
أكلت كتبني كأنني أرضة (19)

على آية حال نفذ القى ابن الحاجب عصا
الشيار في الإسكندرية ولم تطل مدة اقامته هناك ،
فواناه الأجل في ضحي نهار الخميس السادس عشر من
شوال ودفن خارج باب البحر بتربة الشيخ صالح بن
أبي شامة سنة 646 هـ (20) .

(18) نفس المصدر والصفحة .

(19) روضات الجنات في باب العين من 8 ع . من .

(20) شذرات الذهب ج 5 من 234 .

(21) شذرات الذهب ج 5 من 234 .

(22) البداية والنهاية ج 1 من 179 .

(23) وفيات الاعيان ج 1 من 314 ط بولاق .

(24) روضات الجنات ، باب العين من 48 .

(25) شذرات الذهب ج 5 من 234 .

(26) تاريخ سوريا ج 6 من 237 ليوسف الياس مطران بيروت (ط بيروت) مطبعة بيروت سنة 1902

هذا وقد تسابق العلماء على شرح كافيته ، نظير لها شروح كثيرة باللغة العربية ، وبالفارسية والتركية .

وأهم شروحها باللغة العربية :

(1) شرح الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذى النحوى .

قال السيوطي : « لم يؤلف عليها ، بل ولا على غالب كتب النحو مثله جمعاً وتحقيقاً تداوله الناس ، واعتمدوا عليه ، وله فيها ابحاث كثيرة ومذاهب ينفرد بها ، فرغ من تأليفه سنة 686 هـ (28) .

(2) وصنف السيد ركن الدين حسن بن محمد الاستراباذى الحسينى ثلاثة شروح على الكافية : كبير وهو المسمى بالبسط ، ومتوسط وهو المسمى بالواافية ، وهو المتداول وصغير وتنوفى سنة 777 هـ .

(3) وشرحها تاج الدين أبو محمد أحمد بن عبد القادر ابن مكتوم القيسى الحنفى المتوفى سنة 749 هـ .

(4) ومن الملوك الذين اهتموا بشرحها : الفاضل الملك المؤيد عماد الدين بن الأفضل على الايوبي المعروف بصاحب حماة المتوفى سنة 732 هـ وهو شرح لطيف علقة من شرح المصنف لهذة المنظومة ومن غيرها من شروح الكافية ، وفرغ من تأليفه في شعبان سنة 722 هـ .

(5) وقد اسمهم في شرحها الإمام تاج الدين أبو محمد على بن عبد الله بن أبي الحسن الشيباني ثم التبريزى ، نزيل القاهرة المتوفى في رمضان سنة 746 هـ وهو شرح كبير كشرح الرضى ، وفرغ من تسويفه لثلاثة تقويم من محرم سنة 742 هـ سماه : مبسوط الكلام في تصحيح ما يتعلق بالكلم والكلام .

(6) ولشمس الدين محمود بن عبد الرحمن الاصفهانى المتوفى سنة 749 هـ شرح كبير كالرضى ، قدم فيه عشر معلقات نافعة . (29)

ومعنى هذا انه كان متمنكاً من اللغة ، ملما باسرارها يسر له كثرة النقل والرواية .

ولاجل ان ينتفع الناس بتراثهم الماضي استطاع سلامه ذهنه وقوته فهمه ، فجاءت كتبه وافية بالفرض الذي الفت من أجله ، وهو تيسير العلم ونشره فيوضوح وايجاز .

ولهذا السبب راجت كتبه في بلاد العجم ، واهتم الناس بها هناك لما فيها من ايجاز وترتيب وتنظيم ، وتنسيق وتبسيط .

قال صاحب كتاب تاريخ سوريا : « ذكر هذين الكتابين اي الكافية ومختصره في اصول الفقه - جميع البلاد خصوصاً بلاد العجم واكب الناس على الاشتغال بهما إلى زماننا هذا .

واشهر كتب ابن الحاجب النحوية كتاب الكافية .

1 - الكافية :

عرفها كشف الظنون بأنها : « مختصرة معتبرة ، مفيدة عن التعريف ، وهي دستور هذا الفن ، اذ بها يعرف أكثر مسائله » .

ولما كانت الكافية تشبه القوانين العامة ، او الخطوط الرئيسية منها وتحتاج الى تفسير وايضاح - الف لها شرحاً لبيان الغرض من مسائلها والمهدف من قوانينها وقد تداول الناس هذا الشرح ، واكبوا عليه وأفادوا منه وشققاً به وبالكافية .

وفي عهد ابن الحاجب كان الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى الايوبي محبًا للنحو كأبيه فلما رحل ابن الحاجب عن دمشق الى الكرك نظم لهذة الملك مقدمته الكافية ، وسمى هذا النظم بالواافية ، ولم يكتف بنظمها ، بل شرحها له (27) .

وهذا الصنيع من ابن الحاجب يدل على رغبته القوية في تذليل النحو وتسهيله من أجل ان تهضم قواعده ، وتشرح غواصه .

(27) كشف الظنون مجلد 2 نهر 1370 وما بعده .

(28) نفس المصدر والجزء والنهر ، وما بعده .

(29) كشف الظنون مجلد 2 نهر 1370 وما بعده .

الا بعد عصر أبي حيان وابن هشام ، فلم يقفا على هذا الشرح (31) .

ولقد طفت شيرة كتب ابن مالك في الاقليمين على هذه المقدمة وشرحها فلم يكتب لها الحياة في مصر والشام الا في زمن متاخر حينما نقل شرح الرضي الى الاقليمين .

منهجه في الكافية :

رغب ابن الحاجب في ان تيسير النحو لطلابه ، فعمد الى كتاب المفصل للزمخشري واختصر منه هذه المقدمة الصغيرة وسمها : الكافية ، ولعل اسمها يدل على الغرض الذي من اجله الفت فهـي تغنى الناشيء او المتعلم عن كتب النحو المعتقد التي تحتاج الى ملم بهذا الفن ، خبير بمسائله .

وقد سار ابن الحاجب في ترتيبه لابواب الكافية كما فعل الزمخشري في كتاب المفصل فالناظر فيه يرى انه متصوم على اربعة اقسام : الاول — في الاسماء ، والثاني — في الافعال ، والثالث — في الحروف والرابع — في المشترك من احوالها .

وقد نجح على هذا التقسيم ابن الحاجب ، فقسم الكافية الى اربعة اقسام : اسماء ، واعمال ، وحروف ، ومشترك من احوالها .

وأغلبظن ان هذا الترتيب والتقسيم لم يكن من مبتكرات الزمخشري فقد سبقه في هذا ابو علي الفارسي في كتابه « الايضاح » فقد كان اول من ابتكر هذا الترتيب ، وسنه للمعاصرین له من تلاميذه وللخالقين من النهاة من بعده (32) .

على ان ابن الحاجب لم يكن بعيد الملة عن كتاب الايضاح لابي علي ، لأن هذا الكتاب عنى به المصريون منذ ان بدأ النحو في مصر يستقر على دعائم ثابتة على يد النحو المصري ابن بري ، وابن بري من الذين عنوا بالإيضاح وشرحوه (33) .

وبعد ، فلا استطيع في هذا المقام ان أعدد جميع شراح الكافية ، واكتفي بما ذكرت ، وقد سجل حاجي خليفة في كشف الظنون شراح هذه الكافية (30) والحاوashi التي وضعت على هذه الشروح ، ولا يسعني في هذا المقام الا ان ابين ان الكافية شغلت العلماء طوال العصور منذ عصر ابن الحاجب الى يومنا هذا ، ومن ثم كثرت الشروح والتعليقـات عليها ، ولا زالت الكافية وشرحها مصدرـاً كبيرـاً من مصادر الدراسة النحوية في عصرنا هذا .

والحق الذي لا ينكر ان الذي اضفى على هذه المقدمة شهرة واسعة النطاق هو شرح الشیخ رضي الدين الاسترابادي ، هذا الشرح الذي انتشر ذكره وعمت دراسته ، وبخاصة في بلاد العجم حيث ترجم الى الفارسية .

وكان انتفاع العجم بالمقدمة وشرحها اكثر من انتفاع مصر والشام بها وذلك لانه وان اسمه بعض علماء هذين الاقليمين بشرح هذه المقدمة والتعليق عليها فان هذه الشروح لم تنتشر بين الطلاب ويشتهر امرها كما كان ذلك في بلاد العجم .

ولعل لهذا سرا ، فان ابن الحاجب كان يميل الى الفلسفة والمنطق والقياس والتعليل ، وقد سادت فيه هذه الروح منذ ان نبغ في علم الاصول وعلم الاصول تقوم قضيـاه على النهج المنطقي .

وكان اهل مصر ينفرون من الفلسفة ، ويفرون من المنطق ، ويحبون الوضوح في كل شيء ، في حين ان اهل العجم كانوا يميلون الى الفلسفة ويتوجهون في دراستهم الى المنطق ، فكان ذلك ادعـيـاً الى ان تروج كتب ابن الحاجب وبخاصة الكافية في بلاد الفرس ، على حين انـها تـقـفـ في دائـرة ضـيـقة مـحـدـودـةـ في الاقـليمـينـ المـصـريـ والمـشـاميـ .

— وكما تقدمت سابقاً — ان هذه المقدمة نفعـ فيها من روح الحياة ووضعـ فيها سرـ الخـلـودـ هو الرـضـيـ بـشـرـحـهـ ، وـلمـ يـنـتـقـعـ اـهـلـ مـصـرـ وـالـشـامـ بـهـذاـ الشـرـحـ لـانـ نـقـلـ اـلـىـ مـصـرـ فـيـ زـمـنـ مـتـاـخـرـ وـلـمـ يـنـقـلـ اـلـىـ مـصـرـ

(30) كشف الظنون مجلد 2 شهر 1370 وما بعده .

(31) هامش كشف الظنون شهر 1370 مجلد 2 .

(32) ابو علي الفارسي للكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي — من 521 — مطبعة مصر الجديدة .

(33) سبيويه امام النهاة — للأستاذ على التجدي من 187 .

وعلق الرضي بقوله « ولننظر المركب يطلق على شيئاً على أحد الجزاين أو الأجزاء بالنظر إلى الجزء الآخر أو الأجزاء الأخرى ، كما يقال في ضرب زيد مثلاً إن زيداً مركب إلى ضرب ، وضرب مركب إلى زيد نهماً مركبان .

ويطلق على المجموع يقال ضرب زيد مركب من ضرب ، ومن زيد ، وهذا كما يقول مثلاً لأحد الخرين هو زوج الآخر ، ويقول لهما معاً : زوج .

ومراد المصنف المعنى الأول ، وليس بمرض ، لأن المركب في اصطلاحهم في المجموع أشهر منه في كل واحد من جزئيه ، أو أجزائه ، فهوهم أن المعرب من الأسماء لا يكون إلا مركباً في شيئاً فصاعداً خمسة عشر ونحوه (35) .

ثم قال الرضي : وهذا دأب المصنف يورد في حدود هذه المقدمة الفاظاً غير مشهورة في المعنى المقصود اعتماداً منه على عنايته وينبغي أن يختار في الحدود والرسوم أوضح الالفاظ في المعنى المراد ويحترز عن الانفاظ المشتركة مكيف باستعمال لنفسه هو في غير المعنى المقصود أظهر (36) .

2 - الشافية :

وكما الف ابن الحاجب كاينته في النحو النف الشافية في الصرف وكداه في شرح ما الف ، وتوضيح ما انتج شرح الشافية .

واشهر من شرحها من نحاة مصر في القرن الثامن الهجري ابن هشام الذي الف لها شرحاً في مجلدين سماه : عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب وتوفي ابن هشام سنة 672 هـ .

وكما انتشرت الكافية في مصر والشام في العصور المتأخرة انتشرت أيضاً الشافية وظلت محور الدراسة والبحث حتى عصرنا هذا فقد قرر تدريسيها بعض المعاهد العلمية المهتمة بالتوابي اللغوية والنحوية .

وظل هذا الكتاب المحور الذي يدور حوله النحاة منذ القرن الرابع الهجري حتى عصر ابن الحاجب الذي اسمه بتصنيف كبير في شرحه لهذا الكتاب .

فابن الحاجب إذن لم يكن تأثره بالإيضاح أقل من تأثيره بالمفصل ، فقد شرح الكتابين وكان لهما عليه تأثير كبير في نحوه ، بل وفي آرائه مما سألينه بعد .

على أية حال ، فقد كانت الكافية تسير متنية خطى المفصل والإيضاح في الترتيب والتنظيم وفي التبويب والتقسيم ، وإن كان كل من المفصل والإيضاح كتاباً كاملاً جمع النحو ، وحوى قواعده ، فإن الكافية تلخيص موجز غاية الإيجاز لهذين الكتابين بما أدى إلى صعوبة فهمها ، وأدرك مسائلها الامر الذي حدا الكثير من النحويين للتصدي لشرحها ، والتعرض للتعليق عليها ، حتى بلغت تعليقاتها وشروحها ما يربو على الستين شرحاً (34) .

اسلوب الكافية :

ابن الحاجب في الكافية عمد إلى التلخيص والإيجاز لدرجة أن الدارس لها يجد صعوبة في فهمها ، وحل تراكيبيها ، والوقوف على الغرض من عباراتها فهو وإن حاول بهذا العمل أن يلخص النحو ، ويقدمه قواعد سهلة للمبتدئين إلا أنه خانه الحظ في الوصول إلى هذا الغرض ، فجاء تلخيصه يحمل الفاظاً غير واضحة ولعل ابن الحاجب أحسن أنه لم يوفق في هذا التلخيص كل التوفيق فاتجه إلى شرحه لينير الطريق لسايده ، ويعبد السبيل لدارسه .

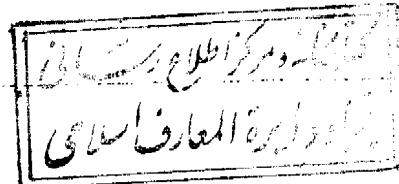
ولا أدل على ذلك من أن الرضي شارح الكافية كان يعاني من اسلوبها وتراكيبيها الشيء الكثير مما أدى به إلى مهاجمة المصنف ولومه على هذه الصعوبة التي كانت شعار اسلوبه في مقدمته فيقول :

« قال ابن الحاجب في مقدمته في اعراب الاسم * وهو معرب ومبني فالعرب المركب الذي لم يشبه مبني الأصل ». .

(34) كشف الظنون ج 1 ص 212 .

(35) شرح الرضي على الكافية ج 1 ص 14 .

(36) كشف الظنون مجلد 2 نهر 1020 .



3 - الامالي :

اما مالى ابن الحاجب تضمنت آرائه في بعض المشكلات النحوية وتوجيهات لبعض الآيات القراءية وتعليقات على كتاب المفصل للزمخشري وآراء في بعض الأبيات لكتاب الشعراء وتخريجها .

وقد أملى هذه الامالي على تلاميذه في حلقات متعددة وأزمنة مختلفة وأمكنة متباعدة .

وفي النسخة المحفوظة بدار الكتب (رقم 1007 نحو) نقرأ في الصفحة الاولى من الامالي ما يأتي :

« هذه الاجزاء مشتقة على امالى متترقة في النحو جليلة ، من كلام الشيخ الامام العلامة حجة العرب وفخرهم منشئ العلوم والمدجع اليه في تحريرها وتحريرها جمال الدين عمرو بن الحاجب برد الله مضمجه وطيب مجده ، منها ما يتعلق بكتاب المفصل للزمخشري . ومنها ما يتعلق بأبيات عربية ومحدثة وغير ذلك . وهذه الامالي عزيزة الوجود ومضنون بها على غير اهلها ، بل على اهلها لغاية شرفها عظيم نعمها (37) . »

وكطبيعة كتب الامالي لم تكن في امالى ابن الحاجب وحدة ، او تنظيم وترتيب ولكنها خواطر وآراء امليت في ازمنة متعددة في القاهرة ودمشق .

وقد بدأ بها سنة 609 هـ في القاهرة ، لانه قد جاء في اماليه ، وانه قال ايضا ممليا في القاهرة سنة تسع على قوله تعالى « ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا » (38) .

وقد تبعت سنوات الاملاء في القاهرة ، فلم اجد له اماء قبل هذا التاريخ وظل يملي آرائه في القاهرة حتى سنة 616 هـ بدليل ما جاء في اماليه « انه املى في القاهرة سنة ست عشرة على قوله تعالى : « ان تضل احداها فتذكر احداهما الاخرى » (39) .

وفي سنة 617 هـ نجده ينتقل الى دمشق ويتملي بها ، ويظل يملي حتى سنة 625 هـ (40) . وهي السنة

(37) الامالي - ابن الحاجب ، مخطوط رقم 1007 نحو (دار الكتب)

(38) الحجر - 47 .

(39) البقرة - 282 .

(40) الامالي - ابن الحاجب مخطوط رقم 1034 نحو .

(41) كشف الظنون - ج 1 نهر 212 .

(42) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ص 107 .

الاخيرة في سنوات املاكه هذه الاراء مما يرجع ان ابن الحاجب مكث في القاهرة يعلم ويتمي حتى سنة 616 هـ ثم انتقل بعد ذلك الى دمشق سنة 617 هـ ، ويقي يقرا بجامعها ، ويتمي هذه الامالي حتى سنة 625 هـ وظل بدمشق بعد ذلك ينشر رسالة العلم حتى سنة 628 هـ حيث وقعت الفتنة بين الملك الاشرف ، وبين عز الدين هذه الفتنة التي ادت بابن الحاجب الى العودة الى القاهرة ، ثم الانتقال منها الى الاسكندرية حيث لقي ربه سنة 646 هـ .

4 - شرح الايضاح لابي على الفارسي :

وكتاب الايضاح هذا شرحه كثير من النحوين قيل ابن الحاجب وعنوا به عنابة مائة وكان هذا الكتاب يسير جدا الى جنب مع كتاب سيبويه .

وهو كتاب متوسط يشتمل على مائة وستة وسبعين بابا منها الى مائة وستة وستين نحو ، والباقي الى آخره تصريف .

ومن الذين صنعوا له شروحه ابن الحاجب وسماه - المكتفي للمبتدئ (41) .

5 - شرح المفصل :

ولم ينس ابن الحاجب ان يشرح كتاب المفصل للزمخشري في كتاب سماه « الايضاح » وهو الذي تأثر بالزمخشري في مفصله ، حتى اختصر كافيه . وهذا الشرح منه نسخة بمكتبة بلدية الاسكندرية رقم 545 ب وأخرى بمكتبة ابراهيم باشا رقم 18 وثلاثة بمكتبة سوهاج رقم 5 نحو (42) .

6 - شرح كتاب سيبويه :

ولكتاب سيبويه ، كما قلت سابقا منزلة كبيرة عند النحاة المصريين والشاميين فقد اهتموا به منذ ان عرفا هذه الدراسات النحوية .

8 — آراؤه واتجاهاته :

(1) آثر الفلسفة والمنطق في اتجاهاته النحوية:

صلة النحو بالفلسفة قديمة ، بذلت حينما ظهر المنطق اليوناني في مدينة البصرة التي كانت حينئذ مركزاً كبيراً لفلسفة المعتزلة الذين تأثروا بالمنطق الإرسطي في اتجاهاتهم الكلامية .

ومن غير شك أن نحاة البصرة وعلى رأسهم سيبويه لم يكونوا في معزل عن هذا التيار الجارف ، تيار الفلسفة والمنطق تأثروا به .

وقد كان النزاع الذي ظهر منذ القرن الثاني بين مدرسة القراء وبين مدرسة الكلام كان له أثره في اتجاه النحاة البصريين إلى الاخذ بمبادئ مدرسة الكلام وتجنبهم الخصائص التي تتجه إليها مدرسة القراءة التي تعتمد على الرواية والنقل ، في حين تعتمد المدرسة الأولى على القياس والمقاييس .

يدل ذلك على ما رواه الشعبي : « من ان القراءة سنة فاقرعوا كما قرأ أولكم » (47) .

وفيها قاله الداني من ان ائمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الاشتباه في اللغة ، والأبيات في العربية ، بل على الايثاث في الاثير ، والاصح في النقل والرواية ، وإذا ثبتت عنهم لم يردها تيأس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة ، يلزم تبولها والمصير إليها (48) .

واستمرت النزعة الكلامية التي تقوم على الجدل والمنطق تعمل عملها في النحو منذ عصر سيبويه إلى عصر ابن الحاجب ، فلقد شرحت اصطلاحاته وطرائقهم إلى النحو حتى أنه روى عن ابن جنبي أنه قال إن أصحابنا انتزعوا العلل عن كتب محمد بن الحسن وجمعوها منه باللاحظة والرقة .

وقد شرحه أبو جعفر المعروف بابن النحاس المتوفى سنة 338 هـ .

وشرحه أيضاً وانتدبه ، وانتصر له أحمد بن محمد بن ولاد المتوفى سنة 332 هـ وشرحه أيضاً ابن الحاجب ليقرب نحوه لبناء عصره ويوقفهم على إسراره وتركيبه (43) .

7 — ولابن الحاجب تصدية في المؤنثات السماعية طبعها هافتر وشيفخو في بيروت سنة 1908 (44) .

8 — رسالة في العشر — وهو بحث صغير في استعمال كلمة عشر مع الصفتين أول وأخر ، طبعت في بولن رقم 6894 (45) .

9) وكما كان ابن الحاجب علماً في النحو والصرف كان علماً أيضاً في علم العروض فله منظومة من البحر البسيط عن العروض سمّاها : « المقصد الجليل في علم الخطيل » في ليدن مهرس 2 رقم 273 ، وبرلين رقم 7126 (46) .

وبعد ، فلست في حاجة إلى أن أبين شخصية ابن الحاجب في علمي الأصول والفقه ، فقد كان في هذا المضمار وحيد عصره له انتاج ضخم يشهد بقدرته ويشير بفضلها ، ويرفع من ذكره .

وهكذا كان ابن الحاجب علماً في النحو والصرف والعروض ، ونباتة في الفقه والأصول . وكلما تيسر العالم أن يجمع بين هذه العلوم وبينغ فيها ويجلس على قمتها اللهم إلا إذا كان يتمتع بعقل ناضج ، وفكراً ثاقباً ، وذكاءً لامعاً ، وتراثاً وقادراً ، وادراماً واسعاً . وقد وجد هذا كله في ابن الحاجب ، كما شهد له بذلك العلماء وأثنى عليه الفضلاء .

ويكتفي أن مؤرخيه ذكروا عنه أنه كان ركناً من أركان الدين والعلم .

(43) سيبويه أمام النحاة — من 188 الاستاذ على النجدي .

(44) دائرة المعارف الإسلامية م 1 من 127 .

(45) المصدر السابق .

(46) المصدر السابق .

(47) غاية النهاية ج 1 من 357 لابن الجوزي (مطبعة السعادة)

(48) النشر في القراءات العشر ج 1 من 10 لابن الجوزي ، تحقيق محمد أحمد دهمان ط أولى مطبعة التوفيق بدمشق .

انه يختلف عن اسلافه من عدة وجوه البس هذا دليلا واضحا على ان الرجل كان يمزج النحو بالفلسفة وكان يورد القضية النحوية ووراءها دليلها المنطقي . كل ذلك يوضح لنا اثر علم الاصول ، وقضایاها واقیستها ومنطقها في نحو ابن الحاجب .

واما حاولنا ان نأتي بامثلة تؤيد هذا الاتجاه ، فاتنا نجد الكثير منها .

مثال ذلك :

١) في موضوع مسوغات الابتداء بالنكرة يرى ان كل ما دل على معنى العموم صالح للابتداء ، وخرج الآية القرآنية ، « ولعبد مؤمن خير » على هذا الاتجاه (55) .

قال ان المسوغ للابتداء في الآية انما هو معنى العموم وخير خبر المبتدأ « قال لانا قاطعون بأن المراد المفاضلة بين الجنسين لا افرادهما المخصوصة » .

واما قرر ابن الحاجب ذلك لا يكتفي بمجرد سرد النكرة ، وذكر الرأي انما يحاول ان يدعمه بحجه المنطقية ، وادله الفلسفية ما استطاع الى ذلك سبيلا وسبيله الى هذا سبيل الحوار والجدل يورد اسئلة يتضمنها المقام ، ثم يجب عنها اجابة تكشف حقيقتها ، وتوضح غموضها وهذا من غير شك اثر من آثار الفلسفة والمنطق وهكذا الدليل :

يقول : فان قلت — المسوغ هنا الصفة ، قلت لا يستقيم انها انما تكون معتبرة في الموضع الذي لا يراد فيه الجنس ، وتاتي هي مخصصة لذلك المفرد المقصود ، وهو مع ذلك ضعيف ، قليل استعماله ورب فكرة بلا صفة اخص مما لها صفة ، والذي اضعفه انه اذا صبح جسم حي في الدار لوجود التخصص بالصفة ينبغي ان يجوز ، رجل في السدار لانه اخص منه بدرجات ثم قال — « فان قلت الدليل

والحق الذي يقال — ان ابن جني قد وضع الامر في نصابه حينما قرر العلاقة القوية بين النحو وبين علم الكلام والاصول ، بل انه لم يقف عند هذا الحد فقرر ان علل النحو انتزعت من كتب محمد بن الحسن وجمعت منها ، وكتب محمد بن الحسن تقوم على الاصول والمنطق لأن اصول الفقه تعتمد كل الاعتماد على الاتقىء العقلية ، والقضايا المنطقية وقد نقل السيوطي في الاقتراح : « ان ابن جني قال ، اذا ادركقياس الى شيء ما ، ثم سمعت العرب قد نطقوا فيه بشيء آخر على قياس غيره ، فدع ما كنت عليه ، ثم علق عليه بقوله : وهذا يشبهه في اصول الفقه نقض الاجتهاد اذا بان لنفس بخلافه » (49) وهذا النص الذي ذكره ابن جني يوضح تمام الوضوح ، كيف يقتني النحاة اثر الاصوليين في نظرياتهم وقواعدهم ومناهجهم .

وبعد :

فانتا اذا اردنا ان ننظر الى اتجاهات ابن الحاجب النحوية فلا ننسى انه كان اصوليا بل وقد كان ضليعا في علم الاصول ، فقد صنف فيه مختصرا وآخر اكبر منه سماء المنتهى (51) .

ولغبلة المنطق والفلسفة على ابن الحاجب ، قال عنه المؤرخون انه كان فقيها مناظرا مفتتا (52) .

وكل الذين كتبوا عن ابن الحاجب ذكروا انه خالف النحاة في مواضع ، واورد عليهم اشكالات والزamas تتعذر الاجابة عنها (53) .

وتقول دائرة المعارف الاسلامية انه اشتهر في النحو على وجه خاص وهو في هذا الميدان يختلف من عدة وجوه عن اسلامه (54) .

وحيثما يورد ابن الحاجب اشكالاته والزamas للنحوين ليجيبوا عنها ، وهي اشكالات ملحة والزamas معقدة وحيثما تذكر عنه دائرة المعارف ،

(49) الاقتراح ص 86 .

(50) الاقتراح ص 86 .

(51) روضات الجنان باب العين ص 8 — ع — ص .

(52) نفس المصدر .

(53) شذرات الذهب ج 5 ص 234 .

(54) المجلد الاول ج 2 ص 126 .

(55) البقرة 221 .

على ان المخصوص بالصنفة انك لو قلت : ولعبد خير باسقاط الصنفة لم يجز ، قلت هو مستقيم في الاعراب ، الا ترى انك اذا قلت — العالم قد يلما كان كلاما مع انه كذلك (56)

اليس هذا الحوار ملمسة ؟ وماذا تكون الفلسفة اذا لم تكن هذه النظارات فلسفية ؟ والذي لا شك فيه ان الناظر العموم ، والخصوص والاعجم والاخضر اصطلاحات اصولية تقوم عليها نظرات علم الاصول .

وطريقته في الاستدلال من غير شك طريقة منطقية فهو يذكر القضية ويورد الاعتراضات عليها ، ثم يهدم هذه الاعتراضات اعترافا اعتراضيا ليخرج بالنتيجة التي قررها اولا .

(2) القياس اصل من اصول الفلسفة وركن كبير من اركان الاصول كان ابن الحاجب يستخدمه في كثير من آرائه النحوية ، فاما ما خرج شيء عن القياس ، وشذ عنه فان هذا لا يقنع ابن الحاجب ، بل يحاول ان يبحث ويدقق حتى يجد له نظيرا فليلحقه به .

يقول في كتاب الامالي في مطلب ربه رجلا :
الضمير في قوله ، ربه رجلا ليس بمتكرة وانما كان حكمه حكم التكرارات باعتبار كونه مبهم اطلق عليه المتكرة لذلك ، ولذلك لم يوصف لانه ضمير بلا خلاف ، والضمائر لا توصف ، ثم قال انه مفرد على كل حال لانه ضمير على خلاف القياس اتي به لغرض الابهام فوجب ان يكون مفردا قياسا على تعم .. انتهى (57) .

(3) وتراء يعقب على الزمخشري تعقيبا ملمسيا منطقيا حينما قال — مثليا على قوله في المتملل — المبني هو الذي سكون اخره وحركته لا يعامل — قال ابن الحاجب هذا الحد ليس مستقيم لانه اتي في الحد بواو العطف فان قصد الجمع لم يستقم اذ ليس شيء فيه سكون وحركة في آخره وان قصد معنى او كان فيه تزود لنظرى في استعماله الواو بمعنى او ، واستعماله لنفط او في الحد الواحد (58) .

(4) وابن الحاجب له بصر بفلسفة الكلمات ، ولم يمس المعاني الخفية التي تحملها والتي لا يتصورها

(56) حاشية ياسين ج 1 من 169 (الحيلي) .

(57) الامالي لابن الحاجب من 63 من النسخة رقم

(58) نفس المصدر .

(59) الامالي لابن الحاجب من 67 مخطوط نسخة

كثير من الناس وذلك لأن دقتها في الاصول كشفت له عن كثير من جوانب اللغة والمعانى التي ترمز اليها الكلمات فقد املى بدمشق سنة أربع وعشرين وستمائة — على قوله في المفصل في حروف الشخص :

« ان قبل ان حروف الشخص اذا وقع بعدها الماضي نیتحيل فيها معنی الطلب لاستحالة طلب الفعل بعد مضي وقته وان لم يكن فيها معنی الطلب تعذر التنصيب بعدها بالفاء ، والجزم بغير ناء » .

وهذا اعتراض في ظاهره وجبه ، لانه اعتراض واقعي ، فما دامت حروف الشخص ليس فيها معنی الطلب لاستحالة طلب الفعل بعد مضي وقته ، فلا يصح حينئذ ان ينتصب بعدها الفعل او يجزم بغير فاء .

ولكن ابن الحاجب تسعفه ملمساته في هذا المقام فيجيب عن هذا الاعتراض بما يقنع به نفسه ، او يجعلها قريبة من الواقع حينما يقول :

« فالجواب أنها لا تنفك عن افاده معنی الطلب في الوقت الذي كان صالحًا له ، وانما اوقع بعدها الماضي تنبيها على ان المطلوب منه ذلك ، قوله حتى انقضى وقته ، فصار كالتبسيخ واللوم على ترك المطلوب فباعتبار ما فيه من معنی الطلب المقدر في وقته نصب جوابه بعد الفاء ، وجزم بغير ناء » ... انتهى (59) .

هذا الاتجاه الفلسفى او الاصولى في نحو ابن الحاجب ظاهر في معظم آرائه وتوجيهاته النحوية ، مما يدل على ان الرجل كان يصرى في اتجاهاته منطقيا في آرائه ملمسيا في تحقيقاته اصوليا في تعبيراته وتخريجاته » .

2 — ابن الحاجب مع البصريين :

نحو البصرة كان النحو السادس لعلماء مصر والشام منذ الرحلات القديمة التي قام بها علماء مصر اذ ذاك امثال ابن ولاد ، وابن النحاس الى العراق ، والتزود من الدراسات النحوية فيه .

1034 نحو دار الكتب .

رقم 1034 نحو دار الكتب .

وكتاب سيبويه الذي حوى مسائل النحو البصري ، والذي أحاط بكثير من اصولها وفروعها وعللها، واقتبستها ، سار هذا الكتاب سير الشمس في جميع الاقطان الإسلامية واشتغل الناس به درساً وتحمیلاً وشرحاً واختصاراً .

ويحدثنا التاريخ انه ما من عالم مصرى ، او شامي ذهب الى العراق الا وكان كتاب سيبويه هو غایته الاولى ، يدرسه على كبار الشيوخ ثم يعود الى مصر والشام لينشر هذا الكتاب بين الطلاب ، أما بشرحه كما فعل ابو جعفر المعروف بابن النحاس (60)

ولما بنته وانتصار له كما فعل احمد بن محمد ابن ولاد (61) ولم يكن الامر مقصوراً على هذه الرحلات الى العراق فحسب ، فقد كان هناك كثير من علماء العراق يندون الى مصر او الشام ويطيب لهم فيها المقام ، ويتصدرون في النحو على اصول كتاب سيبويه نابن بري قرأ العربية على مشايخ زمانه من المصريين والقادمين على مصر ، وحصل له من ذلك ما لم يحصل لغيره وانفرد بهذا الشأن ، وقصده الطلبة من الآفاق وكان عالماً بكتاب سيبويه وعلمه واكثر الرؤساء بمصر استفادوا منه وأخذوا عنه (62) .

وعبد الله بن اسحاق الصميري التحوي ابو محمد قدم مصر وحفظ عنده شيئاً من اللغة وغيرها ، وصنف كتاباً في النحو سماه (التبصرة) .

وهذا الكتاب احسن فيه التعليل على مذهب البصريين (63) .

وعبد الرحمن بن اسحاق ، ويعرف بالزجاجي صاحب الجمل نزل بغداد ولزم الزجاج حتى برع في النحو ، ثم سكن طبرية ، وأملئ وحدث بدمشق عن الزجاج ونقطويه وابن دريد ، والاخشن الصفيسي وغيرهم (64) .

(60) سيبويه امام النحوة على النجدي ص 188 .

(61) نفس المصدر ص 188 .

(62) انباه الرواة ج 2 ص 111 .

(63) انباه الرواة ج 2 ص 123 .

(64) البغية ص 297 .

(65) الانباء ج 2 ص 161 .

(66) البغية ص 338 .

(67) دائرة المعارف الإسلامية م 1 ص 126 .

وكتاب الجمل « هو كتاب المصريين والشاميين الى ان اشتغل الناس باللمع لابن جنى ، والايضاح لابي علي الفارسي » (65) .

والجمل واللمع والايضاح منابع من معين كتاب سيبويه البصري . وعلى بن سليمان الاخشن الصفیر الذي قد قرأ على المبرد ، زعيم المدرسة البصرية فيما بعد . قدم مصر سنة سبع وثمانين ومائتين وخرج الى حلب سنة ثلاثة وثلاثمائة وله شرح لسيبویه (66) .

هؤلاء العلماء الوافدون الى مصر من العراق ، وعلماء مصر الذين وفدوا الى العراق احدثوا في مصر نهضة نحوية قوامها كتاب سيبويه ، وما اشتق منه من كتب وظل الامر كذلك حتى قسم ابن الحاجب هذا التراث البصري المثل في كتاب سيبويه محافظاً عليه ، وعمل على نشره لانه الف فيه شرحاً (67) .

لهذا لم يكن عجيباً ان يكون ابن الحاجب بصربياً في آرائه وميله في اقتبسته وتعليلاته ، واثر سيبويه في ابن الحاجب واضح وضوها لا ينكر .

والامثلة التي تدل على تأثر ابن الحاجب بالبصريين كثيرة سجلتها مختلف الكتب النحوية واتى اكتفي هنا بمثال واحد تبين فيه حرارة الدفاع عنهم ، وعمق التأثر بهم ، نراه في هذا المثال يعرض آراءهم ثم يترصد للنقد الذي وجه او من الممكن ان يوجه اليهم فيخدمه بأدلة منطقية ليدعم مذهب البصريين :

قال في « الامالي » في خبر ما ، ولا الشبهتين بلليس » .

« واختلف الناس في — لا — هذه ، فقال البصريون : هي المشبهة بلليس لأنها الحقت الشاء المختصة بالفعل ، فلولا شبهاً بالفعل لم تتحققها وإذا كانت المشبهة بالفعل فهي التي بمعنى ليس .

وايضاً ، فإن المعنى على قولك ، ليس هذا الحين حين مناص ، وشبهاً بما تقع فيه لات ، وانتروا

2) مذ ومنذ : مذ ومنذ يستعملان اسماء في موضعين : احدهما ان يدخل على اسم مرفوع لكرة ، وهما حينئذ مبتدآن ، وما بعدهما خبر عنهما واجب التأخير اجراء للرفع مجرى الجر ، وهو مذهب طائفة من الكوفيين واختاره ابن الحاجب (71) .

4 — المسائل التي انفرد بها ابن الحاجب :

عرفنا فيما سبق ان ابن الحاجب سار في ركب البصريين ، ثم خالقهم متبعا الكوفيين في بعض المسائل التي وضع فيها الحق بجانبهم .

فهل كان ابن الحاجب يدور حول هذين المذهبين فحسب ، يختار اقربهما الى نفسه ، واصحهما في عقله وأقواهما في نقله . او انه خرج عن هذه الدائرة يلتمس الدليل من غير نظر الى هذا المذهب او ذاك » .

كل الادلة تؤيد هذا الاتجاه ، وتثبت ان ابن الحاجب كان اماما مجتهدا في النحو كما كان مجتهدا في الفقه .

ومعنى ذلك ان لابن الحاجب آراء انفرد بها ، وتوجيهات نحوية لم يسبقه احد فيها ، وقد اقر له بذلك كل من ترجموا له ، وكتبوا عنه فقد قالوا ، « وخالف النحاة في مواضع ، وأورد عليهم اشكالات والزamas تتعدى الاجابة عنها » (72) . وتقول دائرة المعارف الاسلامية : « وقد اشتهر في النحو على وجه خاص وهو في هذا الميدان يختلف عن اسلافه » (73) .

فما هي اذن المسائل التي خالق فيها النحاة ، والتي انفرد بها وله توجيهات خاصة فيها ؟ ..

لا استطيع ان احصر هذه المسائل في هذا المجال الضيق الذي لا يتسع لها ، وانما اذكر بعضها كامثلة تؤيد ما ذكرت .

ما يلزمهم لقيام هذا الدليل ، والذي يلزمهم ان لا يمعنى ليس شاذ وجوابه انه شاذ ما لم تدخل النساء ، فإذا دخلت وليس بشاذ ومنها ما يلزمهم من اضمار الاسم في الحرف ، لأن المعنى عندهم ليس حين حين مناص ، والحروف لا يضرر فيها .

وجوابه انه قد توى شبهه بالفعل فأجرى مجراء في هذا المثال لكثرة الاستعمال مثله .

ومنها ما يلزمهم من اضمار قبل الذكر ، لأن المعنى ليس حين حين مناص وجوابه : ان مثل هذا اضمار جائز لقيام القرينة الحالية عليه ، وإذا قامت القرينة على اضمار كان بمثابة تقدم الذكر (68) .

3 — ابن الحاجب مع الكوفيين :

ومع هذا الدفاع الحار عن البصريين فإنه لم يكن يسلم لهم في مسائل عديدة من مسائل هذا العلم ، لاته امام مجتهد يأخذ ما صح في منطقه ولا يكون معهم كالآلة التي لا اراده لها ولا عقل .

وقد عرفنا ان من مميزات هذا الرجل ، صحة الذهن ، وقوة الفهم ، وحدة القريبة ومن اجل ذلك نراه يوافق الكوفيين في طائفة من المسائل النحوية اكتفى بذكر بعضها كدليل يسند ما اقول :

1) اللغة عند الكوفيين رواية ونقل ، لا قياس وعقل كما يدعى البصريون حيث يعتمدون بالقياس والمنطق ، ولا يعتمدون على الرواية والنقل .

وابن الحاجب يؤمن بالاتجاه الكوفي في هذا المضمار لانه ذكر في اماليه في مسألة دخول النساء في خبر ان ، واختلف سببويه والاخش في هذا الدخول . ذكر ان « الاحكام اللغوية لا ثبت بقياس ، وانما ثبت بالنقل ثم تعلل » (69) .

وعند ابن الحاجب « ان رفع الفاعل ونصيب المفعول انما ثبتا بطريق الاستقراء (70) .

(68) امالی ابن الحاجب ص 106 .

(69) الاماali : مخطوط رقم 1034 .

(70) مدرسة الكوفة : المخزومي ط ثانية ص 412 .

(71) شرح التصريح ج 20 (الطببي)

(72) شذرات الذهب ج 5 ص 234 .

(73) دائرة المعارف الاسلامية م 3 ص 126 .

1) الاسماء الستة :

قال ابن الحاجب لهم في اعراب هذه الاسماء اقوال :

فظاهر مذهب سيبويه ان لها اعرابين تقديري بالحركات ، ولفظي بالحروف ... ، وهو مذهب ضعيف لحصول الكفاية بأحد الاعرابين .

وقال الكوفيون : انها معربة بالحركات على ما قبل الحروف وبالحروف ايضا وهو ضعيف لمثل ما ضعف له ما تأول المصنف من كلام سيبويه .

ويرى ابن الحاجب : ان اللام في أربعة منها وهي ابوك ، واخوك ، وحموك ، هونوك أعلام للمعاني المتناثرة كالحركات ، وكذا العين في الباقيين منها اعن نوك ، وذو مال ، وهي في حال الرفع لام الكلمة او عينها ، وعلم العمدة وفي النصب والجر علم الفضلة ، والمضاف اليه فهي مع كونها بدلا من لام الكلمة وعينها حرف اعراب .

ويؤيد ابن الحاجب في هذا الرأي بقوله : ان دليل الاعراب لا يكون من نسخ الكلمة ، فهي بدل ينفي ما لم ينفي البديل منه ، وهو الاعراب كالثاء في بنت تقييد التأنيث بخلاف الواو التي هي اصلها ، ولا يبقى ذو ، وفوك على حرف لقليم البديل مقام البديل منه (74) .

2) الحال من المضاف اليه :

« لا يثبته ابن الحاجب وابناعمه » (75) .

3) الاستفهام المسوب للابتداء عنده :

« هو المهمزة المعادلة بما مثل ارجل في الدار ام امرأة » (76) .

4) الاضافة لا تقييد الا تخفيها ، وقد أيده في هذا الرأي ابن هشام فقال في التوضيح : « والدليل على

(74) الرضى على الكافية ج 1 من 26 .

(75) حاشية ياسين ج 1 من 366 (الحلبي)

(76) التصريح ج 1 من 169 (الحلبي) .

(77) شرح التصريح ج 2 من 28 (الحلبي)

(78) الاعراف : 73 .

(79) الرضى على الكافية ج 1 من 190 .

انها اي اضافة الصفة لمفعولها تقييد تخصيصا ان اصل قوله : ضارب زيد ضارب زيدا ، فالاختصاص بالفعل موجود قبل الاضافة فلم تحدث الاضافة تخصيصا .

قال في التصريح : وفي ذلك رد على ابن مالك حيث رد على ابن الحاجب في قوله ولا تقييد الا تخفيضا ، فقال : بل تقييد ايضا التخصص فان ضارب زيد اخص من ضارب ، قال في المعنى : وهذا سهو فان ضارب زيد اصله ضارب زيدا بالنصب وليس اصله ضاربا فقط فالشخص حاصل بالمفعول قبل ان تأتي الاضافة (77) .

5) كل ما دل على هيئة صح ان يقع حالا نحو هذا بسرا اطيب منه رطبا .

قال شارحة الرضى : هذا رد على النحاة فان جمهورهم شرطوا اشتقاء الحال وان كان جاماً تكلفو رده بالتاویل الى المثبت قالوا : لانهما في المعنى صفة والصفة مشتقة ، او ما في معنى المشتق مقلالا في نحو : هذا بسرا اطيب منه رطبا هذا بسرا اطيب منه مرطبا ، اي كائنا بسرا ، وكائنا رطبا » . وهذه ناتة الله لكم آية اي دالة (78) .

قال قال المصنف (ابن الحاجب) وهو الحق لا حاجة الى هذا التكليف لأن الحال هو المبين للهيئة كما ذكره في حده ، وكل ما قام بهذه الفائدة فقد حصل منه المطلوب من الحال ، فلا يتکلف تاویله بالمشتق ». (79) .

6) لو حرف امتناع :

انها تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره ، واختلف في المراد بذلك .

قال ابن الحاجب في اماليه :

« انها امتناع الاول اي الشرط للثاني اي لامتناع الجواب ، ووجهه بان انتقاء السبب لا يدل على انتقاء سببه لجواز ان يكون ثم اسباب اخر .

جني ، وتعتبر ممثلاً لترك النحو ممزوجاً بالادب والشعر والرواية بعيداً عن حقائق المنطق والتعليلات والتقييمات وعلى رأس هؤلاء أبو سعيد ، وتلميذه ابن خالويه » (83) .

وعلى الرغم من أن أبا علي أو بالآخرى مدرسة أبي علي كانت تميز باللحن والقيسية فانها لم تتعمق فيه الى حد المغالاة كما كان الحال عند الرمانى الذى غالى فى اقىسته المنطقية حتى قال فيه أبو علي : ان كان النحو ما يقوله الرمانى هو النحو فليس معناه منه شيء ، وان كان ما نقوله نحن ، فليس معه منه شيء (84) . ولهذا السبب ظلت مدرسة أبي علي خالدة لتفوقها في النحو واقىسته ، تلك الاقيسة التي وكانت تبتعد عن التعمق والمغالاة .

وَهَذِهِ الْمَرْسَةُ قَامَتْ عَلَى اصْوَلِ مَدْرَسَةِ الْبَصْرَةِ وَقَوَاعِدُهَا فَطَابِ الْبَصْرِيَّةُ فِيهَا وَاضِعٌ وَضَوْحًا لَا يُنْكِرُ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ فِي كِتَابِهِ الْإِيْسَاحِ لَا يَرِي التَّعْجِبَ مِنَ السَّوَادِ وَالْبَيْاضِ مُبَاشِرًا، وَالْكَوْفِيُّونَ يَرِونَهُ (85).

ويجوز في باب كان عنده ان يتقدم الخبر على الاسم (86).

وإذا كان أبو علي الفارسي مصاحب مدرسة في النحو لمع نجمه في القرن الرابع الهجري ، وظللت تقبلاً مضيفاً للنحاة المتأخرین مهلّاً أخذ ابن الحاجب هذا القبس ؟ وهل تأثر بهذه المدرسة ؟

ذكر الرواة ان كتاب «الجمل» للزجاجي وهو كتاب المصريين واهل المغرب واهل الحجاز واليمان والشام الى ان اشتغل الناس باللمع لابن جنبي واياضاح لابي على الفارسي (87).

ومعنى هذا الكلام ان كتاب الجمل كان مدرسة تأثیرية بذاتها في النحو الى ان ظهر كتاب الايضاح للنارسي واللمع لابن جنی فاشتق كل الناس بهما وكانوا

قال ويدل على هذا : « لو كان فيما آلة الا الله لفسدنا » فإنها مسوقة لنفي التعدد في الآلة بامتناع الفساد ، لا ان امتناع الفساد لامتناع الآلة ، لانه خلاف المفهوم من مساق امثال هذه الآية ، ولانه لا يلزم من انتقاء الآلة انتقاء الفساد لجواز وقوع ذلك وإن لم يكن تعدد في الآلة ، لأن المراد به فساد نظام العالم عن حالته، وذلك جائز ان لا يفعله الا الله الواحد سبحانه « وتابعه على ذلك ابن الحنـاز ». .

وأستنكر ابن هشام في المغني مقالة ابن الحاجب
ومن تسعه (81).

٥ - ابن الحاجب وابو علي الفارسي :

تطورت الدراسة النحوية في القرن الرابع الهجري على يد أبي علي الفارسيتطوراً كبيراً ، وقد عمل على هذا التطور تلك المناظرات التي كان يعقدها سيف الدولة الحمداني بين كبار النحويين فضلاً عن المحاورات والمناقشات التي كانت تدور بين النحويين في مناسبات مختلفة .

فقد كانت هناك مناقشة بين أبي علي الفارسي وبين أبي سعيد السيراني ، ولقد تارن التوحيد بين هذين النحوين الكبيرين ، وكان تحيزه لشيخه الفارسي ظاهرا (82) . وكانت هناك أيضا خصومة عنيفة بين أبي علي ، وبين ابن خالويه تلميذ أبي سعيد السيراني ، » .

وان الباحث في هذه المناقشات التي بين هؤلاء العلماء يرى أنها قدمت للنحو ثروة كبيرة ، لأنها أذكى نار البحث والنقد « وجعلت علماء العالم ينقسمون إلى قسمين فقسم يميل إلى التيسير والتعليق والتعمق ، وتعتقد القواعد في النحو والصرف ، وعلى رأس هذا القسم أبو علي الفارسي ، وتلميذه ابن

. 64 ج 2 ص 81

82) معجم الادباء ج 6 ص 253

83) مجلة المجمع العلمي العربي ،

⁸⁴⁾ البغية ص 344 .

⁸⁵ أبو علي الفارسي د. شلبي ص 82

86 أبو علي الفارسي د . شلبي ص

٨٧) الابناء ج ٢ ترجمة الزجاجي ص

قام الزيدون والثانيث في الفعل في نحو قامت المدمرات، خلافاً للكوفيين فيهما ، فإنهم أجازوا في الفعل مع كل من جمعي التصحيح التذكير والثانيث .

وخلالاً للفارسي من البصريين في جميع تصحيح المؤنث ، فإنه انفرد عن أصحابه بجواز الامرين ووافق اصحابه في وجوب تذكير الفعل مع تصحيح المذكر قال ياسين في حاشيته : ان ابن الحاجب مثى على مذهب الفارسي (92) .

(3) وتختص الواو بجواز عطفها عاملاً قد حذف ، وبقى معموله مرتفعاً كان نحو أسكن انت وزوجك الجنة (93) او منصوباً نحو : والذين تبؤوا السدار والايام (94) . او مجرور نحو : ما كل سوداء ثمرة ، ولا ببعض شحمة ، وانما لم يحصل العطف نبيهن على الموجود في الكلام بدون حذف لثلاثاً يلزم في الاول رفع فعل الامر للاسم الظاهر وفي الثاني كون الايمان متبوعاً وانما يتبعوا المنزل ، وفي الثالث العطف على معمولي عاملين مختلفين ، وذلك لا يجوز عند سيبويه والآخرين .

وقيل يجوز مطلقاً حكاه الفارسي وابن الحاجب عن القراء (95) .

(4) الضمير اذا اتى برب مثل ربته فتى او ربه رجالاً .

ذهب جماعة كابن عصفور والزمخشري ان الضمير نكرة عائدة على واجب التذكير وقال جماعة كالفارسي معرفة جار مجرى الفكرة (96)

وابن الحاجب يقر في اماميه في مطلب «ربه رجالا» ان الضمير في قوله : ربه رجالاً ليس بنكرة ، وانما كان حكمه حكم النكرات باعتبار كونه مبهم اطلق عليه

كمدرسة خلفت مدرسة «الجمل» وقد دوى صوت هذه المدرسة في العراق والشام ومصر .

ومن المصريين الذين عنوا بالإيضاح ابن بري المصري (88) .

ومن العلماء المصريين الذين اهتموا بالإيضاح ايضاً في القرن السابع الهجري ابن الحاجب فقد درسه وشرحه (89) .

من هذه النصوص التي ذكرتها نستطيع ان ندرك مدى قيمة نحو الفارسي المثل في كتاب الإيضاح في الدراسات النحوية . ونستطيع ان نلمع ايضاً اثر الفارسي في ابن الحاجب ، فدراسة لكتاب الإيضاح وشرحه له يبين لنا اثر الفارسي في ابن الحاجب .

والدارس لكتاب الكافية يرى انها سارت على نسق ترتيب أبي على في الإيضاح وذلك لأن الزمخشري في كتاب المفصل نظر إلى ترتيب أبي على في كتاب الإيضاح حيث جعل كتابه مقسوماً على أربعة أقسام: أسماء وأفعال وحروف ومشترك بين أحوالها (90) .

وقد قال النحاة عن كافية ابن الحاجب : أنها تلخيص للمفصل وحقيقة الامر ان ابن الحاجب كان متاثراً في كافنته بالإيضاح وبالفصل مما .

امثلة توضح اثر الفارسي في ابن الحاجب :

(1) « اذا كان الخبر طرنا ، او جاراً او مجروراً رجح ابن الحاجب تبعاً للزمخشري والفارسي تقديم الفعل ، لانه الاصل في العمل ولتعيينه في الصلة » (91)

(2) اختلف النحاة في الحق تاء الثانيث بالفعل في جمعي التصحيح المذكور والمؤنث — سيبويه وجمهور البصريين يوجبون التذكير في الفعل في نحو

(88) سيبويه امام النحاة من 187 .

(89) كشف الظنون مجلد 1 نهر 212 .

(90) شرح المفصل للزمخشري : ابن يعيش ج 1 من 17 ط المنيرية .

(91) الجمع ج 1 من 98 - 99 .

(92) التصريح والحاشية ج 1 من 280 .

(93) البقرة : 35 .

(94) الحشر : 9 .

(95) التصريح ج 2 من 154 .

(96) حاشية الصبان على الاشموني ج 2 من 207 (الحلبي) .

النكرة ، ولذلك لم يوصف ، لانه ضمير بلا خلاف والضمائر لا توصف (97) واذا قارنا بين قول ابي علي وبين قول ابن الحاجب في هذا الضمير لرأينا النكرة واحدة .

هذه أمثلة تدل على أن ابن الحاجب كان يميل أحياناً إلى آراء ابي علي في كثير من المسائل التحوية ، وليس في هذا الميل نقصان لشخصية ابن الحاجب فابو علي امام مجتهد في النحو تطور النحو على يديه بما وضع من مطابيس وتعليلات وكانت له نزعة بصرية توجهه وجهتهم في كثير من المسائل التحوية ، فلا حرج اذن على ابن الحاجب المنطقي الذي يؤمن بالقياس والعلة، والبرهان والجدل — شأنه شأن البصريين .. لا حرج عليه ان يتأثر بابي علي في بعض المسائل التحوية ، لانه يشبهه الى حد كبير في نزعته الى القياس وميله الى المنطق .

على ان تبعية ابن الحاجب للفارسي ليست تبعية عمياء ، وإنما التبعية التي يتضح فيها الدليل ، ويستقيم المنطق ، وتتبين فيها الحجة ولا ادل على ذلك من ان ابن الحاجب خالف ابا علي في بعض المسائل ، خالقه لانه لم ير في رأيه القوة التي تحمله على التبعية .

ومن غير شك ، ان هذه المخالفة ان دلت على شيء فانها تدل على شخصية ابن الحاجب التحوية تلك الشخصية التي لا تقبل رأيا الا بعد تمحيقه وتدقيق وبحث ومناقشة ، لا تقبل رأيا الا بعد ان تسلط عليه أسوء عقلها ، وائشة فكرها لتتبين وجه الحق فيه ، فإذا ما صع هذا الرأي في نظره اخذه من غير مبالغة ايا كان مصدره وابا كان منبه بصريا او كوفيا او بغداديا .

وإذا لم يصح في رأيه رفضه ، ومع الرفض الاسباب المنطقية التي دعته الى الرفض اذن فابن الحاجب لا يقتيد بمذهب معين ولا بتوجهه معين ، لا يتعصب للبصريين او للковينين من غير نظر وروية ، لا يؤمن بقداسة كبار النحاة ولا بالآراء التي تصدر عنهم فكما قدمت رأينا كيف نقاش البصريين ، ورفض بعض مسائلهم ، كما انه نقاش الكوفيين ، وهدم بعض

(97) الامالي ص 63 (مخطوط 1034) نحو دار الكتب .

(98) الاشمونتي ج 3 ص 243 .

(99) البغية ص 55 .

وقال الإمام الزمخشري – انه مخوض على الجوار ، وليس يحيد اذ لم يات الخفاض على الجوار في القرآن الكريم ، ولا في الكلام الفصيح ، وإنما هو شاذ في كلام من لا يؤبه له من العرب فلتحمل الآية على ما ذكر (101) .

وهذا الرد من ابن الحاجب ينبهنا الى امر آخر خالق فيه الزمخشري كل المخالفة وذلك لأن الزمخشري كان يؤيد مذهب أبي على في التقياس ، فنجد كان يرى الاحتياج باقوال المولدين ، والقياس عليهما (102) .

اما ابن الحاجب فلم يتبع هذا ولا ذاك ، بل يقرر ان الاستشهاد النحوي يبحث عنه في القرآن الكريم ، ثم في الكلام الفصيح ، أما ما عدا ذلك فهو كلام من لا يؤبه له من العرب من لا يصح في مذهبـه ان يستشهد بقوله او يؤخذ بكلامـه .

(2) تعقيبه على الزمخشري حينما قال : المبني هو الذي سكون آخره وحركته لا يعامل ... تقدم ذكر ذلك ص 18 ، من البحث .

وليس معنى مخالفة ابن الحاجب للزمخشري انه كان متعمقاً ضدـه ينتقدـه في كل رأي ويهدـمه في كل نكـرة ، لا .. لم يكن هذا من شيمـة ابن الحاجـب لـأنـه كان رائـدهـ الحق ، والحق وحـده ، أـنـى وجـدهـ أحـدـهـ بـغضـ النظر عن مصدرـهـ ومنـبعـهـ .

لهـذاـ فقدـ وافقـ الزمخـشـريـ فيـ بعضـ المـسـائلـ التيـ وضعـ فيهاـ الدـلـيلـ وليـسـ معـنىـ هـذـهـ المـوـافـقـةـ اـنـهـ اـنـذـ نـحـوـهـ مـنـهـ ، لـانـ اـبـنـ الحاجـبـ لاـ يـوـافـقـ عـلـىـ رـأـيـ الاـ بـعـدـ مـاـ نـاقـشـهـ وـبـحـثـ ، موـافـقـةـ مـصـدرـهـ الـاجـتـهـادـ وـالـعـقـمـ لـاـ اـتـبـاعـ وـالـتـلـيـدـ ..

فـمـنـ الـمـسـائـلـ الـتـيـ وـافـقـ فـيـهاـ اـبـنـ الحاجـبـ الزـمـخـشـريـ :

(1) السـمـوـاتـ : قوله تعالى : خـلـقـ اللهـ السـمـوـاتـ (103) منـعـلـ مـطـلقـ لـبـيـانـ التـوـعـ عـنـدـ الزـمـخـشـريـ وـابـنـ الحاجـبـ .

ومـعـنىـ هـذـهـ العـبـارـةـ اـنـ اـبـنـ الحاجـبـ تـلـمـيـذـ للـزـمـخـشـريـ تـأـثـرـ بـهـ وـسـارـ عـلـىـ نـهـجـهـ وـرـدـدـ آـرـاءـ دـافـعـ عـنـهـ ، وـلـيـسـ لـهـ فـكـرـ مـسـتـقـلـ يـسـتـعـمـلـهـ فـيـ العـوـيـصـ مـنـ الـمـشـكـلـاتـ النـحـوـيـةـ وـبـعـبـارـةـ اـخـرـىـ ، لـيـسـ اـبـنـ الحاجـبـ اـمـاـ مـجـهـدـاـ فـيـ النـحـوـ ، يـاخـذـ مـاـ يـهـلـيـهـ عـلـىـ غـيرـ نـظـرـ اوـ بـحـثـ .

وـحـقـيقـةـ الـاـمـرـ اـنـ صـحـ مـاـ قـالـهـ اـبـنـ مـالـكـ ، فـانـ هـذـاـ تـقـليلـ مـنـ مـكـانـةـ الرـجـلـ مـنـ غـيرـ دـلـيـلـ ، وـتـضـعـيفـ لـشـخـصـيـتـهـ مـنـ غـيرـ حـجـةـ .

وـالـحـقـيقـةـ الـتـيـ لـاـ شـكـ فـيـهاـ اـنـ اـبـنـ الحاجـبـ كـمـاـ قـلتـ اـكـثـرـ مـنـ مـرـةـ لـهـ شـخـصـيـتـهـ الـمـسـتـقـلـةـ فـيـ تـوـجـيهـهـ وـفـيـ آـرـاءـهـ وـهـوـ وـاـنـ تـأـثـرـ بـالـبـصـرـيـنـ اوـ بـأـيـيـ عـلـىـ فـيـ بـعـضـ الـمـوـاطـنـ فـهـوـ التـأـثـرـ الـذـيـ لـاـ يـذـبـ شـخـصـيـتـهـ وـلـاـ يـغـنـيـ تـفـكـيرـهـ وـلـاـ يـمـيـتـ عـقـلـهـ .

وـالـدـلـيـلـ الـاـوـضـعـ عـلـىـ اـنـ اـبـنـ الحاجـبـ لـمـ يـكـنـ نـسـخـةـ طـبـقـ الـاـصـلـ مـنـ الـزـمـخـشـريـ يـرـدـدـ آـرـاءـهـ وـيـتـبـعـ بـأـقـوـالـهـ ، وـيـاخـذـ بـوـجـهـ نـظـرـهـ كـمـاـ اـدـعـيـ اـبـنـ مـالـكـ هـوـ اـمـلـاؤـهـ عـلـىـ الـمـنـصـلـ لـلـزـمـخـشـريـ ، وـنـقـدـهـ لـهـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ الـمـسـائـلـ وـفـيـ كـتـابـ : الـامـالـيـ : جـعـلـ قـسـماـ خـاصـاـ لـاـمـلـائـهـ عـلـىـ الـمـفـصـلـ نـاقـداـ وـمـوجـهاـ ، شـارـحاـ وـمـمحـصـاـ مـاـ يـدـلـ عـلـىـ اـنـ اـبـنـ الحاجـبـ صـاحـبـ قـرـيـحةـ وـقـادـةـ مـنـ الصـعـبـ عـلـىـهـ اـنـ تـسـيـرـ فـيـ رـكـبـ اـيـ اـتـجـاهـ نـحـوـيـ مـنـ غـيرـ اـنـ تـبـصـرـ الـهـدـفـ وـتـتـعـرـفـ عـلـىـ الـطـرـيقـ .

(1) قال رضي الله عنه مهليا على قوله تعالى وامسحوا برعوسكم وارجلكم (100) من قرأ بالخفاض عطفا على قوله برعوسكم ، والمراد اغسلوا ارجلكم وليس الخفاض على المجاورة وإنما على الاستفباء باحد الفعلين عن الآخر .

والـعـربـ اـذـ اـجـتـمـعـ فـعـلـانـ مـتـقـارـيـانـ فـيـ الـمـعـنـىـ وـلـكـ وـاـحـدـ مـتـعـلـقـ جـوـزـتـ ذـكـرـ اـحـدـ الـفـعـلـيـنـ وـعـطـفـ مـتـعـلـقـ الـمـحـذـفـ عـلـىـ الـذـكـورـ عـلـىـ حـسـبـ مـاـ يـقـضـيـهـ لـفـظـهـ حـتـىـ كـاـنـهـ شـرـيكـ فـيـ اـمـلـ الـفـعـلـ اـجـراءـ لـاـحـدـ الـمـتـقـارـيـانـ مـجـرـيـ اـلـخـرـ كـتـولـهـ تـقـلـدـتـ بـالـسـيـفـ وـالـرـمـحـ ، وـعـلـقـتـهـ بـالـثـبـنـ وـالـمـاءـ .

(100) المائدة : 6

(101) الامالي : ص 55 .

(102) من اسرار اللغة . الدكتور ابراهيم انيس ص 20

(103) العنکبوت : 29

فرحوا به ، وانا شديد التعجب منهم فانهم اذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقها دليلا على صحتها فلأن يجعلوا ورود القرآن دليلا على صحتها كان اولى (109) .

وابن الحاجب لم يكن كما كان غيره من النحاة البصريين ينظرون الى القراءات نظرة الريبة والشك، بل كان يؤمن بتوافر القراءات السبع وان الاستشهاد بها احرى من الاستشهاد بغيرها واقوى . وقد قلت سابقا : انه رد الخصم على الجوار وبين انه غير جيد اذ لم يأت في القرآن الكريم بقراءاته المشهورة ، ثم الكلام الفصيح قال ابن الحاجب في مختصر المنتهي : ان القراءات السبع متواترة فيما ليس من قبل الاداء، كالمد والامالة وتخفيف الهمزة ونحوها (111) .

ومع هذا لم يسلم ابن الحاجب من النقد في قوله: « ان المد والامالة وتخفيف الهمزة ، ونحوه غير متواتر » .

فقد تعرض له ابن الجزري بقوله : لبيت شعري من الذي تقدم ابن الحاجب بهذا القول فممن اثره ؟ فلو فكر الشيخ فيما قاله لما اقدم عليه ، ولبيت الامام ابن الحاجب اخلي كتابه من ذكر القراءات واثرها كما اخفي غيره كتبهم منها ، بل ليته سكت عن المثلث (112) .

هذا واذا قارنا بين ما قاله ابن الحاجب عن القراءات وتوافرها بما قاله الزمخشري عنها لوجدنا ان ابن الحاجب يختلف تمام الاختلاف عن الزمخشري فالقراءات عند الزمخشري غير متواترة ويبيني على هذا ان الزمخشري يسقط القراءات من حسابه فيستطع اصلا من اصول الاستشهاد في اللغة كبيرا .

وذلك كما يقول ابن هشام في المغني : ان المفعول به ما كان موجودا قبل الفعل الذي عمل فيه ، ثم اوقع الفاعل به فعلا .

والمعنى المطلق ما كان الفعل العامل فيه هو فعل ايجاده ، وان كان ذاتا لان الله سبحانه موجد للانفعال وللذوات جميعا (104) .

(2) وسواء عليهم الذرتهم ام لم تنذرهم (105) .
الزمخشري مثل بالآلية لتقدم الخبر . قال ابن الحاجب : كون سواء خبرا مقدما هو الصحيح ، وقول الاكثر (106) .

(3) جميع الاوزان من غير الثلاثة اسم فاعل مطلقا عند ابن الحاجب والزمخشري لان الصفة المشبهة عندهم لا تكون مجارية للمضارع وان لم يقصد بها الحدوث (107) .

7 - ابن الحاجب والقراءات :

القرآن الكريم افضل ما يحتاج به في تقرير اصول اللغة ، شأنه نزل بلسان عربي مبين .

ولا يمتري احد في انه بلغ من الفصاحة وحسن البيان النزوة التي ليس بعدها مرقى ، فيجب ان تأخذ بالقياس على ما ورد عليه ، كلمة ، آياته من احكام لفظية (108) .

وقال الرازى في تفسيره عند قوله تعالى : «تسألون به والارحام» ، اذا جوزنا اثبات اللغة بشعر مجهول ، نجواز اثباتها بالقرآن العظيم اولى وكثيرا ما نرى النحويين متذمرين في تحرير الانفاظ الواردة في القرآن الكريم فاذا استشهدوا في تقريرها ببيت مجهول

(104) التصريح ج 1 من 80 .
(105) البقرة : 6 .

(106) حاشية ياسين ج 1 من 155 .

(107) حاشية ياسين ج 2 من 78 . طر الحلبى

(108) القراءات واللهجات عبد الوهاب حموده من 129 .

(109) نفس المصدر من 130 .

(110) الامالي من 130 .

(111) مختصر المنتهي الاصولى من 49 مطبعة كردستان العلمية .

(112) القراءات واللهجات من 70 .

ثم قال أبو حيان موجهاً نحده اللاذع للزمخضري حيث رد قراءة ابن عامر : « واعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محسن قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت ، واعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراءة الائمة الذين تغيرتهم هذه الامة لنقل كتاب الله شرعاً وغرياً ، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم (115) .

ومن هنا نعرف لابن الحاجب قدره فهو لسم يكن كالزمخضري يجري وراءه ويقتفي اثره في كل ما يقول ابن مالك : اخذ نحوه عن صاحب المفصل . وصاحب المفصل نحوي صغير .

هذه خطوط عريضة لاتجاهات ابن الحاجب النحوية ، فهو بصري ان صح له دليل البصريين ، وهو كوفي ان وضحت له حجة الكوفيين وهو متأثر بآباه علي اذا كان رأيه مؤيداً بالنطق ويتبع الزمخضري اذا كان دليله مدعماً بالبرهان .

ورجل شأنه هكذا لابد ان يكون مستقلاً في آرائه وتوجيهاته ، بعيداً عن التعمص وتنزعات الهوى ، تربياً من الحق انى وجده ، تحيط بآرائه ادله كما يحيط السوار بالعصم يستشهد بالقرآن الكريم ، وبالقراءات المتواترة ، وبالكلام العربي النصيحة ، يستخدم التفاسير وقضايا المنطق في مسائل النحو ، وينظر الى العلة نظرة التقديس والاجلال .

قال الزمخضري في تفسيره « الكشاف » عند تعرضه لتفسیر الآية القرآنية « وكذلك زین لکثیر من المشرکین قتل اولادهم شركاؤهم » : واما قراءة ابن عامر : قتل اولادهم شركائهم ، برفع القتل ، ونصب الاولاد وجد الشرکاء على اضافة القتل الى الشرکاء والنصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً ، فكيف به في الكلام المنشور ، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته .

والذي حمله على ذلك انه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء ، ولو قرأ بجر الاولاد والشرکاء ، لأن الاولاد شركاؤهم في اموالهم لو جد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب (113) .

قال أبو حيان معتباً على الزمخضري في تفسيره (البحر) :

« وقرأ ابن عامر كذلك الا انه نصب اولادهم وجر شركائهم ، فصل بين المصدر المضاف الى الفاعل بالمعنى وهي مسألة مختلفة في جوازها فجمهور البصريين يمنعونها متقدموهم ومتاخروهم ، ولا يجيزون ذلك الا في شرورة الشعر .

وبعض النحوين اجازها ، وهو الصحيح لوجودها في هذه القراءة المتواترة النسوية التي العربي الصحيح المحسن ابن عامر ، الاخذ بالقرآن على عثمان بن عنان قبل ان يظهر اللحن في لسان العرب (114) .

(113) الكشاف : الزمخضري ج 2 من 70 ط ثانية (مطبعة دار الاستقامة)

(114) البحر المحيط : ج 4 من 229

(115) البحر المحيط : ج 4 من 230 .

مراجع البحث

- (1) الاشباه والنظائر في النحو : السيوطي : الطبعة الثانية : حيدرabad .
- (2) الانتراح : السيوطي : مطبعة دار المعارف النظامية : حيدر اباد .
- (3) الامالي : ابن الحاچب مخطوط رقم 1007 نحو — دار الكتب المصرية .
- (4) انباء الرواۃ : جمال الدين على بن يوسف القنطري : تحقيق الاستاذ أبي الفضل . مطبعة دار الكتب .
- (5) البحر المحيط : اثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان : مطبعة السعادة .
- (6) البداية والنهاية : ابو الفداء عماد الدين اسماعيل .
- (7) البغية : السيوطي : مطبعة السعادة (الطبعة الاولى) .
- (8) تاريخ سوريا : يوسف الياس مطران : مطبعة بيروت 1952 .
- (9) حاشية الصبان على الاشموني : محمد بن علي الصبان : مطبعة الحلبي .
- (10) حاشية ياسين على التصريح : ياسين بن زين الدين العليمي : مطبعة الحلبي .
- (11) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية : الدكتور احمد احمد بدوي : مطبعة نهضة مصر .
- (12) خطط الشام : محمد كرد علي : المطبعة الحديثة بدمشق 1925 .
- (13) دائرة المعارف الاسلامية .
- (14) روضات الجنات في احوال العلماء والسداد : محمد باقر بن زين العابدين .
- (15) سيبويه امام النحاة : الاستاذ علي النجدي : مطبعة لجنة البيان العربي .
- (16) شذرات الذهب : ابن العماد .
- (17) شرح التصريح : الشيخ خالد بن عبد الله الازهري — مطبعة الحلبي .
- (18) شرح الرضي على الكافية : محمد بن حسن الرضي : مطبعة مجمع الرضي 1275 هـ .
- (19) الطالع السعيد : الادفوی : كمال الدين أبو الفضل : مطبعة الجمالية بمصر .
- (20) الظاهر بيبرس وحضاره مصر في عهده . دكتور جمال الدين سرور — دار الفكر العربي .
- (21) أبو علي الفارسي : دكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي : مطبعة نهضة مصر .
- (22) غایة النهاية : ابن الجزري : مطبعة السعادة .
- (23) القراءات واللهجات : الاستاذ عبد الوهاب حموده : مطبعة السعادة .
- (24) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل — الزمخشري : مطبعة دار الاستقامة .
- (25) كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون : وكالة المعارف باستانبول .
- (26) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .
- (27) مختصر المنتهي الاصولي : ابن الحاچب : مطبعة كردستان .
- (28) مدرسة الكوفة : الدكتور مهدي المخزومي : مطبعة الحلبي .
- (29) معجم الادباء : ياقوت بن عبد الله الحموي : مطبعة لجنة البيان العربي .
- (30) من أسرار اللغة : الدكتور ابراهيم آنيس : مطبعة لجنة البيان العربي .
- (31) النجوم الزاهرة : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغزى بردى — مطبعة دار الكتب المصرية .
- (32) النشر في القراءات العشر : ابن الجزري : مطبعة التوفيق بدمشق .
- (33) همع المهاوم جمع الجوامع : السيوطي : مطبعة السعادة .
- (34) وفیات الاعیان : ابن خلکان : تحقيق الاستاذ محمد محي الدين — مطبعة السعاده .

علم الحركة في الفلسفة العربية

مفاهيمه وأفاضله

الدكتور جلال شوقي - جامعة القاهرة -

العلوم سبع رسائل ، أولها هذه الرسالة التي ذكرنا فيها الهيولي والصورة والحركة والمكان والزمان ، اذ كانت هذه الاشياء الخمسة محتوية على كل جسم » .

ويستطرد اخوان الصفا في رسالتهم فيعرفون كلا من هذه الاشياء على النحو التالي :

« اعلم وفتك الله ان معنى قول الحكماء « الهيولي » انما يعنون به كل جوهر قابل للصورة ، وقولهم « الصورة » يعنون به كل شكل ونقش يقبله الجوهر . واعلم ان اختلاف الموجودات انما هو بالصورة لا بالهيولي ... » .

« اما المكان عند الجمهور فهو الواقع الذي يكون فيه المتمكн » .

« وأما الحركة التي تبمئى النقلة فهي عند جمهور الناس الخروج من مكان الى مكان آخر ... »
« ثم اعلم انه لا تفصل حركة عن حركة الا يسكن بينهما ، وهذا يعنونه ولا يشك فيه اهل صناعة الموسيقى ، وذلك ان صناعتهم معرفة تاليف النغم ، والنغم لا يكون الا بالاسوات والاصوات لا تحدث الا من تصادم الاجسام ، وتصادم الاجسام لا يكون الا بالحركات ، والحركات لا تفصل بعضها عن بعض الا يسكنات تكون بينها » .

درس العرب حركة الأجسام ضمن نطاق «الطبيعيات»، فحددوا مفاهيمها وعناصرها، ووضعوا لها التسميات المختلفة، واستعملوا في كتاباتهم لفاظاً معينة منها لفاظ «المبدأ» و«الميل» و«الاعتماد» و«قوة الحركة» و«اعتماد المتحرك» وذلك للدلالة على معانٍ شتى . وبهذا ينبع الباحث في الفلسفة العربية أن يقف تماماً على المعاني التي وردت فيها هذه الالتفاظ حتى يتسعى له الوقوف على ما توصل إليه العرب في مجال علم الحركة ، ويقدم هذا البحث عرضاً شاملأ وتحليلياً دقيقاً لمفهوم الحركة والظواهر كما جاءت في كتب الفلسفة والحكمة العربية.

1 - الطبيعتا وعلم الحركة

تعرض العرب بالدراسة لحركة الأجسام في كتب الفلسفة لا سيما في قسمي «الطبيعيات» و «الإلهيات» ونبين فيما يلي بعض كتابات العلماء وال فلاسفه العرب التي تدل على نسبتهم لعلم الحركة لقسم «الطبيعيات». يقول أخوان الصنا (1) في رسالتهم الخامسة عشرة (2) :

« والأمور الطبيعية هي الأشياء وما يعرض لها من الأغراض الالزامية والمزايلة ، وقد عملنا في هذه

1) من علماء وفلاسفة القرن العاشر الميلادي .

2) هي نفسها الرسالة الاولى في الجمانيات الطبيعيات .

المنسوب الى الطبيعة ، وهو المتمثل على المعلم بساير المحسوسات من الحركات والمحركات والمحركات وما مع الحركات وبالحركات والمحركات وفي المحركات من الآثار المحسوسة » .

ويمضي ابن ملکا في الورقة الخامسة من نفس المخطوط يقول :

« ... وقوم سموا بالطبيعة كل قوة جسمانية ، اعني كل مبدأ فعل يصدر عن الاجسام مما وجوده فيها ، ف تكون الامور الطبيعية هي الامور النسوية الى هذه القوة ، اما على أنها موضوعات لها ولما يصدر عنها كالاجسام ، فيتقال اجسام طبيعية ، وأما آثار وحركات وهبات صادرة عنها كالالوان والاشكال .

والعلوم الطبيعية هي العلوم الناظرة في هذه الامور الطبيعية ، فهي الناظرة في كل متحرك وساكن وما عنه ، وما به ، وما منه ، وما اليه ، وما فيه الحركة والسكن .

والطبيعيات هي الاشياء الواقعه تحت الحواس من الاجسام واحوالها ، وما يصدر عنها من حركاتها وانفعالها ، وما ينبع ذلك منها من قوى وذوات غير محسوسة ، فالعلم يتعرض لاظهرها فاظهرها اولا ، ويترقى منه الى الاخفى فالاخفي ... » .

2 — عناصر الحركة وأقسامها :

تعرض العلماء وال فلاسفه العرب بتفصيل عظيم لحركة الاجسام ، فأسهبوا في الكتابة عن مفهوم الحركة وعن انصارها وارتباطها بالزمان ، كما قسموها الى انتقالية و دورانية ، كذا الى طبيعية وقسرية ، ونورد فيما يلي نماذج من كتاباتهم في هذا المجال .

أولاً : عناصر الحركة :

يحدد الشيخ الرئيس ابن سينا (9) في كتابه

اما الزمان عند جمهور الناس فهو مرور السنين والأيام والساعات » .

ويقول اخوان الصنف ايضا في رسالتهم السادسة عشرة (3) :

« والحركات ستة انواع ، احدها النقلة وهي نوعان دورية ومستقيمة ... واتم الحركات الدورية كما بينا في رسالة الحركات » .

ويعود اخوان الصنف مرة ثانية الى تاكيد مفاهيم للأمور الطبيعية فيورد في رسالتهم الرابعة والعشرين (4) ما نصه :

« بيان ذلك أن الجسم بالسكن أولى من الحركة هو ان الجسم ذو جهات ست ، ولا يمكنه ان يتحرك الى جميع الجهات دفعه واحدة ، وليس حركته الى جهة اولى من جهة ، فإذا السكون اولى به من الحركة » .

ويقول اخوان الصنف في الرسالة الثامنة من القسم الرياضي في فصل ان الجسم لا يتحرك من ذاته: « والجسم من حيث الجسمية ليس بمحرك ، والافعال لا تكون الا بالحركة ، فالمحرك للاجسام جوهر آخر ... » .

ويعرف الامام محمد ابو حامد الفرازيلي (5) الطبيعيات في كتابه « معيار العلم » (6) فيقول :

« ولكل علم موضوع ...

وموضوع العلم الملقب بالطبيعي : جسم العالم من جهة ما يتحرك ويسكن » .

ويقول ابو البركات هبة الله بن علي بن ملکا البغدادي (7) في كتابه « المعتبر في الحكمة » (8) :

« ... نعلى هذا يسهل طريق التعليم الحكمي الذي يكون بالنظر والاستدلال ، وهذا القانون يعنيه يستعمل في هذا العلم المسمى بالعلم الطبيعي

(3) هي الرسالة الثانية من الجسمانيات الطبيعيات.

(4) هي الرسالة العاشرة من الجسمانيات الطبيعيات .

(5) عاش في الفترة من سنة 1059 حتى 1111 م (451 - 505 هـ) .

(6) كتاب القياس — النظر الرابع في لواحق القياس — طبعة دار المعارف بالقاهرة صفحة 251 .

(7) توفي عام 1151 م (547 هـ) .

(8) مخطوط مكتبة احمد الثالث باستانبول رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل الاول — الورقة 3 .

(9) عاش في الفترة من عام 980 م حتى عام 1037 م (370 - 428 هـ) .

« وكل حركة في مسافة تنتهي إلى حد ما ، تنتهي إلى سكون فيه ، ف تكون غير الحركة التي بها يستحفظ الزمان المتعلّل .

فالحركة الوضعية هي التي بها يستحفظ الزمان المتعلّل ، وهي الدورية » .

اما هبة الله بن ملكا البغدادي فيقول في كتابه : « المعتبر في الحكمة » (14) :

« ... واعم اعراض الجسم الطبيعي واحسها به من حيث هو جسم هي الحركة ؛ وهذا موضع الكلام فيها ، والحركة تقال على وجوه ، فمنها الحركة المكانية وهي التي بها ينتقل المتحرك من مكان الى مكان ؛ ومنها الحركة الوضعية ، وهي التي تتبدل بها وضع المتحرك ؛ وتنقل اجزاه في اجزاء مكانه ، ولا يخرجه عن جملة مكانه ، كالدولاب والرحا ... »

ب) تقسيم الحركة الى طبيعية وقسرية :

1 — بالحركة الطبيعية يقصد العرب حركة الجسم الى موضعه الطبيعي بعد ان يخرج عنه قسراً، وذلك عند زوال القادر عنه ، وعلى ذلك فالحركة الطبيعية عندهم هي حركة التثقل الى السفل ، وحركة الخفيف الى العلو ، اذا ما اخرج الجسم قسراً من مكانه الطبيعي .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في « الرسالة الاولى في الطبيعيات من عيون الحكمة » .

« وكل جسم متحرك فحركته اما من سبب من خارج ، وتسمى حركة قسرية ، وأما من سبب في نفس الجسم ، اذ الجسم لا يتحرك بذاته ، وذلك السبب ان كان محركاً على جهة واحدة على سبيل التسخير ، فيسمى طبيعية ، وان كان محركاً حركات شتى بارادة او غير ارادة ، او محركاً حركة واحدة بارادة فيسمى نفسها » .

« الشفاء » (10) الامور المتعلقة بالحركة بكونها سنة امور ، فيقول :

« المتحرك ، والمحرك ، وما فيه ، وما منه . وما اليه ، والزمان » .

بالمتحرك يقصد الشيخ الرئيس الجسم الذي به الحركة ، وبالمحرك القوة المسيبة للحركة ، وبقوله ما فيه يقصد المكان والوضع ، وما منه وما اليه مواضع الابتداء والانتهاء ، اي طرفي مسافة الانتقال وتتضمن اتجاه الحركة ، اما الزمان فالقصد منه الفترة الزمنية التي تتم فيها الحركة بقطع مسافة الانتقال ، وارتباط الزمان بالمسافة يحدد سرعة الحركة .

ويقول ابو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي في كتابه « المعتبر في الحكمة » (11) .

« فاتصال الزمان لازم لاتصال الحركة ، ووحدة الحركة هو باتصالها في الزمان والمسافة » .

ثانياً : اقسام الحركة :

قسم فلاسفة العرب الحركة الى انتقالية ووضعية ، كذلك الى حركة طبيعية وحركة قسرية (غير طبيعية) ، وتتفضح هذه المفاهيم بجلاء في كتاباتهم التي نورد نماذج منها فيما يلي :

أ) تقسيم الحركة الى انتقالية ووضعية :

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في « الرسالة الاولى في الطبيعيات من عيون الحكمة » (12) :

« الحركة التي من اين الى اين تسمى نقلة الحركة التي من وضع الى وضع تسمى وضعيّة » (13) :

(10) طبيعيات الشفاء — المطالع الثانية — الفصل الأول .

(11) مخطوط مكتبة احمد الثالث باستانبول رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل الثالث والعشرون ، الورقة 87 .

(12) كتاب « تسع رسائل في الحكمة والطبيعتين » للشيخ الرئيس ابن سينا ، طبعة القاهرة سنة 1326هـ (1908 م) ، مطبعة هندية بالموسكنى بمصر .

(13) النطـ. السادس — الفصل السادس — الفصل السادس عشر .

(14) مخطوط مكتبة احمد الثالث رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل التاسع — الورقة 26 .

والقسر من شيء خارج عن المتحرك بحركة على مقتضى طباع المحرك أو رويته ، لا على مقتضى طباع المتحرك ورويته .

والسماء لا يجوز أن تكون حركتها قسرية ، لأن القسر اذا دام تبطل الطبيعة ، ويفسد المطبوع ويحلله الى مقتضاه ، وهو فعل الاضداد بالضداته ، والسماء لا ضد لها ، ولا تضاد فيها ، ولا مساد لها ، وحركتها دائمة ، كذلك فليس بقسرية ومن القاسر ، فإن كل قاصر لجسم عن طبع آخر ، فاما ان القسر الدائم يبطل الطباع ، ويفسد لها فمعلوم من جهة ما لدينا من المتضادات وافساد بعضها بعضا ، فما السماوات مقتضورة على حركتها الدائمة ، ولا حركتها بالطبيعة المسخرة ... » .

3 – الفاظ «المبدأ» و «الميل» و «الاعتماد»

استعمل العرب في كتاباتهم عن الحركة تعبير خاصة تشمل على الفاظ «المبدأ» و «الميل» و «الاعتماد» ، كذا «مبدأ ميل» ، وتقدم فيما يلي المعاني التي تؤديها هذه الالفاظ من واتع النصوص التي ورد استعمالها فيها .

أولاً : «المبدأ» :

كلمة «مبدأ» تused العرب عموماً السبب والعلة . هذا الى جانب استعمالها بمعنى موضع بداية الحركة .

يعرف الامام محمد ابو حامد الغزالى لفظ «المبدأ»
فيقول (18) :

« والمبدأ اسم لما يكون قد استلم وجوده في نفسه ، اما عن ذاته ، واما عن غيره ، ثم يحصل منه وجود شيء آخر ي تقوم به ، ويسمي هذا علة بالاضافة الى ما هو مبدأ له » .

(15) مخطوط مكتبة احمد الثالث رقم 3222 – المجلد الثاني – الفصل الرابع عشر – الورقة 47 ، 48

(16) الكتاب الثاني – الفن الخامس – الفصل الخامس والاربعون (طبعة حيدرآباد الدكن بالهند ، الصفحة 621) .

(17) مخطوط مكتبة احمد الثالث رقم 3222 – الفصل السابع – الورقة 135 .

(18) كتاب «عيار العلم» : كتاب اقسام الوجود واحكامه ، الفن الثاني ، طبعة دار المعارف بالقاهرة ، الصفحة 330 .

ويقول هبة الله بن ملكا البغدادي في كتابه «المعتبر في الحكمة» (15) :

« ... فان الحركة اما طبيعية واما قسرية ؛ والقسرية يتقدمها الطبيعة ، لأن المقصور انما هو مقصور عن طبعه الى طبع قاسره ، فإذا لم يكن حركه بالطبع لم يكن حركه بالقسر ، والطبيعة انما تكون عن مباين بالطبع الى مناسب بالطبع ، او الى مناسب مناسب من مناسب » ...

ويقول الامام فخر الدين الرازي في كتابه: «المباحث الشرقية في علم الالهيات والطبيعيات» (16) :

« ... وان كانت الحركة حاصلة فيه ، فاما ان يكون سببها شيئاً موجوداً في الجسم ، او يكون سبب تلك الحركة خارجاً عن ذات المحرك ، والقسم الاول هو الحركة الطبيعية ، والقسم الثاني هو الحركة القسرية ، واما القسم الاول وهو الذي يكون مبدأ الحركة قوياً موجودة في ذلك الجسم ، فقد عرفت في باب القوى ان كل فعل يظهر من الجسم لا بالعرض ولا بالقسر ، فلا بد وان يكون لقوتها موجودة فيه » .

2 – بالحركة غير الطبيعية يقصد الحركة التي تنشأ عن تعريض الجسم لمحرك من الخارج ، وقد سمى النلاسفة العرب هذا القسم بالحركة القسرية ؛ وفيها يمكن للمحرك أن يلزم الجسم المتحرك اثناء تحركه ، او أن يفارقه بعد أن يبدأ الحركة فيه .

يقول هبة الله بن ملكا البغدادي في الجزء الثاني من كتابه «المعتبر في الحكمة» (17) :

« منتظر ان المحرك بالذات لكل متحرك يكون اما طبيعية ، واما قسراً ، واما اراده ، ويخصون باسم الطبيعة ما يحرك بالتسخير وعلى سنت واحد ، ويعني بالتسخير انه تحرك بغير معرفة ولا رؤية منه ، كالحجر في هبوطه ، والارادة فمعلومة ، وهي معرفة التفاعل بما يفعله وعزيزته عليه .

(15) مخطوط مكتبة احمد الثالث رقم 3222 – المجلد الثاني – الفن الخامس – الفصل الخامس والاربعون (طبعة حيدرآباد الدكن بالهند ، 48

(16) الكتاب الثاني – الفن الخامس – الفصل الخامس والاربعون (طبعة حيدرآباد الدكن بالهند ، الصفحة 621) .

(17) مخطوط مكتبة احمد الثالث رقم 3222 – الفصل السابع – الورقة 135 .

(18) كتاب «عيار العلم» : كتاب اقسام الوجود واحكامه ، الفن الثاني ، طبعة دار المعارف بالقاهرة ، الصفحة 330 .

هذا المفهوم المعنى الأول لما تعارفنا على تسميتها بالقانون الأول للحركة .

ويقول أبو البركات عبد الله بن ملكا البغدادي في كتابه « المعتبر في الحكمة » (22) :

« غبىدا يعلم ان لكل جسم طبيعى حيزا طبيعيا . فيه يكون بالطبع ، واليه يتحرك اذا ازيل عنه ، وهذا الحيز ليس هو للجسم بجسميته التي لا يخالف بها غيره من الاجسام . بل بصفة خاصة به هي طبيعة حركة او صورة خاصة بذلك الجسم ، خصته بذلك الحيز وحركته اليه ، ف تلك الطبيعة الخاصة في ذلك الجسم مبدأ حركة بالطبع وسكون بالطبع ، والتحريك النطلي المكاني انما يكون عنها بعد سبب طيارى . يخرج الجسم عن حيزه الطبيعي ، فتحركه هي اليه » .

ثانيا : « الميل »

استعمل العرب لفظ « الميل » على أربعة وجوه ، اولها المعنى الحرفي بمعنى الرغبة والاتجاه ، وثانيها معنى القوة سواء كانت قوة طبيعية ناشئة عن قوة تثاقل الجسم ، فيطلق عليها تعبير « الميل الطبيعي » او قوة قسرية مسلطة على الجسم من خارج فتصنف « ميلا قسريا » ، أما المعنى الثالث الذي ترد فيه الكلمة « الميل » فهو معنى مدافعة الجسم عن حالة التي هو عليها ، سواء كان ساكنا او متراكما حركة منتظمة وعلى استقامة ، وهو المعنى الذي نشير اليه في كتاباتنا المعاصرة « بالقصور الذاتي » او « العطالة » (23) ، وهو ذات المعنى الوارد فيما نعرفه اليوم بالقانون الأول للحركة المنسوب عرفا الى اسحق نيوتن (24) . وهناك ايضا معنى رابع ترد فيه الكلمة « الميل » هو كمية الحركة (25) . ونسوق فيما يلى نماذج من النصوص الفلسفية العربية للتدليل علىقصد العرب لهذه المعانى .

ويقول الشيخ الرئيس ابن سينا في معرض حديثه عن القوة الطبيعية في كتابه « النجاة » (19) :

« ... فمنها قوى سارية في الاجسام تحفظ عليها كمالاتها من اشكالها ومواضعها الطبيعية وامااعليا ، واذا زالت عن مواضعها الطبيعية واشكالها واحوالها ، اعادتها اليها وثبتتها عليها ، مانعة من الحالة الفير الملائنة ايها ، بلا معرفة وروية وقصد اختياري بل بل ب BXHir ، وهذه القوى تسمى طبيعية ، وهي مبدا بالذات لحركاتها بالذات ، وسيوناتها بالذات . ولسائر كمالاتها التي لها بذاتها ، وليس شيء من الاجسام الطبيعية بحال عن هذه القوة ... »

ويقول ابن سينا عن القوة الطبيعية ايضا في طبيعتيات كتابه « الشفاء » (20) :

« كل جسم له مكان طبيعي او حيز تقتضي طبيعته الكون فيه ، وهو يخالفسائر الاجسام لا لجسميته ، بل لأن فيه مبدأ وقوة معدة نحو ذلك المكان » .

ويقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « الاشارات والتنبيهات » (21) :

« انك لتعلم ان الجسم اذا خلى وطباعه ، ولم يعرض له من خارج تأثير غريب ، لم يكن له بد من موضع معين وشكل معين ، فاذن في طباعه مبدأ استجابة ذلك » .

بهذه الكلمات يقصد ابن سينا ان الجسم يبقى - بطبيعته - ساكتا في موضع معين ، متخذا شكلـا معينا ، ومحافظا على هذه الحال بسبب طبعـه ، ما لم يطرأ عليه مؤثر خارجي يخرجه عن هذا الموضع او الشكل او عن كليهما ، اي ان من طبعـ الجسم المدافعة عن بقائه على حالة سكونـه الطبيعي ويتمثل

(19) طبعة القاهرة عام 1331 هـ - الجزء الثاني - الصفحتان 161 ، 162 .

(20) المقالة الرابعة - الفصل الثاني عشر .

(21) النبط الثاني - الفصل السادس .

(22) مخطوط مكتبة أحمد الثالث رقم 3222 - المجلد الثاني - الفصل السادس والعشرون ، الورقة 102 .

(23)

(24) عاش في الفترة من عام 1642 حتى عام 1727 م ، واليه تتسب قوانين الحركة الثلاث التي نشرها في كتابه « الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية » .

وهي كمية موجهة قابلة للتحليل والتركيب .

(25) هي حاصل ضرب الكتلة × السرعة

1 - الميل بمعنى الحرفي :

عند الوصول الى الحيز الطبيعي والحركة المستقيمة .
وبعد الميل والحركة المستديرة ... »

2 - الميل بمعنى القوة

1 - الميل الطبيعي :

عبر العرب بالميل الطبيعي عن القوة التي تدفع الجسم الى الوصول الى مكانه الطبيعي - عندما يكون خارجا عنه - وهي قوة الجاذبية الارضية او قوة التثاقل . اي ان الميل هنا بمعنى القوة التي تؤدي الى الحركة الطبيعية للجسم حتى يستعيد موضعه الطبيعي .

اذا قالوا الميل الطبيعي قد عبر به عن القوة الطبيعية ، قوة التثاقل او قوة الجاذبية الارضية) التي تؤثر على الجسم لتعيده الى موضعه الطبيعي ، فالميل الطبيعي هنا بمعنى السعي الى الوضع الطبيعي ، ووسيلته الجاذبية الارضية .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « الاشارات والتنبيهات » (29) :

« الجسم اذا وجد على حال غير واجبة من طباعه ، فمحوله عليها من الامور الامكانية ، ولعل جاعلة ، ويقبل التبدل فيها من طباعه الالاماع ، اذا كانت هذه الحال في الموضع والوضع امكن الانتقال عنهما بحسب اعتبار الطبع ، فكان فيه ميل » .

من الواضح ان المقصود بالميل في هذا النص القوة الطبيعية الداعية الساعية الى استعادة الموضع والوضع الطبيعيين للجسم ، وهي القوة التي نعرفها اليوم بقوة الجاذبية الارضية .

ويمضي الشيخ الرئيس فيقول في طبيعتات كتابه « الشفاء » (30) :

وردت في كنایات علماء العرب وفلاسفتهم لفظة « الميل » في مواضع ارادوا بها فيها معناها الحرفي ، فقالوا بأن الجسم ان كان في حيزه الطبيعي ، فإنه يميل ويرغب في البقاء فيه ، ولا يميل او يتوجه الى العزوف عنه ، وفيما يلي بعض الأمثلة لكتابات التي جاء فيها هذا المعنى .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « الاشارات والتنبيهات » (26) :

« وانما يكون الميل الطبيعي - لا محالة نحو جهة يتوخاها الطبع ، فاذا كان الجسم الطبيعي في حيزه الطبيعي لم يكن له - وهو فيه - ميل ، لأنـه - لا محالة - انما يميل بطبيعة اليه لا عنه » .

ويشرح الامام فخر الدين الرازي هذه الاشارة فيقول (27) :

« واما قوله واذا كان الجسم في حيزه الطبيعي؛ لم يكن له - وهو فيه - ميل ، لأنـه انما يميل بطبيعة اليه لا عنه ، فاعلم ان هذه الدلالـة تدل على ان الجسم حال كونـه في حيزه الطبيعي ، لا يكون له ميل عنه ، فاذا قلنا ولا يكون له ايضا ميل اليه ، لاستحالة طلب الحاصل ، فحيـنـذا تـمـ الدلالـة على انه لا مـيلـ فيهـ في تلكـ الحالـةـ » .

ويقول ابو البركات هبة الله بن ملـكا في كتابه « المعتبر في الحكمة » (28) في معرض مقارنته بين الحركتين المستقيمة والمستديرة :

« ... فـكـماـ انـ تـلـكـ القـوـةـ وـالـطـبـيـعـةـ تـحدـثـ المـيـلـ،ـ وـتـحـرـكـ مـنـ الـأـيـنـ الـغـرـيـبـ عـلـىـ الـاسـقـامـةـ ،ـ لـاـنـهـ أـقـرـبـ إـلـىـ الـأـيـنـ الـطـبـيـعـيـ ،ـ كـذـلـكـ هـذـهـ ،ـ وـكـمـاـ بـيـطـلـ المـيـلـ فـتـلـكـ عـنـ الـوـصـولـ إـلـىـ الـحـيـزـ الـطـبـيـعـيـ ،ـ وـتـبـطـلـ الـحـرـكـةـ وـيـعـوـدـ الـجـسـمـ إـلـىـ سـكـونـهـ ،ـ كـذـلـكـ فـيـ هـذـهـ يـبـطـلـ المـيـلـ .ـ

(26) النـمـطـ الثـانـيـ -ـ الفـصـلـ السـابـعـ .

(27) الكتاب الموسوم بشرحـيـ الاـشارـاتـ لـنصـيـرـ الدـيـنـ الـطـوـسـيـ ولـلامـامـ فـخرـ الدـيـنـ الـراـزـيـ :ـ النـمـطـ الثـانـيـ .ـ

(28) مخطوطـ مـكـتبـةـ أـحـمـدـ الثـالـثـ باـسـتـانـبـولـ رـقـمـ 3222 -ـ المـجـلـدـ الثـانـيـ -ـ الفـصـلـ السـادـسـ وـالـعـشـرونـ ،ـ الـوـرـقـةـ 104 .ـ

(29) النـمـطـ الثـانـيـ -ـ الفـصـلـ الحـادـيـ عـشـرـ .ـ

(30) الـمـقـالـةـ الـرـابـعـةـ -ـ الفـصـلـ الرـابـعـ عـشـرـ .ـ

« كل ماله مكان فلا بد وان يكون له مكان طبيعي ومكان غريب ، ويكون له — لا محالة — ميل الى المكان الملازم ، وميل عن المكان الغريب ، والميل هو التقل والخفة » .

ويؤكد الفخر الرازي ازدياد القوة الطبيعية مع عظم الجسم ، فيقول (36) :

« الاجسام كلما كانت اعظم ، كان ميلها الى احيازها الطبيعية اقوى ؛ وكلما كان كذلك ، كان قبولاها للميل القسري اضعف ، لما بينا ان الميل الطبيعي عائق عن القسري .
والشيء كلما كان العائق عنه اقوى ، كان وجوده اضعف » .

ب - الميل القسري :

استعمل العرب لنظر الميل القسري بمعنى القوة الخارجة عن الجسم التي تدفع به للتحرك ، اي بمعنى القوة المؤدية الى الحركة القسرية .

يقول ابو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي في كتابه « المعتبر في الحكمة » في معرض تأييده للرأي القائل بوجود سكون بين الحركتين المتضادتين (37) : « ... ونصر الرأي القائل بالسكون بين الحركتين المتضادتين بحجته هذه ، وقال ان كل حركة بالحقيقة فهي تصدر عن ميل يتحققه اندفاع الشيء القائم امام المترعرع او احتياجه الى قوة تمانعه بها ، وهذا الميل في نفسه معنى من الامور به توصل الى حسدود الحركات ، وذلك بابعاد من شيء يلزمها مدانعة لما في وجه الحركة ، وتقريب من شيء ، ومحال ان يكون الواسطى الى حد ما واصلا بلا علة موجودة موصولة ، ومحال ان تكون هذه العلة غير التي زالت عن المستقر الاول ، وهذه الفلة يكون لها قياس الى ما يزيد ويدافع ، وبذلك القياس يسمى ميلا ، فان هذا

« ان الاجسام الموجودة ذات الميل كالثقلة والخفيفة ، اما الثقلة فمما يميل الى اسفل ، وأما الخفيفة فمما يميل الى فوق ، فانها كلما ازدادت ميلا كان قبولاها للتحريك القسري ابطأ ، فان نقل الحجر العظيم الشديد التقل او جره ليس كنقل الحجر الصغير القليل التقل او جره » .

فالميل هنا بمعنى قوة الجاذبية ، ونحن نعلم ان الجسم كلما زاد وزنه كلما زادت قوة احتكاكه بالسطح الذي عليه يرتكز ، اذ ان قوة الاحتكاك تناسب تناسبا طرديا مباشرة مع وزن الجسم ، وبالتالي فكلما زاد وزن الجسم كلما ازدادت مقاومته للتحريك .
معنى ان القوة اللازمة للتقلب على قوة الاحتكاك تزيد بزيادة وزن الجسم ، هذا هو المعنى الذي ورد في كلام ابن سينا ، وقد ضرب له مثلا تحريك الحجر شديد التقل وقليله .

ويقول ابن سينا ايضا في معرض حديثه عن الميلين الطبيعي والقسري في كتابه « الاشارات والتنبيهات » (31) .

« وكلما كان الميل الطبيعي اقوى ، كان امنع لجسمه عن قبول الميل القسري ، وكانت الحركة بالميل القسري افتر وابطا » .

ويشير الامام فخر الدين الرازي (32) في كتابه « المباحث المشرقة في علم الالهيات والطبيعتيات » (33) الى الميل المسبب للحركة الطبيعية فيقول :

« ... فان التقل قوة محركة الى اسفل ، وهي اما الطبيعة وهي صورة جوهرية ، او الميل الذي هو السبب القريب (34) للحركة ، وهو من مقوله الكيف » .

ويمضى الامام الرازي في موضع آخر من كتابه يقول (35) :

(31) النمط الثاني - الفصل السابع .

(32) عاش في الفترة من عام 1150 م حتى عام 1210 م (544 هـ - 606 هـ) .

(33) الكتاب الثاني - الفن الاول - الفصل السادس (طبعة حيدر آباد الدكن بالهند ، صفحه 187) .

(34) يقصد السبب المباشر .

(35) الصفحة 219 من طبعة الهند .

(36) شرح الامام الرازي لكتاب ابن سينا « الاشارات والتنبيهات » : النمط الثاني - الفصل العشرون .

(37) مخطوط مكتبة احمد الثالث رقم 3222 المجلد الثاني - الفصل الرابع والعشرون ، الورقتان 89 ، 90 .

الشيء من حيث هو سهل لا يسمى ميلاً وإن كان الموضوع واحداً.

وهذا الشيء الذي يسمى ميلاً قد يكون موجوداً في آن واحد، وإنما الحركة هي التي عسى أن تحتاج في وجودها إلى اتصال زمان، والميل ما لم يقسر ولم يقمع أو لم يفسد، فإن الحركة التي يجب عندها تكون موجودة، وإذا نسأله الميل لم يكن غساده هو نفس وجود ميل آخر، بل ذلك معنى آخر ربما يقاربه.

فإذا حدثت حركةتان فعن ميلين، وإذا وجد ميل آخر إلى جهة أخرى، غليس يكون هو هذا الوصل نفسه، فليكون هو بعينه عمل للتحصيل وللمفارقة معاً، بل يحدث لا محالة ميل آخر له أول حدوث؛ وهو في ذلك الأول موجود، إذ ليس وجوده متعلقاً بزمان: ليس كالحركة والسكنون اللذين ليس لهما أول حدوث، إذ لا يوجدان على وجه ما إلا في زمان ولا بعد زمان ...».

ج - اجتماع الميلين الطبيعي والقسري :

يتناول هبة الله بن مالكا البغدادي دراسة حركة الحجر المرمي إلى فوق، فيعرض لما جاء فيها من أقوال شارحاً ومنذداً للحجج المختلفة، إلى أن يصل إلىحقيقة أن الجسم المتسارع على التحرك إلى أعلى سيواجه قوة مقاومة لحركته، سماها ميلاً مقاوماً، وما هذه القوة المقاومة سوى قوة الجاذبية الأرضية أو «الميل الطبيعي».

يقول ابن ملکا في هذا المعنى في كتابه «المعتبر في الحكمة» (38) :

«... لو لم يكن فيه ميل مقاوم لما اختلف حال الحجرين المرميين من يد واحدة بقوة واحدة في السرعة والبطء إذا اختلفا في الصغر والعظم، حتى كان أعظمهما أبطأ مسعوداً وأقرب مسافة، وأصغرهما أسرع وأبعد مسافة إذا لم يفرط مسافره، وما ذاك إلا لأن الميل المقاوم في الكبير أكثر وإن كان مغلوباً، وأنباته المعاوقة للقوة الطبيعية التي عنها يحدث الميل

لو جعله للميل أيضاً، فقال إنه مغلوب الميل لزوال الأشكال الابدي».

ويمضي ابن ملکا في موضع ثان من نفس المصدر يقول :

« وكذلك الحجر المقذوف، فيه ميل مقاوم للميل القاذف؛ إلا لأنه مقهور بقوة القاذف، ولأن القوة القاسية عرضية فيه، فهي تضعف لمقاومة هذه القوة والميل الطبيعي ولمقاومة المخروق، ولذلك كلما كان المخروق أثقل وأعسر خرقاً، كان بطلاً لذلك الميل التسريري أسرع ...».

فيكون الميل القادر في أوله على غاية القهر للميل الطبيعي، ولا يزال يضعف ويبيطئ الحركة ضعفاً بعد ضعف، وبطأً بعد بطء، حتى يعجز عن مقاومة الميل الطبيعي، فيقلب الميل الطبيعي، وبطأً بعد بطء، ولا يزال يضعف ويبيطئ الحركة ضعفاً بعد ضعف، وبطأً بعد بطء، حتى يعجز عن مقاومة الميل الطبيعي، فيقلب الميل الطبيعي، فيحرك إلى جهةه، ويقوى عليه مستمراً حتى يبطله، فيسرع بذلك حركته بطلان مقاوم».

ويشرح نصير الدين الطوسي (39) اجتماع الميلين الطبيعي والقسري (أي القوتين الطبيعية والقسرية)، فيقول في معرض شرحه لكتاب ابن سينا «الإشارات والتبيهات» (40) :

فإذا طرأ على جسم ذي ميل بالفعل، ميل قسري، تقاوم السببان، أعني القادر والطبيعة، فإن غالب القادر وصارت الطبيعة مقهورة، حدث ميل قسري، وبطأ الطبيعة، ثم تأخذ المانع الخارجية والطبيعة معاً في افتائه قليلاً قليلاً، وتقوى الطبيعة بحسب ذلك، ويأخذ الميل القسري في الانتقام، وقوة الطبيعة في الإزدياد، إلى أن تقاوم الطبيعة الباتي من الميل القسري، فيبقى الجسم عديم الميل، ثم تجدد الطبيعة ميلها مشووباً بأثار الضعف الباتي فيها، ويشتد الميل بزوال الضعف، فيكون الأمر بين قوة الطبيعة والميل القسري، قريباً من الامتزاج الحادث بين الكينيات المتضادة ...».

(38) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم 3222 ، المجلد الثاني ، الفصل الرابع والعشرون ، الورقتان 94 ، 95 .

(39) عاش في الفترة من عام 1201 م حتى عام 1274 م (597 هـ - 672 هـ) .

(40) النمط الثاني - الفصل السابع .

بل يجب أن يكون كل جسم يقبل تحريكه وأمالة طارئة، ففيه مبدأ ميل طبيعي في نفس ما يقبله كان أينما أو وضعها ».

ب) المدافعة عن حالة الحركة :

استخدم العرب لفظ الميل بمعنى ميل الجسم ورغبته والحادحة في ن تستمر حركته ، والميل هنا بمعنى الخاصية الذاتية الداعمة عن الاستمرار في الحركة المنتظمة ، وهذا هو لمعنى الثاني الذي يشتمل عليه القانون الأول للحركة ..

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « الاشارات والتبصمات » (42) :

« الجسم له في حال تحركه ميل يتحرك به ، ويحس به الماء ، ولن يتمكن من المنع إلا فيما يضعف ذلك فيه ، وقد يكون من طباعه ، وقد يحدث فيه من تأثير غيره ، فيبطل المتبع من طباعه إلى أن يزول فيعود اتبعاه » .

ويمضي ابن سينا في موضع آخر من كتابه (43) يقول :

« الجسم الذي لا ميل فيه ، لا بالقوة ولا بالفعل لا يقبل ميلاً قسرياً يتحرك به ، وبالجملة لا يتحرك قسراً ، والإلا يتحرك قسراً في زمان ما ، مسافة ما ، وليتحرك مثلاً في تلك المسافة جسم آخر فيه ميل مما ومسافة ، فبين أنه يتحركها في زمان أطول .

ول يكن ميل أضعف من ذلك الميل يقتضي في مثل ذلك الزمان ، عن ذلك التحرك ، مسافة نسبتها إلى المسافة الأولى نسبة زمان ذي الميل الأول ، وعديم الميل ، فيكون في مثل زمان عديم الميل يتحرك بالقصر مثل مسافته ، ف تكون حركتا مقصورين ذي ممانع فيه ، وغير ذي ممانع فيه ، متساوين الأحوال في السرعة والبطء ، وهو محال » .

ويذكر ابن سينا فيقول في موضع ثالث (44) :

ويمضي الطوسي في موضع آخر من شرحه يقول :

« ... لولا اجتماع الميلين ، لكان الحجران المتساويان اللذان يرميهما قوي وضعيف متساوين في الصعود ... »

تبين هذه النصوص بوضوح تمام أن كلمة الميل قد وردت فيها بمعنى القوة ، فالقصدون أدنى بالميل الطبيعي فيها القوة الذاتية المعروفة بقوة التناقل ، وبالميل القسري فيها القوة المسلطة على الجسم من خارجه ، وللتالي أن اثرت في اتجاه معاكس لاتجاه قوة التناقل لقاومتها هذه القوة الأخيرة فضلاً عن معاوقات الوسط الذي يتحرك الجسم خلاله .

3 — الميل بمعنى المدافعة :

أ — المدافعة عن حالة السكون :

هنا استعمل العرب لفظ « الميل » كذا « مبدأ ميل » للتعبير عن رغبة الجسم وتمسكه والحادحة على البقاء على حالته الطبيعية ، أي مدافعة الجسم عن استمراره على حالته من السكون في موضعه الطبيعي ، ويقتضي ذلك تواجد مقاومة ذاتية للجسم ضد أي تغير خارجي عليه من حيث الموضع والشكل ليبقى ساكناً في مكانه الطبيعي . وهذا هو بعينه المعنى الأول الذي يقوم عليه القانون الأول للحركة .

يقول ابن سينا في طبيعتات كتابه « الشفاء » (41)

« وكل جسم ينتقل بالقصر فيه مبدأ ميل ما ، أما الانتقال المكاني فقد بناء ، وأما الانتقال القسري الوضعي فلان ذلك الجسم ان كان قابلاً للنقل عن مكانه فقد ظهر ، وإن كان غير قابل له ، فله — لا محالة — قوة بها يثبت في مكانه ويلزمه ، ويختص به ، وهو غير جسيبته » .

ويقول في موضع ثان من نفس المقالة :

« إن كل جسم فيه مبدأ ميل ما ، فإن نقله عما هو عليه من أين وضع يقع لا في زمان ، وذلك محال »

(41) المقالة الرابعة .

(42) النط الثاني — الفصل السابع .

(43) نفس المرجع السابق — الفصل الثامن .

(44) نفس المرجع السابق — الفصل التاسع .

4 - الميل والاعتماد بمعنى كمية الحركة :

ورد استعمال لفظي « الميل » و « الاعتماد » في كتابات العالم العربي الحسن بن الهيثم في كتابه « المناظر » بمعنى كمية الحركة ، وقد سماها ابن الهيثم « قوة الحركة » ، كما سيجيء الحديث عنه ، أما الفيلسوف العربي أبو البركات هبة الله بن ملكاً البغدادي فقد استعمل كلمة « الميل » و « قوة الميل » في معنى كمية الحركة ، من ذلك قوله في كتابه « المعترض في الحكمة » (49) .

« غالباً الميل الطبيعي مبدأ له غير مفارق ، ولا يزال يوجبه حتى يبلغ به الحيز الطبيعي ، وكلما حركت القوة في المسافة الغريبة عن الطبيع ، أحدثت ميلاً بعد ميل ، فتزايد بذلك قوة الميل مما استمرت الحركة »

يبين من هذا النص أن الفيلسوف العربي ابن ملكاً قد وقف على حقيقة ان الاجسام التي تتحرك حركة طبيعية ، كذلك التي تسقط سقطاً حرراً تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية (اي تحت تأثير الميل الطبيعي) ، تزيد سرعاً وبالتالي كمية حركتها كلما امتنعت في السقوط ، وقد عبر ابن ملكاً عن كمية الحركة في هذا النص بالميل بعد الميل وبقوة الميل .

ويمضي ابن ملكاً في موضع آخر من نفس المصدر يقول :

« ... ما نقل أن اشتداد الميل الطبيعي في آخره ليس لأنسلاخ القاسير بل لأمر يخصه في نفسه ، ويستدل على ذلك بالحجر المرمي من عال من غير ان يكون عالياً عن صعود بحركة قسرية ، ولا فيه ميل قسري ، فانك ترى ان مبدأ الغاية كلما كان ابعد كان آخر حركته اسرع ، وقوة ميله اشد ، وبذلك يشجع ويسحق ، ولا يكون ذلك له اذا القى عن مسافة اقصر ، بل يبين التفاوت في ذلك بقدر طول المسافة التي يسلكها ... »

« يجب ان تتذكر هنا انه ليس زمان لا ينتسم ، حتى يجوز ان تقع فيه حركة ما لا ميل لها ، ولا تكون له نسبة الى زمان حركة ذي ميل » .

ويعرف الشيخ الرئيس الاعتماد والميال في رسالته الرابعة في الحدود » (45) فيقول :

« الاعتماد والميل هو كيفية يكون بها الجسم مدفعاً لما يمنعه عن لحركة الى جهة ما » .

هذا وقد افرد الامام الغزالى قسماً مستقلاً من كتابه « معيار العلم » لبيان الانماط المستعملة في الطبيعيات (46) ، نورد منها تعريفه للاعتماد والميل فيما يلي ، ويکاد يكون نفس النص الذي ساقه ابن سينا في رسالته الرابعة .

« الاعتماد والميل هو كيفية بها يكون الجسم مدفعاً لما يمنعه عن الحركة الى جهة »

ويزيد الشيخ الرئيس ابن سينا الامر وضوحاً ، فيشرح طبيعة مدانعة الجسم عن استمراره على حاله ، فيقول في معرض حديثه عن الآراء المطروحة في سبب حركة الجسم المقذوف (المتحرك) بعد ان يفارقه القاف (اي المحرك) ، بعد استعراضه لجملة الآراء (47) :

« ولكن اذا حققنا القول ، وجدنا اصح المذاهب مذهب من يرى أن المتحرك يستفيد ميلان المحرك ، والميل هو ما يحس بالحس اذا ما ح Howell ان يسكن الطبيعي بالقسر ، او القسري بالقسر » .

من الواضح هنا استعمال الكلمة الميل في معنى المدانعة ، واختصاص الجسم بكيفية او صفة ذاتية بها يدفع الجسم عن استمراره في الحركة ، وهي الصفة التي تطلق عليها اليوم تسمية « القصور الذاتي » او « العطالة » (48) ، وهذه احدى المعاني الواردة في القانون الاول للحركة .

(45)

« تسع رسائل في الحكمة والطبيعتين » مطبعة هندية بالموسكى بمصر عام 1908 م (1326 هـ) .

(46) كتاب « معيار العلم » كتاب الحدود — الفن الثاني — القسم الثالث — طبعة دار المعارف بالقاهرة المصحفات 296 حتى 304 .

(47) طبيعتين كتاب « الشفاء » : المقالة الرابعة — الفصل الرابعة عشر .

(48)

(49) خطوط مكتبة أحمد الثالث باسطنبول رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل الرابع والعشرون ، الورقتان 95 ، 96 .

وهو ما نعرفه اليوم بكمية الحركة ، وقد عبر عنها ابن الهيثم بـ « قوة الحركة » وبـ « اعتماد المتحرك » ، فيكتب الفصل الثالث من المقالة الرابعة في كتابه « المناظر » (52) يقول :

« والمتحرك اذا لقي في حركته مانعا يمانعه ، وكانت القوة المحركة له باقية فيه عند لقائه المانع ، فإنه يرجع من (حيث) كان في الجهة التي منها تحرك ، وتكون قوة حركته في الرجوع بحسب قوة الحركة التي كان تحرك بها في الأول ، وبحسب قوة المانعة » .

ومضى في الورقة التالية يقول :

« ... لأن الحركة المكتبة إنما تكون بحسب مدار المسافة (و) بحسب مدار الثقل » .

يتضح من هذين النصين موقف الحسن بن الهيثم على معنى كمية الحركة معبرا عنه بقوله الحركة ، وسبقه إليه ، وبالتالي فإنه من المحتمل أن يكون علماء العرب وفلاسفتهم من أمثال أبي البركات هبة الله بن ملكا البغدادي والخواجة نصير الدين الطوسي قد وقفوا على هذا المعنى الكمي الذي ورد محددا في كتابات الحسن بن الهيثم في أوائل القرن الحادى عشر للميلاد ، والذي حقق به سبقا واضحا على علماء الغرب بعده مئات من السنين .

خلالصة

يخلص البحث إلى أن العرب قد وقفتوا على معانٍ وأصول فكرية عديدة في مجال علم الحركة ، استعملوا في التعبير عنها الفاظاً خاصة تناولناها في هذه الدراسة بما هي أهل له من الشرح والتقصييل ، وأوردنا نماذج من الكتابات العربية قصدنا بها التدليل على المعاني المتباينة التي عبرت عنها هذه الألفاظ ، ويعتبر هذا البحث دراسة أساسية لا غنى عنها للباحثين عن فضل العرب في علم الميكانيكا ، وهو فضل قد ثبت لنـا انه جد عظيم .

يؤكد أبو البركات هنا زيادة « قوة الميل » (أي كمية الحركة) بازدياد المسافة المقطوعة ، وبازدياد قوة ميل الحجر العمري يشتد تأثيره حيث يشجع ويسحق على حد قوله ، ومن الواضح أن مفهوم أبي البركات سليم تماما ، إذ ان سرعة حركة الجسم الساقط حرا تزيد بحسب المسافة التي يتحركها ، وبالتالي فإن كمية حركته – وقد عبر عنها الفيلسوف العربي هنا بقوله الميل – تشتدد ويشتدد معها تأثيرها كما جاء بجلاء في معنى كمية الحركة .

يقول نصير الدين الطوسي في معرض شرحه للفصل الأول من النمط الأول في طبيعيات كتاب « الاشارات والتنبيهات » لابن سينا :

« والاعتماد عندهم هو ما يسميه الحكم ميلاً اذن غالستعمال كلمة الاعتماد كان مرادفـا لاستعمال كلمة الميل .

وفي استعمال كلمة الميل بمعنى كمية الحركة يقول الطوسي (50) :

« أقول : الميل الطبيعي يزداد بازدياد الجسم الى مكانه الطبيعي قريبا » .

اي ان الجسم الساقط حرا تزداد كمية حركته كلما اقترب من سطح الارض او من جسم ثابت عليهما وهذا قول صحيح تماما لأن كمية الحركة – وهي حاصل ضرب الكتلة في السرعة – تزيد بازدياد السرعة ، وهذه الاخيرة تزيد بدورها كلما امعنـت الجسم في حركته الطبيعية تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية .

4 – تعبيرا « قوة الحركة » و « اعتماد المتحرك »

منطـن الحسن بن الهيثم (51) الى معنى كـي في الجسم المتحرك يتوقف على سرعته (معبرا عنـها بمسافة السقوط) ، وعلى ثقله (ويتناسب مع كـتلـه)

(50) شرح نصير الدين الطوسي لكتاب ابن سينا « الاشارات والتنبيهات » : النـمـطـ الثـانـي ، الفـصـلـ التـاسـعـ عـشـر .

(51) عاش في الفترة من عام 966/65 م حتى عام 1039 م (354 هـ - 430 هـ) ..

(52) مخطوط مكتبة الفتـحـ باـسـتـانـبولـ رقم 3215 ، الورقة 70 .

* مصادر البحث *

- 1) « رسائل اخوان الصناعة وخلان الوفا »
عني بتصحيحه خير الدين الزركلي
المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة — عام 1928
- 2) « معيار العلم » للإمام محمد أبي حامد الغزالى
تحقيق الدكتور سليمان دنيا
دار المعارف بمصر — الطبعة الثانية — عام 1969 ، 400 صفحة .
- 3) « المعتبر في الحكمة » لهبة الله بن ملكا البغدادي
مخطوط مكتبة أحمد الثالث (طوب قابي سراي باسطنبول) رقم 3222 — 225 ورقة .
- 4) « الشفاء — الطبيعيات » للشيخ الرئيس ابن سينا
تحقيق الدكتور محمود قاسم . مراجعة وتقديم الدكتور ابراهيم مذكور ، دار
الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة عام 1389 هـ = 1969 م
- 5) « تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات » للشيخ الرئيس ابن سينا
مطبعة هندية بالمو斯基 بدمشق عام 1326 هـ = 1908 م ، 180 صفحة .
- 6) « الاشارات والتنبيهات » للشيخ الرئيس ابن سينا مع شرح نصير الدين
الطوسي
تحقيق الدكتور سليمان دنيا .
دار المعارف بمصر — القسم الثاني — الطبعة الثانية ، 468 صفحة .
- 7) « المباحث المشرقة في علم الالهيات والطبيعيات »
للإمام نخر الدين الرازى
الجزء الاول عام 1343 هـ = 1924 م ، 706 صفحة .
الجزء الثاني عام 1343 هـ = 1924 م ، 548 صفحة .
دائرة المعارف العثمانية — حيدر آباد الدكن بالهند .
- 8) « النجاة » للشيخ الرئيس ابن سينا .
طبع بمطبعة السعادة بمصر على نفقته محي الدين صبرى الكردى ، عام 1331 هـ
ثم عام 1357 هـ = 1938 م .
- 9) « الكتاب الموسوم بشرح الاشارات » .
للحجاج نصير الدين الطوسي ، وللإمام نخر الدين الرازى .
المطبعة الخيرية بالقاهرة — الطبعة الأولى — عام 1325 هـ .
الجزء الاول 243 صفحة ، الجزء الثاني 146 صفحة .
- (10) « المناظر » للحسن بن الهيثم .
المقالتان الرابعة والخامنة — مخطوط مكتبة الفتاح باسطنبول رقم 3215 ، 322 ورقة .

* مرتبة حسب ورودها في متن البحث .

الأدبيات النفسي في دراسة الفن والفنون

للدكتور أ. محمد محمد الحوفي
أ. ف. ف. الأكاديمية ورئيس قسم الدراسات
للأوبيج بكلية العلوم - جامعة القاهرة -

وقد لخص العقاد المذاهب التقديمة في ثلاثة :
مدرسة التحليل النفسي ، ومدرسة الدراسة
الاجتماعية ، ومدرسة الأذواق الفنية .

وقال ان مدرسة التحليل النفسي هي أقرب
المدارس الى الرأي الذي ندين به في نقد الأدب وتقدير
الترجم وتقدير الدعوات الفكرية جماع ، لأن العلم بنفس
الأدب او البطل التاريخي يستلزم العلم بمقومات هذه
النفس من احوال عصره ، واطوار الثقافة والفن فيه ،
وليس من عرفنا بنفس الأدب في حاجة الى تعريفنا
بعصره وراء هذا الفرض المطلوب ، ولا هو في حاجة
إلى تعريفنا بالبواطنية التي تعيل به من أسلوب
إلى أسلوب .

وللنقد مدرسة أخرى محترمة كثيرة الانصار في
العصر الحديث على الخصوص ، بعد استفاضة البحوث
حول الدعوات الاجتماعية ، وعلاقة الأدب بمطالب
عصره . ووضع الملاحظة على هذه المدرسة أن الذي
يعرفنا بأحوال المجتمع فحسب لا يستطيع أن يعرفنا
بأسباب الفوارق الكثيرة التي تشاهد بين عشرات
الآباء من أبناء العصر الواحد ، ولا غنى له عن الرجوع
إلى « النفسيات » مع التعويل على « الاجتماعيات » في
مسائل الأدب والتاريخ .

اتجه العقاد في أعماله الأدبية كلها الى استكناه
النفوس ، وتحليل نوازعها ، ورد ما يصدر عنها الى
بواطن قد تخفيها أستار من الأحداث والملابسات
وأحكام الناس ، فنراه في العبريات يدرس الشخصية
ومعاليها ، ويتعلم مفتاحها . ونراه في شعره وفي
نقده محللاً وعللاً ومنقباً عن الدخائل : كأنما يفحص
بالمجهر عن شيء في سائل .

يقول في دراسته لجميل بشينة : « وقد عنا في
هذا الكتاب أن نوفق بين البواطنية والعوامل
الطبيعية في سيرة جميل بشينة ، وأن نفهم الأدب على
مصابح من علم النفس ، ومن حقائق الطبيعة ، فلا
نرجع به الى لفظ تلوكه الأفواه ، بل نرجع به الى
وشائج تمتزج بالأبدان والأذهان (1) ». »

ويقول صديقه الاستاذ محمد طاهر الجبلاوي :
« وقفت في أيدينا في تلك الأيام قصة الأكاذيب للكاتب
الفرنسي بول بورجييه ، وهو من رواد القصة النفسية ،
فقرأها العقاد ، وقرأها أكثر من مرة ، وكنا نعجب
لأحداثها التي تنطبق على ما نحن فيه ، وتحدث عنها
فيما يبتنا ». »

وللعقاد اعجاب كبير بهذا الكاتب ، فمذهب
القائم على التحليل النفسي هو مذهب العقاد الذي
يتحرر في القصة وفي الشعر (2) .

(1) جميل بشينة 8 .

(2) في صحة العقاد للجبلاوي 167 .

وهذا رأي قائل ، لأن العشق حبالة لبقاء النوع ،
قد يذهب العاشقان فسحة لها ، وقد يطفى فيه الجماح
والنور والغضب على الرقة ولرضا واللين والانقياد.

- 2 -

اما العقاد فيرى (4) أن أوجد الفزل ما عبر عن
عاصفة المتنزّل تعبيراً صادقاً ، سواء أوصف المحبوبة
بالحسن العائق أم بالحسن المعتاد ، وسواء أكان رقباً
أم غير رقيق . فمحبون ليلى يقول :

کان فوادی فی مخالب طائیر
اذا ذکرت لیلی یشد به قضا

كائن فجاج الأرض حلقة خاتمة
على فما تزداد طولاً ولا عرضاً

ويعلق العقاد على البيتين بقوله : ان قلب السامع
لينقبض ، وان صدره ليخرج لهذا الوصف ، ومع هذا
فاني شعر اربع من هذا الشعر ؟ واي شاعر اطبع
واعشق من المحنون ؟ .

فوالله ما في القرب لي منك راحة
ولا العد سلني ولا أنا صابر

ووالله ما ادری بایة حيلة
وای مرام او حظار اخاطر

وليس العشق الصادق حين يشب أواره بالعاطفة
التي يود صاحبها دوامها ، ويستريح الى مناجاتها ،
ونتها هو غمة يود المبتلي بها لو تنقضي لساعتها ،
ويقوم في نفسه عراك لا تهدأ ثائرته ، ولا يهنا بالغلبة
فيه ، لأنه هو الفالب وهو المغلوب ، وكأنما ينزع نفسه
من نفسه ، فيضيق ذرعا ، كما قال المجنون
وهذا شبيه بقول كاتيولس

الشاعر الروماني : أيتها الالهة ان كان لك رحمة
بالقاوب الصديقة المشفقة فبحق براءتي عليك الا ما
نظرت الى عذابي ، ورثيت لما بي ، ومسحت عني هذا
الوباء الماحق والبلاء اللاحق ، وهذه اللوعة التي
تسرت بعدها في عروقي فشفت الهناء عن قلبي .

اما المدرسة الفنية فهي مدرسة البلاغة والذوق،
ومدرسة المعاني الرائعة والتعبير الجميل ، وهي
تلجئنا لا محالة الى ذوق الاذيب وذوق الناقد على
السواء ، ومتى وصلنا الى الذوق فقد وصلنا الى
النفسيات ، ووصلنا قبلها الى الاجتماعيات على
لا حمال (3) .

وليس من غرض المفاصلة بين هذه المدارس ، او مناقشة العقاد فيما ذهب اليه ، بل ساكتفي بعرض اربعة نماذج من دراسات العقاد النافية في ميدان الادب ، جده ، واعقب علم كل منها بما ارائه :

- 1 -

للقديماء رأيان مختلفان في أحسن الفزل وأجوده ، فمنهم من يؤثر الفزل الذي يضفي على المحبوب هالة من الجمال ، فلا يلحق بها عيوب ولا نقص ، حتى لآخر محبوهه مثلًا على في الملاحة والحسن والاغراء .

وهو لاء يخاطرون بين العشق والاستحسان ، وهذا
في حقيقتهما مختلفان ، لأن الاستحسان قد يكون من
عاشق وقد يكون من غير عاشرق ، ولأن العشق ليس
معناه أن المرأة المعشوقة أجمل في نظر عاشقها من
كل امرأة ، فلا غرابة في أن يحبها وهو عارف بعيوبها ،
وعلم بمحاسن غيرها ، ولكنه لا يحبها .

ثم ان الحب قائم على الاضطرار لاعلى الاختيار ،
فاما راي المحب سيدات من محبوه ، وبقى على حبه ،
كان هذا ادل على قوة الحبيب من استمراره مع
الاستحسان والاختيار .

ويعنى هذا أن المدرسة التي تجعل الاطراء والاستحسان مقاييس الجودة في الفرز تجهل بوعي الفرز الحيد وتتعد عن حققته.

ومنهم من يتخذ رقة الغزل والبالغة فيها مقياساً لجودة الغزل ، فالمحب الذي يبكي اغزل من لا يبكي ، وللذى يبكي كثيراً اغزل من يبكي قليلاً ، والذى يتذلل ويتضارع اغزل من الذى يثور ويترنم ، والذى يبسط خده موطنها لقدم محبوته اغزل من يترفع .

(3) مجلة قافلة الزينت مارس 1964 .

(4) شاعر الفرزل العقاد.

ثم يوزن العقاد بين قول جنادة العذري :

من حبها أتمنى أن يلاقي نسي
من نحو بلدتها ناع فينعاهـا
كـيـما أقول فـرـاقـ لـأـقـاءـ لـهـ
وـتـضـمـنـ النـفـسـ يـاسـاـ ثمـ تـسـلاـهـاـ
ولـوـ تـمـوتـ لـرـاعـتـنـيـ وـقـلـتـ أـلاـ
بـاـ بـؤـسـ لـلـمـوتـ لـيـتـ المـوـتـ اـبـقاـهـاـ

وقول المجنوـنـ :

فيـارـبـ اـذـ صـيرـتـ لـيلـيـ هيـ المـنـيـ
فـرـنـيـ بـعـيـنـيـهاـ كـماـ رـتـهاـ لـيـاـ
وـالـفـيـضـهـ الـىـ وـاهـلـهـاـ
فـانـيـ بـلـيلـيـ قـدـ لـقـيـتـ الدـوـاهـيـاـ

وـبـيـنـ فـوـلـ كـاتـيـوـلـسـ :ـ اـنـيـ لـاـكـرهـ وـاحـبـ ،ـ تـسـائـلـيـ
كـيـفـ ذـلـكـ ؟ـ مـنـ يـدـرـيـ ؟ـ وـلـكـنـ اـحـسـ بـحـقـيـقـةـ هـذـاـ اـمـرـ
وـشـدـدـةـ بـرـحـائـهـ .ـ

وـيـخـلـصـ منـ الـمـواـزـنـةـ الـىـ انـ نـعـتـ الـحـبـ بـاـنـهـ دـاهـيـهـ
لـبـسـ فـيـهـ شـءـ مـنـ الـرـفـقـ وـالـدـمـائـةـ ،ـ وـلـكـنـ وـصـفـ اـنـفـقـ
عـنـهـ شـاعـرـانـ لـيـسـ بـيـنـهـماـ جـامـعـةـ مـنـ ذـوقـ لـفـةـ ،ـ اوـ
وـحـدـةـ زـمـنـ ،ـ لـأـنـهـماـ اـجـتمـعـاـ عـلـىـ عـاطـفـةـ اـنـسـانـيـةـ صـادـقـةـ ،ـ
شـارـكـهـماـ فـيـهاـ كـلـ الشـعـرـاءـ الـذـيـنـ جـرـبـواـ الـعـشـقـ .ـ

وـكـذـلـكـ لـاـ يـشـرـطـ فـيـ الـفـرـلـ الـجـيدـ اـسـتـحـسـانـ
شـمـائـلـ الـمـحـبـ وـالـمـبـالـغـةـ فـيـ اـطـرـائـهـ ،ـ وـلـاـ التـذـلـلـ
وـالـشـكـوـيـ وـالـضـرـاعـةـ .ـ

وـاـذـاـ فـالـفـرـلـ الـجـيدـ هوـ التـعـبـرـ الصـادـقـ عنـ الـحـبـ
وـعـنـ نـفـسـيـةـ الـمـحـبـ ،ـ وـهـوـ بـهـذـهـ الـمـثـابـةـ كـالـبـحـرـ الـلـجـيـ
الـذـيـ تـتـبـهـ فـيـهـ الـعـقـولـ ،ـ وـيـتـسـعـ لـلـنـاقـضـ ،ـ وـيـعـجـ
بـضـرـوبـ مـنـ الـمـفـاجـاتـ لـيـسـ لـهـ اـنـتـهـاءـ .ـ

وـلـهـذـاـ كـانـ مـنـ الـخـطـأـ أـنـ يـحـصـرـهـ النـقـادـ فـيـ قـالـبـ
وـاـحـدـ وـهـيـهـ وـاحـدـةـ اوـ لـونـ لـاـ يـتـبـدـلـ .ـ

— 3 —

وـبـهـذـاـ خـالـفـ الـعـقـادـ اـصـحـابـ اـسـتـحـسـانـ
وـاصـحـابـ الرـقـةـ فـيـ تـقـدـهـمـ قولـ جـمـيلـ :

رمـيـ اللـهـ فـيـ عـيـنـيـ بـشـيـةـ بـالـقـلـدـىـ

وـفـيـ الـفـرـلـ مـنـ اـنـيـبـاـهـ بـالـقـوـادـجـ

لـاـنـهـمـ عـابـوـهـ اـذـ سـأـلـ اللـهـ تـشـوـبـهـ عـيـنـيـ حـبـيـتـهـ
وـتـغـرـهـ ،ـ وـهـمـاـ اـجـمـلـ مـاـ يـتـمـنـىـ لـهـ الـجـمـالـ فـيـ وـجـهـ
مـحـبـوـتـهـ ،ـ فـتـجـاـفـيـ عـنـ الرـقـةـ كـلـهاـ بـيـنـ دـعاـ عـلـيـهـ ذـلـكـ
الـدـعـاءـ الـفـلـيـظـ يـدـعـوـ بـهـ الـمـدـوـ عـلـىـ الدـأـدـائـهـ .ـ

وـذـهـبـ الـعـقادـ إـلـىـ أـدـلـ علىـ عـشـقـ
جمـيلـ مـنـ عـشـرـ قـصـائـدـ غـزـلـيةـ تـفـيـضـ بـالـرـفـقـ وـالـشـاءـ
وـالـإـسـتـحـسـانـ ،ـ لـأـنـهـ دـلـيلـ عـلـىـ حـبـ بـرـحـ بـهـ ،ـ وـحـارـ فـيـ
الـخـلاـصـ مـنـهـ ،ـ وـغـلـبـ عـلـىـ مـشـيـتـهـ فـيـهـ ،ـ وـظـنـ أـنـ الـبـلـاءـ
كـلـهـ مـنـ جـمـالـ تـلـكـ الشـنـايـاـ وـتـيـنـكـ الـعـيـنـيـنـ ،ـ فـلـمـ تـبـقـ لـهـ
مـنـ حـيـلـةـ إـلـاـ يـسـأـلـ اـتـلـافـ هـذـاـ الـجـمـالـ ،ـ عـسـىـ أـنـ
يـطـهـقـ بـعـدـ ذـهـابـهـ سـلـوـهـ وـالـرـاحـةـ مـنـ بـلـوـاهـ .ـ

فـالـبـيـتـ دـلـيلـ عـلـىـ أـعـقـمـ الـحـبـ وـاـصـدـقـ الـفـرـلـ ،ـ
وـلـكـ أـنـ تـقـولـ أـنـهـ غـرـلـ صـادـقـ مـنـ دـجـلـ سـيـءـ ،ـ أـوـ أـنـهـ
غـرـلـ صـادـقـ مـنـ رـجـلـ طـيـبـ فـيـ سـوـرـةـ الـيـأسـ وـالـحـيـرـةـ ،ـ
أـمـاـ أـنـ يـكـوـنـ مـبـطـلـاـ فـيـ عـشـقـهـ وـغـزـلـهـ لـأـنـهـ تـمـنـىـ تـلـكـ
الـآـمـيـنـيـةـ ،ـ فـذـلـكـ غـفـلـةـ عـنـ عـاطـفـةـ الـتـيـ أـمـتـهـ ،ـ وـلـفـوـ لـاـ
صـادـقـ فـيـهـ .ـ

وـلـكـ أـنـ تـقـولـ أـنـهـ آمـيـنـيـةـ رـجـلـ تـغـلـبـ عـلـيـهـ الـآنـيـةـ .ـ
وـيـتـمـسـ الـرـاحـةـ بـمـاـ اـسـتـطـاعـ مـنـ وـسـلـةـ ،ـ وـلـوـ كـانـ فـيـهـ
بـلـاءـ لـمـنـ يـهـوـاهـ ،ـ إـلـاـ أـنـكـ لـأـتـمـنـىـ أـنـهـ تـمـنـىـ تـلـكـ آمـيـنـيـةـ ،ـ
لـأـنـهـ أـحـبـ وـضـاقـ ذـرـعـاـ بـجـهـ ،ـ وـبـلـغـ أـفـصـىـ مـاـ يـلـفـهـ
الـعـاشـقـ مـنـ التـعـلـقـ بـالـمـعـشـوـقـ وـالـعـجـزـ عـنـ الـفـكـاكـ مـنـ
أـوـهـاـقـ ،ـ فـهـيـ أـنـ شـتـتـ آـنـاـيـةـ ذـمـيـةـ لـاـ تـرـضـيـ عـنـهـاـ
الـأـخـلـاقـ الـكـرـيمـةـ ،ـ وـلـكـهـ حـبـ قـويـ ،ـ وـتـعـبـرـ صـادـقـ عـنـهـ .ـ

— 4 —

ثـمـ تـعـمـقـ الـعـقادـ فـيـمـاـ لـمـ يـتـعـمـقـ فـيـ سـوـاهـ ،ـ اـذـ
أـورـدـ قـولـ كـثـيرـ عـزـةـ .ـ

اـلـاـ لـيـتـنـاـ يـاـ عـزـ مـنـ غـيرـ رـبـيـسـةـ
بـعـيـرـانـ نـرـعـيـ فـيـ الـخـلـاءـ وـنـمـزـبـ
كـلـاـنـاـ بـهـ عـمـرـ فـمـنـ يـرـنـاـ يـقـسـلـ
عـلـىـ حـسـنـهـاـ جـربـاهـ تـعـدـيـ وـاجـربـ
اـذـاـ مـاـ وـرـدـنـاـ مـنـهـاـ صـاحـ اـهـلـهـ
عـلـيـنـاـ فـمـاـ نـفـكـ نـرـمـيـ وـنـضـرـبـ
وـوـدـتـ وـبـيـتـ اللـهـ اـنـكـ بـكـسـرـةـ
هـجـانـ وـانـيـ مـصـعـ ثـمـ نـهـرـبـ
نـكـونـ بـعـيـرـيـ ذـيـ غـنـيـ فـيـضـيـعـنـسـاـ
فـلـاـ هوـ يـرـعـانـاـ وـلـاـ نـحـنـ نـطـلـبـ
وـلـمـ يـعـلـقـ النـقـادـ عـلـىـ الـاـبـيـاتـ يـاـكـثـرـ مـنـ قـوـلـهـمـ اـنـهـاـ
آـمـيـنـيـةـ ،ـ اـذـ تـمـنـىـ كـثـيرـ لـنـفـهـ وـلـمـحـبـوـتـهـ الرـقـ
وـالـجـربـ وـالـرـمـيـ وـالـطـرـدـ وـالـمـسـخـ ،ـ فـلـمـ يـبـقـ مـكـروـهـ لـمـ
يـتـمـنـهـ لـهـاـ وـلـنـفـسـهـ ،ـ فـصـارـ جـدـيرـاـ يـقـولـ القـائـلـ :ـ مـعـدـاـةـ
الـعـاقـلـ خـيـرـ مـنـ مـوـدـةـ الـاحـمـقـ .ـ

يجمع الصدق والروعة معاً ، فينفع مرة ويُخْفَق مرة ، ويُجْعَل في شعره الجيد ويُجْعَل فيه غير الجيد .

لهذا كان هكلي محقاً في قوله : « يجب أن نذكر أن قياساً وليلي وانطوني وكيلو باتر موجودون بينما بكثرة لا تخطر على بالنا ، وذلك أنه يصعب على عابر الطريق أن يقرأ على وجوه الناس مدى عمق عواطفهم ، وكل سائله في هذا أن يحدس ويستنتج من تصرفهم وكلامهم ، لأن الفاظهم في الأكثر والأعم لا تسترع الانتباه ، إذ أن التعبير الرائع هبة لم يمنحها الحالقة نادرة من الناس ، فليس ضعف التعبير دليلاً على ضعف الشعور ، بل من المؤكد أن عدد المعتبرين في جمال فني أقل بكثير جداً من عدد المحبين » .

ولو أن الصدق الشعوري والصدق التعبيري هما وحدتهما المقياس الذي تقيس به الجودة لكان قصائد الشاعر المحب على درجة واحدة ، فلا تستطيع ترجيح قصيدة على قصيدة ، ولكن الواقع غير ذلك ، لأننا حينما نقرأ شعر عروة بن حزام أو قيس أو جميل أو العباس بن الأحنف مثلاً نفضل قصيدة على أخرى ، ذلك أننا لم نكتف بصدق الشعور وصدق التعبير ، بل أضفنا إليها مقياساً آخر يتصل بالافتتان في تخبر اللفظ ، وانتقاء العبارة ، وبراعة التصوير ، وحلوة الجرس . ومعنى هذا أننا أضفنا إلى المذهب النفسي المذهب الفني .

النموذج الثاني

أبو نواس والترجيسيّة

فصل العقاد البحث في الترجسيّة من حيث دلالتها وتشائتها وبواعتها ومظاهرها ، معتمداً على آراء الثقات من علماء النفس المحدثين .

ثم حاول تطبيقها على أبي نواس (7) ، فأليس ثوباً فضفاضاً لا ينسجم على قده ، وحكم عليه أحکاماً تخرج به عن سنته وحده .

— ١ —

فالترجيسيّة شذوذ دقيق يؤدي إلى ضرب شتى من الشذوذ في غرائب الجنس وبواعث الأخلاق ، لأنها

وعقب العقاد على هذا بأنهم صادقون ، لأنه ما من أمنية أدعى إلى الضحك والسخرية من هذه الأمينة .

ثم تفلل إلى نفسية كثير ، ليكشف عن بواعث هذه الأمينة الحمقاء ، فردها إلى قيماته ودمامة منظره ، وضعف حيلته ، والي غيرته على عزة التي كان يخشى أن يغلبه عليها كل المزاحمين ، لأنهم أجمل منه منظراً . وقدر على الإغراء والاستهواء ، وقد فكر كثير في الوسيلة التي يأمن بها على صاحبته فلم يجد غير ابتلائها بالبلاء الذي يرهق الناس فيها ، فتصير له وحده ، لأنه لا يستطيع أن يتحرر من حبها ، ولأنه عاجز عن حمايتها ، وهو لا يملك من الوسائل ما يملكه غيره من المنافسين .

على أنه ليس يستبعد أن كثيراً رأى البعيرين الموصوفين رؤية العيان ، لأن هذا منظر يندر أن يشاهده ابن الباري مرات ، فخيل إليه أنها سعيدان حيث يسرحان ولا يطلبهما راع ولا مالك ، فتمنى السعادة على هذا المنوال .

وإذا كان سخيفاً في أمنيته - ولا شك في ذلك - فهو محب صادق في التعبير عن حبه ، فلا علاقة بين سخف أمنيته واتهام عاطفته ، لأنه أحب نفسه الحب ، وحرمه الراحة من طريق غير هذا الطريق .

— 5 —

ومن هذا يتبيّن أن العقاد أرجع جودة الفزل إلى ينبع الفزل نفسه وهو الحب ، وإلى صدق التعبير عن الحب ، فإذا كان الشاعر محبًا وعبر عن حبه في صدق فجزله جيد ، وإذا كان غير محب أو كان محبًا لم يستطع التعبير عن حبه فجزله ردء .

لكن هذا المقياس - على أنه قيم - ليس دقيقاً الدقة كلها ، لأنه يعزز شيء آخر هو جودة التعبير عن العاطفة الصادقة ، وبراعة تصوير العاشق لما يجيش بنفسه .

وذلك أن التعبير قد يتصرف بالصدق ولكنه لا يتصرف بالبراعة ، إذ إن المحب قد تجيش نفسه بعواطف صادقة ، ويحاول تصويرها بفنه القولي فلا يستطيع ، فيتمهل حتى تهدأ نفسه ، ثم يسترجع ما مضى ليعبر عنه تعبيراً ليس صادقاً فحسب ، بل

(7) أبو نواس الحسن بن هانيء .

وبدا في اختياره غلاما لا يحسن النطق بالسراء
تكثيرا لها :

وبه غنة الصبا تعطيلها
بحة الاحتلام للتشرييف
وذلك ذكر مثال الحسن في الذكور والإناث ،
في قوله :

ولو انها في الحسن كانت كيوسف
وبليبيس او كانت كخط مثـال
وقالت تزوجني على مهر درهم
لقلت اعزبـي عنـي فمهرـك غـال

ثم ذكر العقاد أن الجارية جنان كانت أحب معشوقاته إليه ، وأنها كانت تحب النساء وتميل اليهن ، وظن أن كلف أبي نواس بها ربما كان من ظواهر نرجسيته ، لأن لازمة التشخيص تتحقق بها على نحو لا تتحقق بغيرها .

ورجع ان هيامه بالجاربة (حسن) راجع الى شابة اسمها واسمها ، حتى انه تشفع بهذه المشابهة في قوله:

ان لي حرمة فلو رعيت لـي
 لا جوار ولا اقول قرابـة
 غير اني سمي وجهك لـم
 احرمه في اللفظ والهجاء والكتابة

2 - وطبق عليه ظاهرة العرض ، ليبين انه لم ينظم شعرا في الخمريات او الفزل او المجون الا تبين منه ان الجهر بالمحرمات ادنى الى هواه من الاستمتاع بهما .

وذلك أن بعض الناس قد يولع بالإباحية ويعاشر بالذات ، ويطيب له الخروج على العرف وعلى المألوف ، لمهاتهم على أنفسهم وعلى الناس ، فلا يبالون ، لأنهم نسوا شخصيتهم ، وبعضهم قد يترف هذا لتعاليهم على العرف وعلى الناس ، ولرغبتهم في تغريب شخصيتهم .

ولم يكن أبو نواس من الفريق الاول ، لأن اخباره
واعماره تغنى ذلك عنه .

هيام الشخص بجسده أو بنفسه إلى حد الاستفراغ والبادة والتدليل والعنق .

ولهم شعاب عده ، تخير العقاد منها ما يتصل
بدراسة أبي نواس وموضوعات عشقه وغزله ، وأهمها
شعبتان : أحدهما الاشتقاء الذاتي
والآخر التوثيق الذاتي
ومن أبرز ما يلزمهما ظاهرة التلبيس أو التشخيص ،
وظاهرة العرض ، وظاهرة الارتداد .

اما ظاهرة التلبس او التشخيص فهي عشق
الانسان ذاته عشقاً شهوانياً ، فالاشذاف في حب جنده
او حب الجنس الآخر يجد طلبه ، ويفضي ماربه ، اما
الذى يشتهى بدنه فليس فى وسعه أن يفضي ماربه
منه بغير التحايل على ذلك بالتلبس او التشخيص ،
ولهذا يلبس شخصيته شخصاً آخر يتوهם أنه هو ذاته
او يحله محل ذاته .

واما ظاهرة العرض فتشمل الاظهار بجميع درجاته ، فقد يشاهد المصاب بها وهو يكشف عورته ، ويعرض اعضاءه ، ويتعرى من ثيابه ، وان كان الاكثر الاعم ان هذا لا يكون الا في حالة انجذون وما يقاربه .

واما الارتداد فانه يعتري الترجييين من تلبيس ذواتهم بغيرهم ، أو خلع ذواتهم على شخص آخر يتلمسون المشابهة بينهم وبينه ، فينتحل الترجيي صفة القوة من قوى يشبهه في القوام واللامع ، ويخالفه في القوة ، أو يخلع ذاته على امرأة مشتهاة بجد شبهها وبينها وبينه .

- 2 -

وقد حاول العقاد أن يطبق هذه الظواهر على أبي نواس ، وأن يفسر بها جميع أحواله .

١- فشل هذه الجنسية مظاهرها التلبّس والتشخيص .

وقد بدا هذا التشخيص في غزله حين اختار لهواه غلاماً أثخن مثله ، وان كانت لغة أبي نواس بالراء ولغة الغلام بالسين :

وأبابي الشفاعة لا جحثه
فقال في غنوج واخناث

لما رأى من خلاقي له
كم لقى الناث من النساء

تم ان جبه للجارية جنان لا ينفيه عن تلبيس وتشخيص ، بدعوى أنها كانت تحب النساء وتميل اليهن ، فان جبهها لم يكن مقصورا على النساء دون الرجال ، وهي في الوقت نفسه جارية مغنية لا يتطلب منها أن تنافس الحرائر ، أو تكشف النساء بالعداء .

على أنه أحب الجارية دنانير وتفضل بها ، وتفضل بعشر من الجواري الحسان ، منهن عنان التي غلبته في مساجلة بالأدب المكشوف على مسمع ومراى من وجوه نداد .

فلم يكن حب أبى نواس مقصورة على الجارية
جتان ، ولم يكن حبه لها عميقاً طويلاً الأجل ، فانه
احبها فى مطلع شبابه ، ولم يلبث حبه أن خمدت
حياته ، وكان معاصره يشكون فى صدف هذا الحب
، حـ ارته .

كذلك يبدو التكليف في الاستدلال على التشخيص
بيان أبا نواس هام بالجارية (حسن) لأن اسميهما
متـشـابـهـان ، فـان هـذـا الـهـيـامـ وـاقـعـ لـمـحـالـةـ ، سـوـاءـ أـكـانـ
اسـمـهـاـ ذـلـكـ اـمـ غـيرـ ذـلـكـ ، وـالـفـلـمـاـذاـ هـامـ بـدـنـانـيـرـ وـعـنـانـ
وـجـنـانـ وـنـرـجـسـ ، وـلـيـسـ بـيـنـ اـسـمـهـ وـأـسـمـائـهـ تـشـابـهـ
أـدـ اـنـفـاقـ ؟

ومن التضييق على أبي نواس أن نحجر عليه
التلاعب بالاسمين المتشابهين عن طريق المصادفة لا
عن طريق التعمد والاختيار ، كما تلاعب المتنبي فيما
بعد باسم سيف الدولة ، فشقق منه الوانا من المعاني
والأفكار والخيال .

2 - وعجيب أن يتخذ المقاد من مجاهرة أبي
واس بخلاعته دليلا على نرجسيته ، وعلى ظاهرة
الغموض :

فقد عرف العالم عشرات من الأدباء المولعين
بمثل هذه المجاهرة ، لأنهم يجدون فيها أنواعاً من
التعالي أو التظاهر أو التفرد بالخروج على المألوف أو
الاستهانة بالقيم التي يقدّرها المجتمع الخ .

من هؤلاء في الأدب العربي الأعشى وسجيم
وامرؤ القيس وعمر بن أبي ربيعة ونصيب وابن سكره
وكثير من شعراء البشارة .

ومنهم في الأدب الغربي بيرون وكازانوفا ، ولم يوصف واحد من هؤلاء أو أولئك بالشرجية أو بظاهرة من ظواهرها المعروفة .

وانما كان من الفريق الثاني المبالغ في تهتكه
ومجاهرته بما يقترب من آثام .

لَهُذَا يَقُولُ :

الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر
ولا تسقني سرا اذا امكنا الجمـر

وينقول :

أطيب اللذات ما كمان -
جه سارا بافترض

وله في هذا المجال شعر كثیر .

3 - ثم حاول العقاد أن يطبق عليه ظاهرة الارتداد ، من وصف لنشاطه ، وكيف بالحقيقة الامين ، وولعه بالجارية حسن .

- 3 -

وليس من شك في أن العقاد كان بارعا في هذه المحاولة ، اذ استطاع ان يلخص معالم النرجسية ، ثم حاول ان يطبقها على حياة ابن نواس وشعره . ولكن هذا لا ينفي ان فى التطبيق ألوانا من مظاهر التمحش والاعتساف .

وليس من الصواب أن يكون اعجاب أبي نواس بالبحة في صوت غلام آخر مظهراً للتشخيص ، فان مصدر هذا الاعجاب الاستملاح والاستطراف والارتياح الى هذا الصوت ، وهو اعجاب صالح لأن يصدر عن أبي نواس وعن غيره من الرجال .

واما تمثيله للجمال الفائق بيوسف فانه تمثيل للتفوق والامتياز ، ولا دليل فيه على تشخيص وتلبيس ، اذ انه اراد ان يصور اصراره على رفض الزواج من المرأة التي وصفها ، مهما تبلغ من الاغراء ، فقال انها لو بلغت من الجمال أعلى درجاته ، ومهما يهبط مهرها الى ادنى دركاته ، فانه لن يرضها زوجة له . . واذا كان قد ضرب المثال بيوسف وبيلقيس ، فان الشعراة والقصاص قد نصبوهما مثلا أعلى للجمال .

واستنبط العقاد من هذا أن ملامح النرجسية تكاد تمثل من هذه الأوصاف ، فالبياض والرقمة والنعومة والملاحة والشعر المتهدل أشبه ما تكون بملامح الفتى نرجس ، الذي حنا على الجدول فاستحال نرجسة ، واتخذه الأسطوريون اليونان نموذجاً للجمال . وقال ان اللثفة وبجة الصوت تشيران الى تكوين سط بين كيان الصبي وكيان الشاب الناضج .

حسبنا ان نذكر منهم ابا القثير الذي فاخر ابا
بنواص بجعله ، ونصر ابن حجاج الذي افتتن به نساء
المدينة ، فاضطر الخليفة عمر بن الخطاب الى نفيه
منها ، وذلك انه كان يعس في ليلة كعادته ، فسمع
امراة تنشد شعرا وهي في بيتها ، منه :

هل من سبيل الى خمر فاشربها
ام من سبيل الى نصر بن حجاج ؟

فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ اسْتَدْعَى نَصْرًا ، فَإِذَا هُوَ شَابٌ جَمِيلٌ يَفْتَنُ بَمَثْلِهِ النِّسَاءَ ، فَأَمَرَ بِعُقْلِ شِعْرِهِ ، وَهُوَ يَرِيدُ التَّقْلِيلَ مِنْ جَاهَلَةٍ ، فَازْدَادَ جَمِيلًا ، فَأَمَرَ بِنَفْيِهِ إِلَى الْبَصْرَةِ مُنْتَهَا لِلْفَتْنَةِ .

ومنهم بابرون ، فقد كان آية من آيات الجمال ،
وكان شعره الذهبي يتهلل على جبينه في خصلات
متموجة ، وله عينان زرقاوان يخاطلها لون رمادي ،
وتحيط بهما أهداب غزيرة طوال ، وشفاته فرمزيتان ،
وأنفه رقيق لطيف ، وقدم رشيق ، وبشرته شفافة
كأنها البلور ، وصوته رخيم كنه نعمات والحان . وأما
اللغة بالراء فانها اضطراب فى النطق يصيب كثيرا من
الناس ، وقد اشتهر بها واصل بن عطاء ، وكان يهرب
منها باختناب حرف الراء فى دروسه وفي خطبه .

واما بحة الصوت فليست دليلا على تكوين وسط
بين كيان الصبي وكيان الشاب الناضج ، لأنها ضعف
في الحنجرة يعتري بعض الآسيوياء الذين لا يوصفون
ببلون من لوان الانحراف ، سواء أكانوا من الذكران
أم من الإناث .

وقد كان بايرون (٨١) يجاهر بعلاقاته ، ويسجلها في شعره .

وعرض كازانوفا (٩) قصة حياته عريانة في غير احتشام ، على ما فيها من مثالب ومخاز تحرم منها وجوه أكثر المجان من رجال ونساء ، ولم يكن غرضه تبرير احداهما او التهوي من قيم المجتمع ، او المبالغة بما افترض ، وإنما كان راوية دقيقاً أميناً لا يعنيه إلا التسجيل للخبر وللشر وللحرام وللحلال .

3 - اذا كان أبو نواس جميل الوجه . حسن
السمت ، مفترا بفراهة بدنـه ، فقد كان أبو القشير
كذلك ، وكان يغادر أبا نواس بعمالـه .

ذكر ابن منظور في أخبار أبي نواس : قال أبو القشير : نظمت الشعر وأنا غلام وأبو نواس غلام ، وكنا جمِيعاً نضرب بالعود ، وكانت أحسن وجهًا من أبي نواس ، وأبو نواس أطْيَع ، فتفاخروا بالشعر وغيره ، ثم قلت له : أني أجمل منك وجهًا ، فقال : بل أنا أحسن منك وجهًا وأفْرَه .

والذى يتبين من هذه المفاخرة ان ابا القشير
فاخر ابا نواس بعماله ، ولم يكن شعوره بتفوقه فى
الجمال ناشئا عن نرجبية ، وان ابا نواس رد على
الفخر بمثله وزاد عليه قوة جسمه ، فلا دليل في هذا
على نرجبية ابي نواس .

على أن كثيراً من الفلمان كانوا وما يزالون في هذه السن يتباهاون بجماليهم وفراحة أجسامهم ، حتى ليهارضون عضلات بعضهم بعضلات بعض ، وحتى ليتصارعون ويسابقون ، وهم أبرباء من مرض النرجسية وأعراضها .

٤ - اعتمد العقاد على وصف ابن منظور لابن نواس بأنه كان حسن الوجه ، رقيق اللون ايض ، حلو الشمائل ، ناعم الجسم ، منسلل شعر الراس ، الشغ بالراء يجعلها غينا ، وكان نحيفا ، وفي حلقه بحة لا تفارقنه .

وذكر بعض أبيات لابي نواس ، كقوله :
تいて علينا أن رزقت ملاحـة
فمهلا علينا بعض تيهك يابـدر
فقد طالماكنا ملاحـا وربـما
صددنا وتهـنا ثم غيرـنا الـدـهـر

(8) بایرون : امینة السعيد .
 (9) کازانوفا : ستیفان زفایج - ترجمة دار الهلال

اهدين اليه ، فيهن صبية حواء وعجزو في احدى عينيها نكتة ، فتغتير من ذلك ، ولم يظهر لي امره ، فلما مضت مدة سقطت لي ابنة من السطح ، وجفاه القاسم ابن عبيد الله ، فعزوا العاديين الى الحواء والعجز ، وكتب الى بفصيدة ، منها :

ابها المحنتي بحوال وعسورة

ابن كانت منك الوجه الحسان ؟

قد لعمري ركب امرا مهينـا

ساعني منك ابها الخلصـان

فتح المهرجان بالحول والعنـو

ر ارانا ما اعقب المهرجانـان

كان من ذلك فقدك ابنتك الحرـة

مصبوبة بها الاكـان

وتجافى مؤمل لي جيلـل

لـج فيه الجفاء والهجـان

خبر الله ان مشامة كـا

نت لقـوم وخبر الفـيرـان

افزور الحديث يقبل ام ماـ

قاله ذو الجـال والفرقـان ؟

وإذا فـلا غـارـة فيما قـصـوا من اـحدـات تـشـاؤـمـه
كتـولـهم أنـاـباـ الحـسـنـ علىـ بنـ سـليمـانـ الـاخـشـ غـلامـ أـبـيـ
الـعـباسـ الـمـبرـدـ ، كانـ شـابـاـ ظـرـيفـاـ ، وـكـانـ يـبـثـ باـينـ
الـرـومـيـ ، فـيـقـرـعـ بـابـهـ سـحـراـ ، فـيـقـالـ لـهـ : مـنـ ؟ـ فـيـقـولـ
قـولـواـ لأـبـيـ الحـسـنـ : مـرـةـ أـبـنـ حـنـضـلـةـ .ـ فـيـطـيـرـ أـبـنـ
الـرـومـيـ ، وـيـقـيمـ فـيـ بـيـتـهـ أـيـامـ لاـ يـبـرـحـهـ .

وقـالـ عـلـيـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ كـاتـبـ مـسـرـوقـ الـبـلـخـيـ :ـ كـنـتـ
بـدـارـيـ جـالـاـ ،ـ فـاـذـاـ حـجـارـةـ سـقـطـتـ بـالـقـرـبـ مـنـيـ ،ـ
فـأـمـرـتـ الـفـلـامـ بـالـصـعـودـ إـلـىـ السـطـحـ وـالـنـظـرـ إـلـىـ كـلـ
نـاحـيـةـ ،ـ لـيـعـرـفـ مـنـ دـارـ أـبـنـ الرـومـيـ الشـاعـرـ قـدـ تـشـوـفـتـ وـقـالـتـ :ـ
أـمـرـةـ مـنـ دـارـ أـبـنـ الرـومـيـ الشـاعـرـ قـدـ تـشـوـفـتـ وـقـالـتـ :ـ
أـتـقـواـ اللـهـ فـيـنـاـ ،ـ وـاسـقـونـاـ جـرـةـ مـاءـ ،ـ وـالـهـلـكـنـاـ ،ـ فـقـدـ
مـاتـ مـنـ عـنـدـنـاـ عـطـشاـ .ـ فـارـسـلـتـ إـلـيـهـ اـمـرـةـ مـنـ عـنـدـنـاـ
بـالـمـاءـ وـالـطـعـامـ ،ـ فـلـمـ عـادـتـ قـالـتـ :ـ اـنـ الـبـابـ مـقـفلـ
عـلـيـهـمـ مـنـذـ ثـلـاثـ لـيـلـاـ بـسـبـبـ طـيـرـةـ أـبـنـ الرـومـيـ ،ـ لـاـنـهـ
كـانـ يـلـبـسـ ثـيـابـهـ كـلـ يـوـمـ وـيـتـعـوـذـ ،ـ ثـمـ يـمـشـيـ إـلـىـ الـبـابـ
وـالـمـفـتـاحـ مـعـهـ ،ـ فـيـضـعـ عـيـنـهـ عـلـىـ ثـقـبـ الـبـابـ ،ـ فـتـقـعـ عـلـىـ
جـارـ لـهـ نـازـلـ بـازـائـهـ وـهـ رـجـلـ أـحـدـ يـقـعـدـ كـلـ يـوـمـ عـلـىـ
الـبـابـ ،ـ فـاـذـاـ نـظـرـ إـلـيـهـ أـبـنـ الرـومـيـ رـجـعـ وـخـلـ ثـيـابـهـ ،ـ
وـقـالـ لـاـ يـفـتـحـ الـبـابـ أـحـدـ (10) .

ذلك ليس الضمير المرسله من شعر راسه دليلا على ان اهله وجدوه شبها بالبنات ، فأرسلوا ضفائره ، اذ ان بعض الناس كانوا وما زالوا يرسلون ذوابن وضفائر للذكر الصغار ، لتدليل والتلميح فحسب . وان كان شكلهم بعد ما يكون عن الجمال وعن الشبه بالإناث .

ولهذا فلا مندوحة من العناية بالاحوال الاجتماعية والسياسية في دراسة شخصية ابي نواس ، لأن شخصيته ولidea نفيته من ناحية ، وولidea بيته من ناحية .

ومعنى هذا ان نعتمد على المدرسة التفسيسية والاجتماعية مما في دراسة شخصيته .

اما دراسة فنه فلا بد ان نعتمد فيها على المدرسة الثالثة وهي المدرسة الفنية مع هاتين المدرستين .

النموذج الثالث

نطير ابن الرومي

— 1 —

لم يعرض احد من القدماء او المحدثين الى دراسة ابن الرومي الا عرج على تطويره ، وضرب الأمثلة من حياته ومن شعره على تشاوئه . واغلب الظن ان الاحداث التي ذكروها عن تطويره حقائق واقعة ليس فيها تزييد ولا مبالغة ، لانه هو نفسه سجل تشاوئه في شعره ، ودافع عنه ، اذ كان يعرف من نفسه انها شديدة الحذر ، ويرى ان الحذر سلم الى الامان :

فـأـمـنـ مـاـ يـكـونـ الـمـرـءـ يـوـمـاـ
إـذـ لـبـسـ الـحـذـارـ مـنـ الـخـطـوبـ

وـكـانـ يـحـتـجـ لـلـطـيـرـةـ ،ـ وـيـقـولـ أـنـ النـبـيـ صـلـيـ اللـهـ
عـلـيـهـ وـسـلـمـ كـانـ يـحـبـ الـفـالـ ،ـ وـيـكـرـهـ الـطـيـرـةـ ،ـ اـتـرـاهـ كـانـ
يـتـفـاعـلـ بـالـشـيـءـ وـلـاـ يـتـطـيـرـ مـنـ ضـدـهـ ؟ـ وـقـالـ أـنـ النـبـيـ مـرـ
بـزـجلـ وـهـ يـرـجـلـ نـاقـتـهـ وـيـقـولـ يـاـ مـلـمـونـةـ ،ـ فـقـالـ :ـ لـاـ
يـصـحـبـنـاـ مـلـمـونـ .ـ وـذـهـبـ اـلـىـ اـنـ الـطـيـرـةـ اـصـيـلـةـ فـيـ
الـطـبـاعـ ،ـ وـاـنـ كـانـ اـظـهـرـ فـيـ بـعـضـ النـاسـ مـنـ بـعـضـ .

وـذـكـرـ عـنـهـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ مـسـيـبـ اـنـ دـخـلـ عـلـيـنـاـ يـوـمـاـ
مـهـرـجـانـ ،ـ وـعـنـدـ عـبـدـ اللـهـ عـدـةـ مـنـ الـقـيـانـ الـحـسـانـ

ان لي مثية اغبريل فيها
آمنا ان اساقط الاسفاط
وهي مثية تشيع في المصاين باختلال في
العصب او العضل .

وكان مسرفا في كل أمر من أموره . لا تصد
عزمي ، ولا يرده ضابط ، كان مسرفا في طعامه وشرابه
وشهواته ، ومسرفا في تهمته وهجائه ونكاته ،
ومسرفا حتى في استفشاء المعانى ، ولا سبب لهذا
الاسراف الا توفر الحسن ، والاستجابة للرغبات ،
والمحز عن كحها ، والانقياد لما تميله التحفلة الحاضرة

وفي رأي العقاد أن خضوع ابن الرومي لكتل احساس طارئ ، واستقراره فيه ، لم يترك له منفذًا إلى التفكير في عقابه ، وجعله لا يعادل عمابينته لشه العحس والخيال إلى ما تعلمه عليه الحكمة والمحاجة .

وإذا كان مزاجه قد أغراه بالاسراف فان اسرافه
جني على مزاجه ، لأن اسرافه الموكل بالاستقصاء في
كل مطلب ورغبة خليلق أن يسمم جسمه ، وينهك
اعصابه ، ويتحيف على صوابه ، وهو في الوقت نفسه
لم يسرف هذا الاسراف الا وفي جسمه سقم ، وفي
اعصابه خلل ، وفي صوابه شلل .

- 3 -

ويذهب العقاد الى أن المرأة قد تختل اعصابه
فيتقلب جريئاً جسوراً عنيداً مقتحاماً لمخاطر الاهوال،
مستهيناً بالعواقب وما يقترن بها من آثار، وقد
تضرب اعصابه فيصير وديعاً مطيناً شديداً الخوف
والحدّر، هياباً للصفائر، مبالغاً في حسبان النتائج
والعواقب إلى حد التوهم. وقد كان ابن الرومي من
الطراز الثاني.

كان مريض النفس مختلف الاعصاب فتغطير ، والرجل السليم لا يتغطير ، لأنه يتوقع من الدنيا خيرا ، ولا يحسن نفرة بينها وبين نفسه ، ولا يتسلل الفزع من مكانة موهومه ، فإذا أصابه مكره تلقاه بعزمية ضابطة لمشاعره فلا افراط في الجزع ، ولا استسلام للجزع .

وذكروا ان احد الامراء ارسل اليه حادما يستدعيه
اسمه اقبال ، ليتفاءل باسمه ، فنما اخذ اهتمته نهر كوب
قال للخادم : انصرف الى مولاك ، فانك تناقص :
ومعكوس اسمك (لا بقا) (١١) .

وأرسل اليه بعض أصحابه غلاماً اسمه حسنٌ .
فطرق الباب عليه ، فقال : من ؟ قال : حسنٌ . فتفاوض
بها وخرج ، وإذا أمام الباب حانوت خياط صلب عليها
دراعتين بالهيئه اللام الف ، ورأى تحتها نوى تمرٌ .
فتقطير وقال : هذا بشير بان لا تمر ، ورجع ولـ
يذهب معه (12) .

- 2 -

وقف الدارسون على اختلاف اعصارهم عند هذا الحد ، فلم يتتجاوزه الى استكناه نظير ابن الرومي ، واستشفاف ما وراءه من عوامل كانت السبب في نشاته وفی نمائیه .

اما العقاد فانه لم يقنع بما قنعوا به ، فجعل يحلل
تشاؤم ابن الرومي ويعلل له ، ويربطه بعوامل نفسية ،
وبلائمه بينها في دقة وحسانة ومهارة وتفوق .

ونستطيع أن نتبين من دراسته لطوير ابن الرومي
أن مراجعه إلى نوع من الاختلاط المقصبي والاضطراب
النفسي (13).

ذلك انه كان ضعيف الاحتمال لحرارة الصيف .
يعاني منها ما جعله يقول :

قد مضى أكثر الشتاء وجاء الصيف
فتعدو فلا ترده البطاء
يا عليما بما أكابد فيه
لا تعاونه إن فيه اكتفاء

قد مضى اكثر الشتاء وجاء الصيف يعدو فلا
تزدهر الالعاب وكان متوفرا الحسن الى اقصى حد ، يهيج
اعصابه اهون مس ، ويستفرغه ايسر حادث ، حتى ان
الروائح القوية كانت تؤديه وتصلبه ، وهذا هو السبب
في ذمه الورد ومدحه الترجس .
وكانت مشيتها - كما وصفها هو - مشية المختلج
كانه بين يديه غربا لا يدركه :

• 40 / ١ العدد (11)

• 43 / التنصيّص 1 / معاهرد (12)

(13) ابن الرومي لعقد 209، 200، 130، 127، 117، 116، 65.

ولم لا اتعلم قط من ذي ساحة
سوى الفوضى والمضعرف غير مقالب
فايسير اشقاقى من الماء انتسى
امر به فى الكوز من المجانسب
واخشى الردى منه على كل شارب
فكيف بأمنية على نفس راكب؟

اَظْلَلَ اِذَا هَزَّتْهُ رِيحٌ وَالَّاتُ
لِهِ الشَّمْسُ مُلْوَاجًا طَوَالَ الْفَوَابِ
كَانَى اَرَى فِيهِنَ فَرْسَانَ بِهِمْ—
يُلْحُونَ نَحْوَكُ بِالسَّبِيلِ الْقَرَاضِ

- 5 -

ذلك تعليق العقاد لتطيير ابن الرومي ، وهو تعليق في رأيه صواب كله ، لأن مردّه إلى نفسية الشاعر لا إلى مؤثرات أخرى من السياسة والمجتمع .

اما اذا اردنا دراسة شعره المتظير فالاجدر بنا ان نبني دراستنا على المذهب النفسي والمذهب الغنلي والمذهب الاجتماعي جميعا .

النحوذج الرابع

ولع المتنبي بالتصفيه

- 1 -

كان أبو الطيب مولعاً بالتصفيير إلى حد لم يعنه
فيه شاعر، ولم يخف هذا الولع على دارسيه، ولكنهم
أذتنبوا للظاهرة لم يتممّوا في التعليل لها.

وحيثما أن أبا العلاء أجاب ابن القارح حينما سأله عن هذه الظاهرة بقوله : « كان الرجل مولعا بالتصغير ، لا يقمع منه بخالسة المغير ... ولا ملامة عليه ، إنما هي عادة صارت كالطبع تفتقر مع المحسن ».

- 2 -

ويعلق العقاد على كلمة المعربي بقوله : لا شك
انها عادة كما قال المعربي ، ولكن اي عادة هي ؟ امن
عادات اللفظ ؟ ام من ضرورات الوزن ؟ ام من عيّبات
اللسان ؟

ويجب بقوله : لا ، ولكنها فيما نظرنا عادة في الطبع والخلق ، وما صارت كالطبع كما قال المعربي إلا لأنها من الطبيع ، وفيها ترجمة عنه ، ومحارة لنوازعه .

وكثيراً ما تبلغ الطمأنينة بالرجل السليم إلى التفاؤل المستسلم للأمن الصادق والكاذب ، كما يستسلم المتعظ للغزير والتوهم الصحيح والزائف .

— 4 —

وإذا فقد كان تطهير ابن الرومي مظهراً لاختلال
اعصابه وأضطراب نفسه ، وكان خفف اعصابه وشدة
حدزره ومزاجه المتشائم تزين له أن يتوجس الشر في
كل شيء ، وأن يقلب الكلمة أو الفكرة على ما تحتمله
وما لا تحتمله من حالات ، ليستخرج منها ما يمكن أن
نؤديه وتدل عليه ، وسرعان ما ينتقل ذهنه بين المعاني
ونظائرها وأشباهها ، وبين الكلمات وما يجاشها
ويشاكلا كل أحرفها وأوزارتها ، فلا يعزوه أن يعثر بما
يرافق نفيته الحذرة .

ومن هنا كانت الكلمة (جعفر) مثلاً تساوي عنه
جع (وفر) وكلمة (الخان) تذكره بكلمة الخيانة :

فكم خان سفر خان فانقض فوفهم
كما انقض صقر الدجن فوق الارانب

فقال في القبة : بل ان خياله المتشائم امتد الى تصحيف الكلمات

لَا تُلْعِنْ مَنْ تَفْتَنَهُ قِنْسَه
فَانْ تَصْحِيفَ اسْمَهَا فَتَنَّهُ

وصحف اسم عمرو الى غير في قوله :

بـ اعـمـرـو لـو قـلـبـ مـيمـ مـكـنـه
بـاءـ مـحرـكـةـ لـمـ تـخـطـيـهـ الـفـقـرـ
وـلـقـدـ اـسـتـبـدـ بـهـ الـوـساـوسـ فـىـ اوـاـخـرـ حـيـاتـهـ ،
فـصـارـ آـفـةـ غـلـابـةـ عـلـىـ اـقـوالـهـ وـافـعـالـهـ ،ـ لاـ مـحـيـصـ لـهـ عـنـهـ ،
فـأـفـرـطـ فـىـ الطـيـرـةـ ،ـ وـاشـتـدـ خـوفـهـ مـنـ المـاءـ ،ـ حـتـىـ كـانـ
لـاـ يـرـكـبـ سـفـيـنةـ مـهـمـاـ تـكـنـ مـأـمـونـةـ ،ـ وـمـهـمـاـ يـكـنـ فـيـ
رـكـوبـهـاـ مـنـ اـغـرـاءـ ،ـ يـدـلـ عـلـىـ هـذـاـ قـولـهـ فـىـ وـصـفـ سـفـرـ
بـدـخـلـهـ :

وَكَمَا يَقُولُ فِي اهْلِ زَمَانَةٍ .

ذلك تعليل العقاد لولوع المتبنى بالتصغير ، ولا شك انه تعليل صادق ، لانه ارجع التصغير عند المتبنى الى شعوره بالظلمة والى ازدرائه الناس .

ولكن العقاد تجاوز عن عامل آخر ربما كان ادعى الى ولوغ المتنبي بالتصغير من هذه المظمة المصطنعة التي يمزاحها احترافه للناس .

وذلك أن المتنبي فيما أرى كان ينفس بهذا التصغير عن موجده وحفنه وشعوره بالعجز عن تحقيق ما يتشاهد ، فقد ذم الحياة ، وادعى أنها لا تواتي إلا الأغفاء والحمقى ، كقوله :

فما ترجى التفوس من زمان
أحمد حاله غير محمد ورد
وفوله :

ومن صحب الدنيا طويلاً تقلب
على عينه حتى يرى صدقها كذباً

فنري الدار اخرون من موسم وأخذع من كفة العايس

فہرست

من خص بالدم الفراق فانتنى
من لا يرى في الدهر شيئاً يحمد

دقوله :

وشه الشيء منجدب اليه
وأشبهنا بذينان الطعام
 ولو لم يصل الا ذو محل
 تعالى الجيش وانحط القتام
 ولو لم يُرِع الا مستحق .
 لربته اسامهم المسما (14)

وكذلك حنق على الناس ، لأنهم نالوا ما لم ينزل ، وبخاصة أصحاب الفن والمجده والجاه ، وساء رأيه فيهم وفي اخلاقهم .

(14) المسام : الرعية . الضمير في اسمهم يعود الملوك المذكورين في أول القصيدة : اي لو كانت الإمارة بالحدارة لوجب أن يكون الملوك رعية ورعايتهم ملوكا لأنهم أحق منهم بالملك .

ثم يعلم لهذا الكلف تعليلاً تفرد به ، وذلك أن المتنبي كان يتعالى بنفسه على التكب بالمدائح والزلفي إلى الملوك والامراء ، وكان يرى أنه خلق لما هو أجل ، وأرفع من ذلك ، وهو إملأك والقيادة ، فلا يبالي أن يطول على ذوي السلطان بهذا الاعتقاد في قصائده التي سمدحهم بها .

وكان يُؤنِّب نفسه اذا ما آنس منها ركونا الى حياة الدعوة ، واطمئنانا الى منامه بين حاشية الامراء واتباعهم المتقلين على عطاياهم ، فيحفرها وينحيها عن هذا المقام ، ويدركها ما أعدت له من العجل والعظامة .

لكن المتنبي كان شريكاً في المظمة الديوبية والأخلاق العلمية في كل ما هو من باب الشعور واللاحظة ، ولم يكن شريكاً في كل ما هو من باب الانهاز والتنفيذ . كان يشعر بشعور عذماء الاعمال ،

ويقيس الامور بمقاييسهم ، ويلزم نفسه الجد الذي يلتزمون في حركاتهم وسكناتهم ، وتساورةه المطatum التي تساورهم ، ولكنه لا يتم الامر كما يتعمونها ، ولا يتوسّع الحوادث كما يتوسّونها . كان مطبوعات على غرار رجال المطatum ولكن في داخل نفسه لا في ظاهر عمله ، فله في خلقه وتفكيره استعداد عظيم الاعمال ولكن بغير دائرة العظمة .

وإذا كان شعوره بالمعذبة قد بدا في المبالغة والتبيه والتغريم أحياناً فإن شعوره بالتأسف والاشمئزاز والتحقير قد بدا في التصغير أحياناً أخرى ، فإذا أزدرى شيئاً ضئيلاً أو رجلاً حقيراً فذلك إزدراء يشوّه الصفن ، ويضاعفه ظل المظلمة الملقي عليه ، فإذا شعر بشيء شويء وإذا الرجل رحيل .

وأكثر ما يصغر المتنبي حين يهجم مفيظاً محنتاً،
او يستخف متعالياً محترقاً، كما يقول في كافور ..

وكما يقول في الشعراء الذين يزاحموه :

انی کل یوم تحت ضبني شویعر
ضیعف بقاوینی قصیر یط اول

الىه او يباريه او يباليه ؟ بل يضطعن على العظيم لانه
قصر عن بلوغ غايتها ، او لأن الحظوظ التي نولت هذا
العظيم اسباب علاه ضلت على المتنبي بما كان يصبو
الىه وتشهاده .

واذا فان كلف المتنبي بالتصفيير كان صدى لما يعتمل في نفسه ، وكان صدى للحياة السياسية والاجتماعية في عصره ، اذ كان عصر امارات وثورات وولبات الى الحكم هنا وهناك ، وكانت القوة والحيلة والدهاء أهم الوسائل لظفر الطامعين الى الحكم ، والطامعين في السلطان ، وكانت الاحقاد والدسائس والتفاق والملق والمنافسات واستكانة الشعوب واستبداد الحكام فاشية في المجتمعات .

التجدة

لمله قد تبين من هذه اللمحات ان الدراسة النقدية لا يصح ان تنحصر في نطاق المدرسة النفسية التي آثرها المقاد ، ولا يسوع لناقد ان يحصرها على اصول المدرسة الاجتماعية وحدها ، او يحصرها في مجال المدرسة الفنية معزولة عن غيرها ، فانه لا مناص من اعتماد الناقد على هذه المدارس جميعا ، لأن بعضها يخدم بعضا ، ولأن بعضها يجدي حيث لا يجدي سواه .

وإذا كان الاعتماد على المذاهب الثلاثة هو المنبع
السلمي الكامل ، فإن الدارس أو ناقد ليس محتمما
عليه أن يطبقها جميعاً في كل حالة من الحالات ، فقد
يكون الاستئناس بمصاديقها كلها هو الهادي إلى
الطريق ، وقد يكون في مصباحين أو مصباح واحد
غباء .

وعلى الدارس والناقد أن يتخير في دراسته الاجتماعية والسياسية ما يتصل اتصالاً وثيقاً بالشخصية التي يعرضها ، أو النص الذي يدرسها ، وأن يتبعد في دراسته النفسية والفنية عن التكلف والاعتراض ، حتى لا يلبس الشخصوص أو يضفي على النصوص أرديمة واسعة العرض ، أو مفرطة الطول ، أو ضيقة عن القحدود .

من ذلك قوله :

آنما انفس الآنيس سبعاً
 يتفارسون جمرة واغتيالاً
 من اطاق التماس شيء غلاباً
 واغتصاباً لم يلتمسه سؤالاً
 كل غاد لحاجة يتمنى
 أن يكون الفضنفر الرنفالاً

وقوله : اذا ما الناس جربهم ليتب
فاني قد اكلتهم وذاقا
فلم ار ودهم الا خداعا
ولم . ار دينهم الا نفاقا

وفوله :
ولا تشك الى خلق فتشمت
شکوی الجریح الى الغربان والرخ

وقوله :
وَكُنْ عَلَىٰ حِذْرٍ لِلنَّاسِ تَسْتَرِه
وَلَا يَغْرِكُ مِنْهُمْ تَغْرِيْبَهُ
غَاضِ الْوَفَاءِ فَمَا تَلَقَاهُ فِي عَدَةٍ
وَأَعْوَزِ الصَّدْقِ فِي الْأَخْبَارِ وَالْقُسْمِ

فليس اذن على المتنبي ان يكلف بالتصوير ، لانه فى تعبيره لون من الهجاء والتحقيق ، وضرب من الاستهانة وقلة المبالاة ، ومبعد ذلك كله التنفيس عما يعتمل فى نفسه من عوامل متعددة ، أهمها الفررور والتعالى المصطنع ، والسطح على الحياة ، والموحدة على الناس ، ولهذا يقول :

وأكرمههم كلب وأبصرهم عسم
وأسهدهم فهد وأشجعهم قرد
على ابني لا أوافق العقاد في قوله «أن المتنبي
ازدرى شيئاً ضئيلاً أو رجلاً حقيراً فذلك ازدراء
شوهه الضفن» لأن المتنبي المتعاظم لا يضطعن على
جل حقير، وكيف يحقد على الحقير وهو لا يتطلع

النظامة الـلكترونية تحصي جذور مفردات اللغة العربية

الدكتور ابراهيم نيسى
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

وسطر في المصاحف ، وبذلك تحقق قوله سبحانه
« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ولما ظهر لعلمائنا المتأخرین اختلاف عدد
الحروف في تلك الروایات حاولوا تفسیر ذلك او تعليمه
فيقول صاحب البصائر : « وأما الحروف فان بعض
القراء عد الحرف المشدد حرفين فيكون على هذا
القرآن عنده اکثر » !! غير ان مثل هذا التعليق في
رأيي ، لا يکفى في تسويیج التعدد في الروایات واختلاف
الارقام مع كل منها ، اذ يذكر الغیر وزابادی في كتابه
البصائر ثمانية ارقام مختلفة لجمل عدد الحروف في
القرآن مؤکدا ذكرها وضبطها بالكتابة اي لا يکتفی
بالرقم الحسابي .

وتلك هي الروایات التي جاءت في كتاب البصائر
مع الاکتفاء هنا بذكر السند في الروایة ، الاولى وحدها
رغبة في الایجاز :

1) وآخربنا الحسن ، انا ابو الحسن ، انا ابن
مسلم ، انا وکیع ، انا اسماعیل ابن مجمع ، انا محمد بن
یحیی ، انا عبد الملك بن عبد الرحمن ، حدثني ایوب ،
وابو عکرمة ، عن مرجی ، عن جعفر بن سليمان ، عن
مالك بن دینار وراشد وغيرهما قالوا : قال لنا الحجاج:
عدوا لی حروف القرآن ، ومعنا الحسن ، وابو العالية ،
ونصر بن عاصم ، فحسبنا بالشیعیر واجمعنا على أنه
ثلاثمائة الف حرف وثلاثة وعشرون حرفًا ، وفي رواية

جاء في كتاب « بصائر ذوي التميیز » في لطائف
الكتاب العزيز » تأليف الشیخ مجید الدین محمد بن
يعقوب الغیر وزابادی المتوفی سنة 817 هـ ، روایات
متعددة ، ومتباينة في بعض تفاصيلها ، برغم أنها جمیعا
تدور حول الاحصاءات القرآنية من حيث عدد السور
والآيات والكلمات والحرروف الهجائية ... الخ .

وتنسب تلك الجهد الاحصائية الاستقرائية الى
بعض من مشهوری العلماء والقراء الاولی ، بل يبدو من
بعض تلك الروایات أن العلماء والقراء قد تصدوا لتلك
العملية الاحصائية منذ عهد الحجاج بن يوسف ، او
ربما منذ أيام عبد الله بن مسعود .

وظلت تلك الاحصاءات تتناقل بعد ذلك جيلا بعد
جيلا ، ويترافقها المفسرون والدارسون ، وربما يكون
منهم من جاول تحقيقها فأعادوا الاحصاء والاستقراء حتى
انتهت لدى المتأخرین من العلماء على تلك الصور
المتعددة والروایات المختلفة التي نراها في كتاب
كالبصائر للغیر وزابادی ، وفي حاشية الجمل على
تفسیر الجلالین منسوبة للإمام النسفي ، وأخيرا
نجدتها في كتاب الكشکول للعاملي وقد أضافها كثير من
الخلط والاضطراب .

واوضح ما ظهر فيه الخلاف بين تلك الروایات
عدد الحروف الهجائية في القرآن الكريم برغم أن
القرآن منذ نزول على نبینا صلی الله علیه وسلم هو هو
لم يزد حرفًا ولم ينقص حرفًا ، حفظته المصادر :

في اسماعهم اضافوا شعيرة ، وفريق آخر كانوا يعدون عن طريق النظر ، اي كلما ابصروا في المصحف حرف مكتوبوا اضافوا شعيرة . وظهور ثمرة الخلاف بين هؤلاء وهو لاء حين نذكر ان بعض الحروف تسمع ولا تكتب مثل كثير من الفات المد وبعض واوات المد وباءات المد والهزات ... الخ . وان بعض الحروف تكتب ولا تسمع كهمة الوصل والالف بعد واو الجماعة . الخ . ومن هنا يمكن ان نتصور وقوع الخلاف في العدد ، وان كان من المستبعد ان يصل ذلك الى عشرات الآلاف .

غير ان الخلاف في جملة عدد الحروف لم يزعننا بقدر ما ازعجنا وادهشنا ان يقع الخلاف بين الروايات في عدد كل حرف على حدة . فلم تتفق روايات كتاب البصائر الا في عدد الطاءات ، الطاءات . ولم تتفق مع روايات النسفي الا في عدد الظاءات فقط . واما ما جاء في الكشكول للعامري فلا يتفق في اي حرف مع روايات الفيروزابادي او النسفي . وقد اكتفى صاحب الكشكول بذكر الارقام ولم يضبطها بالكتابة ، ولذلك جاءت نموذجا عجيبا من الا ضربات والخلط .

وبحسبنا نستعيد من الحروف تلك التي يحتمل في بعضها ان تكتب ولا تسمع ، او التي تسمع ولا تكتب كالالفات والهزات والواوات والياءات ، ونكتفي بمقارنة العدد لكل حرف من الحروف الاخرى التي لا يصيبيها شيء من ذلك ، لا تكاد نرى مسوغا لوقوع خلاف في عدد حروف كالءاءات او الباءات مثلا !!

وإذا استعرضنا مختلف الروايات حول اعداد الحروف لم يستأني كيف ان القديماء من العلماء كانوا في شبه صراع مع عدد الحروف ، يذلّون الجهد ، ويحاولون التحقيق ما وسعهم ذلك ، لأن الامر يتصل بالمعجزة الكبرى للإسلام ، وبكتاب الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من حلقه ، ثم مع هذا لا يكادون يجمعون على رأي حاسم قاطع بصدق عدد اي حرف من القرآن الكريم الا ظاء .

وهناك صراع احصائي آخر للحظه بين المتقدمين من اصحاب الماجم ، فقد تبين لهم منذ عهد الخليل بن احمد ان عدد الكلمات التي يمكن عقلا او نظريا ان يتالف من حروف الهجاء الشامية والمشرين يكاد يبلغ ، بل يتجاوز حدود اثنى عشر مليونا ، على أساس ان الكلمة العربية قد تكون ثنائية الاصول ، وقد تكون ثلاثة الاصول ، وقد تكون رباعية الاصول او خماسية الاصول . كما

عطاء بن يسار ثلاثة الف حرف وستون ألفا وثلاثة وعشرون حرفـا . (بالارقام : 300 023 ، 300 023 ، 360 023) .

12) عن ابن مسعود انه قال : وحروفها ثلاثة الف حرف وستمائة حرف وسبعون حرفـا . (300 670)

(3) عن أبي معاذ التحوي : هو ثلاثة الف حرف واحد وعشرون الف حرف ومائتا حرفـا . (361 200)

(4) عن عطار بن يسار : ثلاثة الف وثلاثة وعشرون ألفا وستمائة واحدى وسبعين حرفـا . (323 671)

(5) حسبوا حروف القرآن فعمر صوه على على مجاهد وسعيد بن جبير فلم يخطوهم . بلغ ما عدوه : ثلاثة الف حرف وتلاتة وعشرون الف حرف واحدا وسبعين حرفـا . (323 071) .

(6) عن أبي حمزة الزبيات وأبي حفص الغراز قالـا : حروف القرآن ثلاثة الف حرف وتلاتة وسبعون الف حرف ومائتا وخمسون حرفـا . (373 250) .

(7) عن يحيى بن الحارث الدماري قالـا : عدد حروف القرآن ثلاثة الف حرف واحد وعشرون ألف حرف ومائتا حرف وخمسون حرفـا (321 250) .

(8) عن راشد أبي محمد وكان شهد العجاج حين ميز القرآن قالـا : وحروفه ثلاثة الف حرف وعشرون ألف حرف ومائة وثمانية وثمانون حرفـا . (320 188) .

وهكذا نرى ان هذه الروايات الشاميـة لم تتفق الا في رقم ثلاثة الف ، اي لم يبلغ الخلاف بينها حدود مئات الالوف ، ولكن بلغ حدود الاف ، بل بلغ في بعض الروايات حدود عشرات الآلاف !!

ويذكر القرطبي في تفسيره ثلاثة روايات لجملة عدد الحروف في القرآن الكريم لا تشتراك مع اي من الروايات السابقة . والارقام التي جاءت في روايات القرطبي هي : 1801 ، 321 ، 323 015 ، 340 740 .

ومع ما ذكره الفيروزابادي في تعليل ذلك الخلاف نود ان نضيف الى قوله ان الذين قاموا بالاحصاء فيما مضى كانوا فيما يبدو، فريقين : فريق كانوا يعدون عن طريق السمع ، اي كلما سمعوا من قارئ حرفـا وانفسـح

الوقوف عليهم أقوى منه وأظهر عند الوقوف على الدال
وانا ارى انهم انما يقدمون الأقوى من المتقاربين من
قبل ان جمع المتقاربين يشقى على النفس ، فلما
اعتموا النطق بهما قدموا اقواها لامرين : احدهما ان
رتبة الأقوى ابداً اسبق وأعلى ، والآخر انهم انما
يقدمون الأثقل ويؤخرن الاخف من قبل ان المتكلم في
اول نطقه اقوى نفسي واظهر نشاطاً فقدم اثقل الحرفين
وهو على اجمل الحالين كما رفعوا المبتدأ لتقدمه
فاعربوه بائقن العركات وهي الضمة ، وكما رفعوا
الفاعل لتقدمه ونصبو المفعول لتأخره ... الخ .)
الى ان يقول ابن جني في آخر هذا الفصل : (وتحظوا
بذلك الى اهمال بعض الثلاثي لا من أجل خفاء تركيبه
بتقاربها نحو : « سس ، سس » لكن من قبل انهم
حدوه على الرباعي كما حذوا الرباعي على الخماسي ،
او ترى ان « لجع » لم يترك استعماله لشقه من حيث
كانت اللام اخت الراء والنون ، وقد قالوا : « نجع
فيه ، رجع عنه » ، واللام اخت الحرفين ، وقد اهملت
في باب « اللجع » فدل على ان ذلك ليس للاستقبال)
انتهى كلام ابن جني !!

وكلما مررنا بتلك الاشارات السريعة التي تصادفها
في ثنايا كتب القدماء من المستعمل والمهمل من جذور
اللغة ، او عن توالي الحروف وما يجتمع منها وما لا
يجمع ، احسنا لهم كانوا في شبه صراع رهيب
ومحاولة يائسة لعلهم يصلون الى نسبة صحيحة في
الاحصاء او الاستقراء . فاذا روی عن الخليل انه قال :
(ليس في كلام العرب شيئاً بعد لام ولكن قبلها ، كلها
قبل اللام) ، رد عليه الأزهري قائلاً : (وقد وجد في
كلامهم الشين بعد اللام ، قال ابن الاعرابي وغيره : زجل
لثلاثش اذا كان خيفاً) ، ثم يروي لنا بعض المعاجم
ايضاً كالقاموس المحيط للفيروزابادي ان الفعل
« لشا » معناه خس بعد رفعه !!

ومن الاشارات السريعة التي جاءت في كتب
القدماء بصدق نسبة شيوخ الحروف في اللغة العربية
قول ابن دريد في مقدمة معجمة الجمهرة (واعلم ان
اكثر الحروف استعمالاً عند العرب : الواو ، الياء ،
الهمزة ، وأقل ما يستعملون لشقها على استثنائهم : ظاء ،
ثم الذال ، ثم الثاء ، ثم الشين ، ثم القاف ، ثم الخاء ،
ثم الفين ، ثم النون ، ثم اللام ، ثم الراء ، ثم الباء ،
ثم الميم) !!

تبين لهم أن عدد المستعمل من تلك الصور المحتملة لا
يكاد يتجاوز مائة الف ، والباقي مهملاً لا يرد في اللسان
العربي .

وظهر اثر ذلك في المعاجم الاولى للغة العربية
كتاب العين المنسوب للخليل ، والجمهرة لابن دريد ،
والتهذيب للأزهري ، ففي كل من هذه المعاجم تقرأ
ـ ولا سيما مع الجذور الثنائية والثلاثية ـ كلمتي
المستعمل والمهمل لبيان ما ورد في اللغة وما لم يرد .

وحاول ابن جني في كتابه الخصائص (1) تفسيراً
لاهمال ما اهمل من صور الجذور ، وجاءنا بما سماه
الاستقبال !! فكثيراً ما يردد هذه الكلمة ، وكانها قد
تصور ان مؤتمر قد عقد بين القاطنين باللغة العربية ،
وانهم اهتدوا خلال مناقشات هذا المؤتمر الى الحكم
على استقبال الكثرة الفائلة من الجذور ، فكان الامر
في تصوره كان ارادياً متعمداً ، فهو يردد في احياناً
كثيرة قوله : ان العربي ينفر من اجتماع كذا مع كذا من
الحروف !! ولما وجد ان بعض الجذور المهملة لا يتسم
بالاستقبال او ما يشبه الاستقبال مثل المادة « لجع »
قال عنها أنها اهملت حملاً على ما اهمل من تراكيب
الرباعي والخماسي !!

فلنستمع الى نص كلام ابن جني في الخصائص :
(اما اهمال ما اهمل مما تحمله قسمة التركيب في
بعض الاصول المتصرورة او المستعملة فاكثره متروك
للستقبال ، وبقيته ملحقة به ومقفأة على اثره ، فمن
ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه مثل : « سس ،
سس ، ظث ، ظض ، ضش ، ضض » ، وهذا حديث واضح
لنفور الحسن عنه والمشقة على النفس لتكلفه ، وكذلك
نحو « قيج ، جق ، كق ، قك ، كجع ، جك » . وكذلك
حروف الحلق هي من الاختلاف ابعد لتقارب مخارجها
عن معظم الحروف اعني الفم ، فان جمع بين اثنين منها
قدم الاقوى على الضعف نحو : « اهلل ، احد ، اخ ،
عهد ، عهر » . وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع
بينهما الا بتقديم الاقوى منها نحو : « ارل ، وتد ،
وطد » . ويدل على ان الراء اقوى من اللام ان القطع
عليها اقوى من القطع على اللام ، وكان ضعف اللام ائماً
اتهاها لما تشرب به من الغنة عند الوقوف عليها !!
وكذلك لا تكاد تعاكس اللام ، وقد ترى الى كثرة اللثغة
في الراء في الكلام . وكذلك الطاء والباء هما اقوى من
الدال ، وذلك لأن جرس الصوت بالباء والطاء عنده

تفصيلاً ما جاء في عروس الأفراح للسيكى (2) ،
ونتبس هنا بعض فقراته :

(تنبية : رتب الفصاحية متقاربة ، وإن الكلمة تخف وتتقل بحسب الانتقال من حرف إلى حرف لا يلائم قريباً أو بعيداً) .

ثم يذكر المؤلف الحالات الست للجدر الثالثي على أساس أن الحرف قد يكون مخرجه من الحلق كالعين مثلاً ، أو مخرجه من الفم كالدل مثلًا ، أو مخرجه من الشفتين كالباء مثلاً . فالحروف الثلاثة ع ، د ، ب ، يمكن أن يتالف منها ست صور هي :

ع د ب ، ب د ع ، د ب ع ، ع ب د ، د ع ب ،
ب ع د . ثم يتحدث المؤلف عن أكثر هذه الصور شيوعاً وألقها شيئاً فيقول ما نصه : (اذا تقرر هذا فاعلم ان احسن هذه التراكيب واكثرها استعمالاً ما انحدر فيه من الاعلى « يربد حرفًا مخرجه الحلق » الى الاوسط « يربد حرفًا مخرجه الشفتان » (3) ، ثم ما انتقل فيه من الاوسط الى الادنى الى الاعلى ، ثم من الاعلى الى الادنى الى الاوسط ، وما انتقل فيه من الاوسط الى الاعلى الى الادنى فهما سيان في الاستعمال وان كان القياس يقتضي ان يكون ارجحهما ما انتقل فيه من الاوسط الى الاعلى الى الادنى . واقل الجميع استعمالاً ما انتقل فيه من الادنى الى الاعلى الى الاوسط) . انتهى كلام عروس الأفراح . والمولف في كل الحالات السابقة يربد بقوله الاعلى حرفًا مخرجه الحلق ، وبالادنى حرفًا مخرجه الشفتان ، وبالاوسط حرفًا مخرجه الفم .

واخيراً وليس آخرًا تلك الضوابط المشهورة التي يعني بها أمثال « الجواليني » في كتابه « المغرب من الكلام الأعجمي » ، والشهاب الخفاجي في كتابه « شفاء الفليل » حين يشار في هذين الكتابين الى ما يمكن ان يعد علامات لتمييز الكلمة العربية من الكلمة الأعجمية وهي :

(1) لا تجتمع الجيم والكاف في كلمة عربية ، الأصل ، ولذلك تعد كلمة مثل « المنجنيق » من الالفاظ الأعجمية .

(1) ذكرت في المعجم على أنها « دال » ومن المؤكد انه تصحيف .

(2) شروح التلخيص ج 1 ص 94 ، 95 .

(3) لعل هنا نقصاً في النص وتكلته « او عكسه من الادنى الى الاوسط الى الاعلى » . وهذه التكلمة لكن تتم الصور الست للثلاثي .

وأهم ما نلاحظه على اشارة ابن دريد المقطبة انها لم تتضمن الا نصف حروف الهجاء ، وإن النسخ المخطوطة لهذا المعجم قد اختلفت في شأن حرفين من الحروف المذكورة هنا ، فبعضها يذكر الدال بدلاً من الدال ، ويدرك العين بدلاً من الفين !!

واما الجاحظ فبرغم كثرة مؤلفاته وضخامتها لا نرى له سوى سطر واحد في البيان والتبيين يقر فيه ان : الياء ، اللام ، الالف ، الراء ، اكثر الحروف ترددًا من غيرها ، وإن الحاجة إليها اشد !! ثم يذكر لنا كيف اهتدى الى ذلك في تعبير طريف يقول فيه : (واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم ، فانك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت ان هذه الحروف الحاجة إليها اشد) !!!

وجاء في مقدمة لسان العرب لابن منظور : (واما تقارب بعض الحروف من بعض وتباعدتها فان لها سراً في النطق يكشفه من تعناه كما اكتشف لنا سره في حل المترجمات لشدة احتياجنا الى معرفة ما يتقارب بعضه من بعض . فان من الحروف ما يتكرر ويكثر استعماله وهو : ا ، ل ، م ، ه ، و ، ي ، ن . ومنها ما يكون تكراره دون ذلك وهو : ر ، ع ، ف ، ت ، ب ، ك ، د ، س ، ق ، ح ، ج . ومنها ما يكون تكراره أقل من ذلك وهو : ظ ، غ ، ط ، ز ، ث ، خ ، ض ، ش ، ص ، ذ . ومن الحروف ما لا يخلو منه اكثراً الكلمات حتى قالوا ان كل كلمة ثلاثة فماعدا لا يكون فيها حرف او حرفان منها فليست بعربية وهي سترة احرف : ر (1) ، ب ، م ، ن ، ل ، ف . ومنها ما لا يتركب بعضه مع بعض اذا اجتمع في كلمة الا ان يقدم ، ولا يجتمع اذا تأخر وهو : ع ، ه ، فان العين اذا تقدمت تركبت واذا تأخرت لا تتركب ، ومنها ما لا يتركب اذا تقدم ويتركب اذا تأخر وهو : ض ، ج ، فان الصاد اذا تقدمت تركبت واذا تأخرت لا تتركب ، ومنها ما لا يتركب بعضه مع بعض لا ان تقدم ولا ان تأخر وهو : س ، ث ، ض ، ز ، ظ ، ص ، فاعلم ذلك) .

واما أشهر ما عرف عن علماء البلاغة بهذا الصدد فنراه في آثاره حديثهم عن التعقيد اللغوي ، وأكثره

في نمارها . فقد اتصلت بأستاذ الفيزياء المصري والمعار لجامعة الكويت الدكتور علي حلمي موسى وكانت اعلم انه من أشهر المتخصصين في استخدام الكمبيوتر . وعقدنا معه عدة جلسات علمية شرحت فيها فكرة الاحصاءات اللغوية و أهميتها في البحث الغوي ، ثم كان ان اتفقنا على البدء بدراسة احصائية لجذور اللغة كما جاءت في معجم الصحاح للجوهرى .

ووضع أستاذ الفيزياء ما يسمى في استخدام الكمبيوتر بالبرogram ، وشحن ذاكرة الكمبيوتر بنصوص المعجم ، ثم استعمل ذلك الجهاز العجيب فاملى عليه نتائج احصائية رائعة نسقت في عشرات من الجداول ، وبذلك تحقق ذلك العمل العلمي الرائد الذي سعدت بأن يكون لي فيه حظ التوجيه والارشاد .

وطبعت جامعة الكويت تلك النتائج الاحصائية في كتبين تحت عنوان « دراسة احصائية لجذور مفردات اللغة العربية » ، وزعاتها على كل اعضاء الماجم اللفوية في العالم العربي ، وعلى اقسام اللغات والرياضيات في الكليات الجامعية .

وهكذا نرى أن أصحاب العلم الحديث قد قالوا كلمتهم بصدق الاحصاء اللغوي ، وبقي علينا نحن اللغويين أن ننيد من تلك الاحصاءات في بحوثنا ، ولاشك لحظة في أن اللغوي الحديث سيهتدى عن طريق تلك الاحصاءات الى تفسيرات جديدة واصيلة لكتير من ظواهر لغتنا العربية ، وأعمل الان جاهدا رجاء الالهتداء الى بعض آثار الكمبيوتر في البحث اللغوي . وبالله التوفيق .

(2) لا تجتمع الصاد والجيم في الكلمات العربية ، فمثل « صولجان » مما افترضه العرب ، وكذلك كلمة « الجنس » .

(3) لا تقع النون وبعدها راء في اللفظ العربي ، فمثل « نرجس » كلمة اعجمية .

(4) لا تكون الزاي بعد دال في كلمة عربية ، فمثل « مهندز » كلمة اعجمية ، وهي الكلمة التي تغيرت فيما بعد حتى صارت على الصورة المألوفة الان « مهندس » .

(5) لا تجتمع الزاي أو الدال مع السين ، فكلمة « ساذج » معربة عن الفارسية .

(6) لا تقع الطاء مع الجيم في كلمة عربية ، ولذلك عدت كلمة « الطاجن » اعجمية .

(7) لا تخلو الكلمة العربية حين تكون رباعية الاصل او خماسية الاصل من حرف من حروف الذلالة وهي : اللام ، الراء ، النون ، الياء ، الفاء ، الباء ، فيما عدا كلمة « عسجد » بمعنى الذهب .

اما بعد : فازاء كل ما تقدم هنا من تصوص وردت في كتب القديمة كنت الى عهد قريب اشعر بالدهشة والحزينة ، واتمنى لو اتيحت لنا فرصة لاعادة الاحصاء والاستقراء عن طريق تلك الالات الحاسبة الحديثة التي اشتهرت باسم العقل الالكتروني او « الكمبيوتر » ثم حانت الفرصة في العام الماضي حين دعنتني جامعة الكويت لزيارة كانت برغم قصر زيتها ، مباركة

سِمَاتٌ وَهَشَابَهُ عَرَبِيَّةٌ فِي دَبَّ الْكَاثِبِ الإِيطَالِيِّ؛

جُوفَانِي فِيرغَا Giovanni Verga

لِلْأَثْنَاءِ وَعِصْمَى النَّاعِورِ

-لِلْفَرْوَنِ-

الاقتصادية المادية من اثر واسع في الحياة العادلة في أوروبا ، حتى جعلت كل شيء يفسر تفسيرا ماديا واقتصاديا وآلبا .

كان جوفاني فيرغا روائي الواقعية وخلاقها المبدع ، بينما كان صديقه وزميله كابوانا ناقدها الاكبر ، وناشر فلسفتها بما يمتاز به تقديره من حيوية الافكار والانطباعات ، الى جانب مشاركته في اخلاق والابداع بما فيه من اقصاص وروايات ومسرحيات منتزة كلها - او اغلبها - من واقع الحياة الصقلية . ولعل أشهر أعماله الادبية قصته مركيز رو كافيردينا (Marchese di Roccaverdina) . وبالرغم من براعة كابوانا التقديمة ، واهمية آثاره الادبية ، فإن فيرغا يظل اهم منه كثيرا في زعامة المدرسة الواقعية ، وببعد اثرا .

وكان يمكن اعتبار اليساندرو ماتزونى خالقا للمدرسة الواقعية قبل كابوانا وفيرغا ، على الاخص بروايته الشهيرة (الخطيبان - I promessi sposi) لولا أن ما تزونى كان حريصا على الجوانب الخلقية ، فیحکم على الاعمال والأشخاص في روايته على أساس خلقية ، لا مادية واقتصادية وعلمية ، بينما تترك المدرسة الواقعية الحكم على الاعمال والأشخاص الى القاريء نفسه ، لا الى المؤلف ، كما أن هذه المدرسة كانت تحرض على عدم الكشف عن الدناءات والمساويء الإنسانية علينا او التشمير بها أمام القراء ، بل كانت تعطف على المحرومین من ابناء الشعب ، وتشيد

اذا كانت المدرسة الادبية الواقعية تعزى في فرنسا الى هونوريه دي بلزاك واميل زولا ، ويضمون اليها غي دي موباسان وغوستاف فلوبير ، فإنها في ايطاليا تعزى الى لوبيجي كابوانا وجوفاني فيرغا ، ويضمون اليها غراتسيا ديليدا .

وإذا كان بلزاك ، في فرنسا ، يعتبر نقطة البداية في الحركة الواقعية ، وأميل زولا عاملاً ثبتتها واديها الاكبر ، فان الإيطاليين يعتبرون كابوانا نقطة البداية في المدرسة الواقعية ، او الطبيعية (Verismo - Naturalismo) وفيرغا عاملاً ثبتتها واديها الاكبر ، على الاخص بروايته الشهيرتين (أسرة مالافوليا - Malavoglia) و (المعلم Mastro Don Gesualdo) السيد جيزوالدو -

وعلى الرغم من ان المدرسة الواقعية الإيطالية جاءت بعد اختها الفرنسية ، وكانت متاثرة بها ، الا أنها تختلف عنها في ناحية مهمة هي أنها انصرفت إلى معالجة الواقع المحيي الصرف : الواقع الإيطالي لا الانساني العام ، كما نرى ذلك في اشخاص روايات فيرغما التي كانت صقلية مائة بالمائة ، وashخاص روايات غراتسيا ديليدا التي كانت من واقع جزيرة سردينيا وحدها ، ومن بيئاتها الفقيرة الخامدة المتالمة .

لقد تأثرت هذه المدرسة - سواء في فرنسا أم في ايطاليا - بالنهضة الصناعية والعلمية في أوروبا ، وبظهور كارل ماركس وإنجلز ، وما تركت فلسفتهما

وكان لذلك طبيعاً أن يموت بعضهم بالسل والاسقام، وينتحر بعضهم كذلك : فقد قضى (تاركيني) بالسل وعمره ثمانية وعشرون عاماً ، وقضى (كاميرانا) منتحراً ، ومات أشهرهم (براغا) صغير السن لم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره .

عند ظهور هذه المدرسة المطلولة - أو فلنقول «المسطولة» ! - كان فيرغنا في حدود الثلاثين من عمره، وفي عز انتشارها كان قد وصل إلى فلورنسا، ثم انتقل قبل وفاتها إلى ميلانو - مهد هذه الحركة وقبراها - وفي هذه الفترة جاءت أعماله الأدبية مزيجاً مضطرباً من أثر الواقعية الفرنسية ، والتمردية الفوضوية الميلانية - مدرسة ذوي الشعور الشعث - . وهذه الاعمال التي اتجهها فيرغنا هي : (خاطئة - Una Peccatrice) و (حكاية بلبل - Storia di una capinera) والنمر الملكي - (Tigre Reale) و (إيسروس Eros) و (حواء Eva) .

وعلى الرغم من أن فيرغنا قد وضع هذه الروايات بعيداً عن الأرض القلبية ، وفي وسط المدن الشمالية الكبيرة الملائى بالنشاط والحياة ، إلا أنه كان يعيش بروحه في أرضه الصقلية ، ومنها ظل يستمد الماء وشخصه وصوره . وعلى الرغم من النجاح الذي لقيته هذه الروايات ، فإنها لم تبلغ المستوي الفني الذي كان فيرغنا يتوق إلى تحقيقه . ولم يهتم إلى حقيقته الفنية إلا حين سلك سبيل الواقعية الأدبية ، فهناك رسخت شهرة فيرغنا بين عملاقة الأدب الإيطالي ، ولاسيما حين ظهرت رواياته الشهيرتان (Malavoglia) (Mastro Don Gesualdo) ، المستمدتان من واقع الحياة الصقلية الكادحة ، المذعنة للقدر الرهيب ، وحين أصبح شخصه من يدعوه باسم المفلوبين - Vinti . لأن القدر هي التي تسيرهم بارادتها دون أن يكون لهم فيها رأي ، ولا في تبديلها يد .

ولما في تبديلها يد بذات الفترة الجديدة في حياة فيرغنا الأدبية بقصة عنوانها Nedda ظهرت عام 1874 ، ثم تلاها بعدد من المجموعات القصصية الواقعية الأخرى (Vita dei campi) في كتبه التالية: (حياة الحقول - Pane nero) 1880 ، و (خبز أسود - Novelle rusticane) 1882 ، و (أقاصيص قروية - Per le vie) 1883 . في الطرقات - . الا ان فيرغنا بلغ الذروة في روايته (اسرة -

يعزياهم الإيجابية ، واستسلامهم إلى الألم والبؤس ، ودفعهم عن الشرف ، ومن إلى ذلك . وهذه المزاياد كلها نجدها مصورة أروع تصوير في آثار فيرغنا الأدبية المستمدة من الحياة الصقلية الشعبية الكادحة ، المستلمة إلى المصير المحظوظ .

فمن هو جوفاني فيرغنا هذا ؟

ولد فيرغنا في مدينة كاتانيا ، في صقلية ، عام 1840 ، وتوفي في عام 1922 ، بينما ولد زميله كابوانا - وهو أيضاً من كاتانيا - قبله بعام واحد ، أي عام 1839 ، وتوفي قبله بسبعة أعوام ، أي عام 1915 .

ولقد أحسن فيرغنا منذ حداثته بميل شديد إلى الآداب ، وبحاجته إلى بيئة تساعد على تنمية ميله هذا . وفي عام 1865 غادر صقلية إلى فلورنسا حيث وجد البيئة التي ي يريد . فقام فيها مدة ، ثم انتقل منها إلى ميلانو ، وهناك بدأ حياته الأدبية بذاته الجدية . فقام في ميلانو إلى أن عاد منها عودته النهائية إلى مسقط رأسه - كاتانيا - حيث توفي عام 1922 .

في الفترة التي بدأ فيها فيرغنا حياته الأدبية كانت الحركة الأدبية الواقعية واسعة الانتشار في فرنسا وأوروبا ، وكانت قد ظهرت كذلك حركة أدبية جديدة في مدينة ميلانو نفسها ، أطلق على أصحابها اسم (ذوي الشعور الشعث) وبالإيطالية (Scapigliati) - وهي أشبه بحركة الخنافس ، أو المبيبين في يومنا هذا - فهي مدرسة تمردية ، قليلة الانتصار ، قصيرة العمر جداً : إذ لم يزد عدد كتابها وشعرائها البارزين على الستة ، وهم : مؤسس هذه الحركة (Giuseppe Rovani) وزعيمها ، و (Iginio Tarchetti) و (Carlo Dossi) و (Giovanni Camerana) (Emilio Praga) وهذا أشهرهم ، وأخيراً (Arrigo Boito) . أما عمر هذه الحركة فلم يزد على عشر سنوات (من 1860 إلى 1870) .

لقد أراد هؤلاء الروائيون والشعراء الشبان أن يتمدوا على مثالية المدرسة الرومنية وحساسيتها المفرطة ، ولكنهم انفسوا كل الانقسام في حياة فوضوية بوهيمية ، وفي الكفر بالله والأنسان ، والوطن والفن ، وبكل المثل العليا في الحياة ، ومضوا ينشدون النسيان في تعاطي الخمر والآفيون .

هذه الفقرة اخترتها من كتاب (تاريخ النقد الفيرغولي) - (Storia della critica Verghiana) الصديقي الكاتب الإيطالي (Giorgio Santangelo) الاستاذ في كلية الآداب في جامعة باليرمو . وكتبت قد قرأت هذا الكتاب التفيس قبل ان اشرع في دراسة آثار فيرغا ، لكي يساعدني على فهم هذه الآثار الادبية فيما صححا . والحقيقة انه افادني كثيراً بان اطعمنى على آراء العديد من النقاد الإيطاليين في فيرغا وأدبه ، حتى لقد خيل الي انه لم يبق جانب من جوانب فيرغا الفنية الا شبع درساً وتحليلاً .

وحيث عكفت على دراسة روايتي فيرغا الكبارين (اسرة مالافوليا) - والمعلم السيد جيزوالدو) وجدت ان هناك نقطتين جديرتين بالنقاش والتحليل رغم كل ما قاله النقاد في أعمال فيرغا الادبية . وانا في هذه العجالة اقتصر على هاتين الروايتين وحدهما من بين انتاج فيرغا كلها .

النقطة الاولى تتعلق بالاحتمالية القدرية (Fatalismo) التي يراها النقاد في آثاره ، والتي ارذها انا بطولة ورجولة ، لا خنوعاً لقدر محتوم لا يمكن فهره .

ويبدو لي أن هذه الاحتمالية التي يراها نقاد فيرغا قد أصبحت لديهم ماركة مميزة بالنسبة الى اعماله الادبية ، ولا سيما الواقعية منها ، فهو عندهم لا يعرف الا بها .

وحيث تذكر هذه الاحتمالية ينصرف ذهنتنا الى تعطان بشرية مذعنة لمصيرها المحتوم : تسير بعيون مفوضة ، ورؤوس منحنية خنوعاً ، ولا تدرى - او لعلها لا تملك ان تدرى ، او تسأل - ان كانت تساق الى المصلح أم الى المرض ، لأن ارادتها مشلولة ، ومسيرها مخطوط منذ الازل في لوح القدر من نقطة انطلاقها حتى النهاية .

ولكن هل كان كذلك حقاً ابطال فيرغا ؟ (اكرر هنا اني اتحدث عن « اسرة مالافوليا » ، وجيزوالدو) بنوع خاص لثلاثة أزيد الموضوع اتساعاً ، واطلق الجناحين اكثر مما يجب) .

فلنحاول ان نلقي نظرة سريعة على كل من هاتين الروايتين لكي نصل من ذلك الى حيث نضع اصابعنا في موضع الجراح من اولئك (الابطال) الذين يابن فيرغا الا ان يدعوهن باسم (الملعوبين) او المزومين - (Vinti) :

مالافوليا - والمعلم السيد جيزوالدو) ، وقد ظهرت الاولى عام 1881 ، والثانية 1889 . ويمكن ان نضاف اليهما روايتان اخريان ، هما : (زوج الينا - (Il marito di Elena) عام 1882 ، و (من حصتك على حصتي - (Dal tuo al mio) عام 1906 .

في هذه الروايات انصرف فيرغا قبل كل شيء الى النظر الى الانسان في غفوته احساسه واعماله ، والى الدنيا في الاعيب الاقدار العجيبة وتحكمها بمصائر البشر . فهو شديد المطاف على الضعفاء ، والمعتوهين ، والمغلوبين على امرهم الذين يحنون رؤوسهم لشيبة القدر المستبد ، يتفهمهم بعطف عميق حتى في اخطائهم .

وقد اهتدى فيرغا اذن الى نفسه ، اذ عاد بروحه وقلمه من دنيا القصور البادحة ولحياة المترفة في المدينة الصاخبة ليستروح عبر ارضه الصقلية ، ويعيش مع شعبه ، ويستذوق طعم الخبر البسيتي للذيد . لقد افلحت الواقعية في ان تجعله يعيش بسلام مع نفسه ، ويستمد فنه مما كان يعيش في اعمق نفسه من بيته الصقلية الاولى .

صحيح ان معاصرى فيرغا كانوا قد استقبلوا رواياته واعماله الادبية بشيء من البرود وملة الاهتمام ، غير انه ما كادت تميل شمس الواقعية الى الغروب ، وتصبح شيئاً من حصة التاريخ الادبي ، حتى أصبحت تلك الروايات والاقاصيص مشار الاعجاب الواسع لدى القراء والنقاد ، واخذت مكانتها الريغعة بين روانع الآثار الادبية الكلاسيكية .

— * —

« ان فيرغا اليوم واحد من اوسع الكتاب شهرة وذيعاً في الادب الإيطالي .. وعلى الرغم من تغير الظروف التاريخية لا يزال اكثر ما يكون حياء في ضمير الاجيال الجديدة التي تعتبره الكاتب الذي مجد اعظم الاخلاق الإنسانية نقاء ، والمجد الاكبر لقدسية الحياة ، ولنضال الرجلة اليومي للبقاء .. واغانيه تظل ضمن نطاق الانسانية ، الا انها تسمو على انسانيتها بتحمل الالم برجلة حقة . هذه هي رسالة فيرغا الاجتماعية : فالاب نتونسي هو رمز للعمة الانسانية السامية التي تعرف كيف تؤلف بين شريعة الحياة المتألمة وشريعة الله » .

2 - المعلم السيد جيزوالدو -
MASTRO DON GESUALDO

كان جيزوالدو بناء ، وابن فروي يملك فرنا للجير (مشيدة) . ناضل نضالاً عنيداً منذ طفولته ضد بؤس القراء وفاقتهم : « حمل الكثير من الحجارة على منكبيه .. وقضى العديد من الأيام دون خبر » (ص 76) . لقد عمل أجيرا ، وبناء ، وعديداً من الحرف الأخرى ، ولكنه كان دائماً مصمماً على الانتصار على ظروفه الالية ، والتفصب على عناد الأقدار . وبفضل عمله المتواصل دون ملل أو تعب استطاع أن يتغلب على الظروف العصيرة ، وأن يقترب بفتاه تدعى (بيانكا تراو - Bianca Trau) كانت الأخيرة من أسرة نبيلة خفض الزمان جناحها . غير أن هذا الزواج ، الذي فرضته على الطرفين المصالح المادية وليس الحب المتبادل ، يصبح بداية لصائب خطيرة ، ثم يفضي إلى الدمار . والثمرة الوحيدة لهذا الزواج ، وهي الابنة إيزابيلا ، بعيدة عن أيها الذي تخجل من أصله الوضيع ، ثم تصبح زوجة لأحد دوقات باليارمو . وتموت الزوجة (بيانكا) بالكولييرا ، ويصاب جيزوالدو نفسه بالسرطان ، فيقضي أيامه الأخيرة في قصر زوج ابنته في باليارمو ، ويموت بعد ذلك وحيداً يائساً بعد أن يرى ضياع الثروة التي جمعها بكده وعرقه المواصلين جميعاً ، والتي كانت أعز عليه من حياته . وتقول الرواية أنه « هناك ، أمام الثروة التي يملكتها ، اقتنع بأنه انتهى حقاً ، وأن كل أمل له قد ضاع .. انه يود لو يستطيع أن يدمر بضربي واحدة كل الثروة التي جمعها شيئاً فشيئاً . يود لو أمكن ان تذهب أملاكه معه ، قاطنة يائسة مثله ! » (ص 347)

في البداية تستولي اخت جيزوالدو وزوجها على أملاكه وثروته ، غير أن زوج ابنته لا يلبث أن يستولي على كل شيء رغماً احتجاج الشقيق جيزوالدو المحترض الذي « كان بطنه منتفضاً كالقرفة ... والأنابيب الكلية في داخله تنهمش كبنده نهشاً » (ص 338)

— * —

في هاتين الروايتين نلاحظ كيف جعل فيرغنا الحتمية القدرية تسيطر من البداية إلى النهاية ، أو هكذا أرادها ، لأن فيرغنا يرى « أن الناس - أخبارا كانوا أم أشاراما - يجثم عليهم كابوس محظوم صارم - كما يقول باسكواله لاماً في الجزء الثالث

1 - أسرة مالافوليما : MALAVOGLIA

في هذه الرواية لدينا عدة أبطال ، غير أن الرئيسيين منهم ثلاثة ، هم : السيد تونتي - والدار ، وتدعى باسم « دار الزعراورة » Casa del nespolo Maruzza (Providenza) . - وتتألف أسرة مالافوليما من : الشيخ تونتي ، والابن باستياناتسو ، والكتنة ماروتسا (La Longa) ، وكذلك من الأحفاد (تونتي - Mena - مينا - البستندرو ، ويدعى أيضاً مصغراً ، البسي - ثم ليما) . إنها أسرة من صيادي الأسماك يحاول أفرادها أن يتعاونوا فيما بينهم على العيش من مهنة واحدة . وفي أحد السنين العجاف يحاول السيد تونتي أن يتغلب على الفقر والجوع بتجارة الترمس (Lupini) ولاجل ذلك يستدين من أحد المرايين (واسمه كروتشيفيسو) خمسمائة ليرة . غير أن عاصفة تهب على المركب فتفرقه مع حمله . من الترمس ، ويفرق معهما كذلك الابن باستياناتسو . أما المركب فيتشتت ويعاد اصلاحه للعمل من جديد ، وأما الدين فيظل دون تسديد رغم كل المحاولات والجهود التي يبذلها الشيخ تونتي وسائر الأسرة . وأخيراً تضرر الأسرة إلى التخلص عن الدار العزيزة - دار الزعراورة - ثم عن المركب - العناية - لتسديد الدين . وحين تتجدد الأسرة من الدار والمركبة تأخذ المصائب في التوارد عليها : فتموت الكنة بالكولييرا ، ويقضي الحفيد لوكا في معركة بحرية ، والحفيد الآخر تونتي ، بعد أن يخدم في الجندي ، يعود إلى البطالة ، وينغمض في أعمال التهريب ، وبالتالي يدخل السجن ليقضي فيه خمس سنوات في القيود لطنه ضابط الحراس في أثناء معركة ليلية بين حرس الجمارك والمهربين . وبعد ذلك تفادر الحفيدة لينا المنزل ولا يعود أحد يراها . ويموت كذلك الشيخ في أحد المستشفى بعد أن أثقلته السنون والمصائب معاً . والحفيدة (مينا) لا تجد زوجاً بسبب المصائب المتلاحقة التي تنصب على بيت مالافوليما ، فتنصرف إلى العناية بأخيها الأصغر (البسي) وأسرته . والبسي هنا هو وحده الذي يتزوج جارة له تدعى (تونسياتا - Nunziata) ويتمنى من استعادة الدار التي كان استردادها آخر أمنية للجد قبل احتضاره . وبعدئذ يخرج الحفيد تونتي من السجن ويمضي بعيداً إلى حيث لا يستطيع أحد أن يعرفه .

كما نحب نحن ، حتى في أكثر حركات حياتهم سرية . انه يسمع أشد أصواتهم خفاء ، ويتجسس حتى على تنهياتهم في ليالي الارق » ... وانا احب ان اضيف هاهنا ان فيرغا يستحضر اشخاصه ومعهم بيئاتهم الحقيقة . وعلى الرغم من انه كان يصر دائمًا على ان فنه لا صلة له بشخصه ، وبيني الذاتية عنه ، فان ما يضعه من كلام على افواه اشخاصه ينسجم كل الانسجام مع البيئة النفسية والروحية التي يحسها هو نفسه ويريد ابرازها ، اي مع عالمه الخاص . وطبعي انه يقدم لنا الحقائق في لمسات من يدفنان بارع ، لا وقائع تاريخية مجردة من حياة الجزيرة فحسب . والمساكين الذين يناضلون لاجل الرغيف ولاجل السلام في جزيرتهم هم وحدهم الاشخاص الذين يتعمد فيرغا اختيارهم ليحصل على قياسهم فكرته الخاصة في القدرة وفي المصير المحظوظ وجبروته . غير اتنا نراهم ، رغم المهزائم المزيرة ، على استعداد دائم لمتابعة النضال بكل جدارة ، ومن غير هدنة . صحيح انهم قد ينتهون الى الخيبة والقنوط ، ولكنهم يسقطون سقوط الابطال ، لا سقوط الضعفاء والجباء ، وفي بعض الاحيان قد يبلغ نضالهم — ولو متأخرًا جدا — الى النصر ، والى استرداد الماء الذي فقدوه ، كما رأينا في (أسرة مالافوليا) وفي بعض جوانب في (المعلم السيد جيزوالدو) ايضا ، كما سأشرح ذلك في ما يلي :

في (أسرة مالافوليا) ينضل الشيخ نتوني طويلا ، وتناضل معه اسرته كلها كذلك ، لكي يتوصلا الى استرداد (دار الزعورة) . غير ان السيد نتوني نفسه لا ينتصر ، لسوء حظه ، الا بعد موته : ففي اللحظة الاخيرة يبشره حفيده اليسي بأنه استطاع ان يسترد الدار . كان السيد نتوني حينئذ على عتبة العالم الآخر الذي لا عودة منه ، غير انه احس بأن الحياة لم تخدعه خداعا تاما ، وبأن العدالة ما تزال توجد على الارض .

والاكم ما ت قوله الرواية :

« حين اخبروه بعد ذلك انهم استعادوا دار الزعورة ، وارادوا ان يعيدوه معلم الى (تريتسا — Trezza) من جديد — كان حينذاك في المستشفى طبعا — اجاب بنعم ، ثم نعم ، بعينيه اللتين عادتا الى الاشراق ، وكاد فمه ينفرج عن ضحكة عريضة : ضحكة اولئك الذين ما عادوا يعرفون الضحك ، او الذين يضحكون للمرة الاخيرة . ولكن الضحكة ظلت

من كتابه (تاريخ الادب الايطالي) ص 112 — بجث كل طموح لهم نحو الرخاء ونحو الطمانينة ، ويعاقب بقصوة ظالمة كل اراده لهم للخروج من قشرتهم ، والارتفاع فوق ظروفهم الاجتماعية » .

ومع ذلك فان هناك ، الى جانب القدار والكافوس الصارم ، شيئا آخر هو « البطولة » ، هو الصمود حتى النهاية في النضال الذي يرافق سائر احداث اسرة مالافوليا والمعلم جيزوالدو . ان البطلين التائسين لا يرضخان للمصاب ، ولا ينكحيان امام المصائب والعوائق الرهيبة التي يضعنها القدر في طريقهما ، بل يسيران رافعي الرأس دون ان يعرفا البأس والهزيمة .

ان الحتمية القدادية ليست حقيقة مطلقة في الحياة ، بمعنى ان الانسان يجب ان يعني راسه متلما لها دون نضال . وكذلك هي في روايتي فيرغا : في حياة اشخاصه وتصراتهم ومعتقداتهم . انها ليست حقيقة مطلقة لا يمكن التغلب عليها بقوة الارادة ورجلة النضال ، بمقدار ما هي عقيدة مسيطرة على تفكير المؤلف نفسه . ان فيرغا يلح كل الالاحاج في ابرازها في رواياته . وعلى الرغم من أنها ليست حقيقة لا علاج لها ، الا ان المؤلف يبحث عنها عالما ، ويريد لها دون علاج لبطاله الذين يدعوه (المفلوبين) لكي يحدد لهم قسمتهم تحديدا قسريا منذ الازل : اي ان « يعملوا ويتملوا » — كما يقول الناقد الإيطالي سابينيو (Sapegno

ان اشخاص فيرغا ليسوا من اختراع خياله . هذا صحيح ، ولكنهم مخاوقات آدمية ينتقيها هو من الواقع البائس انتقاء بلحمنها ودمها ، ويعرضها على المسرح لكي تمثل ادوارها الحقيقة التي يلزمهها المؤس والتحس . غير اتنا في هذا الواقع الذي يعرضه لنا المؤلف نلمس لدى فيرغا ميلا طبيعيا — او هل تقول « حتميا » ، حسب اعتقاده بالحتمية ؟ — الى المأساة اكثر منه الى الملهأة ، او الى بساطة الحياة وعاديتها . وقد يكون ذلك لأن حياة جزيرة صقلية كانت حينئذ — كما صورها فيرغا ، وكما صورها من بعده جوزيبي تومازى دي لامبيدوزا في روايته (الفهد) او (Gattopardo) II كما هو عنوانها بالإيطالية ، بكثير من الاغراق في التشاؤم — منفى مليئا بالتعاسة والجهل والفقير والظلم .

يقول ماتزونى (Mazzoni) : « ان المؤلف يعطينا اشخاصه كما يريدهم هو ، ويجعلهم يتصرفون

ساعة واحدة مثل تلك الساعات التي كان يستمتع بها اخوه (سانتو) على حسابه في الحانة » (ص 78) .

وعلى الرغم من كل هذا البوس والعناء فان دون جيزوالدو لم يكن فقط رجلا متخاذلا : لم يستسلم الى مشيئته الفدر ، بل كان يريد ، بالي ثمن ، ان يخرج من قشرته ويرتقي فوق ظروفه الاجتماعية الاصلية » . وقد رأينا في ما تقدم كيف استطاع بفضل عمله الدائب وتصميمه العازم ان يصل الى مكانة اجتماعية مرموقة يحترمها الاخرون ، وان يصبح مرهوبا حتى لدى الشخصيات البارزة الضخمة في بلده ، وان يقترب بفتاة من اسرة ارستقراطية . حتى ابنته الوحيدة اقترنت باحد دوقات باليرسون .

صحيح انه في النهاية كان لابد ان يقضى بالسرطان ، الا انه مات بطلا لا خاما ولا ضيما . وعده ذلك - وهذا مهم جدا - مات جيزوالدو واثقا من ان ابنته - ثمرة زواجه الوحيدة - لن تعرف البوس والحرمان ، بل ستنعم بشمرة تضحيته وكفاحه .

ومن هم الذين كافحهم المعلم جيزوالدو ؟

لقد كافح الجميع ، وكافح كل شيء : كافح البوس ، وضعة الاصل ، وقوة الحياة ، وكبار الشخصيات في البلد ، وتحكم والده المعتن ، وحسد أخيه وجشعه ، وكافح كذلك حسد شقيقه وزوجها ، بل لقد كافح حتى (تاني - Tanni) الانهاري ، وهو ليس سوى زوج لخدمته (ديداتا - Diodata) . وكذلك كافح حقد الاخرين (تراو) شقيق زوجته ، كما كافح غرور صهره الدوق ، ومساويه الكاهن (دون لوبسي) وخبيثه . وكافح الملاريا ، وقوى الطبيعة التي تعاكسه في صفة خصوصه الناقمين الحاسدين . وفي كل مرة كان جيزوالدو يخرج من هذا الكفاح منتصرا ، حتى اللحظة الاخيرة التي ادار فيها وجهه نحو الحائط - كما فعل والده من قبله - « وبردت اطرافه فجأة ، ثم سكت حركته نهائيا » - كما يقول المؤلف (367)

لقد مات السيد جيزوالدو والسيد نوني مالافوليا قانطين ، هذا صحيح ، ولكنهما ماتا بكرامة وانفة . كانوا من الابطال الحقيقيين الذين يظللون متذكرين سلامهم حتى النفس الاخير في كفاحهم ضد حتمية القدر . وهذه البطولة في الصراع

مفروسة في قلبه كالنصل . ذلك ما جرى لاسرة مالافوليا حينما عادوا يوم الاثنين في عربة (العم الفيو) بعيدوا جدهم معهم الى المنزل فلم يجدوه » (ص 245)

اذن فقد انتصر السيد نوني على حياة الفقراء المريدة بمنضاله الذي لم يكن لنفسه تحسب ، ولا اينال النصر وحده : بل لتظل ثمرة عنائه لاحفاده من بعده . ان النصر يظل دائما نمرا ، ولا يقلل من أهميته موت المحاربين الشجعان : فالنصر الحقيقي لا يجيء من دون تضحية . في جميع الحروب هناك من يحارب ويسقط لأجل الآخرين ، وآخرون يغزون بمكاسب تلك التضحية . فالمحارب انما يحارب لكي يتنتص وهو يعلم حق العلم بأن الموت ينتظره في العرب ، غير أن تضحيته لا تذهب عبثا الا اذا لم يستند احد منها من بعده ، والتضحية هنا ، استفاد منها آخر احفاده (اليسي) .

حتى المركب (العناية) انتصر على هياج الامواج والعواصف : كان حينا يمتليء بالماء حتى ليخشى عليه من الفرق ، وحينما يخرج من مصارعة المواتيف محظما . غير انه في كل مرة كان يعاد اصلاحه ، فيعود سليما ومستعدا لصراع جديد مع عاصفة اخرى ، وأخيرا تخلى عنه اصحابه الى الماربي كروتشيفيسو تسيديا للدين وهو في حالة جيدة ، وظل يعمل حتى وفاته صاحبه الاول .

اما في رواية المعلم جيزوالدو فان جيزوالدو نفسه هو الذي انتصر . لقد رأينا انه كان قد ولد في اسرة بائسة . واليكم ما تقوله الرواية في حياته النضالية :

« كان في حركة دائبة : يعمل دائمًا ولا تستريح قدماء أبدا ، من هنا الى هناك ، في البرد والحر والمطر ، ورأسه مثقل بالافكار ، وقلبه متضخم بعدم الاستقرار ، وعقله محطم من التعب ، لا ينام اكثر من ساعتين اذا تيسر ذلك . وكيفما تيسر : في قرنة اسطبل ، او خلف سياج ، في العراء او على الحجارة ، يأكل قطعة خبز اسود حينما كان على ظهر البغل ، او في ظل زيتونة ، او على طرف حفرة ، في الملاريا او في دوامة من البرغش لم يعرف الاعياد ولا عطلة الاحد ولا عرف قط كيف يوضح ضحكة مفتبطة ... ولا وجد لديه

وسأمضي الآن في استعراض هذه الفئات واحدة
واحدة :

1 - المفردات والجمل :

في روائي فيرغا الكثرين مفردات لا شك في أنها عربية الأصل لفظاً ومعنىً . ومنها الانفاظ التالية ، وهي كلها من رواية « ما لافوليما » ما عدا الأخيرة منها فهي من « المعام جيزوالدو » :

1) CATRAME	قطران
2) CARRUBBO	خرروب
3) BABAU	بعسع
4) SOMMACCHI	سماق
5) ZAFFERANO	زعفران
6) SATANASSO	شيطان
7) SALAMALECCHI	سلامات ، او مجاملات (من « السلام عليكم »)

والى جانب هذه المفردات استعمل فيرغا جملة مركبة ليست ذات لفظ عربي او طبيعة عربية في كتابتها ، الا أن لها مثيلات في التعبير العربي ، مما يبدو معه الامر غريباً اذا لم تكن هذه التعبيرات تحمل آثار الطابع العربي . واليكم بعض هذه العبارات ، مع ما يقابلها بالعربية ، واغلبها عامي ، ولكنني مضطر الى تحويله الى تعبير فصيح ، مع ثقتي التامة من ان في البلدان العربية الأخرى ما يقابلها :

1 - يضع حجراً على الماضي
(جيزوالدو 238)

1) Mettere pietra sul passato

2 - من اخذ مالك خذ روحه
(جيزوالدو 321)

2) A chi ti vuol pigliar la roba levagli la vita

3 - يعييء هواء للصيف
(جيزوالدو 271)

3) Prendere il fresco per l'estate

4 - الفسيل القذر لا ينشر على السطوح
(جيزوالدو 275)

4) I panni sporchi si lavano in casa

5 - الامثال لم تكذب قط
(مالافوليما 14)

5) Il motto degli antichi mai menti'

الإنساني لا يجوز ، في اعتقادي ، ان تخضعها لفكرة انحتمالية وتحكم القدر ، كما يشاء النقاد الإيطاليون ان يعتبروها في روايات فيرغا . انها بطلة ، وليس خضوعاً واستسلاماً للقدر .

ونجيء الآن الى النقطة الثانية في روائي فيرغا الكثرين ، وهي (السمات والشابه العربية) التي جعلناها عنواناً لهذه المعاشرة برمتها .

اننا هاهنا نصل الى نقطة فيها شيء من الخرج ومن اثاره الفضول معاً . وما اظن أحداً قد أثارها من قبل ، او اهتدى اليها .

في روائي فيرغا الكثرين وجدتني ازاء بعض العناصر التي يبدو أنها متأثرة بالطابع العربي ، مباشرة أو غير مباشرة ، لأن البيئات العربية واللغة العربية ما زالت فيها إلى اليوم ما يشبهها .

ومن المؤكد أن فيرغا لم يكن يعرف أن في أعماله الأدبية مثل هذه العناصر الأجنبية الواضحة . ولعله لم يخطر بباله قط أن كاتباً عربياً سيجيء يوماً من بلد بعيد في الشرق ليكشف عن سمات عربية في أدبه .

ولكن التأثير العربي في صقلية أمر غير منكور ، على كل حال ، ولا هو بالشيء الذي يمكن كتمانه ، فلقد حكم العرب الجزيرة قرنين من الزمن ، وكان طبيعياً لذلك أن يتركوا آثاراً ملموسة في أهلها ، ولاسيما إذا عرفنا أن تأثيرهم الاجتماعي والثقافي قد استمر أكثر من قرنين بعد خروجهم من الجزيرة .

لقد خطر لي في البداية أن أجعل عنوان هذه المعاشرة ، وبشكل خاص هذا القسم منها : (اثر العرب في أدب فيرغا) ، غير أن عدم يقيني التام من هذا التأثير مباشره جعلني اكتفى بعبارة (سمات ومشابهات العربية) ، وهي أقرب إلى المطلق ، وربما كانت أقرب إلى الصحة . وسأحاول في ما يلى ان ابين الشابه اللغوية والروحية والواقعية بين البيئة الفيرغوية والبيئات العربية .

ان السمات التي أعندها يمكن تصنيفها في ثلاث فئات :

1 - المفردات والجمل

2 - العادات والبيئات الشعبية

3 - الامثال والحكم

الصاب . وهم يحملون الارز ، والشاي ، والخراف ، والدجاج ، والطحين . والقهوة ، وحتى الحطب لطهو الطعام والخبز وما الى ذلك من الحاجات البيتية . وأقربيون يُودون هذه المشاركة اللطيفة لمساعدة اسرة الميت وتعزيتها ، من جهة ، ثم لانه لا يجوز ان تتحمل اسرة الميت وحدها كل النفقات - وهي غير قليلة -

2 - (مالافوليا - 80) في ما يتعلق ببواست الشؤم يقول الكنة سانتوتا : « ان نقود العم كروتشيفيسو تحمل معها الدواهي ! ففي هذه النية ايضا سمعت الدجاجة السوداء تصيح » .

وعندنا ايضا اذا صاحت دجاجة مثل صياغ الديك - وليس من الضروري ان تكون سوداء فقط - اعتبر ذلك نذير شوم ، ولا بد عندئذ من ذبحها فدي عن البيت الذي تصيح فيه .

3 - (مالافوليا - 93) - كان الحفيد نتونى يريد الاقتران ببرباردة رغم ارادته جده وأمه ، وكان الجد يؤنبه قائلاً : « هل ستتزوجها ؟ وأنا من اكون ؟ وأماك ، وليس لها عندك شأن ؟ حين أراد ابوك ان يتزوج له زوجة استشارني في ذلك اولاً » .

وفي رواية (العلم جيزوالدو) كذلك حكاية مشابهة لهذه ، في الصفحة 105 ، حين يسأل خادم الكنيسة السيدة بيانكا تراو اذا كانت ستتزوج السيد جيزوالدو ، فتجيبه بقولها : « اذا كان اخواي قد رفضا ذلك فاي رأي لي ؟ » ثم اضافت : « ان اخوي هما صاحبا الامر ... وهم وحدهما اللذان يقرران » .

وعندنا ، في اكثر البلدان العربية ، ان لم يكن فيها جيما - وعلى الاخص في القرى والبيئات البدوية ، يتم الزواج بمثل هذه الطريقة : ليس عن رغبة او حب متبادل ، بل باختيار الوالدين ، او الاخ الاكبر الذي تقضي التقاليد بأن يقوم مقام الوالد في حالة وفاة الوالد .

4 - (مالافوليا - 111) - ونأتي الان الى حادثة تبشر بغال حسن ، وذلك عندما « تظاهرة ابنة العم حنة بسقوط قارورة الخمر من يدها ، وفيها نحو رباعها من النبيذ ، فتاخذ عندئذ في الهناف : افرحوا ! افرحوا ! .. ان انلاق الخمر فالحسن ! »

عندنا يقال مثل هذا عن القهوة ، لا عن الخمر ، والاختلاف هنا بحكم البيئة والتقاليد فقط ، وذلك لأن القهوة هي دليل الضيافة الحميمة الاعم استعمالا

6 - رآه بعينيه اللتين سياكلهما الدود
(مالافوليا 16)

6) Li avevi visti con quegli occhi che dovevano mangiarseli i vermi

7 - فلان مثل الحيط المنخفض
(مالافوليا 73)

7) Io sono come il muro basso

8 - واقع بين المطرقة والسندان
(مالافوليا 85)

8) Stava fra l'incudine e il martello

9 - لا يسمح بان تقف الذبابة على انهه
(مالافوليا 97)

9) Non si lasciava posare le mosche al naso

10 - المصائب تعلم الحكمة
(مالافوليا 119)

10) Il giudizio viene colle disgrazie

- * -

وهناك كثير من مثل هذه العبارات الإيطالية التي تقابل عبارات عربية مثلها وتطابقها كل المطابقة . وليس قصدي استعراضها جميعا بل تقديم بعض النماذج فحسب لكي انطلق بعد ذلك الى الفئة الثانية ، وهي :

2 - المشابه في العادات والبيئات الشعبية :

وهذه نقطة اخرى جديرة بالابراز والدرس ، وهي تتعلق بالعادات الشعبية التي رسماها فيرغشا في روايته . ومن السهل ان نجد ما يماثلها تماما في الحياة الشعبية العربية . وانا اكرر اتنى اورد ما اعرفه في بلدي ، يقينا مني بان في البلدان العربية الاخرى ما يماثله . وهاكم بعض تلك العادات :

1 - (مالافوليا - ص 44) - يدور الحديث على موت الابن باستياناتسو - وعند ذكر العادات الشعبية يعرفنا المؤلف كيف ان الاصدقاء يحملون الى بيت القيد هدايا من العجائن والبيض ، ومن خيرات الله .

ان مثل هذه العادة ما يزال متبعا الى اليوم في القرى الاردنية ، مثلا - وليس من شك في ان هناك مثله في اقطار عربية اخرى - ففي القرى عندنا ليس الاصدقاء وحدهم هم الذين يحملون الى بيت القيد مختلف الهدايا ، بل تشتراك القرية كلها في ذلك كمعنى من معاني المؤاساة والمشاركة القلبية في

ووالواقع ان فيرغا قد استطاع ان يعطينا كل ذلك
ببراعة الفنان الاصليل .

وهنا ايضا نجد المجال واسعا للتبصر
والملاحظة . ومن بين الامثال الصقلية التي اوردها
فيرغا في روايته (أسرة مالافوليا) اختار المجموعة
التالية ، مع ما يقابلها من الامثال العربية العامية
بشكل خاص ، (ولكنني مضطر الى ايراد هذه الامثال
بغير اصلها العامي) :

1 - ما كان اوله شرطا فآخره سلامة -

1) Quel che e' di patto non inganna

2 - عمر الشقي طويلا -

2) Uomo povero ha i giorni lunghi

3 - نم بخير يا جاري لكي انام معك

3) Augura bene al tuo vicino che qualcosa
te ne viene

4 - بعيد عن العين بعيد عن الخاطر -

4) Lontano dagli occhi lontano dal cuore

5 - الصديق عند الضيق -

: او

- عند الشدائد يعرف الاخوان

5) Carcere, malattie e necessita', si conosce
l'amista'

6 - كل واحد يهيل النار على قرصه -

6) Ognuno tira l'acqua al suo mulino

7 - البيت الذي ليس له كبير ليس له مشير -

7) Ascolta i vecchi e non ti sbagli

8 - الرجل يمسك من لسانه -

8) L'uomo per la parola e il bue per le corna

9 - الدم لا يصير سما -

: او

- الدم لا يصير ماء -

9) Il sangue non e' acqua

10 - من يلعب بالماء بتبل تباهي -

10) Chi cade nell'acqua e' forza che si bagni

11 - الحب والبغض ليسا باليد -

11) Amare e disamare non sta a chi le vuol
fare

12 - من كان لا خير فيه لقدرمه لا خير فيه لجديده

12) Chi cambia la vecchia per la nuova peggio
trova

لدى العرب ، وهي في ذلك كالخمر عند الايطاليين
والغربيين عامة .

5 - 1 جيزوالدو 273) غضب جيزوالدو
غضبا شديدا حين بلغه ان ابنته ايزابيلا قد هربت من
المدرسة الداخلية ، وأصابه ما يشبه الصدمة المفاجئة ،
فانسظروا الى استدعاء الحلاق ليسحب منه دما .
كملاج بدائي في بعض حالات المرض يلجم
الكثيرون في بعض البلاد العربية - ان لم يكن فى
جميعها - الى من يسحب منهم دما - وفي هذا نجد
من يستخدم العلق لتصح الدم - وهناك حلاقون -
رأيت بعضهم بنفسي في القدس قبل عدة اعوام -
يعانون بتربية العلق في قوارير زجاجية كبيرة لهذا
الفرض ، وهم يستخدمونه بالصاقه على ظهر المريض
او عنقه لامتصاص شيء من دمه . وهناك من
يستخدمون الشفرة او موسى الحلاقة ، يشطبون
بهما ظهر المريض او اذنيه . كما ان العادة الاكثر
شيوعا هي استعمال كاسات الدم لراحة المريض ،
ولاسيما اذا كان يشكوا من ضيق الصدر او التزلا
الصدرية ، او ما الى ذلك .

من هذه النماذج نرى اننا ازاء عادات متشابهة
كل الشابه في البيئة الصقلية الفيرغوية وفي البلدان
العربية . ولا يبدوا لي شيء من الغرابة في ان تكون
هناك سمات عربية في هذه العادات الصقلية ما دامت
هي نفسها شائعة في الاقطار العربية حتى اليوم .

— * —

3 - الامثال والحكم :

في الامثال والحكم نجد دائما خلاصة حميضة
لتجارب الشعوب عبر الاجيال ، كما نجد الصورة
الاصيلة للعقلية والروح والاخلاق التي اكتسبها شعب
ما نتيجة تجارب وصلات طويلة مع الشعوب الأخرى ،
سواء اكانت هذه الشعوب صديقة ام عدوة ، قريبة
ام بعيدة .

وفي (أسرة مالافوليا) بنوع خاص اهتم
فيرغا كثيرا ، وعمادا ، بالامثال الصقلية ، ودرج
يرددها بكثرة في كل فصل من فصول الرواية
بمقدرتها الفنية الفائقة التي نعرفها . ومن المؤكد انا
نستطيع ان نستخلص منها صورة المجتمع بكثير من
الدقّة ، سواء من الوجهة الخلقيّة ام الاجتماعيّة .

من البيئات الشعبية الصقلية المناضلة لاجل العيش ، والكافحة ببطولة جبارة في سبيل التغلب على حتمية القدر القاسية .

و قبل ان اختم هذه الدراسة العاجلة اود ان اذكر ما قاله لوبيجي كابوانا ، رفيق فرغا و مواطنه وزميل مدرسته الادبية ، في هذه الواقعية الفيرغوية الصميمية ، وهو : « ان فيرغنا حينما تخطر على باله وضع فكررة قروية في صورة فنية ، لا يقتصر على جمع بعض المعلومات ، بل ينقل صورة ارضهم . ليس كافيا لديه ان يكون اولئك الاشخاص ايطاليين - الفلاح الاطيالي كلمة تجريدية - انه يذهب ابعد من ذلك كثيرا : يريد ان يكونوا صقليين .. يريدهم ان يكونوا من مقاطعة محددة ، بل من مدينة محددة ، بل من قطعة صغيرة من الارض بحجم الكف ... عند ذاك فقط يقف » .

ان هذا التحديد ينطبق كل الانطباق على روایتی فيرغنا اللذين استعرضناهما في هذه العجاله : فقد كان ادب فيرغنا منترعا من صعيم الارض البائسة التي رأى فيها المؤلف النور - وان لم يعش فيها كثيرا ، بل قضى الشطر الاكبر والاهم من عمره في الشمال الاطيالي الذي ينعم بالشراء والرخاء والحيوية العاملة في النهار والليل .

لقد كان فيرغنا بحق ابن بيته ، وكذلك كان ادبه الحالد ، النابع من نفس تشعر ببوس الآخرين ، وبنضالهم القاسي في سبيل العيش .

وطبيعي أنه ، وهذا ادبه ، لا بد من ان يعكس فيه الروح الصقلية العامة ، بكل ما فيها من رواسب وتاثيرات انطبع في حياتها على مدى الاجيال . ومن هذه التأثيرات ما لمسناه الان من المشابه والسمات العربية في البيئات التي وصفها فيرغنا في روایته الكبيرين : (اسرة مالافولينا) و (المعلم السيد جيزوالدو) .

13 - من اكل على ضرسه نفع نفسه -
13) Chi ha bocca mangia, e chi non mangia muore

14 - شيء خير من لا شيء - او بالعامية : (ريح العجوز ولا عدمه) -
14) Meglio poco che nulla

15 - كل طير يحن الى عشه -
15) Ad ogni uccello il suo nido e' bello

16 - القناعة غنى -
16) Piu' ricco e' in terra chi meno desidera

17 - منعاشر القوم اربعين يوما صار منهم - او : من يدخل بلد العور يقلع عينه -
17) Chi va con zoppi all' anno zoppica

18 - مال الحرام لا يدوم -
18) Roba rubata non dura

19 - ليس للجائع آذان - وبالعامية : (الجوعان مالوش آذان)
19) Ventre affamato non ragiona

20 - الملدوغ يخاف من جرة العجل -
20) Le cose lunghe diventano serpi

- * -

والآن بعد ان فرغت من استعراض هذه الامثلة والنماذج العديدة ، والمشابه بين عادات وامثال وتعابير متعددة من بيته روایتی فيرغنا الكبريين والبيئات العربية ، لست اريد ان اجيء بحكم نهائي جازم في تأثير العرب في اعمال فيرغنا الادبية ، بل اترك هذا لكم انتم . أماانا فقد اقتصرت مهمتي على ان اقني ، بقدر الامكان ، نورا جديدا على بعض أعمال فيرغنا الادبية ، محاولا بذلك فتح طريق جديدة لمن يشاء ان يتتوسع في دراسة فيرغنا وأدبه الجميل المتنوع

لغة الموسيقى كأداة للتعبير الفيزي

زرياب المنوفي سنة 238هـ.

للدكتور فراس عبد الله الرومي

عضو المجمع العلمي العراقي

يأخذ احسن ما يسمع ، ويختار خير ما ينفع ،
فحصل على ثقافة جامعية في الأدب والعلم والفن ،
ولكنه كان يؤثر الفنان على غيره ، وله من صوته
الجيبل خير مساعد .

لازم اسحاق الموصلي - استاذ المفتيين في
عصره - ليأخذ عنه ما لم يجده عند غيره . واسحاق
الموصلي : من علماء عصره ، ومكانته من العلم والأدب
والشعر ما يقول عنها ياقوت الحموي : « لو اردنا
استيعابه لطال الكتاب ، وخرجنا عن غرضنا من
الاختصار . ومن وقف على الاخبار ، وتبع الآثار
علم موقعه » .

كان يدخل على المؤمن من اهل العلم والأدب
والرواية ، ثم كان يدخل مع الفقهاء ويده في يد القضاة ،
حتى يجلس بين يدي المؤمن - وكان المؤمن يقول
عنده : « لولا ما سبق لاسحاق على السيدة الناس ،
وشهر به من الفنان عندهم لوليته القضاة بحضورتي ،
فانه أولى به واحق واعف ، وأصدق تدينا من هؤلاء
القضاة » .

أخذ زرياب عن هذا العالم الأديب ، والفنان
البارع ، واقتبس من أدبه وفنه . وكان اسحاق يعني
بهذا الفتى لما رأه عليه من الذكاء والفهم وسرعة
الأخذ كما أنه من موالي أمير المؤمنين ، فكان يحضره
مجالسه التي يعقدتها في داره ، والتي كانت مجمعة

أبو الحسن علي بن نافع مولى أمير المؤمنين الخليفة
المهدي بن المنصور العباسى ، كان أسود اللون ، حلو
الشمائل ، جميل الصوت ، فحيث اللسان ، فلقبوه
« بزرياب » تشبيها له بطائر غرد ، حسن الصوت ،
يقال له « زرياب » . نشأ زرياب في بغداد ، وهي أذ
ذاك : دار السلام ، وقبة الإسلام ، مقر الخلافة ،
ودار العام والأدب والحكمة ، ومجمع أهل الفنون
والصناعات ، حاضرة الدنيا وما سواها بادية ، وهو
ما حمل الإمام الشافعى (رض) أن يقول لمن لم ير
بغداد : « ما رأيت الدنيا ولا الناس » .

وزرياب يتقلب في قصور الخلافة ، وما فيها
من ترف ونعم ، ومحمايل باسته ، وازهار عبة ،
وجنات تجري من تحتها الانهار ، ولملاعب تميس فيها
كواكب ، قد جمعن الظرف والأدب ، والفن والجمال
والدلال .

كن فتنة الناظر ، وغرة العابر ، وخل المقيم ،
 مما حمل الكتاب والشعراء ان يهيموا بوصفها ،
وأخذوا من حدائقها ولملاعبها المسارح التي مثلت
فيها قصولة « الف ليلة وليلة » .

في هذا المحيط الزاهي نشأ الفتى زرياب ،
الذكي الفؤاد ، الدقيق النظر ، الصافي البصيرة ،
فكان يتقلب في نعيمها ، ويتغيا ظلالها ، ويستمتع
إلى كواكبها ، ويحصل بمن يرتادها من أهل الأدب
والفن ، فيقتبس من علمهم ، وينهل من أدبهم :

حضر اسحاق الموصلي مجلس الرشيد ، وتشعب الحديث في الأدب والفن ، فطلب الرشيد من اسحاق مفتنيا مجينا للصنعة . لم يشتهر مكانه اليه.

واسحاق كان يتقرب إلى الرشيد بكل ما يُؤْنِيه ، ويطرّف بما عنده من أصوات وظرف وادب ، واراد ان يتحف الرشيد باحد تلاميذه - من موالي دار الخلافة - لما كان يعرف فيه من الذكاء والفهم وسرعة التلقى عنه . فقال اسحاق للرشيد يا مولاي: عندي تلميذ - وهو موالي لكم - اسود اللون . عند الشمائل ، حلو التفريز ، سمعت له نزعات حسنة ، ونغمات رائعة ، ماتاطة⁽¹⁾ بالنفس ، اذا انا وفقته على ما استغرب منها - وهو من اختراعي ، واستبطاط فكري ، واحدس ان يكون له شأن - فان اذن لي امير المؤمنين قدمته اليه . ولم يعلم اسحاق ان هذا الذي يتسم فيه الذكاء والفهم سيفني امير المؤمنين بما لم يحيته اسحاق . وسيباغته بما وضع وابعد .

أمره الرشيد باحضاره - لعل حاجته تكون عنده ، وهكذا فان الساعة التي كان يترقبها زرياب قد انتهت عفوا ، فقد امر الخليفة باحضاره اليه ليفني امام استاذه الذي اخذ عنه .

أخذ زرياب بعد عوده ، واحسن ربط اوتاره ، واختار الاصوات التي سيفني الخليفة بها ، ويبز استاذه ويفوقه .

حضر زرياب مع استاذه اسحاق بحمل العود الذي قد اعده لنفسه ، وهو يختلف عن عود استاذه ، ومثل امام الرشيد ، واستاذه فخور بتلميذه الذي سيفني امير المؤمنين بما استبطنه هو ولقنه اياه .

قام الرشيد زرياب ، فاجابه زرياب باحسن منطق وأوجز خطاب ، مع فصاحه لسان وظرف وادب .

ساله الرشيد عن معرفته بالفناء ، فقال : نعم احسن ما لا يحسنه الناس ، واكثر ما احسنه لا يحسنه ، مما لا يحسن الا عنده ، ولا يدخل الاك ، فان اذنت غنيتك ما لم تسمعه اذن قبلك .

بهت استاذه اسحاق مما سمع ، ولم يكن يتوقع هذا ، فهل يجرؤ احد امام اسحاق الموصلي ان

لاهل الفنون والأداب ، وزرياب ينهل من كل ما يروق له ، وما يؤهله ان يخلف استاذه في مكانه .

بذل اسحاق عنابة خاصة في تدريبه وتعليميه الاصوات التي يضعها ، والايقاعات التي يبلغها . وكان الفتى النابه ينصرف الى ما يلقيه استاذه ، ويتأمل في اصواته ويدقق مواضع القوة فيها ؛ فكان في طبعة الذين يأخذون عنه ، وهذا ما حمل استاذه على مضايقة العناية به ، والانصراف الى تعليميه كل نادر وغريب ، حتى كان من طلابه الذين يفاخر في تعليمهم وتهذيبهم .

كان زرياب كلما تلقى صوتا من استاذه اسحاق - او من غيره - تلقف الصوت وردد مع نفسه حتى يتقنه ، فاذا عاد الى داره واختلى بنفسه ، اجري على الصوت ما يريدوه له اذا ما غير في ترديده ؛ فلم يزل يبذل وينفع ويهذب في الصوت ، حتى يبتكر صوتا جديدا جميلا قائما بذاته لم يسبق اليه .

وهكذا كان دابه في كل صوت يسمعه ، او ضربات يتلقاها من شيخ المفنيين اسحاق الموصلي ، فانه يدخل عليهم من التعديل والابتکار ما يجعلهما من اجمل ما ابدعه قريحة هذا الفتى الناشيء .

اشتعل زرياب بهدوء وسکينة وام يطبع احدا على ما كان يقوم به ، حتى استاذه الذي تربى بين يديه ، واخذ عنه ، فانه لم يكن يعلم ما عند زرياب من روانع الاصوات - وزرياب مستمر التردد الى استاذه ، يسترق من اصواته ، ويلقط من ظرفه وادبه ، وبواسط التهذيب والتحسين والابتکار ، حتى صار يطبع ان يخلف استاذه في فن مبتكر ، بل كان يطبع الى اكثـر من هـذا - وهو ان يبهر استاذه بما لم يسمع مثلـه .

أخذ زرياب يترقب اليوم الذي يبافت فيه المجتمع بفن دقيق مبتكر ، يعجز استاذه - استاذ الفن والطرب في بغداد - عن الاتيان بمثلـه ، مما حمله على حسده وتهذيبه بالقتل ان لم يرحل عن بغداد ، ويحافظ على منزلته التي كان عليها في بلاط الرشيد .

يقول ما قاله هذا التلميذ الناشيء؟ وصار يترقب
سماع الصوت بدهش وعجب.

امر الرشيد باحضار عود استاذه اسحق ليقني زريراب . فلما قدم اليه وقف عن تناوله وقال : يا امير المؤمنين : لي عود نحته بيدي ، وارهفته باحكامي ولا ارتضي غيره - وهو بالباب - فلياذن لي امير المؤمنين في استدعائه : فامر الرشيد بادخاله اليه .

تأمله الرشيد ، وكان شبيها بالعود الذى دفعه
له — عود استاذة — وقال له الرشيد : ما منفك أن
تستعمل عود استاذك ؟ فقال زريباب : ان كان مولاي
يرغب فى غناء استاذى ، غنيته بعوده ، وان كان
يرغب فى غنائى فلا بد من عودي . فقال له الرشيد :
ما اراهما الا واحدا .

فقال زرياب : صدق يا مولاي ، ولا يؤدي
النظر غير ذلك ، ولكن عودي – وان كان فى قدر
جسم عوده ومن جنس خشبـه – فهو يقع من وزنه
فى الثالث او نحوه . واتاري من حريـر لم يـنزل
بماء ساخن يكبـها انانـة ورخـاوة . وبـهما ومـثلـهما
انخذـتمـا من مـصرـانـ شـبلـ الاسـدـ ، فـلـهاـ فىـ التـرـنـسـ
وـالـصـفـاءـ وـالـجـهـارـةـ وـالـحـدـدـ اـضـعـافـ ماـ لـفـيرـهاـ مـنـ
مـصرـانـ سـائـرـ الـحـيـوانـ ، وـلـهـاـ مـنـ قـوـةـ الصـبـرـ عـلـىـ
تـأـثـيرـ وـقـعـ المـضـارـبـ المـتـاعـورـةـ بـهـاـ مـاـ لـفـيرـهاـ .
فـاسـتـبـرـ الرـشـيدـ وـصـفـهـ وـأـذـهـلـ اـسـحـقـ مـاـ سـمعـ .
تمـ اـنـدـفـعـ زـرـيـابـ وـغـنـىـ :

يا ايها الملك اليمون طائره
هارون راح اليك الناس وابتكرروا

- 3 -

سقط في يد اسحق فقد سمع من احد تلاميذه ما فيه من الروعة والاتقان والابتكار ، مما جعل امير المؤمنين يعجب به غاية الاعجاب ، ويرى كد على اسحق : انه لو لا ما يعلمه عنه من الصدق لانزل العقوبة به ، اذ لم يطلعه على ما قد ابتكره هذا الفنان المبدع - وهل يتربك اسحق الموصلى زریاب معه في بغداد يتباوا مکانته ؟ بل يسمو فوقه فيبعده عما هو عليه ، وتكون له زعامة الفنان في دار السلام .

فلا بد من ان يصارحه بما يكتنه له صدره من الحسد ، وان بقائه لا يمكن ان يكون في بغداد ، والا يؤدي به الى موته .

خلا اسحاق بزریاب وقال له : يا علي ، ان
الحسد اقدم الادواء وأدوفها ، والدنيا فتاة ،
والشركة في الصناعة عداوة ، ولا حيلة في حمها ،
وقد مكرت بي فيما انطويت عليه من اجادتك ، وعلو
طبقتك . وقصدت منفعتك ، فاذا قد اوتيت نفسى
من مائتها بادنائك ، وعن قليل تسقط متزلتسي ،
وترتفق انت فوقى ، وهذا ما لا اصاحبك عليه - ولو
انك ولدي - ولو لا رعيي للذمة تريستك ، لما قدمت
 شيئا على ان اذهب نفسك ، يكون فى ذلك ما كان ،
فتخير فى اثنتين لابد لك منها : اما ان تذهب عنى
فى الارض العريضة ، لا اسمع لك خبرا ، بعد ان
تعطينى على ذلك الایمان الموثقة ، وانهض بذلك لما
اردت من مال وغيره ، واما ان تقيم على كرهي ورغمي
مستهدفا الى ، فخذ الان حذرك مني ، فلست والله
ابعد عليك ، ولا ادع اغتيالك باذلا بذلك بدنى ومالى ،
فافقض قضاءك .

خرج زرياب وهو يفكر بالامر ، فهو يعلم ان استاذه لا يحتمم عن قتله اذا اقام في بغداد ، ولابد له من الرحيل عنها في بلاد الله الواسعة - وعلى هذا عاد الى استاذه وابدى له رغبته في الرحيل عن بغداد ، والتوجه الى بلاد المقرب بعيدا عن اسحاق فـي بغداد - هذا روع اسحاق وزال عنه ما كان في قلبه من هم ، وساعد زرياب بما يحتاجه من مال .

وبعد ايام فرغ الرشيد من شفل كان منفمسا فيه ، واشتاق الى سماع اصوات زرياب ، فامر اسحاق الموصلى باحضاره .

واسحاق من دهاء عصره ، قد ارضى الخليفة
ورجال دولته في تصرفه ورجاحة عقله ، فهل
يعجز عن اجابة الخليفة بما يصرفه عن زرياب ؟

قال اسحاق : ومن لي به يا أمير المؤمنين ؟
ذاك غلام مجانون ، يزعم ان الجن تكلمه وتطارده ما
ييزري به من غنائه ، فما يرى في الدنيا من يعدله ،
وما هو الا ان ابطأت عليه جائزة أمير المؤمنين ،
وترك استعادته ، فقدر التقصير به ، والتهوين
بمسانته ، فذهب مغاضبا ذاهبا على وجهه
مستخفيا عنى ، وقد صنع الله تعالى في ذلك
لامير المؤمنين ، فان كان به لعم يفشاء ويفرط خبطه ،
فيفرغ من رأه .

سكن الرشيد الى ما قاله اسحاق ، وقال :
علي ما كان به ، فقد فاتنا منه سرور كثير .

هذا هفوة من زرياب ؟ او خاطر خطير له ؟ وربما كان لامر في نفسه - وعلى كل فقد بدر منه ما اغضب ابن الاغلب ، واجب خروجه من تونس فاقدا بلاد الاندلس .

- 5 -

وكان اهل الاندلس يتطلعون الى ما في الشرق من حضارة زاهية ، وعلم وآدب وفن ، وجدوا في الاستفادة مما عند القوم ، فرحل الكثير من اهل الاندلس الى بلاد الشرق ، واخذوا عن علمائه وأدبائه ، وتعلموا فنونه وصناعاته ، ورجعوا الى بلادهم ينشرون ما حملوه معهم .

كما رغب الامراء الامويون بنوایع اهل الشرق ، وشوقهم بالرحلة الى بلادهم ، وبدلوا لهم الاموال الوفرة ، وقدموا لهم كل مساعدة ، ليستفيدوا من علمهم وفنهم . وكانوا يبذلون الاموال في الحصول على ما يستجد في الشرق من كتب قيمة . فقد بذل الامير الحكم لابي الفرج الاصفهاني الف دينار قيمة نسخة من كتابه الاغاني قبل ان ينتشر في الشرق .

هذا الاقبال من اهل الاندلس حمل العلماء وارباب الفنون ان يعمموا شطرها ، ويرحلوا اليها ، وينشروا علومهم و المعارف فيها . فرحل عدد منهم الى الاندلس ، ونالوا من أمرائها واهلها من الحفاوة والاحترام والاموال الوفرة ، ما حملهم ان يستقروا في هذا البلد الطيب ، واثروا آثارا حسنة في التدريس والمحاضرة والتاليف .

كتب زرياب الى الامير الحكم بن هشام ، يعلمه بمكانته في القناء ، ويعرض عليه التوجيه اليه . فسر الحكم بهذا ، وكتب اليه مرحبا به ، وأرسل لاستقباله وتديير سفره مفنيه منصور اليهودي .

ولما كان في الجزيرة الخضراء ، بلغه وفاة الحكم ، فهم بالعوده الى بلاد العدوة ، فثناء عن ذلك رسول الحكم ، وبين له شفف عبد الرحمن بن الحكم بالفناء والموسيقى . ورفع منصور اليهودي أمر زرياب الى عبد الرحمن يعلمه بمكانته ، وعبد الرحمن هذا من اكثر الامراء الاندلسيين شففا بالاداب والفنون والفناء . يحضر مجلسه العلماء والادباء وارباب الفن - وخاصة المفنون والموسيقيون - وهو يجزل لهم العطاء . سر عبد الرحمن بخبر زرياب ، وكتب اليه يعلمه بتطلعه اليه ، والسرور بقدومه عليه ،

وهكذا تمك اسحاق من صرف زرياب عن بغداد ، وصرف الرشيد عن زرياب ، وصرف الهم عن قلبه .

- 4 -

نسى أمر زرياب في المشرق ، ولم تخف على ذكر له بين المفنيين الذين نبغوا في مصر العباسي . ومع أن ابا الفرج الاصفهاني ترجم في كتابه (الاغاني) لاصحاب الاصوات الذين عانوا صناعة الفناء في الشرق ، فإنه لم يتطرق الى ذكر زرياب والاصوات الجميلة التي وضعها - ذلك لأنه أول نوغه هدد بالقتل ان لم يرحل عن بغداد - فرحل الى بلاد واسعة ، ووجد اهلا غير اهله ، واقتلاه لم يكن يتوقعه ، تکان زعيم الفناء في الاندلس والمغرب - كل هذا ولم يدون اهل بغداد ما ابدعه فتى اسحاق الموصلي الذي خرج من بغداد خائفا يترقب .

توجه زرياب الى الشام ، ومنها الى مصر ، ومنها ركب البحر قاصدا المقرب ، وما وصل تونس اتصل بزريادة الله بن الاغلب (201 - 208 هـ) وحظي عنده ، فكان يحضر مجالسه ، ويشارك بما يدور فيها من ادب وفن ، ويفنيه ، فاعجب به ابن الاغلب وتربيه اليه .

وفي أحد الأيام من سنة 206 هـ طلب ابن الاغلب من زرياب أن يفنيه ، فنثأر بآيات لعنترة الفوارس :

فان تلك امي غرابة
من ابناء حمام بها عبتنى

فاني لطيف بيپض الظبا
وسمر العوالى اذا جئنى

ولولا فرارك يوم الوعا
لقدتكم فى الحرب او قدتني

فقضب ابن الاغلب من تعريضه هذا ، وأمر بتصفع قفاه ، واخراجه من عنده ، وقال له : ان وجدتك في شيء من بلدي بعد ثلاثة أيام ضربت منفك .

ولا نعلم سببا لتعريضه بالامير الاغلب ، وزرياب من اذكياء عصره ، فطن دقيق الملاحظة ، فهل كان

حتى قالوا : يؤثر على بلاط الامير عبد الرحمن اربعة اشخاص : فقيه : يحيى بن يحيى الليبي ، وموسيقي : ابو الحسن زرياب ، وامرأة : السلطانة طرورب ، وخصي : نصر .

ومع انه كان مسموع الكلمة في البلاط الاموي ، الا ان عقله منعه عن التدخل في شؤون سياسة البلد ، وتركها لغيره .

صرف نفسه الى فنه الذي كان سبب ظهوره ونبوغه ، لانه علم حق العلم ان خير طريق للنجاح في الحياة هو تجنب ما لا نصيب له فيه ، والانصراف الى فنه الرفيع الذي ينقاد اليه الامير ورجال سياسته ، على اختلاف ميلهم ورغباتهم - وعلى هذا فلا نرى له ذكرا في الحوادث السياسية ، التي كانت على عهده ، فهو مفني البلاط وكفى .

انصرف زرياب الى الغناء والابتکار فيه ، وشقى بهذا كل مواهبه وقابليته ، واطلع على ما في الاندلس من الحان ، اخذ بعضها عن سكان البلاد الاصليين ، فكانت هذه عاماً جديداً في تعليم الاصوات التي يبتكرها ، كان الغناء قد شغل كل وقته حتى اذا رقد في منامه ، فإنه كان يواصل تفكيره في الاصوات المختلفة ، والاشعار التي تناسب كل لحن يبتكره ، فلم تنقطع سلسلة افكاره عن هذا الفن الجميل . فإذا أوى الى فراشه واهتدى الى لحن جديد ، او شعر جميل ، هب من نومه مسرعاً ، فيدعى جاريته غزلان وهنيدة ، فتاخذان عوديهما ، وبأخذ هو عوده ، ويطارحهما ليتلته ما اهتدى اليه من لحن ، ويكتب الشعر الذي نظمه ، حتى اذا انتقام عاد الى فراشه .

وعلى هذا قال عنه معاصره : ان الجن كانت تطارحه الالحان ليلاً فيتعلمهها . وما الجن الا شفقة بهذا الفن الرفيع الذي كان قد اخذ عليه كل وقته - حتى عند النوم فإنه كان يحلم في ترديد الاصوات وترجمتها ، هذا هو الالهام الفني - جنون الفن - وهو ما قيل عن كثير من الشعراء والفنانين المهووبين الذين يبدعون في شعرهم وفنهم . وكم ذكروا ان للشعراء شياطين يوحون اليهم ذخريف القول ، فيأتون بما لم يأت به غيرهم . وما شياطينهم الا

ويعنده ويرغبه . كما كتب الى عماله على البلاد التي سيم بها زرياب ، ان يحسنوا اليه ، ويقدموا اليه كل ما يحتاجه ، ويوصلوه الى قرطبة .

وارسل الى احد اكابر مواليه ان يتلقاه ببفال وآلات حسنة . دخل زرياب قرطبة ليلاً - صيانة لحرمه - وامر الامير ان ينزلوه في دار جميلة من احسن الدور ، وان يحمل اليها جميع ما يحتاج اليه ، وان يحملوا اليه الخلع .

وبعد ثلاثة ايام استدعاه ، ورحب به اجمل ترحب ، ودعاه الى تناول الطعام معه ، مع اولاده الكبار ، وامر ان يفرض له ولاده من الرواتب والخلع ما يقدر بآلاف الدنانير سنوياً ، واقطعه من الدور والمستفلات بقرطبة وبساتينها ، ومن الضياع ما يقوم بأربعين الف دينار سنوياً .

وزرياب قد اعد نفسه مثل هذا اليوم الذي كان يترقبه ، فهو في كتف امير معجب به ، مشغوف الى سماعه ، فابدأ في الاصوات التي كان يبتكرها بها ، فما ان سمعه عبد الرحمن حتى استهواه ، واحبه جداً شديداً ، واظهر كل ما سواه من المفنيين ، وادناه من مجلسه ، وامر بفتح باب خاص لزرياب يستدعيه منه متى اراده . وزرياب قد جمع الى ما امتاز به من الغناء ، عدة مزايا رفيعة : كان شاعراً عارفاً بفنون الأدب ، ونطوف المعاشرة والظرافة ، وعندة من آداب المجالسة ، وطيب المحادثة ، ومهارة الخدمة الملكية ، مالم نجده عند غيره من اهل صناعته .

كيف لا يجمع زرياب هذه الصفات الجميلة ، وهو الذي تربى في بلاط العباسيين ، وتقلب في نعيمهم ، وتنقل في جنائهم وخمائهم ، وحضر مجالسهم ، ولازم أعلى القوم في العلم والادب والفن - ربب المهدى العباسي ، وتلميذ اسحاق الموصلي ، وخارج مدرسة بغداد دار العلم والحكمة والفن . هذه الخصال اثرت في اهل الاندلس ، حتى اتخذه ملوكهم وخصوصهم قدوة حسنة فيما سنه لهم من قواعد وآداب ، واستحسنوا من اطعمه وثيابه ، وما ابتكره من عطور - وبقي اثر هذا فيهم الى آخر ايام اهل الاندلس منسوباً اليه .

وهكذا انقادت الدنيا لزرياب ، فقد كان مرجع القوم في الغناء وفي التأثيرات الاجتماعية ، تسمع كلماته في البلاط الاموي ، وينقاد اليه سراة القوم ووجهاؤهم ، يبذلون له العطاء ويتوّقون رضاه ،

ان يفتح فاه ، او كانت عادته زم اسنانه عند النطق ، راضه بأن يدخل في فيه قطعة خشب عرضها ثلاث أصابع يبتها في فمه ليالي حتى ينفرج فكاه ، وهو رأي عالم بنبرات الاصوات ومخارجها ، وما يساعد على تهديبها واظهارها بصورة جلية .

أخذ عن زرياب اولاده وكثير من اهل الاندلس رجالا ونساء ، ونشروا فنه في طول الاندلس وعرضها ، فكانوا دعاة نهضة فنية ، طفت على الاندلس ، وتعدتها الى شمال افريقيا ، وطبعتها بطبع الالحان التي ابدعها زرياب . بقيت هذه النهضة الى القرن الثامن للنigeria ، وهي تسر على القواعد التي وضعها زرياب والالحان التي ابتكرها وابدع فيها ، مما جعل ابن خلدون يقول عن تأثير غنائه :

فأورث بالأندلس من صناعة الفنان ، ما تناقلوه الى ازمان الطوائف ، وطما منها باشبيالية بحر زاخر ، وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها الى بلاد العدوة بافريقيا والمغرب ، وانقسم على انصارها ، وبها الان صباية على تراجع عمرانها وتناقض دولها .

ومن اخذ عنه وبرز في الفنان اولاده العشرة (1) :

1 - عبد الله كان خليفة والده ، واعلا اخوته في الفنان .

2 - عبد الرحمن : وهذا يلي عبد الله في الفنان ، وكان يشوب علمه تيه ورزو وكثره العجب بفنائه ، وهذا مما سبب له مشاكل كثيرة في مجالس الفنان التي كان يقيمها (2) ، ويدرك ابن خلدون أن عبد الرحمن هذا خلف والده في هذه الصناعة ، ولربما عمر اكثر من عبد الله ، فكان المرجع اليه في الفنان .

3 - أما محمد بن زرياب فكان مؤنثا .

4 - وأما القاسم بن زرياب : فكان احدهم غناء مع تعويده .

5 - وأما احمد بن زرياب : فكان قد غلب عليه الشعر .

(1) كان لزرياب اربعة اولاد يوم دخل الاندلس ، وهم : عبد الرحمن وجعفر ، وعبد الله ويحيى .
وولد له في الاندلس اربعة بنين : محمد وقاسم واحمد وحسن ، وبنتان : علية وحمدونة .

(2) نفح الطيب : 4 : 125 .

انصارفهم الى الشعر وكثرة تفكيرهم في محاسنه واوزانه ، وروائعه ، فيأتون بما لم يتهموا اغیرهم .

- 6 -

كان لزرياب مهد يقصده اصحاب الحناجر الرخمة ، والاصوات الجميلة ، يتلقون عنه الالحان ، وما ابدعه من الاصوات والايقاعات :

ولم يكن زرياب يقبل احدا في معهده ، الا بعد ان يقف على نبرات صوته ، وصلاح حنجرته ، وقابليته الى تلقي الالحان والاصوات ، وعلى هذا فقد كان يختبر من يقصده للأخذ عنه . وقد حدثنا المقرى عن كيفية اختباره لم يقصده فقال :

« وكان اذا اراد ان يختبر المطبوع الصوت - المراد تعليمه - من غير المطبوع ، امره ان يصبح بأعلى صوته : يا حجام . او يصبح : آه . ويمد صوته ، فإذا سمع صوته بهما صافيا نديا فويا مؤديا لا يتعريه غنة ولا حبقة ، ولا ضيق نفس ، عرف انه سوف ينجذب ، وأشار بتعلمهيه ، وان وجده خلاف ذلك ابعده .

وهكذا بعد ان يختبر من يقصده ، ويتحقق صلاحه ، يسلمه الى الذين ياخذون عنه ، فيتعهدون تدريبه تدريبا اوليا ، حتى اذا وقف على مباديء هذا الفتى الجميل ، تعهده بنفسه مع الذين ياخذون عنه . فإذا حضر التلميذ عنده للأخذ عنه ، كان يرشده الى كيفية الجلوس ، وطريقة اخراج الصوت من الفم ، والطرق التي يحسن بها نبرات صوته ، بحيث يجعله يناسب اللحن والايقاع اذا ما غنى .

قال المقرى في هذا :

« وكان اذا تناول الالقاء على تلميذ يعلميه ، امره بالقعود على الوسائل المدوره المعروفة بالمسورة ، وان يشد صوته جدا - اذا كان قوي الصوت - فان كان لينه ، امره ان يشد على بطنه عمامة ، فان ذلك مما يقوى الصوت ، ولا يوجد متسعا في الجوف عنده الخروج عن الفم . فان كان الصن الاضراس ، لا يقدر

يا من بفطسي هسواء
 من ذا بفطسي النهارا ؟

 قد كنت املك قلبي
 حتى علقت فطرارا

 يا ويلتاه اسراء
 لي كان ، او مستعارا ؟

 يا بابي قرشسي
 خلعت فيه المدارا

فلما انكشف لزرياب امرها ، اهداها الى الامير
 عبد الرحمن ، وحظيت عنده .

3 - اما هنيدة وغزلان فقد تقدم الكلام عنهما .

ومما اجرأه على العود في الاندلس :

1) كانت اعواد القوم ذات اربعة اوتار ، فأضاف
 هو اليها وترا خامسا ، واتخذ الاوتار من حزير لم
 ينزل بماء ساخن يكتسبها انانة ورخاؤة وقد تقدم
 الكلام عنها .

2 - كانت الاعواد ثقيلة الوزن ، تجهد الضارب ،
 وربما عاقه عن تأدية الضرب كما يسمى ، فجعل
 زرياب عوده صغير الحجم ، خفيف الوزن ،
 جميل الشكل ، دقيق الصنبع ، يستهوي
 النفس ، ويمثل جمال الالحان التي يضربيها زرياب .

 3) كانت مضارب العود من خشب ، ثقيلة على
 الانامل ، تؤثر في الاوتار عند الضرب ، وربما
 قطعتها او افسدتها في أيام معدودة . فعدل عنها
 زرياب بان اتخذ المضرب من قوادم النسر : خفيف على
 الانامل ، رفيق بالاوتوار ، ليس في اليد ، منرن
 الاستعمال ، بحدث اهتزازات في الاوتار ، ما لم
 تحدثه المضارب الخشبية الصلبة .

ومما سنه في الفناء : ان كل من افتتح الفناء
 يبدأ بالنشيد اول شدوه باي نقر كان ، وباتي اسره
 بالبساط ، يختتم بالحركات والاهراج تبعا لمراسيم
 زرياب .

ذكر المؤرخون ان اسلم بن احمد بن
 سعيد الف كتابا في الاصوات التي وضعها

6 - وأما حمدونة بنت زرياب : فكانت متقدمة في
 أهل بيتها ، محسنة لصناعتها ، تزوجها الوزير
 هشام بن عبد العزيز .

7 - أما غالية بنت زرياب : فطال عمرها بعد
 اختها حمدونة ، ولم يبق من أهل بيتها غيرها ،
 فافتقر الناس اليها ، وحملوا عنها ، فكانت مرجحا
 للمعبد الزريابي ، يقصدها اهل الفن ، ويأخذون
 عنها .

ومن جواريه :

1 - مصابيح : جارية الكاتب أبي حفص عمر
 بن قلهيل ، وهي من اخذ عن زرياب ، وصارت غاية
 في الاحسان والنبل وطيب الصوت .

مر ابن عبد ربه (3) فسمع غناءها ، واشتاق ان
 يدخل إليها فائـي مولاها . فمال ابن عبد ربه إلى
 مسجد قريب من المكان ، وأخذ لوها من صبي وكتب
 هذه الآيات وارسلها إلى مولاها :

يا من يضـن بصوت الطائر الفرد
 ما كنت احسب هذا الضـن من احد

لو ان اسماع اهل الارض قاطبة
 اصـفت الى الصـوت لم ينـقص ولم يزـد

فلا تضـن على سـمعـي مـقلـدـه
 صـوتـا يـجـول مـجـالـ الروـحـ فيـ الجـدـ

لو كان زـريـابـ حـبـاـ ثمـ اـسـمـهـ
 للـدـابـ منـ حـسـدـ، اوـ مـاتـ منـ كـمـ

اـماـ النـبـيـدـ فـانـيـ لـسـتـ اـشـرـبـهـ
 وـلـسـتـ آـتـيـكـ الاـكـسـرـتـيـ بـسـدـيـ

فـلـمـاـ قـرـأـهـاـ مـوـلاـهـاـ ،ـ خـرـجـ اـلـيـهـ حـافـلـاـ ،ـ وـادـخـلـهـ
 مـجـلـسـهـ ،ـ وـتـمـتـ اـبـنـ عـبـدـ رـبـهـ مـنـ سـمـاعـهـ .

2 - منعة : جارية زرياب ، اعتنى في تأديبها
 وتعليمها احسن اغانيه ، وثبتت رائعة الجمال ،
 وتصرفت بين يدي الامير عبد الرحمن بن الحكم ،
 تغنية مرة ، وتسقيه أخرى ، وكان الامير معجبًا بجمالها
 وبصوتها ، فلما فطنت لاعجابه بها ، ابتدت له دلائل
 الرغبة ، ولكنها أبي الا التستر ، فنظمت هذه الآيات
 وغنتها بها :

(3) صاحب « العقد الفريد » .

الاجتماعية فيها : الطعام والزياء وتصنيف الشعر
وابتكار عطور وادهان وغير ذلك .

ففي الطعام وما يتبعه من لوازمه :

١ - كان زرياب اول من اجتني بقلة الالهيون
المسماة بلسانهم بالاسفراج ، ولم يكونوا يعرفونها
تبليه .

2 - وعلهم زرياب طبع النقايا ، وهو مصنوع
بماء الكزبرة ال Robbie ، محلى بالسبنوسق والكتاب ،
ويلى هذا عندهم لون التقليمة المنسوبة اليه "زريابية".

3 - كان الاندلسيون يتخذون الآنية الرفيعة
الثمن ، ويحلونها بالذهب والفضة ، ويتنافسون في
هذا ، فاتخذ زريراب آنيته من الزجاج الجميل ،
فقلده الاندلسيون في هذا .

٤ - فضل زرباب استعمال سفر الاديم على المائدة الخشبية لتقديم الطعام ، لأن الوضر يزول عن الاديم باقل مسحة ، فاخذ الاندلسيون بهذا .

5 - كان زریاب يفضل فرش الانطاع الاديمية
الناعمة اللينة على ملائف الكتان ، فانتشر هذا في
الأندلس .

واما تأثيره على الزياء في الاندلس : فانه رأى ان يلبس كل صنف من الشياب في زمانه الذي يليق به . فيكون ابتداء الناس بلباس البياض . ثم يلبسون الملون من يوم مهرجان اهل البلد المسمى عندهم « بالعنصرة » الكائن في ست بقين من شهر يونيو (حزيران) ، الى اواخر شهر اكتوبر (تشرين الاول) . وان يلبسوا بقية السنة الشياب الملونة .

ورأى أن يلبسوا في الفصل الذي بين الحر والبرد المسمى عندهم «الربيع» من مصيفهم جباب الخز والملحوم والمحمر والوارجع التي لا بطائن لها ، تقربها من لطف ثياب البياض .

وكذا رأى ان يلبسوا في آخر الصيف وعند
اول الخريف المحاشي المروية والثياب المصمتة وما
شاكلها من خلاف الثياب الملونة ، ذوات الحشو
والبطانة الكثيفة ، وذلك عند قرص البرد في
الفدوات ، الى ان يقوى البرد ، فينتقلون الى انخف
 منها من الملوانات ، ويستظهرون من تحتها اذا احتاجوا
 الى صنوف الفراء .

زرياب ، ومما يؤسف له ، انا لم نقف على ذكر لهذا السفر النفيس ، الذى جمع روائع الفن وما ابتكره زرياب من اصوات جميلة ، وما نظمه من شعر يغنى به . فان هذا الكتاب كان يطلعنا على الحان رائعة ، واصوات مبتكرة ، ابدعاتها قريحة زرياب - طمست مع افول شمس العرب فى الاندلس ، ولم يبق منها ، الا صيابة تذكرونا بما كان من التأثير القوى فى الفناء الاندلسي الذى قدر قواهده ، معلم الناس الفن والمروءة (زرياب) .

زرياب من نوادر عصره ، جمع - الى تفوقه في
الفناء - علوما وفنونا وأدابا . ذكروا عنه انه كان
يحفظ عشرة آلاف مقطوعة من الاغاني بالحانها ،
وهذا ما ساعدته على حل كتاب الموسيقى لبطليموس ،
لان هذا العدد هو غاية ما ذكره بطليموس - واضع
هذه العلوم ومؤلفها - في كتابه .

كان زرياب شاعراً ، ويمتاز شعره بالرقة
والعذوبة ، كيف لا يكون شعره رائقاً ، وقد صدر
عن شيخ المفنن صاحب الاصوات المبتكرة البديةعة ،
والالحان التي لم يزل تأثيرها في الشرق والغرب .
ومن شعره :

ولو لم يشقني الظاعنون لشاقني
حام تداعت في الديار وقوع
داعين فاستبكين من كل ذا هوى
نوائح ما تجري لهم دموع

كان عالما بالنجوم وأحكامها ، يعرف الاقاليم السبعة وما فيها من عوارض طبيعية ، ومدن وعمان ، وما في هذه من سكان وخيرات ، ويعرف طبائع ومويل سكانها ، وما تشتهر به كل مدينة ، فإذا تكلم بهذا تكلم عن علم ومعرفه .

لم يقتصر تأثير زریاب على أهل الاندلس في
الفناء فقط ، بل كان له تأثير كبير على الحياة

حدث علويه المفني قال: كنت مع المؤمن لما خرج
إلى الشام ، فدخلنا إلى دمشق ، وطفنا فيها ، وجعل
يطوف على قصور بني أمية ويتبعد آثارهم ، فدخل
صحنا من صخونها ، فإذا هو مفروش بالرخام
الأخضر كله ، وفيه بركة ماء يدخلها ويخرج منها من
عين تصب إليها . . . واقبل المؤمن على فقال :
غنتي ونشطني ، فكان الله عن وجلي إنساني جميع
ما أحفظه إلا هذا الصوت :

لو كان حولي بنو امية لم
ينطق رجال ابراهيم نطقوا

فنظر الي مغضبا وقال : عليك لعنة الله وعلى
بني امية ، وبلك قلت لك سرني ام سؤني ، الم يكن
لك وقت تندح فيه بني امية الا هذا الوقت ؟

فتجددت عليه ، وعلمت اني قد اخطأت ، فقلت:
اتلولمني على ان اذكر بنى امية ، هذا مولاكم زریاب
عندهم يركب في مائتها غلام مملوك له ، ويملك
ثلاثمائة الف دینار وھبها له ، سوی الضیاع
والخیل والرقيق وانا عندکم اموت جوعا .

هذا هو زرياب الذى ترك بنداد مكرها ، وعاش فى الاندلس متوفاً مكرماً ، وصار مضرب المثل فى الشرق والغرب .

واما تأثيره على تصفييف الشعر : دخل الاندلس
وجميع من فيها - من رجل أو امرأة - يرسل جمته
مفروقا وسط الجبين عاما للصدغين وال الحاجبين ،
فاما رأوا تحديقه هو ولدته ونساءه لشعورهم ،
وتقصيرها دون جباههم ، وتسويتها مع حواجبهم ،
وتدويرها الى آذانهم ، واسدالها الى أصداغهم -
هوت اليه أنفسهم ، فاستحسنوه وقلدوه .

وابتكرا ادھانا ومعالجین لطيفة وروائع عطريّة
تزيد من جمال البشرة وتكتسبها رونقاً وبهاءً .

كان مالوك الاندلس والترفون يستعملون ذرور الورد وزهور الريحان وما شاكل ذلك من ذوات القبض والبرد لطرد الصنان والروائح الكريهة ، فلا تسلم ثيابهم من وضر . فدأبهم على تصعيدها بالملح وتبييض لونها ، فجربوه وحمدوه على ذلك .

هذا تأثير زریاب على أهل الاندلس ، فقد كان
ساملاً قوياً في تهذيب أغانيهم وتنسيق ثيابهم ،
وتهذيب طعامهم وأذنيهم وآدابهم الاجتماعية ، فهو
قدوة القوم في كل ما يصدر عنه . وعلى هذا فان
أهل الاندلس احروا زریاب بال محل اللائق به ، وبخدماته
الجليلة التي سنها لهم . فقد حظى فتى اسحاق الذى
ترك بغداد مكرهاً من الفتنى والترف والمزحة ، ما
جعله مضرب المثل في الاندلس ، ويتعداها إلى شمال
افريقيا ، ويتحاوزها إلى بلاد الشرق . ومن ذلك ما
رواه الصابي في كتابه المقويات التاذرة قال : (ص: 385 - 386)

دَلِيلُ جَدِيدٍ عَلَى عُرُوبَةِ الْأَرْقَامِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي الْمَغَرِبِ الْعَرَبِيِّ

أبو فَارس

« تحفة الناسمين في شرح أرجوزة ابن الياسمين » ، مخطوط بخزانة مكتبة الهند بلندن والخزانة العامة بالرباط) وسبط الماردبني المتوفى سنة 900 هـ ويسمى « اللمعة الماردبنية في شرح الياسمينية » (مخطوط برلين والقاهرة واسطنبول) وله أرجوزة في اعمال الجذور توجد بخزانة الاسكوريال (راجع بحث الاستاذ محمد الفاسي مجلة « رسالة المغرب » سنة 1942 السنة الاولى عدد 1) ومن شرح الأرجوزة سعيد العقابي التلميسي الملقب برئيس العقلاء (نيل الابتهاج ص 106) .

وكتاب تلقيح الانكار هذا يعتبر اقدم وثيقة تحدث عن اعداد القبار وأكملت أنها مغربية اي عربية الاصل .

ونشر صفحتين مصورتين رقم 8 - 9 من هذا الكتاب أولهما : « واعلم ان الرسوم ...

يوجد في المكتبة العامة بالرباط مخطوط تحت عنوان : « تلقيح الانكار في العمل برسم القبار » (رقم لـ 222) من تاليف أبي محمد عبد الله (او عبد الرحمن بن حجاج (1) المعروف بابن الياسمين والذي ولد بفاس اواسط القرن السادس وهو بريوري منبني حجاج بقلعة فندلاوة ، اخذ العلوم الرياضية عن شيخه محمد بن قاسم وقد قال ابن الأبار في التكملة : « وله أرجوزة في الجبر قرئت عليه وسمعت منه باشبيلية في سنة 587 (ص 531) وكان أحد خدام المنصور وولده الناصر كما في « الذخيرة السننية » وقد وجد ذبيحا بمراكن سنة 600 او اوائل 601 هـ ، وتوجد نسخ من أرجوزته في الجبر والمقابلة بخزانة باريز وبرلين واكسفورد والاسكوريال والقاهرة ، ومن شراح الأرجوزة حسب بروكلمان ابن الهائم المتوفى سنة 815 هـ (وهو مخطوط باكسفورد والقاهرة) والقتصادي وهو

(1) وقيل اسمه عبد الله بن محمد بن حجاج (الاعلام للمرآكشي ج 6 ص 91) مخطوط والتكميلة ص 531 والجذوة ص 237 .

الى وَصْعَدَ للعَكْرَدِ شَعْهَةَ اسْكَالٍ تَنَكُّبُ عَلَيْهَا جَمِيعُ الْعَدَدِ
وَهِيَ الَّتِي لَسْمَ اسْكَالَ الْغَبَارِ وَهِيَ هَذِهِ ٢١٣ عَمَّ عَرَفَ ٦٨٧٤ وَهِيَ
تَوَقَّرُ بَعْدَ كَذَا ٢١٣ عَمَّ حَمَّا عَمَّ ٦٩٠ وَلَذِنَ النَّزَلِ
عَدَنَأَعْلَى الوضَّاعِ الْأَوَّلِ وَلَوْا صَطَّلَتْ مَعَ تَعْسِكَدَ عَلَى تَدِرِّيْهَا
أَوْ عَكْسَهَا لَحَازَ وَرَجَبَ الْعَدَ عَلَى حَالِهِ لَا يَتَرَدَّ وَقَدْ صَنَعَهَا
فَوْمَ مِنْجَوْ وَاهِرُ الْأَرْضِ سَلَّمَ الْمَدِيدَ وَالْخَانِشَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا
أَعْدَادَ لَبِيعَ وَيَضِيبَ بَهَا مَا سَمِّيَ عَنْ هَنْشَ وَكَحْوَ وَأَمَّا
أَهْلَ الْمَهْنَدَ فَإِنَّهُمْ بَخْلَوْنَ لَوْحَّاً سُوْدَاءِ امْدَوْنَ عَلَيْهَا الْعَنَاءِ وَيَسْعُونَ
فِيهِ مَا سَمِّيَ وَلَذِنَ الْمَلَكَ لِسَمَّا حَسَابَ الْغَبَارِ وَعَلَى الْحَقِيقَةِ لِلَّيْسَ
إِلَّا الْمَلَادَ وَالْمَحْوَ وَالْعِلْمَ أَرْهَبَنَ الْمَرْوَفَ لِلْيَسَتِ بِدِلَّهِ عَلَى
الْأَحَادَادَ وَخَزَّهَا بِلَهْرِيْدَهِ عَلَى الْعَشَائِرَ وَالْمَسِينَ وَالْلَّاْلَاتَ
وَعَلَى سَمَّا مِنَ الْمَرَابِتِ الْمَرْكُونَ نَمَادَانَ مِنْهَا نَبَتَ الْأَحَادَادَ
فَهُوَ دَالٌ عَلَى الْأَحَادَادَ وَمَادَانَ مِنْهَا فِي الْمَرِبَّةِ الْثَّانِيَةِ الَّتِي هُوَ مَهْمَةٌ لَهُ
الْعَشَائِرَ نَهْوَدَانِيَّا يَصَا عَلَى الْعَشَائِرَ قَلِيلَهَا وَلَيْسَهَا إِنْ بَانَ
وَاحِدَهُ صُوْعَسِيَّ وَانْ كَانَ كَانَانَ فَذَلِكَ عَشَرُونَ وَلَذِنَ لِلْمَعْيَنِ
وَكَذَلِكَ مَنَاجَانِيَّ الْبَدَنَ النَّالَتِ الَّتِي نَفَنَ لَهُ الْمَيْنَ وَيَدَنَ
فَصَوَّا يَسَادَالَ عَلَى الْمَيْنَ وَلَذِنَكَ الْأَلْأَهَرَ وَسَنَارَهَا وَسَهَمَّا
وَلَسَكَارَهَا وَسَلَمَهَا مِنَ الْمَرَابِتِ فَانْ كَانَ كَانَ كَانَ صَوَّنَ حَمِيشَةَ
عَنْهُنَّ رَهَنَ الْأَسْكَالَ بَعْدَ أَحَادَادَ فَتَحَلَّ حَمَّتَ وَيَقُولُ عَشَرَ فَتَحَلَّ
نَوْ الْمَرِبَّةِ الْثَّانِيَةِ مِنْهَا الْعَشَائِرَ عَلَامَهُ وَاحِدَادَهُ عَمَّشَ وَاحِدَادَهُ
عَلَهَنَّ الصُّورَهُ سَعَا وَلَوْ كَانَ عَشَرِينَ لَجَلَّتْ أَثِيرَنَ كَانَ

لأن العشرات في ملوكها من لاهات الاحاد. وللميسن لذلك وكل ذلك
جميع مراتب الاعزاء الى مراتب الامواه ام فارس، قبل ذلك
في العشرين قيادة لمراتب العشرين في بنيت السلاطين
لكران جعلت ائم من لم يعرف ائم عشرات اذ ليس معه اعشار
في بنيت الاحاد منها ينزلنا على اذ ما بعد عشرات يتحصل ائم
ومنهم اصولاً تكون الانسان في الميزان الالهانية يكتسب العشرات
لكران المعمولين بعشرات وانما ذكر علماً بعده او ان كانت المعنلة فارغة
ولذلك في بعد مائتين سنارى ز صورة المخلص عليه وان قتل ذلك
لعرف صوره حمسه وستين وما تسعين وعشرين على ما يعلم بل من هكذا
صوره كران في المائة وثلاثة الادى تل هكذا ساده خ
وصوره عشرين هكذا اهـ وصوره اربعين هكذا اهـ فتش
هكذا اهل جميع ما يرد عليك في مراتب العاد الى مراتب الالهانية له بعد
دكتروممه المنيش كله بين سلسلتين وفي مثال ومن هنا نأتي على
ما نظمناه اذ سما الله تعالى رهـ الاول وـ

الْكَرْدَ الصَّحِيرَ وَمَا سُلِّمَ بِهِ وَسُعِّيَ إِلَيْهِ
خَنْجَهْ فَصَوَّرَ

الغسل الأول يضرب أعلم ما زُصْبَ الْأَعْكَلَ بِهِ
ويعني هو انتصاعف أحدنا العُدُونَ يُعْنَى مَا يَعْنَى
الآخر من الأحاديث وادعى كان معنا هذانَا ضرب في العاشر
او ضرب الواحد فيه لا ينتصر اعلم انك اذا ضربت

الاستغراب في لينتنغراد

للمؤشرات الفيكتور بيليهيفس (لينغفراو)

تلقينا من الاستاذ فيكتور بيلابيف مدرس العربية في جامعة ليننغراد المقال التالي يشرح فيه بطريقة عفوية ببساطة عمل الجامعة والمختصين في حقل اللغة العربية فصيحتها وعامتها .

الوسطى معتمدا على مؤلفات آداب اللغة العربية وبعض فروع العلوم الفيلولوجية مثل علم البلاغة والديناميك والبيان وتاريخها . وبعد وفاته تأصل هذا البحث والتدريس في الاتحاد السوفيتي وتطور كثيرا ، ونشرت كتب ومقالات لعلماء عندنا في بلادنا وفي الخارج .

والآن يدرس فى جامعتنا ويدرس اللهجات العربية الحديثة الاستاذ فنيكوف . وهو الذى بحث اللهجات العربية فى آسيا الوسطى بالقرب من مدينة بخارا وفى منطقة وادى قاشقا دريا فى اوزبكستان . وهو يدرس بعض اللهجات ، مثل اللهجة السورية واللهجة المصرية ، نظريا نحويا . ويدرس نظاما نحويا للهجات العربية كلها . وقد نشر عن قريب قاموس اللهجة العربية البخارية (القاموس العربي - الروسي) ونشر بعض النصوص المسجلة من تلك اللهجة .

الاستاذ بيلإيف يبحث الان بعض المؤلفات
الأدبية القديمة ليستخرج منها كلمات وعبارات ولغات
ومواد نحوية من طبيعة اللهجات بفرض انشاء نبذة
نحوية لتلك الكتب ، مثل الف ليلة وليلة او رحلية

في لينغفراد مرکزان للبحث في ميدان الاستشراق وخاصة في ميدان الاستعراب ، هما معهد الاستشراق لاكاديميا العلوم ، والجامعة ، غرفة الاستعراب باسم المرحوم عضو الاكاديميا اغناطيوس كراتشيفسكي يشنغل بالبحث عن مشكلات تاريخ الآداب العربية والتاريخ وثقافة العربية ولغة العربية اليمنية القديمة ولهجاتها المعاصرة . كل اعضاء هذه الغرفة من خريجي جامعتنا اعني القسم العربي للكلية الشرقية بهذه الجامعة . كان الاستاذ اه كراتشيفسكي رئيسا لتلك الغرفة وللقسم او الكرسي العربي بالجامعة كذلك وكان يدير الامور الاستعرابية في لينغفراد ، بل في كل الاتحاد السوفيتي ، كما كان ذا نفوذ مسحوق الكلمة وكان مشهورا لا في بلادنا وحدها بل في كل العالم بين العلماء والادباء في الشرق والغرب .

توفي الاستاذ عام 1951 رحمة الله . وكان
أسس في بلادنا بعض فروع الاستعراض ، من البحث
والتدريس ، التي لم تكن قبله في الاكاديميسا ولا في
الجامعة وهي البحث والدرس عن تاريخ الادب العربي
الحديث (في القرون 18 - 19 - 20) وعن اللهجات
العربية الحديثة المعاصرة والقديمة ، في القرون

مكاريوس بطريرك انطاكيه لابنه بولص الطببي الخ .
و تلك الكتب مشربة بالكلمات والعبارات العامية .

يبحث أحد تلاميذنا في المعهد الشرقي يعقوب
غرونفست عن الكتابات، المنقوشة باللغة السبئية
المكتوبة بالخط المسند والمتقوله الى الاتحاد
السوفياتي في السنة الماضية وهو الذي دافع عن

الاطروحة التي موضوعها « النظام النحوي » من لفة
تلك الكتابات مقارنة باللهجة العربية الجنوبية المعاصرة
مثل السقطري والمهرمي والحضرمي الخ .

ويبحث تلميذنا الكساندر بابوكيان قوامد
الافعال في اللهجات العربية الشرقية والمغاربية . انا
هو في ابتداء بحثه ونحن نتمنى له التوفيق ونتظر من
زرعه حصيلة طيبة .

الاستشراق في رومانيا

وحيثما يشير الكاتب الى النشاط الذي تضطلع به هيئة التدريس بهذه الجامعة يقول : « انها تقوم علاوة على النشاط التعليمي ، بنشاط واسع آخر في المجالين العلمي والثقافي يتجمع في اعداد الكتب الازمة للتدريس ونشر ابحاث علمية في ميدانين اللغة والأدب العربي وال العلاقات الثقافية الرومانية العربية ونشر ترجم اهم المؤلفات العربية الكلاسيكية والحديثة عن الأدب العربي وغيرها كما يقوم اعضاء هيئة التدريس بنشر مقالات وترجم عن الشعر العربي في المجالات الأدبية الرومانية بصورة مستمرة حيث يعروفون بذلك القراء الرومانيين قيم الحضارة والأدب العربي ، وحيث يشاركون في تعارف متبادل احسن وفي التقارب بين الامتين الصديقتين الرومانية والغربية » .

ويضيف صاحب المقال قائلا : « كما ان هيئة التدريس تشترك كذلك في التعاون مع الاختصاصيين المستشرقين الآخرين برومانيا في نشاط جمعية المستشرقين التي أست مؤخرا والتي تنظم دوريا ندوات علمية تقدم فيها بحوث قيمة في علم الاستشراق تنشر في مجلة الجمعية . وفي مجلة الجامعة وفي مجلات علمية أخرى وفي مجلدات خاصة » .

ويذكر الكاتب انه « بينما كان يشتغل في هذا القسم أستاذ واحد فقط بعد افتتاحه في عام 1957 ، وصل عدد الأساتذة الذين يقومون بالتدريس في هذا القسم الى خمسة أساتذة ومن بينهم أستاذة حصلت على درجة الدكتوراه في علم اللغة من جامعة بوخارست

نشرت مجلة « الاقلام » العراقية الزاهرة ، في عددها السادس من السنة الثامنة 1972 ، مقالا حول « دراسة اللغة العربية في رومانيا » واغاثها به الاستاذ نيكولا دوبريشان من بوخارست ، وقد اشار صاحب المقال الى أنه قد مر حتى الآن خمس عشرة سنة منذ تأسيس قسم للفة العربية والأدب العربي ضمن مجموعة اللغات الشرقية التي تدرس بجامعة بوخارست ، وقد كون هذا المعهد خلال هذه الفترة عددا كبيرا من الاختصاصيين الذين يعلمون اللغة العربية والذين يعملون في رومانيا على دعم التعاون والتطور المستمر للعلاقات الرومانية العربية في مختلف الميدانين » ومن المميزات التي تفرد بها هذه الجامعة في تدريسيها اللغة العربية كونها « الى جانب اعداد الطلبة اعدادا نظريا عميقا يمكن في دراسة قواعد اللغة العربية والأدب العربي وتاريخ وحضارة العرب وعلم الاسلام وعلم اللهجات وغيرها من العلوم النظرية يتلقى الطلبة كذلك اثناء سنوات الدراسة اعدادا عمليا بمعنى التعرف على احدى اللهجات الدارجة واستخدامها عمليا » .

كما ان الاعداد المحصل عليه من جامعة بوخارست يتم اكماله عند الضرورة ، ب منتارات للتخصص في البلدان العربية والاشتراك في دراسات دورية تشير الى الامد تنظمها بعض البلاد العربية من اجل المستعربين » .

الكتب والمخطوطات العربية أصبحت الآن رصيداً ثميناً من الكتب العربية التي تمتلكها مكتبة نسخة مسرع أكاديمية العلوم الرومانية في مدينة « طلوج » .

ويشير صاحب المقال كذلك إلى أن الأقبال يزداد على تعلم اللغة العربية ببلاده نتيجة للتوجه المستمر للعلاقات الرومانية العربية وزيادة الرغبة في التعرف أحسن فاحسن على حضارة الأمة العربية ، وتدرس اللغة العربية - عدا في الجامعة الشعبية ببوخارست ، تدرس كذلك في الجامعة الشعبية بمدينة « تيميشوارا » كما تدرس في قسم اللغة العربية بجامعة بوخارست المشار إليه آنفاً ويحضر هذه الدروس هواة تتراوح أعمارهم بين 15 و 65 سنة » ، وينوه إلا أنه ابتداء من سنة 1971 بدأ تدريس اللغة العربية بصورة نجريبة لطلاب الابتدائية في مدرسة لمدة عشر سنوات ذات التدريس بلغات أجنبية ويتبناها الكاتب في ذيل مقاله إلى أنه سوف تتحقق إنجازات ضخمة في ميدان الاستعراب ببلاده في المستقبل القريب ، كما يشير إلى أنه كتب هذه المقالة بمناسبة مرور خمس عشرة سنة على تأسيس قسم اللغة العربية والأدب العربي بجامعة بوخارست .

عام 1971 ، بأطروحة تناولت بالبحث موضوعاً في علم اللغة له علاقة باللغة العربية ، كما يعد - في الوقت الراهن ، أستاذان آخران للقسم أطروحتين للدكتوراه كذلك أحدهما عن موضوع : طرق تكوين المصطلحات السياسية والاجتماعية في اللغة العربية المعاصرة ، والثاني عن رحالة عربي في البلدان الرومانية في القرن السابع عشر .

وحيثما يشير إلى تاريخ اهتمام الرومانيين بالاستشراف يقول : « وعلى الرغم من أن دراسة نظامية اللغة العربية بدأت في رومانيا بعد تأسيس قسم اللغة العربية في نطاق جامعة بوخارست ، كانت توجد في رومانيا اهتمامات قديمة بعلم الاستعراب وبالماضي الغني للعلاقات الرومانية العربية ، ونكتفي بالإشارة هنا إلى أسمى اثنين من المستشرقين الرومانيين المشهورين : أحدهما واسمه ديميتري كانتمير ، عاش في بداية القرن الثامن عشر وهو علامة عظيم تمت ترجمة مؤلف له في اللغة العربية في عام 1705 تحت عنوان « صلاح الحكم ونسادة العالم الدميم » والآخر هو تيموتي تشيباريتو وقد عاش في منتصف القرن التاسع عشر وأمتلك مجموعة غنية من

الوسائل العَرِيقَةُ بَيْنَ الْخَلْجَيْجِ الْعَرَبِيِّ وَالْمَغْرِبِ الْأَقْصِيِّ *

عبد العزيز بنعبد الله

الأستاذ في جامعة الرباط ودار الحديث الحسنية

كلام الفرس جاء حيث يقولون محمد لمحمد ولذلك نرى أن كلمة الاهاواز اسم عربي أطلق على هذا الأقلية في العصر الاسلامي وتسمى بهذا الاسم في المغرب الأقصى ناحية مراكش عاصمة المرابطين والموحدين والسعديين ولعل لهذه التسمية صلة بما يحكى بعض المؤرخين حول اسباب اطلاق اسم سوس على أقصى جنوب المغرب في الاطلس الصغير فيروي المؤرخ الروماني سالوست (Salluste) المتوفى في عام 35 قبل الميلاد (في الكتاب الذي صنفه حول « حرب يوغورتا » ملك نوميديا من اسر امراء البربر والمولود عام 154 قبل الميلاد) ان الفرس الذين حاولوا الاغارة على شبه الجزيرة الايبيرية (اي اسبانيا والبرتغال) في عهد هيراكليس (Héraclés) (وهو هيركول اللاتيني الذي سميت به اساطين هرقل اي مضيق جبل طارق شمالي المغرب الأقصى) قد تحولت اشارة مراكبهم بشدة الريح الى المحيط الاطلنطي فوصلوا

الخليج عريق في العروبة وقد استعمل الجغرافي اليوناني سترابون (Strabon) المتوفى بين 21 و 25 ميلادية كلمة الخليج العربي في وصفه للحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب ويرجع اطلاق المؤرخين اسم الخليج (1) الفارسي الى القائد اليوناني نيركس بعدما عاد من الهند مبعوثاً من سيده الاسكندر الاعظم حيث لم يعر الا من الساحل الشرقي فظن ان المنطقة كلها فارسية وتتجلىعروبة المنطقة ايضاً منذ اعرق (2) العصور في الاسم الذي تحمله مقاطعة « خوزستان » الإيرانية التي كانت تسمى من قبل الفرس الى السنوات الاخيرة « عربستان » اي « بلاد العرب » ولا تزال تعطنها الى الان قبائل عربية مختلفة كبني تميم الذين ينتسب اليهم الخليفة الاول أبو بكر الصديق رضي الله عنه « عربستان » هذه هي التي كانت تسمى « الاهاواز » والاهاواز كما جاء في معجم البلدان جمع هوز واصله حوز لانه ليس في

(x) هذا نص محاضرة القاتل الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله في أبي ظبي يوم رابع يناير 1973 .
(1) ودرج على ذلك المؤرخ الروماني بلين (Pline) المتوفى عام 79 م حيث سمى الخليج باسمه الصحيح وهو الخليج العربي .

(2) وقد ندد الرائد الدنماركي كارستن نيبور عام 1762 م (1176 هـ) بهذا الزعم الذي ردده جغرافيون صورووا جزءاً من بلاد العرب كأنه خاضع - كما يقول نيبور - لحكم ملوك الفرس كما أبرز هذه الحقيقة الرحالة الانجليزي هورو دريك اوين في القرن العشرين رغم تواظو الكثير من الجغرافيين المعاصرین على الغض منعروبة الخليج .

تشابك الدوحة العربية بالدوحة الفينيقية في كتابه «ملوك العرب».

وبذلك يكون الفينيقيون قد هاجروا من الخليج إلى البحر المتوسط منذ خمسة آلاف سنة كما يقول المؤرخ رولنثون.

وقد وسع الفينيقيون شبكة مستعمراتهم على سواحل المتوسط وأسسوا ليكس وأوتيك ومالقة وقادس (بالأندلس) وهبو (عنابة وبنيزرت) ثم تجاوزوا حسب سترايون أساطين هرقل وتأكد ذلك بعد قيام خبراء بحفريات على طول سواحل المحيط الاطلنطي مما قد يؤكّد لنظرية القائلة بأن هانون قد وصل في رحلته في القرن الخامس قبل الميلاد إلى درعة والساقة الحمراء وربما غينيا في قلب القارة الأفريقية وقد أصبحت اللغة البوئيقية (*Langue punique*)

المستمدّة من الكلمات العربية مع تطعيمات محلية لغة أشبه بعامة إفريقيا الشمالية في العصر الحاضر نشرنا بحثاً عنها في مجلة «اللسان العربي» (التي اشرف بإدارتها ورئيسة تحريرها وهي لسان «المكتب الدائم لتنسيق التعرّيف في الوطن العربي»).

وخلاصة ما في هذا البحث أنه عثر في البرازيل على حجارة مكتوبة بالمعربية اليونانية تحمل تاريخ 125 قبل الميلاد نصّ عن مقارنتها باللهجة الدارجة اليوم في المغرب العربي أن هذه اللهجات ليست سوى امتداد أصيل للغةبني كنعان العربية التي استعملت قبل الإسلام في كل من الخليج العربي قبلبعثة محمد عليه بأزيد من ألف عام، وقد اعتبر الرحالة المغربي الكبير الحسن بن محمد الوزاني المعروف عند الفربين بليون الإفريقي (*Léon l'Africain*) أن الفينيقيين عنصر هام في سكان إفريقيا الاقدمين حيث انتقل فوج منهم صحبة مصرىن إلى إفريقيا الشمالية عام 1215 ق.م عندما أجلاهم الأسراطليون عن فلسطين ثم تابعوها الحاليات أيام نبى الله داود عليه السلام عام 1055 ق.م والواقع أن العرب كانوا يرسلون - باضافة إلى الشمال الإفريقي - هضبات وبطاح جنوب إفريقيا حيث كشف الدكتور استاللى تيبور على مقربة من نهر زمبيزى في مقاطعة روديسيا آثاراً منقوشة مع رسوم مكتوبة استدل بها على أن العرب استثمروا مناجم الذهب التي كان قد استثمرها قبلهم أسلافهم عرب اليمن وقد لاحظ صاحب قصة الحضارة (ج 2 ص 43) أن الحضارة ظهرت في بلاد اليمن وببلاد المغرب القديمة وانتشرت في صورة مثلث إلى شومر وبابل وأشور ومصر وبعدها هذه النظرية ما قبل من أبوة

إلى جنوب المغرب حيث اتصلوا بالجيتوول (*Gétules*) (وهم أهل جزولة الحالية على ما يظهر) فتصاهموا معهم وسميت سوس (وكذلك كل من مدینتي سوسة التونسية والليبية وهما متشابهان ونهر سوس قرب قرطبة وأشبيلية بالأندلس وسوسة كورة بالأردن (معجم البلدان ج 5 ص 173) وسوسة مدينة بالصين (صبح الاعشى ج 4 ص 483) اقتبسنا من كلمة سوسانة (*Susiane*) (أو أرض عيلام (*Elam*) الواقعه بمنطقة الاهواز على أن الفرس قد اشتهروا قدّيماً بالتوميديين ومنه الرمل بلقائهم وقد أطلق هذا الاسم على أهل نوميديا وهي أفلام إفريقي يقع بين منطقة قرطاج التي أسسها الفينيقيون كعاصمة لمستعمرتهم عام 814 ق.م. وببلاد موريطانيا وقد خضعت هذه المنطقة بعد ثورة يوغورطا إلى الحكم الرومانى وسرى كيف أن هذه العناصر تشكل حلقات في الشبكة الواسعة التي جبّها الفينيقيون منذ اعمر العصور بين الشمال الإفريقي والخليج العربي،نعم كان للعرب الكنعانيين أي الفينيقيين جولات في الخليج العربي فهم الذين أسسوا مدينة تير (*Tyr*)

(صور الحالية في لبنان) في الألف الثالثة قبل الميلاد، وكانت عاصمة تشرف على القوافل التي تنقل إلى الغرب ما ينتجه الشرق الآسيوي عبر بحر القلزم والفينيقيون هم الذين أسسوا مدينة قرطاج (واسسها معرف عن قرية حداثي أي القرية الحديثة لأنها استُبعد كل من مدينة أوتيك (*Utique*)

التونسية ومدينة ليكس (*Lix*) المغاربية حوالي 110 ق.م وقد سقطت مدينة تير تحت الحكم الروماني عام 64 ق.م. وأشرف عليها وعلى قصر فرعون أي وليلي القديمة (*Volubilis*) بالمغرب الأقصى الامبراطور الروماني سيفير سيفير (*Septième sévère*) بين سنتي 193 و 211 ق.م

ويرى بعض المؤرخين أن الفينيقيين كانوا قد استقروا فترة من الزمن في شواطئ الخليج قبل أن ينتقلوا إلى الساحل السوري وأنهم سعوا مدينة «صور» على شواطئ البحر المتوسط بينما باسم مدینتهم الأولى على شواطئ الخليج ولعل الآثار التي تم الكشف عنها في المنطقتين تضفي على هذه الرواية سمة من الحقيقة لا سيما وأن مؤرخين محدثين قد أكدوا ذلك ومن جملتهم الاستاذ جان جاك بيربي (*J.J. Berreby*) في كتابه «الخليج الفارسي» (*Le Golfe Persique*) والإستاذ أمين الريحاني الذي أبرز بالإضافة إلى ما ذكر

وسرى كيف ان سجلماة عاصمة الصحراء كانت منذ القرن الثالث الهجري مركزا للقوافل التجارية بين بصرة المغرب وبصرة الخليج وليس بعيد ان يوغل في الصحراء اهل هذه الصحراء لا سيما وأن هؤلاء كان دابهم في جميع الاعصار الغرار من رطوبة السواحل والتغل في الرمال سواء كانت في النيجر أم في السودان أم في الثلث الخالي من جنوب غرب آسيا وقد اسس العرب مراكز تجارية في غمار الصحاري كمحطات للقوافل المحملة بالبضائع الجلوبية من اراضي البلاد وكانت التجارة آنذاك تمر حتماً في الطرق البرية لأن العرب لم يكونوا قد استأنسوا بعد بالطرق الملاحية وقد ساعدهم وحدة نظام الحياة القبلية في الصحراء على هذا الترابط .

ويعتبر القرن الثالث الهجري قمة نشاط الحركة التجارية براً وبحراً وفترة ذهبية في تاريخها فالى القرن الثالث الهجري يرجع تاريخ الكثير من رحلات الحفرافيين العرب حول العالم كابن وهب القرشي الذي رحل الى الصين عام 256 هـ وسلیمان الصرافي الذي كتب رحلته الى الخليج العربي والخليج الصيني عام 237 هـ وسلام الترجمان الذي رحل الى الصين الشمالي أيام الخليفة الواقف بالله واليعقوبي صاحب البلدان وابن خردابة صاحب المالك والممالك المتوفى عام 300 هـ أما في اوائل القرن الرابع فهنالك الحسن المهلي الذي رحل الى السودان عام 375 هـ ومحمد التارخي الاندلسي المتوفى عام 363 هـ وهو صاحب «كتاب وصف افريقيا والمغرب» وأبو دلف الذي رحل الى الصين حوالي 331 هـ والاصطخري صاحب «الاقاليم» و«المالك» الذي لقى ابن حوقل استعرق تجواله حول العالم ثلاثين سنة والمسعودي صاحب «مروج الذهب» و«معدن الجوهر» الذي فرغ منه عام 336 هـ وهو كما وصفه ابن خلكان امام المؤرخين ، والواقع أن طريق الوطن العربي الى الصين فتح منذ عام 31 هـ (651 م) بتتابع سفارات بلغت في ظرف 147 سنة ستة وثلاثين بعثة دبلوماسية عربية (مجلة بناء الصين عدد 3 - 1966) على أن الكلمة التي استعملها التجار العرب والرحالون الاوربيون في العصور الوسطى لتسمية بيكون (Pékin) هي لفظة خان باليك (Khan Balik) (دائرة المعارف الاسلامية ج 1 ص 1024) وكانت الخطوط التجارية كلها سواء انبثقت من غرب اوروبا او من الشمال الافريقي او من روسيا تؤدى الى ميناء الأبلة وميناء البصرة وقد اكذب الرحالة بانيكار في كتابه

اليمن (بلد العرب الائدة) للشعب العربي في سائر اقطاره وخاصة في حوض البحر الابيض المتوسط حيث كانت نسبة المواليد منخفضة والوفيات مرتفعة مما سهل استيعاب الهجرة .

وقد تحدث ابن خلدون في تاريخه (ج 1 ص 99 طبعة بيروت) عنعروبة جبال الاطلس المغربية فاشار الى ما اكده المؤرخون والنسابيون العرب امثال الطبرى والجرجاني والمسعودي وابن الكلبى من ان صنهاجة (سكان الاطلس الاوسط) ومصمودة (سكان الاطلس الكبير) وكتامة (بشمال وشرقي المغرب الاقصى) عرب يمنيون من سلالة حمير فيكون البرابرة - حسب هذه الرواية - اعرق فيعروبة من ربعة ومضى لانتسابهم الى افريقيش بن قيس بن صيفي الحميري وقد تحدث عن هذه النظرية القلقشندي في صبيح الاعشى (ج 1 ص 321) فلاحق ان افريقيش هذا هو الذي نقل البربر من سواحل الشام - مركز الفينيقين ومهاجري الخليج العربي - الى المغرب ملاحظاً ان اكثر الاقوال جانحة الىعروبة البربر خلافاً لابن حزم (في جمهرته) وتبعه ابن خلدون (التاريخ ج 6 ص 96) الذي زعم انه لم يكن لغير طريق الى بلاد البربر الا في تكاذيب مؤرخي اليمن ويظهر ان ابن خلدون اغفل الطريق القديمة التي كانت تصل اليمن عن طريق بحر القلزم (اي عذاب وبور سودان الحالية) وصحراء السودان والتشاد بالصحراء المغربية الممتدة من تنبكتو الى النيجر الى مراكش تلك الطريق التي اكذ الحسن الوزاني في وصف افريقيا (ج 1 ص 14 و 29) انه رافق عام 918 هـ تجاراً انتقلوا من المغرب الى السودان ثم مصر حيث دشنوا طريقاً جديدة من الجنوب تصل الصحراء بمصر عن طريق التشاد وكانت الطريق العادية بواسطة فزان وطرابلس قد هجرت منذ قرن نظراً لعبث عرب الساحل وكذلك البحر بسبب القرصان المسيحيين وقد لاحظ المؤرخ الالماني هانز (Hanz Helfritz) في كتاب له حول اليمن (تعريب خيري حماد ص 134) التشابه الملحوظ بين الالحان في أغاني الجنوب العربي وبين الموسيقى البربرية التي تمكّن كارل ولهام لخمان (1793 م - 1851 م) من تسجيلها فأبهرت وحدة الانشاد ، اضف الى ذلك وجود أبنية بالاطلس تشبه تلك التي تقوم في الجنوب العربي وتحمل نفس المظاهر المعمارية ، وقد شرح هورن بولستل النمساوي (1877 - 1875 م) انتماء البربر واليمنيين الى اصل واحد ينتمي الى آسيا الشرقية .

في المدينة بصرف كل دفعاته بالشيكات على البنوك ومثل هذه الحالات كانت أيضا بسجلات حساب ابن التجارية مزدهرة مع السودان والبصرة حسب ابن حوقل الذي حدثنا (المسالك والممالك ص 70) عن العوائد التجارية بهذه المدينة (عاصمة الصحراء المؤسسة عام 140 هـ) فلاحظ أنه «رأى صكا فيه ذكر حق على رجل من أهل سجلات لرجل آخر من أهلهما بأربعين ألف دينار» كما رأى ذلك بخراسان والعراق (ولعله يعني البصرة) وكان التجار المسيحيون الواردون من الأندلس وتلمسان يمرون بسجلات الذي أكد ياقوت الحموي في معجمه أن مصانع نسيجها بذلت في جودة الانتاج مصانع مصر كما لاحظ ابن خردادة الجغرافي العربي في القرن الثالث الهجري أن التجار الصقالبة كانوا يمرون في وجهتهم نحو لشراق عن طريق سوس الأدنى أي طنجة ومنها إلى أفريقيا ومصر وتشمل مقاطعة سوس الأدنى بالإضافة إلى فاس مدينة البصرة المغربية بحيث يمكن القبول بأن هذا المركز كان منطلقاً للقوافل نحو البصرة الشرقية سواء عبر الصراء الجنوبية أم خلال بلاد الكثافة ولعله ليس من العبث أن تحمل مدن مغربية وأندلسية على طول الطريق الغربي اسماء مدن أخرى تتلاحم في الشق الشرقي لنفس الطريق وبالإضافة إلى البصرة وسوس الاهواز وحمص (في كل من فاس الجديد والأندلس) توجد في قلب الاطلس مدينة القاهرة وفي قلب الريف اقليم فشتالة المعروف بالشام الصغيرة كما توجد في الأندلس مدينة تدمير (Todmir) *Encyclopédie de l'Islam*, IV, p. 848.

المتساورة في اسمها مع تدمر السورية (Taomor Palmyre) التي كانت منذ العصر الروماني من أبرز المراكز التجارية في هذه الشبكة وكانت أشهر المدن والموانئ في الخليج آنذاك أبوابو جوس اي الابلة (Abolla) التي ينتهي إليها أبو عبد الله الابلى شيخ ابن خلدون وقد ظلت الابلة المخرج الرئيسي على الخليج من أجل التجارة الفارسية في النقطة التي تلتقي عندها الطرق العظيمة من فارس وجزيرة العرب على ضفتي دجلة وقد لفت ابن خردادة الانتباه إلى المكانة الهمامة التي احتلتها الابلة في التجارة بين الشرق والغرب حيث كان التجار اليهود يقلعون من فرنسا في البحر العربي (أي المتوسط) ويتجهون نحو إنطاكيا ومنها إلى بغداد ثم الابلة فالستاند والهند والصين وقد ظلت هذه المدينة بارزة على المسار العالمي مرتبطة بالبصرة في الشاطئيات البحرينية الخاصة بالخليج لمدة قرون وإذا كانت مدينة البصرة

حول «آسيا والسيطرة الغربية» إن العرب سواء في الشرق أم في الغرب أصبحوا يتنافسون مع الشعوب الأخرى على تجارة الأفواية فكان للتجار مستودعات بالقاهرة والاسكندرية بل حتى بمدينة فاس في المغرب الأقصى (ص 37 ترجمة عبد العزيز توفيق جاويه) أضاف إلى ذلك أن تجارة الرقيق المجلوب من إفريقيا السمراء وحركة الحجيج كان لها ضلوع في تعزيز هذه الحركة التجارية وقد بلغ من اهتمام المستولين العرب بتأمين طرق المواصلات أن عزم عمرو بن العاص وبعده هارون الرشيد على شق ترعة السويس حتى تمتد الخطوط التجارية دون انقطاع من الأندلس والمغرب إلى الصين وقد اشتهرت ثلاث مدن ملاحية في الخليج العربي بنشاط غامر في هذا الحقل التجاري فكانت سيراف تربط الخليج بالصين بينما كانت البصرة نقطة التقائه للسبيل البحري وطرق القوافل التجارية حيث بذلت في شهرتها ميناء الإبلة الذي ظل مع ذلك المركز التجاري الاوحد ما بين الخليج العربي والخط الملاحي لنهر دجلة المعتمد إلى البصرة وقد تعزز التبادل آنذاك بين الشرق والغرب بوحدة العملة حيث كان التجار يعتمدون العملة الذهبية وهي الدينار والفضية وهي الدرهم وقد بلغت مكانة سبط مسلمة مبلغها جعل الأندلسيين أنفسهم يتعاملون بالدنانير السجللية (البيان لابن عذاري ج 2 ص 344) نظراً لضرورة توحيد العملة بين المراكز التجارية في طريق القوافل وقد وقع العثور عام 1951 في الانقاض الإسلامية بقصر فرعون (Volubilis) على 231 درهماً فضياً من العصر الاموي مع دينار ذهبي دمشقي وكلها دراهم شرقية من واسط ومرزو واضطخر وجند يسابور ودمشق وحمدان وأفريقيا .

وإذا علمنا أن البصرة تقع على الطرف المباشر للصحراء في جانب الأرض المزروعة وبساتين النخيل في منطقة شط العرب علمنا لماذا كانت محطة انتظار الحضريين والصحراويين من المغاربة حيث استقرت بصرة المغرب بالقرب من مدينة القصر الكبير شمالي المغرب وظلت مركزاً اقتصادياً هاماً لصناعة الكتان ومرحلة في طريق القوافل إلى أن هدمها أبو الفتوح عام 368 هـ (البيان لابن عذاري ج 1 ص 330) وقد حدثنا ناصر خسرو الذي زار مدينة البصرة الشرقية عام 1050 م بما وجده من عادات لدى التجار الذين كانوا يملكون كمبيات أو سفجات يحفظونها لدى تاجر عملة أو رجل ينكر مقابل اتصال وكل المشتريات تدفع بالشيكات أو الحالات ويقوم التاجر طوال إقامته

المتوسط ولم يقبض العرب على زمام البحر الاحمر المتوسط فحسب بل أصبحوا سادة المحيط الهندي لا سيما بعد ان اكتشفوا الرياح الموسمية وسخروا لها لخدمتهم وأنشأوا الموانئ والمنائر التي تستعمل فيها النيران ليلاً لتهدي بها السفن وعززوا المرافئ بمراکز الحاميات حفاظاً عليها من القرصنة وغارات البدو ، وقد اشار ابن مروزوف في « المسند الصحيح للحسن » (Hesperis) ج 5 عام 1925 (إلى وجود « مدارس ومناظر على طول الساحل بين اسفي (فى عاصمة المحيط الاطلنطي) وجزائربني مزغانة (الجزائر الحالية) تختابر فيما بينها باشعال النيران فى أعلىها وفي كل محرس رجال مرتبون ونظراء وطلع يكتشفون البحر فلا تظهر فيه قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين والتنيير يدو فى المحارس للتحذير » .

وقد اشار البكري (افريقيه والمغرب في المسالك من 35 و 48) الى محارس سوسة والمستير وفي هذا العصر استعيض عن الموالي الصقالبة الذين نفقت نخاستهم منذ القرن الهجري واقتربوا اسمهم (Slaves) حتى صار الاوليون يطلقون اسم الصقالبة على العبيد (Esclaves) (1) تقول استعيض عنهـ بالزنجونـ الذين أصبح التجار المسلمين يأتون بأعداد ضخمة منهم وقد تجلت هذه الظاهرة بالقسم الشرقي من المغرب العربي اي في تونس خاصة منذ استوطنت جماعات من الباطنين والزيديين افريقيـة فراراً من الاضطهاد العباسي ثم استفحـ ذلك عندما زج الفاطميون - اقتصاصـاً من بـني زـيري - بـمائـيـ الف قـرمـطيـ من بـني هـلالـ وـبـني سـليمـ الذين نـشـروا الدـمارـ فـى هـذـهـ الـبـلـادـ مـاـ حـدـاـ اـبـنـ خـلـدـوـنـ الـىـ التـنـكـرـ فـىـ الـقـرـنـ الثـالـثـ الثـامـنـ لـلـعـبـرـ الـذـيـ لمـ يـكـنـ يـقـصـدـ بـهـمـ سـوـيـ الـاعـرـابـ وـخـاصـةـ هـؤـلـاءـ وـلـمـ تـدـخـلـ إـلـىـ الـمـغـرـبـ مـنـ هـؤـلـاءـ سـوـيـ فـلـوـلـ مـنـتـقـاءـ كـانـ الزـمـنـ قـدـ عـفـىـ عـلـىـ عـنـجـيـتـهـ الـبـوـدـيـةـ وـنـزـعـتـهـ الـقـرـمـطـيـةـ فـكـانـ لـهـمـ ضـلـعـ فـيـ تـعـرـيبـ الـمـغـرـبـ وـشـنـقـيـطـ وـالـوـاقـعـاـنـ الـبـاطـنـيـيـنـ منـ الـقـرـامـطـةـ اوـ الـيـدـيـيـنـ قـدـ عـاـثـواـ فـيـ اـفـرـيـقـيـاـ وـجـاسـ الـعـمـاـلـوـنـ مـنـهـمـ فـيـ مـجاـهـلـ الصـحـراءـ اـفـرـيـقـيـةـ لـاـصـطـيـادـ الزـنـجـ فـىـ الـادـغـالـ الـكـثـيـفـةـ وـفـىـ هـذـاـ الـعـصـرـ حـادـتـ طـرـيقـ الـبـرـ فـىـ شـمـالـ اـفـرـيـقـيـاـ عـنـ خـطـهاـ الـعـادـيـ لـتـنـصـلـ بـالـبـصـرـ وـيفـدـادـ وـسـوـرـيـاـ وـمـصـرـ بـوـاسـطـةـ الـخـطـ السـاحـلـيـ عـلـىـ طـولـ بـحـرـ

الحاديـةـ قدـ اـمـتـصـتـ الـأـبـلـةـ فـانـ ذـلـكـ لـمـ يـتمـ الـأـبـدـ الـقـرـنـ التـاسـعـ الـهـجـرـيـ وـهـنـاـ يـمـكـنـ أـنـ تـسـأـلـ عـنـ الدـورـ الـذـيـ قـامـ بـهـ الـخـارـجـ لـلـعـمـ الـرـوابـطـ السـيـاسـيـةـ بـيـنـ الـخـلـيـجـ وـالـمـغـرـبـ مـنـذـ صـدـ الـإـسـلـامـ ،ـ فـالـأـزـارـقـةـ قـدـ ثـارـوـاـ فـيـ الـأـهـواـزـ وـالـبـصـرـ حـيـثـ اـسـتـبـاحـوـ دـمـاءـ وـأـعـرـاضـ الـمـسـلـمـيـنـ الـخـارـجـيـنـ عـنـ نـطـاقـ فـكـرـهـمـ وـلـكـنـهـ مـاـ لـبـشـواـ أـنـ اـنـهـرـمـواـ لـتـطـرـقـهـمـ فـخـلـفـهـمـ الصـفـرـيـوـنـ الـقـائـلـوـنـ بـضـرـورةـ الـتـعـاـيشـ مـعـ غـيـرـ الـخـارـجـ وـقـدـ نـفـذـ هـؤـلـاءـ الـصـفـرـيـةـ فـيـ الـمـغـرـبـ إـلـىـ قـلـوبـ الـبـرـيرـ الـذـيـ شـقـواـ الطـاعـمـ عـلـىـ الـخـلـيـفـةـ هـشـامـ وـاجـبـواـ نـارـ الثـوـرـةـ عـامـ 121ـ هـ بـاقـيلـ طـنـجـةـ وـتـسـرـيـتـ فـلـوـلـهـمـ إـلـىـ الـصـحـراءـ فـاسـتـ (ـ عـامـ 140ـ هـ)ـ مـدـيـنـةـ سـجـلـمـاسـةـ الـتـيـ أـصـبـحـتـ حـاضـرـةـ بـنـيـ الـذـيـ تـهـمـتـ فـيـ مـدـيـنـةـ الـبـصـرـ الـمـغـرـبـ وـانـهـارـ الـحـكـمـ الـخـارـجـيـ وـكـذـلـكـ الشـيـعـيـ فـيـ الـمـغـرـبـ بـانـهـرـامـ جـوهـرـ الصـقـلـيـ الـذـيـ نـقـلـ عـدـتـهـ إـلـىـ مـصـرـ حـيـثـ بـنـيـ الـقـاهـرـةـ وـلـيـسـ مـنـ قـبـيلـ الصـدـفـةـ أـنـ يـجـعـلـ الـخـارـجـ مـنـ الـبـصـرـ مـوـلـاـ لـهـمـ وـمـرـكـزاـ يـنـافـسـونـ بـهـ الـكـوـفـةـ الـتـيـ عـدـتـ قـاعـدـةـ مـنـ قـوـاعـدـ الشـيـعـةـ فـيـ نـفـسـ الـوقـتـ الـذـيـ جـعـلـوـهـمـ سـجـلـمـاسـةـ فـيـ قـلـبـ الـصـحـراءـ الـمـغـرـبـيـةـ حـاضـرـةـ لـامـارـةـ خـارـجـيـةـ وـحـلـقـةـ اـسـاسـيـةـ فـيـ سـلـسلـةـ الـمـراـحلـ الـتـيـ تـأـوـيـ إـلـيـهـاـ الـقـوـافـلـ الـتـجـارـيـةـ كـمـاـ إـنـهـ لـيـسـ مـنـ قـبـيلـ الصـدـفـةـ أـنـ تـقـلـصـ الـجـرـكـةـ الـتـجـارـيـةـ بـيـنـ الـخـلـيـجـ وـالـمـغـرـبـ فـيـ الـقـرـنـ الـرـابـعـ الـهـجـرـيـ فـيـ نـفـسـ الـوقـتـ الـذـيـ تـقـلـصـ فـيـهـ نـفـوذـ الـخـارـجـ .

وـمـنـذـ اـسـتـوـنـتـ رـوابـطـ الـمـغـرـبـ بـالـصـحـراءـ فـيـ الـقـرـنـ الـخـامـسـ بـدـأـتـ أـسـوـاقـ النـخـاسـةـ تـتـقـقـ فـيـ خـفـاءـ وـكـذـلـكـ كـانـ الـأـمـرـ عـنـدـمـاـ شـكـلـ عـنـصـرـ الـزـنـجـ فـيـ الدـورـ الـعـبـاسـيـ الـثـانـيـ (ـ مـاـ بـيـنـ 233ـ هـ وـ 468ـ هـ إـيـ 847ـ مـ 1075ـ مـ)ـ طـبـقـةـ مـتـمـيـزـةـ فـيـ الـمـجـمـعـ الـعـرـبـيـ وـخـاصـةـ فـيـ شـمـالـ الـخـلـيـجـ فـعـزـزـوـ حـرـكـةـ الـرـقـ وـالـنـخـاسـةـ يـسـاعـدـهـمـ اـمـتـدـادـ النـفـوذـ الـإـسـلـامـيـ إـلـىـ اـفـرـيـقـيـاـ (ـ إـيـ تـونـسـ وـجـزـءـ مـنـ الـجـزـائـرـ)ـ وـازـدـهـارـ الـمـلاـحةـ الـعـرـبـيـةـ حـيـثـ مـاـ فـتـيـءـ الـأـيـولـيـوـنـ أـنـ سـيـطـرـوـاـ فـيـ الـقـرـنـ الـتـالـيـ عـلـىـ الشـقـ الـشـرـقـيـ لـبـحـرـ الـعـربـ إـيـ الـبـحـرـ الـإـيـضـنـ الـمـوـسـطـ يـسـانـدـهـمـ فـيـ الشـقـ الـفـرـقـيـ الـمـوـحـسـدـوـنـ الـذـيـ كـانـ لـهـمـ اـسـطـوـلـ مـنـ اـرـبـعـمـائـةـ قـطـعـةـ اـعـتـبـرـهـ الـمـوـرـخـ الـفـرـنـسـيـ اـنـدـرـيـ جـوـلـيـانـ اـعـظـمـ اـسـطـوـلـ فـيـ الـبـحـرـ

(1) صـلـبـ هـيـ أـرـضـ بـالـأـنـدـلـسـ وـصـقـلـيـةـ حـسـبـ يـاقـوتـ (ـ مـعـجمـ الـبـلـادـ جـ 5ـ مـصـ 372ـ)ـ وـلـلـ قـسـمـاـ مـنـ الصـقـالـبـ يـنـسـبـ إـلـيـهـاـ لـاـ إـلـيـ جـنـسـ السـلـافـ

العرب على أن حركة القرامطة الإبادية قد بدأت منذ سنة 315 هـ / 927 م حيث استولوا على البصرة وظلوا يعمرقون سير القوافل التجارية أو قوافل الحجيج لاعتقادهم أن الحج من شعائر الجاهلية بل من قبيل عبادة الأصنام ولذلك أجهز القرامطة على من سموهم بالكافار وعبدة الأحجار بمكة فردموا بئر زمز وكسروا جثث القتلى في المسجد الحرام واندفعوا يخربون جوانب بحراهم وخيولهم فاحتلوا معهم العجر الاسود إلى الأحساء حيث بقي ملقى إلى عام 900 هـ / 339 .

وبنوا هذيل هؤلاء الذين حاولوا في الخليج الوقوف في وجه القرامطة متنهك حرمة البيت هم الذين أشرنا إلى اعتدالهم عندما هاجروا إلى المغرب الأقصى في القرن السادس الهجري بدعة من المنصور المودي بطل معركة الأزرك في الأندلس .

ومهما يكن فإن هذه الأحداث قامت حجر عثرة في طريق المبادرات التجارية حيث إن الحشاشين من الأسماعيلية الباطنية امتدت جذورهم في شرقى الخليج حتى خلال الحكم الأيوبي إلى الوقت الذي زحف المغول على فارس حوالي 659 هـ / 1260 م .

وإذا كانت التجارة قد تقلصت في هذه الفترة بين المغرب والخليج خاصة وبين الشرق والغرب عامة فإن ذلك لم يكن يرجع بالنسبة للمغرب إلى وجود هذه الطوائف الهدامة بل لأن هؤلاء كانوا منبعين على طول مراحل القوافل شرقاً ينهبون ويقتلون ويدمرون ومع ذلك فإن نفس العوامل كانت تدعم حركة النخاسة والمبادرات لا سيما بعد أن احتل ملوك المغرب السعديون السودان وأوائل القرن العاشر الهجري ثم الملويون بعدهم عندما توغل زعيمهم السلطان المولى اسماعيل في قلب الصحاري إلى حدود غينيا وشكل جيشاً من العبيد (أي الزنج) ما ليث ان أعاد تاريخ ثورات الزنج بالشرق وخاصة بالخليج إلا أن عنصراً جديداً ظهر منذ أوائل القرن السادس عشر حيث حاول البرتغاليون الاستعماريون سد البحر الأحمر في وجه السفن العربية للاستيلاء على مداخله تمهدوا لفزو الخليج العربي وكانوا قد أنشأوا عام 1482 م في ساحل الذهب أول مستعمرة لهم في إفريقيا وهنا يبرز دور المغرب في إنقاذ الخليج من ضغط الاستعمار البرتغالي ففي عام 1540 م دخل سليمان القانوني إلى الخليج العربي من الشمال ونازل البرتغاليين في معركة ميناء « مصوع » على الساحل الأفريقي من البحر الأحمر .

وإذا كان الخليج العربي قد غدا منذ القرن الثالث البوري المرحلة الرئيسية في تاريخ الملاحة العربية تعم به المراكب في ذهابها وإيابها بين أوروبا والشرق الأقصى عبر البحر الأبيض المتوسط فان كلًا من الخليج والبحر المتوسط كانا عالة الواحد على الآخر واستمر هذا التساوق إلى القرن العاشر

وإذا كانت التجارة قد تقلصت في هذه الفترة بين المغرب والخليج خاصة وبين الشرق والغرب عامة فإن ذلك لم يكن يرجع بالنسبة للمغرب إلى وجود هذه الطوائف الهدامة بل لأن هؤلاء كانوا منبعين على طول مراحل القوافل شرقاً ينهبون ويقتلون ويدمرون ومع ذلك فإن نفس العوامل كانت تدعم حركة النخاسة والمبادرات لا سيما بعد أن احتل ملوك المغرب السعديون السودان وأوائل القرن العاشر الهجري ثم الملويون بعدهم عندما توغل زعيمهم السلطان المولى اسماعيل في قلب الصحاري إلى حدود غينيا وشكل جيشاً من العبيد (أي الزنج) ما ليث ان أعاد تاريخ ثورات الزنج بالشرق وخاصة بالخليج إلا أن عنصراً جديداً ظهر منذ أوائل القرن السادس عشر حيث حاول البرتغاليون الاستعماريون سد البحر الأحمر في وجه السفن العربية للاستيلاء على مداخله تمهدوا لفزو الخليج العربي وكانوا قد أنشأوا عام 1482 م في ساحل الذهب أول مستعمرة لهم في إفريقيا وهنا يبرز دور المغرب في إنقاذ الخليج من ضغط الاستعمار البرتغالي ففي عام 1540 م دخل سليمان القانوني إلى الخليج العربي من الشمال ونازل البرتغاليين في معركة ميناء « مصوع » على الساحل الأفريقي من البحر الأحمر .

بوجود قارة جديدة وراء المحيط هو ابن رشد المغربي في كتابه «الكلبات» في الطب على أن مجلة «نيوزويك» الأمريكية أكدت في عددها الصادر في أبريل 1960 (راجع الخليج العربي في تاريخه السياسي ونضله الحديثة ص 13) أن الوثائق التي عثر عليها تثبت أن أمريكا كانت معروفة للعرب «الذين قاموا -حسب تعبيره- قبل سنة 1100 م على الطرف الغربي للعالم الإسلامي ومن ميناء الدار البيضاء على التحديد ورسوا في عدة مواضع على الساحل الأمريكي» وقد أيد هذه النظريّة (1) الدكتور لين شينج بايوج استاذ التاريخ واللغة الصينية بجامعة هارفارد كما أيدتها الدكتورة ريتشارد رودولف رئيس المؤتمر الذي عقدته الجمعية الشرقية الأمريكية، وقد كان ابن عربي الحاتمي يرى أن وراء المحيط الأطلسيقي أمماً وعمراً وقد عاش قبل كولومبس بثلاثة قرون وتحدث محمود الاصفهاني (المتوفى عام 749 هـ) قبل كولومبس بمائة وخمسين سنة عن احتتمال وجود أرض وراء المحيط كما ذكر ابن الوردي في جغرافيته أنه يوجد وراء الجزر الخالدات (أي كناريا) جزائر وصفها وصفها يكاد ينطبق على أمريكا وقد عاش ابن الوردي قبل كولومبس بأكثر من مائة سنة (عبد القادر المغربي - محاضرات مجمع دمشق 2 ص 233).

وهنا بدأت في المغرب والخليج فترة جديدة من الصراع تجلى في ظهور الانجليز على مسرح التجارة الخارجية حيث تنفسوا الصعداء من انحدار البرتغال فأقاموا في الشرق الشركة الهندية، وفي المغرب شركة بربريا (Barbary Company) وبينما أرادوا أن يركزوا في الخليج وجودهم بملء ما تركه البرتغاليون من فراغ إذا بهم يكتفون في المغرب بالعمل على حماية صفاتهم التجارية من القرصنة وتأمين البحر المتوسط من غازات العراكب والسفن المغربية مما أدى ببعض الدول الكبرى كالدنمارك (2) والسويد وبعض المرافئ الحرة كهامبورغ وبريم بألمانيا إلى دفع أتاوة سنية خاصة للمغرب اعتقاداً باسطوله من لصوصية البحر، وكان قراصنة المغرب قد مدوا شبكة غاراتهم إلى المحيط الأطلسيقي فواجهوا الانجليز في عقر ديارهم وقلصوا من جهة ثانية ضفت هؤلاء على الشرق العربي وخاصة الخليج لاضطرارهم إلى الاحتفاظ بجزء من اسطولهم لحماية سواحل الجزر البريطانية إلا أن الانجليز فوجئوا هنا وهناك في أن واحد على طول

الهجري عندما كان مضيق جبل طارق هو الممر الفاصل بين المحيط الأطلسيكي والمتوسط فكانت مدينة سبتة مطلقة المراكب التجارية إلى ديار الهند وظلت كذلك حتى بعد سقوط القسطنطينية في يد السلطان العثماني محمد الثاني عام 857 هـ 1453 م وباستئصال شافة الفزو البرتغالي في الخليج وتقليل ظلهم في سواحل المغرب شمالاً وغرباً تعزز العرب من الانتصار في العرب الصليبية الثانية التي اجتاحت أوروبا نيرانها ضد العرب في القرنين السادس عشر والسابع عشر لتنطلق في حلقات أخرى من هذه الحرب بقيادة الهولنديين والإنجليز والفرنسيين في كل من المغرب والخليج العربي، غير أن حدثاً جديداً كلل ابتساق العصر الحديث وانقضاء القرون الوسطى وهو اكتشاف أمريكا عام 898 هـ / 1492 م من طرف كريستوف كولومبس ذلك الاكتشاف الذي يرجع الفضل فيه إلى رجل من ابناء رأس الخيمة على الشاطئ الغربي للخليج العربي، وهذا الرجل هو ابن ماجد أحمد السعدي أسد البحر ابن أبي الركائب الذي ساهم على غير قصد منه في تحطم سيادة العرب على المحيط حين استعان به فاسكو دوغاما قائد الاسطول البرتغالي عام 1498 م لقيادة السفن البرتغالية عبر المحيط الهندي وراس الخيمة هي أحدى الإمارات السبع التي ظلت إلى منتصف القرن الثامن عشر عاصمة لجميع سواحل عمان وقد أضفت مضاجع اساطيل شركة الهند الشرقية في الخليجيين والمحيط.

والغريب أن اكتشاف أمريكا الذي نسبه الكثير من المؤرخين إلى العرب يرجع الفضل فيه بالذات أما إلى رجال الخليج قبل الميلاد أو إلى عالم من علماء الاندلس والمغرب، فقد تأكد أن الفنقيين المنتسبين أصلاً إلى الخليج قاموا بدورة حول العالم طوال ثلاث سنوات طافوا خلالها حول أفريقيا ووصلوا إلى البرازيل وأسسوا مملكة هناك ما زالت معالمها قائمة إلى الآن ومن جملتها الحجارة المكتوبية باللغة البوئية أي لهجة إفريقيا الشمالية مما يدل - إذا صحت هذه الرواية - على أن القرطاجيين - وهم عرب فينيقيون تألفوا في المغرب - هم الذين أسهموا مع المغاربة في اكتشاف أمريكا على أن كريستوف كولومبس نفسه يعترف - كما أورد ذلك المؤرخ الفرنسي رونان في كتابه « ابن رشد ومذهبة (Averroès et l'Averroïsme) بان كولومبس ترك رسالة بعد وفاته يقر فيها بان الذي أوعز اليه

(1) راجع الخليج العربي - قدرى قلمجي ص 56.

(2) كانت الدنمارك تدفع سنوياً للمغرب 51 000 ويكسدال أي أزيد من ربع مليون فرنك ذهبي.

طريق الهند المارة من جبل طارق بمعاهد جديده هو هولندا قامت هي الاخرى بتحدي القرار البابوي الهادف الى اقتسم العالم بين زعيمتي الكاثوليكيه آنذاك اسبانيا والبرتغال وكان لقيام الحركة البروتستانتية ضلع فى دعم هذا الاتجاه فانشأ الهولنديون عام 1592 م شركة للتجارة مع الهند واتجه اسطول هولندي بين 1598 و 1601 م (موافق 1007 و 1010 هـ) الى المعيط الهندي عن طريق المر الجديد برأس الرجاء الصالح للاتجار والغزو مما بينما عقدوا المغرب الاقصى معاهدة عام 1610 م للحصول على رسوم الاسبقية في التجارة الخارجية ، ولم يكدد بهل عام 1640 م (1050 هـ) حتى احتل الهولنديون مكان الصدارة في الخليج العربي الا ان صراعهم ضد الانجليز ما فتئ ان استفحلا بسبب تدخل القرصنة المغاربة الذين كانوا يعملون بغير قصد منهم على التخفيف من ضغط الفريقيين على الخليج العربي ، فقد كان كل من الانجليز والهولنديين يناسب العداء للاسبان عدوهم المشترك سياسياً ودينياً واقتصادياً الا ان الهولنديين ظلوا يمدون سفن القرصنة المغربية بالعتاد ومواد السفينة وقطع الغيار بينما طرق الانجليز يواصلون حرباً شعواء ضد هؤلاء القرصنة حتى اندلعت الحرب بين الطرفين عام 1652 م (1063 هـ) طوال عامين واتسعت شبكتها الى ما وراء البحار فاشتبك الاسطولان الانجليزي والهولندي في مياه الهند المؤدية الى الخليج ، والواقع ان القرصنة المغاربة قلسوا من نشاط الانجليز فتعطلت تجاراتهم في الشرق في نفس الوقت الذي ادى حياد القرصنة بهولندا الى نوع من الحصانة تتمتع به اسطولها في البحر المتوسط مما فسح لها مجال الضغط على الخليج ،

وقد احتفظ المغرب الاقصى باستقلاله في هذه الفترات بل انه احتفظ باستقلاله خلال الف عام (الى عام 1912 م) فكان القطر العربي الاسلامي الوحيد الذي ظل في منأي عن سيطرة الخلافة العثمانية والذي عرف كيف يستغل انتصاره في معركة وادي المخازن حيث أصبحت دول اوروبا تخطب وده لأن هزيمة دولة استعمارية كالدولة البرتغالية لم يكن بالامر الهين ولا بالشيء الذي يمر دون أن يثير اعجاب العالم مما حدا الانجليز الى مغافحة المغرب في القيام بعمل موحد لخلق كوندومنيوم مشترك في الهند وفي عام 1600 م وجه المنصور الى ايليزابيث ملكة انجلترا سفارة للقيام بعاموريه سرية من أجل تحقيق التحالف الانجليزي ضد اسبانيا وقد اقترح ملكة انجلترا على السلطان اكتساح الهند بدل اسبانيا نظراً لكون فيليب الثاني يستمد موارده من الهند ، وقد شاطرها السلطان هذا الرأي مطالبًا لتمويل المشروع بعشرة الف جنيه استرليني وانشغل المغرب في لم شتاته وتطویر صناعته فزرع قصب السكر (1) وفتح مصانع لتكريمه فتنافس البلاطان الانجليزي والفرنسي على اقتناصه وصدره المغرب الى الشرق في جملة ما صدر من جلود وزيوت ومعادن (من نحاس ورصاص وحديد وقصدير بالإضافة الى ملح البارود والكريت) واصبح للدينار المغربي نفاق في السوق العالمية رغم انخفاض وزنه الذهبي الى 3548 غرام وتهافت المضاربون من الانجليز على هذه العملية القوية يستعيضون بها عما خسروه من صفات في الخليج (2) بل أصبح المغرب يدلّي بذله في توجيه السياسة الاوربية وفي فتح قروض (ناب منها دولة هولندا مليون ونصف مليون دينار) واكتساح اوروبا حيث وجه عملاء للدعایة

(1) كان السكر يصنع في شقى العروبة بأفريقيا ومصر (الخطط للمقريزي ج 1 ص 203) وافريقيا وخاصة في قابس وحلولا (المسالك للبكري) - جزء افريقيا والمغرب من 17 و 32) وكانت معاصر السكر في المغرب تذر سنتوا على المنصور السعدي ازيد من ستة عشر ألف اوقية ذهبية (وزن الاوقيه 30 غرام تقريباً) وكان بالمغرب مناجم فضة وذهب (البكري) خاصة قرب سجلamasة (كتاب الاستبصار) والنحاس الخالص الذي لا يعدله غيره شرقاً وغرباً (الاحدريسي) بالإضافة الى القطن الذي كان يزرع بتبادل (وصف افريقيا للادريسي ص 50) وتطورت على يد الانجليز عام 1864 م في منطقة مدينة الجديدة صناعة قطن حريري شبيه بالقطن الامريكي كان نافقاً في اوروبا وذلك بالإضافة الى مصانع الطلس (Satin) ايام السعديين .

(2) كانت تبكتو تؤدي الى المغرب جزية سنوية قدرها ستون قنطاراً من التبر اي الذهب غير المسبوك مما جعل من المنصور الذهبي اعظم امير في العالم من حيث العملة وكان الانجليز يهربون الذهب في صناديق السكر المغربي .

لمنتجاته وسوائمه ومعادنه عاماً على حماية الصناعة الوطنية من المترادفة الأجنبية .

غير أن منافساً جديداً ما لبث أن بَرَزَ هو الاستعمار الفرنسي الذي اضطرّ عدوّي الامس (حولندا وإنجلترا) إلى التحالف للدرء خطّره الداهم ولكن ذلك لم يمنع فرنسا من تهديد مصالح الانجليز في الخليج ، واستطاع نابليون أن يطأ تراب النيل فاتحاً وإن يهدد المولى سليمان ملك المغرب بالانقضاض عليه في مائة الف من جنده اذا هو لم ينضم إلى كتلة الحصار البري (Bloc continental) المضروب على الانجليز وكان اسطول القرصنة المغاربة يقض مضاجع الأوروبيين في المتوسط وفي عرض المحيط الاطلنطيقي الذي نقلوا إليه عملياتهم بعد أن أصبح طريقاً جديداً إلى الخليج ولم تكن علاقة فرنسا مع المغرب مستوفة بسبب ذلك الصراع البحري الذي جعل المغرب ينهي تلك ويتحالف جانياً للتخلص من ضغط جانباً آخر .

والواقع أن انقسام المغرب إلى أقاليم مستقلة خلال القرن السابع عشر (قبيل توحيد المغرب على يد الدولة العلوية) هو نفسه الذي ترك ثغرات تسرب منها المستعمرون مثل ما وقع في إمارات الخليج بالنسبة للهولنديين والإنجليز والفرنسيين .

ففي الوقت الذي اتسع نطاق التجارة الإنجليزية في الشرق وأوروبا الشرقية أي القرن السادس عشر تزايد أيضاً مع المغرب وحتى غينيا بأفريقيا ، غير أن الفرنسيين كانوا قد بدأوا حتى الهولنديين في مبادلاتهم مع المغرب حيث دخلت في عام واحد (1698 م) لمرسى سلا أربعون سفينة تجارية وتأسست بعد ذلك بستين شركات تجارية فرنسية اضطلعت باصدار المنتجات المغربية وقد بلغ عدد السفارات المغربية إلى فرنسا نحو من سبع وعشرين سفارة ، أو لاها عام 1576 م والأخيرة عام 1909 أي قبيل الحماية بثلاث سنوات

كانت حجرة بادس تعتبر ميناء فاس في البحر الأبيض المتوسط ، وكان اسطول التجاري لبعض الدول يرابط فيها إلا أن القرصنة الجزائرية اتخذوها عام 1564 م (971 هـ) مقراً للمهاجم على سواحل الاندلس واقتناص السفن المتوجهة للهند والخليج وكان قراصنة طوان والعرائش يتعاونون معهم لأن القرصنة الجهادية كانت عبارة عن رد فعل المسلمين على ما لحق أخوانهم في الاندلس من نفسي وتنكيل

وتفتيل وقد تحالف قراصنة سلا (وهم خليط من العرب والمسلمين والاعلاج من كافة سواحل المتوسط) مع الانجليز لمساعدتهم على احتلال جبل طارق وكانت معظم الدول الإسلامية المتوسطية تساند هذه القرصنة لا لكونها انطلاقة مشروعة ضد العدوان الإبريري فحسب بل أيضاً لأنها أعادت إلى العرب سيادة المتوسط والخليج وواجهت القرصنة المسيحية ونشرت الأمان والطمأنينة في البحار بالنسبة للسفن الغربية والحليفة ، وكان معظم البارج العربية في أوائل المهد العلوي أي في نهاية القرن السابع عشر قد اقتضتها القرصان من الاسطول الفرنسي أو الهولندي أو الانجليزي وأفهمها تسع عشرة سفينة انجلزية وأربع فرنسيّة مما يدل على هيمنة اسطول القرصان الجهادي ، وقد بلغ عدد القطع البحرية الخمسين في عهد المولى محمد بن عبد الله وسيماً وأربعين أيام المولى سليمان ولكن المغرب ظل مع ذلك ينعم في الحقل الدولي بمكانة ملحوظة مما حدا روسيا إلى طلب انضمامه في حرب القرم (1854 م - 1856 م) إلى كتلة المحابدين واستدراجه للدخول إلى الحلف الروسي الأميركي ضد تركيا وفرنسا وإنجلترا ، وكان المغرب يشعر بأن انفماره في هذا الحلف يعزز مركوه ضد الفرنسيين والإنجليز الذين بدأوا يتنافسون لبسط نفوذهم على المغرب لا سيما بعد ما احتلت فرنسا الجزائر واجبرت المغرب على امضاء معاهدة لالة مفنيّة عام 1845 ولكن المغرب راعى ذمام الإسلام فلم يجرؤ على الدخول في حلف موجه ضد تركيا المسلمين رغم كونها كانت حجرة عشرة في سبيل وصل علاقاته مع الشرق العربي وخاصة الخليج منذ أن سيطر العثمانيون عليهم في منتصف القرن الخامس عشر ، وتميز هذه الصلات العربية بين الخليج العربي والمغرب الاقصى وهذا شقان متناثران للوطن العربي المتد إلى المحيط - بظاهره هي أصالة معظم مصطلحاتها الدارجة بالنسبة للشخصي ! ولا شك أن هذه الوصلة التي استوّقت عبر العصور راجمة بالإضافة إلى العوامل التي أشرنا إليها كوحدة الأصل الكنفاني والتأثير الحميري المشترك إلى وحدة المنبع المالكي في مفرداته الفقهية ومصادر انتسابه الحديثة والقرآنية ، ولا شك أن لرواج المصطلحات المالكية في جميع المناحي الاجتماعية خاصة في أبي ظبي أثراً قوياً في تكييف هذا التراث الوحدوي ، كما أن احتكار التجار المغاربة بزمائهم الخليجين قد خلف مجموعة من الالفاظ الدارجة أشرنا إلى بعضها في معجم خاص حاولنا فيه إبراز مظاهر الوحدة في عاميتي المغرب والخليج ونشر في مجلة اللسان العربي (عدد 5 -

1387 هـ / 1967 م) . وهذه الكلمات موحدة المعنى في الخليج والشام والمغرب أي في المراكز التي ورثت لغة كنعان العربية وتأثرت بلغة القرطاجيين أي اللغة البويقية ، وهاكم جملة منها : البايت (للباقي من طعام الامس) والبحرة أو البحيرة (المستنقع) والبراحة (للبراح) والبسابة (للبساب) وبغي (بيفي (بمعنى أراد) والبلدة والبلع (المنزلي من منازل القمر) والبلدية (الأحدى دوائر الحكومة) وبلم فمه (أي اغلقه) والتحسينة أو الحسانة (للحلقة) والجنتة أو الشنطة (للحقيقة) والحرارة (للمحلة والحي) وحب (بمعنى قبل) وحويل أو حولي (أي ما دار عليه الحال والخاطر) (بمعنى الضيف الطارق) والختمة (بمعنى اتمام القرآن) والخنفرة (أي الانف الكبير) والبرويش (بمعنى الفقير) والربيعية (أو الربيعة لصدقون إيداع أجزاء القرآن) والرودحة (بمعنى الرقص) والشاهد (بمعنى السبابة من الأصابع) والصيني (أي آناء النحاس أو الخزف) والطنا (بمعنى الإغاظة تقول اطنانسي أي أغاظني) والعرضة (أي حفلة الزواج) والعزيمة (أي الدعوة إلى مأدبة) والاعشار (بمعنى الزكوات) والعمارية (أي الحفة) والعيال (بمعنى الأولاد الصغار) والغريبي (أي اليواء يهرب من جهة الغرب) والفكع أو الفقاع (أي الكمة) والكحة (بمعنى السعال) وكح (للنهي عن الاقتراب من شيء القذر) والمرفاعة أو المرفع (للرف المعلق) والمشعم (للباقة من الرياحين)

والمعطر (للمرحاض) والمكبة أو المكب (لفطاء صحن الطعام) ، وهناك أسماء أعطيت لمدن ومناطق شتى تقع في امتداد طرق القوافل منها « الجبل الأخضر » في المغرب وهو ينبعق كجزيرة في قلب الصحراء وكذلك « الجبل الأخضر » الذي يقوم على محاذاة ساحل عمان وسط كثبان الرمال من الصحراء الحمراء الخليجية .

وتبرز امارة أبي ظبي في هذه المجموعة الخليجية كمرحلة من مراحل القوافل المغربية نظراً لواحتها الشربة واتصالها بالبر بطريق ضيق تقع على حدود المملكة العربية السعودية ونظراً لما كان يسودها من أمن وهدوء حتى استحق ساحلها وهو ساحل عمان أي يسمى ساحل الهدنة .

تلك مظاهر للوحدة الأصلية المتغيرة بين الخليج العربي والمغرب العربي تبرز امتداد الوطن العربي من المحيط الهندي إلى المحيط الأطلسيقي ، وقد عادت هذه الوحدةاليوم إلى عنفوان عزها بعد انهيار الاستعمار وانكشاف الستركية الكثيفة التي قامت أثلاً اصطناعياً بين أخوان طوال عدة قرون ولكننا عند اللقاء من جديد بعد طول الفرقة نشعر وكأننا لم نفترق لأن خلجان قلوبنا متساوية ولأن لنا في مقومات تراثنا العربي الإسلامي سندًا قوياً لم تفصمه نواب الدهر ولم تحل عرشه الوثقى مكتئد المستعمرين .

صَوْرَةٌ

لشاعر العروبة عزيز أباظة باشتا

في قمة الأدب العربي المعاصر شعراء لا يزيغون على عدد أصابع الكف هم
باتية ذخر من لا يوجد بهم النهر الاندرا ، ولعل احدا لا يخالف في كون عزيز اباظة
باشا واحدا من هؤلاء العابقة ان لم يكن على راسهم .

وقصيدة التالية من آخر ما نظم وهو يصطاف في سوسة و كانه يرمي الى ما عانته اللغة العربية في مختلف اطوارها من ازدهار تبعه نضال في سبيل الحياة ابان القرون الوسطى ثم من محاولة لنھضة حديثة بعد ما خشينا عليها الغروب نھائيا وفي ندائه الليل صرخة امل لا يأس فيها ولا قنسوط .

الشعر الرمزي يفهمه كل قارئ على مقدار وقد يتضارب تفسير مع تفسير آخر ، ومثل هذه القصيدة قد تغنى وينطلق فيها صوت المنشد بنادي الليل فهل يستجيّر به أم يقفه عن طيرانه ودورانه ليصفي إلى شكوكه كما قال شوقي في عبده الحموي :

يسمع الليل منه في الفجر يا ليل فيصفى مستملاً في فراره

مملوک حقی

ظلال

عواصف

الا لما لخفاقي التسييم تبدلت
تعالي انى الابك الرووم فنتقى
اذا فانظري الاشجار كيف تأوتد
وهذا الفدير الصفو قد كان آمنا
بكى شطه الحالى وعربد مساوه
كان اصطخاب الموج بين ضفافه

غروب

تعالي فهذا موكب الشمس غاربا
بدت في حوانشى الصبح لماحة السنى
بنفسى اساهها وهي تمضي حزينة
اصفرة وجد تلك ؟ لا بل هو الردى
هوت ناحتواها البحر نشوان ثائرا

سحر

تعالي فان الليل حن وهذه
وبالليل ستر الله انت وسره
وبالليل هذى منية النفس اسمحت
وبالليل نادمنا . وبالليل غتننا
وقصى علينا قصة الدهر واروها
وبتنا نشاوى ينفع المسك ثفرها
وقدنا نزيد الله حمدا وطاعمة

خلائقه بعد السماحة وايسير
فيائه انواع عافية تسرى
فتجت بسکواجا الى دامع الزهر
مسا بالله طافت به رげة الدمع
لكرة ما لاقى من المسد والجسر
لواعج اشتياق تداعن فى صدرني

بودع هذا الكون بالأدمع الحمر
وزالت كما زال الهوى في زحها العبر
إلى سفر ما ينقضي أبد الدمع
تهادى إليها في غلائه الصفر
وغنى لها لحن الردى زيد البحر

مراشفه ظماني الى قبل البدر
ومهد الهوى يا ليل انت فهل تدرى
نهات الحال العذب من سحرك الطهر
باكرم الحان الخند من الشمر
وهل هي غير الحب والوصل والهجر
وتسكب عينها فنونا من الخمر
ونرجي له التسبیح في سجدة الفجر

الدَّيْنُ

إلى مجلّة «السيان العربي»

يوسف الغريب

أَسْتَاذُ الْلُّفَاظِ الْعَرَبِيَّةِ فِي جَامِعَةِ كُوْرُدُوْبَا (أَرْخَنْتِيْنَا)



في فس米尔 المتفقد عبر الليالي
والسكرة الكبرى ودفق الخيال
 فهو باق على مدى الاجيال
 خالدات ، لا في طريق الزوال
 فتحاول ، فصمدت باعتدال
 غامض ، دائم ، غير بالسي
 فتحولت حفنة من رمال
 تعبت من كثرة التجوال
 لسم يكمن واعيا أو مبال
 الشكل بقدرة المتمثال
 صورة من هيولى ، ونفحة من جلال الله ، وذرة من عمال
 انت ، انت هنا ، وديعة الله ، فكن حريصا عليها ووال
 كل ما في الحياة والكون جمعا
 كل هذا ، يا صاح ، اعط الله
 من جوده المفضل
 لم تزل عامها اسيير الضلال
 وروعه الاحوال
 لم تزل فيك درة من غوالسي
 لا تبعها بقدرة من مثال

نِسَاطُ النَّظَمَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلْتَّرْبِيَّةِ وَالْقَوْفَشَةِ وَالعلومِ وَالْكِتَابِ لِلرَّأْسِمِ لِلنَّاسِ وَالْسَّعْيِ

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
 - رحلة وفد المكتب الدائم في البلاد العربية
 - اللغة العربية في المؤتمر الافريقي التاسع
 - اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر في نشاطها العام
 - نحو استراتيجية جديدة للتربية في البلاد العربية بين المجلة وتراثها
 - نحو استراتيجية جديدة للتربية في البلاد العربية حول ثورية التعريب
 - للأستاذ سعيد الديوه جسي عن التعريب وقضاياها
 - لقاء مع الدكتور احمد سعيدان مندوب الاردن في المكتب الدائم لتنسيق التعريب
 - للأستاذ حبيب علي الرواوى تعقیب على نسبة أبيات
 - للأستاذ محمد قلبى عبنة للذين يؤمنون .. وبرهان للذين يشكون
 - للأستاذ محمد قلبى رجال مجهولون وراء مشروع عظيم
 - للأستاذ حبيب علي الرواوى ترجم الكتاب والباحثين في مجلة اللسان العربي
 - اللغة العربية الفصحى والعامية ● للأستاذ فولكهارد فيندور
 - معجم الطحانة والخبازة والفرانة ● للأستاذ سامي الدهان
 - رأي .. نحو تنصيب العافية في الوطن العربي ● للأستاذ عمر المطاهير
 - تعليق على موضوع : التطور اللغوي ونشوء ● اللغة



المنظَّمة العربيَّة للتَّربيَّة والثقافَة والعلوم

بدأت المنظمة العربيَّة نشاطها بانعقاد مؤتمرها الأول في 25 يونيو 1970 وتشترك في عضويتها دولة اتحاد الامارات العربيَّة ، المملكة الأردنيَّة الهاشميَّة ، دولة البحرين ، الجمهوريَّة الجزائريَّة الديمُقراطِيَّة الشعُوبِيَّة ، جمهوريَّة السُّودان الديمُقراطِيَّة ، الجمهوريَّة العربيَّة السُّورِيَّة ، الجمهوريَّة العرَبِيَّة ، فلسطين ، دولة قطر ، دولة الكويت ، الجمهوريَّة العربيَّة الليبيَّة ، جمهوريَّة مصر العربيَّة ، الجمهوريَّة العربيَّة اليمنيَّة ، جمهوريَّة اليمَن الديمُقراطِيَّة ، المملكة العربيَّة السُّعُوديَّة .

اجهزَة المنظمة هي :

- المؤتمر العام
- المجلس التنفيذي
- المدير العام
- الادارة العامة وتضم : ادارة التربية ، ادارة الثقافة ، ادارة العلوم ، ادارة التوثيق والاعلام ، ادارة الشؤون المالية والادارية ، معهد احياء المخطوطات العربيَّة .
- الاجهزَة وتضم : الجهاز الاقليمي العربي لحو الامية ، معهد الدراسات العربيَّة العالميَّة ،

- وكالة متخصصة تعمل في نطاق الجامعة العربيَّة وتهدُّف إلى :
 - تمكن الوحدة الفكرية بين أجزاء الوطن العربي في التربية والثقافة والعلوم .
 - رفع المستوى الثقافي في الوطن العربي حتى يقوم بواجبه في متابعة الحضارة العالميَّة والمشاركة الإيجابية فيها .
- ويتم تحقيق تلك الاهداف في البلاد العربيَّة عن طريق :
 - تنسيق الجهود العربيَّة في مجالات التربية والثقافة والعلوم .
 - النهوض بمستويات التعليم والثقافة والعلوم وتشجيع مجالات البحث فيها .
 - اقتراح المعاهدات وجمع المعلومات والحقائق والبيانات المتصلة ب المجالات انشطة المنظمة .
 - تبادل الخبرات والخبراء والمعلومات والتجارب
 - الحفاظ على المعرفة وتقديمها ونشرها وذلك بالحافظة على التراث العربي وتشجيع التعاون بين الأمة العربيَّة والأمم الأخرى بطريقة التعاون الدولي .

الذى ينافض الوحدة او يخالفها ، كما رأى المؤتمر أن يفرق بين هذين الاتجاهين ، وقد اتخذ المؤتمر توصيات للنهوض ب مجالات القصيدة والمسرح ، والسينما والشعر والاذاعة المرئية والمسموعة ، كما تناولت أيضا مجالات الفصحى والعامية ، والمنهج التعليمي في تاريخ الابن العربي وتوثيق الروابط بين المثقفين وتناولت الانتاج التلفزيوني .

التحق بمعهد البحوث والدراسات العربية هذا العام 202 طالب من عدة بلاد عربية وأسوبية . وقد منح المعهد هذا العام عدة درجات علمية على مستوى الماجستير وذلك في مجال الدراسات الاقتصادية، والاجتماعية والتاريخية، والجغرافية ، والقانونية ، والشرعية ، والأدبية والشعرية ، وأيضاً في مجال الدراسات الفلسطينية .

عقدت اللجنة العربية للوسائل التعليمية اجتماعها الثاني بمقر الامانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة ، في الفترة من 4/30 الى 5/1972 ، واشتركت فيه وفود من اتحاد الامارات العربية ، المملكة الاردنية الهاشمية ، المملكة العربية السعودية ، الجمهورية العربية السورية جمهورية العراق ، سلطنة عمان ، فلسطين ، دولة قطر ، دولة الكويت ، الجمهورية العربية الليبية ، جمهورية مصر العربية ، الجمهورية العربية اليمنية ، كما اشتراك في هذا الاجتماع ايضاً مندويبون عن الادارة القانونية بجامعة الدول العربية ، المركز الدولي للتعليم الوظيفي برس اللبان واكاديمية البحث العلمي بجمهورية مصر العربية ، وكان من أهم التوصيات التي خرجت بها اللجنة في هذا الاجتماع : انشاء مركز عربي للوسائل التعليمية في نطاق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تشكيل لجنة فرعية فنية لوضع نظام اداري لهذا المركز وتقديم مشروع متكامل لانشائه .

عقدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
حلقة دراسية عن الظروف البيئية وخطط التنمية
في البلاد العربية وذلك بالخطو^م
بجمهورية السودان الديمقراطية في الفترة من
15 الى 12 فبراير / شباط 1972 . وقد نسقت

المكتب الدائم لتنسيق التعریب في الوطن العربي،
مكتب الوفد الدائم لدى اليونسكو .
الشعب المحبة .

عقدت اللجنة العربية للوسائل التعليمية ، اجتماعها الثاني بمقر الأمانة العامة بجامعة الدول العربية بالقاهرة في الفترة من 30/4/1972 واشترك فيه ونود : من اتحاد الامارات العربية ، المملكة الأردنية الهاشمية ، المملكة العربية السعودية ، جمهورية العراق ، سلطنة عمان ، فلسطين ، دولة قطر ، دولة الكويت ، الجمهورية العربية الليبية . جمهورية مصر العربية . الجمهورية العربية اليمنية ، كما اشترك في هذا الاجتماع ايضاً مندويبون عن الادارة القانونية بجامعة الدول العربية ، المركز الدولي للتعليم ، وأكاديمية البحث العلمي لجمهورية مصر العربية ، وكان من اهم التوصيات التي خرجت بها اللجنة في هذا الاجتماع ، انشاء مركز عربي للوسائل التعليمية في نطاق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تشكيل لجنة فرعية متنية لوضع نظام اداري لهذا المركز وتقديم مشروع متكامل لانشائه .

انعقد بالقاهرة في الفترة من 6 الى 11/5/1972 *
مؤتمر الوحدة والتنوع في الثقافة العربية
المعاصرة ، واشتراكه فيه وفود من : جمهورية
السودان الديمقراتية ، الجمهورية العراقية ،
الجمهورية العربية اليمنية ، جمهورية اليمن
الديمقراطية الشعبية ، المملكة الأردنية الهاشمية ،
الجمهورية التونسية ، جمهورية الجزائر
الديمقراطية الشعبية ، المملكة الأردنية الهاشمية ،
السورية ، فلسطين ، دولة الكويت ، الجمهورية
العربية الليبية ، جمهورية مصر العربية ، كما
اشترك في هذا المؤتمر مندوبون عن بعض
الجامعات والجامع والجالس العليا لرعاية
الفنون والأدب ، الجمعيات الأدبية ، بالإضافة
إلى بعض المعينين بموضوع المؤتمر بصفتهم
الشخصية، وقد تأكد من خلال المناقشات التي دارت
أن الاهتمام موجه إلى دراسة التنوع الطبيعي
الذي يجد سبيلاً إلى الثقافة العربية ويعبر عن
حيويتها وتطوراتها ، وليس إلى التنوع المفتعل

لمسح واقع المناهج الموجودة على أن تعقد حلقة دراسة الموضوع في يناير 1973 ولمدة شهر في كلية من كليات العلوم بأحدى الدول العربية وذلك بهدف التوصل إلى ما يؤدي إلى تنفيذ المشروع في الصيف الأول من المرحلة الثانوية ثم يخطط بعد ذلك لإعداد مجموعة من المعلمين والقادة حلقة تدريبية لمدة شهر قبل بدء العام الدراسي 1974/1973 تمهيداً لتطبيق المشروع . كما رؤى أن تعقد حلقة أخرى على مستوى الخبراء في يناير 1974 وثالثة في يناير 1975 لاستكمال المناهج المقترنة في باقي صحف الدراسات المدرسية الثانوية .

* عقدت بمدينة الإسكندرية بجمهورية مصر العربية في الفترة من 8 - 13 يوليو / تموز 1972 حلقة تطوير وتدريس الرياضيات الحديثة على مستوى المرحلة الاعدادية في العالم العربي . اشتركت فيها : المملكة الأردنية الهاشمية ، دولة البحرين ، الجمهورية التونسية ، جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية ، الجمهورية العراقية ، المملكة العربية السورية ، الجمهورية العربية اليمنية ، دولة الكويت ، الجمهورية العربية الليبية ، وجمهورية مصر العربية . وقد بحثت في هذه الحلقة أوضاع تدريس الرياضيات في العالم العربي وذلك من خلال تقارير المتربين . كما درست عدة مشروعات لتطوير تدريس الرياضيات ، وشكلت لجان لدراسة وتطوير هذا النشاط بوضع خطة زمنية لهذا الفرض تنتهي في صيف عام 1976 ، وذلك لعقد حلقة دراسية لتقديم النتائج الذي تم تطبيقه ، وكتب الصنوف الثلاثة ومرشد المعلم ، وقد توصل المجتمعون في الحلقة إلى عدد من التوصيات أهمها إعداد خطة شاملة لتدريس الرياضيات ، الشروع فوراً في إنشاء هيئة عربية لتطوير تدريس الرياضيات ، تطوير مناهج امداد المعلمين بمستوياتها المختلفة وتطوير طرق تدريس هذه المناهج ، إنشاء نواد للرياضيات وتوحيد المصطلحات المستعملة في الرياضيات في البلاد العربية .

هذه الحلقة أعمالها مع المؤتمر السوداني عن الإنسان والبيئة الذي عقده المجلس القومي لتقدير العلوم بالاشتراك مع المجلس القومي للبحوث ، اشتراك في هذه الحلقة وفود من : المملكة العربية السعودية ، جمهورية السودان الديمقراطية ، الجمهورية العربية السورية ، الجمهورية العراقية ، الجمهورية العربية الليبية ، جمهورية مصر العربية ، دولة الكويت . فلسطين ، كما اشتراك فيها مندووبون عن الهيئات الدولية والمنظمات الإقليمية العربية . الأمم المتحدة ، اليونسكو ، منظمة الأغذية والزراعة . المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي واتحاد المهندسين العرب . ونوقشت خلال هذه الحلقة موضوعات متعددة تتعلق بانتاج المحاصيل ، الانتاج الحيواني ، المياه الجوفية والثروة المعدنية ، تلوث الهواء ، تلوث البيئة الريفية وصحة البيئة . كما تم التوصل إلى عدد من التوصيات تتصل بالنواحي التالية : الاهتمام باستغلال وتنمية مصادر الثروة الطبيعية ، الاهتمام بالانسان وتنمية الموارد البشرية ، علاقة تدعيم الانشطة التي تبذلها الجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحث ، مكافحة تلوث البيئة عن طريق انشاء مركز عربي لدراسة هذه الناحية والاهتمام بالاشتراك في المؤتمر الدولي للانسان والبيئة الذي تنظمها الأمم المتحدة .

* عقدت بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة ، في الفترة من 1 إلى 7 مايو (أيار) 1972 ، حلقة تطوير تدريس العلوم البيولوجية على مستوى المرحلة الثانوية ، وحضرها مندووبون عن الدول العربية الآتية : المملكة الأردنية الهاشمية ، جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية ، المملكة العربية السعودية ، جمهورية السودان الديمقراطية ، الجمهورية العربية الليبية ، جمهورية مصر العربية .

وقد نوقشت خلالها عدد من الموضوعات الهامة التي تتعلق بأوضاع تدريس البيولوجيا ومناهجها الحالية والمقترنة ، ورؤى أن تشكل لجنة لاستكمال الدراسات والبحوث اللازمة

- * على نفقة المنظمة أفراد من الجمهورية العربية الليبية ، والملكة الأردنية الهاشمية ، والجمهورية العراقية .
- * قامت بعثة من معهد المخطوطات العربية بالسفر إلى المملكة المغربية في شهر مايو 1972 لفهرسة وتصوير المخطوطات بها ، كما قام المعهد بطبع المدد الأول من المجلد الثامن عشر من المجلة التي يصدرها .
- * قامت المنظمة بالتعاون مع مركز التوثيق التربوي بالقاهرة بتنظيم دورة تدريبية لمبعوثين عن الدول العربية في مجال التوثيق التربوي ، وقد بدأت هذه الدورة في شهر ابريل 1972 ، وكانت مدتها ثلاثة أشهر تم فيها تدريب أفراد من العاملين في حقل التوثيق على عمليات الفهرسة والتصنيف وأعداد المستخلصات والتعاريف والأخبار وأعداد النشرات الإعلامية والإجابات على الاستفتاءات . وقد اشتراك في هذه الدورة

التاريخي يمنية :

ورد في كتاب الإعلان بالتبسيط لمن ذم التاريخ أن كلمة التاريخ يمنية عربية والكتاب لشمس الدين السنحاوي المتوفى عام 902 هـ وقد سبقه إليه المؤرخ الدمشقي ابن عساكر صاحب تاريخ الشام ووجد أحمد كمال المصاري تاريخ مصرية يمنية الأصل .

— التاريخ بالليلي : الكتب عن السلطان تورخ بالليلي والتي من الأدنى للأعلى تورخ بالليرام (معالم الكتابة ص 51)

المكتب الدائم لتنسيق التعریب

معلم وفر للدكتور الزائري في المدارس العربية

ب - انتداب اعضاء علميين للمؤتمر من مارسوا تدريس العلوم في الجامعة لخبرتهم بالمصطلحات ودققتها .

ج - تأسيس شعب وطنية للتعریب تهتم بجمع حصيلة ما يعرب وأرساله الى المكتب الدائم لتنسيقه .

د - تعيين مراسلين علميين يكونون حلقة اتصال بين الشعب الوطنية للتعریب والمكتب الدائم .

ه - وضع قوائم بأسماء الهيئات العلمية والافراد العلميين ليرسل المكتب اليهم مطبوعاته ومعاجمه

و - انتداب خبير لمدة بضعة شهور يطلع فيها على اعمال المكتب وطريقته في التنسیق . ليعمل بها في شعبته الوطنية .

ز - تبادل المطبوعات فيما بين المكتب الدائم والمكتبات التابعة للوزارات والجامعات في كل موطن .

وقد استقبل الوند استقبالا حسنا جدا في جميع البلاد التي زارها ، وقوبل بالترحاب في الاوساط العلمية والصحفية والأذاعة والتلفاز ، واقامت له حفلات التكريم ، والمحاضرات ، والجلسات العلمية ، بحيث يمكن القول انه كان ناجحا في مهمته اتم نجاح .

بعد ما اتم المكتب الدائم سنته العاشرة ، وانجز اعملا وفيرة : من معاجم فنية وتقنية ، ومعجمات معان ، ونشر مجلته « اللسان العربي » ، يحررها كبار رجال الفكر واللغة في داخل العالم العربي وخارجيه ، والحق بامانة الجامعة العربية ، ثم بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المتفرعة عن الجامعة ، قام وفده برحلة في البلاد العربية لعرض نتائج اعماله ، والاتفاق مع المسؤولين التقافيين فيها على تنظيم مؤتمر التعریب . ومثل المكتب مديره العام السيد عبد العزيز بنعبد الله ، وكثير خبراته الدكتور ممدوح حقي ، في رحلة استمرت قرابة أربعين يوما ، جالا خلالها في تونس ، ومصر ، والسودان ، وال سعودية ، والكويت ، والعراق ، وسوريا ، ولبنان ، والأردن ، والجزائر ، وعرج في طريق العودة على باريس للاتصال باليونسكو ، والاتفاق على تنسيق العمل بين المكتب وبين هذه المؤسسة الدولية .. ولم يكن لديه من الوقت ما يكتفي لزيارة البلاد العربية الأخرى ، فارجأها الى حين آخر . وكان هدف الوند الانضال بوزارة التعليم العالي والتربية والثقافة ، والجامع العلنية ، والجامعات ، والاساتذة الخصيين بالعلوم للاتفاق معهم على ما يلي :
١ - تنسيق الجهد الرامي الى انجاح مؤتمر التعریب الذي سيعقد في الجزائر او اخر عام 1973 .

الوزارات المعنية . وانتهى النقاش والعرض السى
الاتفاق على ما يلى :

ا — ان يؤجل عقد المؤتمر الى اواخر عام 1973
لسيطاع اعداده اعدادا لائقا ولضمان نجاحه .

ب — تتكلل كل دولة بمصاريف انتقال مندوبيها ذهابا
وایابا ، وتعرض الدولة المضيفة ضيافتها خلال
ايام المؤتمر .

ج — تشكيل لجنة لتحضير المؤتمر في الجزائر ،
وتشترك مع المكتب في اقتراح ما ينبغي لتبسيير
امور المؤتمر بنجاح ، ثم تقديم تقرير في الموضوع
للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

د — امكان دعوة خبراء للمؤتمر : من مستشرقين
ومعجميين عرب وغير عرب .

ه — وتدرس في المؤتمر خاصة مشاريع المعاجم
الستة المعروضة من قبل المكتب . وستعتمد
اللجنة التحضيرية بالجزائر دراسة حول امكان
تخصيص لجنة لتقييم اعمال مؤتمر التعریب
السابقة وتقديها .

و — وضع خطة عمل معجمية للمستقبل منسقة بين
جميع الدول العربية على ضوء تقرير يقدمه
المكتب الدائم بناء على تجربته في الموضوع .

ز — العمل بكل الطرق والاساليب الممكنة لنشر
المصطلحات بعد توحيدها في جميع
البلاد العربية ، ومارسة استعمالها .

ح — عرض بعض المشاكل التي يعانيها المختصون
بتدریس اللغة العربية ، للاستنارة بآراء الخبراء
والمحفظين ، كالطباعة ، والحرف ، والخط ،
وتسهيل الكتابة ، وتسهيل اللغة ، والتعليم
بالعربية في جميع المراحل .

وعاد الوفد ليباشر تنظيمه الجديد على ضوء ما
انماده في رحلته الطويلة لخدمة اللغة ، ولispاءاف
نشاطه وهنته لرفقها الى المستوى الحضاري
المرموق ، وتأييد الكسب السياسي الذي حصلت
عليه بمسعى الجامعة العربية في الاوساط الدولية
بكسب على يجعلها اداة طبعة في التعبير بدقة
ووضوح في مختلف مجالات العمل الدولي .

ولما كان بين هذه الجولة ومؤتمر التعریب اكثر
من عام ، فقد اتفق المكتب الدائم مع المعنيين بالأمر
على ما يلى :

ا — ان تدور ابحاث المؤتمر حول ستة معاجم اعدها
المكتب مطبوعة طباعة ندية قبل قيامه بالرحلة ،
وهي :

(الكيمياء — الفيزياء — الحيوان — النبات —
الرياضيات — الجيولوجيا)

ب — يرسل المكتب المعاجم للمختصين نور حصوله
على القوائم التي تعددها الوزارات المعنية
والجامعات في الوطن العربي من سختين :
احداهما على هيئة كتاب ، والثانية على هيئة
أوراق يترك فيها الفراغ الكافي للاحظات .

ج — تبقى المعاجم لدى المختصين ستة اشهر على
الأكثر يملحون ما فيها من خطأ ، ويفسرون
إليها ما نقص ، ويقتربون ما يشاؤن لتعديلها
او تقويمها .

د — ترجع الأوراق المعجمية باللاحظات الى المكتب
ليعود فنيتها تنسقا جديدا يسهل به على
أعضاء المؤتمر دراستها ومناقشتها في وقت
تبسيير .

ج — تركيز المناشتات أيام المؤتمر في موضوع
المصطلحات غير المتفق عليها ، مع العمل على
تحقيق الاتفاق حول المصطلح المثار او
المراجع درءا لاستمرار الخلاف .

ز — تقرير اعضاء المؤتمر الى لجان تختص كل
واحدة منها ببحث مشروع معجم معين حسب
الاختصاص .

و — ترك تنظيم اعمال المؤتمر الداخلية الى الدولة
المضيفة (الجزائر) على ان يكون المقرر العام
للمؤتمر كبير خبراء المكتب الدائم ، لسيطع
الاشراف على التنسيق بمعونة خبرائه بعد
المؤتمر .

وائل الوفد بالمسؤولين في الجزائر ، فرأى
منهم كل الترحيب والجدية الشاملة ، وعقد جلستي عمل
في وزارة التربية حضرها مندوبون رسميون عن كل

اللغة العربية في المؤتمر الأفريقي التاسع

وجه المكتب الدائم بمناسبة انعقاد الدورة التاسعة للمنظمة الأفريقية خطاباً إلى رئيس المؤتمر وأعضائه ملوك ورؤساء الدول الأفريقية بثلاث لغات هذا فحواه :

أصحاب الجلالة والفخامة والمعالي رؤساء الوفود الأفريقية المشاركة

انه لمن دواعي السرور وينبئ الطالع أن ينعقد جمulum السعيد على ارض المملكة المغربية بباب أفريقيا على دنيا العلم وعالم المدنية وان يتلقى شملكم العظيم في احضان اخوة لكم يستشعرون المسؤوليات الجسام الملقة على حشدكم الميمون في سبيل غد لقارتنا الام صبور وعزبة لانسانها الافريقي الطموح .

ماهلا بكم في هذا الجزء من وطنكم الكبير ومقاما طيبا سعيدا بين ظهرانيينا وشكرا لكم وتقديرا لكل مراميكم التي تستهدفون ودعاء الى الله ان يعين على تحقيق الامال التي تبتقوون

يتشرف المكتب الدائم لتنسيق التعریف في الوطن العربي - بالرباط احد اجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المبنية عن جامعة الدول العربية ان يقدم اطيب تحياته واذكي متمنياته بالسداد والتوفيق في خدمة قارتنا الفتية كما يشرفه بن يبعث بعميق شكره وامتنانه ان قررت اختيار اللغة العربية واحدة من اللغات الرسمية التي تسير بها اعمال مؤتمركم الموفق وتتصدر بها مقرراتكم السديدة .

وإذا كانت اللغة هي مفتاح العلوم واداتها الطيبة ، وكانت أفريقيا الفتية التي نهضت لتواكب ركب العلم حتى تتحقق بمقدمته وجهدت لتزيح ذلك الكابوس الرهيب الذي ران على صدرها ردها طويلا من الدهر حتى كاد يستنزف خيراتها ويمتص رحيقها ، وإذا كانت اللغة العربية هي لغة ما يقرب من نصف تعداد سكان أفريقيا وانها أصبحت في اغلب المحاولات والبيانات الدولية اللغة الرسمية الخامسة وان دراستها نصيتها في كثير من جامعات العالم فضلا عن الجامعات الأفريقية حتى اصحي لها قسمها الخاص وكرسيتها المحدد بين قرياتها من لغات العالم الحية - فإنه لحربي بنا نحن أبناء القارة الفتية ان نقتحم ميدان العلم من اوسع ابوابه تصحبنا اللغة

الطبيعة الحية التي تتسع لتسوّع كل ما يتطلبه التقدّم العلمي من مصطلحات وسميات ومدلولات ، ولا تقصّر فيحصر مدها عن احتواء كل ذلك لتكون لنا خير مطيبة نزاجم بها من يسيرون في موكب العلم وننافس من يشاعون ركب التكنولوجيا الحديثة نجاحاً الحواجز ونطوي مسافات الزمن ونستعيض عما فاتنا — بالرغم مما — فلا نحصلنا عن أولئك الذين ركبوا أ giozr الضاء ومشوا على سطح القمر وغزوا الكواكب وعواالم السماء — مسافة فلكية — أو حتى لا تكون وقد تسبّبنا به دباب العلم ومشينا في موكبه في مكان النيل من العبس ، وحتى تعود للقاربة المسماة ولليست المظلمة — كما يحلو لن نهبوها ويعنّ لن سلبوها أن يسموها — عزها ومجدها وتصبح وهي مجد الأحفاد ، كما كانت مهد عظمة الأسلاف والاجداد الذين بنوا المعجزات وأقاموا من عجائب الدنيا ما عجز عنه علم اليوم وما يفخرون به أن يبنوا منه أو يستكشفوا سره ويزijuوا السر عن كنهه وطبيعته .

ان المكتب الدائم المنوط به تنسيق التعرّيف بين الدول العربية والوقوف على آخر المصطلحات العلمية والتعبيرات الفنية لتوحيدها والعمل على اذاعتها وتسويغها واقرارها وتدریسها ليشرفه ايما تشريف ويسره السرور كله ان يضع بين ايديكم الكريمة بعضاً من نتاجه المتواضع يتشكل من مجلته الدورية التي تصدر باسم «اللسان العربي» وهي تتضمّن أبحاثاً في اللغة لكتاب كتاب العربية من ابنائها او من عكفوا على دراستها من المستشرقين من قدامى الاشتاذة في مختلف جامعات العالم الکبرى ، وأيضاً من مجموعة من المعاجم باللغات الثلاث الانجليزية والفرنسية والعربية لبعض من العلوم الحديثة ، وكذا نبذة موجزة للتعرّيف بالمكتب واهدافه وتاريخه ومنجزاته ، ومساريه ، أملاً ان يكون قد أستطيع القيام ببعض مما انبط به ليسهم ولو بلبنة صغيرة تدعيمها جهودكم الموقفة وتفعّلتم الحميدة ونشاطكم المؤوب في سبيل خير افريقيا والأفريقيين .

وفقكم الله وسدّ خطاكـم واعلا شـاؤ قـارـتنا بـفضلـكم وـهـدـاـكم ..

الجنة الأردنية للغة العربية والترجمة والنشر في نشاطها الفاعل

ترجم - في جلاء - الامال البعيدة التي تراود انسانا جميعا من أجل تأدية الدور الكبير المنوط بنا، والنهوض بالعربية والسير بها قدما نحو مدارج التقدم والرقى ، واحلالها محل زميلاتها من اللغات الحية المعاصرة ، كما هي رغبة ثمن عن مدى التقارب القوي الموجود بين اللغة وبين مختلف الهيئات والمؤسسات في الاقطار العربية الشقيقة ، فهي لا ثالو جهدا في هذا الصدد ، ولا تدخر وسما في تحقيقه ، وقد استجاب رئيسها المفضل وزير التربية لرغبة المكتب الدائم في الحصول على خبير للرياضيات وانتدب احد اعضائها البارزين وهو الاستاذ الدكتور احمد سليم سعيدان .

واذا كان لا بد لنا من كلمة قبل تقديم هذا التلخيص الكتاب المذكور ، لا يسعنا الا ان نحيي في هذه اللجنة روحها الوثابة وابعادها الخالص ، ورغبتها الصادقة في مواصلة العمل البناء للدعم حركة التقدم والازدهار في الوطن العربي .

وقد اصدرت هذه اللجنة بمناسبة مرور احدى عشرة سنة على تأسيسها كتابا قبما تناولت فيه تاريخها ومخالف نشاطها في مجالات الترجمة والتعريب والنشر منذ تأسيسها سنة 1961 الى اليوم .

يقع الكتاب في 79 صفحة من الحجم المتوسط، اشرف على اعداده استاذ عيسى الناعوري سكرتير

منذ انعقد مؤتمر التعريب الاول في 21 ابريل بالرباط بدعوة من المقرر له جلاة - محمد الخامس - رحمة الله ومنذ انشاق المكتب الدائم لتنسيق الترجمة في الوطن العربي عن هذا المؤتمر ، واللجنة الاردنية للترجمة والنشر تعمل جاهدة في نطاق اختصاصاتها على توسيع رقعة نشاطاتها من لجنة تعنى بشؤون الترجمة الى لجنة تسيطة لم ينحصر عملها في الترجمة فحسب بل تمداه الى الترجمة والنشر كذلك ، فالمتابع لخطوات هذه اللجنة يتبيّن بوضوح مقدار الجهد الذي تبذله في مجالات الترجمة والترجمة والنشر جميعا ، وذلك بما انتجه من كتب قيمة ، وأخرجته من مؤلفات جليلة ، وترجمته من اعمال في مختلف المعلوم والفنون .

ولقد ظلت علاقة اللجنة بالمكتب الدائم لتنسيق الترجمة في الرباط علاقة عمل مشترك وتعاون متين في مختلف فروع المعرفة والعلم ، وفي الملاحم الذي سنورده لكتاب القيم الذي اصدرته هذه اللجنة يجد القاريء الكريم كثيرا من هذه الحقائق ، كما يلمس مقدار التعاون الوطيد الذي - كان وما زال - قائما بينها وبين مكتب الترجمة في الرباط ، والإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية وغيرهما من الهيئات العلمية الأخرى . وهذا يدل على الرغبة الاكيدة في العمل ، تلك الرغبة التي تمتلك بها نفوس اخواننا في هذه اللجنة ، الساهرين على منجزاتها ، والتي

وفي سنة 1964 اتسع رقعة عمل اللجنة الاردنية للتعريب الى ميداني الترجمة والنشر ، حيث نشرت وترجمت عدداً من الكتب التي أرسلت منها نسخاً كثيرة الى المكتب الدائم للتعريب بالرباط ، والادارة الثقافية والى مختلف الهيئات والمؤسسات العلمية الاخرى .

ولما اجتمع اسبوع التعريب في الرباط من 3 الى 9 يناير عام 1963 قررت اللجنة ايفاد احد اعضائها وهو الدكتور عبد الكريم خليفة ليتمثلها في هذا الاجتماع ، ولقد أشار الدكتور عبد الكريم خليفة في تقريره المقدم الى اللجنة « ان الاردن هو القطر العربي الوحيد الذي بعث بمندوب خاص الى هذا المهرجان في حين اكتفت البلدان العربية بتفويض سفارتها او ملتحقيها الثقافيين في الشمال الافريقي لتمثيلها » .

وهكذا يسترسل الكتاب في تسجيل تاريخ هذه اللجنة ويرصد ما قامت به من نشاطات شتى في مختلف المجالات . مع ذكر علاقاتها بسائر الهيئات العربية وعلى رأسها الادارة الثقافية والمجتمع العربي والمكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط .

وفي سنة 1963 كلفت لجنة خمسية من اعضاء اللجنة نفسها بوضع مشروع نظام شامل دعنه (مشروع نظام اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر) ويشتمل هذا المشروع على اربعة وعشرين مادة موزعة على سبعة فصول ، هي :

- 1 - تعريفات عامة .
- 2 - تأليف اللجنة وشروط العضوية .
- 3 - اعمال اللجنة وأهدافها .
- 4 - خطة العمل .
- 5 - شروط العمل
- 6 - الشؤون المالية .
- 7 - احكام عامة .

ثم أعيد النظر في هذا المشروع ، ووضع مشروع نظام جديد حيث رفع الى رئاسة الوزراء بتاريخ 7 - 1 - 1967 ، فوووفق عليه ونشر في الجريدة الرسمية الاردنية بتاريخ 1 - 3 - 1967 ، ثم صدر فيما بعد تعديل برقم (35) لسنة 1968 . العدد رقم 1988 ، ثم صدر فيما بعد تعديل برقم (35) لسنة 1968 .

اللجنة ، ولقد قدم له معالي الاستاذ الدكتور اسحق الفرحان رئيس اللجنة ، ووزير التربية والتعليم ، بكلمة قيمة نوه فيها « بالجهود المتواصلة التي قامت بها اللجنة الاردنية للتعريب عن طريق المساهمة في التعريب ، وفي الترجمة والنشر » ، كما اشار معاليه الى صلة اللجنة الوثيقة بالادارة الثقافية في جامعة الدول العربية والمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط ، الذي قال عنه سعادته : « .. يقوم هذا المكتب بأعمال كبيرة مشكورة في حركة التعريب ذات الارتباط الوثيق بتراث الامة العربية وحضارتها الماجدة » كما انه تمنى ان تكون المرحلة القادمة تتطور هذه اللجنة هي « تحويلها الى مجمع علمي لفسي اردني يعمل الى جانب المجتمع الاجنبي القائم في اقطار العربية الشقيقة » وبناء على توصيات مؤتمر التعريب الاول الذي عقد في الرباط من 3 الى 7 ابريل 1961 والذي جاء من بين توصياته انشاء (شبكة وطنية للتعريب) في كل بلد عربي مهمتها تتبع نشاط الهيئات المستقلة بالتعريب في بلدها وتكون صلة بينها وبين المكتب الدائم وتقدم اليه الحصيلة العلمية التي تنتهي اليها الجهد في ذلك البلد » .

وبناء على القرار المقدم من طرف المرحوم قدرى طوقان (ممثل الاردن في المؤتمر) الى وزير التربية والتعليم آنذاك انشئت هذه اللجنة باسم « اللجنة الاردنية للتعريب » غايتها « تتبع نشاط الهيئات المستقلة بالتعريب ، وتكون حلقة اتصال بينها وبين المكتب الدائم في الرباط فتسجل كل ما يترجم في الاردن من الكتب وتوافق المكتب الدائم بذلك وتقوم بتنفيذ ما يمكن تنفيذه من مقررات مؤتمر التعريب » .

ولما تم تعيين الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله (رئيساً للمكتب الدائم) قامت الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية بابلاغ اللجنة وجميع الدول العربية الاعضاء في الجامعة كما قام الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله نفسه بابلاغ اللجنة كذلك .

ومنذ اجتماع اللجنة الاولى في صباح يوم السبت 3 / 6 / 61 وهي تواصل مجهوداتها في شتى المجالات العلمية والترجمة . ووفقاً لهذا الاجتماع قامت اللجنة بتزويد المكتب الدائم ، والادارة الثقافية بقائمة من الكتب المترجمة في شفتي الاردن حتى ذلك العام .

3 - لجنة الكتب العلمية ، (هدفها ترجمة الكتب العلمية والتكنولوجية)

4 - لجنة الفكر العالمي (هدفها ترجمة روايـع الفكر العالمي الى العربية) .

وختـم الكتاب برسـالة بعـثـ بها مـعـالـي وزـير التـربية والتـعلـيم وـرئيسـ اللـجـنة الاستـاذ اـسـحـاق الفـرحـان الى دـولـة رـئـيسـ الـوزـراء حـول اـنشـاء مـجـمـع عـامـي لـغـوي اـرـدنـي ، وـتـقـنـطـفـ منـ هـذـه الرـسـالـة الـكـرـبـلـيـة الفـقرـةـ التـالـيـةـ : « ولـمـ منـ المـنـاسـبـ انـ اـذـكـرـ لـدـوـلـتـكـ انـ الـارـدنـ كانـ اـوـلـ بلدـ اـسـتـجـابـ لـتـوصـيـاتـ المؤـتمـرـ المـذـكـورـ ، وـاسـسـ شـعـبـةـ وـطـنـيـةـ ، هـيـ «ـ اللـجـنةـ الـاـرـدنـيـةـ لـلـتـعـرـيبـ وـالـتـرـجـمـةـ وـالـنـشـرـ »ـ وـلـقـدـ عـقدـتـ اللـجـنةـ خـلـالـ الـاعـوـامـ الـاـحـدـ عـشـرـ التـىـ مـرـتـ مـذـ تـأـسـيـسـهاـ حـتـىـ الـآنـ خـمـسـةـ وـخـمـسـينـ اـجـتـمـاعـاـ ، وـنـشـرـتـ عـدـدـاـ مـنـ الـكـتـبـ الـمـتـرـجـمـةـ وـالـمـوـضـوـعـةـ ، وـشـارـكـتـ فـيـ درـاسـةـ مـشـارـيعـ الـمـعـاجـمـ الـتـيـ وـصـلـتـ إـلـيـهـاـ مـنـ الـمـكـتـبـ الدـائـمـ لـلـتـعـرـيبـ ، وـظـلـلتـ عـلـىـ اـنـصـالـ مـسـتـمـرـ بـالـادـارـةـ الثـقـافـيـةـ لـجـامـعـةـ الـدـولـ الـعـرـبـيـةـ وـالـمـكـتـبـ الدـائـمـ لـلـتـعـرـيبـ ، بـحـيـثـ أـصـبـحـتـ لـدـىـ هـاتـيـنـ الـجـهـنـيـنـ هـيـ الـمـثالـ وـالـقـدوـةـ فـيـ نـشـاطـهـاـ وـجـهـودـهـاـ الـكـبـيرـةـ فـيـ حـقـلـ الـتـعـرـيبـ وـالـتـرـجـمـةـ ، وـنـالـتـ الثـنـاءـ اوـاسـعـ مـنـهـاـ فـيـ مـراسـلاتـ عـدـيدـةـ وـكـذـلـكـ فـيـ مـجـلـةـ «ـ الـلـسانـ الـعـرـبـيـ »ـ الـتـيـ يـصـدـرـهـاـ الـمـكـتـبـ الدـائـمـ لـلـتـعـرـيبـ فـيـ الـربـاطـ »ـ .

وهـكـذاـ يـتجـلىـ لـنـاـ مـنـ خـلـالـ هـذـهـ الـمـجـالـةـ مـدـىـ الـجـهـدـ الـكـبـيرـ الـذـيـ تـبـذـلـهـ هـذـهـ الـلـجـنةـ الـتـىـ تـنـمـىـ لـهـاـ مـزـيدـاـ مـنـ التـقـدـمـ وـالـنـجـاحـ فـيـ مـرـاـحـلـاـ الـقـادـمـةـ وـهـيـ تـتـحـولـ مـنـ صـورـتـهاـ الـحـالـيـةـ إـلـىـ نـوـاـةـ لـجـمـعـ عـلـىـ لـغـويـ يـسـاـهمـ فـيـ خـدـمـةـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ وـتـرـاثـهاـ الـخـالـدـ بـجـانـبـ مـجـامـعـنـاـ الـلـغـوـيـةـ إـلـيـخـرـىـ فـيـ الـدـولـ الـعـرـبـيـةـ الشـقـيقـةـ .

وبـعـدـ هـذـهـ الـلـمـحةـ التـارـيـخـيـةـ عـنـ هـذـهـ الـلـجـنةـ النـشـيـطـةـ بـعـدـ الـكـتـابـ «ـ خـلاـصـةـ اـعـمـالـ الـلـجـنةـ مـنـدـ تـأسـيـسـهـاـ الـتـىـ كـانـتـ اـهـدـافـهـاـ الرـئـيـسـيـةـ الـتـىـ قـامـتـ مـنـ اـجـلـهـاـ تـنـلـخـصـ فـيـمـاـ يـلـيـ :

- 1) مـسـاـعـدـةـ اـقـطـارـ الـشـمـالـ الـاـفـرـيـقـيـ الـعـرـبـيـةـ عـلـىـ تـعـرـيبـ الـلـغـةـ لـغـيـ بـجـمـيـعـ الـاـغـرـاـضـ الـتـىـ تـسـتـخـدـمـ فـيـ مـخـلـفـ مـرـافـقـ الـحـيـةـ .
- 2) الـعـمـلـ عـلـىـ تـرـجـمـةـ عـدـدـ مـنـ رـوـايـعـ الـاـثـارـ الـفـكـرـيـةـ الـحـيـةـ .
- 3) الـتـعـاـونـ مـعـ الـدـوـلـ الـعـرـبـيـةـ عـلـىـ وـضـعـ الـفـاظـ عـرـبـيـةـ لـلـمـصـطـلـحـاتـ الـاجـنبـيـةـ .

وـفـيـ حـقـلـ الـتـرـجـمـةـ وـالـنـشـرـ اـصـدـرـتـ الـلـجـنةـ الـعـدـيدـ مـنـ الـكـتـبـ الـعـالـمـيـةـ وـالـعـرـبـيـةـ قـامـ بـتـرـجـمـتـهـاـ وـنـشـرـهـاـ اـسـاتـذـةـ اـعـضـاءـ فـيـ الـلـجـنةـ ، اـمـاـ فـيـ مـيـدانـ الـتـعـرـيبـ فـقـدـ سـاـهـمـتـ مـاـسـاـهـمـةـ كـبـيـرـةـ فـيـ درـاسـةـ كـثـيرـ مـنـ الـمـعـاجـمـ الـتـىـ وـصـلـتـ إـلـيـهـاـ مـنـ الـمـكـتـبـ الدـائـمـ فـيـ الـربـاطـ وـمـنـ لـجـنـةـ التـنـسـيقـ بـيـنـ الـلـجـانـ الـوـطـنـيـةـ لـلـيـونـسـكـوـ ، وـالـادـارـةـ الـثـقـافـيـةـ لـجـامـعـةـ الـدـولـ الـعـرـبـيـةـ وـغـيـرـهـاـ .

وـيـشـيرـ الـكـتـابـ إـلـىـ أـنـ الـلـجـنةـ مـاـ زـالـتـ سـائـرـةـ بـعـونـ اللـهـ إـلـىـ الـاـمـامـ ، وـتـطـوـرـاـ لـلـدـائـرـةـ عـلـمـهـاـ وـتـوـسيـعـاـ لـرـقـعـةـ نـشـاطـهـاـ اـرـتـاقـاتـ تـقـيمـ لـجـنـةـ الـتـعـرـيبـ إـلـىـ الـلـجـانـ الـفـرعـيـةـ التـالـيـةـ :

- 1 - لـجـنـةـ اـحـيـاءـ الـرـاثـ الـعـرـبـيـ الـاسـلـامـيـ (ـ يـعـنىـ بـتـحـقـيقـ الـمـخـطـوـطـاتـ الـقـديـمـةـ وـنـشـرـهـاـ)ـ .
- 2 - لـجـنـةـ الـفـكـرـ الـعـرـبـيـ (ـ هـدـفـهـاـ تـرـجـمـةـ الـفـكـرـ الـعـرـبـيـ وـالـتـعـرـيفـ بـهـ فـيـ الـلـغـاتـ الـفـرـيقـيـةـ)ـ .

نحو استراتيجية

جديدة للتربيـة في الـبلـاد الـعـرـبـيـة

والاستعمار تحريراً للوطن وتمكيناً للإنسان العربي من الانطلاق بنفسه وبمجتمعه على طريق التقدم » .

ويمكن عرض الوثيقة في النقطة التالية :

١ - بدأت الوثيقة في تحليل ضاف للصراعات والتحديات التي تعيشها الأمة العربية ، وأولى ملامح هذه التحديات : **النمو السكاني** ، حيث بلغ المعنى المرتفع منه في السنتين من هذا القرن الى ٣٪ سنوياً ، ويُنتظر أن يتجاوز في السبعينيات هذه النسبة ويقترب مجموع سكان البلاد العربية من ١٢٤ مليون نسمة سنة ١٩٧٠ الى ١٧٢ مليون نسمة سنة ١٩٨٠ . وهذا النمو يؤثر سلباً في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ويزيد من حدة مشكلاتها ، وغالباً ما يأتي على الجهود التربوية ويأكل جزءاً كبيراً من عائداتها » .

وعلى هذا الأساس تنوّه الوثيقة بضرورة الأخذ في الاعتبار بهذا الامر ، عند رسم سياسات التعليم واستراتيجيته وبنيته ومحطوه والتخطيط له .

وثاني هذه الملامح : ظاهرة الهجرة من القرية الى المدينة ، التي تنتج عنها مشكلات اجتماعية خطيرة .

ثالث هذه الملامح : عدم اتزان توزيع السكان الجغرافي ، بحيث يتكلّون في مساحات دون أخرى .

انعقد بصنعاء (اليمن) المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب من ٢٣ - ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٧٢ . وبهذه المناسبة أصدرت الامانة العامة لجامعة الدول العربية وثيقة هامة أهدافها كل من الدكتور يوسف صلاح الدين قطب ، والدكتور محمد الهادي عفيفي ، والدكتور محمد سيف الدين فهمي ، والدكتور محمد احمد الفنام .

وقد رسم معدو الوثيقة في دراساتهم المختلفة « استراتيجية جديدة للتربيـة والـتعلـيم في الـبلـاد الـعـرـبـيـة» على ضوء التحديات والصراعات التي يواجهها المجتمع العربي المعاصر حتى يتمكن من العبور بقوـة وسرعة إلى التقدم المنشود وإلى أوضاع تعليمية بناءً تسعى إلى تنمية الثروة البشرية كلها . وليس إلى فئة محدودة منها بحيث تصبح قادة على مواجهة هذه التحديات التي تقف في سبيل تقدم الأمة العربية » .

ومن التحديات التي سجلتها الوثيقة والتي تواجه امتنا العربية ، تحدي النمو السكاني بما يصحبه من خلل ديمغرافي مع عدم توازن في التنمية الاجتماعية والاقتصادية في معظم الأحوال ، وهناك الصراع ضد التخلف طلباً لحياة عصرية متقدمة ، والصراع ضد التجزئة طلباً للوحدة ، والصراع ضد التناقض الثقافي والاجتماعي طلباً للوحدة الثقافية وتجددها ، ولتكامل المجتمع وانسجامه ، والصراع ضد الصهيونية

الملامح الى مجالات لتفاعل الصحي بين الافراد وعاما من عوامل التماست الاجتماعي والتكميل الثقافي .

— الصراع ضد التجزئة :

توضح الوثيقة كيف ان الاستعمار سعى دائما الى تثبيت شمل الوحدة العربية وانارة النصرات على اختلافها ، فيما بينها ، واستغل الاستعمار هذا الانقسام والتفكك ليجعل فلسطين ارضا تقوم عليها دولة اسرائيل المفترضة .

كما اشارت الوثيقة الى ان «المعقد الثلاثي الاخير قد أكدت ان الوحدة ينبغي لها بجانب سعيها الى اتفاق لقتها والاعتزاز بتاريخها والاحتفاظ بتراثها والتمسك بقيمها الاصيلية ، ان تأخذ بالعلم والتكنولوجيا في صورهما التقديمية على أوسع نطاق ، كما اكدت ان الصراع القائم حاليا بين الامة العربية والصهيونية والاستعمار ليس مجرد صراع عسكري او سياسي فحسب . وانما هو في الحقيقة صراع حضاري شامل ينبغي ان يلعب فيه التعليم دورا مركزا .

وبعد دراسات وافية لواقع التعليم في البلاد العربية والاستراتيجيات الموجهة له ، انتقلت الوثيقة الى رسم استراتيجية جديدة للتربية في البلاد العربية»

ويمكن تلخيص هذه الاستراتيجية في اربعة عناصر متكاملة — حسبما جاء في مقدمة الوثيقة نفسها — وهي :

ا - التغيير التدريجي الشامل في التربية الذي يقوم على تصحيح رؤية جديدة للتعليم كل التعليم ، تلتقي الجهود التربوية على تحقيقها من اكثر من موقع في النظام التربوي ، وذلك كبديل لاستراتيجية الاصلاح الجرئي الذي يبقى التقديم مع بعض التعديلات او الاضافات في جانب من جوانب التعليم او مستوى من مستوياته .

ب - تعليم المجتمع كل المجتمع ، كباره مثل صغاره ، بمؤسساته المدرسية وغير المدرسية ، وذلك كبديل لاستراتيجية تعليم الصغار قبل الكبار بل على حساب الاخرين في المدارس .

والملحق الرابع : تركيبهم المعمري الذي ينحاز نحو الاطفال .

ولهذه النسبة المرتفعة من الاطفال داخل سكان البلاد العربية تأثيرات مهمة في العرض والطلب على التعليم ، مما يجعل العبء انتقل على التعليم وقد نوهت الى هذه الظاهرة الخطيرة الامر المتحدة غير ما امرة .

— الصراع ضد التخلف :

بينما يضاعف العالم المتقدم خطاه على الطريق نحو الامام ما زالت الامة العربية تخوض معركتها ضد التخلف بجميع اشكاله ، مما يجعل الهوة تتسع بين هذه البلاد وبينها من البلاد النامية .

وتشير الوثيقة الى : « انه في الوقت الذي تملك فيه البلاد العربية موارد اقتصادية وامكانيات مادية مؤهلة وتراثا حضاريا عريضا ، فضلا عما يتواافق حولها من اسباب المدنية الحديثة ، فإن جمهرة ابنائها لا يقumen بمستوياتهم الثقافية المنخفضة على استثمار هذه الموارد والامكانيات والتراث بما يدفعهم الى طريق التقدم بالسرعة المرجوة » .

كما اشارت الوثيقة الى الوان اخرى من الصراعات كالتناقضات الثقافية والاجتماعية ، فعلى الرغم من مظاهر الوحدة وتوافر عناصر التجانس الثقافي المتماسك الاجتماعي — على الرغم من ذلك — فإن الظروف التاريخية والجغرافية والاجتماعية قد خلقت منها تفاوتات وتبنيات ارتفع بعضها الى حد التناقض والصراع بالإضافة الى عوامل اخرى كالصراع بين القديم والجديد ، والتناقض القائم بين ثقافة الريف والحضر ، ومسألة توزيع الثروة الخ .

ومما يزيد من هذه الصراعات جميعا الهزيمة المريرة التي يعيشها العرب في الوقت الذي يتتوفر لديهم كافة الامكانيات لمحوها وتخطيها .

وتلخص الوثيقة الى القول الى ان هذه التناقضات برمتها تفرض نفسها على التعليم بحكم كونه من صنع المجتمع وجزءا من ثقافته ، مؤكدة ضرورة حسم كل الخلافات ومواجهتها كل الصعاب حتى تحول كل تلك

- تبني القيادات السياسية للاستراتيجية وتعيّتها
الجهود لتنفيذها .
 - البحث العلمي في عناصر الاستراتيجية المقترحة
والقيام بتجارب طليعية قبل التوسيع (تنفيذها) .
 - التخطيط الكفء لتنفيذ الاستراتيجية الجديدة
مع مواصلة البحث والمراجعة في مشكلات
التنفيذ والتطور .
 - تطوير الادارة التربوية وتكثيفها وتعيّتها بما
يتلاءم مع طبيعة الاستراتيجية الجديدة ويوفر
لها الكفاءات القيادية في التوجيه والتنفيذ .
 - اعادة النظر في برامج اعداد المعلمين وتدريبهم
في ضوء مفاهيم الاستراتيجية الجديدة ومطالبتها
ليكونوا أداة فعالة في تنفيذها .
 - توعية المجاهير بالاستراتيجية الجديدة وفتح
باب الحوار في عناصرها وخصائصها واهدافها
وسائل تنفيذها .
 - اعادة النظر في توزيع المواد المالية المخصصة
للتعليم في ضوء مطالب الاستراتيجية الجديدة
والاستخدام الأمثل لهذه الموارد ، مع فتح
المجال للمبادرات الشعبية والدعم المادي من
جانب الافراد والجماهير .
 - الاستعانة بالخبرة العالمية والمساعدات الدولية
وبخاصة من جانب منظمة اليونسكو ، في
التحرك على الطريقة الجديدة بنجاح وكفاية .
 - ج - الاهتمام بجودة التعليم اسوة بكمسة ، او
دون فصل بين الكم والكيف ، وذلك كبديل لاستراتيجية
الكم مع اهمال الكيف على حسابه .
 - د - الاتجاه التربوي العربي الواحد الذي يبدأ
بالانتقاء على ملامح رؤية تعليمية جديدة على المستوى
القومي تحول بها نظم التعليم في البلاد العربية قولا
وفعلا ، الى نظم تربوية عربية حقيقة ، ويتحقق
بتجسيدها في الواقع تعثّة التعليم في كل موقع عربي
لتتجديد الثقافة العربية وتحويل المجتمع العربي الى
مجتمع عصري .
- كما أنه يفضل هذا الاتجاه تجمع للبلاد العربية
على أعمال مشروعات تربوية مشتركة وتنسيق خططها
التعليمية وجهودها العلمية ، وأولاً وأخيراً تبذل جهود
مشتركة لتمكن الفلسطينيين العرب من أن يكون لهم
تعليمهم الذي يمكنهم من مواصلة النضال واسترداد
حقوقهم وبناء فلسطين الجديدة .
- وتصر الوثيقة على أنها ليست في الواقع سوى
 مجرد فتح باب حوار طويل وعميق أمام السادة وزراء
التربية والتعليم العرب ، ومن ورائهم من مختصين
وفنيين وخبراء وملئمين .
- وتشير في الأخير الى أنه لا بد بعد الحوار ،
والانتقاء على العناصر الأساسية للاستراتيجية الجديدة
- بعد تنفيجها وربما تعديلها - لا بد لها من ضمانات
لوضعها مو ضع التنفيذ وهذه هي الضمانات التي
ساقتها الوثيقة تحقيقاً لذلك :

بَيْنَ الْمُجْتَلَةِ وَقَرَائِبِهَا

ما زلت أياها القارئ العزيز - في مطلع كل عدد جديد - تتأكد من الحقيقة التي أمنت بها منذ صدور أول عدد من مجلتك «اللسان العربي» فقد اتخدت من هذا اللسان أداة للتداخُل والتفاهم والتعلم الأولى التي لا ترضي بها بديلاً بأي لسان أعمامي آخر ، بل إننا نلمس بوضوح أن آيمانك بحقيقة تبرير هذه يزداد يوماً بعد يوم حيث جعلت من هذا «اللسان» التبرير الحر الذي تعرض فيه كل ما يعن لك في أمور اللغة من قضايا ومشكلات ، وفي الوقت ذاته تبرز القدرة الهائلة التي تتطوّي عليها لفتك الخالدة ، وتسخرها في خدمة «العلم» بمختلف فروعه وأنواعه ، حتى تساير ركب التطور المعاصر الذي ما عرف التاريخ يوماً تقدماً يضاهيه ، وانت بذلك إنما تبدد أوهام المغرضين المقللين من شأن هذه اللغة الجahلين لها ، وتتسهم في بناء صرحها التالد الذي يزداد بك وبآيمانك متانة وصلابة وقوّة . «واللسان» هي بدورها كانت حريصة كل الحرص على أن تعمل دائماً على مضاعفة آيمانك بهذه الحقيقة وما زالت تبذل قصارى جهودها في تأكيد هذا الإيمان وترسيخه في النفوس بباراز جلال العربية وعظمتها والسير بها قدماً نحو لغة حية معاصرة قادرة على احتواء كل جديد . حديث في كل علم وفن .

وما زالت الصلة الوثقى التي بين المجلة وقرائها تزداد تقارباً ومتانة يدعمها السبيل العارم من رسائلهم المختلفة الحافلة بأجمل الموافظ وأصدقها .

ونحن إذ نشكر للقراء نيل مشاعرهم ونؤكّد للجميع هذه الرغبة هنا ، نشد على أيديهم بحرارة ونعدّهم على أن نعمل دون هواة أو توأن بلوغ الغاية التي تنشدها جميعاً بحول الله .

ولا ننسى أن نذكر مرة أخرى أن هذا الكتاب من القراء إليهم وهو ملتقى افكارهم ومنتدى آرائهم وهو ينتظر منهم دائماً كل توجيه أو نقد أو تعليق أو آية وجهة نظر أخرى في كل ما يتعلق بنشاط المكتب عامه والمجلة خاصة .

من المملكة المغربية :

* من مدينة طنجة بعث إلينا الاستاذ عبد السلام العوام بادسي برسالة رقيقة نقتطف منها هذه السطور :
« أهثكم على المجهودات الجبارية التي تبذلونها من أجل احياء لغة الضاد ، واحلالها مكانتها الرفيعة التي كانت تتبوأها في عصورها الذهبية السالفة » .

من الجمهورية الجزائرية :

* من الجزائر العاصمة جاستنا كلمة رقيقة من معايي وزير الاعلام والثقافة الاستاذ احمد طالب الابراهيمى الى السيد مدير المجلة يقول فيها: «يسريني ان اكتب لكم هذه الرسالة مجدداً عهد الاخوة والتعاون بينا وبينكم على الجهود الجدية المنشورة التي تقومون بها في مجال التعریف»

* ومن مدينة وهران وصلتنا كلمة رقيقة من رئيس تنس اللغة العربية وآدابها الدكتور عبد الملك مرتابى جاء فيها: «انتا نبارك اعمالكم وجهودكم المتواصلة المشرفة في مجال التعریف ، واصدار الماجم الحديثة التي تشمل مختلف مجالات الحياة» .

* ونعود الى مدينة الجزائر لنلتقي مع رسالة اخرى من رئيس ركن التعریف بوزارة الدولة المكلفة بالنقل الاستاذ مصطفى كمال مغربي نقتطف منها ما يلي : «أشكركم الشكر الجليل عن الجهود الجبارية التي تبذلونها من أجل تنسيق التعریف في الوطن العربي ، واطلب الله أن يمدكم بالنجاح الدائم ويفتقكم في كافة نشاطاتكم» .

* ومن مدينة تلمسان تطالعنا رسالة الاخ عبد الجليل مرتابى قال فيها : «لقد أتيت لي ان اطلع على مجلدين من مجلدات «اللسان العربي» الفراء التي يصدرها مكتبكم الموقر ، وأعجبت بما جاء فيها من مقالات ومحاضرات وبحوث قيمة تعد بحق ثمرات جهود مخفية طويلة» .

* ووصلنا من الجزائر خطاب رقيق من السيد ناجي يحيى ، يزجي فيه الشكر للمجلة وهو مفتطف جداً بالنهج الذي تتجه في دراستها اللغوية وتحقيقاتها المختلفة ويقدم لنا بعض الاقتراحات منها :

— يتمنى ان يبادر المكتب بالكتابة الى جميع المؤسسات العربية والهيئات وال المجالس والمعاهد والحكومات حتى تفرض رقابة ضارمة - وبصفة مستمرة - فيما يخص استعمال مختلف المصطلحات التي ينبغي ان تكون موحدة في جميع اقطار الوطن العربي .

— ان ينشر المصطلح العربي في صور الانتاج بحيث تمنع كتابة تعریفات المنتوجات التي وجد لها اصطلاح ، باحرف عربية ومعنى اعجمي مثل «كولونيا» للدلالة على العطر او الطيب ، وكذا «казينو ، وبسكوت»

* من مدينة وزان كتب اليها القارئ الكريم السيد المكي الريسوبي الكلمة التالية : يشرفني ان انوه بالجهودات التيبة الجباره المتجلية في انشطتكم المتنوعة واخسن منها مجلة «اللسان العربي» التي تشرف مكتبنا الدائم للتعریف وتدفع كل مواطن للاعتراض به نظراً للخدمات الجليلة التي يعمل المكتب دائمًا على تحقيقها لمسايرة ركب التقدم والحضارة »

* من القصر الكبير وجه اليها السيد الطاهري محمد الكلمة التالية : «لقد سعدت بالاطلاع على مجلتكم الهدافه الى تحقيق واعلاء اللغة العربية والخروج بها من مشكلاتها الى طريق التقدم حتى تكون لغة حية قادرة على مجابهة العصر السذى يمطرنا يومياً بكل جديد» .

* ومن مدينة الدار البيضاء كتب الاستاذ عبد الرحمن التجاج كلمة رقيقة جاء فيها : «لقد اصبحت «اللسان العربي» بفضل مجدهاتكم ومساهماتكم مجلة واسعة الانتشار جديرة بالافتخار فطوبى لكم وهنئكم» .

* وهذه تحية السيد الحسين بن محمد السملالي من الدار البيضاء كذلك جاء فيها : «لقد كان سروري عظيمًا بمجلتكم الفراء نظراً للجهود الجبارية والخدمات الجليلة التي تبذلونها في اخراج هذه المجلة خدمة للتراث العربي العظيم وللفتح» .

* وافانا الاستاذ السفير الدكتور عبد الهادي النازري بر رسالة جاء فيها : «لقد تلقيت رسالتكم حول اعتزام المكتب التعريف بأصدقاء المجلة وكتابها ، وقد كان ذلك تفكيراً سديداً منكم لا يهدف فقط لربط الاواصر بين رجالات الفكر في المشرق والمغرب ، ولكن كذلك يعرف الجمهور بمؤلء الجنود المخلصين الذين يقفون وراء هذا العمل الضخم الذي يقوم به المكتب ، ولا اكتتمكم حقيقة لمستها من خلال عملكم خارج المغرب سفيراً بلادياً ، كنت تكتيراً ما اتفق مثل هذا السؤال: من هم الذين يدعون «اللسان العربي» في مثل هذا الاصدار؟ معالم التقدير والاكيار لجهودكم الشريقة ، تلك التقديرات التي افتتحت هذه الفرصة لانقلابها اليكم صادقة مؤملاً لكم المزيد من النجاح والعزيمة من التوفيق» .

ولا يمنع ترجمة اسم المتن إلى لغة أخرى ، لكن في هذه الحالة ينبغي كتابة الاسم بكيفية يظل فيها الاسم العربي هو البارز .

* وهذه تحية من السيد ابن عبد الله الاخضر من وهران بالجزائر الشقيقة كذلك جاء فيها : « اطلعت على المقال الذي نشرته صحيفة « الصباح التونسية » ، والذي نقلته عنها صحيفة « العلم الاسبوعية » ، والذي اثنى فيه صاحبه على الجهود المبذولة لتطوير اللغة وجعلها تساير مسيرة الركب الحضاري ، وذلك بما تبذلونه من مجهودات كبيرة في هذا المضمار سعيا وراء دحض ادعاءات المغرضين على اللغة فسعدت بذلك كثيرا » .

من الجمهورية الليبية :

* من ليبيا بعثينا الاستاذ سامي عطا حسين التحية الرقيقة التالية : « ليتني استطاع تصوير مدى اعجابي وتقديرني للباحث والدراسات الجيدة ، وللجهود العظيمة التي تبذلونها في سبيل لغة القرآن »

* ومن طرابلس حمل علينا البريد الكلمة التالية من الدكتور علي عبد المنعم : « ارجو ان اكون على صلة بهذا الجهد العلمي المنظم الدقيق ، والذي يهم في التعريب الفكري بين المثقفين العرب ، والذي يعمل على احياء الثقافة والمدينة العربية كحضارة ذات ابعاد متعددة الجوانب ، بعيدة الاعماق تكون اصلا ثابتة للنهاية العربية المعاصرة » .

* ومن ليبيا ايضا وافانا الاستاذ محمد العساوي الشتوى بعرض مبسط عن « تهذيب المقدمة اللغوية للعلائى » .

ولقد اشار الاستاذ الشتوى الى المكانة التي يحتلها الاستاذ العلائى في ميدان اللغة والادب ، وعدد كثيرا من كتبه المتنوعة في شتى المجالات وهي كتب معروفة لدى الباحثين والمتبعين .

يقول : انقسم الناس أمام كتاب العلائى الى مشقق ومؤيد ومستغرب - على حد تعبير الدكتور اسعد علي . . . فالاستاذ اسماعيل مظہر سکریٹری الجمع المصري للثقافة العلمية ابدى اشفاقه على نفسه ، وعلى الكتاب ، وعلى مؤلفه ، اذ اعتبره الصيحة الاولى لقيام التوسيع في اللغة ، هذا الاشفاق من المسؤول الرسمي عن الثقافة العلمية . . أما الذين ايدوا الكتاب ، ورجحوا به بدون خوف ولا احتراز فهم الاساتذة : اب

انستاس الكرملي ، ابراهيم مصطفى ، طه حسين ، وعلى الجارم ، وعبد الغنى حسنى ، وسلامة موسى ، ومارون عبود ، ومخائيل نعيمة ، وقد حفلت مجلات ذلك الوقت بابحاث مطولة حول الكتاب القيم كالمقتطف ، والثقافة ، والشاعر ، والاهرام ، والمصرى ، والدستور ، والتربية الحديثة . . .

اما المستغربون لكتاب العلائى فهم المحافظون من اللغويين الذين لا يرضون بالتغيير والتجديد والاجتهاد في ميدان اللغة العربية » .

وبقى هذا الكتاب على حالته وطبعته سنة 1938م الى أن جاء الدكتور اسعد علي في الف سنة 1968 كتابه حول تهذيب المقدمة اللغوية ، ونشرته « دار النعمان » وجاء كتاب التهذيب هذا في اربعة أبواب وخاتمة .

الاول - التطور اللغوي ونشوء اللغة العربية .

الثاني - معقول العرب ومستقبل العربية .

الثالث داء العربية ودواؤها .

الرابع - المجمع والمعجم .

وقد نوه الاستاذ الشتوى في الاخير بالجهود الكبير الذي بذله الدكتور اسعد علي في « تهذيبه » لمقدمة الاستاذ العلائى وتعنى اعادة طبع هذا الاتر القديم ، حتى يتسعى لكافة الباحثين الاطلاع عليه والافادة منه .

من جمهورية مصر العربية :

* نفتح هذه السلسلة برسالة من الاديب الاستاذ علي الجندي عضو المجمع العلمي بالقاهرة ، جاء فيها : « لقد اتحتم لنا فرصة ذهبية للاستمتاع بهذا الكتاب الجليل والموسوعة الفذة التي تدل على العلم الغزير والذكر الثائب والتنسيق الدقيق ، والغيرة على لغة الكتاب العزيز ، فبارك الله جهودكم وافاض عليكم القوة والقدرة ووقفتم لخدمة اللسان العربي وأثابكم التواب الوافر » .

* من القاهرة كذلك وصلتنا رسالة رقيقة من الاديب الاستاذ وديع فلسطين يقول فيها : « ادعوا لكم بمزيد من التوفيق في مأئيكما العلمية وميدانكم الفكري فأنتم تنهضون برسالة للضاد مقدسـة وتخلصون في ادائها اخلاصا عرفته العامة والخاصة ، وتبذلون من ثمين الوقت والجهد ما نلمس آثاره في كل

بالمستوى العلمي الدقيق الذي يمتع الدارس المتخصص ويرفع من مستوى لغتنا الفراء ويقرب بين جهود العلماء والدارسين في جميع أنحاء العالم العربي وغير العربي .. ونفكم الله وأفاد بجهودكم في رفع شان العربية أنت وجميع من يسهرون بطريق مباشر أو غير مباشر في هذا العمل الجليل » .

* وأما رسالة الاستاذ عبد اللطيف عبد الحليم المعيد بكلية دار العلوم جامعة القاهرة فقد جاء فيها : « لا يسعني الا ان اشيد بجهودكم الكبيرة التي شدonna الى اللغة العربية لتعزيز صرحها الشامخ ، اذ انه جهد توفر له الاخلاص الصادق والتفكير القويم ، غلا يملك اي منصف الا ان يذكر بالاجلال والتقدير هؤلاء الذين يفتون بعزم راسخ وراء هذا العمل الكبير الذي يحتل مكاناً كبيراً في عقول الدارسين ووجوداتهم » .

* وكتبينا الاستاذ وجدي رزق غالى من القاهرة ايضاً رسالة رقيقة يزجي فيها الشكر للمجلة والعاملين بها ويخبرنا عن صدور معجم له بعنوان « المعجمات العربية » ، ببليوغرافية شاملة مشرورة تقديم الدكتور حسين نصار ويقول انه قام بحصر شامل الى درجة قصوى للمعاجم العربية المطبوعة في جميع ارجاء العالم منذ اول معجم طبع 1505 حتى آخر معجم صدر عام 1970 .

يقع في ثلاثة اقسام :

الاول : المعاجم العربية العامة الاحادية اللغة (عربي - عربي)
الثاني : المعاجم الثنائية والمتمعددة اللغات (عربي - اجنبي ، اجنبي - عربي)

الثالث : المعاجم المتخصصة ورتبت هذا الباب هجائياً على رؤوس الموضوعات الدالة على العلوم ومجالات المعرفة المتخصصة ،

ويخبرنا ان معجمه هذا سجل من أعمال المكتب الدائم « معجم الأصول العربية والأجنبية للعامية المغربية ، والمجمع الصوتي ، والمعجم الفقهي المالي ، وكلها من تأليف الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله .

من الجمهورية العربية السورية

* من دمشق وصلتنا رسالة رقيقة من السيد محافظ متحف الفن الحديث - المتحف الوطني - الاستاذ

مكان » . وفي رسالة أخرى منه كذلك يقول : « اعود الى الثناء على الجهد الذي يبذله مكتبة الموقر في خدمة الصاد والترجمة والمصطلحات والمعاجم . وهي تبعات تتوج بها العصبة من افذاذ الرجال ، وما دمت متقرجين للعلم والثقافة والفكر ، فخدمتكم هي الباتية في جماعتنا العربية ، وهي تجمع علينا مشارقنا وغارقانا ولا تختلف ، فألزموا مكانكم في ميدان الثقافة والفكر ، وتتابعوا نشاطكم بتجدد واخلاص ، واسهروا على خدمة الصاد الحسان في جماعتنا الكسرى وعروشنا الوثقى وشرقاًنا الاكبر » .

وهذه رسالة من الاستاذ قاسم الخطاط مدير معهد المخطوطات بالانابة يقول فيها : « ان محمد المخطوطات يتبع نشاطكم الكبير في خدمة اللغة العربية وائرائها » .

* وأما الاستاذ محمد ابراهيم عطية ف يقول في رسالته « يسعدني ان احييكم وأشكركم على هذه الموسوعة العربية الفنية التي تصور مدى ما تقومون به من خدمات جلى وجهود مضنية من اجل رفع شان الاسلام واللغة العربية ، حتى انها لموسوعة لما تضمنه من دراسات وابحاث ومعالجات لهم كل عربي وكل من يغار على العربية مهما كان تحصيله العلمي ، وانتي لشديد الفخر والامتاز « باللسان العربي » وبأسرة تحريرها » .

* ومن القاهرة نفسها بعث اليها الاستاذ توفيق علي وهبة مدير الشؤون القانونية يفتحها بقوله : « لقد سعدت ايماناً سعادة ، بالاطلاع على العدد الثامن من مجلتكم القيمة « اللسان العربي » التي ترخر بالمواضيع القيمة ذات المستوى الرفيع ، وفي الحقيقة لقد سدت هذه المجلة فراغاً في المكتبة العربية فادعوا الله سبحانه وتعالى أن يوفّركم لخدمة العربية لغة القرآن الكريم » .

* ومن مصر العربية كذلك حمل اليها البريد الكلمة الرقيقة التالية وهي من الاستاذ المسرحي الكبير زكي طليمات : « ان مجلتكم تفيض بكل مفید وطريف مما يزيد في ثراء لغتنا العربية المستحدثة ويعمل على توحيد لسانها وتقريب لهجاتها الاقليمية في زمن نحن أحوج ما نكون فيه الى الوحدة اللغوية » .

* وتلقينا من الاستاذ محمد صبحي عيسى من قسم الدراسات العربية - الجامعة الامريكية - رسالة يقول فيها : « لكم اسعدني ان تصدر مجلة كهذه

عن الجمود العظيم التي يندلها في سبيل نشر اللغة العربية وتوسيع الجماهير العربية وتنقيتها باللغة الفصحى التي هي من أولى مقومات النهضة العربية ادعوا الله ان يوفق خطاك ويسددها لما فيه خير الامة ووعيها » .

* وهذه رسالة اخرى من الاستاذ ولد حسن السعيد الى السيد مدير عام المكتب نتفطر منها هذه السطور : « من خلال ما رأينا وقرأنا ، فقد تجلى لنا عظيم عملكم ، وكبير فضلكم في خدمة امتكم وابناء وطنكم ، وفي سبيل الحفاظ على لغتكم العربية انتsem ورفاقكم الذين يعملون معكم في المكتب الدائم لتنسيق الترجم ، وقد كانت محاضركم « ثوريه الترجم » التي نشرت في الصفحة السابقة من الجزء الاول من المجلد التاسع ، تعبيرا صادقا عن عملكم الكبير ، وغاياتكم البلية ، وجهكم العظيم ، وفقكم الله وسدد خطاك » .

* وهذه رسالة اخرى جاءتنا من حمص من الاستاذ يحيى عبارة يقول فيها : « لقد اطلعت على مجلتكم الفراء » اللسان العربي ». فرأقتني ابحاثها الشيقية ومواضيعها القيمة ، وتحقيقاتها اللغوية الرصينة ، والتعليقات الرائعة على الكتب العربية المحققة ، خدمة للتراث العربي ، وصونا له من الضياع ، وكذلك متابعة مجلتكم لمشكلات الترجم والتوصي لوضع المصطلحات الفنية الملائمة مما جعل مجلتكم فريدة في ابوابها ، وفي طليعة المجالات العربية ذات الشان » .

من الجمهورية اللبنانية

* ومن لبنان نبدأ من صيدا لتلتقي مع الاستاذ محمد العدناني في هذه التجربة القيمة : « لقد شللت الدفعية الاولى من مجلتكم التقىسة ومطبوعاتكم ، فاذهلني ذلك الجهد الجبار الذي تبذلونه لخدمة الفصحى ، وقاتلتها من عثرتها ، حفظكم الله ذخرا للضاد وبنها » .

* ومن مدينة طرابلس تطالعنا رسالة الاستاذ اكرم صوفى رئيس الدائرة الاقتصادية في لبنان المالي التي جاء فيها : « لقد تنسى لي ان اطلع على الجائزين الاولين لمجلة » اللسان العربي « شاكيرت الجمود المضئية التي استمرت عن هذا الانتاج الضخم ، وتبدو اللغة العربية احوج ما تكون اليه في عصرنا الحاضر ، لاسيما واننا في عز مسيرةنا الجبارة للانتظام في صفو الصدارة من موكب الامم الناهضة » .

حسن كمال جاء فيها : « يسعدني حقا ان التقي مطبوعاتكم القيمة التي كانت وما زالت كنزا ثمينا يغنى المكتبة العربية التي كانت الى عهد قريب تفتقر الى مثل هذه المعاجم والممؤلفات الأخرى التي نفيت من ابحاثها كلفائدة ، وتنقل الكثير من معارفها الى طلابنا في الجامعة ، اذ فيها يجد القارئ العربي ضالته المنشودة وامتيازاته التي ظل ينتظرها عهدا طويلا والتي بدأ يتحققها بما اصدرتم من كتب هامة في السنوات التي خلت والتي ما زلت عاقددين العزم على نشرها في المستقبل ، احبني اسرة هذا المكتب العاملة بالخلاص وتقان واتمنى لكم كل النجاح ما دام رائدكم الاعتزاز بلغة الضاد » .

* ومن دمشق كذلك جاءتنا الكلمة التالية الرقيقة من الدكتور عبد الرحمن الصابوني عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق يقول فيها : « جزاك الله كل خير وان » اللسان العربي « لعمل تخرجه مع الاجيال الصاعدة بتحقيق صمود لفتنا وتحديها للزمن » .

* وهذه رسالة ثالثة من دمشق ايضا بعث بها علينا الاستاذ احمد بهجة قنصه رئيس نقابة الترجمة المحلفين نتفطر منها ما يلي : « اطلعت على بعض منشوراتكم ، ولاسيما ما يتعلق بمعاجم المفردات ويطيب لي ان اعرب لكم عن سروري البالغ بهذا الانجاز العلمي القيم ، الذي يغنى لفتنا بما تفتقر اليه من تعبيرات علمية وتقنية وفنية » .

* ومن العاصمة السورية كذلك تطالعنا رسالة الاستاذ محمد سعيد مولوي الخبير في المخطوطات العربية نتفطر منها هذه الفقرة : « اطلعت بسرور سرني فيها أنها المجلة التي طال بحثنا عنها وتشوتنا عظيم ، وشفف كبير ، على مجلة » اللسان العربي « اليها ، لخدمة لفتنا العربية العظيمة . وتتجدد حيويتها ونشاطها بما يؤهلها لحمل تبعات الحياة الجديدة ، والمختبرات الحديثة ، وتطورات الفكر الجبار » .

* ومن مدينة حلب جاءتنا هذه الكلمة الرقيقة من الاستاذ المحامي فرنان باي يقول فيها : « ولا يسعني في هذه المناسبة الا ان اعرب لكم عن بالغ اعجابي وتقديرني للجهود الضخمة التي تبذلونها في هذا الحقل ، راجيا الله ان يسدد خطاك الى ما فيه رقي وازدهار امتنا العربية الماجدة » .

* ونعود الى مدينة دمشق لتلتقي مع رسالة الاستاذ عبد الوود طليمات الذي « يحيى فيها المكتب

العامة التي لا يمكن لها أن تنمو وتنسخ إلا بهذه الاعمال البنية على الفكر المبدع في مختلف ميادين الحياة المعاصرة »

* ومن الخيام كتب البنا الاستاذ فايز عباس أبو عباس يقول : « تحياتي وتقديرني للمجهودات الضخمة التي تبذلونها ، لاخراج اعداد « اللسان العربي » الذي هو بحق من اروع ما انتج من دراسات وموضوعات لغوية وعلمية وأدبية وغيرها » ، مما يجعل منه مصدرًا لا يستنفدي عنه كل باحث ودارس ، ومرجعًا يعود اليه في كل حقل من حقول المعرفة الإنسانية » .

* « بسرور وغبطة وتقدير بالغ لكم الجليل ، طالعت على مجلتكم الغراء « اللسان العربي » فوجدتها بحق دواء ناجما للسان العربي الخالد لذلك كاتبكم شاكرا ومقدرا لكم هذه الجهود الكريمة في سبيل خدمة اللغة العربية ، ولما تقدمون من زاد لفوبي حتى تتغذى به المكتبة العربية » . هذا بعض ما جاء في كتاب الاستاذ سليم نجيب البيطار من العنية بلبنان .

من المملكة الأردنية :

* من عمان حمل البنا البريد التحية الرقيقة التالية من الدكتور عبد العزيز الدوري من الجامعة الأردنية : « أود أن أعرب لكم عن بالغ تقديركم لجهودكم القيمة ولانتاجكم المثير في خدمة العربية » .

* من عمان جاءتنا رسالة من الاستاذ عيسى الناعوري سكرتير اللجنة الأردنية للترجمة والتعريب والنشر يقول فيها : « أرجو ان تاذنو لي بابداء ملاحظة عرضت لي وأنا أعود الى مطالعة اعداد مجلة « اللسان العربي » النفيسة التي لا شك في أنها تؤدي رسالتها رفيعة جدا ، هي رسالة النهوض بلغة الضاد العزيزة ، وابراز مزاياها وخصائصها المهمة ، ليكون ذلك وسيلة الى اعادتها الى عزها وزهوتها وغنائها ، وبالتالي الى اعادة العزة القومية الى أهل هذه اللغة المجيدة » .

ويشير الاستاذ عيسى الناعوري في رسالته ملاحظة مهمة تتعلق بالترقيم فيقول : « ان العناية بالترقيم في بعض الابحاث التي تنشر في المجلة اما انها مفقودة تماما ، واما انها غير كافية ، وعلامات الترقيم أصبحت من العوامل المهمة ، المساعدة على صحة القراءة وجودتها » .

ويضيف قائلا : « أنا لا اجهل أن العرب القدماء لم يعرفوا الترقيم ، وإن الكتب القديمة - الا في بعض

* ومن بيروت وجه البنا الاستاذ باسم منصور مدير الثانوية العاملية التحية التالية : « ونحن اذ نبدي اعجابنا بقيمة هذه الكتب وتقديرنا للمجهود الكبير الذي بذلته في سبيل اعدادها ، نشكر لكم تلطكم بارسال هذه المنشورات البنا » .

وهذه رسالة اخرى من طرابلس كذلك جاءتنا من الدكتور عبد المجيد نقعي يقول فيها : « لقد جاعت « اللسان العربي » لقدس فراغا كبيرا في مجال تنسيق عمليات التعريب في عالمنا العربي وذلك ان المثقفين والعلميين في مجالات الثقافة والفكر كانوا في حاجة ماسة لما اخذتم على عاتقكم القيام به في مجال تسهيل عمليات نقل الفكر الأوروبي الى اللغة العربية وبصورة خاصة في مجال نقل التراث العربي الى اللغات الاوروبية » .

* وهذه رسالة اخرى من بيروت بعث بها البنا الاستاذ حسن شقير جاء فيها : « ستحت لي الفرصة أن أطلع على « اللسان العربي » فأعجبت بما تضمنته هذه المجلة من أبحاث واجتهادات قيمة في اللغة العربية وارتباطاتها الفكرية والعلمية والثقافية بلغات أخرى ، كاللغة الفرنسية واللغة الانكليزية ، فوجدت أنه بأمكانى الاعتماد إلى حد بعيد على مجلتكم الغراء » .

* ومن مدينة زحلة وجه البنا الاستاذ جورج ليان حبيسه هذه التحية : « في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ أمتنا ، وبينما تستيقظ معانى القومية في وجдан شعوبنا سواء من الناحية الاقتصادية او الاجتماعية او الثقافية ، تستوقف المثقف العربي بعض مظاهر هذه البقطة في منظمتكم الثقافية الكريمة ، لأننا نجد أنفسنا اليوم أحوج ما تكون الى جهودكم الخيرة في سبيل ايجاد معجم لفوي ، علمي كاللسان العربي » . بقية أحياء وبعد لفتنا العربية بحيث تهمض معطيات الحضارة الجديدة وتناضل فيها » .

* ونعود الى بيروت لنتلقى مع رسالة الاستاذ جوزف انرم البستاني رئيس دائرة المكتبة المركزية التي جاء فيها : « انه لمن أسعد المناسبات هذه التي تتبع لنا التعبير الواعي عن مدى اغتنامنا ونخرنا بالبالغين بهدایاكم الخطيرة في أهميتها والنفيسة في قيمتها والناجحة عن مجهودات ذوى العلم والكتابنة المشحونة بالطاقات الادبية والثقافية والفكريّة والعلمية ، والتي تعطي بالتالي ثمارها الطيبة لتغذى بها أجيال المستقبل من المثقفين من خلال مكتباتنا » .

ومع تقديرنا للاحظة الاستاذ الناعوري ، نشكره ونتمنى ان يوافيانا دوما بلاحظاته القيمة واقتراحاته الجديدة .

من المملكة العربية السعودية :

* من الرياض وجهينا الاستاذ عثمان الصالح رسالة رقيقة نقتطف منها ما يلي : « لقد وفق الله المغرب العربي المسلم الى تصحيح اللسان العربي بكناح في تنقیح اللسان وتوسيته بالبلاغة والبيان ليعود لساننا كما كان ابان ازدهار اللغة العربية فيرجع اليها امثال الاصمعي والكسائي وسيبوبيه وغيرهم من اركان العربية الفصيحة وان المكتب الدائم لتنسيق التعریب ليعد ثورة على الدخیل على اللغة يظهرها من كل ما شابها من لکنة او عجمة ، انتي لشفوف بكل ما يصدر عن هذا المكتب من جلائل الاعمال » .

* ومن التصريح حملينا البريد التحية التالية من النادي الاهلي الثقافي جاء فيها : « لقد اطعلنا على مجلتكم « اللسان العربي » فوجدناها مليئة بالبحوث العلمية ولقد اطعلنا على الترجم في مختلف الفنون والعلوم وتعد هذه المجلة الرباط الذي يجمع بين الشرق والغرب ، تتبعوا صادق تقديرنا لما تبذلونه من جهود في سبيل العلم واللغة » .

* ومن مكة المكرمة جاءتنا هذه التحية من رابطة العالم الاسلامي ، الامانة العامة من الاستاذ محمد صالح القزار الامين العام نقتطف منها هذه السطور : « ما زلنا نتابع نشاط المكتب ونشتري على اعماله وجهود رجاله المشكورة ، راجين لهم التوفيق في مهمتهم وتحقيق غایتهم » .

* ومن حدة وجهينا الاستاذ محمد ثانی هوساوي الكلمة الرقيقة التالية : « اهني نفسي وكل الذين يتلقون حول مائدة القرآن لينهلوا النبع الصافي للعمل الكبير الذي ساهم به المكتب الدائم لتنسيق التعریب في الوطن العربي في خدمة لغة القرآن ، انه لجد عظيم يتلخص صدر كل مسلم غيره ، فما احوجنا الى كثيرون كنوز لفتنا وما احوجنا للرد على كل المحاولات التي تستهدف طمس معالم لفتنا المشرقة ومكتبةكم في هذا الصدد يضطلع بالدور الكبير الذي اتيط به منسداً تأسيسه ولقد تمثل هذا الجهد في مجلدات « اللسان العربي » وفي غيره من المطبوعات القيمة التي تصدر عن داركم المؤقرة » .

طبعاتها الحديثة - تخلو منه خلوا تماما . ولقد وجدت عناً كثيرا في مطالعة تلك الكتب ، فكنت اضطر الى قراءة الفقرة الواحدة مراتا ، لا اعرف كيف اقرأها قراءة صحيحة سليمة المعانى .

ولست اجهل كذلك ان علامات الترقيم الحديثة العهد ، وعلمنا اخذناها في ما اخذنا - عن الفرس الحديث . ولكننا فعلنا حسنا جدا في ذلك . فقد اصبح الكاتب منا يعرف كيف يجزيء عبارته وفقاً للمعنى ، وكيف يعطي المعانى حقها في العمل عن القراءة » .

ثم يشير صاحب الرسالة الى انه لاحظ بشكل خاص ان جميع الابحاث التي يكتبها الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ، رئيس تحرير المجلة ، خالية تماماً من علامات الترقيم ، كما ان هناك ابحاثاً أخرى تخلو جزئياً من هذه العلامات » .

ويضرب امثلة على ذلك ، بمقال الدكتور محمد المبارك ، من جامعة دمشق حول « التفاعل الحضاري في تكوين اللغة وتطورها » المنشور في المدد السابع من المجلة ؛ وبمقال الدكتور شوكت الشطي ، كذلك ، حول « تبلور الفكر العربي في علم الطب » المنشور في المدد السادس .

ثم يضيف : « ان تقدم اللغة ، وتطورها يتطلبان تيسير قراءتها ، وتسهيل الوصول الى تناول ما تقدمه من معانٍ . وعلامات الترقيم تساعده على ذلك مساعدة كبيرة ، وتتوفر على القارئ جهد الركض واللهاث في قراءة لا يعرف اين يقف منها ، وain يسير ، والى ain ينتهي » .

« اللسان العربي » : تشاير الاستاذ عيسى الناعوري ما ذهب اليه من رأي ، لأن مسألة الترقيم أصبحت حقيقة من الضروريات في جميع الكتابات والتاليف لكونها تخفف على القارئ عناء المراجعة ، وتسهل عليه تفهم المعنى بسرعة ويسر .

ونحب ان نشير هنا الى انه اذا اهمل الترقيم في بعض المقالات والبحوث فليس معنى ذلك ان الكاتب توخي ذلك عن قصد ، وإنما هو راجع في عديداً من الاحيان الى عوامل شتى ، منها طريقة الكاتب في الكتابة او التصنيف ، او قد يكون احياناً سبب سقوط اثراًها عند التصحيح - غير اثنا سنتي هذان الامر مزيداً من العناية .

* من جهة كذلك وصلتنا رسالتك الرقيقة من الاستاذ علي حافظ جاء فيها : « اشكركم وأقدر مجهودكم العلمي اللغوي العربي » الذي تخدمون به لغة القرآن والاسلام أجل الخدمات ، ولست ادرى لو لم يكن هذا المكتب كيف كان حال لفتنا بالنسبة لأحداث العالم التي تتوالى وتتجدد كل ساعة » .

من الجمهورية العراقية :

* من بغداد وصلتنا هذه الكلمة الرقيقة من الدكتور توفيق ابراهيم غنيم — كلية الطب البيطري ، جاء فيها : « من الاشياء التي تتلخص صدر الرء وتجعله سعيدا في غدوه ورواحه ان يرى لغته العربية وقد صارت في مصاف اللغات الحية ، لغات العلوم والفنون — لغة القرآن الكريم والحياة ، انى اتابع باهتمام كل ما تنشره مجلتكم الموقرة « اللسان العربي » واعاهدكم ان اعمل جهدي في نقل هذه الجهود الجبارة لابنائي الطلبة وزملائي في العمل »

* من بغداد كذلك بعث اليها الاستاذ صبيح الغافقي بر رسالة مطولة نقتطف منها ما يلي : « لست في حاجة الى ان اعيد ما ذكرته لكم شخصيا في الرباط من ان مجلة « اللسان العربي » وملاحتها المعجمية لا تمثل اتجاهها خاصا في خدمة لغة القرآن ، ووحدة الفكر العربي ، والعمل من اجل نشر الثقافة الاسلامية الصافية ، وانما يمثل هذا المجهود في رأيي جامعية عربية لوحدها ، وما احوجنا في هذه المرحلة الى مثل هذا المجهود الفضيم الذي ينشر وحده لواء المعرفة الصادقة للجماهير العربية »

ويقترح حضرة الاستاذ على المجلة ان تكرس جانبها من كل عدد من « اللسان العربي » لحياء الفكر الاندلسي ومتابعة الجديد من ابحاثه وتسجيل الاكتشافات التي يصل اليها الاذاريون الاسبان »

* ومن مدينة البصرة وجه اليها الاستاذ عادل يعقوب يوسف من كلية العلوم جامعة البصرة — رسالة مطولة نقتطف منها ما يلي : « لن ازيد مقدار ذرة على المجلة فلو اثنيت واطبنت في ثنائية فهي بلا مدافع مجلة العرب الاولى ، وليتني املك مكتبة لا تضم الا اعداد هذا السفر القيم ، ولاغنيت نفسي عن مشقة البحث والتنقيب في بطون الكتب ، نحن ندرس في الجامعة العلوم بلغة اجنبية هي لغة الدراسة الرسمية وفي الفرع الذي انتمي اليه — علوم الحياة — تدرس

اسماء الاحياء والاعضاء باللغة اللاتينية ، واقسم انتي وزملائي نحفظ اسماء الاعضاء والاصطلاحات دون ان نعرف معانيها فنعرف ان الاسم كذا يعود الى العضو كذا ، ولكن ما معنى هذا في لفتنا .. لا ندرى .. وتخلو المعاجم الانجليزية من هذه الاسماء ، لذا فقد كان لمجلتكم ومعاجمكم فضل علينا لا يعادله فضل لما فيها من الفائدة ما يربو على شعر الرأس. ولشد ما اعجبني في المجلة باب (القل ولا تقل) الذي يحارب الدخيل ويحل محله اللفظ العربي الاصيل »

* ونعود الى بغداد لنلتقي بررسالة الاستاذ محمد عبد الرزاق التي افتحتها بقوله : « لقد اطلعت مؤخرا على المدد الاخير من مجلتكم الفراء وانشرحت لها نفسي ، وشففت القلب وهفا لها لما تضمنته من مواضيع في اللغة العربية على قدر بالغ من الاهمية والقيمة »

* ومن بغداد نفسها حمل اليها البريد هذه التحية الرقيقة من امين مكتبة النفط الوطنية العراقية الاستاذ حسين محمد حسن توبيخ جاء فيها : « ان طوق الجميل الذي طوقتوني به ما زال ولم يزل في موضع الاعزار والاكيار مني ما بقيت منذ ان بدأت مجلتكم الظاهرة « اللسان العربي » يحملها البريد الى من المغرب الاتصى تباعا ، فأنكـ — عليها ما وسعني الوقت — انهل منها وأعب ، وما ان بدأت في تصميم المجلد الثامن من المجلة حتى وجدتها غنية بمحاتها منسقة في تبويبها وعرضها للمواد ، وقد رافقني الجزء المخصص منها لاماكن البترول والجيولوجيا فلم أتمكن نفسي دون قراءته من الفهـ الى ياته فوجدهـ عمـيـمـ الفائدة لـيـ وـلـاخـوانـيـ العـامـلـيـنـ مـعـيـ فـيـ نـفـسـ المؤـسـسـةـ مماـ حـدـانـيـ انـ اـطـلـبـ الـيـكـ التـنـفـيلـ بـارـسـالـ خـمـسـ نـسـخـ مـنـ المـجـلـدـ الثـامـنـ بـاجـزـائـهـ الـثـلـاثـةـ لـكـرـةـ الـطـلـبـ عـلـيـهـ وـشـدـةـ الـحـاجـةـ الـيـهـ وبـهـذاـ تـضـيـفـونـ مـنـهـ الـىـ مـاـ سـبـقـ مـنـكـ مـنـ اـيـادـ بـيـضـاءـ وـمـائـرـ تـذـكـرـ ،ـ وـفـيـ الـخـاتـمـ لاـ يـسـعـنـيـ الاـ اـكـبـرـ فـيـكـ هـذـهـ الرـوـحـ الـوـثـابـةـ فـيـ نـشـرـ اـسـبـابـ الـثـقـافـةـ وـتـعـيـمـهاـ وـفـقـمـ الـلـهـ لـمـاـ نـفـيـهـ خـيرـ اـمـتـاـ وـرـفـعـةـ مـكـانـتـهاـ بـيـنـ الـأـمـمـ »

* وتنتقل الى الكاظمية لنلتقي مع تحية اخرى رقيقة من امين مكتبة جمعية التوجيه الاستاذ الحاج حسين الشيباني حيث يرجي منها الشكر للمكتب متقدرا الجهد المبذول لتهيئة وطبع واخراج هذه المطبوعات بشكلها المبتدىء راجيا للمكتب التوفيق في كافة اعماله ومنجزاته » .

* بمجلتكم «اللسان العربي» وذلك لما تحتوي عليه من موضوعات علمية وأدبية ممتعة وما تنس به من جدية نبيلة القصد، عظيمة الفائدة ، ولقد قدرت حق التقدير الجهد الجبار الغريدة التي يبذلها السادة أعضاء المكتب مثل هذه الحركة والحيوية التي بها يحملون».

* ونختتم جولتنا في العراق برسالة من السيد علوان كريم مني : «اطلعت على الموسوعة الكبيرة (اللسان العربي) وتفصحتها عن كتب فنالت اعجابي واكباري لما تحتويه من بحوث قيمة بأقلام كتاب أجلاء رصدوا أنفسهم لخدمة اللغة العربية وتخلصها المكتب مثل هذه الحركة والحيوية التي بها يعملون».

من دولة الكويت

* ومن الكويت الشقيقة جاءتنا هذه التحية من الاستاذ احمد عبد الفتى باعنى ، يقول فيها : «أشكر كل من شارك في تحرير «اللسان العربي» ، الفراء ، مقدراً مجهودهم الكبير ، ومساهمهم المحمود ، نفعنا الله به ، ونفع امتنا ووطاها شر الدخيل من الكلمات ، والأفكار والأحكام التي اخذت تتنفس ، وتشتري وتفتك في جسم امتنا وتراثها الاصيل ، وشرعيتها النقية البيضاء » .

* ومن الكويت كذلك وصلتنا الرسالة التالية من الاستاذ محمد حمد ابراهيم الفوزان جاء فيها : « كنت في زيارة الرباط في صيف 1970 وسمعت من صديق الطرفين السيد قاسم السادس الثناجم على جهودكم الباركة في مجال التعریب وكتبت حریصاً على التشرف بلقاءكم لولا ان اقامتي القصيرة في الرباط لم تمكني من ذلك ، وعلى كل م amatنا في المشرق العربي تتبع جهودكم الخيرة بكل اعجاب وتقدير جزاكم الله احسن الجزاء »

* ومن الكويت الشقيقة كذلك حملينا البريد هذه التحية من السيد المدير العام لغرفة تجارة وصناعة الكويت الاستاذ هيثم الملوحي جاء فيها : «أتاحت لنا احدى الزيارات لمكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت فرصة الاطلاع على بعض الماجم الصادرة عن مكتبكم الموقر ، وتتأكد لنا ان هذه المراجم تعتبر لبنة اساسية وقوية في مكتبنا العربية ومرجعاً هاماً لكل باحث »

من جمهورية السودان :

* من الخرطوم وجهينا الاستاذ يحيى محمد ابراهيم عن مدير دار الوثائق المركزية رسالة نقتطف

* وهذه رسالة أخرى من بغداد بعنوانها الباحثة مكتبة الصياد السيدة سلمى مجید حميد العبيدي تقول فيها : « فقد تصفحنا مجلة «اللسان العربي» نوجذناها زاخرة بالبحوث والمواضيع التي لا يستغني عنها أي مثقف عربي وقد زادها فخرنا أن تصدر في المغرب الأقصى لتكون جسراً يعرف ويربط بين أبناء الوطن العربي شرقه وغربه » .

* ومن بغداد كذلك وجه علينا الاستاذ مسلم حمزة مهدي الكلمة الرقيقة التالية : « لقد ملئت فرحاً عندما سمعت بصدور مجلة «اللسان العربي» حيث عثرت على هذا الكنز العظيم في كلية الآداب بجامعة بغداد ، ان لهذه المجلة الفضل الكبير في انتشار اللغة العربية خامضة في مناطق شمال افريقيا وجنوب جزيرة العرب وغيرها من اقطاع عالمنا العربي » .

* ومن سليمانية بعث علينا الاستاذ عبد الامير الورد برسالة رقيقة يقول فيها : « أحبي مجلتك المباركة «اللسان العربي» هذه المجلة الرائدة في لغة العرب في عصر أصبحت فيه احوج ما تكون الى من يشد ازهارها وهي تواجه هذا التيار الجارف من الكلمات التي تأثيرها بها الحضارة المتغيرة في العالم المحيط بها » .

* من الاستاذ الشيخ يونس السامرائي صاحب مجلة «صوت الاسلام» جاءتنا هذه التحية : « فقد تصفحت اعداداً من مجلة (اللسان العربي) فوجئت بها خير لسان يترجم لنا لغة الشاد ولغة القرآن الكريم ولا شك ان استمرار اصدارها ووصولها الى القراء سوف يعمل على توحيد اللغة الفصحى بين ابناء الوطن العربي الواحد وبعدها سوف تكون خير بشير للعربية والاسلام » .

* وهذه رسالة من الاستاذ غالب عباس جاء فيها : « لقد شدني الشوق وملاطفني الفرحة ورأودتني البشرى لهذا الامة المجيدة التي كتبت اعظم نهر للانسانية ولا زالت تبني جديداً مشيداً على ماضي تليد وذلك بفضل رعاية ابنائها الذين لا يألون جهداً في سبيل تقدمها ورقيمها ومسايرتها لركب الحضارة الجديدة بأساليب شتى منها الاعتناء باللغة لسان امة وسلحها على يد مكتب التعریب التابع لجامعة الدول العربية الذي يبذل مساعي جبارة في هذا المضمار » .

* ومن بغداد حمل علينا البريد الخطاب التالي من الاستاذ خضير مررور الجنابي : « لقد كان اعجابي كبيراً

* من نواكشوط كذلك بعث اليها السيد محمود بنعبد الوودود بر رسالة جاء فيها : « اسمحوا لي ان اعرب لكم عن اعجابي وتقديرني لما تقومون به من رعاية وتوجيه وتنسيق في سبيل رقي ونهضة اللغة العربية لتنضم مدارك الناطقين بالضاد عن طريق ما تصدرونه من قيم النشورات الممثلة في مجلتكم الفراء « اللسان العربي » .

من باكستان :

* ومن السيد سفير المملكة المغربية بباكستان والماليزيا — اسلام آباد جاءتنا التحية التالية : « لا استطيع ان اعبر لكم عن تقديرني ، واعجابي للجهود المشرفة التي تبذلونها ويتذلّلها مكتب التعريف : وهي جهود تقدر هنا عند علماء هذه البلاد وتقوم السفارة بتوزيع نشوراتكم على ذوي الاختصاص والعرفة » .

من تركيا :

* من اسطنبول حمل اليها البريد خطابا رقيتا من السيد بكر قاريليف من دار الحكمة والدعوة نقتطف منه هذه السطور : « نرجو الله عز وجل ان يوفقكم ويوافق العالم الاسلامي في نهضاته العلمية والثقافية والدينية ، نتمنى دائمًا ان نتوصل بأسفار مجلتكم ويقيمة « اللسان العربي » .

من هولندا :

* من هولندا وجه اليها السيد محمد سليماني خطابا جاء فيه : « اتنا نحاول ونعمل من اجل ادخال الكلمات المغربية الجديدة قصد تحسين لغتنا ونحن نتمنى دائمًا في هذا الصدد بمكتبكم الجليل الذي يعمل باستمرار من اجل رفع اللغة العربية الى المكانة اللائقة بها وجعلها لغة كل البالدين العلمية المعاصرة ، ونزيد فخرنا بمكتبكم عندما يطلع الاجانب على اعمالكم الجبارة فيدهشهم المستوى الذي وصلتم اليه » .

من السعودية :

* من قسم الدراسات العربية بجامعة غوثنبرغ كتب اليها الاستاذ ماروق ابو شقر يقول : « اثناء وجودي بمعهد الدراسات العربية في جامعة غوثنبرغ الملكية راجعت مكتبة هناك حيث لا تحتوي على كتب

منها هذه السطور : « ننتهز هذه الفرصة لنعرب لكم عن عظيم سرورنا بهذا المجهود الكبير الذي تقومون به لخدمة الثقافة ودعم الروابط الثقافية في الوطن العربي » .

من البحرين :

* من المنامة وجه اليها السيد جاسم محمد جاسم الدراري رسالة مطولة نقتطف منها ما يلي : « انتي اشكركم من الأعمق على هذه الجهود العظيمة التي تبذلونها سعيًا وراء نشر الثقافة وطلبًا لرفع مستوى التردد العربي العلمي وتفديته بشتى فنون العلم والأدب واطلاعه على كل ما استجد واستحدث في عالم المصطلحات واللغة » .

* وهذه تحية أخرى من البحرين كذلك وملئنا من السيد عبد الله حميد الصباح جاء فيها : « انتي من المعجبين بمجلتكم الثمينة والمشوقة وان هي الا مرجع كبير يفيد كل متعطش للعلم وطالب له ارجو لكم التوفيق في كافة مشاريعكم لخدمة الامة العربية بما تضطلعون به من اعباء » .

* من السيد سالم عبد الله سالم جاءتنا التحية التالية : « انتي لا تستطيع التعبير من عظيم امتناني لما تسدونه لابناء العرب من ايداد يضاء ناصعة مساهمة منكم في خدمة اللغة العربية ، لغة القرآن العظيم . ولست بمعذل اذا قلت انتي تعلمت الكثير من اسرار لغتنا الحبيبة من مجلتنا الفراء (اللسان العربي) أكثر مما تعلمته في دراستي الجامعية المختصة في هذا المجال ، وهذا راجع لما تحتويه مجلتكم من موضوعات حية معاصرة تجعلني مدينا لكم ومعددا لأفضالكم » .

من الجمهورية الاسلامية الموريتانية :

* من نواكشوط جاءتنا رسالة من وزارة التربية والثقافة من مفتتحية التعليم الابتدائي بالوسط الشرقي تقول : « لقد تصفحت المجلدين السابع والثامن من المجلة الدورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريف في العالم العربي ، ولا يسعنا الا ان نعبر لكم عن سرورونا وارتياحنا لهذا العمل الجليل الذي نعتبره — نحن هنا — فاتحة عهد جديد في حياتنا » .

بعد أن اطلعت على المعجم المذكور في مجلتك «اللسان العربي» كان سروري عظيمًا».

من يوغوسلافيا :

* من يوغوسلافيا وصلتنا من السيد نizar محمد سكريج التحية التالية : « لا شك انكم تعلمون بوجود عدد غير قليل من المسلمين في بلادنا لهم رغبة في التقى بالثقافة العربية الإسلامية ونحن نعتبر مجلتكم الغراء «اللسان العربي» احدى وسائل هذا التقى نظراً للدور الذي تقوم به في صالح الأمة العربية والإسلامية».

من بريطانيا :

* من قسم المعاجم الإنجليزية - العربية باكسفورد بعث اليها السيد N. S. دونيالك بالكلمة التالية : « سرني أن أسلم الأجزاء التي أرسلتكمها من مجلتكم الغراء «اللسان العربي» وبعضها خاص بالقاميس وقد أحسست بالجهود الكبير الذيبذلونه في سبيل التعریف ، تقبلوا تحية تقدير واعجاب ».

* وفي رسالة أخرى للسيد دونيالك يقول : أشارت مجلتكم اهتماماً منذ زمن بعيد ذلك لصلتها الوثيقة بعملنا في وضع المصطلح العربي - الانكليزي ولما بهمان مقالات وأبحاث لغوية قيمة ، لكم شكرنا وتقديرنا لما تقومون به من جهود في خدمة اللغة العربية وتطويرها » .

* ومن نفس القسم كتب اليها الأستاذ محمد محمد حلمي هليل خطاباً جاء فيه : « بمزيد من الغبطة تسلمت أجزاء من مجلتكم الدورية «اللسان العربي» التي يصح لنا أن ننثر بها وسرني أن اطلع عليها الزملاء المستشرقين هنا ، شكرأً جزيلاً لكـلـ يـدـ ساهمـتـ فـيـ هـذـاـ عـلـمـ الـكـبـيرـ وـلـجـهـوـدـكـمـ فـيـ خـدـمـةـ لـفـتـاـنـةـ الـحـبـيـةـ هـذـاـ وـقـدـ سـارـعـتـ بـدـرـاسـةـ الـجـزـءـ الـثـالـثـ مـنـ الـمـجـلـدـ الثـامـنـ فـازـرـتـ اـيـانـاـ بـهـذـاـ الجـهـدـ الذـيـ بـذـلـ .ـ وـقـدـ أـعـجـبـتـ جـداـ بـيـابـ «ـ قـلـ وـلـاـ تـقـلـ »ـ وـيـاـ حـبـذاـ لـوـ ظـهـرـ مـاـ جـمـعـتـوـهـ فـيـ شـكـلـ كـتـبـ اـنـ اـمـكـنـ .ـ

والجزاء التي أرسلتكمها ستبقى لنا هنا مادة غنية للقاموس الذي نعمل حالياً فيه وسأوافيكم بلاحظاتي بعد دراسة الأجزاء باذن الله .

- نشكر السيد محمد محمد حلمي هليل على عواطفه النبيلة وأما بخصوص ملحوظته حول باب «قل

كثيرة تتعلق بالدراسات العربية والاسلامية لذاك يدفعني الامل بكم والتطلع الى مساعدتكم بتزويد مكتبة المعهد بما يصدره مكتبكم بما يعطي انعكاساً ايجابياً لثروة لفتنا الواسعة من آداب وقيم علمية يستفيد منها الطالب والباحث والمستشرق وكل من يهمه الاطلاع على حضارتنا » .

من اسبانيا :

* من كلية الفلسفة والآداب في بلنسية جاءتنا رسالة من السيد المدير العام المكلف بقسم اللغة العربية يقول فيها : « لقد اطلعت على مجلتكم «اللسان العربي» موجودتها على جانب كبير من الأهمية في خدمتها للغة العربية المعاصرة »

من ايطاليا :

* من روما بعث اليها السيد عزرا هنري جورجي عن مدير مكتب الاعلام والتوثيق بمعهد الأمم المتحدة لابحاث الدفاع الاجتماعي ، كلمة رقيقة جاء فيها : « أشرف بالكتابة اليكم شاكراً على ما زودتم به مكتبنا من مطبوعاتكم القيمة التي هي ثمرة الجهود المتواصلة في سبيل تنسيق التعریف في العالم العربي. وأود أن أنقل لكم اهتمام مركتنا في روما بما تصدرون من مطبوعات خاصة مجلة «اللسان العربي» .

من فونسا :

* من السيد مدير المكتبة العربية بجامعة ليون (قسم الدراسات العربية) جاءتنا التحية التالية : « لقد وصلتنا أعداد «اللسان العربي» الغراء وانتا لنشكركم لكون هذه المجلة سوف تعمل حتى على تطوير معرفة الطلاب للغة العربية » .

من بولندا :

* من مدينة Krakow بعث اليها السيد طاهر شافي الطالب « بمتحف التعدين » فرع البترول قسم الحفر رسالة يقول فيها : « كان لي شرف عظيم بأن اطلعت على ما تنشرونه في «اللسان العربي» وبالتحديد على معجم البترول ، ان محتوياته كانت دائمة بالنسبة لي شيئاً مجهولاً ، قبل اطلاعه على هذا المعجم كنت اجهل المقابلات العربية لمعدن من المصطلحات ، ولكنني

ان مجلة «اللسان العربي» هي اليوم بمقدمة الصحف والمجلات العربية في العالم كله فإذا لم تتدارك تيار الشعر الرمزي بمقالات واضحة حرة صادقة فإنه لم ينفعها تتف لقول الكلمة الحق ، وكم اكتفى في المجلة قولها : يسرنا أن نجعل من المجلة ميدانا للنقاش العلمي الحر ، فهذا القول يشجعني لارسال مقالى هذا لها . كما اطلب أن يكون في المجلة نصيّب للشعر الكلاسيكي » .

— وبما اننا جعلنا هذا الباب من القراء واليهم ، لذا فقد نشرنا رأى الشاعر يوسف العيد في الشعر الحديث ويظل باب النقاش مفتوحا أمام القراء ، وأما بخصوص نشرنا للشعر الكلاسيكي فنحن لا نرى مائنا من ذلك غير أن معظم اهتمامنا ينصرف إلى نشر البحوث والمواضيعات اللغوية التي هي محور المجلة .

من الهند :

* من دلهمي الجديدة جاءتنا رسالة مطولة من الاستاذ عبد الحليم الندوبي رئيس القسم العربي بالجامعة المليلية الاسلامية جامعة نجر نقتطف منها ما يلى : « اسمحوا لي ان اشكركم الشكر الجليل كما ارجو ابلاغ امتناني بواسطتكم الى جامعة الدول العربية الموقرة ، لهذا الكرم والمنة التي تخصون بها طلاب العلم واللغة العربية وخاصة في بلد بعيد عن مهد المروبة — الديار الهندية — والتي ظلت تعمل جديا بكل نشاط واحلاص ، للنهوض بهذه اللغة الشريفة ونشر لوائحها في هذه الديار ، ورغم تقلبات الزمن لا تزال توجد عندنا جامعات ومعاهد عربية كبيرة تحمل مسؤولية تثقيف الجيل الناشئ ، الاسلامي بالثقافة الدينية الاسلامية العربية من ناحية ، ومن ناحية أخرى تقوم بتعليم الطلبة اللغة العربية وأدابها ، بحيث يتكونون من اتقانها قراءة وكتابة وكلاما . والى جانب هذه المعاهد والجامعات الدينية التي تضاهي بعضها جامعة التروبيين ، والجامع الازهر ، مثل دار العلوم ديوين ودار العلوم لندوة العلماء ، توجد عندنا جامعات عصرية اسلامية ايضا ، مثل الجامعة المليلية الاسلامية بدلهي الجديدة والجامعة الاسلامية بمدينة عليجرا ، والجامعة العثمانية بمدينة حيدرآباد بجنوب الهند ، التي تتولى مهمة تدريس اللغة العربية الى جانب تدريس العلوم والمواد العصرية الأخرى » .

ولا تقل » الذي يطلب منا جمعه ، ننهى اليه أننا كنا قد نشرنا كتيبا مستقلا يحمل نفس العنوان في سلسلة حملاتنا على الدخيل الاجنبي .

من الأرجنتين :

* من بيروس ايرس كتب اليها الرحالة الشاعر الاستاذ يوسف العيد رسالة مطولة جاء فيها : « ان مجلة (اللسان العربي) اليوم هي اللواء الذي يقتفي أثره الأدباء العرب وسوف يبقى خالدا لتتكلم عنهم الأجيال الآتية بالاكبار والمعظيم ، ما اجمل هذا الاسم الذي يبشر الفم ، ويرقص الأعصاب عزة بلفتنا : لغة القرآن الشريف ، وأؤكد أن المجلة ترى بعيوني كل اديب عظيمة بفayıتها وكبيرة ببحثها اللغوية وتتجدد بها كلاما خلته التطور البشري ، وتعربها لاسماء المخترعات الجديدة المستنبطة باسماء اعجمية وهي الفسالة المنشودة التي ينشدتها كل اديب عربي ، هذه جهود جبارة وخدمات جليلة للغة الضاد » .

وبعد هذه التحية يسوق صاحب الرسالة رأيا في الشعر الحديث ، ويعتب على المجلة عدم نشرها للشعر الكلاسيكي ، ويحسن ان نورد كلمته في هذا الصدد ليطلع عليه القراء : « ارى ان المجلة تهتم بنشر النثر ولا غرو فهي أنشئت لهذه الغاية ولكنها لم تهتم بنشر الشعر الكلاسيكي ولو قليلا ولا أقول الشعر الرمزي الذي اراه كرامة قائمة على ثوب أبيض ناصع خالص من الشوائب السمجة وانتم ترون ان هذا الشعر الرمزي يبرز الى ميدان الخليل بن احمد الفراهيدي على فرس ليكتب قصب السبق فيه ولكن هيهات هيهات ان ينتصر وأؤكد ان اتباع الشعر الحديث ينظمون اشعارهم وهم أنفسهم لا يفهمونها تكيف لنا ان نفهمه نحن اصحاب الاوزان الشعرية والقوافي الرنانة ، هم يقولون : ان الشعر الحديث يؤثر في تكيف التعاطف بين الجماهير والشعراء لأن الشعر الكلاسيكي متحجر ، واي عاطفة يشعر بها قارئ قصائدتهم ما دام لا يفهمها وما هي الا كالصور الرمزية التي أخذ بعض الرسامين يرسمونها وain منها صور رفائيل ودافنشي وجورجوني وتنورتيتو الخالدة المكلمة بدون لسان .

لا يحسن هولاء الشعراء الرمزيون اننا نحن الشعراء بالkläسيكية من الماحتفين المتحجرين هذا وان نعمونا بهذه النعوت فكلامهم يحول عندها ثري اشعارنا صورا خلابة جميلة رنانة كمود موزة .

ويضيف الاستاذ الندوى قائلاً : « وقد اثمرت الجهود التي بذلتها امة الاسلامية في الهند بواسطة هذه المعاهد والجامعات ، ان الهند لم تزل توجد بها نخبة مختارة من المتعلعين باللغة العربية والمملين بها ، فانجبت علماء وأدباء وشعراء ، كان لهم القدر المعلى في دنيا الأدب والفن ، تغيسن بذكرهم اقلام كبار الأدباء العرب والعلماء ، ولست مغالي اذا قلت ان التعاون الذي نحظى به من جانبكم في هذا الحقل يحفزنا الى المزيد من العمل الجدي المثمر ويشجعنا المضي قدما نحو الأمام في هذا المضمار .

وانني اذ اشكركم على حسن صنيعكم بنا هذا ، اعبر عن تقديرني للجهود الجباره التي تبذلونها نحو انماء ثروة اللغة العربية بتعريب المصطلحات الأجنبية الحديثة ، والقيام بدراسات قيمة ثمينة حول مختلف الموضوعات والمواد المتعلقة بتطور اللغة العربية وازدهارها عبر تاريخها المديد الراهن فجزاكم الله عن اللغة والعروبة خير الجزاء » .

« واللسان العربي » اذ شكر الاستاذ الندوى عن هذه المعلومات القيمة التي وافانا بها عن النشاطات العلمية والجامعية التي يضطلع بها علماء الاسلام في

الهند — والتي تنشرها تعيميا للفائدة — تمنى أن يمدها دائما بكل جديد في الموضوع .

* ومن دلمي الجديدة كذلك وجه البنا الاستاذ سيد نثار علي الأمين العام لاتحاد عمال دار الأدوية همدرد . الخطاب التالي : « يسرني أن أعرّفك بدار المطالعة التي تجري تحت اشراف — اتحاد عمال دار الأدوية — همدرد — الشهيرة الذي يبلغ عدده اعضائها إلى حوالي ألف عضو وأكثرهم ينتسبون إلى الإسلام وهم يماليون إلى قراءة الجرائد والمجلات الخاصة بالأداب واللغة والعلوم ولما وفتنا لرؤيتك مجلتكم « اللسان العربي » الموقرة وجذبناها مغيدة للغاية ومزودة بمعلومات وافية عن اللغة العربية الحبيبة ومختلف العلوم » .

* ومن ولادة كبراء جاءتنا رسالة رقيقة من الاستاذ محمد بن علي محمد يقول فيها : « لقد وجدت فرصة طيبة لرؤيتك المجلد السابع من مجلتكم الفراء » اللسان العربي » حينما قضيت مدة شهر في الجامعة العثمانية بحيدر آباد ، ولم أضع هذه الفرصة الذهبية فطالعتها صفحة صفحة بلذة واعتزاز ، وانني مومن ان هذه المجلة الجليلة تعمل على انماء ما لدينا من العلم في اللغة العربية والقرآن المجيد هنا في الهند » .

كاليفورنيا :

لفظ محرف عن لفظتين اسبانيتين معناهما الفتن الحامي ولا يبعد ان يكون ذلك عربيا : قال = قال = كاليفورنيا = القرن (الواسطة في أخبار مالطةة ص 94)

حَوْلَ ثُورَةِ التَّعْرِيبِ

للأَرْسَالِ فِي الدُّرُجَاتِ (المُوصَل)

توصيل مدير المجلة بالرسالة الآتية :

أستاذنا الجليل عبد العزيز بنعبد الله المحترم

بعد تقديم الاحترام : قرات بمحكم القيم « ثورية التعريب » وهو من أجمل ما قرأت في هذا الباب ، لما فيه من حجج دامغة ، صفتكم بها دعاء التفرقة ، وأذناب الاستعمار ، الذين تناسوا أنفسهم ، وباعوا ضمائركم ، وصاروا يواكبون كل داع إلى التفرقة والانقسام ، لقاء دريمات تلقى إليهم ، وخانوا امتهن – إن كانوا عرباً ولا أخال أنهم يمتنون إلى العروبة بسبب . وبذا لي بعض الملاحظات خلال قرائتي لهذا البحث الطريف ، أرجو أن تسمحوا لي بتقديمها اليكم ولكل مني مزيد الاحترام .

من غير أن يعلم سبب كتابته ، ومن يقرأ هذا يستفيد عكس ما أراد أن يبيّنه الكاتب ، ولا يخفى ما يحصل بهذا من ارتباك وفهم سقيم وضياع حقوق فيصبح الطالب مطليباً . وعلى هذا فمن لم يعرف قواعد اللغة العربية فإنه لا يمكن أن يكتب – بالحرف اللاتيني – لغيره ما يريد أن يقرره ، فيوقع القارئ في خطأ وارتباك .

كما أن الكتابة بالحرف اللاتيني تكون أطول مما هي في الحرف العربي ، لأن كل حركة يعبر عنها بحرف فيتضاعف عدد الحروف في الكلمة الواحدة – كما تبين لنا من الجملة السابقة – واللام تسعى في هذه الأيام إلى اختزال الكتابة ، حفظاً للوقت ، ودفعاً لسامة القارئ . والمأجورون يدعون إلى تشويه ما في لغتنا من جمال الحروف ودقة واختصار .

اللغة العربية لغة اعراش ، فاللفظ الواحد تغير حركته بالنسبة لموقعه من الكلام ، بخلاف اللغة التركية ، فهي لغة تكون الفاظها ساكنة الآخر مهما تبدل موقعها من الكلام ، فالتركي يكتب كما يلفظ ، ولا يتبع ما يكتبه على من يقرأ .

واما اللغة العربية فإنها ليست كذلك ، فإذا كتب بالحرف اللاتيني من كان جاهلاً بقواعد اللغة العربية ، فإنه يكتب كما يلفظ ، وقد يكون ما كتبه خطأ ، فيقرأ من كتب له خطأه من غير أن يشعر ، وعلى هذا فإن الأمر يتبع على القارئ ، ولربما فهم عكس ما أراد أن يعبر عنه الكاتب .

فإذا أردنا – مثلاً – أن نبين « ضرب أحمد محمدًا » وكتب من لم يحسن قواعد اللغة العربية ضرب أحمد محمد Daraba Ahmada Mohammedo .

عباداتهم ، ويتحادثون في لغته ويلفون بها مختلف الكتب ، ينظمون الشعر ويعانون الأدب ، فكانوا حماتها وعلماءها وشعراءها .

هذه اللغة التي يفخر بالحفظ عليها كل عالم يؤمن بوحدة الدين واللغة ، لا أن تكون شعوباً وقبائل ، ترقى بينما رطانة العامية ، وتجعلنا لقماً سائفة لكل ظامع .

الم يعلم هؤلاء الرجالون المضللون : أن من أسباب نهضة العرب - قبيل الإسلام - هو القضاء على اللهجات العربية التي كانت في قبائل العرب ، وإن لغة قريش كان لها الفضل في ذلك ، بأسواق الأدب التي كانت تقام وتنشد الأشعار فيها بلغة قريش ، وفي المجتمعات التي تكون في مواسم الحج والعجارة ، فإن لغة قريش كانت أجمل اللغات العربية ، سادت وانتشرت بين القبائل فكانت لغة الجزيرة العربية : لغة الشعر والخطابة والمنافرة ... الخ .

ثم نزل القرآن الكريم بها فكانت لغة الدين والعلم والأدب ، وكانت وحدة شاملة جمعت العرب ووجهتهم إلى ما فيه سعادة الدارين ، وانتشرت في اقطار الشرق والغرب .

وعلى هذا نان توحيد اللهجات العربية وذوانيها في لغة قريش كان من أقوى أسباب النهضة العربية الإسلامية . بها انزل القرآن الكريم ، وبها فصلت أحكامه ، وبها دونت العلوم والفنون والمعارف ، فكانت لغة الدين والعلم .

وان علماء الاستعمار ومن لف لفهم ، ينفحون في أبواق قد اعدها لهم غيرهم ، من أعداء العرب والإسلام ويأتون بأصوات منكرة بعيدة عن الحقيقة والواقع ، وهم يوهّمون أنفسهم بأنهم يوّقون انفاماً شجيبة تهزّ العرب ، وتفرقهم شذر مذر ، وهذا ما لا يكون ، فالحق يعلو ولا يعلى عليه ، ولللغة العربية أهل يعتزون بها ويحّمّونها ، ويركّون إلى كتاب الله العزيز الذي كان ولم يزل السنّد القوي لها في كل المصور .

فاللغة العامية لا تصمد أمام اللغة الفصحى ، خاصة كاللغة العربية الأصيلة التي قد تعهدنا أهلها ، وحرموا على تبسيطها ونشرها في اختلاف المجالات ، وجعلوها لغة العلم والأدب في المعاهد العلمية ، ولغة الصحافة والإذاعة ، فإنها على مر الأيام تقضي على الكثير من الاصطلاحات والكلمات الدخلية التي تغفلت فيها . وليس ببعيد أن نرى يوماً ما اللهجات العامية

وقد لاحظت بنفسي في عدة اجتماعات مع علماء من الآتراك ، أن الآتراك الذين كانوا يكتبون في الحرف العربي ، ثم حملوا على الكتابة بالحرف اللاتيني ، كانوا في كتابة الملاحظات وجمع المعلومات يكتبون بالحرف العربي ، وسألت بعضهم عن سبب كتابتهم بالحرف العربي في مثل هذه المناسبات ، فكان جوابهم : الاختصار ، وسألت بعض علمائهم عن سبب ترك الحرف العربي والمدخل عنده بالحرف اللاتيني ، فكانوا يظهرون الإسف ويحّمّون عن ذكر السبب .

ونحن نعلم أن الذي حمل مصطفى كمال على هذا التبدل : أنه أراد أن يقطع الصلة بينهم وبين الماضي يوم كانوا يتولون الخلافة ، ولهم زعامة العالم الإسلامي ، وحماية الحرمين الشريفين فأبعدهم عن حظيرة الإسلام وقطعهم عن ماضيه ، وصيغهم بصيغة أوربية ، وكان له ما أراد ، إنما فعل هذا لأمر سياسي ، لأن ينشيء جيلاً لا يعرف عن ماضيه شيئاً إلا ما يسيطره لـه الموجهون بالحرف اللاتيني ، بعيداً عما في تراثه من علم وأدب وفن ، لأنها صارت بعيدة عن متناولهم . فإذا ما حدثت أحدهم عما في خزانة تکبهم - التي هي مكتوبة بالحرف العربي - من علم وفن ومعرفة ، فإنهم يظهرّون استغراباً ودهشة وأسفاً ، لعدم معرفتهم مأثر آجدادهم ، كأنما حدثتهم عن أمر كان مطموراً واستظرّهم بعد بحث عنه ، وهو كذلك عندهم .

على أن التراث التركي أكثره من العرب والقرس ، ولا يقاوم التراث العربي الآخر ، في شتى العلوم والفنون والمعارف ، فهو تراث الإنسانية جمّعاً .

ودعاء هذه الحركة هم ماجوروون ، يدرسون السم في الدسم ، وهم - كما تفضّلت - يدرّسون ويخطّطون ويصمّمون ، ويحسّبون أنهم يحسّون صنباً ، وإنما هم يخبطون ويخلطون ، ويفعلون حق العلم أن عملهم باطل لا يجدي نفعاً ، تعاجه لغة لها حماتها ، ولها ركّتها القوية الذي « لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلقه تنزيل من حكيم عليم » .

وقد مر على اللغة العربية أدوار عصيبة ، كانت أشد سوءاً مما يدعون إليه هؤلاء الماجوروون ، ولكنها صمدت أمام موجات التتر والمغول وغيرهم من الأمم الأعجمية ، ثم ما لبثت أن طفت على لفتهم ، وحملت القوم على تعلمها وتدوّتها ، وأخذلوا يتفاخرون بما ينجزونه في لغة القرآن ، وهكذا خرجت ظافرة منتصرة على كل الغواة ، وصهرت لغاتهم و Merchant them ، وجعلتهم عرباً في اللغة مسلمين في الدين يتلون كتاب الله في

في اختلاف البلاد العربية قد قربت من اللغة الفصحى، وتقربت مع بعضها .

اذا رجعنا الى ما كانت عليه لهجاتنا العامية - قبل نصف قرن - وما كان فيها من رطانة والفاظ دخلة من اختلاف اللغات الاجنبية ، مما يمجها الذوق، فكنا نتكلم بها ولا نعلم معناها ، ثم ما هي عليه اليوم لهجاتنا العامية من نبذ تلك الالفاظ الدخلة والتعابير الاجنبية . ولو كلمنا احد اولادنا بما كنا نتكلم به قبل نصف قرن لاشكل عليه فهم كثير من التعابير والالفاظ التي كانت في لغتنا العامية . وكان هنا التقارب بينها وبين الفصحى بنشر اللغة وتعليمها في المعاهد المختلفة ، وتأثير الصحافة والإذاعة والتلفزيون وغير ذلك مما يذاع باللغة الفصحى .

فاللغة العربية كانت ولم تزل من اجمل اللغات وأوسعها ، لم تكن لغة العلم والفلسفة والفن والادب في الشرق والغرب !! لم يدرس بها علوم الفلسفة والطب والرياضيات في جامعات اوروبا !!

البحث (العلمي)

روي ابن الأباري (طبقات الأدباء ص 127) ان المأمون امر الفراء ان يؤلف ما يجمع به اصول النحو وما سمع من العرب وافرد له حجرة وصبر له الوراقين والمنقين لامداده ووكل به الجواري والخدم فصنف كتاب المعاني ثم خرج فاملأه على الناس .

عَنِ التَّعْرِيفِ وَقَضَائِيَّاهُ

**لِفَاعِمِ الدَّكْتُورِ أَحمدِ سَعِيدَانِ وَالْمَنْدُوبِ الْأَرْوَهِ
فِي الْمَكْتَبِ الْأَدَائِمِ لِتَسْنِيَةِ الْأَنْعَربِ.**

أَجْرِيَ الْحَدِيثُ : مُحَمَّدُ مُحَمَّدُ إِخْطَابِيُّ

الدكتور احمد سعيدان عضو اللجنة الأردنية للترجمة والنشر والتعریف ، واستاذ الرياضيات بكلية العلوم بالجامعة الأردنية ، ومندوب المكتب الدائم للتعریف في الأردن ، من الشخصيات المعروفة العاملة في الميدان العلمي العربي والتسليع اعطت نتاجا طيباً منذ تخرجه من انجلترا (قسم الرياضيات) له عدة تأليف ، كما حقق غير قليل من المخطوطات التي لها علاقة بميدان تخصصه الرياضيات ، وقد قضى نحو عشرين عاماً في السودان يدرس الرياضيات العليا ، وبمناسبة انتهاء مدة اعانته للمكتب الدائم لتنسيق التعریف حيث كان يقوم بمراجعة عامة لمعجم الرياضيات الذي كان قد اعده المكتب اجريت مع سيادته الحديث التالي :

3 - ترجمة مختارات من الكتب العلمية والتقنية الى العربية .

4 - ترجمة رواية الفكر العالمي الى العربية .

وبذل اللجنة محاولة جادة في سبيل التطور بغية ان تصبح عن قريب مجتمعاً لغويَا علمياً يساهم مع

المجتمع العربي الآخر في خدمة اللغة والفكر » .

— هل لي ان اسألكم عن رايكم في نشاط المكتب الدائم للتعریف ودوره في خدمة قضایا التعریف على ضوء ما قدمتم به طوال المدة التي قضيتموها فيه ؟

« ان ضخامة الانتاج القيم الذي صدر عن هذا المكتب وغم امكاناته المحدودة دليل على ان المكتب يومن برسالته محددة وقد عقد العزم على تاديتها ، اما عن قيمة المهمة التي يضطلع بها المكتب وهي تنسيق التعریف في الوطن العربي فيكفي ان استشهد بما حدث في السنتين الأخيرتين في الرياضيات .

— السيد الدكتور سعيدان بصفتهم عضواً في اللجنة الأردنية للترجمة والنشر والتعریف ، هل لكم ان تحدثونا عن هذه اللجنة وعن النشاطات المختلفة التي تضطلع بها ؟

« تضم هذه اللجنة في الوقت الحاضر اربعين عشر عضواً من الاردنيين ذوي الانتاج الفكري المتصل في حقول الاداب والعلوم والتقنيات واهم ما تضطلع به اللجنة في الوقت الحاضر .

1 - الحصول على نسخ من المخطوطات العربية القيمة التي لم تنشر بعد محققة تحقيقاً علمياً ، والعمل على نشرها .

2 - ترجمة ما كتب عن الفكر العربي في اللغات الفريبية وترجمة الجيد من الفكر العربي الى بعض اللغات الفريبية .

الفعالة ذات الشأن في خدمة اللغة العربية والفكر العربي » .

— علمت من خلال الكتاب الذي أصدرته لجتكم العاملة بمناسبة مرور احد عشر عاما على إنشائها ، ان علاقتها بالمكتب علاقة جد وثيقة هل لكم ان تعطونا فكرة عامة عن هذا الترابط المتنين ؟

« انشئت فكرة انشاء اللجنة الاردنية للترجمة والنشر والتعریب في الرباط ، مؤتمر التعریب الذي انعقد في الرباط سنة 1961 كان من توصياته انشاء شعبة وطنية للتعریب في كل بلد عربي تكون صلة بين هذا البلد وبين المكتب الدائم للتعریب ، على اثر ذلك اصدرت وزارة التربية والتعليم في الاردن قرارا بتأسيس اللجنة الاردنية ، وقد حافظت هذه اللجنة على اتصالها بالمكتب الدائم للتعریب منذ انشائها ، كما اوصى بذلك مؤتمر الرباط ، وان انتدابي من قبل لجنة التعریب الاردنية للعمل في المكتب ومراجعة معجم الرياضيات لشمرة من ثمار هذا الاتصال المبارك بين مكتبكم في الرباط ولجتنا في عمان » .

— تعلمون انه في نهاية العام القادم سينعقد بالجزائر الشقيقة المؤتمر الثاني للتعریب ، هل لكم ان تحدثونا عن أهمية هذا المؤتمر وعن قضية التعریب عامة ؟

« في تقديرني ان هذا المؤتمر سيكون هو موسم القفاف بالنسبة الى جهودكم طوال هذه السنين ، فانت تجمعون ، تجمعون المصطلحات العلمية بالفرنسية والانجليزية ثم تنقبون عن المقابلات العربية التي تستعملها الاوساط المختلفة في الوطن العربي المتراوحة الاطراف ، فان لم تجدوا مثيلا اقترحتم من عندكم وحسب اجهتكم وهذا كله ستصuponه امام مؤتمر الجزائر سنة 1973 املا في احد امرئين كل منهما خير : فاما ان توحد المصطلحات كلها او بعضها . وهذه خطوة في سبيل الوحدة الثقافية ذات شأن ، واما ان تتمسك اقطار بمصطلحاتها وهذا ايضا خير اذ انه ينطوي على وحدة الفهم . اذا كنا – انا وانت – نسمي هذه سبجاً فانا نستطيع ان نتفاهم عند الحديث عنها ، وكذلك نستطيع ان نتفاهم اذا علمنا انك انت تسميها لفافة واسميها أنا دخينة ! ان لم يدخل مؤتمر الجزائر الا عن تحديد المصطلحات في الاقطار العربية المختلفة حتى دون توحيدها ، كان في ذلك خير كبير .

لقد عممت اليونسكو الى تطوير الرياضيات في مرحلة الدراسة الثانوية في البلاد العربية ، فعملت على تكوين لجان محلية تتدبرس الرياضيات الحديثة ووسائل احلالها محل الرياضيات التقليدية ، ثم اعدت كتابا في الرياضيات الحديثة ثلاثة اجزاء ليكون كتاب الرياضيات المدرس في المرحلة الثانوية في العالم العربي . وضع الكتاب بالانجليزية وعهد الى لجنة الرياضيات العراقية بترجمته الى العربية ، والرياضيات الحديثة في المرحلة الثانوية تضم زهاء ثلاثمائة مصطلح حديث وضعت لها اللجنة العراقية مقابلات عربية لم ترتع لها اللجان الاخرى فكان ان قامت كل لجنة بعرض مادة الكتاب بالطريقة التي وجدتها ا اكثر ملائمة لظروفها ، وهكذا صار لكتاب اليونسكو ترجمة عراقية وآخرى كوبية وثالثة اردنية ورابعة مصرية ، هذا بالإضافة الى ان سوريا رأت ان تبدأ الرياضيات الحديثة قبل صدور كتاب اليونسكو فوضعت كتبها الخاصة بها . وربما كانت هناك ترجمات اخرى لكتاب اليونسكو لا اعرفها ، وهذه الترجمات تتفق في كثير من المقابلات العربية للمصطلحات الحديثة ولكنها تختلف في كثير منها ايضا ، فما سمعناه نحن « المجموعة » سمى في مصر « فئة » وما سمعته مصر والاردن « بال المجال » سمى في سوريا « المنطلق » ، بدل ان الرموز الرياضية نفسها قد تباينت في هذه الترجم فمن ذا الذي يتصدى لعرض هذا كله عرضا منسقا منظما كي تبقى البلاد العربية قادرة على التفاهم ذات بينما في نطاق الرياضيات ؟

— هل لي ان اعرف من سيادتكم مدى صدى المكتب في المشرق العربي ؟

« لا شك ان الذي يتأتى له ان يطلع على اي عدد من اعداد مجلتكم (اللسان العربي) الفذة ، يكبر هذا الجهد الذي تبذله في سبيل خدمة اللغة العربية ودراسة قضيتها المختلفة دراسة موضوعية هادئة بعيدة عن الانفعالات وعن تنمية المبارات ، ولكن لا اكتفى اتي طوال عملي في السنودان لم اسمع عن مكتبكم ، وقد بدأت اسمع عنه واقرأ عنه عندما عدت الى الاردن والحقت باللجنة الاردنية للتعریب . وفي رأيي انه لا يعيكم من قريب ولا من بعيد ان القلائل هم الذين يعرفون عنكم ، فانت تعلمون في صمت ولكنه صمت فعال ابلغ من الكلام ، واذا كانت القلة هي التي تعرفكم الان فان هذه القلة ستكثر ، ثم انها هي القلة

اما الحديث عن قضية التعرّيب عامّة فحدثت طوبل ذلك ان الناس اختلفوا حول هذه القضية يبيّن مؤيد ومعارض ومستهتر بها مقلل ل شأنها ، وفي تقديري ان الذي يحلل الموضوع الى عناصره الاولى لا يمكن ان يقف من التعرّيب موقف المعارض له او المستهتر به .

ان العلم ماض في سبيله سواء عربنا ام لم نعرب ، وطلاب العلم في مستوى الباحثين ماضون ايضاً في التعلم والبحث ، ولأن العلم الان يصنع في البلاد المتقدمة فلا مناص لهؤلاء الطلاب من معرفة لغة هذه البلاد كي يتسلّى لهم ما يبتغون من تعلم وبحث ، اني - شخصياً - من الداعين الى فتح كل النوافذ للتفكير العالمي وأتمنى لو علمنا ابناءنا أكثر من لغة أجنبية واحدة حتى يعمل الباحثون منهم في المستقبل على ادخال جميع ضرورات الفكر الجيد الى العالم العربي .

ولما كان الفكر الحاضر يصنع في البلاد المتقدمة - كما اسلفنا - فان مصطلحات هذا الفكر ما وضع منه وما لم يوضع هي بالبداية بلغة غير العربية ، هذه المصطلحات لا مناص للجامعيين من ابنيانها من معرفتها . وحتى هذا الحد لا يرد فكر التعرّيب ، ولكن المرء يبدأ بانتشار الحاجة الى التعرّيب في مستويين دون مستوى التخصص والبحث هما مستوى الحياة اليومية ومستوى الدراسة التي تسبق التخصص . ان بعض نتاج العلم ينزل الى الشارع ويغدو من لوازيم الحياة اليومية كالاسبرو ومثلاً والتلفزة ، ما دام الاسبرو قد عرف كدواء الصداع وما دام الناس يصابون بالصداع

فلا بد لهم من استعمال الاسبرو ومن ثم لا بد لهم من ذكره والتحدث عنه والاسبرو اسم الدواء وهو اسم لا يتغير بتغيير اللغات فلا بد من ان يستعمل بالعربية كما يستعمل بغير العربية ، لفظة اسبرو لفظة حقيقة لا يمجها ذوق العربي العادي . وليست بخفتها لفظة تلفزيون ومن ثم لا بد من تحويل طفيف في هذه اللفظة يجعلها أقرب الى جرس العربية ما دامت فرضت نفسها على حياتنا اليومية ، وهذا ما جاء بكلمة تلفزة التي فيها من عربية الجرس ما يمكننا ان نشتق منها يتلفز ومتلفز وربما غير ذلك من الاشتقات .

ان المصطلحات المستحدثة التي تفرضها الحضارة اليومية على رجل الشارع لا بد من النظر في اخضاعها للقياس العربي فان لم تتكلّل هيئه بهذا الاخضاع قام بذلك رجل الشارع نفسه ، غير ان اي هيئه تتصدّى للتعرّيب المصطلحات ينبغي ان تعلم ان القول الفصل للشارع فهو قد يستحيي ما تقول وقد لا يستحيي فيرفضه .

وال المجال الثاني والاهم الذي يلزم فيه التعرّيب هو حقل التعليم الذي يسبق مرحلة التخصص ، هذا هو التعليم الذي يميز المجموعة المتعلمة عن الاميين وانصاف المتعلمين ، وحتى يؤتي هذا التعليم ثماره ينبغي ان يكون بلغة البيت والا صار المتعلم ذا ازدواجية غريبة يبدو متعلماً في المدرسة واميًّا في الشارع ، وليس في هذا مبالغة ولكنه امر لمسنه شخصياً من خلال ممارستي الطويلة للتعليم ، ولكن الوقت لا يتسع للافاظه فيه » .

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْفُصْحَىُّ وَالْعَامِيَّةُ

(١)

للأستاذ فولكهارد فيندور

نشرت مجلة « رسالة المعلم » (العدد الثالث 1972 م) مقالاً للأستاذ فولكهارد فيندور نشره فيما يلي :

تعتبر لغة الكتابة التي لا يتكلمون بها الا في ظروف معينة ، كالخطب الملقاة في المناسبات المختلفة والبرامج الإذاعية والتلفزيونية والمسرحيات المختلفة ذلك ، ويمكن القول ، ان اللغة الفصحى لم تدخل بعد جميع مجالات الحياة بتلك الصورة التي توغلت بها اللغة العامية الى كل اوجه حياة الإنسان ، وما ادى الى توسيع الشقة بين الفصحى والعامية ، ان احدا لم يبذل جهدا يذكر من اجل التقرير بينهما ، والدليل على ذلك التطوير ، قيام دور السينما بعرض الافلام الناطقة باللغة العامية ، وتفضيل عدداً من مؤلفي المسرحيات الكتابة باللغة العامية ، بدلاً من اللغة الفصحى .. والامثلة كثيرة ومعروفة لدى الجميع .

وقد عظم شأن اللغة العامية ، الى درجة تدعى الى القلق ، اذ ان الكثيرين يحررون رسائلهم بالعامية وزحف العامية لم يتوقف في المدارس والجامعات ، بدليل ان معظم المعلمين والاساتذة يحدثون تلاميذهم وطلابهم باللغة الدارجة وليس بالفصحي كما هو المفترض .

ومن المعروف ان اللغة الالمانية الفصحى ، حديث العهد .. فهي قد نشأت في القرن السادس عشر ، عندما قام مارتين لوثر ، بترجمة الانجيل الى احدى اللهجات الالمانية المنتشرة آنذاك .

اما اللغة العربية الفصحى ، فكانت موجودة منذ زمن اطول بكثير ، صحيح ان عرب الجاهلية لم تكن لهم

اللغة العربية كائنة حي ، وهي تخضع لتغييرات شبيهة بالمراحل التي يمر بها الكائن الحي ، ومن هنا يتضح لنا ، ان الازدواجية بين لغة فصحى وبين لغة محلية ، ظاهرة تتصف بها كل لغات العالم .

وقد يبلغ البون ، بين اللغة الفصحى واللغة الدارجة مبلغاً عظيماً ، كما هو الحال في اليابان واليونان مثلاً ، وقد يكون الفرق بين الصورتين لغة الواحدة بسيطاً ، مثل الفرق بين اللغة الروسية الفصحى واللغة الروسية العامية .. وقبل الدخول في تحليل موقف العربية من هذه المشكلة، يجب الأخذ بعين الاعتبار ان الفارق بين اللغة العربية الفصحى واللغة العامية ، اي اللهجات العربية المحلية اقل منه بين اللغة الالمانية الفصحى واللهجات الالمانية المتعددة على سبيل المثال ... وهنالك من يرى المشكلة في الشكليات ويدعو الى التفريق بين « اللغة » و « اللهجة » ، باعتبار اللهجة أقرب الى اللغة الفصحى من « اللغة » العامية ، غير أنني أعتقد ان البت في الامر لا يجدي كثيراً ولا يساعد على توضيع جوهر الموضوع، فان اللغة الهولندية مثلاً مجرد لهجة العامية في نظر بعض اللغويين ، في حين يصر أهل هولندا على وجود لغة هولندية مستقلة .

وأول ما نلاحظ على الوضع اللغوي في العالم العربي ، هو وجود لهجات عربية عديدة ، يستعملها الناس في التحدث دون اللغة الفصحى . فالأخيرة

(١) نشر هذا البحث القيم ضمن نشاط المكتب الدائم لانه يعبر عن نفس الفكرة التي اوضحتها في كتاب الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله « حول تفصيغ العامية » .

الثمانية توالت على العالم العربي فترات مختلفة من الاحتلال الاجنبي . ومن الطبيعي ان الاستعمار الانجليزي والفرنسي والاطيائى لم يشجع قيام نهضة ثقافية ولغوية وبالتالي ، بل بالعكس .. لقد حاول الاجانب صرف العرب عن ثقافتهم ولغتهم وأاسوا المدارس والمعاهد المكلفة بنشر لغتهم وثقافتهم .. اضف الى ذلك ان العلوم الحديثة ومتطلبات الحياة العصرية ، هي التي سهلت سياسة الاستعمار واحتلال اللغات الاجنبية محل اللغة العربية الفصحى في التعليم العالي والثانوي على الاقل . وقد وصل الامر الى ان بعض العائلات العربية ، ارسلت ابناءها الى المدارس الاجنبية ، حيث تعلموا اللغة العربية الفصحى باعتبارها لغة أجنبية !! . ولكن لا يمكن انكار حاجة اللغة العربية الى الاستحداث من حيث المصطلحات العلمية وسهولة التعبير ومرونته حتى تستطيع ان تؤدي وظيفتها كاملا ببراعة ظروف العصر الذي نعيش فيه .. غير ان الامر بسيط والنقص المشار اليه ليس تقipa في طبيعة اللغة ، بل هو راجع الى القرون الماضية .

وقد يدعى الى الدهشة ان بعض الكتاب العرب يذهبون الى ان اللغة العربية الفصحى ، قد فرقت من مهمتها ولا يمكن الاعتماد عليها في مواجهة العصر الحديث . ومن جملة هؤلاء الاستاذ سعيد عقل ، مفكر لبنان المعاصر ، والشاعر اللبناني يوسف الخال ، وبعض الكتاب المسرحيين المصريين . فهم يقولون ان اللغة العامية اقرب الى الحياة من اللغة الفصحى . ومنهم من يكتب خليطا بين العامية والفصحي .. ومن الطريق ان محمود تيمور ، هو الآخر شعر بحيرة أمام هذه الازدواجية في اللغة ، وكتب مسرحيّة « المزيفين » مرة باللغة الفصحى ومرة اخرى باللغة العامية في انتظار رأي الجمهور .

ويطالب بعض الكتاب بضرورة « التحرر » من سيطرة اللغة الفصحى الميتة والتمسك بالعامية ، وبذل المجهود لتطويرها حتى تصبح قادرة على التعبير عن كل شيء . وهناك من ينادي بتصحيح اللغة الدارجة ورفعها الى مستوى الفصحى في حين يدعوا بعض اللغوين مثل الدكتور ابي فريحة الى تبسيط اللغة العربية الفصحى ، كحذف علامات الاعراب وترك بعض الاساليب النحوية المعقّدة .. ولن يكون مثل هذا التحرير المحاولة الاولى ، فان اللغة العربية استفادت فائدة جمة من جراء الترجمات وادخال المفردات والتركيبات اللغوية الجديدة أيام العباسين ، وقد أصبحت اللغة العربية بعد ذلك ، لغة غنية جدا ،

لغة موحدة تماما ، وصحيحا ايضا ان لغة قريش لم تتغلب على بقية اللهجات المتداولة في شبه جزيرة العرب الا بعد نزول القرآن الكريم واهتداء الناس الى الاسلام ولكن مما لا شك فيه ان الفدامى كانوا يستعملون اللغة العربية الفصحى في نظم الاشعار والقاء الخطب . ويؤمن بعض العلماء بأن اللهجات العربية نشأت عن لغة عربية موحدة ، كانت بمثابة اللغة الام ، وقد انقرضت هذه اللغة الاصلية وتفرعت الى لهجات . غير ان البعض الآخر يؤكّد ان القبائل العربية لم تتكلّم قط اللغة الفصحى طوال تاريخها العريق بل كانت تلّاحا اليها لاغراض محدودة . أي ان اللغة الفصحى كانت مصطنعة وليس ولد حياة المجتمع العربي القديم .. وما زال العلماء يختلفون حول هذه المسألة ، ولكنهم يجمعون على وجود اللهجات العربية ، الى جانب اللغة الفصحى منذ فجر التاريخ .

وقد نتجت الفتوحات العربية عن انضمام دول كبيرة الى الامبراطورية الاسلامية العربية ، كان سكانها يتكلّمون اللغات الاجنبية المعروفة في المنطقة وهي الفارسية واليونانية والقبطية . ولم يلبث ان اصطبغت اللغة العربية التي ادخلها العرب الى الاقطار المفتوحة ، باللغات المذكورة (حسب المنطقة) وبذلك تبلورت اللهجات العربية المحلية كما نعرفها اليوم ، وان طرأت عليها بعض التغييرات بمرور الزمن . ولكن اللغة العربية الفصحى لم تتم ، بل صمدت في وجه التيار الجارف للهجات العربية المختلفة . وأظن ان السبب الرئيسي في بقائها ، أنها لغة القرآن الكريم . وهذه الظاهرة الفريدة في نوعها ، لم تتمكن في التاريخ لاعظم دولة عرفها التاريخ القديم ، لم تتمكن من مقاومة اللهجات الرومانية التي حلّت محلها شيئا فشيئا .

ان اللغة العربية الفصحى لم تتم - ولكن الضعف السياسي الذي كانت تعانيه الامة العربية لمدة قرون طويلة ، اسفر ايضا عن ضعف فكري ، الامر الذي انعكس في ركود تام في حياة اللغة العربية ، لا سيما أثناء الاحتلال العثماني . وفي حين نشطت الحركة العلمية في اوروبا وتركّت آثارها في اللغات الاوروبية الحديثة التي تطورت وتمشت مع التقدم العلمي ، بات العالم العربي معزولا عن كل حركة فكرية او علمية ، ونزل مستوى اللغة بصفة عامة . وبعد انهيار الدولة

عامة وتعليم اللغة خاصة ، أجنبية كانت أم اللغة الفصحي البعيدة عن الجماهير ، تؤدي إلى تعقيد المشكلة وربطها بمواضيع سياسية واجتماعية .

وللوصول إلى وضع لغوي طبيعي تمثل في سيطرة اللغة العربية الفصحي على اللغة العامية في شتى المجالات ، يجب رسم الخطط والالتزام بها .

واعتقد أن الخطوة الأولى ، هي رفع المستوى اللغوي في المدارس بمعنى أن المعلم يجب على استعمال اللغة الفصحي فقط في حديثه مع التلاميذ . ثم لا بد من الاكتار من انتاج الافلام الناطقة باللغة الفصحي وتشجيع المؤلفين على كتابة المسرحيات بالفصحي ، وتأليف الاغاني بها أيضا .

وما لا شك فيه ، ان مثل هذا التوجيه في تعليم اللغة ، قد يترتب عليه ان يتعود الناس على الفصحي ويستعملوها في حديثهم اليومي ، لكي لا يعتبروها لغة غريبة ، وسيفقد المتكلمون بها الشعور بكونها بعيدة عنهم . وهذا طور منطقى حدث في معظم دول العالم ولا سيما في الدول الاوروبية كالمانيا وایطاليا .

ومن البديهي ان مصير اللهجات العربية ، لن يختلف عن مصير اللهجات الالمانية مثلا .. والتي فقدت اهميتها وترك الميدان للغة الفصحي التي يشا عليها كل مواطن منذ أول يوم يدخل فيه المدرسة .

اما اللغة الفصحي ، فستتكيف تدريجيا مع حياة المجتمع وتصبح مرآة صادقة لتطوره واتجاهاته وكلما انتشر استعمالها ودخلت مجالات جديدة ، اكتسبت تلك المرونة وذلك القرب من الحياة ، التي تتمتع بها جميع اللغات المتقدمة . فاللغة العربية الفصحي كثر لأهلها وليس عليهم سوى استغلال هذا الكنز خير استغلال .

كانت تستوعب جميع المعانى والافكار ، بل وقد أصبحت لغة العلم الاولى بفضل ما اضفي عليها من الوان التجديد والاثراء .

ويقول الاديب المصري الكبير طه حسين ، انه من انصار اللغة الفصحي ، لأنها قادرة على التعبير عن كل المعانى لو أحسن استعمالها . هنا بصرف النظر عن كون اللغة الفصحي ، من اهم الروابط التي تشد العرب بعضهم الى بعض . ويقول المفكر الالمانى المشهور « فيشته » : « ان اللغة اهم الروابط التي تجمع بين افراد الامة » ..

ولو عملنا على تعظيم شأن العامية في كل بلد عربي ، لاصبح التفاهم بين أبناء الامة العربية أصعب فأصعب ، ولاتجهت الثقافة العربية اتجاهات مختلفة ، ولتهدم الكيان الثقافي والحضاري العربي كله بأخطار جسيمة على آية حال ، بيد ان المسؤولين انتبهوا الى هذه الاخطار ، واذا استمر التطور التعليمي والثقافي الحالى في البلدان العربية او نشط الى طفرات ابعد ، امكن علاج ما اطلقوا عليه عدم مسايرة اللغة العربية الفصحي للعصر الحديث .. ان التطور السريع حقا ، ورفع المستوى اللغوي وهن برفع مستوى التعليم ، الامر الذي يسهل الناكمد منه بالمقارنة بين لغة المثقفين وبين لغة الفئات الاخرى من الشعوب التي لم تل قسطا كافيا من التعليم ، مع العلم ان النهوض باللغة لا يقتصر على استعمال مصطلحات جديدة فحسب ، بل يصل الى العمق اى الاحساس الفصوي كليا .

وموضوع آخر لا بد من التعرض له في هذا الصدد : يعتبر اقتصار معرفة اللغة الفصحي على قلة من الناس من العوامل الالية التي تفصل بين طبقات الشعب ، ولذلك ارى ان تعليم اللغة الفصحي ، يجب ان يشمل جميع أبناء الشعب ، فان الطبقية في التعليم

(عن صحيفة « بريد الشرق » التي تصدر في كولونيا بالمانيا الغربية - العدد 27 في تموز 1972)

معجم الطحانة والخبازة والفرانة

الدكتور سامي الدهان

نشرت مجلة « مجمع اللغة العربية » بدمشق (ج 2 م 1392 / 1972 م) كلمة حول هنا المعجم ونحن نرحب بهذه الملاحظات التي تعتبرها استدراكاً ننتظره حول كل مشروع معجم صادر عن المكتب الدائم:

وفي هذا القاموس « الصناعات الشامية » ما يخص معجم الطحانة والخبازة والفرانة ، ومفرداتها ، كما عرفها أهل الشام ، يحسن أن تذكر هنا وتضاف إلى ما عرفه أهل المغرب بالدار البيضاء مثلاً ، الطحان ، والعجان ، والمقرص من 303 ، وخاصة الكلمة الأخيرة فقد ذكرها المعجم المغربي من 362 ونقل تفسيرها عن المخصوص لابن سيده فحسب ، ونسى تعریفات القدماء لعمل أقراص الخبز مدورة مثل الكرة ثم قوراء القمر ، كما قال ابن الرومي .

3 - إن ينظر في بعض كتب الأدب والتاريخ ، فقد طبعت (1) ديوان صريح الغواني مسلم بن الوليد ، وحققت شرحه ، وجاء فيه كلمة « الملة » شرحها « الطبيخي » المغربي قال : « هو الموضع الذي يطبع فيه الخبز » وأخذ منه الخبز المولو أو المليل ، ولم يرد شيء من ذلك في - معجم مكتب التحرير - ، وكان أخرى يان ينقل هذا إليه وإن يذكر .

ولقد جاء في هذا الشرح نفسه كلمة « الفرن » وسماتها : « القوش » وفسرها بقوله : « القوش » جمع قوشة ، وهي الفرن أو التنور عند المغاربة ، وقد تلفظ بالكاف ، فيقال كوشة .

أعد المكتب الدائم لتنسيق التحرير في العالم العربي مشروع هذا المعجم بالتعاون مع أرباب الاختصاص في فنه وهو « مكتب التسويق والتتصدير بالدار البيضاء » فأحسن صنعاً ، وسد ثغرة واضحة . ولنا ملاحظة ورجاء نرجو أن يأخذ بها المكتب ، وهو لا يكفي بما فعل من خير وفيه ، وإنما يرجع النظر حين صنع قاموسه نهائياً فيضيف إليه النقاط التالية :

1 - أن يذكر كل المراجع التي اعتمد عليها في كلماته وفاظاته ، وخاصة المعاجم الفرنسية العربية ، والمعربية والفرنسية ، فقد رأينا أنه رجع كثيراً إلى قاموس Belot ، وإلى « الفرائد الدرية » لأحد الآباء اليسوعيين ، من غير أن نرى أثراً لغيرهما من المعاجم .

2 - أن ينظر في « قاموس الصناعات » المؤلف من محمد سعيد القاسمي وابنه جمال الدين القاسمي مع خليل العظم ، وقد صدر في جزأين عدد صفحاتهما 500 تقريباً ، على نفقة المدرسة العلمية للدراسات العليا في باريس سنة 1960 م وقدم له وحققه الاستاذ ظافر القاسمي .

(1) انظر شرح ديوان صريح الغواني مسلم بن الوليد ، ط. سامي الدهان ، وشرح الطبيخي ، دار المعارف بمصر 1957 ، ص 59 وحاشيتها .

وغيرها (2) ، فقد ذكر هذا القاموس من 390 : « الطحان » : من يستاجر الطواحين لأجل طحن الحنطة وخلافها من الحبوبات » ، وذكر كلمة « بوابكي » فقال: « اسم لبائع المقتنيات من قمح وذرة وشعير في مخزن كبير يسمى في أصطلاح أهل الشام « بائكة » ، والبائكة في اللغة اسم للناقة السمينة وكان هذا محل سمي بذلك لبروك البوائل فيه ، فان هذه الحبوب لا تجلب الا عليها » .

ولعل هذا كله يجمع اصطلاحات اهل المشرق الى اهل المغرب ، وتنطلق من اللفاظ العربية الموجودة عندنا ، على ترجمة ما عند الغرب في هذه الصناعات ، والله الموفق للسداد والكمال .

ومثل هذا الديوان وشروحه في اللغة العربية مما يخص الطحانة والخبازة والفرانة ، عدد غير قليل ، يحسن الرجوع اليه ، وان ينقل الى معجم مكتب التعریب .

4 - ان يرجع السادة صانعو المعجم الى قاموس دوزي ، وقد ترجمت اكثره ، وجعلت عنوانه : « فوات معاجم العرب » ، وطبع سنة 1937 في جزأين . وزوّعته على جزازات : فيه ما ذكر من صناعات الطحانة والخبازة والفرانة ، الفاظ وكلمات تقللها عن كتب التاريخ والادب ، وزاد على شروحها ، فرد اصول بعضها الى لغات قديمة افرينجية ، واضاف فوائد يحسن الأخذ بها لاكمال معجم مكتب التعریب .

5 - ان يهتم صانعو المعجم بقاموس الصناعات الشامية وغيره فيما يخص تعريف الطحان بالشام

(2) في قاموس الصناعات الشامية ص: 121 : « خباز مشترك في عرف اهل الشام ، بينه وبين الفران » وتعريف العجان عنده يضيف الى قاموس صورة لحياة اهل الشام .

التخصص :

كان التوجيه المهني معروفا عند السلف : ذكر الاصفهاني ان يوبس ابن حبيب كان يختلف الى الخليل بن احمد لتعلم العروض فصعب عليه فنصحه بتعاطي النحو حتى أصبح اماما في النحو واللغة (محاضرات الادباء ص 25) وبدا النجاري بتعلم الفقه على محمد ابن الحسن فنصحه بتعلم الحديث لانه اليق بطبعه (الزرنوجي : تعلم المعلم ص 13) .

رأي ...

نحو تفصیح العامیة فی الوطن العرّبی

الأستاذ عمر الطاهر

(دمشق)

صراع بين العامية والفصحي بالمفسوب :

تحت هذا العنوان يورد الكاتب بحثا يقول فيه ان اغلب الاصول والقواعد الاساسية مشتركة بين الفصحي والعامية المغربية حتى ما يتصل بالقلب والابدال والتسهيل والتراخي .. ومتماز بمظاهر البساطة يجعلها في بعض الاحيان أكثر ايجابا في القلب والتسهيل وهذه الظواهر لا تنفرد بها عامية اي قطر عن اخرى .

وبعد ان يعرض الباحث بعض الامثلة لاثبات ما ذهب اليه ينتقل الى القول بأنه يجب ان يعيد التاريخ نفسه في تفصیح العامية العربية وتوحیدها ويدرك بما كان عليه الحال قبل الاسلام من طبيان لهجة قريش على بقية اللهجات العربية وصياغتها في اطار واحد هو الفصحي التي نعرفها اليوم .

وفي اطار الاصول المشتركة للعامية العربية يذكر الباحث ان التأثير بين العاميات العربية كان متبادلا ، فالفنانين العرب نقلوا الكثير من كلماتهم الى شمال افريقيا الذي يتكلم اهله قدما لغة البربر ، واذا عرفنا ان هذه اللغة هي الاخري عربية اي ان البربر شعب هاجر من الجزيرة في احقب موجلة في القلم ادركنا ان اصول العاميات تعود الى اقدم العصور فالفنانين الذين اثروا في العاميات العربية وشعوب الشرق القديم كان لهم ابلغ الاثر في لهجات الجناح

نشرت جريدة «النورة» (دمشق) في عددها الصادر بتاريخ 9 / 9 / 1972 ، تعليقا للاستاذ عمر الطاهر على كتاب : «نحو تفصیح العامية فی الوطن العرّبی» جاء فيه :

اصدر المكتب الدائم لتنسيق التعریب في الوطن العربي التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الكراس رقم 16 من السلسلة التي اخذت في اصدارها منذ سنوات وقد خصص هذا الكراس لبحث قام به الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله حول العاميات العربية وجزورها المشتركة ، وللاستاذ عبد العزيز بنعبد الله اعمال جيدة في هذا المجال لا زال يواصلها منذ سنوات طويلة فقد ألف كتابا بعنوان (الاصول العربية والاجنبية للعامية المغربية) ودراسات مقارنة حول عاميات اقطار عربية عديدة وخاصة سوريا ولبنان ومصر والكويت والخليج العربي والمغرب .

يقول الاستاذ بنعبد الله في مقدمة بحثه المشار إليه سالفا انها محاولة اولى نرجو ان تكون قد اسهمنا بها في اقامة هيكل واضح لبيان مدى تقارب العاميات في الوطن العربي اعتبارا لاصولها الفصحي وما نراه من امكانيات تفصیح هذه العاميات حتى تصبح لغة الحديث في الوطن العربي موحدة اقرب الى الفصحي منها الى اللهجات الاقليمية الكثيرة التحرير .

للوصول الى اللغة العربية الواحدة على مستوى المخاطبة ولا يسع القارئ رغم تسلیمه بالکثير مما ذهب اليه الباحث لا يسعه الا ان يسأل لماذا يذهب الكاتب بعد هذه الرؤية الجديدة للموضوع الى مناقشة القضايا من خلال انعکاس الواقع السياسي عليها فتراء يضع عامية مغربية وآخرى سورية وثالثة لبنانية .. والواقع انه ليس هناك شيء يمكن ان يسمى بذلك هناك لهجات مختلفة في احياء شتى من الوطن العربي يزداد التشابه بينها ويقل تبعاً للموقع الجغرافي رغم الاصول المشتركة وهي لا تتبع في توزيعها بحال من الاحوال التقسيم السياسي او الحال منه على الاقل واذا كانت ضرورة تقسيم البحث هي التي الحال الباحث الى هذا الاسلوب فهو أمر مقبول ، اما اذا كان الاقرار بالاقليمية وراء ذلك فان المنتطق الجيد عنده يفدو منطويها على ضده انها دعوة جديدة في سبيل مراجعة تراثنا اللغوي لا يسعنا رغم كل شيء الا التحمس لها ، فمن خلال البحث وحده نستطيع ان نتبين الفث من السعین وهي خطوة متقدمة في سبيل صقل اهم مقومات شخصيتنا وان كانت بعض المفاهيم المغلوطة تخالطها ولكن للكاتب عذرها رغم ذلك .

الغربي من الوطن العربي ، ان الاصول المشتركة للعاميات العربية لا تعود فقط الى هذه الاصول ، انها استمرت عبر التاريخ تتغذى من مصادر مشابهة او تنقل الاثر الى بعضها ، ويشهد على ذلك وجود كلمات فارسية في العامية المغربية تسربت اليها عبر الاحتلال عامية الاندلس التي نقلتها من عاميات الشام والخليل ان هذه الاصول المشتركة وهذا التلاقي الدائم يسّن العاميات العربية الذي تجلّى مرة اخرى في الكلمات التي أدخلت الى لغتنا من الفرنسية والاسبانية والتركية والانكليزية يحتم ضرورة السعي الى تقبیل هذه العاميات بفتحة الوصول الى عامية صافية تكون اقرب شيء الى الفصحى وفي نفس الحين لغة المخاطبة اليومية وهذا العمل هو السبيل الوحيد للرد على دعاوى الاقليمية اللغوية بعد ان ثبت لدينا ان الاصول المشتركة لهذه العاميات أقوى من كل مظاهر الاختلال .

ويستند الباحث رؤيته للامور بمجموعة كبيرة من الكلمات التي ثبت هذه الاصول المشتركة ويقوم بتحليل تاريخي لظهور العامية في الوطن العربي ويخلص الى دعوته السالفة بضرورة تقبیل هذه العاميات سعيا

تعليق على موضوع : التطور اللغوي ونشوء اللغة

« ان تاريخ النشوء » وينتهي بـ « متصرفه
وغير متصرفه »

قارن العنوان الذي يلي ما سبق : « دور المقطع
البسيط » عند نور الدين مع عنوان : « دور
المقطع البسيط » من 46 – 48 عند العلاليي ،
وستجد ان كلا منها يبدأ بـ : « ان لبحث
الانسان الفطري » وينتهي بـ « ثمانية وعشرون
حرباً »

قارن ما جاء في الفقرة التي تلي « دور المقطع
البسيط » عند نور الدين مع « دور المقطعين »
من 49 – 51 عند العلاليي .

قارن ما جاء في الفقرة الاولى من 30 عند نور
الدين بما جاء من 52 بعنوان « دور المقطع عند
العلاليل » .

قارن ما جاء في الفقرة : « معاني الحروف
العزبية » ، عند نور الدين بما جاء من 71 في كتاب
العلاليل بعنوان : « المعاني التركيبية »

قارن العنوان : « التطور في اللهجات » عند نور
الدين من 132 بما جاء من 76 في كتاب العلاليل
قارن العنوان « الدورة اللغوية الطويلة » عند
نور الدين من 133 بعنوان من 83 من
كتاب العلاليل

توصلنا من الاستاذ زهير علاف من الجزائر
برسالة تتعلق بأحد البحوث المنشورة في المجلد الثامن
من « اللسان العربي » الجزء الاول تحت عنوان :
« التطور اللغوي ونشوء العربية » للأستاذ محمد
يوسف نور الدين من 127 ، ويقول : ان الدهشة قد
اصابتني وهو يطالع هذا البحث اذ انه كان قد سبق له
ان اطلع على كتاب تهذيب المقدمة اللغوية لعبد الله
العلاليل بتقديم الدكتور اسعد علي ، فاذا به يكتشفان
البحث الذي نشر في « اللسان » منقل بمعناوينه وعباراته
ومفرداته من كتاب الاستاذ العلاليل ، اللهم الا بعض
العبارات التي حاول الكاتب ان يحررها مثل قوله
خلامة التول بدلاً من الخلامنة عند العلاليل ، ويشير
على القراء بأن يضعوا الكتاب المذكور بجانب بحث
الاستاذ نور الدين ويقدروا مقارنات بين البحرين
مشيراً الى عدد غير قليل من ارقام الصفحات التي
يؤكد فيها صدق دعواه ، وهذه بعض الارقام التي
ساقها في الرسالة :

— قارن ما بين عنوان « العربية واللغات الأخرى »
من 128 عند نور الدين ، مع عنوان « العربية
واللغات » من 41 – 43 عند العلاليل .

— قارن عنوان « أدوار اللغات ونشوء العربية »
من 128 في (اللسان) عند نور الدين مع عنوان
« أدوار اللغات ونشوء العربية » عند العلاليل
من 44 – 45 ، ستجد ان كلا منها يبدأ بـ

- تارن « التقطيع في اللغة العربية وأهداف التقطيع » عند نور الدين من 138 — 139 بـ « التقطيع الجديد » من 119 — 123 عند العلالي .

— تارن « دواء العربية وأدواؤها » عند نور الدين من 139 — 142 بنفس العنوان عند العلالي بين ص 193 — 241 .

— تارن : « اللغة العربية غاية لا وسيلة » عند نور الدين من 142 بنفس العنوان عند العلالي من 242 وما بعدها .

— تارن العنوان : « الاسباب التي حفظت الاثيريات عند نور الدين من 134 بما جاء عند العلالي من 87 بعنوان : « مع الاسباب التي حفظت الاثيريات » .

— تارن « التطور في اللغة » عند نور الدين من 136 بنفس العنوان من 106 عند العلالي .

— تارن « تطور الاعلال » عند نور الدين من 136 بنفس العنوان من 106

الجمهوري (المجلس) :

ذكر المناوي في طبقاته نقلًا عن الشيخ محمد بن عبد الكريم بن الكمارد أنه قال تكلم علينا يوماً الشيخ الصالح الولي أبو عثمان سعيد الصفروي رضي الله عنه في مجلسه الجمهوري فقال الفخ ..

— وأشار ابن عبد الملك في الذيل والتكلمة (س 5 ق 2 ص 632) في ترجمة ابن خليل الشاعر الخطيب أنه كان «يرتجل الخطيب البليفة بين يدي الملوك وفي المعاشر (الجمهوريات) تنبئها على المصالح وحضا على ما فيه سداد الأحوال».

الجمهوري نبيذ العتب (النهائي) وذلك لأن جمهور الناس يستعملونه وفي الجامع الجمهوري ما يقى نصفه من عصير العتب بعد طبخه.

عِيْنَةُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ .. وَبِرَهَانِ الَّذِينَ يَشْكُونَ

لِلْأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ قَلْبَىٰ

نشرت صحيفة «الصباح» بتونس المقال الآتي حول نشاط المكتب الدائم
وهو مقال غير مكتبه بما لا يستحقه من تنويعه:

من لا يلين الا بالنار الحامية .. كالحديد ! وقضية التعرّيب ، مثل كل القضايا الروحانية السامية ، تجف كالهيكل الجامد ، ان لم ينفع فيها العربي من روحه .
كنت اؤمن كفيري من انصار هذه القضية بأن التعرّيب ضرورة ممكّنة .. لكنني كنت اشك في وجود اناس قادرین على القيام بالعمل الشاق الطويل النفس الذي يشتّرطه انجاز مثل هذا المشروع الضخم ، اذ لا يكفي ان نريد .. ولا بد من ان نستطيع وكان وما يزال انصار «اللاتعرّيب» يتکثرون على هذا الخلل الظاهري بين ارادتنا وقدرتنا ليطلقوا فقهائهم عالية .. قبيحة ! وكان ينقصنا البرهان لنطمئن ضحكاتهم ونبطل تصوراتهم .
قلت كان ينقصنا «البرهان» لكن ليست تلك الحقيقة وانما اقتصر الحظ على اعطائه لاقليّة قليلة منتشرة في اتجاه العالم العربي كلّه .

الدراسات والابحاث والمعاجم التي أصدرها الى حد الان المكتب الدائم لتنسيق التعرّيب في الوطن العربي - والتي اطّلعت على عينة واحدة منها - تشكّل برهاناً قاطعاً لا فقط على قدرة اللغة العربية على مسايرة العصر وانما ايضاً على قدرة محبيها الاولئاء لها على الحالها برک اللغات المتقدمة الاخرى لا شيء يقف دون التعرّيب ان وقفت له الكفاءات وتضافت في كل البلدان العربية لا العبارات التقنية المعقدة ولا المعاني الجديدة المجردة .

يحتوي الجزء الثاني وحده - لأن المجلد التاسع للمجلة صدر في جزئين - على تراة 700 صفحة فهو يشمل معجماً ضافياً حول أسماء الملابس عند العرب

لم اخلص الى حد الان من التأثير البالغ الذي تركه في نفسي الاطلاع على المجلد التاسع لمجلة «اللسان العربي» التي يعدها ويصدرها «المكتب الدائم لتنسيق التعرّيب في الوطن العربي» لم اخلص من ذلك التأثير ولا اظن انى سأتخلص منه في يوم من الايام ... شد ما تأثرت !

اعرف كفيري من الناس ان الدول العربية احدثت مكتبًا للإشراف على حركة التعرّيب بالعالم العربي ، وسمعت كفيري عن اخبار هذا المكتب وعن منشوراته ومعاجمه ودراساته ومشاريعه ، بل انى منذ بضعة أشهر اجريت «للسّابا» حديثاً مع السيد عبد العزيز بنعبد الله مدير المكتب أثناء زيارته قام بها الى تونس ، فقال لي الخير الكبير - بكل تواضع - عن أعمال مكتبه ، فصدقته ولكنني لم اتأثر .. حتى اطّلعت ! لانني فقدت الثقة بصفة عامة بالتنمية الدائمة .. خاصة في بلداننا «الماطافية» .

ومنذ ايام حمل لي البريد طرداً ثقيلاً يزن حوالي كيلوغرامين او اكثر .. فوجئت به لانني لاول مرة ارى شكل عمل مكتب تنسيق التعرّيب ولونه وأنفه مخصوص به ، وبعد القاء النّظرة الاولى لم اتمالك من القيام بجولة عبر مكاتب الزملاء بالجريدة لاطلعهم على «التحفة» التي نزلت علي من السماء وشاطروني تأثيري واعجابي .

معدرة لدى الدين يؤمنون بضرورة «الموضوعية الباردة» في كل الامور والظروف ، ان انا ابديت حماسا قد يبدو لهم عاطفياً اكثر منه عقلانياً ، لكنني بعد الاعتذار لن اطفئ نار تحمسي وعاطفي قمني الامور

ويوزعه من مطبوعات ولا سيما مجلة «اللسان العربي» فبلغت هذه الطلبات حدا جعل المسؤولين عن المكتب لا يستطيعون التلبية ولا رد الجواب نظراً لامكانيات المادية المحدودة ..

فمعذرة لمراسلينا وقرائنا الأفاضل » .

وفي الجانب الداخلي من غلاف المجلة قرات : « طبع من هذا العدد سبعة الاف نسخة وزعت مجاناً وتحت ذلك « البيع ممنوع » .

وأتساءل ما هو وزن 7 الاف عربي - كلهم بدون شك مؤمنون بقضية العرب - ليس من الاكيد ان يطلع جميع الناس على المراحل الشاسعة التي قطعها قضية العرب على يد نخبة من العلماء العرب ... في طريق التقدم .. العربي !

ليس الشر في الشر فقط .. وإنما هو أيضاً في الامساك عن عمل الخير ، ومن الجرم ان تشجع بصمتنا الصالحين على مواصلة السير في طريق الفساد .

ان الم افهم ولن افهم عبارة « الامكانيات المحدودة » الواردة في مذكرة المجلة ، الامكانيات تصبح غير محدودة في نظرى لما يتعلق الامر بقضية مصر امة كاملة تطمح للحضارة .

وان كانت امكانيات الدول العربية كلها لا تساعد الا على طبع 7 الاف نسخة من مجلة «اللسان العربي» فاني متيقن من ان امكانيات الانفراد « المحدودة » هي امكانيات محظي العربية - ستصبح غير محدودة ان سمح لهم المكتب الدائم بالمساهمة في عمله الجليل بدفع ثمن يغطي تكاليفه عن كل مجلة يصدرها ، ربما هذه الامكانيات متوقفة ايضاً على قرار الدول الاعضاء في الجامعة العربية ..

لكن ، ان رفضت هذا وذاك ، ان رفضت وضع لا امكانيات الكافية تحت طلب المكتب ، ورفضت في نفس الوقت السماح له ببيع منشوراته لتغطية التكاليف لا للمتاجرة .. وهذا ربما يعني الشيء الكثير .. الذي نمتنع عن فهمه .

كل هذه افتراضات وتساؤلات ونأمل ان نحصل قريباً بوضوح حول سبب هذا « التواضع » المدهش من المكتب الدائم .

أختم هذا المقال بالتنويه بجهودات المكتب ومسؤوليه وكافة الخبراء المساهمين في اعماله .. لكن يبدو لي ان اصدق شكر في هذا العصر الذي كثرت فيه عبارات الشكر ونفذت هو الامساك من الشكر ... وترك العاملين يعملون !

وآخرى حول الغابات والتغذية الحراجية واستخدام منتجاتها وعلم الاحراج والقطل والحراثة والنقل والهندسة الحراجية والاضرار لمحة بالغابات وواقيتها الخ ..

ويحتوى معجماً ثانياً خاصاً بالطيران المدني (50 صفحة) ومعجم مصطلحات المؤتمرات ومعجم المصطلحات السلكية واللاسلكية ، ومعجم المصطلحات الكهربائية الالكترونية والمصطلحات الاعلامية ومعجم المعانى للعظم والمدم ومعجم الحشرات .

كما يحتوى هذا الجزء الثاني على دراسات حول المصطلحات العلمية وتطور اللغة ، ونظام التصنيف العشري لاسفورد ومقال حول تفصيح العامية في الوطن العربي .

واما الجزء الاول من المجلد التاسع لمجلة «اللسان العربي» فقد خصص لنشر دراسات مختلفة عديدة حول اللغة العربية والتعريب ، واذكر من بينها دراسات لغوية حول معركة العربية في الجزائر ، والعوامل الطارئة على اللغة والاضداد في اللغة ، والكاف التمثيلية ومعاجم الابنية في اللغة العربية وتاريخ المعجم العسكري وتشمل الابحاث المختلفة مقالات تتعلق بالاصالة والتجديد في اللغة العربية ، واسماء الاعلام العربية واللغة العربية والبحوث الاقتصادية ، وحروف عربية جديدة ، وخصص القسم الثاني لنشر « المقولات العشرين » للعلامة الشيخ محمد الحسني البليدي وهو مخطوط نادر بخط المؤلف نفسه ، ثم لالفاظ الحضارة لعام 1971 وعدة دراسات أخرى .

هذه عينة واحدة من الاعمال الجبارات التي قام بها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي واعتقد ، بل اجزم اطلاقاً ، ان كل من يشك الى الان في امكانية التعريب في هذا العصر سيلقي عنه الشك بعيداً - ان لم يكن متعصباً حتى للخطأ - بعد مجرد تصفح مجلة «اللسان العربي» واعتقد بل اجزم ان مصلحة الغابات مثلاً او مصالح الطيران المدني او بعض اصناف الاطباء يمكنهم بعد دراسة المجلد التاسع فقط دراسة جدية ان ينطقوا بكل ما في ادفهم من علم ومعرفة بلغة امهم وأبيهم قبل اية لغة اجنبية .

لكن ! .. نعم هناك لكن ! وجدت داخل المجلة ورقة صغيرة كتب عليها ما يلى :

« لقد تكاثرت الطلبات الواردة يومياً على المكتب من الوطن العربي وغيره ، من اجل الحصول على ما يصدره

رجايل هجولون وراء مشروع عظيم

1970 - 1971 . ثم انتقل الكاتب الى الحديث عن المسابقات العلمية التي يجريها المكتب بين الباحثين العرب منذ اواخر عام 1969 حتى شرع المكتب في تنظيم مسابقات سنوية يوزع فيها جوائز باسم كل دولة عربية وذلك في موضوع يتصل باختصاصات المكتب وهو تقديم مخطوط قديم او بحث حول اللغة العربية وتحصص لذلك جائزة مالية قدرها خمسة آلاف درهم او ما يقابلها في العملات الأجنبية » .

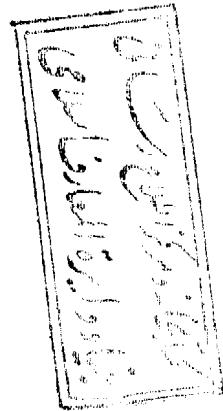
ثم قال الكاتب الفاضل : « هذا بعض نشاط المكتب الرائع والذى يقدم للغربية خدمات جلى لا تنسى ، كل ذلك بمعهدة مديره العلامة الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الذى دأب منذ حوالي ثمانى سنوات على العمل والصبر والاستمرار حتى وصل بالكتب الى ما وصل اليه من دقة فى العمل وروعته فى التنظيم لخدمة اللغة العربية وجعلها لغة المقرب الاولى بعد ان كاد ابناء المغرب ينسون لغة الآباء والجدود . ولم تقتصر الاستفادة من منجزات هذا المكتب على ابناء المشرق حتى ان المكتب أصبح حجة للمعنيين باللغة العربية مشرقا ومغربا »

وقال : « وهذه الكلمة العجلى ، تحية فخر واعتزاز لهؤلاء الرجال الذين يقفون وراء هذا العمل الجليل من أجل مجد لفتنا العزيزة الأصيلة » .

نشرت جريدة « المدينة المنورة » فى عددها 2531 مقالا تحدثت فيه عن المكتب الدائم لتنسيق التعريب وعن مختلف نشاطاته فقالت : « يشرف على هذا المكتب العلامة عبد العزيز بنعبد الله . وهو فى نفس الوقت المدير المسؤول ورئيس تحرير مجلة « اللسان العربي » التى تصدر دوريا وتعنى بالباحثات اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب ، والنشاط الذى يقوم به هذا المكتب يكاد يساوى نشاط المجامع اللغوية فى البلاد العربية بل ان الفائدة منه أميز وأبرز بسبب التبسيط الذى يتبعه من اجل نشر البحوث اللغوية وجعلها فى متناول كل يد » .

اما من مجلة « اللسان العربي » قال كاتب المقال : « لقد اطلعت على مجلدها الثامن فى اجزاءه الثلاثة وهى اهم ما يصدر عن هذا المكتب . ففيها يلتقي علماء اللغة العرب من كل حدب وصوب وفيها يقرأ الانسان كل ما يتعلق باللغة العربية حتى لكانها تكفيه موقنة البحث عن مصادر اخرى » .

وبعد ان اشار الكاتب الى مؤتمر التعريب الاول الذى انعقد في الرباط فى ابريل 1961 والذى انشق عنه المكتب الدائم وبعد ما اشار الى الاهداف التى قام من اجلها المكتب انتقل الى تلخيص اهم منجزات السنوات التراوحة بين 1962 - 1965 و 1966 و 1970 ، ثم اشار بعد ذلك الى برامج المكتب لسنة



تعقيب على نسبة أبيات

الأستاذ حبيب علي الرّاوي

تال : فارسلها الذي اشتراها وارسل معها
أربعين مثقالا »

ومن الكتاب المعاصرين الذين أوردوا هذه الحكاية
الأستاذ أحمد أمين في كتابه « ظهر الإسلام » (ج 1
س 117 - 118) وقد أوردها على الوجه التالي :

« وهذا أبو علي القالي البغدادي ضاقت به
الحال قبل ان يرحل الى الاندلس حتى اضطر الى بيع
كتبه وهي اعز شيء عنده فباع نسخة من كتاب
« الجمهرة » وكان كلنا بها فاشتراها الشريف المرتضى
نوجد عليها بخط أبي علي :

أنست بها عشرين عاما وبعثتها الابيات

ولم يشر الاستاذ أحمد أمين الى المصدر الذي
اعتمد عليه

وقد علق الدكتور مصطفى جواد على ذلك في
المقدمة التي وضعها لكتاب « تكملة اكمال الامال في
الانساب والاسماء والألقاب » لابن الصابوني ، الذي
حققه الدكتور مصطفى ونشره المجمع العلمي العراقي
عام 1377 هـ - 1957 م فقال :

« وهذا الاستاذ العالم احمد أمين المصري يقول :
وهذا أبو علي ... الخ ... ويذكر نص ما ورد في كتاب
ظهر الإسلام للأستاذ احمد أمين ويعقب على ذلك
بقوله : « وقد تصحف على هذا العالم الفاضل
« القالي » بالفاء فصار « القالي » ولما وترف ذهنه انه

اطلعت مؤخرًا على الجزء الاول من المجلد الثامن
للمجلة « اللسان العربي » وكان ضمن موضوعاته
« ابن خالوية اللغوي ونسبة كتاب « الحجة اليه »
(ص 502) بقلم عبد العال سالم مكرم الاستاذ بجامعة
الكويت ، وفي معرض الحديث عن مكانة ابن خالوية
اللغوية ، أشار الكاتب الفاضل ، الى ان ابن دريد
مؤلف كتاب « الجمهرة » كان من بين تلاميذه ،
وللتدليل على أهمية كتاب « الجمهرة » أورد الحكاية
التالية اعتقادا على المزهر للسيوطى 1 - 95 :

« نأبوا علي القالي كان يملك نسخة من الجمهرة
بخطي مؤلفها ، وكان قد أعطى بها ثلثمائة مثقال نأبى ،
فأشتقت به الحاجة ، فباعها باربعين مثقالا وكتب
عليها :

أنست بها عشرين عاما وبعثها
وقد طال شوقي بعدها وحنيني
وما كان ظني انتهى سابيعها
ولو خلدتني في السجون ديونني
ولكن بعجز وافتقار وصبية
صفار عليهم تستهل شؤونني

قتل ولم املك سوابق عبرة
مقالة شکوى الفؤاد حزین :
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك
كرائم من رب بمن شفرين

التالي ، أضاف اليه البغدادي ، وزخرف الحكایة بقوله « قبل ان يرحل الى الاندلس ، ولم يحل في ذلك على كتاب من كتب الادب والتاريخ ، ولو علم ان صاحب القصة والابيات هو « الفالی » ما وهم ذلك الوهم المستعظام على مثله ، المستغرب وجوده في كتابه ، ولو درى انه ابو الحسن لا ابو الحسن على لتريرث في الاتمام عليه » .

وقبل مناقشة صحة هذه القصة والابيات الواردة فيها لابد لنا من الرجوع الى المصادر القديمة التي اعتمد عليها اولئك الكتاب الاناضل الذين نظرقوا الى هذا الموضوع فالدكتور مصطفى جواد يستند في قوله الى ما اوردته باقوت في « معجم الابياء » وابن خلكان في « وفيات الاعيان » ففي الجزء الخامس ص 82 - 83 من « معجم الابياء » ورد في ترجمة علي بن احمد ابن سلك الفالی « باللغاء » نسبة الى بلدة « فاله » توله « وحدث ابو زكريا التبريزی قال : رأيت نسخة بكتاب الجمهرة لابن دريد باعها ابو الحسن الفالی بخمسة دنانير من القاضي ابي بكر بن بدبل التبريري وحملها الى تبريز ، فنفتئت انا منها نسخة فوجدت في بعض المجلدات رقعة بخط الفالی فيها :

انست بها عشرين حولا وبعثها ... الابيات

ماريت القاضي ابا بكر الرقة والابيات متوجع وقال لو رأيتها لرددتها اليه وكان الفالی قد مات : ويشير المؤلف الى ان البيت الاخير « وقد تخراج الحاجات يا أم مالك ... » منسوب لاحد الاعراب قاله في بعض المناسبات ثم يورد الدكتور مصطفى الحكایة بصورة تختلف بعض الاختلاف نقلًا عن ابن خلكان « وفيات الاعيان ج 1 ص 366 - طبعة بلد المعم » فيقول :

« وحكى الخطيب ابو زكريا يحيى بن عيسى التبريري اللغوي ان ابا الحسن علي بن سلك (الفالی) الاديب كان له نسخة من كتاب « الجمهرة » لابن دريد في غاية الجودة مدعنته الحاجة الى بيعها فباعهما فاشتراها الشريف المرتضى ابو القاسم المذكور بستين دينارا فتصفحتها فوجدت ابياتا بخط بائعها ابي الحسن المذكور ، والابيات قوله :

انست بها عشرين عاما ويعتها ... الابيات
وقيل ان المرتضى رد الجمهرة الى صاحبها
والله اعلم »

ويلاحظ ان السيوطي (- 911 هـ) قد استند في روايته التي اوردتها في المزهر على الفيروزابادي - 817 هـ) حيث يقول « وجدت هذه الحكایة مكتوبة بخط مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس على ظهر نسخة من كتاب العباب للصفالی ونقله عنه تلميذه ابو حامد محمد بن الضياء الحنفي ونقلتها من خطه » (انظر المزهر ج 1 ص 95)

ولعل ياتوت الحموي هو اقدم المؤرخين الذين ذكروا هذه القصة والابيات (- 626 هـ) ومن بعده كان ابن خلكان (- 681 هـ) ، واذا علمنا ان ابا الحسن الفالی توفى سنة 488 بينما كانت وفاة ابى على التالي سنة 356 هـ وان الشريف المرتضى كانت وفاته سنة 436 هـ نلاحظ ان هذا الاخير كان معاصرًا لابى الحسن الفالی ، كما ان احدا من المؤرخين لسم ينسب هذه الابيات او بعضها الى ابى على التالي الذي ارتحل الى الاندلس وهو في الخامسة والعشرين من عمره وقبل ان تمسه الحاجة او العوز ، وهناك لقى كل اكرام وحفاوة ، وقيل انه استدعي من قبل الخليفة الاندلسي آنذاك (انظر مقدمة عبد الجواد الاصمعي لكتاب الامالي) .

ومن هنا نرجح ان تكون نسبة هذه الابيات الى ابى الحسن الفالی ، كما ذهب اليه الدكتور مصطفى جواد ، ولكننا لا نوافقه على ان الاستاذ احمد امين مسؤول عنها في هذه القصة والابيات من التصحيف ، بل ان الذين حققوا كتاب « المزهر » للسيوطى وكذلك الناسخون لهذا الكتاب هم الذين وقع لهم التصحيف في المسألة ، ولا يشارکهم السيوطى في هذا السهو لأن في احد كتبه « بفتح الوعاء » ج 1 ص 78 المطبوع سنة 1384 هـ قد وردت هذه القصة بما فيها من ابيات منسوبة الى ابى الحسن الفالی لا الى ابى على التالي ، هذا وسبحان من لا يسمو ولا يجوز عليه الخطأ .

تراجم الكتاب والباحثين

في مجلـة اللسان العربي

نقدم لقراتنا الأعزاء بعض تراجم كتابنا الكرام (1)، الذين واصلوا مع المجلة، رحلة البحث والعمل الموصولين، منذ صدور أول عدد منها عام 1964، فمنذ ذلك «اللسان العربي» تسرّر صفحاتها لقلم كل كاتب جاد، وباحت مجتهد، ومعجمي مثابر، توافتة — على الدوام — إلى الأحسن والأفضل بغية اطراد التطور، إيماناً منها بالرسالة الخالدة التي أنيطت بها إلا وهي رفعة اللسان العربي وأحلاله المكانة اللائقة به كلسان حي طبع عريق، وهي — في الواقع — رسالة جد خطيرة ما دامت تتعلق باللغة، واللغة هي روح كل أمة وقوام كيانها ومحور تاريخها وتراثها وأصالتها. لهذا السبب ولغيره التفت حول المجلة صفة متازة من الكتاب ينتهيون إلى بلاد مختلفة، آمنوا جميعاً برسالتها السامية هذه، التي ما فتئ اهتمامهم بها يتضاعف، وآيمانهم بها يزيد.

وحيثما جمعت المجلة بين هؤلاء الكتاب في مجلد واحد فإنما كانت تهدف إلى:

- رسم صورة موجزة وواضحة لحياتهم العلمية والفكريّة ..
- التعريف بهم وبنتاجاتهم، ومدى اسهام كل منهم في ميدان تخصصه.
- التقرير فيما بينهم، وتوثيق عرى الأخاء والتعاون بينهم، كاسرة واحدة يجمعها الاسم الخالد الا وهو: «اللسان العربي».
- تيسير أمر معرفة كل ما يتعلق بهم، وبنتاجهم على القراء والطلاب والباحثين ... الخ
- جمعهم على صعيد واحد، كجبل اضطلع بمهمة شبّاقة الا وهي دراسة اللغة وكل ما يتعلق بها، تعريفها، وتنقيتها، وبحثها وتطويرها.
- اسهاماً منا في إيجاد بيليوغرافية عربية، لكتاب العرب المعاصرين على اختلاف مجالاتهم واهتماماتهم العلمية.

(1) مرتبة حسب الحروف المجائية.

الدكتور عبد العزيز السيد

إبراهيم



الدراسات العليا ومشاركته في كثير من المؤتمرات العلمية في الوطن العربي وخارجها .

— يعمل حالياً مديرًا للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وقد وفق التوفيق الكبير — بفضل ما أوتيه من مقدرة عملية وارادة وعزם وطيددين — وفق في ادارة هذا المرفق الحيوي الهام من مرافق الاعلام العربي بجامعة الدول العربية .

— وبعد الدكتور عبد العزيز السيد من أبرز الشخصيات العربية المعاصرة الذين كان لهم نصيب وافر في نشر اسباب الثقافة والعلم وتكون جيل باكمله من تلمذوا عليه او تأثروا به الشيء الذي جعله يحتل المكانة الائقة المرموقة في قلوب عارفيه ومعاصريه داخل بلاده وخارجها .

— للدكتور عبد العزيز السيد كثير من المؤلفات في مختلف مجالات الفكر والثقافة والعلوم منها :

— اعداد المعلم في الوطن العربي

— في اصول التربية

— دور الجامعة في المستقبل ... الغ

وغيرها من البحوث والدراسات القيمة الأخرى المنشورة في مختلف المجالات العلمية أو ضمن كتب مستقلة .

— ولد الاستاذ الدكتور عبد العزيز السيد عام 1907 وفي عام 1927 حصل على بكالوريوس كلية المعلمين بمصر ، وكذا على دبلوم معهد التربية العالمي .

— وفي عام 1942 حصل على درجة الماجستير في التربية ، وبعد عامين من هذا التاريخ نال درجة الدكتوراه في التربية كذلك .

— وتاريخ الدكتور عبد العزيز السيد تاريخ كماح متواصل من أجل رفع مستوى الثقافة والفنون والعلوم في بلاده وخارجها ، وبنظرة خاطفة على المناصب التي تقلدها منذ تخرجه عام 1927 إلى الان نستطيع ان نستجلب هذه الحقيقة بوضوح ، فقد عمل اول الامر استاذًا للرياضيات بالكلية الحربية ، ثم استاذًا كذلك لنفس المادة بكلية المعلمين جامعة عين شمس وفي سنة 1954 أصبح وكيلًا لكلية التربية ، ثم مديرًا للتعليم الابتدائي بالقاهرة .

— ومن سنة 1955 الى 1958 كان مديرًا لجامعة القاهرة — فرع الخريطوم

— ومن هذه الجامعة ، انتقل الى جامعة الاسكندرية ليصبح مديرًا لها حتى عام 1961 .

— وهكذا ظل يتقلب في المناصب الهامة الى ان عين وزيراً للتعليم العالي عام 1961 حتى 1965 ثم أصبح بعد ذلك وزيراً للتربية والتعليم من 1967 الى 1968 .

— والاستاذ عبد العزيز السيد عضو بارز في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وهو يضطلع بعده نشاطات علمية أخرى كاشرافه على رسائل

الأستاذ إبراهيم حركات



- النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين
- المغرب عبر التاريخ (ثلاثة مجلدات)
- مدخل الى علم المترادفات العربية
- الحياة الاجتماعية بال المغرب في العصر المريني
- من المستشرقين الذين تأثر بهم دو مردان .
ولاوست ، وأدم ، وغيرهم ، كما تأثر بالأعلام من
العرب — كابن خلدون وابن جني وابن تيمية .

— ولد بالدار البيضاء عام 1929

— تلقى تعليمه الأول بالدار البيضاء نفسها .

— أحرز على اجازة الآداب والتاريخ من الرباط وعلى
دبلوم العربية من معهد الدراسات العليا بالرباط
كذلك .

— دكتوراه في الآداب من ايكس آن بروفانس بفرنسا

— تقلب في عدة مناصب تعليمية حتى أصبح استاذا
 بكلية الآداب بفاس .

— يجيد الفرنسية والاسبانية

من مؤلفاته :

- أربعون مؤلفاً مدرسيًا — ابتدائي وثانوي

الدكتور إبراهيم رسولي أباظرم



- كما أنه متاثر بالدكتور محمد حسين هيكل باشا في
ميدان الأدب والفلسفة ، وبالدكتور عبد الرزاق
أحمد السنهوري باشا في القانون والسياسة ،
وبالدكتور سعيد النجار في ميدان الاقتصاد .

— من مواليد القاهرة ، في 23 يناير 1935

— تلقى الدكتور إبراهيم رسولي أباظرم تعليمه الأول
بالمدارس المصرية حتى أحرز « البكالوريا »
عام 1954 ، والليسانس في الحقوق من جامعة
القاهرة 1958 ، ودبلوم الدولة في العلوم
الاقتصادية من جامعة « كان » بفرنسا عام 1961
ودكتوراه الدولة في العلوم الاقتصادية من جامعة
باريس تحت اشراف العلامة « اندريله مارشال »
عام 1969 .

— وهو يجيد الفرنسية والإنجليزية

— ويعمل استاذا للعلوم الاقتصادية بكلية الحقوق
بجامعة محمد الخامس والمدرسة الإدارية
الرباط .

من مؤلفاته باللغة العربية :

1 — « القانون العام الاقتصادي » 1970

2 — التقادم — العلاقات الدولية ، الدخل القومي »

من مؤلفاته باللغة الفرنسية :

- 1 - الصناعة التقليدية في مصر - 1961
- 2 - العلاقة المتبادلة بين القطاع العام والقطاع الخاص في الدول النامية . 1969
- كما أن له العديد من المقالات والبحوث العلمية الأخرى المنشورة في مختلف المجالات العربية .

3 - تاريخ الفكر السياسي 1 الجزء الأول ، 1971

4 - التنمية الاقتصادية بين الاصالة والتقليد 1972

5 - معجم المصطلحات الاقتصادية (تحت الطبع) وهو معجم يتناول ترجمة جميع المصطلحات الاقتصادية والمصطلحات ذات الصلة بالعلوم الاقتصادية من الفرنسية والإنجليزية إلى العربية ، بتكليف من المكتب الدائم لتنسيق التعرير في الوطن العربي .



الدكتور ابراهيم سامي سعيد

- من مواليد مدينة العمارنة (العراق) سنة 1923
- اتم دراسته الابتدائية والثانوية والجامعية في بلاده العراق ، ثم احرز على دكتوراه الدولة من كلية السوريون بباريس في اللغات السامية 1956 .

- يجيد اللغات السامية القديمة كالآرامية والعبرية والحبشية كما يجيد من اللغات الحديثة الفرنسية والإنجليزية .

- عين مدرسا في كلية الآداب ببغداد سنة 1956 ثم استاذا مساعدا عام 1960 ثم استاذا سنّة 1965

من مؤلفاته :

- النطوير اللغوي التاريخي
- انسناس ماري الكرمي وآراءه اللغوية
- من تحقيقاته :
- نزهة الالباء في طبقات الأدباء لابن الاتباري
- رسائل في اللغة
- المتشابه للثعالبي
- الأمكنة والمياه والجبال للزمخنري
- إلى جانب العديد من الدراسات القيمة المنشورة في مختلف المجالات العلمية العربية .

- دراسات في اللغة
- الاملام
- لغة الشعر بين جيلين



الأستاذ ابراهيم مصري الدرويش

- هو نجل الموسيقار السوري المعروف على مصرى الدرويش

- درس الموسيقا باشراف والده .

- لحن حوالي خمسين أغنية مدرسية وتشيد جمعت فيها بعد في كتاب بعنوان (أغاني الطفولة)

- تابع دراسته الموسيقية العليا بالقاهرة عمل مدرسا للموسيقى العربية في حلب

- حلب ومكانتها في الموسيقى
 - من تاريخ الموسيقى
 - الموسيقى والمسرح المدرسي في سوريا
 - وثائقياً وتاريخياً ... الخ .
 - تأثر بموسيقى وأعمال مؤلفي التراث العربي القديم ، كالموشحات والنوبيات الأندلسية الأصلية والمتخوذ معظمها من تونس والمغرب والجزائر، كما تأثر بأعمال مؤلفي الموسيقى الغربية الحديثة من الكلاسيكيين والرومانسيين ...
-



الدُّوَّلُ القَاسِمُ مُحَمَّدُ كَرْوَ

- كتاب الشابي أو الشعب والوطنية في شعره
- « حصاد القلم »
- « كتاب وحب »
- « نداء للعمل »
- « العرب وأبن خلدون »
- « صوت الجزائر »
- « الطاهر الحداد »
- « حديث رمضان »
- « شخصيات أدبية من الشرق والغرب »
- إلى جانب العديد من البحوث والمقالات الأخرى التي نشرت في مجلات عربية مختلفة

- ولد بمدينة قفصة (تونس) 1 - 7 - 1924
- تلقى تعليمه الابتدائي بها ، والثانوي في الزيتونة بتونس ، ثم في معهد حر بالقاهرة .
- واحرز على الليسانس في الآداب العربية من « دار المعلمين العالية » ببفداد بعد ذلك » .
- كتب للاذاعة والصحف والمجلات العربية مئات المقالات والأحاديث عن كتاب المغرب العربي
- انتخب عضواً مراسلاً لجمع اللغة العربية بالقاهرة (يناير 1970)
- أسس سلسلة كتب شهرية ، صدر منها 31 كتاباً ومجلة « الثناء » « وأعلام المغرب العربي » « ومكتبة الشابي » و « وثائق قومية »

من مؤلفاته :

- « ماي شهر الدماء والدموع في المغرب العربي »
- الشابي حياته وشعره (أول كتاب مستقل صدر عن الشابي)

الدكتور إحسان عباس



ومن كتبه المحققة :

- خريدة القصد للعماد الاصفهاني جزءان بالاشتراك مع الاستاذين شوقي ضيف والمرحوم احمد امين
 - رسائل ابن حزم الاندلسي
 - فصل المقال في شرح كتاب الامثال بالاشتراك مع الدكتور عبد الجيد عابدين .
 - ديوان ابن حميس الصقلي .. الخ
- ومن كتبه المترجمة :
- كتاب الشعر لارسطو
 - النقد الأدبي ومدارسه الحديثة
 - أرنست همنغواي
 - فلسفة الحضارة او مقال في الإنسان
 - يقظة العرب
 - ت. س. اليوت .. الخ
كما ان له عديدا من البحوث والمقالات المنشورة في مصادر مختلفة كلها تبحث في مختلف جوانب الفكر والحضارة والأدب .

- ولد بعين غزال (منطقة حيفا) فلسطين ، في 2 - 12 - 1920 .

- انهى تعليمه الثانوي في القدس
- حاصل على الليسانس والماجستير والدكتوراه من جامعة القاهرة في الآداب
- عمل مدرسا في جامعة الخرطوم ، ثم في الجامعة الامريكية بيروت وما يزال بها حتى اليوم .
- اشرف على اصدار سلسلة من الكتب تتصل بالحياة العلمية والادبية في الاندلس باسم (المكتبة الاندلسية)
- يجيد اللغة الانجليزية
- تاربت كتبه الخمسين كتابا ما بين مؤلف ومحقق ومترجم منها :

 - « الحسن البصري »
 - « عبد الوهاب البياتي »
 - « فن الشعر »
 - « فن السيرة »
 - « العرب في مقلية »
 - تاريخ الادب الاندلسي جزءان
 - بدر شاكر السياب
 - تاريخ النقد الادبي عند العرب



للأسناف للينا هـ الراجم الهمـونـشـفـروـنـ

- من مواليد مدينة فاس عام 1913
- حصل على شهادة العالمية سنة 1942 من جامعة القرويين
- اشتغل بالتدريس في المدارس الاجرة
- وبعد اجتياز مباراة علمية اجرتها ادارة جامع القرويين ، عين مدرسا بها .

- يشغل - حاليا - منصب نائب عميد كلية الشريعة بجامعة القرويين
- استدعي من طرف المجلس الأعلى بالقاهرة . في أول مؤتمر عقده مجلس البحوث الإسلامية عام 1964 ممثلاً لبلاده بجانب الأمين العام لرابطة علماء المغرب الاستاذ العلامة عبد الله كنون .
- له عدة مقالات ضافية في مختلف مجالات المعرفة، كما أن له تصانيف شتى في مختلف المواضيع الدينية والاجتماعية وغيرها .
- شارك في الحركة الوطنية ابن ظهورها ، حيث سجن من طرف السلطات الاستعمارية عدة مرات .
- وعین - بعد ذلك - مراتباً عاماً ، ونائب مدير جامعة القرويين في شؤون البرامج العامة والاختبارات .
- ثم تولى أثر عودة المفتوح له - محمد الخامس طبيب الله ثراه - من مناه ، رئاسة قسم التعليم العالي الإسلامي التابع لوزارة التربية الوطنية حيث قام فيه باعمال جليلة رفعت من مستوى ووسيع من اختصاصاته .



الأستاذ أَحمدُ الْأَخْضَرِ غَزْرَاؤِي

- له عدة مقالات حول مشاكل الطباعة العربية ، والتعريب والمصطلحات ، ومناقشات لغوية وترجمات لدورس جامعية علمية مختلفة في العديد من المجالات العربية والفرنسية
- عمله في تطوير الحرف الطباعي العربي أصبح معترفاً به في المغرب العربي وبعض البلاد العربية الأخرى .

- ولد بمدينة فاس في 17 أكتوبر عام 1917
- اتم دراسته الابتدائية والثانوية بالغرب ، والجامعية بالسوسيون بباريس وبها أحرز على درجة الدكتوراه في التبرير في اللغة العربية وأدابها
- يجيد البربرية والفرنسية واللاتينية واليونانية
- متاثر بعلماء العربية القدامى وعلماء اللسنيات المعاصرین .
- يعمل حالياً مديراً لمعهد الدراسات والابحاث المغربي للتعريب بالرباط .



للأستاذ أَحمدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّاجِعِ

- ولد عام 1937 م بتصعيد مصر .
- التحق بالأزهر وحصل فيه على الاجازة العالية ، من كلية أصول الدين ، قسم عقيدة وفلسفة .
- ثم حصل بعد ذلك على دبلوم معهد التربية العالمي من كلية التربية ، ودبلوم الدراسات العليا من جامعة الأزهر .

- فلسفة البراجماتزم
 - دراسات حول اللغة العربية
 - من وحي الإسلام
- كما يواظب على نشر العديد من البحوث والمقالات في كثير من مجلات العالم الإسلامي في مختلف الميادين النكرية واللغوية والحضارية وغيرها.
- يجيد الإنجليزية والأوردية
 - متأثر بدراساته الازهرية . أما تأثيره في غيره فقد كان كبيراً على أسرته وقبيلته خصوصاً في تخفيف حدة الأخذ بالثار .
- من مؤلفاته :**
- العربية لغة وضوح ونكر



- 4 - أدب السياسة في العصر الأموي
 - 5 - أبو حيان التوحيدي
 - 6 - المرأة في الشعر الجاهلي
 - 7 - أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي
 - 8 - الحياة العربية في الشعر الجاهلي
- 9 - كما أن له كتاباً عن الطبرى ، *الجاحظ* ،
الزمخشري اشتمت جميعها بعمق الدراسة
وسعنة النظر .

- حاصل على دكتوراه في الأدب العربي من جامعة القاهرة

- يشغل استاذ كرسى الأدب العربي ورئيس قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

- كما يشغل رئيس لجنة التعريف بالاسلام بالمجلس الاعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة .

- عضو لجنة الخبراء

- عضو المجمع اللغوي بالقاهرة .

من مؤلفاته :

1 - وطنية شوقي

2 - الاسلام في شعر شوقي

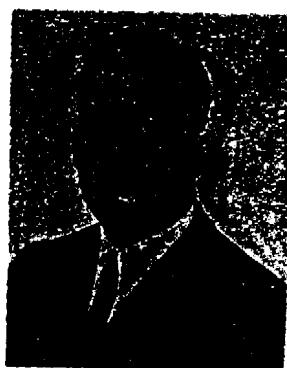
3 - النسيب في شعر شوقي

الأستاذ زاريس الخطابي

- هو نجل الزعيم المرحوم محمد عبد الكريـم الخطابـي

- من مواليد جزيرة الريونيون (حيث كان والده منobia مع أسرته) في 1926 .

- أتم تعليمه الأول في الريونيون نفسها ، غير أنه تعلم مبادئ القراءة والكتابة على يدي والده ، كما هو الشأن مع بقية أخوانه ، اذ كانت المدرسة الوحيدة بالجزيرة فرنسية .



- وفي القاهرة واصل دراسته العليا على أيدي شيوخ جامعة الازهر الشريف .

- العرب ، أما من الأجانب فقد تأثر بليسننج الألماني .
- ترجم عدة كتب عن تاريخ المغرب .
- كما أنه مترجم كتاب : « مستقبل العالم بالأرقام » المؤلفه ملهم فوكس ، وهو كتاب علمي يبحث في الناحية الاقتصادية والاجتماعية والديمغرافية في العالم .
- من مترجماته كذلك ، كتاب عن « آثار الاحتلال الفرنسي للمغرب » وكتاب آخر عن الفرنسي تحت عنوان : « في علم الاجتماع الحديث » .
- بالإضافة إلى العديد من المقالات المترجمة الأخرى والمنشورة في مجلات مختلفة .
- ثم سافر إلىmania ليتابع تعليمه هناك حيث التحق بقسم تاريخ الأدب الألماني ، بجامعة ميونيخ
- يجيد الفرنسية والألمانية والإنجليزية
- عمل مدرساً لغة الفرنسية في القاهرة
- كما كان بمثابة السكرتير الصحفي الخاص لوالده حيث كان يترجم له كل ما يرد عليه من مقالات ودراسات أو يحررها له للصحفيين الأجانب الذين يندون عليه .
- لقد تأثر الاستاذ ادريس بوالده تأثيراً شديداً ، كشخصية فذة بصفة عامة ، كما أنه كان لعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين أثر فيه من



الأستاذ إدريس الكناني

— كما حصل بعد ذلك على شهادتي الدراسات العليا لعلم الاجتماع ، في علم الاجرام ، والدراسات الإسلامية والأنثربولوجيا الثانوية .

من مؤلفاته :

- 1 — المغرب المسلم ضد اللادينية
- 2 — انحراف الأحداث في المغرب
- 3 — الأمثال المغربية — دراسة اجتماعية لغوية
- 4 — دراسات عن المجتمع المغربي
- 5 — تطور الفكر الاجتماعي عند المرأة المغربية المتعلمة الخ ...

- ولد بدمشق أواخر سنة 1922 .
- تلقى تعليمه الأول بدمشق نفسها ، والثانوي بالقرويين بفاس .
- وفي سنة 1942 نال منها شهادة الدراسات العليا « العالمية »
- سافر بعد استقلال المغرب إلى باريس ليلتحق بمدرسة العلوم الاجتماعية والسياسية بجامعة لوزان ، ثم بجامعة لافال بكبك بكندا حيث حصل من هذه الأخيرة على بكالوريوس في العلوم الاجتماعية .
- يقوم بتدريس مادة تخصصه بمعهد العلوم الاجتماعية بجامعة محمد الخامس بالرباط
- عمل مديرًا للتعليم الإسلامي والحر .

للسنا في البرازيل فنهيل



ومن قصصه :

- على ضفاف بردى
- لصوص الشرف
- في سبيل الحرية
- من مناهل الحياة
- في مهب الريح
- دولة المجانين .. الخ

إلى جانب العديد من البحوث والدراسات والمقالات القيمة في مختلف الجوانب الفكرية والانسانية التي تحفل بها عشرات المجلات والمصحف العربية كما انه كتب باللغة الإسبانية بحوثاً مماثلة عرف فيها بالفنون العربي .

— ولد في 13 نيسان (أبريل) سنة 1914 في مدينة بيروت (سوريا)

— تلقى مبادئ العلم في مدرستها الابتدائية هاجر إلى البرازيل برغبة والده سنة 1925 ، ثم انتقل إلى الأرجنتين جاعلاً منها مفتريه الدائم يجيد اللغات العربية والإسبانية والفرنسية والبرتغالية

— تولى رئاسة تحرير «الجريدة السورية اللبنانية» في بوينس آيرس عشرة أعوام

— أصدر مجلة «المناهل» الشهرية في بوينس آيرس كذلك

— أصدر في دمشق مجلة «الفنون» هو أول أديب أهدته أول حكومة وطنية سورية

— وسام الاستحقاق السوري سنة 1937 .

من مؤلفاته :

- الأسلك الشائكة — شعر
- العبرات المذهبة — شعر
- على مذبح الوطنية — شعر
- أدب المغاربيين — دراسات أدبية



من مؤلفاته :

- مراتبة الصرف
- تشقيق طرق المواصلات
- أنظمة بريدية مقارنة
- الاتحاد البريدي العربي

— ولد بدمشق 1914/11/24 حاصل على ليسانس في الحقوق من باريس ، وعلى معادلة في القوانين المصرية ، ثم الدكتوراه في الحقوق من جامعة القاهرة

— يجيد : الفرنسية والإنجليزية عضو في جمعية الاقتصاد السياسي

— عضو في جمعية القانون الدولي رئيس لجنة صياغة وثائق الاتحاد البريدي العالمي منذ 1952

— أمين عام المعهد العالي العربي للبريد أمين عام الاتحاد البريدي العربي .



الأستاذ نور الدين

- « تراجم وانية لاعلام العرب وال المسلمين في العصر الحديث » شملت هذه الدراسات اعلاما من كل أنحاء العالم العربي .
- « صورة العصر وملامح المجتمع » ومن اعماله الفكرية :
- موسوعة معالم الأدب العربي المعاصر (19 مجلدا)
- الموسوعة الإسلامية العربية (21 مجلدا)
- تراجم الاعلام المعاصرين .

- من مواليد ديروط بالوجه القبلي بمصر عام 1335هـ
- نشأ في احضان المخطوطات والتراجم وحلقات الذكر و مجالس القرآن الكريم
- عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
- مؤلف الموسوعة الإسلامية العربية التي بلغت مجلداتها حتى الان (21 مجلدا)
- وبالرغم من اتجاهه إلى التعليم المدني فقد ظل متصلا بالأدب والفنون الإسلامي حتى بعده حصوله على دبلوم الدراسات التجارية العالمية .
- له عدد آخر من الاجازات في الصحافة واللغة الانجليزية واعمال المصادر .
- عمل (بينك مصر) ولكنه لم يلبث ان تركه متوجهها إلى الصحافة والأدب .

من مؤلفاته :

- « تاريخ الأدب العربي كوحدة متكاملة » (من المغرب إلى العراق)

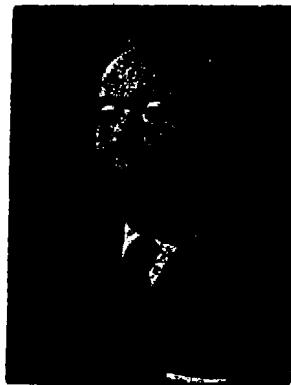


المهندس أنيس شباط

- كما أنه عضو الجمعية اللبنانية لتقدم العلوم منذ عام 1969
- حامل ثانية اوسمة من رتبة كوماندوز من مختلف البلاد العربية ..
- من مؤلفاته :
- « من رسالة الطرق إلى القاموس التقني للطرق » نشره المكتب الدائم لتنسيق التعریف في الرباط عام 1971 .

- من مواليد دمشق 1912
- تلقى تعليمه الأول في دمشق والعلمي في بيروت
- حاصل على دبلوم مهندس مدني من كلية الهندسة العليا في بيروت
- يجيد العربية والفرنسية والإنكليزية
- كان لفوستاف لويون الأثر الكبير عليه في دراساته عن مدينة العرب
- شغل منصب رئيس اللجنة الدائمة للمواصلات لدى جامعة الدول العربية ، وهو يعمل الان استاذًا في كلية الهندسة العليا في بيروت ، كما تقلب في عدة وظائف حكومية في وزارة الأشغال والمواصلات
- وهو عضو المجلس الأعلى للعلوم في سوريا منذ تأسيسه عام 1959 حتى عام 1963 .

الدكتور فخر الدين



— ولد في النجف عام 1322 هـ (1904 م) في بيت علم وآدب ودين وطب.

— انتهى إلى المدرسة العلوية ساهم بنكره وروحه في الحركات الوطنية ضد الاحتلال الإنجليزي.

ومن مؤلفاته الأخرى :

— يوميات (جزءان)

— كنت معهم في السجن

— القصة العراتية تديماً وحديثاً

— هكذا عرفتهم (جزءان)

— امتهن التعليم عشرة أعوام
أصدر عدة صحف منها :

— جريدة : « النجر الصادق »

— جريدة : « الراعي »

— جريدة « الهاتف »

من مؤلفاته القصصية :

— « الضائع »

— « في قرى الجن »

— « من نوق الرابية »

— « اعتراضات »

— أسمى في تأليف « موسوعة العتبات المقدسة »
مع عدد من أساتذة جامعة بغداد ، وصدر منها حتى
الآن 12 دراسة

— وقد نال الأب توماس هامل درجة الدكتوراه من
جامعة مشيفن عن الخليلي وأعماله .



الدكتور جعفر الكتاني

— ولد بناس 29 - 12 - 1931

— تعلم في مدارسها الابتدائية ، ثم التحق بالقرويين
ثم ببغداد فالقاهرة

— يعمل استاذًا للأدب العربي بجامعة محمد
الخامس بالرباط

— حاصل على دكتوراه في الدراسات العربية
والإسلامية من السوربون

من مؤلفاته :

— « طفو ورسوب »

— « الم وأمل »

— « الأشواط »

— « إيليا أبو ماضي »
— موافق) الأدب العربي — جزءان
— تحقيق كتاب حلية الحاضرة في صناعة الشعر
لأبي علي الحاتمي
— شخصية الحاتمي ونظريته النقدية
— إلى جانب العديد من المقالات والبحوث الأخرى
النشورة في مختلف المجالات العربية

للأشناف حمل رئيس



من مؤلفاته - الشعر :

- ديوان ثورة العاطفة ٤ أجزاء

- عبق

- الاصيل

من قصصه :

- امرأة ماكرة

- في سبيل الرغيف

- أمام بعلبك ..

من مسرحياته :

- الخنساء

- الهوى السحق (مسرحية شعرية) .. الخ .

إلى جانب العديد من البحوث الأدبية والتاريخية

والنقدية الأخرى .

- من مواليد محافظة طرطوس بسوريا عام 1921م

- يحمل اهلية التعليم ، والأدب .

- يتقن العربية والإنجليزية وعلم بالاسبانية .

- متأثر بشعراء العصر العباسي ، وبالبحتري خاصة ، وبأفكار المغربي ، وفلسفة ابن سينا والفارابي .

- ان الذهب البداعي الذي تجلى في شعره ترك أثراً ظاهراً في الكثيرين من تلامذته وزملائه الشعراء الشباب ، أشار الى خصائص هذا التأثير بشكل موسع الناقد حبيب بخلول في كتابه: « حامد حسن والاتجاهات الأدبية الجديدة في شعره »

- أصدر مع زميله المرحوم وجيه محى الدين مجلة « النهضة » .

- عمل مدرساً للغة العربية وأدابها

- في عام 1958 عين عضواً في لجنة الشعر في المجلس الأعلى لرعاية العلوم والفنون والأدب واعيد انتخابه مراراً ولم يزل بها حتى الان .



الدكتور حسين محمد نزار

- ولد بمدينة اسيوط بصعيد مصر في 25 أكتوبر 1925

- اتم تعليمه الأول في اسيوط

- ثم من جامعة القاهرة حصل على الليسانس في الآداب العربية ثم الماجستير فالدكتوراه .

- يجيد الإنجليزية والفرنسية والالمانية ، واللاتينية والفارسية والتركية

- عمل في الإذاعة العربية بالقاهرة ثم انخرط في سلك التدريس حيث يشغل الآن منصب استاذ كرسى الأدب المصري في المعهد الاسلامي .

- المحكم لابن سيده
- المغاري الاولى ومؤلفوها لهوروفنس
- من مترجماته :**
- المغاري الاولى ومؤلفوها لهورفنس
- الموسيقى والغناء في ألف ليلة وليلة لفارمر
- تاريخ الموسيقى العربية لفارمر
- مصادر الموسيقى العربية لفارمر
- ابن الرومي لجست .
- بالاضافة الى العديد من المقالات التي تبحث في مختلف جوانب الفكر واللغة والأدب والنشرة في كثير من المجالات العربية .
- من مؤلفاته :**
- معجم آيات القرآن
- المختار من كتاب الكامل للمبرد
- الشعر الشعبي العربي
- الطبيعة والشاعر العربي
- الثورات المصرية في العهد الإسلامي
- من تحقيقاته :**
- ديوان سراقة البارقي
- رحلة ابن جبير
- ديوان عبد بن البرص
- ديوان جميل بشينة



الأستاذ خليل الْهَيْنَدِلُوي

- من مواليد صيدا لبنان عام 1906 م وغبها تلقى تعليمه الأول
- عضو اتحاد الكتاب العرب - فرع حلب
- أرم ذات العماد**
- يجيد الفرنسية
- متأثر بكتاب «نهج البلاغة» الذي استطهره، وبشعر محول العرب، وبمدرسة العقاد وميخائيل نعيمة في النقد، ومن أدباء الغرب وفلسفته نيتشه، وشكسبير، وغوركى، ودوستويفسكي وغي دي موباسان ..
- في المسرحية :**
- درس الأدب العربي في المدارس الثانوية (سوريا) كل حياته العلمية تقريبا
- سارق النار**
- من مؤلفاته :**
- هاروت وماروت
- زهرة البركان ... الخ
- الى جانب كثير من الدراسات المختلفة التي تبحث في مختلف جوانب الفكر العربي والأنساني
- حفل القصيدة :**
- صفحة من حياة باريس

الدكتور شاد رغوث



- خطبته الشيفن (رواية)
- الحاج ببح (مجموعة قصص)
- حمام الوادي (مجموعة قصص)
- على درب الحياة (مجموعة قصص)
- صراع (مسرحية)
- البيروني (مسرحية)
- «شعري» (مجموعة قصائد)
- تيسير اللغة العربية - بحث لغوی .. الخ .

- من مواليد صيدا (لبنان) عام 1917

- درس التربية في دار المعلمين العليا في بيروت ونال اجازتها ، ثم اجازة الحقوق؛ وتخصص في الآداب والعلوم الإنسانية ، وحصل على الدكتوراه بهذا الفرع

- مارس التدريس والعمل الدبلوماسي
يجيد الفرنسية والإنجليزية
كان للقرآن الكريم ، وللانجيل اثر كبير في تكوين ذوقه الأدبي ، وكذلك شعر المتني وأحمد شوقي « وهي دي موباسان »
نال عدة أوسسة من جهات مختلفة

من مؤلفاته :

إلى جانب عدد ضخم من الكتب المدرسية له :



من مؤلفاته :

- المنهل في تاريخ الأدب العربي (3 أجزاء)
- الزنابق « مختارات من الشعر والثر » (7 أجزاء)
- الخلاصة التاريخية ، تاريخ العرب والمسلمين (جزءان)
- أزاهير الصحراء (مجموعة قصص)
- شاعر الإنسانية (دراسة للشاعر الدكتور احمد زكي أبو شادي)
- تطور حقوق الإنسان ... الخ
- إلى جانب العديد من المؤلفات المخطوطة الأخرى والبحوث المختلفة النشرة في المجالات العربية .

للأستاذ روكسان بن زلقد العزيزي

- ولد بمدينة (مادبا) من أعمال الأردن

- تلقى تعليمه الأول في مسقط رأسه ثم حصل على دبلوم الصحافة من القاهرة

- يجيد الانجليزية والفرنسية والتركية

- متأثر بابن خلدون وبالمام علي بن أبي طالب ، والمتني ولبي العلاء والاب انتساس ماري الكرملسي

من المناصب التي شغلها :

- المدير العام لشركات العزيزي
- مثل الرابطة الدولية لحقوق الإنسان في الأردن
- عضو مراسل لمركز الابحاث الإثنولوجية في باريس
- نشوء رابطة الأدب الحديث - بالقاهرة
- كما أنه عضو في عدة لجان أو مجالس أخرى

الدكتور سامي عيسى دهنه



من مؤلفاته :

- 1 - Issues University Education.
 - 2 - Al Afghani.
 - 3 - Arab Socialism.
 - 4 - European influence on modern Egyptian Literature.
 - 5 - The Mawwal in Egyptian Folklore.
- وغيرها من الكتب والبحوث القيمة التي تتناول مختلف ميادين الفكر واللغة والأدب .

— ولد في 3 أكتوبر 1929 .

— حاصل على الماجستير في الانسانيات من جامعة كولومبيا — نيويورك

— وعلى الدكتوراه في فلسفة دراسات الشرق الأوسط — جامعة يوطا

— يجيد الانجليزية والفرنسية والإيطالية

— عمل مدرساً لغة العربية في جامعة يوطا

— وهو أول من أضاف إلى برامج اللغة العربية عدة دراسات خاصة بالغرب العربي

دراسات خاصة بالغرب العربي

الأستاذ سامي الكيالي

— « الفكر العربي بين ماضيه وحاضره »

- « الراحلون »
- « أنواع وأصوات »
- « المرأة هذا اللفظ الابدي »
- « مع طه حسين » (الجزء الاول والثاني)
- « ولی الدين يكن »
- « الأدب المعاصر في سوريا »
- « النفس الإنسانية في أدب الجاحظ »
- « من خيوط الحياة »

— ولد الأستاذ سامي الكيالي في مدينة حلب عام 1898 م .

— تقلد عدة مناصب نكان مديرًا لدار الكتب الوطنية، ومديراً للمركز الثقافي العربي بحلب ، كما كان عضواً في اللجنة الثقافية التابعة لجامعة الدول العربية ، وعضوًا في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب الاجتماعية في مصر وسوريا ، وعضوًا في مجمع اللغة العربية في القاهرة .

— أصدر مجلة « الحديث » عام 1927 وبقيت حتى عام 1960 ، ولقد كانت هذه المجلة « مرآة للحياة الفكرية المتتجددة خلال هذه الفترة »

من مؤلفاته :

— « نظرات في التاريخ والنقد والأدب » ، وهو باكورة إنتاجه

— « شهر في أوروبا » انطباعات ذاتية عن رحلة الى الفرن

وغيرها من الكتب الأخرى التي تأريخ الثلاثين كتاباً ، الى جانب مئات من المقالات والأحاديث نشرت في المجلات والمصحف العربية

توفي — رحمة الله — مساء الخميس 1972/2/17



الأستاذ سعيد الذهبي

- أشعار الترخيص عند العرب
- ملحمة الموصل للشيخ فتح الله القادري
- دور العلاج والرعاية في الإسلام .. الخ

بالإضافة إلى عشرات البحوث والمقالات المنشورة في كبريات المجلات العربية أو التي أذيعت من إذاعات مختلفة .

- ولد بالموصى سنة 1912 ، وبها أكمل دراسته الابتدائية والثانوية ثم التحق بدار العلمين العليا ببغداد

- عمل مدرسا ثم مفتشا ل المعارف الموصى ثم نقل إلى متحف الموصى حيث عين مديرًا وبقى به حتى أحيل على التقاعد عام 1968

- وفي سنة 1965 انتخب عضوا للمجمع العلمي العراقي

من مؤلفاته :

- الفتوى في الإسلام
- الأمير خالد بن يزيد
- بيت الحكم



الأستاذة ليلى الحفار الكزبرى

- ولدت في دمشق في 1 مايو 1923 ، والدها السيد لطفي الحفار كان من أوائل الوطنيين المناضلين في سوريا ورأس الحكومة مرارا

- زوجها السنير الدكتور نادر الكزبرى

- تلقت تعليمها الثانوي في معهد راهبات الفرنسيسكان .

- تجيد : الفرنسية والاسبانية والإنجليزية

- متأثرة بالكتاب والشعراء أمثل : الجاحظ ، المنفلوطى ، طه حسين ، فرلين ، بودلير ، ستيفان سنابيج ، اندرية موروا ، غارسيا لوركا

من مؤلفاتها :

- يوميات هالة

بالإضافة إلى كثير من المقالات والقصص والأحاديث المنشورة في مختلف المجلات العربية أو المذاعة من إذاعات عربية مختلفة .

لله رضا و سفيون جهت بري



من مؤلفاته :

- المتنبي
- الجاحظ
- العناصر النفسية في سياسة العرب
- بين البحر والمحراء
- أبو الفرج الأصبهاني
- أنا والشعر
- أنا والنثر ... الخ
- إلى جانب العديد من المقالات المنشورة في مختلف المجالات والمصحف العربية . وهو من شعراء سوريا الكبار .

- من مواليد دمشق في 14 شعبان سنة 1314 هجرية

- تلقى تعليمه الأول في مدرسة فرنسية بدمشق
- وفي عام 1913 حصل على الشهادة الثانوية ولم يحصل بعدها على غيرها من الشهادات لكن عبقريته رفعته فوق أصحاب الشهادات
- تأثر بابن المقفع والجاحظ من الكتاب وبالتنبي من الشعراء
- عين رئيساً لديوان المعارف ثم عميداً لكلية الآداب في الجامعة السورية ، وقد أحيل على التقاعد فاختار العزلة في مدينة بلودان من مصطافات دمشق
- وقد انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1926 ، وعضواً مراسلاً في كل من مجمع القاهرة ومجمع بغداد



الدكتور طه حسين

- من مواليد عزبة الكيلو في 14 نوفمبر 1889 ، ونشأ بمدينة مغاغة من أعمال محافظة المنيا بصعيد مصر

- في سنة 1902 التحق بالازهر ثم انتقل إلى الجامعة الأهلية سنة 1908 ومنها حصل على درجة الدكتوراه في الأدب العربي وكانت أول درجة دكتوراه تمنحها هذه الجامعة سنة 1914

- سافر بعد ذلك إلى فرنسا فيبعثة على نفقة الجامعة المصرية ، ومن السوربون حصل على درجة الليسانس في الآداب سنة 1917 ، ثم الدكتوراه في يناير سنة 1918 وكانت عن فلسفة ابن خلدون .

- فضلاً عما حصل عليه من دكتوراه فخرية من جامعات ليون ، مونبليه ، روما ، بالسرم ، أثينا ، مدريد ، غرناطة ، إكسيهورن .

- يجيد الفرنسية واللاتينية واليونانية
- متأثر بقدماء العرب من الأدباء والعلماء وخاصة الجاحظ وأبي العلاء .

- جديد تتلمذ على يديه لا في مصر وحدها بل في أطراف العالم العربي كله .
- لذا نجد عد طه حسين ظاهرة فريدة من نوعها في الأدب العربي المعاصر في دراساته النقدية والتاريخية على وجه الخصوص .
- له عشرات المؤلفات في مجالات الفكر والحضارة والتاريخ والأدب واللغة والرواية .. الخ ، وقد ترجمت معظمها الى عشرات اللغات الأجنبية .
- ولسنا بحاجة في هذا التعريف السريع ان نعدد مؤلفات طه حسين لأن ذلك سيكون ضربا من اللغو والعبث فهي اشهر من ان تعرف على اختلاف موضوعاتها واتجاهاتها .
- أما تأثيره في غيره فهو موضوع يحتاج الى دراسات طويلة وابحاث واسعة لأن اثر طه حسين لم يكن محصورا في مجرد او افراد بل شمل عصرا بأكمله وهناك المئات من تلاميذه تلاميذه يشهدون له بهذا الفضل والتأثير ، ومنذ كتاب بحثه المشهور عن « الأدب الجاهلي » اخذت الدراسات العربية النقدية المعاصرة مجرى جديدا سري فيها نهج طه حسين الذي يقوم على الشك والتحقيق وعدم قبول كل ما رواه الرواة القدامى .
- يعد طه حسين مدرسة قائمة بنفسها في هذا الصدد وتد كان له كثير من الفضل في خلق جيل



السيّد تفقي اللوحي

- ولد بطرابلس الشام عام 1921 م
- تلقى تعليمه الأول في بيروت في المدارس العربية ثم في مدرسة « الالايك » الفرنسية .
- وبعد حصوله على « الثانوية الشرعية » انتقل إلى مصر حيث التحق بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف وتخرج منها كما احرز على ليسانس في الحقوق من جامعة القاهرة كذلك .
- كان له اسهام في مقاومة الاحتلال مسجناً وعذباً وجرح مراراً .
- وكما ساهم في الحقل السياسي والوطني كانت له خدمات جلية في خدمة الاسلام والمسلمين عن طريق الكتابة والتاليف .
- شارك في عدة احزاب سياسية للمناضلة ضد المستعمرين سراً وجهراً ، كما أسس كثيراً من الجمعيات
- تدرج في عدة وظائف حكومية وهو الان المستشار لسفارة تشاد في بيروت
- نال عدة أوسمة من مختلف الجهات
- من مؤلفاته :**
- المجاهد العربي الكبير محمد علي الطاهر
- الاسلام والمسلمون في تشاد
- عبد الرحمن الأوزاعي
- جمهورية تشاد
- بيروت بقلم الرحاليين الاجانب ... الخ
- الى جانب العديد من المقالات والبحوث المنشورة في كثير من الصحف والمجلات العربية في مختلف المجالات الفكرية والاسلامية والحضارية

الدكتور عجمان الحجري



- ولد بالرباط في 15 فبراير 1937
- تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في المغرب
- ثم رحل إلى مصر فأنهى دراسته الجامعية بكلية أداب القاهرة حيث أحرز على الدكتوراه في الأدب العربي عام 1969

يجيد الفرنسية

من مؤلفاته :

- الرجل المغربي (القصيدة)
- من وحي التراث
- الحرية والأدب
- الثانة في معركة التغيير

عمل في السلك الدبلوماسي ثم اختير استاذًا للتعليم العالي

- متخصص في الأدب العربي والمغربي منه خاصة.
- له اهتمام خاص بالدراسات المغربية الشعبية منها .

الأستاذ عبد الحق فاضل



- من مواليد بغداد من أسرة موصلية عام 1915
- تلقى تعليمه الأول في الموصل ، ثم الثانوي والحقوق في بغداد .

عمل محامياً بالموصل ، حيث كان يصدر مجلة «المجلة» وهي أدبية ثقافية عامة .

- وفي عام 1940 دخل الخدمة الخارجية ، ثم أصبح عام 1959 وكيلاً لوزارة الخارجية ، ثم في عام 1960 سيراً بلاده في الصين ، ثم تفرغ للدرس والكتابة منذ عام 1963 .

يجيد : الانكليزية ، والفارسية ، ولغات أخرى .

- وضعه الأستاذ الناقد عبد الله أحمد في كتابه عن القصة العراقية - في قمة اكمال نسج القصة العراقية قبل السينين .

من مؤلفاته :

- مزاح وما اشبه (مجموعة قصصية) (1940)
- حائزون (مجموعة قصصية) (1958)
- ترجم المستشرق الإسباني كوميزي بعض تصنُّص المجموعة إلى اللغة الإسبانية)
- طواغيت (مجموعة قصصية) (1958)
- ثورة الخيام (طبعتان 1952 و 1968)
- (وهو دراسة عن الخيام ورياعياته ، ثم ترجمة شعرية أمينة للرياعيات ولقد ترجمت الرياعيات عن هذا الكتاب مباشرة طبقاً لتصنيفها فيه إلى الإسبانية وطبعت في

- مجننان - طبعتان 1939/1958 .

وثانيها : وضع ما اسماه بعلم «الترسيس» اللغوي الذي يرجع بالكلمة الى رسها الاول منذ نطق بها اول انسان ، وبذلك اُكِن اثبات علم «نشوء اللغة» وارسانه على قواعد علمية .

ثالثها : اكتشاف حقائق تاريخية مجهولة سبقت عهود التدوين ، وقد نشر نماذج من هذه الدراسات في اعداد من مجلة «اللسان العربي» تحت العنوان العام : (تاريخهم من لغتهم)

هو الذي رأى - (محمد قلميши) (1972)
وهي ملحمة بابلية كتبت منذ 4000 عام
• يوليوبس قيمبر

في كتاب مع خلاصة من الدراسة من قبل جامعة قرطبة بالارجنتين)

٤ نساء و ٣ ضفدع (مترجمة) (1969)
نقل المؤلف في هذه المسرحية انسان اليوم الى القرن الثلاثين ، وجعله يلتقط خلنه ليبرى نفسه من مائة الف سنة بعد تجريده من المؤثرات التي تتزعزع صحة حكمه على الاشياء المحيطة به والمشتبكة بمسالحه وعقده ، وهي مسرحية رائدة في فنها .

٥ مغامرات لغوية ، وهو كتاب نريد من بابه انتهى فيه الى ثلاثة نظريات اساسية اولها : ان العربية هي ام اللغات الازية ، لا الحامية والسامية فقط .



الدكتور محمد أكليم منتظر

- شارك في مراجعة الكثير من المعاجم العلمية كالمعجم العسكري والمعجم العلمي العربي الموحد وغيرهما .

- حاصل على جائزة التاليف العلمي من وزارة المعارف المصرية .

من مؤلفاته :

- حياة النبات
- تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه
- أسس علم النبات
- الدراسة والجنس
- موجز نباتات مصر .. الخ
- الى جانب العديد من البحوث العلمية القيمة المنشورة في المجالات المتخصصة .

- من مواليد مركز ناريسكور بمصر

- تخرج في الجامعات المصرية ودرس في جامعة لندن بإنجلترا وجامعة جنيف بسويسرا حيث أحرز بالتالي على البكالوريوس الماجستير والدكتوراه في العلوم

- يجيد الانجليزية

- وهو عضو الاكاديمية المصرية للعلوم

- عضو مجمع اللغة العربية

- رئيس تحرير مجلة رسالة العلم

- وهو الأمين العام للاتحاد العلمي العربي

- والأمين العام للاتحاد العلمي المصري .

- كما هو عضو في كثير من الهيئات والجمعيات العربية والدولية ورئيس لجنة الثقافة العلمية بأكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا

- له عشرات البحوث العلمية المبتكرة في علم البيئة النباتية

- له عشرات من الكتب العلمية تأليفها وترجمة او مراجعة

الدكتور عبد الرحمن مرحبا



من مؤلفاته :

- نظرية النسبية
- قبل أن يتغلب الإنسان .
- المسألة الفلسفية
- من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية
- وهو مترجم كتاب (الإنسان) لجان روستان.. الخ
- بالإضافة إلى كثير من البحوث والمقالات القيمة المنشورة في مختلف المجلات العربية .

— من مواليد طرابلس لبنان 1927

— تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بطرابلس

— ثم انتقل إلى القاهرة وتحقق بجامعة القاهرة (فأؤاد الأول) وتخرج من قسم الفلسفة ثم حصل على دبلوم معهد التربية العالي ، أما الدكتوراه فقد أحرز عليها من جامعة باريس في الفلسفة

— يجيد الفرنسية ، والإنجليزية ، واللاتينية .

— متأثر بأشترين وبرتراند رسل بين المؤلفين ، وبالدكتور زكي نجيب محمود والدكتور عبد الواحد وافي ولوي ماسنيون وجاستون بشلار من أساتذته في القاهرة وبباريس

الدكتور عبد السلام العجمي



مجموعات قصصية

- بنت الساحرة
- قنديل أشبيلية
- الخيول والنساء
- الحب والنفس .. الخ

- باسمة بين الدموع
- رصيف العذراء السوداء (روايات)

— إلى جانب العديد من البحوث والمقالات الأخرى المنشورة في الصحف والمجلات العربية أو ضمن كتب مستقلة .

— من مواليد الرقة في شمالي سوريا ، عام 1918
والرقة كانت مصطاف هارون الرشيد

— تلقى تعليمه الابتدائي بالرقة ، والثانوي بحلب ،

— وتخرج طبيباً من جامعة دمشق عام 1945 .

— يجيد الفرنسية والإنجليزية

— عمله الرسمي طبيب وهو اهتم بالآداب وقد غابت هوايته على عمله حتى ظنوه منصرنا إلى الآدب انصارانا كلها — كان عضواً في المجلس التأسيسي السوري وزيراً للثقافة والخارجية والإعلام

— متأثر بالأدب العربي القديم والتراث الشعبي

— وتأثير بالعقلية العلمية أثناء مراحل دراسته . وهو

— من أوائل التصاميم الممتازين في سوريا

— أربت مؤلفاته على الخمسة عشر كتاباً منها :

— الليالي والنجوم (شعر)

لله رحمة فما في العزى زنعته اللهم



— من مواليد مدينة الرباط 1923 —

والده العلامة الجليل السيد عبد الواحد بنعبد الله، من علماء الرباط المعروفيين ، ونشأ الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله في ظل اسرة كريمة المتبت ، علمية ، دينية ، محافظ ، عرف كل افرادها بالاستقامة والخلق الكريم .

— احرز البكالوريا عام 1943 ، وشهادته للسنان في الآداب والحقوق عام 1946 ؛ ودرس العلوم الاسلامية على ثلاثة من كبار العلماء بالعاصمة (الرباط)

— تولى الادارة العامة للمحافظة المقاربة ومصالح الهندسة عام 1957 ، ثم ادارة التعليم العالي والبحث العلمي من 1958 الى 1961 ثم مديرًا للمعهد الوطني للتعریب

— يعمل حاليا مديرًا عاماً لمكتب الدائم لتنسيق التعریب في الوطن العربي التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وهو يشغل هذا المنصب منذ 1962 . وهو استاذ الحضارة والفن بكلية الآداب (جامعة محمد الخامس) وأستاذ العلوم الاسلامية في دار الحديث الحسينية بالرباط (التابعة لجامعة القرويين)

— يعد الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله من ابرز رجالات المغرب العلمية ، ويعود نشاطه التكري في شتى مجالات المعرفة والعلم . اسهاماً كبيراً في النهضة الثقافية المعاصرة .

— وهو يتمتع بسمعة علمية مرموقة في المشرق العربي ، والعالم الاسلامي ، عن طريق تأليفه العديد او عمله كمدير عام لمكتب التعریب ورئيس تحرير لمجلة : « اللسان العربي » المعروفة .

— ولقد زار كثيراً من الدول العربية والاجنبية بدعوة منها لقاء العديد من المحاضرات بجامعاتها ومؤسساتها العلمية في مختلف الميادين الفكرية واللغوية والحضارية الخ .. كما مثل بلاده في عدة مناسبات دولية .

— يجيد اللغة الفرنسية وله بها بعض التأليف .

- يميل للأدب العلمي ، وهو مغرم بالتاريخ والحضاريات واللسنيات .
- له مصنفات عديدة باللغتين العربية والفرنسية اهمها :

- الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب
- مظاهر الحضارة المغربية (جزءان)
- معطيات الحضارة المغربية (جزءان)
- الفن المغربي في مختلف العصور (باللغتين العربية والفرنسية)
- التيارات الكبرى لحضارة المغرب (بالفرنسية)
- الطب والأطباء في المغرب
- أضواء على الإسلام (بالفرنسية)
- تاريخ المغرب (دراسة مقارنة للنصوص و العربية والاجنبية)
- جغرافية المغرب (ثلاثة طبعات)
- الإسلام في تطور (بالفرنسية)
- نحو تفصيح العامية
- تطور التفكير واللغة في المغرب الحديث (اصدراه معهد الدراسات العربية بالقاهرة وهو مجموعة محاضرات القيت بهذا المعهد كما ان له مجموعة قصص تاريخية على نسق جرجي زيدان ، تعالج تاريخ المغرب ستتصدر قريباً عن احدى دور النشر بيروت ... الخ
- بالإضافة إلى العديد من المعاجم في مختلف الحقول العلمية التي يصدرها عن طريق المكتب وخاصة منها معاجم المعاني وغيرها التي كانت دائماً محطة عناية واهتمام من طرف العلماء والمتخصصين في البلاد العربية وخارجها .



الأستاذ عبد القادر زمامنة

- ولد بناس سنة 1924
- يعمل أستادا بكلية الآداب (جامعة محمد الخامس)
- له اهتمام بالبحوث العلمية في اللغة والأدب والحضارة
- مجلة معهد المخطوطات العربية — القاهرة
- مجلة البحث العلمي — الرباط
- إبحاثه منشورة في كثير من المجالات العربية منها:
- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق .
- مجلة اللسان العربي — الرباط
- مجلة الثقافة المغربية وغيرها من المجالات العربية الأخرى



الدكتور عبد الكريم كريم

من مؤلفاته :

- نشأة الدولة السعديبة بالمغرب
- عهد المولى أحمد المنصور الذهبي
- تحقيق ودراسة مخطوط (مناهل الصفا) لعبد العزيز الفشتالي ، إلى جانب عدة بحوث ودراسات أخرى تتناول تاريخ المغرب .
- ولد بالرباط عام 1934 وبها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي
- كما درس في دمشق ومن جامعتها نال الليسانس في التاريخ
- وفي نفس الاختصاص حصل على دبلوم الدراسات العليا من جامعة محمد الخامس بالرباط
- ومن جامعة عين شمس أحرز على درجة الدكتوراه في الآداب
- عمل مدرساً غداً افتتاح جامعة محمد الخامس بالرباط ولا زال فيها حتى اليوم

الدكتور عبد الحافظ النازري



- جامعة التروبيين (المختصر) باللغات الثلاث
- تاريخ العلاقات الأمريكية المغربية (بالإنجليزية)
- .. الخ
- من مترجماته :
- حقائق عن الشمال الأفريقي للجنرال دولتور
- ساعات من القرن الرابع عشر في فاس للدكتور برايس
- له تحت الطبع كغير من الكتب ، وترعرع مختلف المجلات والصحف العربية بالعديد من بحوثه ومقالاته في شتى مجالات الفكر والأدب والتاريخ

- ولد بمدينة فاس 25 - 6 - 1921

- عضو بالجمع العلمي بيغداد

- كاتب عام لمركز التنسيق بين اللجان الوطنية والإقليمية العربية لليونسكو

- كان سفيراً للمملكة المغربية في العراق ولibia

- بعد أن حصل على الشهادة العليا من جامعة التروبيين بفاس ، احرز على دبلوم الدراسات العليا من جامعة محمد الخامس ثم على الدكتوراه من جامعة الإسكندرية .

- اسمه منذ صفته في الحركة الوطنية من أجل الاستقلال

من مؤلفاته :

- أدب لامية العرب

- الفرب على الآلة ، الكاتبة بالاشتراك مع أندري بونو



- اتجاهات الفنون الحديثة
- تاريخ الفن في العالم
- أثر العرب في الفن الحديث
- معجم مصطلحات الفنون .. الخ
- بالإضافة إلى العديد من البحوث والمقالات البينية في مختلف الصحف والمجلات العربية منذ عام 1950 .

للأستاذ حفيظ بنسري

- من مواليد دمشق عام 1928

- درس الحقوق في دمشق والفنون في باريس ، وحصل على درجة الدكتوراة من السوريين في تاريخ الفن والآثار

- يعمل مديرًا للفنون وأستاذًا جامعيًا بجامعة

- من أوائل من كتب في النقد الفني وفي التاريخ

- الفني في سوريا

- من مؤلفاته :

- الفنون التشكيلية في سوريا

- الفن عبر التاريخ

الدكتور عمر الجارم



— وهو رئيس الهيئة المحلية لرعاية الفنون والأدب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية

من مؤلفاته العلمية :

— الامراض العصبية الواضحة (باللغة الانجليزية)
— (طبع مرتين) .

من مؤلفاته الأدبية :

— ديوان شعر يزيد على الالفي بيت (تحت الطبع)

- ولد بشير (مصر) في 18 - 9 - 1919
- تخرج من جامعة الاسكندرية حيث نال بكالوريوس الطب والجراحة سنة 1944 .
- ثم حصل على دبلوم الطب النفسي من جامعة لندن سنة 1950 .
- حاز على دكتوراه الطب في الامراض العصبية من جامعة الاسكندرية سنة 1951 .
- يجيد اللغة العربية والانجليزية
- يعمل رئيساً لقسم الامراض العصبية والنفسية كلية الطب جامعة الاسكندرية
- تأثر في ادبه وشعره بعمه شاعر العربى الاستاذ على الجارم (بك)
- من منشئي قسم الامراض العصبية والنفسية بكلية الطب جامعة الاسكندرية وطنطا والتدريس والعلاج وعمل الابحاث بهما .



— وتعاطى المحاجمة الى جانب التدريس
— يعمل اليوم استاذاً بكلية الحقوق (جامعة محمد الخامس الرباط)

من مؤلفاته :

— الصورية في التشريع السوري واللبناني
— المدخل العام للدراسات الحقوقية
— التشريع العقاري السوري
— التشريع العقاري في المغرب .. الخ .

الدكتور مأمون الكلزبرى

- من مواليد دمشق (سوريا) 1914
- تلقى تعليمه الاول بمدرسة الاخوة المربيين في دمشق ثم التحق بمعهد الحقوق الفرنسي ببيروت وبعد حصوله على الجازة في الحقوق احرز على دبلوم الدراسات العليا ثم الدكتوراه .
- يجيد الفرنسية و شيئاً من الانكليزية
- تأثر بالاستاذ السنورى في مصر وجوسران بفرنسا
- رأس الوزارة السورية مارا وكان وزيراً للعدل وال التربية كذلك ونائباً عن رئيس الجمهورية مرتين
- كان نقيباً للمحامين بدمشق عام 1960
- شارك في عدة مؤتمرات حقوقية دولية

- مارس كثيرا من النشاطات الفكرية والاجتماعية والتربوية بالقاء سلسلة من المحاضرات بجامعة محمد الخامس ، أو القيام بتمثيل وزارة التربية في كثير من المؤتمرات والندوات الدولية .
- يعمل حاليا مديرًا مساعدًا للمكتب الدائم لتنسيق التراث في الوطن العربي التابع للمنظمة العربية للتربية والعلوم .
- من مؤلفاته :
- المشاركة في وضع عدة كتب مدرسية مختلفة .
- ورواية باللغة العربية - اجتماعية وطنية تحت عنوان « كنزة » .
- وهو الآن عاكس على العمل في المجال اللغوي وفي الترجمة .
- اسهام كبير في نشر اللغة العربية والمبادئ الوطنية ، على الرغم مما عاناه هو وزملاؤه من مصاعب وعراقيل من طرف السلطات الاستعمارية
- شارك في حركة الكفاح الوطني حيث سجن وأطهنه مراتا ، لهذا دع من الوطنيين الأوائل الذين كان لهم دور كبير في مقاومة المستعمر وبث روح المقاومة والكفاح في نفوس المواطنين .
- قام بدور هام في العمل على إنشاء « بكالوريا عربية » بالمملكة المغربية .
- شارك في تأسيس عصبة مكافحة الامية وترأسها في سنواتها الأولى .
- كما أسهم في إنشاء جريدة « منار المغرب » التي أصبح رئيساً لتحريرها .
- تقلد عدة مناصب إدارية فكان مفتتحاً عاماً لوزارة التربية الوطنية ، ومسفراً إدارياً على جامعة القرويين ، ونائباً عن وزير التربية الوطنية في الإشراف على عدة أقاليم بالمغرب .

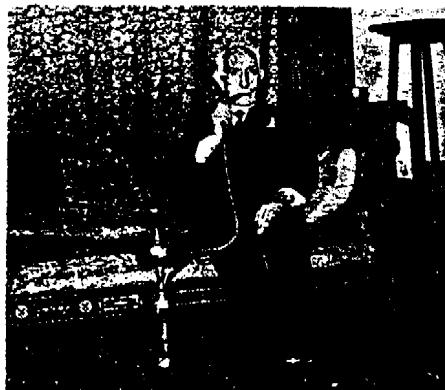


- مارس التعليم الابتدائي والثانوي منذ تخرجه إلى نهاية سنة 1944 .
- أقصى من عمله في التعليم بعد حادث سنة 1944 التي تخضت عن المطالبة باستقلال المغرب .

للأستاذ سعاد محمد بن فركان

- من مواليد مدينة وجدة - شرق المملكة المغربية عام 1914 .
- تخرج من ثانوية مولاي يوسف بالرباط - قسم المعلمين .
- حاصل على ليسانس في الأدب العربي ، ودبلوم معهد الدراسات العليا بالرباط .
- يجيد الفرنسية مع المام بالإسبانية واللاتينية ولهجة « تمازغت » البربرية .

الأستاذ محمد جميل سعيد



من مؤلفاته :

- المرأة في التاريخ والتراث
- فلسطين انطلاع الشرق
- الحلقة المفقودة في تاريخ العرب
- العروبة والشعوبية الحديثة
- فلسفة تاريخ محمد
- كما ألف باللغتين الفرنسية والإنجليزية
- وقد ترجمت كثيرة من كتبه إلى لغات أجنبية
- وهو ذو نشاط حاصل في مختلف الحقول العلمية والسياسية والأدبية وغيرها .
- رأس المجمع العلمي اللبناني، كما هو رئيس جمعية أخوان الثقافة ، وعضو المجمع العلمي العراقي، وعضو الأكاديمية للتاريخ العالمي في باريس ، وعضو المجمع الأمريكي للعلوم السياسية والاجتماعية ، وهو عضو في جمعيات أخرى عربية وأجنبية .



الأستاذ محمد خلف الله أحمد

ولد الاستاذ محمد خلف الله احمد في 15 يونيو 1904 في سوهاج من اعمال مصر وفيها قضى المراحل الأولى من تعليمه .

- درس بعد عودته في دار العلوم ثم نقل مدرسا للآداب والتقد في كلية الآداب بجامعة عين شمس. وفيها وضع أصول النهج النفسي في دراسة الآداب وتقده تدرج في مناصب التدريس حتى أصبح وكيلاً لجامعة عين شمس ، وفي يناير 1965 انتخبه زملاؤه مديرًا لمعهد الدراسات العربية العالمية التابع لجامعة الدول العربية

- اتم دراسته العالية في الآداب والعلوم العربية والاسلامية في «دار العلوم» 1928 .
ثم ابتعث إلى جامعة لندن لدراسة العلوم الفلسفية وفيها احرز على درجة : B.A. Hons ودرجة الماجستير في الآداب M.A. بامتياز

بعض النقاد اول معالجة علمية في اللغة العربية
لموضوع الاتجاه النفسي في النقد .

في تاريخ الأدب : كتاب « معلم النظور الحديث في
اللغة العربية وأدابها » يتضمن هذا الكتاب
دراسة تقوم على خطة جديدة في التاريخ الأدبي.

في الدراسات الأدبية : كتاب « دراسات في الأدب
الإسلامي » عن فيه المؤلف بدراسة بعض
الشخصيات الإسلامية الأدبية دراسة تحليل
ومقارنة على منهج فني نفسي .

كتاب « حفني ناصف، كاتباً وباحثاً »

في التحقيق والنشر : كتاب « ثلاثة رسائل في اعجاز
القرآن ، للرماتي والخطابي والجرجاني » .

في الترجمة : « كيف يعمل العقل »

في التصنيف : كتاب « الثقافة الإسلامية والحياة
المعاصرة » .

وغيرها من البحوث والدراسات التي تبحث في
مختلف جوانب الفكر العربي والأنساني .



دائماً لنفس الوزارة سنة 1958 حتى سنة
1965 .

كان عضواً مؤسساً للمعاهد القومية للتربية
والتعليم منذ سنة 1956 وهي أكبر مؤسسة
تعلمية خاصة في جمهورية مصر في مجال تعليم
اللغات الأجنبية (الإنجليزية والفرنسية) واصبح
سنة 1961 رئيساً لمجلس إدارة هذه المؤسسة
حتى سنة 1965 .

شارك رئисاً وعضواً في كثير من الانشطة
العلمية والثقافية لمجلس جامعة القاهرة والمجلس
الاعلى للتعبئة والاحصاء ومؤسسة الابنیة

— له أكثر من عشرة كتب مطبوعة ، وأكثر من
أربعين بحثاً منشوراً في مختلف المجالات العلمية .

— أشرف على عشرات الرسائل العلمية او شارك
في مناقشتها في الجامعات العربية وفي بعض البلاد
الإسلامية .

— تقلب في عدة مناصب مهمة استاذًا وعميدًا ووكيلًا
للجامعة ، وعضوًا في المجلس الأعلى لرعاية الفنون
والأداب والعلوم الاجتماعية .

— وهو عضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،
وعضو مؤازر بالمجمع العلمي العراقي ببغداد ، وعضو
مجمع البحوث الإسلامية بالازهر ، وهو عضو كذلك في
عدة هيئات أخرى ولا يزال مديرًا لمعهد البحوث
والدراسات العربية بجامعة الدول العربية ويقوم إلى
جانب إدارة المعهد بريادة قسم اللغة والأدب فيه .

من مؤلفاته :

في النقد : كتاب : « من الوجهة النفسية في دراسة
الأدب والنقد » وهو كتاب رائد في ميدانه يعده

للدكتور محمد طه الفرج

— من مواليد 23 أبريل 1913

— اتم دراساته الاقتصادية والمالية بجامعة القاهرة
(البكالوريوس سنة 1935 ودراسات الماجستير
سنة 1945) .

— عمل لمدة عشرين عاماً في الوظائف الحكومية
بوزارات العدل والتجارة والصناعة والحربيّة ،
كما أوكلت إليه إدارة بعض المؤسسات العامة
الثقافية والاقتصادية العامة .

— تطوع للخدمة بالقوات المسلحة حتى وصل فيها
إلى رتبة الرائد واشتراك في الحرب العالمية
الثانية وفي حرب فلسطين سنة 1948 وفي حرب
الاعتداء الثلاثي سنة 1956 وحصل على كثير
من الأوسمة وأنواط الجدار .

— اختير سنة 1954 وكيلًا مساعدًا لوزارة التربية
والتعليم بجمهورية مصر العربية ثم رقي وكيلًا

- هذه الادارة الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
- في يوليو سنة 1972 عين رئيساً للجهاز العربي لمحو الأمية .
- له انتاجه العلمي في مجالات الادارة التعليمية والتخطيط والاحصاءات التربوية .



- المدرسية والجمعية الدولية للتعليم التجاري .. الخ
- شارك رئيساً وعضواً في كثير من المؤتمرات العربية والدولية التربوية والثقافية .
- وافق مجلس جامعة الدول العربية في مارس 1966 — بناء على ترشيح جمهورية مصر — على تعيينه مديراً للادارة الثقافية حتى ضمت

الدكتور محمد عبد الفتاح القصاص

- ترجم وشارك في ترجمة عدة كتب إلى اللغة العربية عن حياة النبات
- وله مقدمة في علم تشريح النبات
- وقاموس كومبتون للمصطلحات العلمية والنجيليات
- علم الشكل النباتي
- غزرت مؤلفاته في مجال تخصصه غزاره جعلته
- موضع احترام العماء ومنها نحو ثلاثين موضوعاً باللغة الانجليزية .



- نال عدة جوائز تقديرية — على المستوى الجامعي منها : جائزة القصة القصيرة في قصة عن فلسطين تحت عنوان « نداء الضمير » وأخرى في

- من مواليد « برج البرلس بتاريخ 6-7-1921 بمصر
- تقلب في سلك التعليم من معيد إلى مدرس إلى استاذ فرئيس قسم
- كان السكرتير العام المساعد للمجلس الأعلى والشرف على وحدة بحوث البيئة بالمركز القومي للبحوث ثم أصبح مسؤولاً عن برنامج العلوم التطبيقية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم اعتباراً من يناير 1970 .
- شارك في عدة مؤتمرات دولية في مختلف بلدان العالم .
- نشر بحوثاً علمية عن حياة النبات في الصحاري المصرية والسودانية
- وضع بالاشتراك مع الدكتور عبد الحليم منتصر كتاباً باللغة العربية عن « صحاري مصر »

الأستاذ محمد محمد الخطابي

- من مواليد مدينة طوان (1947)
- تلقى تعليمه الجامعي بالقاهرة .
- أحرز البكالوريا عام 1964 ، ثم الليسانس في الآداب من جامعة عين شمس بالقاهرة 1969 .
- كان ذا نشاط اجتماعي ملحوظ بين طلاب جامعته وأسهم في اصدار جريدة « الطلاق » حيث كان مشرفاً على القسم الأدبي بها . ومحرراً في مجلة « عين شمس » كذلك .

- يعمل حاليا رئيس شعبة بالمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي منذ تخرجه عام 1969
- له : « كلمات وأشارات ... » مجموعة مقالات ودراسات عامة ، نشر معظمها في جريدة « العلم » المغربية - تحت الطبع -
- « رسالة المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيسه ، 1962 - 1972 »
- بالإضافة إلى كثير من المقالات والترجمات المنشورة في بعض الصحف والمجلات .



- « وانك لتوفى حقك اذا قيل انك اديب عالمي يادق معاني هذه الكلمة وأوسعها »
- وقد غزى انتاجه حتى زاد على الخمسين مؤلفاً ما بين أقاصيص ومسرحيات وروايات قصصية، ومقالات أدبية ، وأبحاث لغوية ، وصور وخواطر ورحلات ترجم الكثير منها إلى العديد من اللغات الأجنبية الحية : كالفرنسية والالمانية، والإنجليزية ، والروسية والإيطالية ، واليوغسلافية ... الخ .
- كما كتبت عنه كثير من الدراسات النقدية والأدبية في مختلف البلاد العربية
- وقد لقب بشيخ القصة العربية او عميدها لانه أول من طرق هذا الفن في مصر كما يشهد له طه حسين بذلك في الكلمة التي استقبله فيها بالجمع قال : « .. وسبقت أنت الى شيء لا اعرف أن أحداً شاركك فيه في الشرق العربي كله الى الآن ». وكما كان لطه حسين آثاره الواسعة على جيله كان لمحمود تيمور آثاره هو الآخر على كتاب القصة في مصر وباقى البلاد العربية

- البحث الموجز : بحث عن فلسطين كذلك ، وثالثة - في القراءة الحرة - عن بحث عن اخطار الصهيونية .
- عضو في اتحاد كتاب المغرب
- شارك في مؤتمر « ندوة فلسطين العالمية » بالقاهرة عام 1965 كمترجم عن اللغة الإسبانية.
- يجيد الإسبانية ويلم بالفرنسية ، ثم الإيطالية .
- صاحب البرامج الإذاعية : في رحاب اللغة ، اللغة والحضارة ، أشعار مقتاطعة ، حكايات من حياتهم ، عظماء من أمريقيا .

الأستاذ محمود تيمور

- ولد بالقاهرة سنة 1894 م في بيت علم وادب ودين
- تعلم بالمدارس المصرية ثم التحق بمدرسة الزراعة العليا
- ثم تفرغ بعد ذلك للأدب
- حصل على كثير من الجوائز منها تتويج المجمع اللغوي لانتاجه عام 1947 .
- حاصل على جائزة الدولة للآداب وجائزة واصف غالى بباريس
- كما منح جائزة الدولة التقديرية في الآداب ، ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى كذلك
- عضو في مجمع اللغة العربية، وفي المجلس الأعلى للفنون والأداب والعلوم الاجتماعية ، والمجمع اللغوي العراقي والمجمع اللغوي المجري . قال عنه المستشرق المجري جرماتوس :
- « يسمو محمود تيمور عن الكاتب الروائي المجرد إلى مصاف الفلسفه الأدباء ومعلمى الثقانات ، بما يقدم من أمثلة انسانية ترمي إلى اهداف رفيعة »
- وقال عنه طه حسين :



اللواء الركن
محمود
شيدت خطاب

من مؤلفاته :

- القضايا الادارية في الميدان
- التدريب الفردي ليلا
- القضايا الادارية في الحروب الجبلية
- قادة فتح العراق والجزيرة
- الرسول القائد
- قادة فتح بلاد فارس
- قادة فتح الشام ومصر
- قادة فتح المغرب العربي (جزءان) .. الخ
- ولقد تاريت كتبه السبعين كتاباً معظمها في التاريخ الإسلامي ويعرف بقادته أو يتناول الأمور العسكرية وكلها ذات قيمة و شأن .
- من مواليد الموصل في شمال العراق عام 1919
- تلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي في نفس المدينة ثم تخرج من الكلية العسكرية في بغداد ، ومنها سافر إلى إنجلترا وتخرج من كلية الضباط العظام وكان ترتيبه الأول على مائة ضابط من مختلف الأمم والجنسيات
- يجيد الانجليزية وتقبلاً من الفرنسية
- عضواً في المجمع العلمي العراقي ومجمع اللغة العربية في القاهرة ومجمع اللغة العربية بدمشق ومجمع البحوث الإسلامية في الأزهر وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي
- متأثر بسيرة النبي (صلى الله عليه وسلم)



الدكتور مندو حسني

- حجّة الوداع - تحقيق مخطوط نادر لابن حزم الاندلسي ، جزآن ١ ٣ طبعات)
- الاغاني للاصفهاني - تحقيق وتعليق وتقديم .
- المثل المقارن في الادب العربي والانجليزي (تحت الطبع)
- عشر قمم في الادب العربي .
- الفريزة الجنسية .
- الصيد والطرد عند العرب ، تحقيق مخطوط نادر .
- المقولات العشر ، تحقيق مخطوط نادر مع التقديم .

ومن مترجماته :

- ريلكة : ديوان امير شعراي المانيا المعاصرين .
- العنصرية والاعراق - مترجم عن الفرنسيه .
- الزنوج في أمريكا - مترجم عن الانجليزية .
- مرتفعات وذرفع - مترجم عن الانجليزية .
- الأفق المفقود - مترجم عن الانجليزية .
- الواحة السحرية - مترجم عن الانجليزية .

ولقد توج الدكتور حسني مؤلفاته بمعجم القانون والتجارة الذي قضى في جمعه وتأليفه زهاء عشرين عاماً فجاء من أنفس ما ألف في هذا الفن .

بعد الدكتور حسني امتداداً للرميل الاول من أدبنا الكبار الذين ساهموا في ارساء دعائم النهضة الادبية المعاصرة ، بثقافته الواسعة وقدرته على الترجمة بين شتى اللغات .
 ويمتاز - الى جانب علمه الغزير - بتواضعه الجم الذي يسمى به فوق كل وصف .

- من مواليد دمشق 1915
- تلقى تعليمه الاول في سوريا
- واصل دراسته العليا في دمشق ثم في مصر ثم في باريس .
- احرز البكالوريا واللسانس في دمشق ثم الدكتوراه في مصر وباريس .
- يجيد الفرنسية والإنجليزية ، وبعض اللغات الشرقية .
- تدرج في مناصب سامية دبلوماسية وعلمية وادارية .
- متاثر بالادب القديم اسلوباً ، وبالفكر الحديث عمياً أما آثاره في غيره فيظهر في الاقبال الكبير على مؤلفاته على اختلاف موضوعاتها ، حتى تكررت طبعات بعضها ست عشرة مرة .
- يعمل حالياً كبيراً للخبراء بالمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي .
- جمع بين الثقافتين الشرقية والغربية ، فكان خير نموذج للمثقف الحقيقي الذي يمثل عصره احسن تمثيل .
- وهو بالإضافة إلى ادبه وعلمه الغزيرين شاعر مبدع ولقد أوجز المرحوم احمد أمين وصفه فقال : «علم الدكتور حسني ادب ، وادبه شعر ، وشعره موسيقى » .
- اربت مصنفاته على الستين بين مؤلف ومتجم ومحقق منها :

 - العروض الواضح (14 طبعة)
 - الكشاف (قرظه بادل باول ومكتب الكشاف الدولي طبع ست مرات)
 - الفرزدق (طبع ثلاث مرات)
 - الأبيوردي - شاعر الحزب العربي في القرن الخامس (3 طبعات)



الدكتور ناصر الدين السيد

- ديوان قيس بن الخطيم
- ديوان شعر الحادرة
- وهو مترجم كتاب : « يقظة العرب لجورج انطونيوس بالاشتراك مع د. احسان عباس
- من بحوثه المطبوعة كذلك :**
 - قصص الكيلاني للأطفال
 - تفسير الطبرى
 - العثمانية للجاحظ
 - البطولة كما يصورها الأدب الجاهلى
 - فلسفة الاستعمار
 - معاجم ومعجمات
 - التراث والمجتمع الجديد
 - نواد واندية ..
 - الثورة العربية الكبرى
 - في وداع الشهيد .. الخ
- وغيرها من البحوث اللغوية والتهدية القيمة الأخرى نشرت في مجلات متخصصة أو ضمن كتب .

- يشغل حالياً منصب مدير عام مساعد للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
- عضو مجتمع اللغة العربية بالقاهرة وعضو مراسل لمجمع اللغة العربية بدمشق
- رئيس الجامعة الأردنية مدة وبعد من مؤسسيها الأوائل كما كان عميداً لكلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية
- اشتراك في لجان فحص نتاج بعض أعضاء هيئة التدريس بجامعة بغداد ، وفي لجان فحص رسائل الماجستير والدكتوراه ومناقشتها في كل من جامعتي بغداد والقاهرة .
- له اثنا عشر كتاباً مطبوعاً بين تأليف وتحقيق وتحرير وترجمة بعضها طبع سبع مرات .

من مؤلفاته :

- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية
- البيان والفناء في الشعر الجاهلي
- الشعر الحديث في فلسطين والأردن
- خليل بيدس ، رائد القصة الحديثة في فلسطين
- الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن
- محمد روحي الخالدي رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين

من تحقيقاته :

- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى (بالاشتراك مع د. احسان عباس)
- تاريخ نجد - تأليف حسين بن غنام

قصص في اللهجة

عبد الحق فاضل

— 4 —

نعم ، هذا الانسان التاريخي الغريب ، ابو الاريين والحاميين والساميين – كما تبدي لنا في احاديث سابقة – من اين جاء باسمه «العربي» هذا ؟

الى المستشركون على أنفسهم هذا السؤال ،
وبحثوا عن الجواب ، كما بحثوا عن أجوبة الكثير من
الأسئلة الأخرى عن الشرق وتاريخه . ولا بد انهم
هرعوا الى المعجم أول شيء بحثا عن التسمية ، فلما لم
يجدوا بقائهم فيه عادوا الى البحث في ظلمات التاريخ
لذلك لهم الفضل في اكتشاف حقيقتين :

الاولى انهم استعرضوا اللغات السامية فوجدوا ان
مادة (ع رب) تعني فيها جميماً : الجدب او ما يشبعه.
لكنهم استنتجوا ان هذا الانسان الآف ذكره قد سمع
بذلك لانه يعيش في الارض الرملية المجدبة المعروفة .
ولما كانت كلمة عربو arabo السريانية تعنى
الصحراء فقد لاح للنظر عند بعض اللغويين ان اسم
العربي انما جاء من السريانية نفسها ، وأن هذا اخر
طريق لحل المشكلة .. وأوضح واوكد .

والحقيقة الثانية التي توصل إليها الباحثون هي أن أقدم وثيقة مكتوبة ورد فيها اسم (العربي) هي مسلة شلمندر الثالث ضمن أخبار حربه في موقعة القرفار ، في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد -

سين : أكثر المستشركون ومعهم الباحثون العرب من الأدلة باراء لهم في تعريف الانسان العربي ، فما هو أصوب تلك التعريفات أو اقربها الى الصواب يا ترى ؟

جيم : هذا خارج عن موضوع حديثنا ، يا ترى ؟
سين : هل موضوع حديثنا اذن منشئ الانسان
العربي الاقدم ، اي الارض التي نبت فيها اول مرة ثم
جاء منها الى هذه الارض الفسيحة المسماة «الجزيرة
العربية » ؟

جيم : من باب الاختصار ندعوها لفرضنا اللغوي «المعرفية». أما منشو الآدمي العربي فلا يريد الخوض فيه لانه امر مجهول يصعب الوصول فيه الى نتيجة مقنعة ثانية ، ولأن موضوعنا لغوي لا بشراني - زنة رمضانى ، - (اثر ويلو وحى) ، اولا .

سين : ما دام موضوعنا لغويا فهل المقصود أين
نشأت لغة هذا البشر العربي ، في «المعربة» أم في
غيرها؟

جيم : ولا هذا . وقد أوضحتنا في حديث آخر سابق أن هذه المعرفة هي منشأ هذه اللغة .

سین : اذن ۹

جيم : تسمية العربي .

سين : آه . ما أصل هذه التسمية حقا ؟

فهل هذه أقدم من صيغة (العربي) التي لا يرجع
أقدمها إلى أبعد من منتصف القرن التاسع ق م ؟

جيـم : لا .

وستعود إلى جلاء هذه النقطة الفامضة المميزة ،
ولننصرف الآن إلى منشأ تسمية العربي أولاً .
إن المعجم على قصوره ، ما يزال مقتدرًا على
إفادتنا في البحث عن هذه المادة اللغوية الخطيرة
الثانية (عرب) .

فماذا نجد ؟

ها هنا العجب العجاب حقاً . إن معانى الكلمة
ليست كثيرة فقط لكنها غريبة كذلك ومتباينة وبعضها
متضاد . وأول ما نذكر منها :

هذا (العربي) ، ثم :
الافقـاح ، و :
رد القبيـح
الافـحـاش في الـكـلام
الـأـكـل
فسـادـ المـعـدـة
التـبـدي ، أي ضد التـحضر
كـثـرـةـ المـاءـ
صفـاءـ المـاءـ
الـاـسـتـهـجـانـ
الـثـيـراءـ
ركـضـ الفـرسـ
الـشـنـاطـ
الـقـسوـةـ
الـنـهـرـ الشـدـيدـ الجـرـيـ
الـسـفـنـ الرـوـاـكـدـ

هذا عدا اسمى (عربة) و (عرب) .

وسوف نفسـرـ للقارـيءـ الكـرـيمـ كيف نـشـأتـ هـذـهـ
المعـانـيـ كلـهـاـ معـ آمـانـ آخرـيـ غيرـهاـ كـثـيرـةـ .ـ لـكـنـاـ نـؤـثـرـ
قـبـلـ ذـكـرـ أـنـ نـعـرـضـ كـيـفـ نـشـأتـ مـادـةـ (عـ رـبـ)ـ نـفـسـهـاـ
وـمـاـ مـعـنـاـهـاـ اـلـأـوـلـ .

وبالضبط عام 853 ق م . ومنذئذ ورد اسم العربي في
المصادر المسمارية المختلفة في صيغة كثيرة متاربة ،
منها :

arabi	عربي
arubi	عربـي
aribi	عربـي
ärbi	عربـي
urbi	عربـي

ووردت الصفة منها : عـربـيـاـ

(1) arabai~a وعربـيـاـسـوـ

وهـذاـ كـثـيفـ مـهـمـ حـقاـ ،ـ وـمـشـكـورـ للـنـبـاشـينـ فـيـ
آـنـارـ الـأـقـدـمـينـ .ـ لـكـنـهـ لـاـ يـجـبـنـاـ عـلـىـ سـؤـالـناـ :ـ مـنـ أـينـ جـاءـ
هـذـاـ اـسـمـ «ـ العـرـبـ»ـ عـلـىـ اـخـتـلـافـ صـيـفـهـ قـدـيـماـ
وـحـدـيـشاـ .

اماـ اللـغـويـوـنـ العـرـبـ فـقـدـيـماـ قـالـواـ انـ (ـ عـرـبـةـ)ـ
زـنـةـ قـصـبـةـ وـهـيـ مـكـةـ .ـ «ـ اـقـامـتـ قـرـيـشـ فـيـهاـ فـنـسـ
بـيـهـاـ الـعـربـ ،ـ وـهـيـ باـحةـ الـعـربـ»ـ .ـ وـبـيـدـوـ انـ هـذـاـ مـنـ
كـلـامـ الـعـدـنـيـةـ .ـ كـذـلـكـ قـالـواـ انـ «ـ يـعـربـ بـنـ قـطـحـانـ اـبـوـ
الـيـمـ ،ـ قـيلـ اـنـهـ اـوـلـ مـنـ تـكـلمـ بـالـعـرـبـةـ»ـ .ـ وـبـيـدـوـ انـ
هـذـاـ مـنـ كـلـامـ الـقـطـحـانـيـةـ ،ـ وـلـعـلـمـ اـنـمـاـ قـالـوهـ يـفـاخـرـونـ
بـعـدـنـيـةـ بـعـرـبـيـهـمـ الـتـيـ كـانـتـ مـنـ الـقـدـمـ مـقـدـسـةـ .

لـكـنـ اـحـدـاـ مـنـ الـطـرـفـيـنـ لـمـ يـتـسـأـلـ مـنـ اـينـ جـاءـ
اـسـمـ عـرـبـ اوـ يـعـربـ ،ـ لـاـنـ مـثـلـ هـذـاـ سـؤـالـ كـانـ يـوـمـنـ
يـشـبـهـ القـوـلـ لـمـاـذـاـ تـسـقـطـ تـفـاحـةـ نـيـوتـنـ .ـ اـنـهـ تـسـقـطـ
وـالـسـلـامـ .ـ حـتـىـ الـمـاتـخـرـوـنـ مـنـ شـرـقـيـنـ وـمـشـتـرـقـيـنـ
لـمـ يـتـسـأـلـوـ اـنـمـاـ جـاءـتـ تـسـمـيـةـ (ـ عـرـبـوـ)ـ السـرـيـانـيـةـ
بـعـدـنـيـةـ الصـحـراءـ ،ـ دـعـكـ مـنـ الصـيـغـ الـأـخـرـيـ الـتـيـ وـرـدـتـ
فـيـ الـمـصـادـرـ الـأـثـارـيـةـ .

اـخـبـرـنـيـ الدـكـتـورـ اـحـمـدـ سـوـسـةـ حـيـنـ كـنـتـ فـيـ بـغـدـادـ
آـخـرـ مـرـةـ اـنـهـ ذـكـرـ فـيـ كـتـابـهـ «ـ الـعـرـبـ وـالـيـهـودـ فـيـ التـارـيـخـ»ـ
اـنـ (ـ عـرـبـيـ)ـ كـانـ يـسـمـيـ فـيـ التـارـيـخـ الـقـدـيـمـ :ـ الـأـبـرـيـ
اـيـضاـ ،ـ وـالـعـبـرـوـ ،ـ وـالـخـبـرـوـ ،ـ وـالـهـبـرـيـ ،ـ وـانـ بـعـضـ
هـذـهـ الصـيـغـ قـدـ ظـهـرـ فـيـ وـثـاقـ مـسـمـارـيـةـ اوـ هـيـرـوـغـلـيفـيـةـ
تـرـجـعـ اـلـىـ أـكـثـرـ مـنـ خـمـسـةـ ٦٠٠ـ سـنـةـ !

(1) طـهـ باـقـرـ .ـ عـلـاقـاتـ بـلـادـ الرـأـفـدـيـنـ بـجـزـيـرـةـ الـعـربـ»ـ .ـ مـجـلـةـ «ـ سـوـمـرـ»ـ .ـ الـجـزـءـ :ـ 2ـ .ـ الـمـجـلـدـ :ـ 5ـ .ـ 1949ـ .ـ وـقـدـ اـوـرـدـ هـذـهـ الصـيـغـ بـالـحـرـوـفـ الـلـاتـيـنـيـةـ ،ـ اـمـاـ نـطـقـهـاـ الـعـرـبـ فـاـضـافـةـ مـنـ عـنـدـنـاـ .ـ وـيـلـاحـظـ
اـنـهـ وـرـدـتـ فـيـ الـمـصـادـرـ الـمـسـمـارـيـةـ بـالـهـمـزـةـ وـلـوـ اـنـهـ كـانـوـاـ يـنـطـقـونـهـاـ بـالـعـيـنـ عـلـىـ الـاـغـلـبـ ،ـ لـعـدـ وـجـودـ
حـرـفـ الـعـيـنـ فـيـ كـتـابـتـهـمـ الـمـسـمـارـيـةـ ،ـ فـكـانـوـاـ يـعـتـضـونـ مـنـهـاـ بـالـهـمـزـةـ كـمـاـ نـفـعـلـ نـحنـ عـنـدـ كـتـابـةـ اـسـمـائـاـ
بـالـحـرـوـفـ الـلـاتـيـنـيـةـ .

« رفعت لي نار من بعيد » أي لاحت ، وكانت المقصود عرفت نارا من بعيد . ذلك بأن أجاويد العرب كانوا يوقدون النار على (المعرفات) ليهتدى بها سراة الليل المحتاجون إلى المأوى والقرى . وهنا يمتنع معنى المعرفة بمعنى الارتفاع . ومن ثم قيل : أشهر من نار على علم ، أي على جبل . ونظمن ان جبل (عرفات) إنما جاءت تسميته من هنا .

وللمعرفة عند العربي – ولا سيما الاعرابي البدوي – خطرها الكبير ، لأنه في بيته يتوجس الشر من كل مكان ، من عدو مباغت يدهمه ليقتله طمعا في ناقته وزاده وثوبه ، أو سبع يربز له من وراء تلعة أو كثيبة أو جني يتخطفه . حتى الجمادات ، أي العشائر ، المقيمة في مكان كانت في حذر دائم من غارة مباغته .

ان قوله (نكرت) الشيء ، إنما يعني جهلته ، و (نكرت) الرجل : لم تعرفه .. ومثل ذلك (انكرته) . لكن حشدهم وتوقعهم الشر من كل ما لا يعرفون ، جعلهم يرثقون بالمعاني المكرورة كل ما ينكر وته ، ومن ذلك ما زلتنا نستعمل (الاستنكار) بمعنى الاستهجان والاستكراه . وصار قوله (انكر) الشيء يعني بالإضافة إلى جهله : جحده وعابه ونهى عنه ، وصار (النكر) – زنة الكفر – يعني الأمر الشديد القبيح ، و (التكير) : الشديد الصعب ، و (المترد) يعني به اليوم المستقبح المستهجن ، وعلى التعبير المعجمي : ما ليس فيه رضي الله من قول أو فعل ، وجمعه (المنكرات) بل بلغ بهم الأمر أن قالوا (ناكره) مناكره : قاتله وحاربه !

هذا نورده عن (الانكار) أي عدم المعرفة ، غير خارجين عن صلب موضوعنا كالذى يبدو للنظر غير المستانى ، كيما نتممن فى مفهومه المخالف – حسب التعبير الحقوقى – أي فى الكلمة المناقضة للنكر وهي (العرف) . فمن شدة ارتياح العربى فى المفاوز الى من وما كان يعرف افرغ على المعرفة الكثير من معانى الخير والاستبشران . فالعرف بالإضافة إلى ما تقدم من معانيه صار ضد النكر اي الجحود والاحسان ، و (المعروف) : ضد المنكر ، اي : المشهور ، والحسان ، والخير ، بل الرزق أيضا . ثم جاءهـم الاسلام « يامر بالمعروف وينهى عن المنكر » . وربما كانت لهذه المادة اللغوية معانٍ خيرية أخرى لا يعيها المعجم . وصار (العرف) – كالصرف – يعني الرائحة لأنها كانت عندهم من أهم وسائل التعرف على الامور

تكرر لدينا القول فى احاديث سابقة – وفي هذا العدد ايضا من اللسان العربى ، فى مقال آخر – ان صوت (فرررر) الذى يعبر عن رفرفة جناحي الطائر البارب قد صوره العربى الأقدم بقوله (فر) ومنه يفتر فرارا . وقد نشأت منه صيغ ذات معان ، منها معنى الخوف فى (فرق يفرق) – من باب فرح – لأن فرار الطائر باعنه الخوف . ومنها معنى الابتعاد فى (فارقا ومقارقة) لأن هذا هو الفرض من الفرار ، ومنها معنى (التفرق) فى (فرقت بين الشيئين) : فصلت .

وبالاضافة الى (فرق) نذكر من بنات (فر) : فرج ، فرح ، فرد ، فرز ، فرس ، فرع ...

والذى يهمنا هنا هو (فرع) . فقد قالوا (فرعت) بينيت : فرقت . ومنها (الفرع) من كل شيء : اعلاه (المتفرع) من اصله كفرع الشجرة . ولما كانت الاغصان تعلو الجذع صار للفرع معنى العلو أيضا . ثم صار للكلمة معنى الكثرة منذ قالوا (تفرعت) (الاغصان) كثرت . ومن معنى العلو قالوا (الفارع) : المرتفع ، و (فارعة) الجبل : اعلاه . أما (الفرع) من المرأة فشعرها ، ومن القوم : شريفهم ...

فلا عجب اذن أن نجد مقلوب الرفع اي (رع ف) يعني العلو أيضا فى (الراعف) : انت الجبل ، وعلى المجاز : طرف ارنية لآلاف من الانسان . ثم صار (الراعف) – بالضم – يعني الدم السائل من الانف . والمقارنة هم فيما اعلم العرب الوحيدون الذين يقولون فى لفتهم الدارجة (يرعنف) بمعناها الفسيح اي : يسيل الدم من انفه .

وانتقلت الكلمة قبلة أخرى فتشأت (ع رف) بمعنى العلو والارتفاع مثل الراعف ، وبمعنى الشمر مثل فرع المرأة ، ثم بمعنى العلم ضد الجهل ...

اما العلو وهو أصل معانى الكلمة فيظهر فى قوله (اعرووف) البحر : ارتفعت امواجه ، وربما كانقصد انها صارت تشبه عرف الديك . و (العرف) بالضم : ما ارتفع من رمل او مكان او نحو ذلك . و (اعراف) السحاب والرياح : اعلىها واوائلها .

ومن معنى العلو صار (العرف) – بالضم – يعني كذلك اللحمة فى أعلى رأس الديك ، ثم الشعر فى محدب رقبة الفرس .

ومن معنى العلو صارت (المعرفة) تعنى العلم بالشيء . وما أكثر ما تقرأ فى اخبار العرب قول قائلهم

أنت يا أخا العرب ؟ . . . و « يا أخا العرب » هذه بقية فيما يظهر من عهد المرحلة الأولى من التعارف وهي أن مخاطبه عربي يفهم عنه ، لا أعمى .

ان الكلمة اع رب) من الالفاظ اللغوية الخصبة الولود قد نشأ منها ومن تفرعاتها الكثير من المعاني المتشعبة الآخذ بعضها برقاب بعض ، والبعيدة عن المعنى الأصلي أحيانا ، ما يفرض علينا أن نؤثر كل واحدة منها ليعرف القارئ الكريم تحدرها التطورى وعلاقتها بالكلمة الام . لكننا لو فعلنا ذلك فى كل لفظة ستصادفنا فى حديثنا هذا لاظتنا كثيرا وأمثلنا ربما شيئا أيضا ، فلهذا ندرج هنا سردا تقريبا ، أشبه بالخريطة التائيلية ، يوضح شيئا من سلسلتها اللغوية وجها عام ، قبل الخوض فى تفرعاتها المعنوية .

(فرع) « 1 » : عرف - عرفع - عرفط) - عرب .

(فرع) « 2 » : عرف - رفع - عفر) - عفريت - عفريس - عفرين - عورد .

(عرب) « 1 » : عبر - ابر - هبر - خبر .

(عرب) « 2 » : عرم - علم (- عيلم) - علا ، علو - علب) - علن - عرن - عرس .

(عزم) : عرد (عندرس - عر - عاد - عاب ، عيب) - عد - عدو - عذب .

(عيبر) « 1 » : ارب (- ذرب) - ارم . . . - ابر - بسار .

(عيبر) « 2 » : غبر - عفر) - قفر) - عمر - معز .

(دريم) « 1 » : ربا - رب - ريا ، ربو - دبل .

(دريم) « 2 » : ربع - رباع (- بغر - رغب) - ريم .

(دريم) « 3 » : برا - برع (- برم) - بر - برج - برج (- رحب) - برز - برس - برش (- ريش) - برص - برض - برق (- برقش) - برك (- بركة) - ركب (- ركبة) .

(دريم) « 4 » : ربت (- لبٹ) - رباع - ربد - ويد - ربع - ربض - ربظ - ربقي - ربك - كرب - كربس - كرفنس) - كربيل - غربيل .

(ربق) . بقر - رقبة ، رقب ، - قرب ، قربان ، قرابة .

(ربك) : لك ، التبك - كل - كلاب ، زنة رمان (- كلب) .

والاماكن قبل التورط فيها . ومن شدة تعازلهم بالمعروفة وحدهم لها صار هذا (العرب) أكثر ما يطفق على الروائع الطيبة ، فقالوا : ما أطيب عرفه . والارض المعروفة ليست ضد المجهولة فقط ، بل هي الطيبة العرف .

من كل هذا يمكننا ان نتصور ما أجمل عند المسافر في البداية ان يرى شخصا يعرفه او موما يعرفهم . وما اوقع في نفوسهم القول (تعارفوا) : عرف بعضهم بعضا . وما اخرج عند العربي وابعث للريبة في نفسه ان يجايهه من لا يعرف . لكن من لا تعرف يمكنك التعرف اليه اذا عرفت لفته ففهمته واقيمك ان لا باس على ايكم من صاحبه .

فنحن لفظة (عرف) بابدال فانها باءا نشأت منه (عرب يعرب عربا) فخاطب الغريب في الغلة : (تكلم بالعربية) اي « كان عربينا فصيحا » على تعبير المعجم في كليهما .. فعندما تنفس الصعداء . لا يمساكل سرووك هنا الا امتعاضك وتوجشك اذا كان صاحبك اعجميا لا تعلم عنه ولا يفهم عنك .

ومن ذلك قبل (أعرب) عن حاجته : ابسان ، و (أعرب) عن حاجته : افصح ..

والرجل (العريان) - كاليفظان : الفصيح . ومثله (العرياني) اللسان .

اليوم قد تلاقي شخصا لا تعرفه في مقهى او قطار او حتى في دار صديق لك ، فتحدهه ويحدثك وتخوضان في شئ شؤون الدنيا .. في الكارنة التي يسمونها ازمة الشرق الاوسط او في اهوان فيستانام او في شؤون الحرب او الميني او الماكسي الذي يكتسب لك من بين شقوقه ما يحمر له حتى الميكرو - حسداء - تم تفترقان ثم تلتقيان كرها اخرى بعد ذلك .. دون ان يمر ببال احد كما ان يسأل عن حرفة الآخر او حتى عن اسمه . هذا كان في حكم المستحيلات عند العربيين القدميين . فاول شيء يخطر له عند مواجهتك هو اخطر شيء لديه : ان (يعرفك) ! من انت ؟ ومن من انت ؟ اما « ومن انت » فاختظر كثيرا من « من انت » . فالوائل لكل منكما من صاحبه اذا تبين انكما من قبيلتين متعاديتين ، بينماهما ثار او ثارات .. لأن كل فرد من القبيلة مسؤول عن اخذ الثار ، وكل فرد من القبيلة الاخرى مادة تصلح للاخذ بالثار منها ، اي قتلها . وكل ما تقرأ من قديم اخبار لقاء العربي بالعربي يتبينك ان اول كلمة تغير الى لسانه هي : من الرجل ؟ او : من

وليعننا القارئ ، او بالاحرى اننا سنعنى القارئ من بيان تسلسل تطورات المعانى فى كل من المبادىء دفعا للسامة التي نجهد فى دفعها عنه مع المحافظة جهد الطاقة على ما يجمع الطرافه والمتممة الى جوهر الموضوع – ولنكتف الان بالجدول التأثيلي الذى مررنا . ثم نأتي الى :

المعرفة :

التي هي امثل مادة (عرب) لفظا ومعنى . فقولك اعرفت الشيء : يعني علمته . و (المعرف) : العلوم ، و (المعروف) : العلوم أو المشهور ، و (الغرااف) : المنجم الذى يتباين بطالع الناس . ومن مقولتها (اعفر) صيغ (الغريت) و (الغرين) : النافذ فى الامر مع دهاء من الانس والجن ! و (اعفر) نطقوها (اعور) فشتات صيغة (اعور) الشيء : ظهر .

ومن (عرب) قيل (برع براءة وبروعا) : فاق علما او فضيلة او جمالا ؛ والعلم مقصودنا هنا ، فهو (بارع) . و (بريع) .

ومن العبر والتعبير قالوا (اعتب) المرء بالشيء : انتظ ، اي اكتسب (العتبرة) : العضة ، والظاهر فى الاحوال ، والعجب .

وعندما نطق بعضهم (عبر) بالخاء صار قوله (خبرت) الشيء علمته بحقيقة وكتنه ، او علمته عن تجربة . و (الخبير) : العالم بالخبر ، او بالامر كما تقدم .

ومن (عزم) او غيرها ظهرت صيغة (علم) التي اشهر معانها المعرفة كما هو معلوم .

ومن هذا وما سبق ذكره تحت عنوان «الاصحاح» تتضح علاقة الاعراب والتعبير والاخبار والعلم والعلن بعضها بعض .

الامتحان والتجربة :

وعندما اقلبت (عرب) فصارت (ريع) زالت بعض معانها كالعادة ، لكن الغريب ان معنى (الرفع) – وهو امثل (عرف) التي هي امثل (عرب) – ما زال باقيا فيها حيث قيل (رابعوا) الحمل : ادخلوا (المريعة) – كالملائكة – اي المرفعة ، تحته ليرفعوه على الدابة . ومن ثم صيغ بلفتنا الحديثة (الرباع) – كالجبوار :

(التبك) : التبس – ليس – سلب) – التسر – لمس – مس – مسح – مسخ .

(التمس) : استلم – تسلم – سلم تسلينا – سلم سلامة – سلام ، سلم .

هذه ليست كل الالفاظ التي انجبتها كلمة (عرب) وإنما هي الالفاظ التي اقتصرنا عليها فيما سيأتى من بقية هذا الحديث .

وانه من الصعب بل من المتعذر ترتيب معانى هذه الالفاظ حسب تسلسل نشوئها النطقي او الذهنى لاختلاطها وتعرج اتجاهاتها على غير نظام او قياس ثم لتعود المعانى فى اللفظة الواحدة وتعود الالفاظ للمعنى الواحد او المعانى المتقاربة . فلنورد لها اذن على هذا الترتيب الشبيه بعدم الترتيب . ولنأخذ اولا :

الاصحاح :

الذى هو اصل معنى مادة (عرب) والذى كان السبب فى تسمية جدنا البدوى (العربي) او (العرفي) ! فقد قالوا (اعربت) الشيء : ابنته وأظهرته . و (اعربت) عن حاجتك ، او بحاجتك : أفصحت . (العربان) – زنة الرحمن – و (العربيان) – زنة البحريان – يعنيان الفصيح اللسان ، كما تقدم .

ومن (عرب) نشأت صيغة (اعبر) عرا ، بالخفيف . و (عبر) تعبيرا : بمعنى (عرب) تعربيا و (عرب) اعرابيا . ولنتبع هذا التسلسل اللغوى : عرب – عزم – علم – علن . معنى الاصحاح يختفى فى (علم) ثم يعود فيظهر بدلا من معنى المعرفة فى (علم) . اما كيف حصل هذا فيمكن ملاحظته فى مادة (خبر) التي نشأت من (اعبر) ، فقد حصلت المعرفة فى قوله (أخبر) اخبارا و (خبر) تخبرا – نتيجة لظهور (الخبر) ، ومن ذلك صار (الخبير) يعني العالم العارف . وقولك (اعلمته) يعني اخبرته واعربت له الامر ، او عن الامر . ثم يختفى معنى المعرفة فى (علن) ويظهر بدلا منه معنى الاعراب والتعبير حيث قالوا (عالنته) الامر : جاهرته به وأظهرته له . واكتسب (العلن) معنى تطورها جديدا وهو (العلانية) : ضد الخفاء .

وهاؤم تسلسلا لفظيا آخر : عرب – ربع (خصب) – برع – برا (خلق) – بر (صحراء – براح . نقولهما باختصار ان معنى الاعراب يختفى من حلقات هذه السلسلة حتى يظهر اخيرا معنى العلانية فى (البرايم) : البين الصراح .

رافع الاقال في عالم الرياضة اي الرفاع . تسم صار فعل (ربع يربع) يعني : رفع الحجر بيده امتحانا لقوته .

تم يظهر معنى الامتحان مرة اخرى في الاختبار، فمن قوله (استخبرته) و (اتخبرته) : سأله الخبر، و (خبرت) الامر : علمته بحقيقة وكتنه، او علمته عن تجربة - صار قوله (اخبرت) الشيء : يعني جربته وامتحنته .

و (اعتبرته) : اخترته او احصيته .

واعبر) الدرهم تعبيرا : وزنها لمعرف نيم وما هي ، وكذلك (تعبير) المتعار .

و (العاير) : الناظر في الشيء .

رد القبيح :

من قوله (عرب) الرجل تعريبا عن صاحبه : احتاج له وتكلم عنه - ظهر قوله (عرب) تعريبا على الرجل قوله : رد عليه وقبحه ، ومثلها (عرب) عليه فعله ، وصار من معاني (التمرير) : تقبیح قول القائل والرد عليه .

فحش الكلام :

نم صار قوله (اعرب) الرجل يعني كذلك : تكلم بالفحش وبالقبيح ، اي شد معناه الاول . ولعل ذلك متأت من ان رد القبيح يكون بمثابة عادة . ومارت (الغرابة) - كالعمامة - تعني الفحش وقبح الكلام ، و (العرب) - زنة الشرس : الرجل (النرب) - من نفس الوزن - وهو الفاحش او الفسيح ، (والنرب) - زنة الطرف : بذاءة اللسان .

ومن التفرعات لفظا ومعنى نصل الى قوله (البك) المرء الباكا : انحش في كلامه .

التغبير :

وهنا ظهر معنى التغبير والعار من قوله (عربت) عليه فعله تعريبا : قبحته . والظاهر ان هذه الصيحة قد رخصت فصارت (عر) القوم : لطفهم بشيء ، و (عارور) و (عارورة) : الذي يعر القوم . وصار (عر) - زنة الشر - يعني الشر و (العب) اي

العيوب) وهم ما من هذه الطائفة اللغوية .
ومن معنى التطريح صار (العر) يعني الجرب او الاجرب لأنهم يلطخونه بالقطران ، ومنه ظهرت صيغة (الغار) و (التعير) تقبیح الفعل ونسبة صاحبه الى الغار . و (العورة) : كل مكمن للستر وكل ما يستحب منه . ومن هنا اتت صيغة (العرى) التجدد من الكساء - ياما :

المغيبة :

فتّيات من معنى (الابرة) وهذه من حرف (البئر) . قالوا (أبوا) فلانا : اغتابه ، استعارة من (أبنته) المقرب : لسعته ، اي ضربته بابرتها .
و (الابرة) التي يقول المجم انها محددة الذنب مثقوبة الراس - ولعل الاصح أنها محددة الذنب مثقوبة الرأس وهي تسعى في الخليطة باتجاه ذنبها - تعني النمية ايضا ، ومثلها (المثبرة) .

الشمر :

(عالنه) العداوة : جاهره بها .
و (علاه) : غلبه وقهره . و (علاه) بالسيف : ضربته .

و (برق) الرجل برقا و (أبرق) ابراقا : توعد .
و (العفاراة) - كالعصارة : الخبث والنكر .
و (عفرسه) : صرעה وغلبه .
و (العفريت) : الخبيث المنكر .. بالإضافة الى معناه السابق .
و (وابيل) الرجل مراقبة : خبيث وترصد للشر ، و (تربابل) : اغار على الناس وفعل فعل الاسد اي (الرئبال) . اما (الريبل) فاللص يغزو القوم وحده .
و (التبريع و (البرح)) - كالصرخ - و (البرحاء) - كالبرداء : الشر والشدة والأذى . و (برح) به تبرحها : آذاه اذى شديدا واتبعه واجهده .

و (عريد) : ساء خلقه .

و (العرعر) - كالهدوء : السيء الخلق .
و من ذلك (عزمت) فلانا : أصبتـه باذى ، و (العرام) - كالهمام : الشراسة .

الخمسة تطلق بالسريانية (خمس) . وهكذا صارت « ذات الأربع » : كل ما يمشي على أربع أرجل . ومن هنا سمي (اليربوع) لانه (يربع) . والحقيقة انه لا يربع بل يمشي لانه يقف على رجليه الخلفيتين ويجلس عليهما . وشذوذه هذا عن بني جلداته من ذات الأربع جعلهم يسمونه (اليربوع) ربما من باب التهم .

النبات :

من المعاني الريعية في دنيا النبات ذكر قولهم (ربيع) القوم : أخبو ، (رباع) القوم – بالفين المتنوطة : أخبو ، وربيع (رابع) : مخصوص . بل انهم أطلقوا (الربيع) نفسه على ما ينبع فيه من الكلايم على ما تعلقه الدواب من الخضر . والمغاربة يسمون الحشيش والاعشاب الخضراء (الربيع) بنفس المعنى العربي القديم . و (المرباع) – زنة المسار : المكان الذي ينبع نباته في أول الربيع .
ومنها (المرباب) و (المربة) – زنة المحجة : الأرض الكثيرة النبات .

و (دبل) المكان تربيلا : انبت (الربل) – كالطبل : شجر يتغطر آخر الصيف من طراوة الليل دون مطر ، و (الربل) – كلامل : نبات شديد الخضر .
ثم (الريم) – بفتحتىء أيضاً : الكلا المتصل .
ثم (المعم) – كالذهب : المنزل الكثير الماء والكلا .

ثم (عرد) النبات تعريداً : خرج كله واشتد .
و (اريش) الشجر : أورق وتغطر ، أو خرج ثمره ومنها (تبرضت) الأرض : خرج نبتها ، ومن باب التضاد (البرضة) : الأرض لا نبت فيها .
ثم تذكر (العروة) – كالغرفة : الشجر الملتف .
وضده من نفس المادة (العريان) – كالثعبان : رمل نقى ، أو عقد لا شجر عليه .

اما (برع) فقد فقدت معناها النباتي الذي يظهر في ولادتها (برم) وذريتها : (البرغم) و (البرعم) و (البرعمة) و (البرعومة) : زهر النبات قبل ان تنفتح ، وكم ثمر الشجر .
ونذكر (العبراء) – كالسويداء : نبات .
و (العبير) – كالغزير : الزعفران .

واشد من ذلك : عبره) تعبيراً : اهلكه .
هذا بالإضافة الى ما تقدم ذكره من الشرور من فحش كلام وعار وتعير وغيبة ونميمة .

الربيع :

انه مفتاح الكثير من المعاني التي سنتقي بها ، وغيرها من التفرعات التي سنصرف النظر عنها .

فمن العربي صيغة (العربي) – زنة القريب : ثمرة . قالوا : ما بالدار عربي ، أي أحد . ومثله المغرب : – زنة المحسن .

ومن أمثال هذا المعنى صار (الربيع) – زنة الطبع – منذ القدم يعني الناس او الجماعة منهم . وانتقل المعنى الى مكان اقامتهم فطلق (الربيع) على الدار ، ثم خولها ، وعلى المحلة اي المكان الذي يحلون فيه الرجال والاحمال عن ابلهم ودواهام للنزول ، وعلى المنزلة اي المكان الذي ينزلون فيه . وجمع الربيع : اربعاء (كالرجال) والأربع (كالارؤس) والأربعاء والربوع . وقد صرنا نستعمل (الربيع) بمعنى الارجاء والاصناع .

ولما كانوا انما ينزلون ويضربون بيوتهم في مواطن الكلا ، وهذا يكون أيام الربيع على الاغلب ، صار (الربيع) – وهو في الاصل موضع نزول (الربيع) الجماعة – يعني فضل الخصب اي المطر والماء والنبات .. فقالوا (اربع) في المكان : اقام فيه زمن الربيع . ثم : ربيع بالمكان : اقام فيه (في زمن الربيع او غيره من رسول السنة) .

ويقول المعجم (تربع) الجمل و (اربع) : اكل الربيع اي الكلا ، وسمن . وبقى من ذلك في الدارجة العراقية قولهم عن الحيوان والانسان انه قد (رباع) – بالتشديد – بمعنى هذه التعبير كذلك ما يداخله الماشية من نشاط في الربيع فتقافز مرحأ وفواران دم – ولا سيما الجداء . ويلوح لنا انهم قصدوا الجري ايضاً كما لا يزال يقال بالدارجة الموصلية عن الحيوان انه (بربع) – زنة يركع – بمعنى يجري . فالظاهر انها صيغة اصيلة المعنى يقدر ما هي ائلة البنسي ، وعلى هذا تكون (الأربع) قد اطلقت أولاً على القوائم التي تجري بها البهيمة ثم على العدد الذي يلي الثلاثة . مثل (الخمس) التي تحسب ائلها (الخمس) من الاظافر الخمسة التي يخمش بها الانسان ، وربما الصبي ، وجه صاحبه عند المراك ، هذا علماً بأن

نطعه ، و (العبر) - كالمنظر : الشط المهبأ للعبور ،
و منه مجازاً : (عبر) السبيل .

و من معنى الماء قالوا (عبرت) العين : دمعت ،
أي سال ماؤها ، و (العبرة) : الدمعة ، بوزنها .

و (العد) - كالضد : الماء الجاري لا ينقطع .

اما (افثم) الماء فمعنى : سال ، ومنها (العيلم)
الذي اصل معناه : البشر الكثيرة الماء - يعني كذلك :
البحر على جلالة قدره .

و من (عرب) النهر (العارب) اي الفامر الانف
الذكر صار فعل (عرم) على اختلاف طرائق نطقه ،
يعني : اشند وخرج عن الحد ، وكان شرساً ،
و (العرمة) - كالنبقة : سد يعترض الوادي . ومن
ذلك سمي « سيل العرم » الذي اكتسح سد مارب .
واسمه (مارب) الذي يقول المعجم انه موضع باليمن ،
يبدو انه من معنى الماء طايضاً منذ سمو السد على
اسمه .

و قد تسرب الماء الى مادة (خبر) ، فمن ذلك
ـ الخبراء ـ زنة الخضراء - بلغة الموصى تطلق على
ما يشبه البحيرة الصغيرة من الفدران المختلفة من
مياه الامطار تبقى في البرية ايام الربيع وتجف في
الصيف . وهو اصل معناها فيما يظهر ولو ان الذي
بقى في المعجم عنها هو أنها : القاع ينبع شجر
(الخبر) - زنة الصيد ، والمزادة العظيمة . ونحن
نرى كيف تجتمع في هذه الكلمة معانى الماء والنبات
والطعام . وأوضح من الخبراء دلالة على ذلك هو هنا
(الخبر) الذي يعني شجر السدر والأراك وما حولهما
من المشب ، والنافقة الفزيرة للبن ، والزرع ، ومنقع
الماء في الجبل ، والمزادة العظيمة مرة ثانية .

و من الماء : (الغابور) . وبالاضافة الى انه نبت
او شجر هو اسم نهر « شرقى دجلة الموصى » و
« بين رأس العين والفرات » ، ويظهر من هذا انهم
ـ خابوران ـ اثنان .

ويبدو ان اسم (خير) الحصن التاريخي
المعروف بالحجاج انما سمي بهذا من معنى الماء او
نبع البشر الذي لا بد أن يكون الحصن قد بني عليه ،
فلا حصن ولا قرية ولا مدينة من غير ماء . وما أكثر
الاماكن المسماة باسماء المياه في الحجاج وغيره من
انحاء المعرفة . منها من نفس المادة (الخبورة) كالنبقة :
ماء لبني ثعلبة .

و (العرج) - كالثعلب : نبات سهلی (على قول
المعجم) . ومن الاضداد (العراج) - بضم العين :
رمال لا طريق فيها .

و (العرفط) - كالقندف : شجر من العصاء .

و (العرع) - كالبربر : شجر يشبه السرو .

و (العرين) - كالقرنين : جماعة الشجر أو
الشوك .

و (الهوير) : السوسن وزناً ومعنى ، او الاحمر
منه . والكلمة كالكثير غيرها مشتركة المعنى فهي تعنى
الفهد والقرد ايضاً .

و (الاريجان) - بكسر الهمزة والباء : نبات
لا يقول القاموس ما هو . نبات ما .

نم (الريباس) - كالعزيزان : نبات يشبه السلق
لكن طعمه نم ، اي حامض الى حلاوة .

وأخيراً نذكر (العربي) - الصيغة التي تطلق على
ابن المعرفة - فهي تعنى كذلك الشعير الابيض سبلة .
وناهيك به نموذجاً من اعتباطيات التطور الفروي
وتدخله ومفارقاته .

الماء :

جاء معنى الماء من الربيع ايضاً منذ قالوا (رب)
ال القوم - بصفة المجهول : أصابهم مطر الربيع ، وكذلك
الارض فهي (هربوعة) .

وقد مر بنا ان من معانى مادة (عرب) : الماء
الصافي ، فذلك حيث قالوا (العرب) - كالشجر -
و (العرب) كالحرص : الماء الصافي . و (عربت)
البشر - بكسر راء عربت كثر ماؤها .

و (انتربت) البشر : حفرتها . و (بار) : حفر .
و (ابفتر) الارض : سقيتها ، و (ابفتر) السماء :
امطرت .

و (اوعفت) القرية : ملاتها حتى فاض الماء منها .

و (العرنيس) - كالشمقق : السيل الكبير .

و اتسع معنى الماء فقالوا (عرب) النهر - كفرح
غم فهو (عارب) و (عاربة) . وصار (عبر) الوادي
بفتح العين او كسرها : شاطئه ، ومن هنا جاء معنى
(العبور) حيث قالوا (عبرت) النهر او الوادي :

ثالثاً كثرة النقوس ، وهذه منشؤها الريع بعاته ونباته ، حيث صار (المعمر) - كالمعمل : المنزل الكثير الماء والكلأ ، ومن ثم قيل (أبر) القسم : بشدید الراء : كثروا . وقوم (عيسيرو) : كثير ، و (العيرو) - كالشکر : الكثير من كل شيء ، وقد غلب على الجماعة من الناس .

ورابعها : كثرة عجيبة أثلاها اللفظي (العيور) والمعنى (تعبير) الكبش ، أي ترك صوفه عليه سنة ، أي أنه يعبر سنة عن جز صوفه فيكثر . ومن ثم قيل (اعبرت) الشاة : وفرت صوفها . ثم صاروا يطلقون (العيور) - كالصبور - على الجذعة من الفنم ولو لم يعبروا صوفها . وصار (المعيرو) - كالمنظر - يعني المفوري الريش أو الشعر . والجمل (المعيرو) - كالمظفر : الكثير الوبر .

ثم (ربع) الشيء - بضم الباء وبالغين المنطقية : كثير ، و (الأربع) : الكثير المتسع .
ثم (استربع) الرمل - بالعين المهملة : تراكم .
(الغرموم) : الجيش الكبير ، ولعل هذا من سيل العرم .

وما إلى ذلك ...

فساد المعنة :

حين جاء معنى كثرة الأكل من معانى الريع التي نجد منها قولهم (أربفع) الجمل و (تربيع) : أكل الريع وسمن - جاء بعده قولهم (عرب) - كفرح - الطعام : أكله . مما يدل على أن صيغة (عرب) استعملت بمعنى الريع قبل (ربع) ، أي انهم قبل أن يقولوا (ربع) بالمكان : أقام ، قالوا أولاً (عرب) بالمكان ، لكن هذا المعنى زال من هذه اللفظة .

ولا ندري كم من اللفاظ اختلف منها معنى الأكل قبل أن يعود إلى الظهور في فعل (رف) - بالتشديد : أكل كثيراً ، و (بوج) - كفرح : اتسع أمره في الأكل والشرب ونحوهما .

وقالوا (أعنون) : دام على أكل (العرن) - زنة البلد - وهو اللحم المطبوخ . و (عزمت) - بثلاث فتحات - الإبل الشجر : ثالت منه . وحين اكتسبت الكلمة معنى الأكل قيل على المجاز (عزم) الصبي أمه : رضعها .

ومن الأسماء المائية : (الريانية) - بكسر الراء وشد الباء والياء : ماء لبني كلب بن يربوع .
و (عرفجاء) - بفتح العين والفاء : موضع أو ماء لبني عقيل ، وربما كان الأصح : موضع (و) ماء لبني عقيل وعندما يكون الموضع قد سمي باسم الماء . واضح أن (عرفجاء) من الفاظ هذه الطائفة فائلها (عرف) و (عرب) .

و (عريان) - كالخفقان : بلدة بالخابور ، ولعلها بهذا سميت لوقعها على نهر الخابور ، ومادة اسمها (عرب) غنية بالماء كما رأينا أكثر من مرتبين .

و (العروبة) - بثلاث فتحات : ناحية قرب المدينة ، وأكبر ظننا أن اسمها مائي أيضا .

كذلك (عروبة) - مكة - يبدو لنا أن اسمها ماني هو الآخر . وهذا يتساوق مع حكاية اقامة اسماعيل وابه هاجر في ذلك الوادي المنقطع غير ذي الزرع ، الذي بنيت فيه مكة على بئر زمزيم القليلة الماء الاجاجته . وصارت (العروبة) - بالتعريف - تطلق على النهر الشديد الجريان أيضا ، أما بلغة جيل آخر وأما بعد ذلك الحين من الدهر .

ومن معانى الماء قولهم (غلب) الرجل - كضرب ترك الأكل من شدة العطش ، ومن هذا فيما يظهر نشأ (العذاب) ، أما (عذب) الماء - بكسر الذال - فيعني علاه ططلب . وأما الماء (العنكب) : أي الطيب السائع فمن قولهم (عنكب) الشراب - بالضم هذه المرة : كان طيباً مستساغاً . ومن هذا نشأ قولهم (عذا) المakan عدوا : طاب ، أو كان بعيداً عن الماء والوحش .

الكثرة :

جاءت من عدة أشياء ربيعية .
منها أولاً كثرة الماء . ومن ذلك (عريست) البئر - كفرحت : كثر ماؤها ، و (عرب) الرجل : أكثر من شرب الماء الصافي ، و (عرب) النهر : غمر .
و (العد) الذي قلنا انه يعني الماء الجاري لا يتقطع ، يعني كذلك الكثرة من كل شيء .

ثانياً كثرة النبات . منها (المرباب) - كالحراب - و (المرية) - كالمحبة : الأرض الكثيرة النبات . والائل هو (المرساع) : المكان الذي ينبع نباته أول الريع . ثم (ربا) المال : زاد ونما ، ثم (الريع) ومنه قالوا (وابحشه) على سلطنته : أعطاه ربحا .

و (تربيل) تربلا : كثـر لـحـمـه ، و (الـريـيل) :
الـسـمـين . و ما كان هـذـا يـعـد مـرـضا عنـهـم لـكـنهـ أصـبـعـهـ
فـي عـصـرـنـا مـرـضا وـسـوـاسـا عـنـدـ الجـنـسـ الـذـي بـعـضـهـ
لـطـيـفـ حـقا . عـلـى انـ الـقـدـامـيـ قـالـوا (تـربـيل) جـسـمـهـ
بـعـنى اـنـتـفـخـ ، اـيـضاـ .

(البر) : خلاف البحر ، أي الأرض اليابسة ؛
وأنته (برا) : خلق . و (البرية) - بشدتين : الصحراء ،
ومن هنا قالوا خرج الرجل (برا) : الى البر والصحراء .
وجلس (برا) : خارج الدار . وما زالت دارجات
عربة تستعمل (برا) - بدون تنوين - بنفس المعنى .
و (ابتسر) الرجل - بتشديد الراء : انفرد عن
اصحابه . ثم صار (البراني) : الخارجي ، خلاف
الجوانى : الداخلى .

كذلك (أفتر) الرجل؛ تفرد عن أهله؛ أو صار إلى (القفز) أي الخلاء المفتر.

تم صار (العراء) - كالرجاء - ومثله (البراز)
و (البراح) : الارض الفضاء ، ومن هذا الاخير :
(الرحب) - بالضم : بمعناه ، أما بالفتح فيعني الفسيح .

وتشمل هذا المعنى : (العربي) : ساكن البر . وقد تخصصت صيغة (الأعرابي) بسكان الباادية خاصة، وجمعها (الأغاريب) . ولهذا قال العرب أنفسهم (تعرب) الرجل : بمعنى أقام في الباادية وصار (أعرابياً) .

صحيح أنهم قالوا (أرم) ما على المائدة : أكله ولم يترك منه شيئا ، لكن هذا المعنى خلق قبل أن تعرف الموائد ،منذ قالوا (أرم) الأرض : لم يترك فيها أصلا ولا فرعا ، و (أرمت) الشيء : ذهب (بأرومته) أي استأصلته . ومثل هذه الأرض نصيبها الأقفار والجدب بطيعة الحال .

وأصل المعنى من كثرة الاكل فى الربع ، الذى
تقىد ذكره .

و (أقفر) المكان : خلام الناس والماء والكلأ ،
أي من الماء والكلأ . ومن ثم الناس . ومنه (أقفر) الرجل :

ومن قولهم (أرم) - بالفتح - ما على العائد :
 أكله ولم يدع منه شيئاً - صارت (الأرم) - بضم
 فتح منشد : الأضراس ، أي أدوات الأكل .
 و (البرقشة) : الأقبال على الأكل ، و (برقش) في
 الأكل : أقبل عليه أو خلطه ، والاصطلاح الخلسط لأن
 البرقشة تعني أصلاً : التزيين .

و (الرغيب) : الواسع الجوف من الانسان
وغيره، اي الكثير الاكل .

ومن معاني الأكل قالوا (خبرت) الطعام تخيبرا :
دسمته تدبسا . و (الخمر) - كالصبر : المزادة
الظيمة ، وهي ما يوضع فيه الزاد ، و (الخبرة) -
كالحمرة : طعام المسافر ، والثريدة الفخمة ،
وقصتها فيها لحم وخبز ، والتنصيب من لحم أو سمك ،
وما تشتريه لاهلك من طعام ولحم .. الخ ..

ومن كثرة هذا الاكل من لحم وسمك وغيرهما
تجمعت التخمة طبعا اي فساد المعدة ، فقييل
(عرب) - كفرح - الرجل : فلدت معدته .
و (أربيت) و (ذربت) كلاهما كفرحت - المعدة :
فلدت ايضا ، او صلحت من باب التضاد . والقصى
اعربونه) - يفتحين : ذا يطنه .

الامراض:

فساد المعدة اتسمت ببعاده فنشأت منه ومن
مصادر اخرى انواع مختلفة من العلل ، منها قوله لهم
(ذرب) الجرح : فسد واتسع ، قياسا على « ذربت
المعدة ». وقياسا على « عربت المعدة » قيل (عرب)
الجرح : تورم وتقحح . و (عزم) لشيء فهو (عارم)
و (غرم) : فسد .

و (الروبيه) — زنة الروبيه : داء يأخذ الفصيل
و (الريبو) : انتفاخ الجوف ، أصلا ، ثم صار
يعني كذلك مرض عسر التنفس .

و (العمر) - زنة الشر : الجرب
و (العند) - كالمر - و (العدة) - كالمدة :
ث بحسب في الحجه .

و (العرن) — كالدرن — و (العران) — كالمران —
و (العرنة) — كالغرفة : داء يأخذ في رجل الدابة
نذهب بالشعر ، او هو تشقيق اندتها وارجلها .

اخواننا السوريين ما زالوا يقولون لك اذا طرقـت الباب
وـسالت عن صاحب الدار مثلا انه قد (ظهر) بمعنى
غادر البيت .

الخالق :

(برا) الشيء : خلقـه من العدم . وهذا من
. البر) الذي يـعـ وـخـاصـةـ في الـرـبـيـعـ بـأـنـوـاعـ المـخـلـوقـاتـ
من حـيـوـانـ وـبـيـانـ ، فـلـهـذـاـ كـانـتـ (البرـيـشـةـ) وـهـيـ
الـبـرـيـةـ) - زـنـةـ السـجـيـةـ : الخـلـقـ ، أيـ المـخـلـوقـاتـ .
وـمـنـ أـخـوـاتـهاـ (البرـيـةـ) - بـتـشـدـيدـ الرـاءـ وـالـيـاءـ : البرـ
وـالـصـحـراءـ . وـ (الـبـارـيـءـ) : الخـالـقـ .

وـ (بـراـ) أـثـلـهـاـ (بـرـعـ) التـيـ يـظـهـرـ أـنـهـاـ كـانـتـ تـعـنىـ
بـرـزـ النـبـاتـ وـارـتفـعـ ، بـدـلـيلـ اـنـهـمـ مـنـهاـ اـشـتـقـواـ (بـرـعمـ)
وـ (تـبـرـعمـ) ، وـ (الـبـرـعـمـ) .. ثمـ صـارـ فعلـ (بـرـعـ)
يـعـنـيـ فـاقـ عـلـمـاـ أوـ فـضـيـلـةـ اوـ جـمـالـاـ . وـمـنـهـاـ (بـرـسـ)
عـلـيـهـ - بـتـشـدـيدـ الرـاءـ : غـلـبـهـ وـفـاقـهـ .

وـ منـ هـذـاـ يـاضـاـ (بـرـسـ) النـبـاتـ : خـرـجـ (بـارـضـهـ)
أـيـ أـولـ ماـ يـطـلـعـ مـنـهـ .

العلـوـ :

اـصـلـ مـعـنـىـ الـمـعـرـفـةـ كـماـ سـلـفـ هوـ (الـاـرـتـفـاعـ) ، قـدـ
تـسـلـلـ هـكـذاـ : فـرـعـ - دـفعـ (- دـعـفـ) - عـرـفـ .

وـ لـتـبـداـ بـالـفـرعـ . قـالـواـ (فـرـعـتـ) الـقـومـ فـرـعاـ :
عـلـوـهـمـ بـالـشـرـفـ ، وـ (فـرـعـتـ) فـيـ الجـبـ تـفـريـعاـ :
صـمـدـتـ . وـمـنـ بـاـبـ التـضـادـ صـارـ (التـفـرـيـعـ) يـعـنىـ
الـاـنـهـدـارـ اـيـضاـ .

ثـمـ ظـهـرـتـ صـيـفـةـ رـفـعـ وـمـنـهـ (الرـفـيـعـ) : الـعـالـىـ ،
وـ (الـاـرـتـفـاعـ) وـ (الرـفـعـ) ...

ثـمـ (الرـاعـسـ) : اـنـفـ الجـبـ ، اوـ طـرفـ اـرـبـةـ
الـانـفـ .. اـلـىـ آخرـ ماـ تـقـدـمـ ذـكـرـهـ .

هـذـاـ فـيـ الفـرعـ وـالـرـفـعـ وـالـرـعـفـ . اـمـاـ مشـتـقاتـ
(عـرـبـ) فـقـدـ جـاءـهـاـ مـعـنـىـ الـعـلـوـ مـنـ الـرـبـيـعـ فـيـمـاـ يـبـدوـ ،
وـمـنـ نـمـوـ النـبـاتـ وـارـتفـاعـهـ خـاصـةـ . وـمـنـ ذـلـكـ صـارـ
(الـرـيـاـ) يـعـنـيـ الزـيـادـةـ وـالـنـمـاءـ ، بـدـلـيلـ صـيـاغـةـ (الـرـيـوـةـ)
مـنـهـ . وـالـأـلـلـ (وـبـاـ) - بـالـهـمـزةـ : عـلـاـ وـارـتفـعـ ،
وـ (الـمـرـيـاءـ) : الـمـرـقـاةـ ، وـمـنـ ثـمـ : الـمـرـقـةـ - لـانـ مـكـانـ
الـمـرـاقـةـ يـتـبـغـيـ اـنـ يـكـونـ (دـاـيـساـ) اـيـ مـرـفـعاـ .

سـارـ إـلـىـ الـقـفـرـ ايـ الـخـلـاءـ الـذـيـ لـاـ مـاءـ فـيـهـ وـلـاـ كـلـاـ وـلـاـ
نـاسـ ، وـهـيـ اـيـضاـ صـفـةـ (الـبـرـاحـ) وـ (الـبـرـازـ) الـلـدـيـنـ
تـقـدـمـ ذـكـرـهـماـ . وـعـلـىـ الـمـجـازـ وـالـإـسـتـعـارـةـ قـبـيلـ (اـقـفـرـ)
الـرـجـلـ : لـمـ يـبـقـ عـنـهـ اـدـمـ ، وـصـارـ (القـفـارـ) يـعـنـيـ الـخـبـرـ
الـذـيـ لـاـ اـدـمـ مـعـهـ .

وـمـنـ مـعـنـىـ الـجـدـبـ اـيـضاـ قـوـلـهـ (اـمـعـرـتـ) الـأـرـضـ :
فـلـ نـبـاتـهـ ، وـ (اـمـعـرـ) الـقـوـمـ : اـجـبـواـ .

وـ (الـبـرـضـةـ) - كـالـفـرـفـةـ : اـرـضـ لـاـ نـبـاتـ فـيـهـ .
وـ (الـبـرـقـةـ) - كـالـفـرـفـةـ اـيـضاـ اـرـضـ غـلـيـظـةـ فـيـهـ
حـجـارـةـ وـرـمـلـ وـطـيـنـ . وـمـنـهـ عـلـىـ مـاـ يـظـهـرـ (بـرـقـةـ) فـيـ
لـيـبـياـ ، التـيـ يـورـدـهـاـ صـاحـبـ القـامـوسـ بـالـتـعـرـيفـ
ـ (الـبـرـقـةـ) .

وـ (الـبـلـوـقـ) وـ (الـبـلـوـقـةـ) - زـنـةـ الـبـلـوـطـ وـالـبـلـوـطـةـ:
الـمـفـازـةـ ، وـالـبـقـعـةـ لـاـ تـبـتـ الـبـتـةـ .

وـمـنـهـ (الـبـلـقـعـ) وـ (الـبـلـقـعـةـ) : اـلـأـرـضـ الـمـقـفـرـةـ .

ثـمـ (الـعـلـبـ) - كـالـدـرـبـ - وـ (الـعـلـبـ) - كـالـبـلـرـ -
وـ (الـعـلـبـ) - كـالـشـرـسـ : الـمـكـانـ الـفـلـيـظـ لـاـ يـبـتـ .

وـطـبـيـعـيـ انـ هـذـهـ لـيـسـتـ كـلـ الـأـلـفـاظـ التـيـ اـطـلـقـوـهـاـ
بـمـعـنـىـ الـجـدـبـ ، فـالـأـلـلـ (الـرـبـ) وـهـوـ مـعـلـومـ . وـوـجـودـ مـعـنـىـ
الـجـدـبـ فـيـ مـادـةـ (عـرـبـ) فـيـ الـلـفـاتـ السـاـمـيـةـ جـمـيـعـهـاـ
دـلـيلـ آخـرـ عـلـىـ انـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ نـفـسـهـاـ - ايـ الـعـربـ - قـدـ
اـطـلـقـتـ اـوـلـاـ عـلـىـ مـعـنـىـ الـرـبـ فـالـرـبـيـعـ فـالـأـكـلـ فـالـاستـئـصالـ.
وـأـقـرـبـ الصـيـغـةـ الـأـنـفـةـ إـلـىـ (عـرـبـ) هـيـ الـأـخـيـرـ - ايـ
الـعـلـبـ - مـعـاـ قـدـ يـؤـيـدـ ذـكـرـ . بـلـ انـ (عـرـبـ) نـفـسـهـاـ مـنـ
بـابـ ضـرـبـ - تـعـنىـ الـأـكـلـ .

وـقـدـ اـطـلـقـتـ (عـرـبـوـ) فـيـ السـرـيـانـيـةـ - الـأـرـمـيـةـ -
عـلـىـ الصـحـراءـ لـاـنـهـ مـوـطنـ الـعـرـبـ ، وـلـمـ تـطـلـقـ عـلـىـ الـعـرـبـ
لـاـنـ مـوـطـنـهـ الـصـحـراءـ كـمـاـ ظـنـنـواـ . وـالـظـاهـرـ انـ الـعـرـبـ
الـأـوـالـيـ ، مـنـ اـهـلـ الـحـضـرـ ، هـمـ الـذـيـ اـطـلـقـواـ (عـرـبـوـ) عـلـىـ
الـصـحـراءـ وـالـجـدـبـ ثـمـ ظـهـرـتـ فـيـ السـرـيـانـيـةـ وـغـيـرـهـاـ .
وـمـنـ ذـكـرـ قـوـلـهـ (تـعـربـ) الـرـجـلـ - الـعـرـبـ : اـقـامـ فـيـ
الـبـادـيـةـ وـصـارـ اـعـرـاـيـاـ . وـاطـلـاقـ (الـعـرـبـيـ) فـيـ الـكـثـيرـ
مـنـ الدـارـجـاتـ الـمـرـبـيـةـ عـلـىـ الـبـدـوـيـ قـدـ يـؤـيـدـ ذـكـرـ ..
وـلـاـ سـيـماـ انـ اـبـنـ خـلـدـوـنـ اـيـضاـ قـدـ اـسـتـعـمـلـ الـكـلـمـةـ بـهـذـاـ
الـمـعـنـىـ . شـبـيـهـهـ بـذـكـرـ تـسـمـيـةـ (الـبـيـدـاءـ) وـ (الـبـيـادـيـةـ)
مـنـ (الـبـلـوـيـ) الـذـيـ جـاءـ اـسـتـهـمـهـ مـنـ فـعـلـ (بـدـاـ يـبـدوـ)
ايـ ظـهـرـ ، بـمـعـنـىـ خـرـجـ إـلـىـ الـبـادـيـةـ . وـلـسـنـاـ نـتـمـلـ اـذـ
نـدـعـيـ اـنـ مـعـنـىـ الـخـرـوجـ قـدـ تـأـتـيـ مـنـ مـعـنـىـ الـظـهـورـ ، فـانـ

الماشية تعرف بها . وتعني (علمته) كذلك : شققت شفت العليا فهو (أعلم) ، لأن هذا أيضا علامة .
و (أعلمست) الفرس : علقت عليها صوفا ملونا في الحرب .

ومن هذا المعنى صارت (العقبة) : الصوفة
الحمراء .

و ، الطب) - كالقلب : أثر السوط وغيره .

و (الأعم) و (العرماء) : الحية الرقشاء .

ومنها (الأرمدة) فيما يظهر : العلم اي الراية .
و (الأرم) - بفتح الميم او كسرها : حجارة تنصب
في المفازة يهتدى بها .

ومن العلو صارت (العلو) على الرأس والعنق،
تعني : المعرف .

وكلما نشأت صيغة (علا) من (علم) بمعنى (العلو)،
صارت تعني السلامه كذلك في (على يعلي) - بتشديد
اللام ، فأصبح قوله (عليست) الكتاب تعليبة ،
و (علوته) يعني (عنونته) ! .. بمعنى جعلت له
عنوانا (أي عنوانا) . وكنا قد ارتأينا في كتابنا
« مغامرات لفوية » - فعل « أربطة البهائم في لفتنا
الثقافية » - إن (العنوان) من (العنان) لكننا نرى
الآن عكس ذلك أي ان العنوان من العنوان .. في قوله
، عنت (اللجام : جعلت له عنانا ، و (عنت) الكتاب :
جعلت له عنوانا . هذا التصحيح وأمثاله تورده أخلاصا
للحقيقة وتوكيدا لما طفقنا نردده من كثرة ما في مثل هذه
الابحاث اللغوية من متشابهات ومزارات .

الآن

من مادة برع قالوا : البرق (البريق) : اللامع .
و (برفت) الشيء تبريقا : زينته . و (برفت) المرأة
برقا و (برفت) تبريقا و (أبرفت) : تزيينت .

ومن هنا جاء (التبرّج) : اظهار المرأة زينتها ومحاسنها للأجانب ، وصارت الكلمة تعنى حديثاً : المبالغة في الزينة .

و (برق) الشيء برقا : لمع وتللا . ومنه
(برق البرق) : لمع . ومن البرق في ظلام الليل على
 ما يبدو صار (**الأبلق**) : ما اجتمع فيه سواد وبياض ،
 ومنه نشا (**الأبلق**) الذي نشيع عنه الآن لكيلا يضيع
 من يدنا خيط السياق لنعود اليه بعد حين .

و ، الراية ، و ، الريوة ، : ما ارتفع من الارض .
و ، المرتبين ، : المرتفع وزناً ومعنى .
ومثل ربا : (علا) يعلو على واعتلاءاً : ارتفع .
و ، علوت ، المكان : صمدهاته .

كذلك (عمرد) الشيء - بالفتح : طلع وارتفع .
نـم ١ عـمـروـيـا - زـنـةـ نـجـوـيـ هـضـبـةـ .

وَالْفَرْدَةِ) — زَنَةُ الْعَرْوَةِ : هَضْبَةٌ فِي أَصْنَهَا مَاءٌ .
وَبَعْدَ الرِّبْوَةِ وَالْهَضْبَةِ يَحْلِ الْأَرْتَفَاعُ إِلَى الْجَبَلِ .
بَرَعَتِ الْجَبَلُ : عَلَوْتَهُ . وَالْعَلَمُ) — زَنَةُ الْفَلْمِ :
الْجَبَلُ الطَّوِيلُ ، وَمَجَازًا : سَيِّدُ النَّوْمِ .

و (العرناس) — كالعرفان : انف الجبل .
ولكلمة علاقة ب (العرنين) : الأنف ، أو ما صلب منه ،
ومجازاً : السيد الشريف .

- و (ميسير) - زنة مظفر : جبل بالدهناء .
- و (برع) - زنة مصر : جبل بتهمة .

وكنت قرات عن جبل اسمه (العرو) - ربما
زنة المفو - قام من أجل امتلاكه نزار مسلح يبيس
السعوية واليمن في العشرينات من هذا القرن
المشؤوم ، ثم تنازلت عنه السعودية لليمن صلحا . ولم
تجد الاسم في الفاموس . ويبعدو كان (الوعسر)
و (الوعورة) قد نبعتا منه فتلك المنطقة مشهورة
بوعورتها فعلا ؛ وما عبتا اطلقوا على الارض الجبلية
الواقعة بين الحجاز واليمن اسم (العسير) .

ثم يمتن العلو في التحليق حتى يبلغ السماء .
حيث يقولون (عرد) النجم - بالتشديد : طلع وارتقاء .
ثم بالغ المعنى في الصعود حتى ادرك اقصاه فتناول
السماء السابعة نفسها منذ سموها (عروياء) !

اللامنة

جاء معناها من العلم بالشيء ، حيث صار
 (العلم) - كالقلم - يعني الجبل والرابة ، و (علمت) ا
 على الشيء تعلما : جعلت عليه (علامة) او (علومة)
 فهو (معلم) - زنة مهذب . ومن ثم سمي القبض الذكر
 (علما) او (علاما) لانه مخطط ، استعارة من تحطيط
 الشوب ، فقولك (أعلمست) التوب ، يعني جعلت له
 (علما) من طراز او غيره . كذلك (علمه) - كضربيته
 وسمته ، والوسم في الاصل علامة تكون على جلد

الاصلة والجودة :

الخيل (العرب) - زنة الشهاب : هي السالمة الجنة ، وما زالت الخيل العربية مشهورة باصالتها وجودتها . وقياسا عليها قيل (الابل العراب) . والخيل (العرب) تنطق ايضاً : الأعراب (الآلرؤس) ، و (المغيرة) (المطرية) . ومن ذلك قالوا (أغرب) الفرس : صهل فعرف عنقه وسلامته من الجنة . و (أعترت) انت الفرس العربي : ميزته من المجنين اذا صهل ، ومن ثم (أغرت) الفرس اي كان : اجريته ، ويظهر ان معنى الجري هنا انما نشأ من اختبار عروبة الفرس في جريمه .

ولعل معنى الاصلة والجودة قد ناتي من خيلهم ، لم تسرب الى الصيغ الاجرى .

وقالوا فلان (عبر) لكل عمل - زنة بئر : صالح له وخبير به . وهذا المعنى قد جاء على الاغلب من (العبور) ، فان (العبر) - كالكفر : السحائب التي تسير شديداً ، ثم (الubar) - كالجبار : القوي على السير ، ثم (العبر) - بفتح العين او كسرها او ضمها: صالح لكل عمل .

ولعلمهم قد قصدوا الحمية والنخوة والحفظ .. يوم قالوا (تعرب) الرجل : تخلق بأخلاق العرب وتشبه بهم .

النشاط :

(العلامي) - بالضم : الخفيف الذكي .

و (برون) الفرس تبريزاً : سبق الخيل ، ومجازاً (بروز) الرجل فاق أصحابه .

و (عرب) الرجل - كفرح : نشط ، و (العرب) - كالطرب - و (العرب) كالغرب : النشاط .

القوية :

(استريع) البعير للسير : قوي عليه ، ولعل هذا من (الربع) اي الحمل لأن قوة البعير في السير انما تعرف حين يكون عليه حمله ، وخصوصاً ان (المريعة) - كالمسئنة - هي المرفعة ، أداة الرفع . وبعد هذا قيل (استريع) الرجل الشيء : اطافه .

و (الأبرص) : المصاب بـ (البرص) - كالقفص : المرض الذي يحدث في الجسم كله فشرراً ابيض ..

و (الأبرش) : الذي في جلده نقط من غير لونه . (برشاء) : كثيرة العشب مختلف الوانه .

و (الريل) - يفتحتين : نبات شديد الحضرة ، كما تقدم .

و (أبسد) اللون - بتشديد الدال : تغير . و (ريدت) الشاة تربيداً : بدا في ضرعها لمع سود وبياض ، كانما الاشل (برق) .

ومن (برق) جاء قوله (برقشت) الشيء : زينته . ومنه (أبو براقيش) و (البرقش) - زنة الحصرم : طائران ملونان .

وقد من بنا ان (عمر) يعني : لطخ . وربما منه نجم (الأعم) : المتلون والأبرش ، و (الغرماء) : الحبة الرقيقة ، و (القرم) - كالقلم - و (القرمة) - كالثهمة : سواد مختلط ببياض ، او هو تنقيط بينهما .. اي كذلك مثل البرق الذي نشأ منه (الأبلق) الذي جاء دوره في الحديث ، ومعناه نفس معنى البرق .

فهذا الأبلق فضلاً اللغات الاوربية الى لونيه المختلطين فجعلتهم مستقلين ، مثلما تفصل النساء بقطب كهربائي الى عنصريه الاوكسجين والهيدروجين . فبعض هذه اللغات اطلقته على الاسود كالانكليزية : (Black) ، وبعضاً اطلقته على الابيض كالاسبانية : (Blanco) والإيطالية (Bianco) والفرنسية (Blanc) .

وان كانت الكلمة تعطي معنيين متعاكسيين في اللغات الاوربية فقد كانت كذلك منذ القدم في العربية . وما زالت تعني الابيض البشرة اي الاشقر بالدارجة المغربية وهو ينطونها كالانكليزية (Black) بتسكن أولها : (بلق) ، او بالاحرى ان الانكليزية تنطقها كالمغربية التي تمثل احدى اللهجات العربية القومي .. على حين ان الكلمة تعني الاسود بالفصحي في صيغة اخرى هي (الاربك) وهي متطرفة من (الابرق) بقلب وايدال . وشبيه بذلك الى حد ما ان (الأبرش) الذي قلنا انه يعني من كان في جلده نقط من غير لونه ، يطلقونه في شمالي العراق على من كان اشقر شعراً وبشرة ، لان النقط ، اي النمش ، انما تكون في البشرة الشقراء على الاعم .

وشيء بالمربيض (المربيط) موضع (ربط)
الدوااب . وقالوا (ربطت) الامر : واظبت عليه ،
و (ربط) الجيش : لازم تخوم العدو ، و (ربطه) :
أونه وشده .

ثم قيل (ربقته) : ربطته في (الرقبة) - زنة
الربيع : حبل فيه عرى ، و (الربطة) - بفتح أو كسر :
العروة في الجبل .

ثم يختفي معنى الرابط في (ربك) وتبقى نتيجته
قولك (ربكته) يعني القيته في وحل ، أي صار يتخطى
في سيره كالمربيط ، وهذا يذكرنا بالوصف البسارع
الذي انجبه قريحة صريع الفوانی يوم شبه مثية
السکران بمشي « المقيد في الوحل ». وكما ولدوا
معنى المشكلة في (الورطة) التي أصل معناها الوحل
- ولدوا معنى التخطي في (الارتباك) الذي أصل
معناه : السقوط في الوحل . ومنه (ارتبك) الصيد
في الحبالة : اضطراب ، ثم (ارتبك) الامر : اختلط .

ويظهر معنى الوحل والتخطي فيه في صيغ
آخر مع الرابط أو بدونه ، مثل (كريسته) : أخذته
وربطته ، و (كريس) الرجل : « مشى مشية المقيد » ..
وكانا بصربيع الفوانی يود تكملاً لهذا التعبير المعجمي
باضافة « في الوحل » اليه .

ثم (كريفس) : مشى مشية المقيد أيضاً ،
و (كريست) البعير : قيده .

و (كريبل = يكريبل) : مشى في الطين او خاض
في الماء . و (كريبلت) الشيء بالشيء : خلطته ،
و (كريبلت) الحنطة : غربلتها ، ولا حاجة بنا الى لفت
النظر هنا الى أن (الكريبلة) اثلاها هذه (الكريبلة) .

ومن (ربك) نشأت صيغة (كبل كbla) التي
يظهر فيها معنى القيد والحبس . و (الكبل) - بفتح
او كسر : القيد ، او اعظم ما يكون من القيد ! وما يدل
على تولد (كبل) من (ربك) هو ان (الكابول) يعني حبالة
الصيد التي لمحناها لمحانا في (الارتباك) .

ويظهر (الكبل) بنفس لفظه اي (Câble)
في الفرنسية والإنكليزية وغيرهما من بعض اللغات
الأوروبية ، يعني الحبل اولا ثم السلك المعدني ، ثم
صار يعني البرقية منذ كانت البرقيات ترسل عبر
الاسلاك . وفي العراق يسمونه (القابل) تعرّبا وجمعه
(القابلوات) . ولو سموه (الكبل) وجمعه (الكبول)
لجمعوا بين العروبة والتعرّيب .

وربما من هذا الأصل تفرع (العبر) - بالفتح او
الكسر او الضم : القوي الشديد ، وجمال (عبر)
اسفار : قوية على السير ، والجمل (العبر) - كالعطار
القوي على السير ، وكانهم قالوا : رباع .

و (العربد) - بكسرتين : الشديد من كل شيء .
اما (العلب) - بفتح او ضم او كسر - اي الصلب
الشديد كذلك ، فيعني ايضاً : المكان الغليظ الذي
لا ينبع كما تقدم ، وهو اصل المعنى فيما يبدو .
وحينئذ صارت نعت الرجل بـ (العلب) يعني الغليظ
الجافي .

و (الغرد) - كالفرد : الصلب الشديد كذلك .
و منه (الغرداد) - كالرثيال : الشجاع الصلب .
و (الغردان) - بضم العين والدال : الشديد الجافي .
وشيء بذلك (الغرند) - بضم العين والراء
والدال ، او فتحها جميعاً : الصلب .

و (الغرم) : الشديد .

الربط :

بعد قولهم (ربع يربع) بمعنى أقام ، ثم بمعنى
توقف وانتظر ، قالوا (رب) بالمكان و (ربد) و (لد) :
اقام .

ومن الاقامة والانتظار نشأت معانٍ للربط وغيرها
من معانٍ جانبية كثيرة سنكتفي منها بالقليل المهم .

(تربيث يتربيث تريشا) ت Mukth وتبطا ، ومن ثم
قيل (ربته) عن كذا : منه وجسه . ومنها نشأت
(لبث) و (تلبث) .

و (تربيص) : انتظر وتوقف .

ومن (لبد) بمعنى أقام صيغ (المربيد) - كالنبر :
محبس الابل وما شاكلها ، ثم اطلق على سوق للدوااب
بالبصرة صارت منتدى يلتقي فيه الادباء والشعراء ،
وهي غنية عن التعريف .

و (ربضت) الدواب : بركت ، و (أربض)
الدوااب : آواها في (المربيض) اي الزربية . وعندما
ظهرت صيغة (برك) ثم (الركبة) التي يبرك عليها ،
ثم (الركوب) ، ثم (البركة) - بفتحتين ، على نسق
النعمة من النعم - بفتحتين - الى الابل ، وتطلق على
البقر والفنم كذلك .

الجبل ذا العرى من قولهم (ريقتها) : ربطهما في الرقب . وتسميتها الحيوان من قيده قد جرى على ولدتها الجبل أيضا ، فالذى نظنه ان الله (العقل) اي العقال الذى كان يعقل به ربما لمعنى الرضاع او توطنه لعملية ذبحة ، وما زال الجبل وأمه وابوه يعتقدون حين يعقرون . ومن البقرة ظهر معنى (البقر) - زنة السطر : بمعنى الشق والبعض ، و (القريان) لأنها كانت تنحر للآلهة . ومن هنا أتانا معنى (القربى) و (التقرب) الى الآلهة . ثم معنى (القرب) ضد البعيد ، ومنه الشيء ، (القريب) : ضد البعيد ، ثم الشخص (القريب) : ضد الغريب : ومن ثم صلة (القربى) و (القرابة) .

يظهر اسم البقرة مرخما في اللاتينية اي بالحرفين الاوليين فقط (بقة - Vacca) التي نراها في الفرنسية بصورة (Vache)

وتجيء مقلوبة في الفارسية بصورة (كاب - Gab) وقد كانت قديما وما زالت تنطق (كساو - Gav) أيضا . وهي الصيغة الشائعة في الفارسية الحديثة ، وهي شبيهة جدا بالإنكليزية (Caw -) كساو . ومنها الصيغة التي فاقتها شهرة تعنى الكاوبسو - Cowboy راعي البقر . وإذا لم نثنا التشبيث بها فهي وسمنا بدلا من وضمنها بين توسيعين في كتاباتنا ان نعربها تعرجا دقيقا بصيغة (البقار) - على غرار الفنان والجمال والحمار - وكلها بالتشديد .

وقبل الانتقال الى السوانح البرية نذكر (الكلب) الذي يرافق الماشية بصفة راع مساعد ، واسمه من (الكلاب) - زنة الرمان - اي الخطاف وهذا من (الكلب) السابق ذكره في موضوع الرابط .

واما من سائمة البرية فنذكر :

(الرئم) : الظبي الأبيض .

و (الريرب) : القطبي من بقر الوحش .

و (الأعفر) : نوع من الظباء ضعيف الجري ، اختلفوا في صفة لونه ، اي انه اطلق على أنواع مختلفة الالوان منه . واصل المعنى على كل حال من نسون (العفر) اي التراب ، بدليل ان :

(اليعفورد) : ظبي بلون التراب .

ثم نذكر سيد الحيوانات - بعدها - وهو قريبنا المجنون ، القرد ، ولنقل انه من حيوان الشجر . وهو :

ثم نثنا (اللبك) ، فقالوا (البك) - بالكسر - (تلبك) و (التبك) الامر : اختلط وتلبس . اي ان معنى الجبل والربط قد اختفى هنا ايضا وبقيت نتيجته ، عودا على (ربك) ، ما يدل على ان (اللبك) من (الربك) لا من (الكلب) . ولعل (الكلب) ايضا من هذا (الربك) .

ولا بد ان القارئ الكريم قد لاحظ ان فعل (تلبس) هذا اي اختلط ، قد نثنا من (تلبك) ، ومثله (التبس) من (البك) . ثم : ليس ، وسلب . ومن ليس نشأت : لمس ، التمس ، تلمس . . . مس ، مسح ، وربما مسح ايضا . ثم من اللمس نشأت : استلم (بمعنى لمس) ، مثل استلام ركن الكعبة . . . ومن استلم نشأت : سلم ، وسلم (بالتشديد) . ثم سلم (بكسر اللام) . ثم السلام والسلام . وكلها باشتثناء السلام والسلم . واقعية موجودة في العالم .

الحيوانات :

ما أكثر الحيوانات التي انبثقت اسماؤها من تفرعات هذه الطائفة من الصيغ ، منها السائم والزاحف والسبع ، ومنها حيوان الماء والهواء ، والحيثارات .

فاما الماشية فنذكر منها :

(الأرب) - زنة الشكر : صفار البهم ساعة تولد .
(الربى) : بضم الراء وفتح الباء مشددة : الشاة الحديثة النتاج .
(اليعمور) : الجدي الصغير .

و (الرياح) - كالسعال - و (الرياح) - كالنفاح : الجدي ، والفصيل ، اي ولد الناقة او البقرة فصل عن امه .

و (الرؤوم) وكذلك (الرائم) و (الرائمة) : الناقة العاطفة على ولدتها .

و (القفر) - بالفتح : الثور اذا فطم وعزل عن امه ليحرث .

ثم نذكر (البعير) وهو الجمل اطال الله بقاءه .

و (الريض) - بالكسر - من البقر : جماعتها حيث تربض . بذلك سميت من الريوض اي البروك .

ثم (البقرة) وقد جاءت تسميتها فيما يجيء لنا من (الريق) وهو القيد الذي صار في المعجم يعني

و (أم الريين) : الأفعى .
و (العريد) - يكرر العين والفاء ، ويختفي في
الذال أو تشدیدها : الذکر من الأفاعی .
واخرا (العامرة) و (العامر) : الحية . وجمعها
(العوامر) ، وتسمى (عوامر البيوت) . وواضح أن
التسمیة قد اطلقت أولاً على حیات البستان .
وننتقل الى السابع . ولیکن اولها الشجاع فھي :
(أم عامر) وعلھا بذا سمیت لأنھا مخططة کبعض
الحيات (العوامر) .
وھي (العرفاء) - زنة البلقاء : بذا سمیت لكثرۃ
شعر رفیعہما .
اما (العیل) و (العیلام) فهو الضبع الذکر .
وربما جاء الاسم من العلامات أي الخطوط في جسمه
اما (العیل) الصندع فمن معنی الماء .
ثم نذكر (العویر) : جرو الفهد .
ثم (الھویر) : الفهد ، وهو الاسم الذي قدم انه
مشترك بينه وبين القرد الذکر .
ثم يأتي الاسد ، وحصته من اسماء هذه الزمرة
القوية كبيرة جدا بالقياس الى سواه ، فھنا أيضًا له
حصة الاسد .
 فهو (الربال) و (الریبال) لكن هذا الاسم
الآخر يشارکه فيه الذئب .
وهو (المتربس) من معنی اللابت المتربص .
فلذلك سمی أيضًا :
(الرباض) و (الرياض) : لأنھ يربض لفريسته
متخفیا حتى تقترب فينقض عليها .
وهو (أبو لبد) - زنة مضر - وهذه التسمیة
جائته من (لبدته) كما هو واضح .
و (الملبد) - زنة المحسن . وهذه التسمیة
وان كانت من نفس مادة اسمه السابق ، قد انتهی من
(اللبود) اي المکوث واللبث ، اي الربوض الذي سبق
الالماع اليه .
و (العرننس) - كالسفرجل : الاسد العظيم .
وتطلق الكلمة كذلك على السیل الكبير ، وهو أصل
المعنی ، ما يدل على ان الاسد سمی بهذا لأنھ يتحدّر
على فريسته كالسیل العارم . (وشبيه بذلك اسمه
الآخر « العیدرة » من معنی الحجر) .

! الھار) - بالتشدید : القرد الكبير الشعير ،
ويسمى كذلك (الھویر) - زنة الكوكب ، وهذا من
اسماء الفهد أيضًا .
و (الرباح) - كالحمل - و (الرباح) - كالتفاح :
القرد الذکر . وھما نفس الصيغتين اللتين تقدم انھما
تعنيان الجدي والفصيل . وهذا من أمثلة اختلاط
تسمیات الحیوان بسبب اختلاف القبائل ، وأحياناً
بسبب اللجوء الى المجاز والاستعارة في التعبیر ،
افتانًا .
و (الیریوع) الذي سلف ذكره لا سائمه ولا
زاحف : نوع من الفار قفار طویل الرجلين ينتصب
عليهما حين يجلس كأنه يحب نفسه الكافر . وفي
دارجات الشرق الاوسط يسمونه (العبریوع) .
ومن الحشرات نذكر :
(الھبود) - زنة السفود : الذر الصغير ، اي
سفار النمل .
و (العمیرة) - كالخمیرة : خلایا النمل مجھومة .
و (البرقان) - كالبركان : الجراد المتلون ،
واحدته (البرقانة) .
ثم (العرارة) : الجرادۃ ، وتسمى (العرادة)
ايضاً .
ولا نعلم هل الصيغة الاخيرة ائلها (الجراداة) من
معنی (جرد) الارض من نباتها ام ائلها (العرارة) من
(العر) اي جرب البعير الذي يذهب بوبره . والارض
(الجرباء) هي : المحلة ، مثل الجراء .
و (الربیة) - بالضم : « شيء من الحشرات »
لاندری ولا صاحب القاموس يدری ما عسى ان يكون .
ومن الزواحف نذكر :
(سام ابروص) الدويبة المعروفة بـ (ابی بربص)
وهو اسمها بالدارجة العراقية ايضاً . ثم الحبة ، وقد
استثرت بغير قليل من صبغ هذه الطائفة ، فهي :
(الرقباء) : الحبة المبرقشة ، من برقبش وبرقب ،
يعنى زین .
و (العرماء) : الحبة الرقباء ولم أصل المعنی
من (العرامة) : الشراسة والاذى . ثم بعد ان اطلقت
الكلمة على الحبة الرقباء صارت (العرمة) تعنی
السوداء مختلطًا ببياض ، او التنقيط بيتمما .

ومن معاني الربع قيل (رب) الدهن ربا : طيبة واجاده .

ومن التعبير صار (العيير) : اخلاطا من الطيب ، وقد تطلق على الزعفران خاصة .

و (الفماراة) – كالشرارة : ريحانة كان الرجل يحيي بها الملك قائلا «عمرك الله» ، ومن هنا جاء معنى الرائحة فصار (العمار) – كالنهار: الذي يعني النجية وهي اصل معناه – يعني كذلك الريحان الذي يزينون به مجلس الشراب .. و (الumar)) – كالطيار: الطيب الرائحة ، ومجازا : الطيب الثناء .

ومن هذا القبيل من مادة (عر) ، صار (العار) – بالفتح : يطلق على نوع من البهار طيب الرائحة ، وعلى الترجس البري .

حسن الحال :

ابجس المعنى من الربع كذلك نباتا وحيوانا وماء .

فمن ذلك قولهم (دبع يربع) يعيشه – من باب فتح يفتح : رضي . و (الرياع) – كالرجاد – و (الرياغة) – كالمناعة – و (الرياغة) – كالرياضة : حسن الحال ، ومجازا : الرياسة .

و (ربيع) – بفتحترين – العيش : اتسع وطاب ، و (ربقوا) في النعيم : اقاموا فيه .

و (رفخ) العيش : كان واسما هنيئا ، و (ترفع) : عاش في (الرفافة) والرغد .

ثم ظهرت صيغة (رفه) – بفتحترين – الرجل : لأن عيشه وطاب ، فكان ذا (رفناه) و (رفاهة) و (رفاهية) ، فعيشه (رافه) و (رفيه) و (مرفة) .

و (رفاه) ترفة وترفيئا : هناء بقوله «بالرفاء والبنين» ، ومنها بنفس المعنى (رفاه) – بalf لينة .

اما قولهم (دبع) – من باب فرح – الرجل : كان فاجرا ماجنا ، فهو (دبع) – بفتح فكسر – فهذا من نتائج الرفاهة والرفاقة والبطر .

الاصلاح :

يبدو وكأنه قد نشأ من معنى المطف والرأفة منذ قالوا (رأمت) (الناقة ولدها) : عطفت عليه فهي (رؤوم) ،

وهو كذلك (العفترس) – بكسر العين والراء – و (العفرينس) و (العفرونس) و (العفرنس) – كالسفرجل . وهذه الاسماء من لون العفر أي التراب . وشنان بين هذا السبع وفريسته (اليعفور) المسكين المسمى من لون العفر كذلك .

ومن الطيور ذكر :

(الرآل) – بالفتح : ولد النعامة ، وجمعه رئال ورللان .. النخ . وهذا طائر ارضي لا هوائي .

و (العرناس) – كالرئبال : طائر كالحمام لا تشعر به حتى يطير كانما من تحت قدميك .

و (العلام) – كالغلام – و (العلام) – كالربان : الصقر والباشق .. وربما سمي بذلك الاسمين لما في ريشهما من علامات .

و (الابلسق) طائر أبلق اللون ، ويسمى في ديار الشام (أبو بليق) .

و (البرقش) – بكسر الباء والكاف : طائر صغير لطيف الصوت ملون الريش . ومن نفس المادة يأتي : (أبو براقش) طائر صغير أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود ! .. فلهذا السبب الوجبه يشبهون به الانسان المتلبون .

من المائيات ذكر :

(العيلم) الصندع ، الحيوان البرمائي الشهير ، ربع اسمه هذا من معنى الماء كما قلنا قبل ، منذ كان العيلم يعني البشر الكثيرة الماء والبحر ايضا .

ثم (الارييان) – بكسر الهمزة والباء ، يقول بعضهم انه سمك ويقول ببعضهم انه سلطان البحر . وفي جنوب العراق يطلقون (الروبيان) على ما يسمى برغوث البحر . ومن الظرف ان السمك يدعى بالروبيّة (Riba) –

الرائحة :

(العرف) – زنة الصرف : الرائحة مطلقا وكثير استعماله في الطيبة ، والارض (المعروف) : الطيبة الرائحة . واصل المعنى فيما يبذلو من (المعرفة) لأن الشيء قد تعرفه من رائحته قبل أن تراه .. كذلك تقدم بيانه .

ومن معنى الفساد : (استغلب) اللحم و (غلب) تغيرت رائحته .

ثم نشأت صيغ (الرؤوف) و (الرأفة) . . . من معنى
ـ (راف) به : رحمة أشد الرحمة .

ـ ومن مظاهر التجارة قيل (تربيص) بسلعه :
ـ استيقاها لوقت الغلاء . و (عرى) بصيغة المجهول -
ـ إلى الشيء : باعه ثم استوحش عليه !

العربية :

ـ صارت تطلق على المركبة التي تجرها الدواب .
ـ وأصل التسمية فيما يظهر اطلاقهم (العربة) - زنة
ـ الشجرة - على النهر الشديد الجريان . ومن نهر
ـ دجلة المشهور بشدة جريه ولا سيما زمن الفيضان
ـ اطلق (العربات) على سفن كانت في العهد العباسى
ـ روادك فى بغداد ، من باب المفارقات والمتناقضات .
ـ ولعل اسم العربية قد اطلق أخيرا على المركبة المذكورة
ـ تشبيها بتلك السفن .

ـ والمصريون يسمون السيارة فى دارجتهم
ـ (عربة) .

العمـرـان :

ـ (الربيع) - كالطبع - يعني بالدرجة العراقية :
ـ الأصحاب والاصدقاء . وفى الموصل يستعملون المفرد
ـ أيضا بصيغة (الربيع) حيث يقول ، يعني حيث يقول
ـ قائلهم « فلان ربىعي » : صديقي ، و « نحنا رباع » .
ـ ونحسب هذا المعنى عريقا فى العربية قد تختلف فى
ـ الدرجة العراقية ، وربعا فى درجات أخرى .
ـ وكالذى تقدم بنا عند الكلام على (الربيع) كان
ـ (العرب) - زنة الربيع - و (المغرب) - زنة المحبين -
ـ يعني : المرء . . . كما ان (الربيع) يعني الناس ، او
ـ الجماعة منهم .

ـ و (العرو) - زنة النضو : الجماعة من الناس
ـ أيضا ، وظاهر ان اثلاها (العرب) من (العرف) أي
ـ المعارف من الناس بالمعنى العراقي ، الذي سنه
ـ اليه بشيء من التفصيل قليل .

ـ ولما كان من دأب الجماعات العربية ان تنزل فى
ـ الاماكن المخصصة حيث يجدون بغيتهم هذه فى فصل
ـ الربيع على الأغلب ، صار قولهم ان القوم (ادتبوا)
ـ بالمكان : اقاموا فيه زمن الربيع ، ثم صار قولهم
ـ (ربعوا) - بفتحتين - بالمكان : اقاموا اطلاقا ، فى
ـ اي فصل من فصول الحول .

ـ و (ارامت) الجرح : عالجته حتى برا ،
ـ (ارامت) الفدح : اصلحته ، و (رتم) الجرح : انضم
ـ للبرء . وهنا نشأت (لام) لاما ، و (لام) ملائمة . . .
ـ ثم (النام) الثاما ، ثم (التحم) و (لحم) .
ـ وقالوا كذلك (لام) الشيء : احبه والفهم ،
ـ و (راب) الشيء : جمعه وشدة برفق ، و (راب)
ـ الصدع : اصلاحه .

ـ اما (أبرات) الزرع ابرا ، بمعنى اصلاحه والفتح
ـ فليست من هذا الباب ، لأن المعنى هنا من (الابارات) -
ـ كالعطار : الذى يابر النخل ، والمقصود الشخص الذى
ـ يشق طلعها باداة كالمنجل وهي (المثير) لتلقيحها ،
ـ ثم انتقل المعنى الى تلقيح الزرع عاملا واصلاحه .

ـ ثم (رف) الثوب : رفاه بآخر ليتوسع من اسفله ،
ـ ومن ثم قالوا (رفات) الثوب : لامت خرقه وخاطه ،
ـ و (رفات) بينهم : اصلاحت .
ـ وبمراجعة موضوع « حسن الحال » يتضح كيف
ـ اجتمع المعنيان فى مادة (رفا) .

المبايعة :

ـ (الرياح) - زنة الصلاح : الابل تجلب للبيع .
ـ وربما من هذا تولد (الربيع) وهو الكسب فى التجارة
ـ بما وشراء ، كالذى سبق ان المعنا اليه . ومن هذا
ـ او من (رب) بمعنى النماء والارتفاع نشأ (الريا) بمعنى
ـ الزيادة ، وهو الربح ياخذه الدائن من المدين عن الدين .
ـ ومن مستلزمات البيع دفع (العربون وهو جزء من
ـ الثمن او الاجرة يدفع سلفا ضمانا لاتمام الصفقة .
ـ وينطق (العربون) بفتحتين ، و (العربون) بالضم ،
ـ و (العربيان) بالضم كذلك . وقد نطقوا العين همزة فى
ـ جميعها كذلك ، اي (الأربون) بشكليه و (الأربون) . . .
ـ وهذا يدل على ان العرب كانوا يبدلون العين همزة
ـ احيانا ولو قليلة كما كانوا يبدلون الهمزة عينا أحيانا
ـ كثيرة . . . وقالوا (أعربه) اعربا ، و (عربه) تعربيا ،
ـ و (عربته) : اعطاء العربون .

ـ وقالوا (أربت) المقد : احکمته ، وهذا المعنى من
ـ دفع (الأربون) الذى انما يراد به احكام البيع ، ومن
ـ ثم صارت (الأربة) : العقدة وزنا ومعنى ، لأن المبايعين
ـ كانوا يعقدان طرف في ثوبهما بعضهما البعض علامة تمهد

(المریاع) : المكان الذي ينبع نباته في أول الربع . (المریاب) و (المریة) - كالمحبة : الأرض الكثيرة النبات . ولا بد أنهم قد قالوا (وبيت) النبات بمعنى انتيمته وتعهداته قبل أن يسموا الشأة تربى في البيت للبنها (وبيبة) وقبل أن يقولوا (رب) الرجل الصبي ربا ، و (رببه) تربيبا ، بمعنى تعهده حتى ادرك . ثم قيل (رباه) تربية ، على حبه غذاء وجعله يربو - أول الأمر - ثم يعني : هذه أيضا ، وعلى عهدهنا صارت : غذاء بالعلم كذلك .

العربي الانسان

اننا حتى الانسان ندور في ذلك (العربي) الكلمة . وما اوردنا في هذا المضمار الا قليلا من كثير .. فان الالفااظ والمعاني التي لا تكاد تحسى ، المترفرفة من (العربي) من التعدد والتشابك والتعقيد بحيث يملؤنا تتبعها متعة وغبطة ، على حين اننا نخشى ان تكون قد اخذت تملأ القاريء سامة وضجرا على فرض انه لم يستأم ويضجر منذ زمان لعله غير قريب .

فلنعد الى (العربي) الانسان نختسم به هذا الحديث .

ويبدو للنظر ان (العربي) ليست الكلمة الاولى في تسمية ابن المعرفة بل سبقتها الصيغة الفائبة (العرفي) من معنى التعارف . وما زال العراقيون يعنون بكلمة (العرف) - بكسر العين : (المعارف) اي الاشخاص المتعارفين فيما بينهم ، او الشخص او الاشخاص المعروفين لدى المتكلم .. على غرار (الربع) بلقائهم : الاصدقاء كالذى ذكرنا قبل . ولعل مما يؤيد ان (العربي) قد اطقت عليه الصيغة الفائبة قبل الصيغة العينية ، ان الاولى تظهر بعض تفرعاتها فى مولدات الربع الذى اثله العربي .. مثل النبات فى (العرفط) بالضم : شجر من العصاء ، والماء فى (العرفباء) بالفتح : ماء لبني عقيل ..

- * -

وقد آن لنا الان ان نكر بالذكر الى ما تقدم بيانه من ان (العربي) قد ورد بصيغ (الابري) و (الخبيرو) و (العيبرو) و (الهبيري) - التي يرجع بعضها الى اكثر من خمسة آلاف سنة - كما حكى لنا الدكتور احمد سوسة . وكتابه القيم ليس فى متناول يدي

ومن هذا الباب (استعديت) المكان : استطبه ، من اثل (استعديته) .

ثم نذكر فعل (وب) بالمكان و (واب) - زنة صر وأصر : اقام كذلك ، اي مثل (ربع) بالمكان .

و (الرياب) : الصحاب وزنا ومعنى ، مثل (الرباع بالموصلية وهي اثلاها كما هو جلي يسн . و (الربابة) بالفتح : الجماعة ، و (الربابة) بالكسر : الملكة ، ومثلها (المرية) - زنة المحبة .

و (المرب) - زنة المصب : مكان الاقامة او الاجتماع ، وائله (المربيع) .

و (الريان) - كالرمان : الجماعة كذلك وصار يطلق على رئيس ملاحى السفينة ، اي جماعة النوتية . ومن (الرب) بالمكان نذكر (التربيع) فهو الاقامة ايضا .

ومن (الريف) بالمكان والبستان ظهر فعل (بلد) ليودا بالمكان : اقام ، ومثله مقلوبة (بلد) بلودا بالمكان : اقام فيه او اتخذه (بلدا) اي مقاما ، ومن هنا نشأت (البلدة) : المدينة ، و (البلد) الذي صار يعني المدينة او القطر .

من كل هذا وامثاله الكثيرة المترفرفة نبعث معاني الجماعة والاقامة والمدينة ثم المدينة .. والملكة والقطدر .

بالاضافة الى ما تقدم من دواعي الاقامة الريبيعة نجد للماء اهميته فى كثير من الاحوال . من ذلك (عربة) - بثلاث فتحات - وهي مكة التي سبق القول عن تسميتها وتسمية الكثير غيرها من المواقع والمدن والقرى ، ضمن كلامنا على موضوع الماء .

ومن (عربة) او نحوها ظهرت صيغة (عمرت) بالمكان : اقمت ، وزنا ومعنى . و (العمر) - زنة العمل : المتزل الكثير الماء والكلأ ، ومن ثم قالوا (عمرت) الدار : بنيتها ، و (عموت) المنزل : سكتنه ، فهو (عممود) .

و (العمران) بالضم : البناء ، ثم صار يعني تشييد الدور والمدن ، وقد استعمل ابن خلدون الكلمة بمعنى المجتمع وعلم الاجتماع .

و (التربية) من اهم ظواهر (العمران) بالمعنى الخلدوني ومستلزماته .

لكن صيغتي (الابري) و (الهبرى) قد ضيعتا معناهما التعبيري في المعجم وان كانت قادرتهما اللغويتان ما تزالان موجودتين في معانٍ أخرى .

وربما كانت هناك صيغ أخرى قد اندرت ومعها (العرفي) قبل ان تحظى بالتدوين في الوثائق الهيروغليفية والمسمارية وغيرها ، او تناولها التدوين لكنها لما تكشف ، وقد تكتشف في المستقبل وقد لا تكتشف ابداً ، والمنطقى أن تكون كل تلك الصيغ قد أطلقت على العرب عامة اول الامر فشاعت لدى الامم المجاورة ، ثم اخذت بالشخص ، فربما صار يطلق بعضها لدى أحد الاقطارات المجاورة على بعض القبائل دون بعوض .

الأرميون :

وقد ساعد الاعاجم على توليد بعض الصيغ بتحريفها عن اصلها ، فمن الجائز ان (الأرميون) قد صاغها الاعاجم من (العربي) لمحزهم عن نطق صوت العين . كما يجوز وهو ما نرجحه ان العرب انفسهم نطقوا العربي (أبري) كما نطقوا العبرى (ابري) ۰۰۰ والعربون (أربون) .

واما صيغة (الأرامي) الشائعة الان فلم ترد في اي من المصادر المسмарية التي سجلت ائنتي عشرة صيغ مختلفة ليس فيها واحدة بفتحة ممدودة ، على الهمزة . (وقد تطرقنا الى ذلك بتفصيل اوفى في كتابنا « مفامرات لغوية ») . فعلى هذا تكون صيغة (الأرامي) هذه حديثة فيما يبدو ، ونحسبها من صيغ مدوني التوراة التي تطورت فيها بعض الالفاظ مثل استير (من عشتار) ، ومردحاي (من مردوخ) وحاخام (من حكيم) ، وشالوم من (سلام) ۰۰۰

وأقدم ذكرى للأرميين ورد في نحو القرن الخامس عشر (ق) بوصفهم عشائر بدوية تجوب الفلاحة على تخوم الهلال الخصيب وتغير على المدن والقرى للنهب ، كما كانت تفعل القبائل البدوية ابداً ، وكما صارت تفعل من بعدهم بكر وتقلب ، وكما ظلت تفعل الى عهد قريب عشائر شمر وعنة .

ولعل الأرميين لم يكونوا عندئذ قد اسلخوا نهايتا عن عروبتهم فلم يصبحوا بعد امة قائلة برأسها .

واختلاف لغة الأرميين عن اللسان الغربي المعروف لدينا لا يزيد عن اختلاف الكنויות عنه . بل ان اللغات التمودية والحيانية والصفوية التي تمثل اقدم صور

الآن لا عرف ما الذي استنتجه هو من هذه الحقيقة المثيرة . لكنها تبعت في خاطري شيئاً :

اولهما ان ورود هذه الصيغ في وثائق بهذا القدم لا يدل على أنها اقدم وجوداً من صيغة «العربي» التي ورد اقدم المعروف منها في وثيقة لا ترجع الى اقدم من منتصف القرن التاسع ق م ، لأنه من المحتمل ان يكون اسم العربى قد ورد في صيغ اقدم من هذه وذلك لم يعثر عليها المنقبون .

وثانيهما ان العبرانيين اذا كانوا هم ابناء يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم كما يقولون فان تاريخ ظهور ابراهيم لا يرجع الى اكثر من عام 1700 او 1800 ق م . ولم يبالغ احد من المؤرخين فيما نعلم في الرجوع بهذا التاريخ الى ابعد من 2000 ق م ، اي أربعة آلاف سنة من يومنا . فهذا يعني قطعاً ان الهبرى والعبرى ۰۰۰ ليسوا هم العبرانيين الذين يطلق عليهم هذا الاسم اليوم ، وإنما كانوا قوماً آخرين اقدم منهم بالف سنة على الاقل . فمن هم يا ترى ؟ ولا بد ان يكون للدكتور احمد سوسة قد ذكر ذلك او ما يشبهه ، ولعله قد تسأله عن عنى ان يكون أولئك المجهولون الذين تعددت اسماؤهم قبل ان يخلق العبرانيون وايو العبرانيين .

وشيء ثالث نذكره ولا نحسب ان الدكتور سوسة قد تطرق اليه لانه لن يؤدي بحث ، وهو أن التأثير اللغوي هو الحكم الفيصل بين صيغة «العربي» والصيغة المناسبة لها . فهذا التأثير ، حلال المشاكل اللغوية ، سيذهلنا أن يبرهن لنا على ان هذه الصيغ كلها ترجع الى ائل واحد هو «العربي» نفسه اولاً ، اي ان الخبرى ، والعبرى ، والهبرى ، والابرى ، وابري .. لم يكونوا الا العرب انفسهم ثانياً ، وان اسم (العربي) يرجع من ثم الى تاريخ اقدم من هذه الصيغ التي تولدت منه بقرون كثيرة لعلها عشرات ... ثالثاً .

فإذا كانوا قد اطلقوا (العربي) من معنى المعرفة والاعراب على انفسهم فلا غرابة ان يكونوا اطلقوا كذلك (العربي) و (الخبرى) بعد ان اشتق العبر والخبر من (العرب) .

ومن العبرى شأت العبرى صيغة (الابري) منذ ابدلوا عينها همزة كما فعلوا بالعربون يوم نطقوه (أربون) وبفعل ربع يربع يجعلوه رباً يرباً ...

ومن الابري ثبتت صيغة (الهبرى) بابدال همزتها هاءاً كما فعلوا في الفاظ كثيرة مثل (أيا) صارت على لسانهم (هيا) و (اراق) غدت (هراق) ..

وهكذا اختصت (العبرى) — ومثلها (العبرانى) —
يا ولئك القوم ولم تعد تطاق على غيرهم من العرب .

ولعل قدامي المصريين كانوا يطلقون (ابري) و (ابري) . . . على «العرب» الذين كانوا منذ اقدم يقيمون شرقى مصر ، على سواحل البحر الاحمر وعلى ارض سيناء ولعلهم أطلقوا من ثم نفس الاسم على البرانيين المقيمين فى ارض (جاسان) لأن لغتهم اجنبية عن اللغة المصرية ، كلغة العرب . واليوم يسمى بالدارجة المصرية كل عربي ، غير مصري (شامى) سواء أكان من بر الشام او من جبال الأطلس . فلعل هذا كان شأنهم يوم سمووا اليهود عربين ، على اعتبار انهم عرب .

العربي :

وبعد ان اختص (الأرمني) بالبداوة المذكورةين
و (العبري) باليهود ، و (العربي) بساكن المعربة ..
بقيت الصيغة الاخرى ولم تجد اقواما يختص كل واحد
منها بأحد هم فاندثرت مع الزمان .

حتى مادة (عرب) التي بقيت وحدتها تطلق على
هذا المعني تجيئنا في صور شتى مع أنها مادة لفوية
واحدة . وهذه الصيغ هي : **العرب** (الأدب) ،
والعرب (العذر) **وأنعرب** (بضمتين) ،
والعربان (القربان) ، **والأعراب** (الأصحاب) ،
والاعرب .. والمفرد القياسي منها : **العربي** (الأدبي) ،
والعربي (بضم فسكون) ، **وأنعراني** (السلطاني) ،
 والأعرابي ، ثم **اليعرب** .. والمصدر المعجمي
العروبة و**العروبية** .

— 1 —

كان غرضنا ان نكتب قصة تسمية العربي تحت عنوان « قصص من اللغة » فإذا بنا ننساق الى التاريخ فصار حديثنا اجدر بأن يضاف الى عنوانه « وتاريخهم من لفتهم » !

لا بأس ، فليكن شيئاً بين القصة اللغة واللغة
التاريخي ..

العربية التي وصلتنا وثائق مكتوبة منها ، لا يفهمها من العرب اليوم الا المتخصصون ، شأن الاشورية والبابلية . فلا يكون عدم فهمنا اياها - اي اختلافها عن لغتنا - باعثا للظن انها غير العربية .. فان ابن بفداد اليوم مثلا لا يفهم الكثير من لغات بعض المدن والقرى العربية في العراق نفسه على صغر رقعته .

أن الأرميين قبل مبارحتهم المغربية قد كانت لهم
لهجتهم الخاصة ، كما هو شأن القبائل في العادة ، فلما
انسلخوا عن بقية العرب انزلت لفتهم وأخذت سبباً لها
الخاص في التطور تحت سيطرة البيئة والتأثير باللغات
المختالطة الجديدة ، ف تكونت اللغة الأرمنية (السريانية)
المعروفة كما تكونت من قبلها الكنعانية والأكديّة
وغيرهما من اللغات السامية .

والذي نحالة ان اسم (الأرمي) كان يطلقه بعض سكان المنطقة على العربي من أي قبيل كان ثم اختص بهذا البدوي النهاب السلاب الذي طفق يستقر ويتمدّن جيلاً بعد جيل ويفوّى تأثيره في المجتمعات التي نزل بين ظهارتها حتى غلبت لغته جميع لغات الهلال الخصيب من بابلية وآشورية وكنعانية وعبرية . ومعلوم ان المسيح ، كابناء جيله من العبرانيين ، كان يتكلّم الأرمية التي هي من ثم لغة الأصل للأنجيل .

العــــــــري :

ولا ندرى متى أطلق اسم (العري) على اليهودي)
أو اسلافه خاصة من دون سائر العرب . لكن الثابت
المعرف به حتى من اليهود ان من يسمون بالعبرانيين
ليسوا أخلاق يعقوب وحدهم ، وليسوا القوم الذين
خرج بهم موسى من مصر وحدهم أيا كان أصلهم ، بل
اختلط بهم الكثير من القبائل البدوية فى أرض سيناء
وفلسطين . وان الشبه العظيم بين اللغتين الكهفانية
والعبرية لينبئ عن كثرة الكهفانيين الذين خالطهم
اليهود فاثرموا في اللغة العبرية بحيث أنها يمكننا تسميتها
« كهفانية حديثة » كالفنيقية ، فلهذا يقول الباحثون
اللغويون ان الفنيقية والعبرية اختنان امهما الكهفانية .
والسبب منطقى واضح هو ان قوم موسى طردوها على
ارض عربية كهفانية (فلسطين) و كانوا قلة فيها ، لكن
تشاخدن اهلها اصارهم الى ما اصار اليه « ملوك
الطوائف » فى الاندلس ، وما صار اليه نفس البلد
— فلسطين — امس .

أبحاث ودراسات باللغات الأجنبية

- اللغة العربية في مرآة تواعدها القومية
للاستاذ أنطون شال
- المظهر الاندلسي والمغربي للحضارة العربية (النص الفرنسي)
للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- المظهر الاندلسي والمغربي للحضارة العربية (النص الانجليزي)
- اللغة العربية من أهم منابع الثقافة الفرنسية
- رسالة مكتب تنسيق التعریب (النص الفرنسي)
- رسالة مكتب تنسيق التعریب (النص الانجليزي)
- اللغة العربية والقاربة الافريقية
- اعداد المؤتمر الثاني للتعریب



deuxième Congrès — prévu pour la fin de l'année 1973 à Alger —, une série de six lexiques trilingues (anglais - français - arabe) concernant les disciplines scientifiques enseignées au niveau du second degré : Mathématiques, Physique, Chimie, Botanique, Zoologie, Géologie.

« Le rôle essentiel de notre Bureau Permanent étant un travail de coordination, les projets initiaux de cette série de lexiques nous avaient été soumis à cette fin par la République Arabe Egyptienne, après avoir été élaborés en deux langues : anglais et arabe. Pour cette raison, nous y avons ajouté une troisième langue, en l'occurrence le français et, nous avons fait suivre chacun de ces lexiques d'un additif très important — en trois langues aussi — grâce à un dépouillement minutieux de manuels scolaires occidentaux du second degré effectué par nos experts. Ces derniers ont, en outre, eu soin de compléter ces ouvrages par des index alphabétiques français afin de permettre aux bilingues francophones une recherche rapide des termes correspondants arabes.

« C'est donc l'ensemble de ces projets trilingues, qui sera soumis au Congrès d'Alger pour être étudié par des experts qualifiés représentant tous les pays membres de la Ligue Arabe dans le double but de choix et d'unification des termes scientifiques adéquats.

« D'autre part, les experts et les responsables du B. P. A. ayant constaté la multiplicité des

synonymes arabes correspondant à certains termes uniques en langue étrangère et diversement employés selon les pays, ont décidé de présenter, en temps opportun, aux congressistes spécialisés les projets de lexiques, chacun selon sa compétence, afin de permettre une étude préalable, à tête reposée, dans le but de faciliter leur tâche au Congrès. D'autres dispositions ont enfin été soigneusement étudiées et prévues aussi bien pour rendre les travaux du Congrès plus rapides que pour permettre aux représentants qualifiés de chaque pays d'émettre leurs avis ou leurs propositions, le cas échéant, quant au choix des termes.

« L'unification du terme arabe n'est qu'une première étape dans le processus d'évolution de notre langue ; l'unification de cet instrument d'expression sera suivie par celle des programmes et des moyens de recherches scolaires et universitaires du Monde Arabe. L'universalité de la science, la nécessité d'échanges internationaux de plus en plus serrés dans le domaine de la technique, sont autant de critères devant être pris en considération dans l'élaboration de la terminologie scientifique et technique arabe. Assurer à partir d'un niveau universelifié l'alignement du terme et de l'ouvrage scientifique arabe, sur la pensée scientifique moderne, tel est le but auquel aspire le monde arabe dont la langue, par ses virtualités inhérentes, fut, au Moyen-Age, une langue universelle de science et de civilisation, un moyen de communication et de compréhension internationales ».

PREPARATION DU 2e CONGRES D'ARABISATION

(ALGER, 1973)

MM. Abdellaziz Benabdelah et le Docteur Mamdouh Hakki, respectivement Directeur Général et Expert en chef du Bureau Permanent de Coordination de l'Arabisation dans le monde arabe (B.P.A.), ont effectué une tournée durant plus d'un mois à travers les capitales arabes.

Cette tournée avait pour but la préparation du deuxième Congrès d'Arabisation qui tiendra ses assises à Alger dans le courant du 4^e trimestre de l'année 1973 et se proposera d'étudier, outre la mise au point de six lexiques scientifiques concernant les matières d'enseignement au niveau du second degré, une série de problèmes relatifs au développement de la terminologie technique et scientifique.

On se rappelle que le premier Congrès d'Arabisation, réuni à Rabat en 1961 sur invitation de feu S.M. Mohammed V et sous les auspices de la Ligue des Etats Arabes, avait décidé la création du B.P.A. afin de répondre au besoin, de plus en plus impérieux, du développement et de l'unification de la terminologie technique et scientifique dans le Monde Moderne.

« Animés par cette préoccupation majeure, a déclaré M. Benabdelah, nous avons, au cours de notre voyage d'études, pris contact avec MM. les Ministres de l'Education Nationale de l'Enseignement supérieur, les recteurs d'Universités, les doyens de Facultés et de nombreuses personnalités des Académies du Caire, de Damas et de Bagdad, en vue de traiter des problèmes pour lesquels nous nous sommes déplacés.

« Grâce à de multiples séances de travail, souvent très longues, l'échange de nos points de vue, mené avec autant de franchise que d'objectivité, a eu pour aboutissement la mise sur pied d'un système rationnel qui pourra assurer à notre langue un développement rapide et efficace dans le domaine de la terminologie moderne.

« Or, on sait qu'à l'U.N.E.S.C.O. l'arabe a déjà conquis sa place à côté des quatre autres langues internationales, mais nous voulons aussi qu'elle devienne dans quelques années, un instrument de travail dans tout l'organisme des Nations Unies et, afin qu'elle soit digne de cette mission, elle doit être claire et exhaustive. La science elle-même, n'est-elle pas, avant tout, l'expression d'une langue bien faite ?

« C'est pourquoi nous avons entrepris, dès 1962, l'élaboration de lexiques comportant des termes arabes qui répondent, dans toute la mesure du possible, aux conditions de clarté, de précision et d'élégance, pour exprimer les notions modernes. Notre idéal est qu'à chaque notion doit correspondre un terme unique, simple précis et évocateur.

« Or, une expérience longue de dix années de labeur ininterrompu, nous autorise à dire avec certitude que la langue arabe dispose, contrairement à ce qu'avancent ses détracteurs qui l'ignorent, d'un fond riche, d'un potentiel très exhaustif et d'un mécanisme créateur à toute épreuve.

« C'est dans cet ordre d'idées, précisément, que nous avons entrepris de préparer pour notre

Le Bureau Permanent, dont la mission consiste en un travail de coordination de l'arabisation entre les pays arabes, de constante information sur les néologismes et termes scientifiques les plus récents, d'enregistrement, d'unification et de large diffusion se fait un plaisir de vous présenter quelques-unes de ses modestes publications, à savoir :

1^o Un exemplaire de sa revue « Al-Lisâne al-Arabi » qui comporte d'une part : un ensemble d'études sur la langue élaborées par d'éminentes personnalités arabes, orientalistes ou professeurs dans les grandes Universités du monde, et, d'autre part : une série de lexiques scientifiques et techniques trilingues (anglais, français, arabe).

2^o Un exposé sommaire sur le Bureau Permanent, ses buts, son historique, ses réalisations et ses projets.

Le B.P.A., heureux d'apporter sa modeste contribution à l'œuvre éminemment constructive

d'une expansion plus large de la langue arabe, devenue l'un des instruments de travail dans les organismes de l'O.N.U., à la grande satisfaction des nombreux pays afro-asiatiques qui y sont représentés, a la joie de saisir l'occasion du neuvième Congrès de l'O.U.A. pour adresser à ses honorables membres un appel pathétique en vue de renforcer cette expansion.

L'O.U.A., cette jeune mais si grande Organisation, dont nous sommes fiers et à laquelle nous rendons un vibrant hommage, a déjà donné au Monde les preuves d'une sagesse profonde, d'un réalisme patriotique indéniable et d'un dynamisme magnifique. C'est pourquoi, nous sommes sûrs de l'efficacité des encouragements et de l'appui que nous nous permettons d'attendre d'elle pour faire fructifier davantage notre action entreprise dans l'intérêt des pays du Tiers-Monde.

Dieu vous assiste et vous guide dans la voie du triomphe de notre continent !

La Langue Arabe et l'Afrique

Traduction du Message adressé par le B.P.A. à l'O.U.A. à l'occasion de son 9è Congrès

C'est un événement heureux et de bon augure que votre réunion ait lieu sur la terre du Royaume du Maroc, cette porte d'Afrique ouverte sur un monde où prospèrent la Science et la Civilisation, et que vous ayez ainsi considérablement renforcé votre union pour un plus bel avenir de notre Continent et pour une plus grande dignité de l'homme africain.

Soyez donc les bienvenus sur le sol de cette seconde Patrie où nous vous souhaitons un séjour aussi agréable que fructueux.

Nous vous exprimons, en même temps que nos remerciements, la haute considération pour les buts que vous vous êtes proposé d'atteindre, en priant Allah de vous assister dans la réalisation de vos desseins.

Le Bureau Permanent pour la Coordination de l'Arabisation dans le Monde Arabe, siégeant à Rabat et relevant de « l'Organisation arabe de l'Education, de la Culture et des Sciences », organisme de la Ligue des Etats arabes, est particulièrement honoré de vous présenter ses salutations et ses vœux de pleine réussite dans la noble tâche que vous avez entreprise pour servir notre jeune continent.

Il vous remercie vivement et vous exprime son profond sentiment de gratitude pour avoir adopté l'Arabe comme langue officielle de travail et de rédaction des résolutions de votre honorable Congrès.

Le B.P.A. étant pleinement conscient :

De ce que la langue est considérée comme une clef et un instrument indispensable pour le progrès des sciences ;

De ce que la jeune Afrique renaissante s'efforce de s'intégrer dans le monde moderne où elle veut occuper une place digne d'elle dans l'avant-garde, et ce, après avoir chassé le redoutable cauchemar du colonialisme dont la longue et accablante oppression constituait une terrible menace pour ses richesses et sa vitalité ;

De ce que la langue arabe est employée par près de la moitié des populations africaines, et qu'elle est à présent la cinquième langue officielle dans la plupart des Organisations internationales ;

De ce que cette même langue est parvenue à occuper dans de nombreuses Universités du Monde et l'Afrique, à plus forte raison, la place dont elle est digne aux côtés des autres grandes langues vivantes ;

Il convient — en raison de toutes ces considérations — que nous nous engagions résolument dans le domaine des activités scientifiques, en utilisant l'arabe, cette langue si vivante et si souple dont les possibilités de développement sont immenses, car elle possède toutes les qualités requises pour avoir une terminologie propre qui lui permette une efficace participation au progrès de la Science et de la technique modernes. La gloire de son passé et les innombrables et miraculeuses réalisations dont elle fut l'instrument durant de longs siècles, en sont les garanties.

A seventh lexicon which is that of Petroleum has been prepared to be studied apart by a seminar with the concerned inter-Arab organization. This collection of projects have been compiled in three languages: English, French and Arabic with the view of adding to them Russian and German at a later stage.

E) On the other hand the P.B.A. has organized literary competitions in the area of philosophical scientific studies and publication of manuscripts and original works yet unpublished. The prizes offered to the winners of the first competition were granted by the Moroccan government while those for the next two will be submitted by Kuwait and Saudi Arabia.

F) Other works of diverse studies have been published, or are underway by the P.B.A. One may mention a few specially:

I) "The Ten Categories" of Aristotle which is an Aarabic commentary by a hegira tenth century author. This unpublished work was verified by Dr. Mamdouh Hakki,

II) A major work which is under print entitled "Laalie-Al-Arab"; a voluminous dictionary of analogical terms edited by a great Syrian philologist the late Khalil Rizk.

III) A series of studies aiming at the return to classical Arabic usage phrases in the different dialects of the Arab peoples har been made by Mr. Abdellaziz Benabdallah to be published soon. It is rather a solid campaign against the current faults and barbarisms which menace the purity of the language of Islam. These studies will be edited and published as a work on their own.

Within the frame of his professional activities the Director of the P.B.A. Mr. Benabdallah has made many trips of studies, particularly to China, the U.S.S.R. and Eastern Germany. He was informed there of the reforms effected on the phonetics and lexicography of the modern Chinese language and has agreed with the principals of the U.S.S.R. Academy of Sciences in Moscow and the University of Halle in Eastern Germany on collaboration to introduce a fourth and fifth languages in the P.B.A. lexicons.

Very recently another tour was made by the Director accompanied by Doctor Hakki visiting the Arab capitals in preparation for the next Conference to be held in Algiers. Accordingly many discussions and meetings were organized with the Ministers of Education and the responsibles in the universities and Arab academies.

Another task of the P.B.A. is to methodically dissect the great ancient lexicographic works such as "Lisan-Al-Arab", "Al Mukhassas", etc., in order to obtain more terms to enrich the vocabulary card-index of the Bureau.

Also the P.B.A. extracts terms by the thousands from historical and literary works and classifies them into the general card-index which includes a number of thousands of words.

6 - The P.B.A. is headed by Mr. Abdellaziz Benabdallah a notable and well-known Moroccan personality in the Arab world. His second is Mr. Mohamed Benzian the Assistant Director in charge of administration. Dr. Mamdouh Hakki who is the Dean of Experts in the Bureau has functions of technical nature.

There are in the Bureau two classes of Experts:

- 1) Experts with higher university degrees.
- 2) Experts with standard university degrees.

The third category consists of a large number of experts and correspondents of the P.B.A. Most of them are Arab nationals stationed in their countries of origin, while the others live abroad in Europe and the two Americas. Among those correspondents one could count a number of western Orientalists who contribute according to their specializations and mother tongues.

7 - After the creation of the P.B.A. by the happy initiative of H.M. the late Mohammed V promoter of the first Arabisation Conference, H.M. King Hassan II since his accession to the throne has not ceased to extend his care to this Bureau which has become today an international organization of world renown.

As well all the successive Moroccan governments have always insured their support of the Bureau.

Such encouragements, care and support are due to the kind consideration of H. M. King Hassan II.

At the present time the Arabic language has already acquired a serious role by its admission as a fifth international language in certain organizations such as the U.N.E.S.C.O., F.A.O. and W.H.O. This feat is considered insufficient and the P.B.A. should by its close links with the academies and the different qualified bodies unfailingly continue its efforts aiming at the usage of Arabic in the U.N. assemblies and making it a work instrument by constant updating of Arabic terminology on technical and scientific plans.

PERMANENT BUREAU OF COORDINATION OF ARABISATION IN THE ARAB WORLD

(P. B. A.)

1 - By the gracious initiative of His Majesty the late King Mohammed V (God bless his soul) the first Arabisation Conference was invited to convene in Rabat in 1961 with the participation of representatives from the Arab League and the Arab States. The purpose of this important convention was to study the proper means of reviving the use of the language of the Holy Koran and adapting it to contribute efficiently to the development of modern civilisation same as the other international languages.

2 - The issue of this conference has been the creation of the P.B.A. with the objective of compiling in its first stage the results of the work carried out in the field of linguistics and scientific and technical terminology by the various academies and universities, famous writers and translators in the Arab world.

This centralisation was followed by the coordination and publication of these terms into lexicons to be submitted to conferences organized periodically by the Arab League and the P.B.A. for reviewing and discussion, to choose and unify the scientific terms to be used in the entire Arab word.

3 - His Majesty the late King Mohammed V proposed Rabat as the seat of the P.B.A. and nominated a Director to head it.

4 - It was only since 1968 that the Bureau has been adopted and attached to the Arab League which provided the necessary funds for its budget distributed as follows:

- A) Salaries of employees and experts.
- B) Printing of lexicons.
- C) Publication of the periodical "Al-Lisan-Al-Arabi" which is the organ or mouthpiece of the P.B.A.

It is proper to note here that the government of the Kingdom of Morocco has undertaken to assist the P.B.A. with important contributions to consolidate its finance.

5 - After its creation and from the beginning the P.B.A. knew an unceasing activity and during the decade of its existence produced the following.

A) Ten issues of its large periodical some of which contained 2,000 pages and even surpassed that number as for example the eighth issue which consisted of 3 volumes 700 pages each containing entries from highly authoritative scientists, philologists, lexicographers and Arabists.

B) More than a dozen analogical lexicons such as lexicons of Games & Sports, Colours, Ichthyology, Instruments, Tools, Sciences & Arts, Doctrines & Systems, Gastronomy, Trades, Mineralogy, Building & Household, Osteology, and Hematology.

C) A number of lexicons of scientific and technical terms, six of which will be reviewed by the next Conference in Algiers. They are lexicons of Chemistry, Physics, Botany, Zoology, Mathematics, and Geology.

Une troisième catégorie est constituée par un grand nombre d'experts et collabore par correspondance avec le B.P.A. La plupart d'entre eux sont des ressortissants arabes fixés dans leurs pays d'origine, tandis que les autres vivent à l'étranger, en Europe ou dans les deux Amériques. Parmi ces correspondants, on compte même un certain nombre d'orientalistes occidentaux qui apportent leur contribution selon leur spécialisation et en leur propre langue.

7 - Après la création du B.P.A., due à l'heureuse initiative de feu S.M. Mohammed V, promoteur du premier Congrès d'Arabisation, S.M. Hassan II n'a cessé, depuis son accession au Trône, d'entourer de toute sa sollicitude ce Bureau devenu aujourd'hui un organisme international de réputation mondiale.

De leur côté, tous les gouvernements marocains qui se sont succédé ont constamment assuré de leur soutien le B.P.A.

De tels encouragements, une telle sollicitude et un tel soutien sont autant de motifs de reconnaissance à l'égard de S.M. Hassan II.

8 - A l'heure actuelle, la langue arabe a déjà franchi, grâce, notamment, aux efforts de la Ligue des Etats Arabes, une sérieuse étape du fait de son admission comme une cinquième langue internationale dans certaines organisations telles que l'U.N.E.S.C.O., la F.A.O. et l'O.M.S. Cette promotion étant encore insuffisante, le B.P.A., en étroite liaison avec les Académies et les divers organismes qualifiés, doit poursuivre inlassablement ses efforts afin de contribuer à en étendre davantage l'usage dans le concert des Nations Unies et à en faire un instrument de travail, grâce à un renforcement et à une mise à jour constants de la terminologie arabe sur le double plan scientifique et technique.

Lexique Gastronomique.

Lexique des Arts et Métiers,

Lexique du Bâtiment.

Lexique Ménager.

Lexique d'Ostéologie.

Lexique d'Hématologie.

3^e De nombreux lexiques de termes scientifiques et techniques dont six figureront à l'ordre du jour du prochain Congrès d'Alger : Chimie, Physique, Botanique, Zoologie, Mathématiques, Géologie (1).

Un 7^e lexique, celui du Pétrole, est préparé pour être étudié dans un séminaire à part, en liaison avec l'organisme interarabe spécialisé. Tous ces projets ont été élaborés en trois langues, anglais, français et arabe, auxquelles il sera éventuellement ajouté plus tard le russe et l'allemand.

3^e Le B.P.A. a, en outre, organisé des concours dans le domaine philologique, comportant des études scientifiques originales et la publication de manuscrits et d'ouvrages inédits. Les prix décernés aux lauréats du premier concours ont été offerts par le gouvernement marocain, tandis que ceux des deux prochaines réussites seront respectivement octroyés par le Koweit et l'Arabie Séoudite.

4^e D'autres ouvrages, qui ont fait l'objet d'études diverses, ont été publiés — ou sont en voie de publication — par les soins du B.P.A. On peut en citer notamment :

a) « **Les dix Catégories** », d'Aristote, commentaire arabe, dont l'auteur est Mohamed Al-Hasani al-Boulaïdi, savant du X^e siècle de l'Hégire. Cet ouvrage inédit a été vérifié par le Docteur Mamdouh Hakki.

b) Une œuvre de grande envergure est actuellement sous presse : « **Laâli - al - Arab** », volumineux dictionnaire de termes analogiques dû à l'élaboration d'un grand philologue syrien, le regretté Khalil Rizk.

d) Une série d'études tendant au rapprochement vers la langue classique des divers dialectes en usage dans le monde arabe a été faite par M. Abdellaziz Benabdellah et publiée par le B.P.A. On y trouvera, par ailleurs, une véritable campagne contre les fautes courantes (barbarismes et solécismes) qui menacent la pureté de la langue du Coran.

(1) Voir détails à ce sujet sous le titre « **Préparation du 2^e Congrès d'Arabisation** » dans ce même numéro.

4 - Dans le cadre de ses activités professionnelles, le Directeur Général du B.P.A., M. Benabdellah, a effectué plusieurs voyages d'études, particulièrement en Chine, en U.R.S.S. et en Allemagne Orientale. Il put ainsi s'informer sur les réformes ayant trait à la phonétisation et à la lexicographie de la langue chinoise moderne et parvint à obtenir un accord de principe auprès des responsables de l'Académie scientifique de Moscou et de ceux de l'Université allemande de Halle, pour une collaboration visant à l'adjonction d'une troisième et d'une quatrième langues vivantes étrangères dans les lexiques du B.P.A.

Tout récemment une autre tournée fut entreprise par le Directeur Général en compagnie du Docteur Hakki, à travers les capitales arabes dans le but de préparer le prochain Congrès d'Alger. A cet effet, de nombreuses conférences et séances de travail ont été organisées en commun avec les Ministres de l'Enseignement, les responsables des Universités et ceux des Académies arabes.

5 - Une autre tâche du B.P.A. est celle qui consiste à faire dépouiller méthodiquement les grandes œuvres lexicographiques anciennes, entre autres « **Lisane-Al-Arab », « **Al Mokhassas** », etc, en vue d'alimenter et d'enrichir le Fichier de vocabulaire du Bureau.**

Le B.P.A. s'est, en outre, employé à dépouiller des ouvrages d'histoire et de littérature dont il a tiré des dizaines de milliers de termes classés dans le Fichier Général dans lequel le nombre de fiches se compte par centaines de mille.

6 - Le Bureau Permanent de coordination de l'Arabisation est dirigé par M. Abdellaziz Benabdellah, personnalité marocaine notoire dans le monde arabe. Il est secondé par M. Mohamed Benziane, Directeur Général adjoint chargé notamment de l'organisation administrative, et par le Docteur Mamdouh Hakki, doyen des experts, dont la mission a un caractère technique.

Il y a, au Bureau, deux catégories d'experts :

a) Experts d'un niveau universitaire supérieur.

b) Experts licenciés.



Mission du Bureau Permanent de Coordination de l'Arabisation dans le Monde Arabe

(B. P. A.)

(Nous donnons ci-après un aperçu succinct sur le B.P.A. et ses activités à la demande de nombreux lecteurs qui nous ont écrit à ce sujet).

1 - C'est sur l'initiative de feu S.M. Mohammed V, Roi du Maroc, que le premier Congrès d'arabisation tint ses assises à Rabat, en 1961, avec la participation de représentants de la Ligue et des Etats arabes.

Cette importante réunion avait pour objet l'étude approfondie des moyens propres à faire activer l'évolution de la langue du Coran et à la rendre apte à remplir sa mission en contribuant au développement de la civilisation moderne aussi efficacement que les autres langues internationales.

2 - Issu de ce Congrès, le B.P.A. fut créé dans le but de centraliser dans une première étape, les résultats des travaux entrepris dans le domaine de la linguistique et de la terminologie scientifique et technique, par les Académies, les Universités, les grands écrivains ou traducteurs du monde arabe.

La centralisation est suivie d'un travail de coordination des termes groupés dans des lexiques à soumettre à des congrès organisés périodiquement par la Ligue Arabe et le B.P.A. en vue d'une étude aboutissant au choix et à l'unification des termes scientifiques à mettre en usage dans l'ensemble du monde arabe.

3 - Sur proposition de feu S.M. Mohammed V, Rabat devint le siège du B.P.A. à la tête duquel fut nommé un Directeur.

4 - C'est seulement depuis 1968 que le B.P.A. relève de la Ligue Arabe qui lui attribue sur son propre budget les crédits qui lui sont nécessaires (1).

Ces derniers sont répartis comme suit :

- a) Rétributions des fonctionnaires et des experts ;
- b) Impression des lexiques ;
- c) Publication de la revue « Al-Lisane-Al'Arabi », organe du B.P.A.

Il y a lieu de noter que le gouvernement du Royaume du Maroc a consenti en faveur de ce Bureau d'importantes contributions pour étoffer son financement.

5 - Après sa création, et dès le départ, le B.P.A. a fait preuve d'une activité ne connaissant aucun répit, et c'est ainsi qu'il a produit durant la décennie de son existence :

1^o Dix numéros de sa volumineuse revue, dont certains ont atteint et même dépassé, 2.000 pages — tel par exemple, le huitième paru en 3 tomes d'environ 700 pages chacun — et auxquels ont collaboré de hautes autorités parmi les hommes de science, les philologues et les lexicographes, tant arabes qu'arabisants.

2^o Plus d'une dizaine de lexiques analogiques :

Lexique de Sports et de Jeux.

Lexique des Couleurs.

Lexique Ichtyologique.

Lexique des Appareils, Instruments et Outils.

Nomenclature des Sciences, Arts, Doctrines et Systèmes.

(1) Le B.P.A. dépend actuellement de l'Organisation Arabe pour l'Education, la Culture et les Sciences (A.L.E.C. S.O.) créée récemment dans le sein de la Ligue des Etats Arabes.

Ainsi l'épinard, venu d'Espagne d'abord sous la forme latine *spinachium*, est à l'origine une plante médicinale. Il en est de même du néneau-phar qui est tout d'abord importé non pour sa fleur, mais pour ses rhizomes.

C'est par le latin médiéval que les Arabes ont transmis : le safran, le cubère (sorte de poivre), le nénuphar, le séné, le sumac, le turbit (liseron purgatif), le cétérac (fougère), le tamarin, le benjouin, la caroube, l'estragon, la cuscute. Très réduit, en revanche, est le nombre des animaux amenés par les Arabes : gazelle, girafe, papegai, gerboise...

Les Arabes ont été aussi des mathématiciens et des astronomes, l'astronomie leur doit : Nadir, Azimut, Zénith, Alidade. Les mathématiques : Algèbre, Logarithme du nom de l'inventeur de l'Algèbre Al-Korismi qui, au IX^e siècle, introduisit en Europe les chiffres arabes et la numération décimale.

« Chiffre » remonte, par l'italien et le latin médiéval, à l'arabe « Sifr » qui, étymologiquement, signifie « vide ». Le sens premier est celui de « zéro ». Zéro, qui remonte lui aussi à « Sifr », est donc un doublet de chiffre qu'il remplace au IV^e siècle.

Les Arabes ont été les courtiers de la Méditerranée. Leur commerce s'est fait principalement

par l'Italie, en particulier par l'intermédiaire de Venise. Les Mozarabes d'Espagne ont été plus sédentaires. La darse ou l'arsenal : il s'agit d'un même nom, le premier génois, le second vénitien, viennent de l'arabe « Dar-Sina » (1) (Arsenal maritime). C'est l'activité commerciale des Arabes qui a donné aussi un certain nombre de termes qui désignent des poids. A côté de « Carat » qui est un mot d'alchimiste, on a « arobé » (par l'Espagne), « quintal » (mot arabo-byzantin) et « romaine » qui, par l'intermédiaire du provençal, désigne une « balance » d'origine arabe (rommana).

L'Arabe fournit aussi à l'époque archaïque un certain nombre de termes militaires : barbacane, jaseran, timbale. Mais son influence est surtout marquée dans la terminologie de l'équitation et de l'hippologie. L'italien a transmis « Carrousel » et l'espagnol « Genet » ainsi que la vieille expression monter « à la genette », tous deux d'après l'arabe « Zenata », nom d'une tribu berbère marocaine renommée par la valeur de sa cavalerie.

A partir du XIV^e siècle, l'influence culturelle des Arabes cesse de se faire sentir. Ce n'est qu'à travers les fonds arabo-espagnols et italiens qu'ils continuent à alimenter le lexique français tout le long du XV^e et du XVIII^e siècle.

(1) L'origine arabe en est plus exactement « Dar-as-Sanaa ».

La Langue Arabe, une des Grandes Sources de la Culture Française

Selon M. Pierre Guiraud, professeur à la Faculté des Lettres et Sciences Humaines de Nice, 300 mots arabes constituent une des grandes sources de la culture française. Les Arabes sont à l'origine de la science moderne et principalement de la médecine, de l'alchimie, des mathématiques, de l'astronomie. Ils ont été d'autre part, le relais avec l'Orient — par la Perse et Byzance — d'où ils ont ramené des plantes, des animaux, des cultures. Ils ont été les courtiers du monde méditerranéen, à la fois navigateurs et commerçants. Enfin, leur propre culture a fourni des objets, des institutions dans le domaine de l'art militaire, de l'archéologie, des vêtements, etc.

Pour M. Pierre Guiraud, auteur de plusieurs ouvrages dont celui traitant « des mots étrangers dans la langue française » (Presses Universitaires de France), les Arabes ont été des médecins et des alchimistes, les deux sciences d'ailleurs se confondent, un des objets de l'alchimie étant la pharmacopée. Par ce biais, ils se sont intéressés à des minéraux et à des plantes cosmétiques ou médicinales. Le mot «alchimie» vient (probablement) du grec « Khy-meia » (mélange de sucs). Alambic, de même est arabo-grec, son étymologie étant le grec « Ambix » (vase à distiller).

Parmi les appareils de distillation, on a aussi le matras et la cuine, deux mots arabes, de même que cohober, « distiller plusieurs fois pour concentrer ».

Le produit de la cohobation est l'alcool qui représente l'arabe « Al Kohl » ou « antimoine pulvérisée ». Un autre mot arabo-grec est elixir, nom de la pierre philosophale qui désigne aussi un remède d'après le grec « Kseron » (poudre sèche). Rien ne montre mieux la tradition arabo-grecque de l'alchimie.

Chimistes et pharmaciens, ajoute M. Pierre Guiraud, les Arabes ont donné à l'humanité, le camphre, le goudron, la laque, l'alcali, l'aniline, le talc, le borax, le natron, le réalgar ou « bisulfure d'arsenic », l'élemi ou « résine à vernis », le colcotar ou sesquioxyde de fer utilisé en peinture. Ils utilisent l'ambre, la marcassite, la nacre, le carabe.

Parmi ces préparations se trouvent de nombreux cosmétiques. Par l'Italie, les Arabes ont transmis le coton, le sucre, le jasmin, sans doute le lilas, par l'Espagne, ou le Portugal, ils ont transmis l'azérole, l'abricot, la pastèque, la salse-pareille. Par la Provence, l'orange, le limon, le fustent (pistache).

Mais ce que les Arabes ont transmis au monde, poursuit M. Pierre Guiraud, ce sont surtout des plantes médicinales comme le séné, ou tinctoriales comme le sumac et le kermès.

Nombre de ces végétaux, considérés aujourd'hui comme de simples plantes potagères ou ornementales, sont à l'origine importées par les médecins,

assurance and tactfulness" (1). Meridine art will flourish in the Berber region and in the East, by its great prestige and its incomparable wealth. This was a Spanish-Magrabian work where the same features marked the monuments on both banks of the Mediterranean. This artistic harmony is due to the presence of Andalusian architecture, the influence of which was being felt everywhere (2).

Though owing so much to Oriental art, Meridine art "exported its models to the East and its works were appreciated there." But, due to its very maturity, this art bears within itself the germs of its death, the causes of its decline. As from the end of the XIVth century, it had however exhausted its strength. The troubles which marked the next century no longer enabled the creation of great works.

Analyzing the aspects of the Magrab civilisation under the Merinides, H. Terrasse (2) shows the Spanish and urban character of this civilisation where, after the end of the XIIIth century, the classical patterns become fixed and end up by being petrified.

Notwithstanding the patronage of the best Saadian rules, the latter—according to H. Terrasse—did not preside over the Renaissance of Moslem art in Morocco. Civilisation and art were already turned towards the past, and the few foreign influences they received were not able to really change the old basis, nor carry the germ of a fruitful novelty."

According to Terrasse, this would therefore be "an art without vigour, haunted by the models of the past." But thanks to the Turks, "an indirect and transitory contact was newly estab-

blished with the arts of Eastern Islam." The traces of this influence may be seen in the monumental decoration, where certain Egyptian-Syrian and Persian elements are to be found, especially in some industrial arts, particularly in binding, carpets and male clothes."

But in any case, Magrab art, exhausted by the previous generations, became, overburdened with ornaments, lost its sober nature and gained in splendour.

H. Terrasse has tried to present the synthesis of Spanish-Moorish art, under the Alaouites, four centuries after the fall of Granada. According to him, the patterns of architecture solidified.

But if, under the Alaouites, this art continues to sink into traditionalism where the classical themes are petrified, on the other hand, a certain movement, since Morocco's independence in 1956, appears to move in the direction of choices where the Arab character is strongly marked by a Western-Mediterranean hue. A strong vitality reveals in our artists a creative genius, a true talent for eclectic reproduction, a sort of artistic synthesis, which represents the surest catalysing element for the birth of a New Art, where the pragmatic features merge with modern static ones.

This appropriate restoration, shall give birth to the originality which must mark modern Magrabian art, fully Mediterranean in its nature.

Welfare which must spread in a fairly homogeneous setting, will thus draw inspiration from aesthetics, in view of a better life. The meaning of beauty and the need for comfort must preside over the renewal of the Moroccan society of tomorrow.

(1) *Histoire de l'Afrique du Nord*, p. 456.

(2) *Histoire du Maroc*, vol. 2, p. 76 and following.

undertook the drafting of his famous "Nozhat", which he must have completed before 1154, the year of the death of the patron king. This work of art, according to Amari, holds "the first place among the geographical works of the Middle Ages" (*Histoire des Musulmans de Sicile*). An abridged Latin version was published by Jaubert, in Paris, in 1619 but a translation of the complete work will be published two centuries later (1836-1840) under the auspices of the Geographical Society of Paris.

Idrisi built, under the form of dices, together with this work, a celestial sphere and a representation of the world known during his times. The higher precision of Idrisi over Ptolemy is obvious; just to give one example, the tables drafted by the Greek geographer presented, for the distance separating Tangiers from Alexandria only an error of 18° longitude whereas between Tanger and Tripoli of Syria, the Arab tables contain an error of less than 1°. The Moroccan geographer has pointed out a whole series of errors and wrong interpretations made by his predecessor, on the geography of the Mediterranean. It is he, and not directly Ptolemy, who was "the European professor of geography", as E.F. Gautier will have no map of the World other than Idrisi's" (*Mœurs et Coutumes des Musulmans*, p. 239). During modern times, the Magrab explorer "enjoyed as a geographer according to Dozy and Goeje, a considerable reputation in Asia, Africa and Spain." Reinaud which had severely judged Idrisi's work of art, was forced however to acknowledge that "taken as a whole, it is like Strabon's, a true monument erected to geography."

Idrisi's work is original: in Moroccan cartography, the outline of the harbours stand out for the first time, in our geographer's work, and "a whole precise nomenclature appears—says Massignon—the straight banks of the rivers and on the curved edges of the mountain chains."

As for Ibn Battouta, he was born in 1304 A.D., in the nearby city of Tangiers. Soon after the age of 20, he undertook a series of adventurous voyages, through the least explored countries. At Fez, the last stage of his journey, the traveller from Tangiers had the long account of his travels, which had lasted 28 years for a total of 75,000 miles, drafted (like Marco Polo) by a secretary of the Merinide sultan, Ibn Jozey, especially entrusted with this task. This famous account was published, towards the middle of the last century, thanks to Defremery and Sanguineti; in 1929, Gibb published an abridged version in English, in his *Broadway Travellers*

collection, to which he added a remarkable study on the author.

Hassan Ibn Mohammed Al Ouzzan known as Leo the African, was born probably in Granada towards 1495, but was brought up in Fez, where he spent the best years of his youth. At the age of 21, he undertook a journey towards the East, but was made a prisoner in Naples, in 1519, by Sicilian corsairs. It was Ramision who, in 1550, published the "Description dell'Africa" which Leo seems to have drafted, directly, in Italian, and which is divided into IX books, the first of which contains remarks of general geography, ethnology, and clinical indications. This treatise represented, according to Massignon, a true "practical textbook of the geography of North Africa" (*Le Maroc dans les premières années du XV^e au XVI^e siècle*, p. 43). All matters not related to precise indications and practical applications "found him indifferent and sceptical." The description is "the only methodical and original treatise which was published in the XVIth century, in Europe, on Morocco's geography and which, for three centuries, will be practically the only source."

From this brief illustration it appears that the Arab, Oriental and Magrab work had played a decisive role in the development of the geographical science and of the cartography of the World, during the Middle Ages.

In our work in French entitled "L'art maghrébien", we have spoken at length of the essential and most representative aspects of art, especially under the Merinides, during the XVIth century, an art which at that time was syncretized in a strictly Mediterranean, Spanish-Moorish art?

Notwithstanding the Andalusian influence, this art was enhanced by a particular hue; the concern for static and balanced forces which characterizes Christian architecture, is replaced, in Moslem architecture, not only by the solid nature of the structure, but also by the ornamental sense and the decorative flourishing. The Arabs draw the admiration of the West for their cantilevers, their stalactites, their colour scheme, the often majestic aspect of their forms, their incomparable style. In architecture, during full maturity, notwithstanding the excessive use of arabesques, the excess of decorations, the disorderly nature of details and the poor quality of materials, "the whole remains clear, the proportions are balanced, the decorations perfectly match the spaces which they cover; and especially, the polychrome effect is perfectly in its

authority, enabled the so-called Moroccan corsairs to enjoy "for two centuries, a legal and nearly official existence" (De Castries).

The Africans, in general, had no calling for piracy. It is possible "to say—writes De Castries—that the pirates of Tripoli, Tunis, Algiers and Salé, just to mention their main cities, were not generally recruited from among the local Magrab population, and we add: and neither from among the Turks, because those to whom this name was given were mostly renegades or descendants of renegades." The number of Christians having betrayed their faith and settled either in Turkey or in the Magrab "exceeds all possible guesses."

These "diplomatic irregularities"—as De Castries likes to call them—which prolonged, in opposition to the Fez authorities, the lively existence of these outlaw renegades, the impunity of whom was knowingly sought for by some overseas governments, were to be the cause and the justification of foreign intervention.

The influence of Arabic was becoming, during the Middle Ages, all the more pronounced that a greater part of Southern Europe considered it "as the only medium of the sciences and letters." The progress was such that the Church authorities had been obliged to have the collection of canons translated into Arabic for the benefit of the churches of Spain. John of Seville was even obliged to draft an illustration of the Holy Scriptures into Arabic. At the same time, books on Moslem religion and law were translated into the Roman language" (G. Rivoire). In Andalusia, all contracts were drafted in Arabic; two thousand texts of these contracts have been discovered." The Andalusian aesthetes were the first to declare that they would willingly give up all the poverty of Latin literature, in exchange for a few Arab verse" (Max Vintejoux). Similarly in Sicily, where the Norman king was clothed in the Eastern manner, his state cloak was embroidered with Arabic letters; the seal and coins carried bilingual inscriptions. In short, "Arabic had become—said he who had the merit of studying this "Arab Miracle"—an international language of trade and sciences".

As early as 1207 A.D., mention is made of an Institute for the teaching of Arabic in Genoa. Later, the Ecumenical Council of Vienna organized this teaching in Europe, by setting up chairs in each of the main universities of the Western world. But it is especially during the

XVIIth Century that Northern and Eastern Europe finally undertook the study and propagation of the Arabic language; it is only in 1936 that the Swedish government decrees the teaching of Arabic; since then, in Sweden, the publishing of works on Islam was actively prompted. The study of oriental languages, and among them of Arabic, began in Russia under Peter the Great, who sent out five Russian students from Moscow to the East. In 1769, Queen Catherine made this teaching compulsory; in 1816, a department of Semitic languages was set up at the University of St. Petersburg.

Professor Massignons declared, for the benefit of those who attempt to minimize the significance of the medium of Arab thought, that "it is in Arabic, and through the Arabic language, that the scientific method began in Western civilisation."

"Arabic, he further states, is a pure and unbiased linguistic instrument of international transmission of discoveries of the human mind... The international survival of the Arabic language is an essential element of future peace among nations."

Arabic "presents the advantage, says Montagne, of being the medium of a universal civilisation, and of lending itself to the expression of a religious and political thought (Les Berbères et le Makhzen, R. Montagne, p. 52).

As for the Magrab's contribution to the development of science, our work on the history medecine and pharmacopoeia in Morocco depicts in a realistic presentation, the process of scientific research. Just to mention studies in the field of geography, it may be mentioned that Western explorers of modern times have found valuable documents available for them, not only on Asia, Africa and Eastern and Central Europe, but also on the West, to which Kazouini devoted, in the XIth century, a whole work. But the Arab works on the unknown regions of Africa and of the Indian Ocean were those that especially inspired Western geography.

Idrisi, who was born in Ceuta in 1100 A.D., belonged to that Arab dynasty which had Islamized the Magrab and molded, very early, its national unity. His daring expeditions across Andalusia, North Africa, Asia Minor, and probably France, Italy, Germany and England, were not long in drawing on him the attention of Roger II, who had turned his small kingdom of Sicily into one of the islands of Eastern civilisation. At the request of the Norman king, Idrisi

she had numerous vessels, always occupied at practicing piracy along the Spanish coasts. Her dealings with Don Alfonso, governor of Ceuta, have remained famous (*Hespéris XLIII*, p. 222).

The same exuberant activity is to be found for the Saadian women, both in the intellectual field and in the political and social ones.

Under the Alaouites, the feminist movement was inaugurated by Khnatha, wife of Moulay Ismail, who had become "a scholarly woman" (p. 105); a counsellor very much listened to by her husband and later by her son, the prince Moulay Abdallah, she promulgated herself some cahirs and administrative regulations.

Quoting a woman from Fez, El Aliya, daughter of Taïb Ben Kirane, gave lessons in logic at the Andalusian mosque, Moulieras writes: "An Arab woman professor of logics! What do our geographers and sociologists, think of that, they who have repeated, in the most dismal tones of voice, that Morocco is buried deep in the darkness of an undescribable barbarism, in the Ocean of an incurable ignorance? An intelligent Moroccan woman soars in the high regions of science." (*Le Maroc Inconnu*, vol. 2, p. 742).

Unfortunately, the reactionary social movement was progressively taking the upper hand as the Moslem empire became politically disintegrated. It is curious to observe that this new paralysis coincides with the birth of Western colonialism. Without going to the point of giving imperialism the responsibility of this state of affairs, we are at least able to state that the underhand intrigues, if not the actions of open hostility of Europe, finished by causing a political emancipation of the Arab world, the emancipation of women speeds up in a vast movement of social rebirth. A virile feminism develops, as a reminiscence of a glorious past, the evolution of which was distorted by the aberrant interpretations of the Islamic spirit. The Moslem women will be able to profit from the benefits of Western modernism, in harmony with the imperative rules of its own civilisation.

As for the mission of the Magrab fleet in the Mediterranean, the Almohade squadrons were masters of the seas—because their fleet was the first in the Mediterranean, according to André Julien—and the danger of European corsairs was only a relative one. The Almohade Sultans even supported an army, with the special task of repressing the privateering of both the Christians and the Arabs. But later, the

superiority of the Western navy gave "a certain advantage to the Christian sailors and corsairs, the roles and actions of which were often mixed up together."

The foreign policy of Abdel-Moumen imposed, as an imperative rule, the obligation to punish, everywhere, the corsairs who attacked the Christian navies. The Almohades who well understood the necessity of international traffic (of which the Moslems had inculcated upon the Christians some of the principles, according to the evidence of M. André Julien), made it an absolute point of guaranteeing everywhere and always, the freedom and security of the seas, in the very interest of their foreign trade.

The inhabitants of the Moroccan coast sheltered the wretched Andalusian pirates, but this fact, of little importance in itself, was justified at the time by the Iberian ventures against the Magrab; the least one might have expected from the Moroccans, under these circumstances, was to remain passive—a fact that was later to be considered as a tacit encouragement with regard to the Moriscos in their legitimate reaction against the Christian navy. It might be answered that, if at a stretch, the privateering against the Iberian squadrons was justified, relatively at least, for particular reason, it was unacceptable with regard to all Christians, as such. But in order to better judge the matter, the general state of mind reigning at that time should be remembered, especially in the Christian field. This mentality was eloquently described by Father Dan, who stated that the privateering expeditions made by the Christians should not be considered as blameworthy when made against the enemies of the faith." Christian piracy thus took on the aspect of a true crusade against Islam. However, the Magrab people were not able to affectively participate in these retaliation struggles, concerned as they were, in their direct action, by the enclaves created by the Portuguese and the Spaniards on the coast of the Empire.

At that time, piracy fitted into the maritime war of those times as an essential phase; the corsairs kept on alert the Spanish conquerors who occupied a greater part of the Berber coast.

Nevertheless, the misdeeds of these pirates, somewhat legitimized in the past by a rather complex retaliation pattern became, with time, a source of trouble for Morocco. Our rulers could do nothing about it, the fault being on the European side, and Europe, defying Moroccan

has done so... All the ancient legislators have shown the same hardness for women" (*Ibid*, p. 430).

"The chivalrous spirit of the Arabs, their respect for women are very well known; the Wali of Cordova having, in 1139—writes Gustave Le Bon—besieged Toledo, at that time belonging to the Christians, the queen Berengaria, who was shut in the city, sent him a herald to point out to him that it was not worthy of a brave, gallant and generous knight to attack a woman. The Arab general immediately withdrew, asking as an only favour that of saluting the queen" (*La Civilisation des Arabes*, p. 286).

The doctrine of Mohammed was not long in falling into a serious stagnation, under the effect of the fallacious interpretations of some dogmatic minds, which were stupidly formalistic. Islam gradually slipped into a dangerous paralysis. Enlightened minds had not then hesitated, to react strongly as early as the XVth century; a women's movement started growing in the Moslem world, which reacted against the backward puritan party, the action of which aimed at the most severe cloistering of the Arab women.

Appeals for reform, coming from all corners of the Empire, called for the return to the social liberalism promoted by Islam, the true principles of which were beginning to blur. This energetic feminist movement bore its fruits.

Granada appears to have been the feminist literary city, in the highest sense of the expression. The flourishing of feminine genius, in the Arts and Letters was due to the great social freedom which the Granada women enjoyed, according to Prescott (*Ferdinand et Isabelle*, p. 192).

As for the Moroccan woman, she played, for her part, one of the most important roles in the social, literary, economic, military and political life of Morocco, after the manner of her Eastern and Andalusian sisters.

Speaking of the Moroccan woman, Moulieras writes in 1895: "The Moslem woman is still the queen of her home, as at the time of the Abbasides and of the pre-Islamic Arabs" (*Le Maroc Inconnu*, p. 736).

Princess Hosnâ was the political counsellor of her husband Moulay Idriss, king of Morocco. The names of other women counsellors of the Idrisside princes are mentioned. Similarly Zaineb, wife of the first Almoravide Youssef Ben Tachfine, famous for her beauty and the depth of her political and administrative views, as well as Tamine, daughter of Tachfine and Kamar,

wife of the prince Ali Ben Youseff, were the basis of the feminine liberalism which will be one of the justifications of the puritan campaign carried out by the first Almohade against the Almoravide regime. One of the aspects of this early emancipation of the city women was the putting out of use of the veil, a reminiscence of the Saharan customs of the ruling dynasty. At that same time, Hawwa El Mammoufia gave political lectures, and her sister Zaineb recited by heart collections of poems. Other women attempted timidly to promote a feminism inspired by the stimulating impulse of the Andalusian woman. Vanouh, daughter of Bountian, is one of the most brilliant figures of the Almoravide period. Still a virgin she defended alone, with the sword, the royal palace of Marrakesh for half a day, and finally fell under the blows of the Almohades, who seized the capital by over lectures at Ceuta, and Khairouana, the "scholar" of Fez.

Under the Almohades, Oum Hani, daughter of the Cadi Ibn Atia, gave courses, drafted works in various branches of the religious sciences. She is the mother of Abou Jafar, physician of Al Mansour. Zaineb, daughter of Youssef the Almohade, gave the good example by attending lectures, organized by Mohammed Ibn Brahim on the sources of the Law. Hafsa Errakounia, one of the famous poets of her time, was the preceptress of the al Mansour's Harem; Oum Mar, daughter of Avenzoer, was his physician as well as her daughter Bint Abi Al Alâ. There were other figures who were no less brilliant, such as Warqâ, the poetess of Fez, Amat Al Aziz, poetess of Ceuta, Oum al Alâ, who came from Fez and who directed a school in Granada, the famous traditionalist Mariem, daughter of Al Chafiqi, who presided over lectures at Ceutâ, and Khairouana, the "scholar" of Fez.

Under the Merinides, there were three brilliant women of law: Fatima and her sister, daughters of Mohammed El Abdousi, as well as Oum el Banine, grand mother of Zarrouk; Sârra El Haflâbia of Fez is a poetess of great literary culture.

Under the Watasside, Lalla Aïcha, known as Al Horra, received in her childhood a very careful education, and must have spoken Castilian fluently; she married her father's ally against the Portuguese, Ali Al Mandri, the restorer of Tetouan, where she found the learned and refined literary milieu of Andalusia to which she was used. She was initiated to the intrigues of politics, governed the city, exerting a sovereign authority there; the struggle against the invader was her main concern; to this effect,

creating detached university buildings for receiving the students flocking in from the nearby tribes and even from abroad.

Up country, there was no lack of education centres. Even in the South, 200 medersas were flourishing.

Speaking of the up country people, Moïse Nahon states in his "Propos d'un vieux Marocain": "Many among them read and write, all honour the learned. They use their language with a correction, a fluency, unknown elsewhere among peasants; they possess a true grammatical genius. They grasp on the spot all legal subtleties and abstractions do not discourage them... They are—within their environment—better equipped to face real life than many people with diplomas where we live" (p. 11).

"It is comforting, he writes elsewhere, to see such rough peasants distinguishing a strictly moral superiority, bowing before an honest man, without ever stopping to look at the colour of the skin or the humbleness of origins. I must admit that, on this occasion, I cannot fail to think of the lynching of Yellow and Black people, beyond the Atlantic" (p. 47).

Under the first Almohade, there was a sort of school "of Moroccan Administration" the student body of which already reached the figure of 3,000, which gave the State its top cadres.

Alongside the traditional sciences, courses of riding, shooting, swimming and rowing were offered.

For a long time, Fez remained the most active intellectual centre of the Magrib. It was this city that inherited the radiance of Kairouan and the great Andalusian cities. Its famous university, one of the oldest in the World, made it one of the capitals of the mind, where North-African, Soudanese, Lybian and even European students gathered. We will only mention the case of the future pope Sylvester II, who after having learnt—it is said—the Arab numbers at Kairouan, introduced them, for the first time, in Europe. Al-Olamaa trained at the University of Fez enjoyed a great reputation in the Moslem world. In Merinide Morocco, the learned of the law were numberless. Abou Hassan, in his expedition to Ifriqya, took 400 Olamaa with him, the enormous erudition of which dazzled Ibn Khaldoun and attracted him to Fez.

As a matter of fact, the Magrib has always been a nursery for men of law. Pline indicated this already in ancient times. The Jewish Academy of Fez played a considerable role in the crystallization of the Thalmudic law.

Everywhere in the Islamic world the Magrib men of letters and of law left their mark: the Berber Ibn Kazzaz, an expert in Arabic philology, excelled over the famous oriental philologists such as Said of Bagdad; Roudani of Marrakesh was able to see his works of physics and Law reach India, after having given rise to the admiration of the Middle East, for the wealth of their documentation; El Harrali dazzled the intellectual milieux of Tunis by his encyclopaedic erudition; El Maqqari held breathless thousands of listeners who gathered around his chair in the Mosque of Damascus.

Thus the influence of the Magrib civilisation went beyond Andalusia and the North African countries, reaching the Eastern sector of the Mediterranean area up to Damascus, passing by Cairo. The Magrib was thus a point of contact between two worlds. "It was through it, writes André Julien, that the theory of music, of intervals and modes penetrated from the East where it was formed, into Spain where it remained practically intact". A Fassi, Mohammed Ben Abdelkrim, in the XVIIIth century, caused a happy revolution in sculptural Egyptian art, whose works of art are still kept in Cairo Museum. Magrib architecture also represents, according to Gsell, "a work of art of harmonious discipline."

The Arab woman was able to make good use of the liberal spirit of the Moslem legislator. As from the first decades of the Hegira period, she was able to assert herself, by her broad and effective participation beside men, in the cultural and social life of the Moslem community. Aicha, daughter of the 1st Caliph and wife of the prophet, must have been brought up according to the new principles and embody the ideal of women: at less than 20 years her profound learning made her one of the most brilliant figures of her times: the great companions of the Prophet came to consult her on legal, historical, literary and even medical matters. From then on, the cultural field of action, of women broadened in a increasing manner.

"The legal situation of the married women, says Le Bon, as it is regulated by the Koran and its commentators, is much more favourable than that of the European women" (G. Le Bon, p. 436).

It is from the Arabs "...that the inhabitants of Europe borrowed, together with the laws of chivalry, the gallant respect of women which these laws imposed" (G. Le Bon, p. 428). "Islamism has raised the condition of women, and we can add that it is the first religion which

The activity undertaken in the old Magrab in order to protect hygiene and public health, far from being ideal, was nevertheless not negligible for that period. A Maristan (hospital) was founded for the first time at Marrakesh, under the Almohades.

Speaking of this hospital, Abdelwahid El Merrakchi says that Youssef "began by choosing a vast area in the flat part of the city... He had all sorts of trees planted, for beauty and for fruit. Water was brought there in abundance and around all the rooms, without detriment to the four basins situated in the centre of the building, the most important of which was in marble... A daily income of thirty dinars was allotted for food in the strictest sense of the term, quite aside from remedies, drugs, ointments and eye-washes. Day and night, summer and winter clothing was provided for the patients. After recovery, the poor received, when leaving the hospital, a sum of money for living expenses until the time they were able to support themselves... Any foreigner falling ill in Marrakesh was taken there and cared for until his recovery. Every Friday the prince, after the prayer, went on horseback to visit the sick and inquire after everyone's health..." (Les Almohades, p. 130).

"Not only did this Hospital (writes Millet in 1925) leave far behind it the leper-houses and the principal hospitals of our Christian Europe, but it would still put to shame today the sad hospitals of the city of Paris" (Ibid., pp. 129-130).

At Fez, a hospital treated neurasthenic patients, trying to act on the patients nerves with Andalusian music.

Since the XIth century, the Magrab has known generations of physicians, some of which had a universal reputation. Ibn Tofeil and Ibn Roshd were to successively play the role of official physicians of the Almohade Court. Averroes was the first, long before William Harvey, to analyze, in his "Kolliat", the mechanism of blood circulation in man. The Beni Zohr family had several practitioners, both among the women and among the men.

It is true that medecine was still in its empirical stage. "It should however be noted—as J. Bensimhon points out (Maroc Médical, September 1951)—that in numerous cases, this elementary and fully empirical medecine applied treatments the effectiveness of which has since been unquestionably recognized.

At all times, the Magrab physicians have tried to record the results of their experiences, in works which have remained famous. Some specimens are still kept in private libraries in Morocco and elsewhere.

But during the past centuries, the medical art degenerated to such a point that the maristans were only to play the role of mere shelters where patients were left to their sad fate. Occult sciences and cabalism have generally ended by distorting the laws of medecine, which recedes several centuries into the past. It was rare to find doctors filled with a true scientific spirit.

In the cultural field, the joint efforts of Nation and State, since the time of the Idrissides, aimed at multiplying everywhere schools offering elementary education. For secondary and higher education, the Mosques served as classroom and conference halls. Chapels, of which there were hundreds in the large towns (785 in Fez, 3,000 in Cordova, according to Dozy) were as many university institutes, which lent themselves extremely well to traditional education. Courses were then held at all time of the day by voluntary professors, the mission of teaching being considered as a religious obligation which each doctor of the law had to fulfill personally. At that time, the student only had the embarrassment of the choice. The Karaouyne as just one mosque-school was among hundreds spread out up to the most isolated centres of the country.

"The first school in the World" (Delphin, Fez, son Université, 1889).

These mosques were generally endowed with a library which was more or less important. A decade ago, in a chapel in Fez (under the vault of tombs), a large piece of furniture with shelves has been discovered in very good conditions, under a sculptured lintel, which contained two boxes of books and bundles of ancient documents.

"The Emir's library (Abou Yacoub, the Almohade) enriched itself with the spoils of the previous period, to the point of equaling, it is said, that of the Omayad Sultan Hakem II" (Millet, les Almohades, p. 101).

With time, the flow of students to the great cities raised a new problem for them; that of housing.

It was then that the Merinides actively undertook the task, as from the XIVth century, of

an efficient and permanent manner, the varied needs of the various social strata.

The distribution of daily soup to the people, of weekly foodstuffs, of special monthly rations in exceptional circumstances, there were the normal modes of assistance.

Hospitality centres, disseminated throughout the country, gave shelter to tramps and travellers passing through; from the times of the Merinides, the Sultans had never ceased to increase the number of public shelters and inns, reaching the furthest corners of the countryside. Also thanks to private hospitality, of which the Moroccans made, and still make, a point of honour, no one not even foreigners, could ever feel in any difficulty.

The chapels and mosques (of the Rif) says Moulieras in 1895 "serve as hostels for foreigners and students who receive hospitality there which is both free of charge and pleasant" (Moulieras, T. I, p. 56). Hospitality, given in each mosque, is considered as a sacred duty by all the inhabitants of Morocco (p. 62).

"It should be seen with concern, with what scrupulous loyalty, the Moroccans capitalist acquires himself of legal alms, that is to say the tithe on his income which he distributes himself to the poor, without State intervention, his conscience and God being his only Judges. With his continuous generosity, with this compulsory charity, towards all paupers, with this hospitality granted to all foreigners, the charity institutions, the health clinics of our Modern World have no other reason of existing than that of the relentless class struggles which seriously threaten our old Europe (Moulieras, T. II, p. 195).

Besides its role as an executive and regulating agent, the State undertook an important welfare role, granting the poor regular pensions, the students and professors, stipends which were often periodical, at times monthly. But State intervention was mainly represented by collective subsidies during periods of drought, famine and epidemics, or in other exceptional circumstances.

This feeling of solidarity in the Magrab people strengthened by the absence of characterized social casts, goes together with a rare humanitarian sense.

The Moroccan slaves are in no way interested by freedom which they have no use for. Well lodged, well fed, well treated by their masters, they end up by considering themselves as part of the family they serve. Their eman-

cipation thus becomes a source of trouble for them, of real danger (Moulieras, T. II, p. 63-64).

The charity institutions were even concerned with animals and birds; efforts were made to accumulate sizeable funds for their support. Disabled animals were the object of special care. There still exists, among the "habous" possessions at Marrakesh, a shop the rent of which was regularly devoted to this form of charity. One still remembers, in Fez, the famous hill called "Kodiat El Baratil" where compact swarms of birds of all kinds had taken the habit of coming to pick up grains, scattered to the four winds for that purpose.

"...Never does one see an Arab, says Gustave Le Bon, illtreating an animal, as is generally the rule with our European carters and coachmen. A society for the protection of animals would be perfectly useless among them. The East is the true paradise of animals." (Ibid, p. 376).

The Moroccan dynasties were not content to found or give their patronage to welfare institutions in the Magrab. Their social action was felt in other countries, where they have never ceased to create new "habous" in order to satisfy the requirements of the needy.

Together with this social security system, the State tried to offer a citizen jurisdictional warranties, by the rigorous choice of honest judges and the firm control exerted on the magistrature. The Sultan Moulay Ismail ordered a massive dismissal of all the cadis of the countryside, who were considered unsuitable.

Speaking of the Almohade Yacoub El Mansour, Millet, states that this ruler "addresses a circular letter to the cadis to remind them of the rules which must preside over the observance of justice, and he announces the intention of punishing the dishonest caid." (Les Almohades, p. 112). Moslem law is ideal.

The Moslems are convinced of the universal influence of Muslem law, adaptable to all circumstances and to all periods, as attested by the resolution unanimously adopted during the final session of the International congress of comparative law, on 7th July 1951: "...It has clearly appeared that the principles of Moslems law have an unquestionable value, and that the truth of the schools within this great juridical system implies a wealth of remarkable legal ideas and techniques enabling this Law to satisfy all the adjustment requirements made necessary by modern life."

Before the wave of xenophobia caused by the Christian invasions on the Moroccan coasts, invasions of which a sizeable number bear the character of true crusades, most of the Magrab authors respectfully speak of "the people of the Book." Quoting Idrisi, the famous Moroccan geographer, Quatremere notes that "in the whole course of his work, he shows with respect to Christianity and the Christians the rarest impartiality, and this at a time when the conquest of the Crusades in Palestine and those of the Castilians in Spain, has exasperated the Moslems to the highest degree."

The Jews expelled from Andalusia by the Christian kings became the object of kindly hospitality everywhere in the Magrab up to Deb-dou, which received a good number of them with open arms.

The greater part of the Moroccan Jews descend from the Jews exiled from Europe in the Middle Ages: England (in 1290), France (in 1395), Spain (in 1492). Godard—*Histoire du Maroc*, p. 15 (see also: *L'Etude sur l'hygiène et la Médecine au Maroc* by (Raynaud)—adds Italy (1242), the Netherlands (1350) and Portugal (1476), p.

Moulay Ismail, presented by some as a brutal and blood-thirsty man, is defined by some Christian Chronicles as "the greatest protector of the Franciscans, because he gave them privileges which no Christian nation would have dared to demand for them." The Alaouite Sultan promulgated two "dahirs" (dated 20th December, 1711 and July 1714) in which the death penalty was formally decreed against all those who "undertook to molest the Christians or to insult them."

The Jews were the Sultan's subjects and, as such, were subject to the general regime; however, on 5th February, 1884, the Sultan Sidi Mohammed Ben Abderrahman promulgated a "dahir" officially consecrating the assimilation of the Israelites to the Moslems, the ones and the others being placed on an absolutely equal footing.

Thus, throughout one thousand years, Christians and Jews were able to enjoy, side by side with the Moslems, a peaceful and quiet life which rare upheavals upset superficially at times. But these periodical crises fitted into the general framework of social life, and were in no way tinted with racial or confessional rancour.

SOCIAL ASPECTS OF OUR CIVILIZATION

The old Moroccan authors of Annals and Chronicles were rarely interested in the cultural branch of Magrab history, and even less in its purely social part. Only the political or economic aspects were to retain their attention. History is thus fatally limited, in their writings, to a battle-history encrusted at times by digressions of a literary or social nature. It is therefore not easy, due to lack of precise documents and solid information, to draw a general and clear picture of the general lines which must have characterized the social and cultural fields of the Magrab civilization. We will nevertheless attempt a more or less complete synthesis, moving from the few elements which are to be gleaned here and there in the thick mass compiled by our authors.

It is especially, by a living illustration that we believe it useful to proceed, because this is a method where we have the most chance of remaining objective, while giving the audience the opportunity of appreciating and judging the mode and level of life in the Old Magrab, the mechanism of social insurance, the means of security which the Moroccan citizen enjoyed with regard to the subversive and unhealthy elements which generally caused the uprising of the lowest strata of Medieval society. This society suffered a thousand ills, which worsened its classical calamities: hunger, sickness, ignorance and arbitrariness. Morocco at times represented one of the rare islands in the civilized world enjoying a comparative healthiness and a more or less stable social balance. The State rarely had to intervene: the wheels of society meshed curiously well under the effect of spiritual factors, the reflections of which, now tarnished, still mark Moroccan social life.

The description which Idrisi offers of the Magrab in the 7th century gives an impression of general prosperity. The geographers of the Medieval period have not failed to praise this rich country where people lived in peace and dignity. H. Terrasse was forced to recognize this.

It was mainly independent institutions, operating under the form of "habou" foundations, which actually took care of assisting the non-favored inhabitants of the nation. A whole range of needy people benefited from this aid, going from paupers, widows and orphans, to the blind and the sick. Private initiative was ingenious in undertaking all possible ways of meeting, in

and solidarity between nations found its expression in the sincere impulse which brought them to the rescue of a State in distress. Morocco knew how to pass the sponge over past rancours, when its enemy was going through a crisis and already, right in the XIth century, there was a development of "confidential political relations between princes who were opposed to each other with regard to their religious beliefs".

Thus, the Magrab could not imagine international solidarity of a purely confessional nature. Religious considerations do not appear to have dictated to the Moroccan rulers their international policy in the major Mediterranean conflicts. The fact is that the geographical nearness of the Magrab to the West, their historical mixing, without undermining our strong affinity with the East, represent a vital aspect of our vocation. The essential feature of this integral part of the free world which Morocco represents, is that of forming a point of contact with the most neuralgic area of Mediterranean and Atlantic Europe, a bridge between the Arab and Western worlds.

Our Mediterranean vocation has on the other hand been emphasized by these exchanges between the Magreb and the West; exchanges which we would never have ceased to carry on for our mutual benefit if there had not been "the colonial accident" which, with its expansionist movement, has to disrupt the transcendental course of our history. Both sovereign, independent from each other, treating on an equal footing, the West and the Magrab could not fail, with the strengthening of the notion of interdependence to enhance their reconciliation and achieve, through free ties, a harmonious and long-lasting equation. Interdependence cannot have an adequate basis if not within the framework of a peaceful and sovereign cooperation; because cooperation is only fruitful to the extent that the parties, enjoying their full and whole liberty, and feeling all freedom of action, are open to compromise. Mutual respect and the acknowledgement of the legitimate rights and aspirations of the people certainly represent the best basis on which to establish and develop interdependence.

By recovering the fullness of its sovereignty, Morocco reappears in its true light; it once again becomes what it has always been, before having suffered the intrigues of the colonial period, that is to say the sincere ally of the West, to which it is linked by those imponderable elements which are the outcome and the reflection of a long life in common.

THE SPIRIT OF TOLERANCE IN THE MOSLEM MAGRAB

Islam, with its simple dogma, accessible to all, without a hierarchy, without formalism, was able to conquer a greater part of Humanity, in the record period of a few decades. History has rarely given the impression of such a clear spontaneity in the peaceful conquest of hearts. "Never has the Arab, acknowledges E.F. Gautier, in all the fervour of his new faith, dreamt of eradicating by bloodshed a competing faith"; this is because "tolerance is related, he specifies further, to the deepest concepts and instincts of the Old East" (*Mœurs et Coutumes des Musulmans*, pp. 207-214).

If the Moslem preached Islam, he has always abstained from exerting pressures on the hearts of the unbelievers. When the Islamic World was at the peak of its power and expansion, Christian and Jewish communities enjoyed within it a happy and peaceful life.

The Islamic conquests aimed neither at exploiting the conquered lands nor at implanting the Arabic element, through massive immigration. For the whole of North Africa, the number of Arabs never exceeded 110,000 up to the IXth century, most of them residing in Tunisia.

The learned scholars of Moslem Law have always been impermeable to the idea of "Islam, the only State religion." When, in the Middle Ages, the Ottoman Sultan Sellim wished to apply the principle of a Moslem empire, the "Cheik El Islam" of the time was categorically opposed to the idea, underlining the respect recognized by Islam for freedom of conscience.

In the Magrab, the Jews have lived side by side with the Moslems since the VIIth century. They were admitted very early within the walls of Fez, which was nevertheless a holy city. Already around the year one thousand, the Jewish colony of the Idrisside capital numbered 5,000 members who freely celebrated their creed, in synagogues built right in the medina. On the other hand, one of the quarters of Fez, called the "quarter of the Church", seems to have grouped the Christian inhabitants of the City.

In 1492, when the Castilian persecutors were venting their wrath against the Jews and Moslems in Andalusia, the preacher Al Maghili one of the cadis of the Empire, was exiled from Fez, for having undertaken an antisemitic campaign.

dated regimes, solemnly condemned by universal conscience.

Morocco has often given proof of an acute international sense. From the Xith century, it gave free access to foreign tradesmen who did not delay in setting up trade establishments. It is then that, for the first time, the problem arises of how to protect the legitimately acquired interests of foreign nationals. Our sovereigns made no difficulty for the acknowledgement of these interests; better still, they treated these foreigners with extreme solicitude: the royal decrees characterized by a fatherly benevolence granted them a broad freedom of action and gave them solid guarantees. The foreigners were placed, as well as their possessions, "under this high royal expressed—as Latrie said—by the word protection for the Christians and aman for the Arabs". The same author specifies that "the evil actions of the Moslems with respect to them were subject to the severeness of law".

The Magrab law acknowledged "individual responsibility and freed the compatriots of the delinquent from all collective responsibility". This was a principle of great practical significance and all the more precious since it was rarely respected and applied outside Morocco.

The Moroccan people, jealous of their freedom and sovereignty, knew how to respect the rights, the freedom and the dignity of others. Latrie points out that so long as the Europeans "avoided provoking the susceptibility of the Moslems, so long as they respected the spirit and the letter of the treaties accepted by their rulers, they found in the population and in the Magrab governments the most equitable respect and protection".

Ignoring any religious prejudice, Morocco, a Moslem country, has never ceased having constant and friendly relations with all countries, including the Vatican. Its rulers, in their diplomatic relations with the Christian world, drew their inspiration only from the principle of international justice, being only concerned with maintaining their sovereignty. Racial or confessional considerations were never taken into account, in the Magrab concept of foreign diplomacy and politics. It is sufficient to consult some archives kept in the European chancelleries, in order to be convinced of the high esteem which Morocco enjoyed within the Christian community. The letter of Gregory VII to Ennacer in 1776 is "the most precious monument of this time and the most curious sample of the easy and friendly correspondence

which existed between the popes and a few African sultans". Addressing himself to the Sultan, the Pope tells him in particular: "The nobles of the city of Rome having heard, through us, of the act which God inspired you, admire the loftiness of your heart and express their praise to you".

This sympathy "which perhaps no Roman pope had ever expressed so affectionately to a Moslem prince" emphasizes the intimate cordiality of the links between Christianity and Islam, of which the Almohades were then the renowned representatives.

On the other hand, Morocco was a land of refuge for the Christians oppressed by the great lords of feudal Europe. "European knights or princes, displeased with their suzerains, were able to abandon their fiefs and go to Africa to serve the Moslem kings" (Latrie) European armies, including knights and high lords, were in the pay of the Almohades and the Merinides, the Church itself, as well as the Christian governments, having permitted their recruitment in Europe. After the Crusades, Europe, while treating with the Sultans of Egypt and Syria, opens a new era with the Magrab emirs, of peaceful and commercial relations.

After the XIIth century, many were the European ships to call at Moroccan harbours and to leave them freely. Western chronicles noted already that, during this period one was far from the times when the Christian ships thought they were acting dangerously by risking a journey along the African coasts. Even in cases of aggression on the part of European ships, the Moroccan defenders showed no hatred at all in their reaction: they were content to settle matters equitably.

The protection for people and for the goods of merchants, whatever their nationality was, in the eyes of the Magrab people, so natural and so necessary for trade that it was granted to all foreigners "even when the treaties authorized the Arab government to refuse it."

These are a few isolated examples which illustrate the legal system regulating, for nearly one thousand years, the relations between the Europeans and the Arabs of North Africa; The whole set of principles and customs, to the definition of which the preponderant role of the Maqrab is obvious, has contributed to the formulation of some rules of contemporary international law.

These illustrations emphasize the international sense which had often inspired the Magrab rulers, whose high concept of mutual aid

tians of Sicily, at the summit of Norman civilization (Ibn Jobeir). Everything in Brazil was the image of our Medieval society, from the social behaviour of the ladies of society who adopted the habit of sitting cross-legged on carpets of Moroccan style, to the outside aspect of the countryside. Notwithstanding the climatic differences, the countryside borrowed, with Spain and Portugal, once again Christians as go-betweens, the agricultural mechanisms and techniques of the Magrab.

"Moorishness" enjoys, in America, a strong reputation. The verb "maurijar" is, in Portuguese, synonymous with acting; throughout America, the expression "working like a Moroccan" has become proverbial. In Portugal, it has not been overlooked that the inhabitant of the South, among which the descendants of the Moroccan conquerors are to be found, are imbued, more so than their fellow countrymen of the North, with an exceptional spirit of initiative and enterprise, together with a shrewdness, an endurance to work, a persistence in exerting efforts and a longevity comparable to that observed in the Moroccan Atlas.

We are even in a position to pretend, together with Western Authors, that if the Portuguese navy was able to cross the Atlantic and reach America, this was thanks to Arab methods of navigation which had become a science. Ibn Majdd, who has left famous works on the "navigation art" was the navigator of Vasco Da Gama (1469-1524), who discovered the route to India in 1498, through the Cape of Good Hope.

These are some features of this Atlantic vocation of the Magrab, which appears more real than ever in the present international situation.

CONTINUITY OF RELATIONS BETWEEN MAGRAB AND THE WEST

Interdependence, in its present scope and effects, may be considered as a modern concept. But seen from the standpoint of peoples' rights, it already appeared, though vaguely, as a form of altruism; the very essence of this concept, which is as old as the world in its principle and its ideal, resided in the common good will, vital source of the eternal and peaceful nature of relations between nations.

An agreement may always be reached so as to create a certain form of association between States, but this association will thrive only as a function of a certain state of mind to be created and developed among the part-

ners. This is why interdependence, in the first place, has a psychological basis which conditions the harmonization of the interests in play. Good faith and mutual respect of sovereignties are as many warrants for the formulation of a policy of reconciliation between people.

For us Moroccan, this sincere impulse towards the full international blossoming of our Being, was only lead astray by that series of foreign intrigues against our sovereignty, intrigues which ended up by numbing us into our isolation, at the end of the last century, anachronistically closed within ourselves.

Some think it possible to perceive in the Magrab soul, desirous of freedom, an inborn inclination towards fanaticism and xenophobia. Moving from a few isolated facts taken from the historical mass, or from a present situation poorly interpreted, they conclude that these feelings are inbred in the Arab mind; by objectively analyzing Magrab's history, it is necessary to observe that the accidental flourishing of these inclinations strangely coincide with the birth of colonialism. The feelings which since then were provoked in the minds of the Moroccans as a result of the aggressiveness of certain Powers, the underhand manœuvres against their independence and integrity, must have gone through "ups and downs", according to the attitude which, later on, was to be assumed by a Europe more or less inclined not to recognize the rights of the Magrab, as a sovereign entity. The pseudo-fanaticism which was presented as the natural expression of an intolerant and narrow mind was nothing but the reaction against the aggressor, and not against the foreigner.

Speaking of Morocco, De Foucauld said: "The conqueror is feared more than the Christian is hated" (Reconnaissance, p. XVI).

When the causes of mistrust disappear, the Magreban becomes once again what he has always been, a man who is highly sociable, imbued with spontaneous amability and with essentially kindly feelings. But since the end of last century, some circles had the offensive mania of stigmatizing any patriotic impulse shown by the Africans or the Asians, strongly accusing them of fanaticism each time they expressed the noble aspiration towards a free and sovereign life. Any national movement which had not the fortune of having roots in Europe, was systematically given the label of extremism, in the eyes of those who, defying the principles of international morals, as well as those of logics, insisted on preserving out-

BY ITS WESTERN VOCATION,
MAGRAB IS THE POINT OF CONTACT
BETWEEN TWO WORLDS

Morocco is the only Arab country, and one of the rare countries in the world, to have a double maritime opening. Dominating the Atlantic for close of five-hundred kilometers, it represents a strategic platform. The privilege of this position, at the crossroads of two international seas, which are the most active in the world, was enhanced when the Straits became a vital corridor between the Mediterranean countries and the New World.

This fortunate position, on one of the great passages of the universe has not failed to influence deeply the historic destinies of the Magrab which was soon to take on the role of mediator and syncretizing element between two worlds. The fourfold vocation of Morocco (African, Oriental, Mediterranean and Atlantic) has made it the meeting point of two civilizations which have never ceased to operate the one with respect to the other, since several centuries, in order to give Humanity an eclectic synthesis of universal significance.

The Atlantic calling of Morocco explains, in part, the irradiation abroad of our Civilization, the echoes of which were to propagate across the oceanic darkness, strongly affecting with their vigorous impact, as early as the XVIth century, the social and economic life of people newly conquered by the deeply orientalized Iberian latinity.

Some even believe that, by the intermediary of the Magrab, Arab orientalism has conquered the New World, since nearly a thousand years now. Direct Arab ventures, which as early as the Xth century, started from the Atlantic coasts of Morocco (Safi) are supposed to have preceded the European adventure in America.

Renan, author of the work "Averroes and averroism", quotes a letter of Cristopher Columbus where he recognizes having drawn his knowledge of the possible existence of solid land across the Atlantic from the treatise "El Kouliat" by Ibn Rochd.

One fact remains however certain, which is that on the one hand the Arabs had at least envisaged exploring the Atlantic and on the other, had established arsenals on the Ocean coasts and created squadrons for the defence of the Moslem West. Morocco rarely used its Atlantic harbours during the three centuries during which it dominated Andalusia: contact through the Mediterranean was more practical.

But later, the relations of the Magrab with some Atlantic countries, like Denmark, Sweden, England and Holland, encouraged it to make increasing use of the harbours which stretched along our Atlantic coastline. The United Provinces (Holland) was among the first Atlantic countries to establish close relations with Morocco represented by regular traffic, through the Channel, a traffic to which the Treaty of 1610 gave a truly preponderant role. The most important harbours were opening onto the Atlantic Ocean: Safi, Agadir and Massat. Later Salé will become and will remain for nearly a century, the most active harbour of the Magrab. Tangiers, Larache and Arzila (respectively freed from the Iberian yoke in 1684, 1689 and 1691) mark, by their own activity, this Atlantic vocation of the Magrab, which will take over all Moroccan trade. In 1845, the Atlantic harbours received, the visit of 223 European ships. Mogador will remain active up to 1911, when 462 ships entered its port. The exports of Morocco represented at the time three times the imports. This is a concrete argument against those who present the Magrab as a country walled into isolation. It is time that the Magrab, harassed by European intrigues, had been forced at one time, to retire within itself. There was even a time when, obsessed by the demands of some Latin countries, the Magrab turned exclusively to the Protestant countries looking into the Atlantic, such as England, Sweden and Denmark, with which it signed trade and friendship treaties. A few years before his death (in 1786), the Sultan Mohammed Ben Abdallah signed a trade and navigation treaty with the United States for fifty years, which was renewed in 1836.

Far from having lived isolated from the Modern world, or even of having remained indifferent to the evolution of European and American politics, Morocco was following, with lively interest and true sympathy, the movement of emancipation of the people across the Atlantic. It was the first to recognize the independence of the young United States Republic.

But from the XVth century, the Magrab civilization, so far restricted to the Mediterranean, was able to penetrate up to Latin America brought there by the Iberic conquerors of the New World. For over three centuries (after the XVIth century), Brazil, for instance, was systematically subject to the Andalusian influence. All aspects of American society became impregnated with a Moorish flavour which was more or less emphasized. The Brazilian women veiled like those of the Magrab, shaped the way of life in the Moroccan style, similarly to the Chris-

Set deeply in the African mass, Morocco enjoys a key position which overlooks two of the most active and civilized sectors of the world: the Mediterranean and the Atlantic.

Morocco, which for over a thousand years has carried the banner of Moslem civilization, remains today a point of contact between two worlds and an essential "geometrical locus" for international relations.

Through Tangiers, its diplomatic capital, Morocco holds one of the keys of the Mediterranean. Suez is no more for the Eastern basin (which in the Middle Ages was a true Arab sea) than what Tangiers and Gibraltar are today for the Western basin. The two "extremities" of the Arab world which dominate such a neuralgic area, are called upon, in the present circumstance, to play a role of paramount importance in Mediterranean dealings, which might become inadequate, if not completely insignificant, without the equal and sovereign participation of all the Arab countries which from Tangiers to Damascus, mark out in a continuous stretch close on three fifths of the Mediterranean coast. This is a living reality which should have dominated all the Western minds. Today, the Arab world undertakes the excellent initiative of bringing the Mediterranean countries together in a world conference, with a view to defining the real danger which threatens this region which has become, with the frictions of the cold war, one of the most neuralgic in the world.

The African mission in the Magrab took the form of an irradiation reaching the Niger river Southward and the Nile Eastward. Under the Almoravides, already, the Magrab empire encompassed Algiers and the Sahara up to the Soudan, that of the Almohades extended from Castile to Tripoli, "uniting the Moslem West, for the first time, under the same power". The Merinide influence will exert itself, later, both in the Soudan and in Egypt. A major part of black Africa will be subject to Shereefs and dominated by a pashalik regime up to 1893. In brief, Morocco has always been "the nucleus and the live force" of the greatest empires which ever extended their domination over the African lands of the Setting Sun. This eminent role which the "Fortunate Empire" has never ceased to play, until recently, was all the more real since, as from the year 1250 after Christ, when Egypt itself fell under Turkish domination, "there were no longer any politically independent Arab states if not in the Magrab" (Max Vintejoux). The Magrab is the only African state which, overcoming the ups and downs of an

eventful evolution, was able to maintain, since the time of the Arab conquest, its territorial integrity and its full independence. One fact remains as a reason of astonishment in the annals of all nations, which is that the Magrab has always managed "to seal its political unity, even to the point of anarchy" (L. Provençal).

However, there is no need to go back to the pre-islamic period in order to stress the oriental destiny of the Magrab.

Out of the Berber soul shaped by the new faith, emerged a feeling of spontaneous nostalgic quietude. Morocco, which at the time was identified with the Imazigh world, finds in the simplicity of Islam, with its flexibility and tolerance, the inexpressible ferments for the unity of which the tribal individualism hampered the implementation. A new current, at that time, restored the natural contacts between the two worlds. By receiving the first elements of the Eastern Civilization renewed by the Arab genius, the Magrab reaches the destinies which, since thirteen centuries, have never ceased to be its own. From then on, Morocco reinstalled in its true being an indelible constant aim, in all the impulses of its behaviour: that of aligning itself with the East.

Already a good thousand years ago, Fez, the living image of the great Islam capitals, represented "a miracle of adaptation to the Oriental state" (Gautier). By introducing in the life and in the art of the Mediterranean the last oriental elements, the Berber Almohades achieved "the syncretism of the Moslem civilization of the West".

As a matter of fact, nearly all the great Moroccan cities bore the mark and the sign of the East; it is not wrong that some geographers were to compare Fez to Damascus, Rabat to Alexandria and Marrakesh to Baghdad.

This constant tendency of Morocco towards the Eastern traditions became increasingly vigorous throughout the centuries, up to the Merinide era, when the Moslem civilization finally crystallized into strongly orientalized national institutions.

The irradiation of this orientalization process which started with the Berber dynasties themselves, had repercussions in all branches of activity. Saturated by the vitalizing effect of the oriental influence, the Magrab enabled the East to benefit from its syncretizing initiatives. The Magrebans have been, for over three centuries, the African continuators of the Arab mission in the Mediterranean, thus giving the proof of an essential aspect of their calling.

IPALMO

Istituto per le relazioni tra l'Italia e i Paesi d'Africa
America Latina e Medio Oriente

COLLOQUIO INTERNAZIONALE

"L'incontro tra cultura araba e cultura dell'Europa mediterranea
nell'epoca contemporanea"
(Firenze 14, 15, 16, dicembre 1972)

"The Magrib civilization, its African Mediterranean vocation
and its contribution to the civilization of the modern world"

ABDEL-AZIZ BENABDALLAH

(Le Maroc dans les premières années du XVI^e siècle, p. 43). Tout ce qui est en dehors d'indications précises et d'applications pratiques, « le laisse indifférent et sceptique ». La Description est « le seul traité méthodique et original qui fut publié au XVI^e siècle, en Europe, sur la géographie du Maroc, et qui sera, durant trois siècles, la source presque unique ».

Il ressort donc de ce bref exposé, que l'œuvre arabe, orientale et maghrébine, a joué un rôle décisif, dans l'élaboration de la science géographique et de la cartographie du Monde, au Moyen-Age.

Dans notre ouvrage en français intitulé « L'Art Maghrébin », nous avons longuement parlé des aspects essentiels les plus évocateurs de l'art, surtout sous les Mérinides, au XIV^e siècle, art syncrétisé alors en art hispano-mauresque strictement méditerranéen.

Malgré l'influence andalouse, cet art se rehaussait d'une teinte particulière ; au souci de la statique et de l'équilibre des forces qui anime l'architecte chrétien, se substitue, chez l'architecte musulman, outre la solidité de la charpente, le sens ornemental et le foisonnement décoratif. Les Arabes font l'admiration de l'Occident par leurs encorbellements, leurs stalactites, leurs coloris, l'allure parfois majestueuse de leurs formes, leur style incomparable. Dans l'art architectural, en pleine maturité, malgré l'abus dans les arabesques, l'excès dans le décor, le dérèglement dans les détails et la qualité médiocre des matériaux, « l'ensemble demeure clair, les proportions équilibrées, le décor parfaitement adapté aux espaces qu'il remplit ; par-dessus tout, l'effet de polychromie est d'une sûreté et d'un tact parfait » (2). L'art mérinide rayonna en Berbérie et en Orient, par son grand prestige et sa richesse inimitable. Ce fut une œuvre hispano-maghrébine où les mêmes empreintes marquaient les monuments dans les deux rives méditerranéennes. Cette harmonie artistique est due à la présence de l'architecte andalou dont l'influence se faisait, partout sentir (3).

Quoique devant tant à l'art oriental, l'art mérinide « exportait en Orient ses modèles et y faisait apprécier ses œuvres ». Mais, de par même sa maturité, cet art porte en soi ses germes de mort, les mobiles de sa décadence. Dès la fin du XIV^e siècle, il avait, pourtant, épousé ses forces. Les troubles qui marquèrent le siècle suivant ne permirent plus la création de grandes œuvres.

Analysant les aspects de la civilisation maghrébine sous les Mérinides, H. Terrasse (3)

montre le caractère hispanique et citadin de cette civilisation où, dès la fin du XIII^e siècle, les formules classiques se fixent et finissent par s'ankyloser.

« Malgré le mécénat des meilleurs souverains saadiens, ceux-ci n'ont pas présidé — pense H. Terrasse — à la renaissance de la Civilisation musulmane du Maroc. La Civilisation et l'art étaient déjà tournés vers le passé et les quelques influences étrangères qu'ils reçurent ne purent ni changer vraiment le fond ancien, ni porter le germe d'une fécondité nouvelle ». Ce serait donc, — d'après Terrasse — « un art sans sève, hanté par les modèles du passé ». Mais, grâce aux Turcs, « un contact indirect et passager fut rétabli avec les arts de l'Islam oriental ». Les traces de cette influence se voient dans le décor monumental où passent quelques thèmes égypto-syriens ou persans, surtout dans certains arts industriels, en particulier la reliure, les tapis et dans le costume masculin ».

Mais de toute façon, l'art maghrébin, épousé par les dynasties précédentes, se chargea alors d'ornements, perdit de sa sobriété et gagna en splendeur.

H. Terrasse a essayé de présenter la synthèse de l'art hispano-mauresque, sous les Alaouites, quatre siècles après la chute de Grenade. D'après lui, les formules architecturales se figent.

Mais si, sous les Alaouites, cet art continue à s'enliser dans un traditionnalisme où les thèmes classiques se figent, d'un autre côté, un certain mouvement semble, depuis l'indépendance du Maroc, en 1956, s'orienter vers des options où l'empreinte arabe est profondément marquée par une teinte orientalo-méditerranéenne. Une forte vitalité décèle chez nos artistes, un génie créateur, un réel talent de reproduction éclectique, une sorte de synthèse artistique, qui constituera le catalyseur le plus sûr pour l'éclosion d'un art nouveau où les données de tous les siècles s'harmoniseraient dans un alliage pragmatique avec la statique moderne.

De cette restauration appropriée, naîtra cette originalité qui doit marquer l'art maghrébin moderne, pleinement méditerranéen.

Le bien-être qui doit se généraliser dans un cadre assez homogène, s'inspirera alors de l'esthétique, pour une vie meilleure. Le sens du beau et le besoin de confort, doivent présider à la rénovation de la société marocaine de demain.

(2) Histoire de l'Afrique du Nord, p. 456.

(3) Histoire du Maroc, T. 2, p. 76 et suivantes.

« L'arabe, dit-il encore, est un pur et désintéressé instrument linguistique de transmission internationale des découvertes de la pensée... La survie internationale de la langue arabe est un élément essentiel de la paix future entre les nations ».

L'arabe « présente l'avantage, dit Montagne, d'être le véhicule d'une civilisation universelle et de se prêter à l'expression d'une pensée religieuse ou politique » (*Les Berbères et le Makhzen*, R. Montagne, p. 52).

Quant à la contribution du Maghreb dans l'élaboration de la science, notre ouvrage sur l'histoire de la médecine et de la pharmacopée au Maroc, dépeint, dans une esquisse vivante, le processus de la recherche scientifique. Pour ne citer que les études dans le domaine de la géographie, on peut souligner que les explorateurs occidentaux des temps modernes ont trouvé à leur disposition une documentation précieuse, non seulement sur l'Asie, l'Afrique et l'Europe orientale et centrale, mais également sur l'Occident auquel Kazouini a consacré au XII^e siècle, tout un ouvrage. Mais, ce furent surtout les travaux arabes, sur les régions inconnues d'Afrique et de l'Océan Indien, qui inspirèrent le géographe occidental.

Idrissi, qui naquit à Ceuta, en 1100 après J.-C., appartenait à cette dynastie arabe qui avait islamisé le Maghreb et forgé, très tôt, son unité nationale. Ses audacieuses pérégrinations à travers l'Andalousie, l'Afrique du Nord, l'Asie mineure, et, probablement, la France, l'Italie, l'Allemagne et l'Angleterre, ne tardèrent pas à attirer sur lui l'attention de Roger II qui avait fait de son petit royaume de Sicile, un des îlots de la Civilisation orientale. Sur la demande du roi normand, Idrissi entreprit l'élaboration de sa célèbre « Nozhat » qu'il dut terminer avant 1154, date de la mort du souverain mécène. Ce chef-d'œuvre tient, d'après Amari, « le premier rang parmi les travaux géographiques du Moyen-Age » (*Histoire des Musulmans de Sicile*). Un abrégé latin en fut publié par Jaubert, à Paris en 1619, mais une traduction de l'ouvrage complet sera publiée, deux siècles plus tard (1836-1840) par les soins de la Société Géographique de Paris.

Idrissi construisit, sous forme de disques, parallèlement à cet ouvrage, une sphère céleste et une représentation du monde connu de son temps. La supériorité de précision d'Idrissi sur Ptolémée est évidente ; pour ne citer qu'un exemple, les tables dressées par le géographe grec, présentaient, pour la seule distance séparant Tanger d'Alexandrie, une erreur de 18° de

longitude, alors qu'entre Tanger et Tripoli de Syrie, les tables arabes contiennent une erreur inférieure à 1°. Le géographe marocain a relevé toute une série d'erreurs et de fausses interprétations commises par son prédecesseur, sur la géographie de la Méditerranée. C'est lui, et non pas directement Ptolémée, qui a été « le professeur de géographie de l'Europe », dira E.F. Gautier qui affirme encore que « pendant trois siècles, l'Europe n'aura de carte du Monde que celle d'Idrissi » (*Mœurs et Coutumes des Musulmans*, p. 239). Durant les temps modernes, l'explorateur maghrébin « jouissait comme géographe, d'après Dozy et Goeje, d'une grande réputation en Asie, en Afrique et en Espagne ». Reinaud qui avait jugé sévèrement le chef-d'œuvre d'Idrissi, dut cependant reconnaître : « Pris dans son ensemble, il est comme celui de Strabon, un véritable monument élevé à la géographie ».

L'œuvre d'Idrissi est originale : dans la cartographie marocaine, les contours des ports s'accusent pour la première fois, chez notre géographe, et « toute une nomenclature précise apparaît — dit Massignon — sur les bords rectilignes des fleuves et incurvés des chaînes de montagnes ».

Quant à Ibn Battouta, il naquit en 1304 après J.-C., dans la ville voisine : Tanger. A peine eut-il dépassé l'âge de 20 ans qu'il se lança dans une série de pérégrinations aventureuses, à travers les contrées les moins explorées. À Fès, sa dernière étape, le voyageur tangérois se fit rédiger (comme Marco Polo) le récit de son long périple qui a duré plus de 28 ans et totalisé 75.000 milles, par un secrétaire du Sultan mérinide, Ibn Jozey, affecté spécialement à ce travail. Cette célèbre relation fut publiée, vers le milieu du siècle dernier, par les soins de Defremery et Sanguineti ; Gibb publierà en 1929, un abrégé en anglais, dans sa collection Broadway Travellers auquel il joignit une remarquable étude sur l'auteur.

Hassan Ibn Mohamed Al Ouazzan, dit Léon l'Africain, est né à Grenade probablement, vers 1495, mais fut élevé à Fès où il passa la fleur de sa jeunesse. À l'âge de 21 ans, il entreprit un voyage vers l'Est, mais fut fait prisonnier à Naples, en 1519, par des corsaires siciliens. C'est Ramision qui, dès 1550, publia la « Descrittione dell Africa » que Léon semble avoir rédigée, directement, en langue italienne et qui se divise en IX livres dont le premier est occupé par des considérations de géographie générale, ethnologique, climatique. Ce traité constituait, d'après Massignon, un véritable « manuel pratique de la géographie de l'Afrique du Nord »

fait déjà anodin en soi, se justifiait alors par les entreprises ibériques contre le Maghreb ; le moins qu'on puisse attendre des Marocains, en l'occurrence, était de demeurer passifs — fait qu'on a considéré plus tard comme un encouragement tacite à l'égard des Moriscos, dans leur réaction légitime contre la marine chrétienne. On pourrait rétorquer que, si, à la rigueur, la course contre les escadres ibériques se justifiait, relativement du moins, pour des raisons particulières, elle serait inadmissible, à l'encontre de tous les chrétiens, en tant que tels. Mais pour mieux juger de la question, il faut se rappeler l'état d'esprit général qui régnait à l'époque, surtout dans le camp chrétien. Cette mentalité a été éloquemment décrite par le Père Dan qui affirmait qu' « on ne doit point imputer à blâme, les courses faites par les chrétiens contre les ennemis de la foi ». La piraterie chrétienne prenait donc l'aspect d'une véritable croisade contre l'Islam. Cependant les Maghrébins n'avaient pu participer, effectivement, à cette lutte de représailles, préoccupés qu'ils étaient, dans leur action directe, contre les enclaves créées par les Portugais et les Espagnols sur le littoral de l'Empire.

La piraterie s'inscrivait alors, comme phase essentielle, dans les manœuvres de guerre maritime de l'époque ; les corsaires tenaient en haleine les conquérants espagnols qui occupaient une bonne partie du littoral de la Berbérie.

Toujours est-il que les méfaits de ces pirates, relativement légitimés jadis par un jeu de représailles assez complexe, devenaient, avec le temps, une source d'ennuis pour le Maroc. Nos souverains n'y pouvaient rien, car la faute incombaît à l'Europe qui, bravant l'autorité marocaine, reconnut aux corsaires dits marocains « pendant deux siècles, une existence légale et quasi officielle » (De Castries).

Les Africains, en général, n'avaient pas une vocation pour la piraterie. On est autorisé « à avancer — dit De Castries — que les pirates de Tripoli, de Tunis, d'Alger et de Salé, pour ne citer que leurs principales villes, ne se recrutaient généralement pas parmi les indigènes du Maghreb, et nous ajoutons : pas davantage parmi les Turcs, car ceux auxquels on donne ce nom étaient, pour la plupart, des renégats ou des descendants de renégats ». Le nombre des chrétiens ayant renié leur foi et fixés soit en Turquie, soit au Maghreb, « dépasse toutes les suppositions ».

Ce sont les « *incorrections diplomatiques* » — comme De Castries se plaît à les appeler —

qui prolongèrent à l'encontre des autorités de Fès l'existence mouvementée de ces renégats hors-la-loi dont l'impunité sciemment recherchée, par certains gouvernements d'outre-mer, était destinée à provoquer et à justifier l'intervention étrangère.

L'influence de l'arabe devenait au Moyen-Age d'autant plus marquée qu'une bonne partie de l'Europe méridionale le considérait « comme le seul véhicule des sciences et des lettres ». Ses progrès furent tels que les autorités ecclésiastiques avaient dû faire traduire en arabe la collection des canons à l'usage des églises d'Espagne. Jean Séville se vit dans l'obligation de rédiger en arabe une exposition des Saintes Ecritures. En même temps, des livres de religion et de droit musulman étaient traduits en langue romaine ». (G. Rivoire). En Andalousie, tous les contrats étaient rédigés en arabe ; on en a découvert près de deux mille textes. « Les esthètes andalous avaient, les premiers, déclaré abandonner volontiers toutes les pauvretés de la littérature latine, pour quelques vers arabes » (Max Vintejoux). De même en Sicile, où le roi normand était vêtu à l'orientale, son manteau d'apparat était brodé de lettres arabes ; le sceau et les monnaies portaient des inscriptions bilin-gues. Bref, « l'arabe était devenu — affirme celui qui a eu le mérite d'approfondir, ce « *Miracle Arabe* » — une langue internationale du commerce et de la science ».

Déjà en 1207 après J.-C., on signalait à Gênes, un Institut pour l'enseignement de l'arabe. Plus tard, le Concile œcuménique de Vienne organisa cet enseignement en Europe, par la création de chaires dans chacune des principales universités d'Occident. Mais ce sera surtout au XVII^e siècle que l'Europe du Nord et de l'Est s'engagera résolument dans l'étude et la propagation de la langue arabe ; ce n'est qu'en 1636 que le gouvernement suédois décréta l'enseignement de l'arabe ; on s'élança, dès lors, en Suède, dans l'édition des ouvrages de l'Islam. L'étude des langues orientales, dont l'arabe, fit son apparition en Russie, sous Pierre le Grand qui de Moscou, dépêcha en Orient cinq étudiants russes. En 1769, la reine Catherine en rendit l'enseignement obligatoire ; en 1816, une section des langues sémitiques s'érigea dans l'Université de Pétrograde.

Le professeur Massignon a déclaré à l'intention de ceux qui s'ingénient à minimiser la portée du véhicule de la pensée arabe, que « c'est en arabe et à travers l'arabe, dans la civilisation occidentale, que la méthode scientifique a démarré ».

core vierge, elle défendit seule par le sabre, le palais royal de Marrakech, pendant une demi-journée et tomba finalement sous les coups des Almohades qui prirent d'assaut la capitale en l'an 545 de l'hégire (11^e siècle).

Sous les Almohades, Oum Hani, fille du cadi Ibn Atia donnait des cours, rédigea des ouvrages dans les diverses branches des sciences religieuses. C'est la mère d'Abou Jafar, médecin d'Al Mansour. Zaïneb, fille de Youssef l'Almohade, donna l'exemple en assistant aux conférences, organisées par Mohamed Ibn Brahim sur les sources de la Loi. Hafsa Errakounia, une des célèbres poétesses à l'époque, fut la préceptrice du Harem d'Al Mansour ; Oum Amr, fille d'Avenzoer en était le médecin ainsi que sa fille Bint Abi Al Alâ. Il y eut d'autres figures non moins brillantes, telles Warqâ, la poétesse de Fès, Amat Al Aziz, poétesse de Ceuta, Oum Al Alâ, originaire de Fès qui dirigea une école à Grenade, la fameuse traditionnaliste Mariem, fille d'Al Ghâfiqi qui présidait des conférences à Ceuta, et Khaïrouna la « savante » de Fès.

Sous les Mérinides trois femmes juristes brillaient : Fatima et sa sœur, filles de Mohamed El Abdousi ainsi qu'Oum El Banine, grand-mère de Zarrouk. Sârra El Halabia de Fès est une poétesse d'une grande culture littéraire.

Sous les Wattasides, Lalla Aïcha, dite Al Horra reçut, dès l'enfance, une éducation très soignée et dut parler couramment le castellan ; elle épousa l'allié de son père contre les Portugais, Ali Al Mandri, le restaurateur de Tétouan, où elle trouva le milieu andalou lettré et raffiné auquel elle est habituée. Elle s'initia aux intrigues de la politique, gouverna la ville en y exerçant une autorité souveraine ; la lutte contre l'envahisseur fut son principal souci ; à cet effet, elle avait de nombreux vaisseaux toujours occupés à pirater sur les côtes espagnoles. Ses démêlés avec Don Alfonso, gouverneur de Ceuta, sont restés célèbres (Hespéris XLIII, p. 222).

Même activité débordante de la femme saâdienne tant dans le domaine intellectuel que dans les domaines social et politique.

Sous les Alaouites, le mouvement féministe fut inauguré par Khnatha, épouse de Moulay Smail, devenue « savante » (p. 105) ; conseillère très écoutée de son époux et plus tard de son fils, le prince Moulay Abdallah, elle promulgait elle-même des dahirs et des règlements administratifs.

Citant une femme de Fès, El Aliya, fille de Taïb ben Kirane, qui donnait des cours de logique à la mosquée andalouse, Moulleras dit :

« Une femme arabe professeur de logique ! Qu'en pensent nos géographes et nos sociologues qui ont répété sur les tons les plus lugubres que le Maroc est plongé dans les ténèbres d'une barbarie sans nom, dans l'océan d'une ignorance incurable ? Une intelligente Marocaine plane dans les régions élevées de la science ». (Le Maroc Inconnu, t. 2, p. 742).

Malheureusement, le mouvement réactionnaire social reprenait le dessus au fur et à mesure que l'empire musulman se désintégrait politiquement. Il est curieux de constater que cette nouvelle ankylose coïncidait avec la naissance du colonialisme occidental. Sans aller jusqu'à imputer à l'impérialisme la responsabilité de cet état de chose, nous sommes, du moins, en mesure d'affirmer que les intrigues sournoises, sinon les actes d'hostilité déclarés de l'Europe, ont fini par provoquer un chaos politique qui allait bientôt exaspérer la régression sociale dont la femme fut l'une des victimes. Avec l'émancipation politique du Monde arabe, l'émancipation de la femme s'accélère dans un vaste mouvement de résurrection sociale. Un féminisme viril s'instaure en réminiscence d'un passé glorieux dont l'évolution a été faussée par les interprétations aberrantes de l'esprit de l'Islam. La femme musulmane saura profiter des bienfaits du modernisme occidental, en harmonie avec les impératifs de sa propre civilisation.

« Quant à la mission de la flotte maghrébine en Méditerranée, les escadres des Almohades avaient la maîtrise des mers — parce que leur flotte était la première de la Méditerranée, d'après André Julien —; le danger des corsaires européens n'était que relatif. Les Sultans almohades entretenaient même une milice, spécialement affectée à réprimer les courses des Chrétiens et des Arabes à la fois. Mais plus tard, la supériorité de la marine occidentale donna « un certain avantage aux navigateurs et aux corsaires chrétiens, dont les rôles et les actes se confondaient trop souvent ».

La politique étrangère d'Abdel-Moumen imposait comme impératif, l'obligation de châtier, partout, les corsaires qui s'attaquaient aux marines chrétiennes. Les Almohades qui étaient bien pénétrés des exigences du trafic international (dont les musulmans avaient inculqué aux chrétiens certains de ses principes, d'après le témoignage de M. André Julien), se faisaient un strict devoir d'assurer, partout et toujours, la liberté et la sécurité des mers, dans l'intérêt même de leur commerce extérieur.

Les habitants de la côte marocaine abritaient les misérables pirates andalous, mais le

Ainsi l'influence de la civilisation maghrébine dépassa l'Andalousie et les pays nord-africains, pour atteindre le secteur oriental de la zone méditerranéenne jusqu'à Damas, en passant par le Caire. Le Maghreb a été donc le point de contact entre deux Mondes. « Ce fut par lui, dit André Julien, que la théorie de la musique, des intervalles et des modes pénétra d'Orient où elle s'était formée, en Espagne où elle demeure à peu près intacte ». Un Fassi, Mohamed Ben Abdelkrim, sut provoquer au 18^e siècle, une heureuse révolution dans l'art sculptural égyptien dont les chefs-d'œuvre sont encore conservés au Musée du Caire. L'architecture maghrébine constituait, elle aussi, d'après Gsell, « un chef-d'œuvre de discipline harmonieuse ».

La femme arabe sut profiter de l'esprit libéral du législateur musulman. Dès les premières décades de l'ère hégirienne, elle put s'imposer par sa large et efficace participation, à côté de l'homme, dans la vie culturelle et sociale de la communauté musulmane. Aïcha, fille du 1^{er} Kalife et épouse du Prophète, dut être élevée selon les nouveaux principes et réaliser l'idéal de la femme : à moins de 20 ans, sa profonde érudition fit d'elle une des plus brillantes figures de l'époque : les grands compagnons du Prophète venaient la consulter sur les questions juridiques, historiques, littéraires et même médicales. Désormais le champ d'action culturel de la femme s'élargit de plus en plus.

« La situation légale de la femme mariée, dit Le Bon, telle qu'elle est réglée par le Coran et ses commentateurs, est bien plus avantageuse que celle de la femme européenne » (G. Le Bon, p. 436).

C'est aux Arabes... « que les habitants de l'Europe empruntèrent, avec les lois de la chevalerie, le respect galant des femmes qui imposaient ces lois » (G. Le Bon, p. 428). « L'Islamisme a relevé la condition de la femme et nous pouvons ajouter que c'est la première religion qui l'a relevée... Tous les législateurs antiques ont montré la même dureté pour les femmes » (Ibid, p. 430).

« L'esprit chevaleresque des Arabes, leur respect pour la femme sont très connus. Le Wali de Cordoue ayant, en 1139 — dit Gustave Le Bon — assiégié Tolède, appartenant alors aux chrétiens, la reine Bérengère, qui y était enfermée, lui envoya un héraut pour lui rappeler qu'il n'était pas digne d'un chevalier brave, galant et généreux, d'attaquer une femme. Le général arabe se retira aussitôt, demandant pour toute faveur l'honneur de saluer la reine » (Civilisation des Arabes, p. 286).

La doctrine de Mohamed ne tarda pas à sombrer dans une grave stagnation sous l'effet des interprétations fallacieuses de quelques esprits dogmatiques, ridiculement formalistes. L'Islam s'enlisait peu à peu dans une ankylose dangereuse. Des esprits éclairés n'avaient pas hésité, alors à réagir vigoureusement dès le XV^e siècle ; un mouvement féministe s'esquissait dans le Monde musulman, réagissant contre le parti puritaniste rétrograde dont l'action tendait à une claustration de plus en plus vigoureuse de la femme arabe. Des appels à la réforme, émanant de tous les coins de l'empire, préchaient le retour au libéralisme social instauré par l'Islam dont les vrais principes commençaient alors à s'estomper. Cet énergique élan féministe porta ses fruits.

Grenade semble avoir été la cité littéraire féminine par excellence, L'épanouissement du génie féminin, dans les arts et les lettres, était dû aux larges libertés sociales dont jouissaient les Grenadières, d'après Prescott (Ferdinand et Isabelle, p. 192).

Quant à la femme marocaine, elle a, de son côté, joué un rôle des plus importants dans la vie sociale, littéraire, économique, militaire et politique du Maroc, à l'instar de sa sœur orientale et andalouse.

Parlant de la femme marocaine, Moulieras dit en 1895 : « La Musulmane est encore la reine de son foyer comme au temps des Abbassides et des Arabes antéislamiques » (Le Maroc Inconnu, p. 736).

La princesse Hosnâ, fut la conseillère politique de son époux, Moulay Idriss, roi du Maroc. On cite les noms d'autres conseillères des princesses idrissides. De même Zaineb, épouse du premier Almoravide, Youssef Ben Tachfine, célèbre par sa beauté et la profondeur de ses vues politiques et administratives, ainsi que Tamime, fille de Tachfine et Kamar, épouse du prince Ali Ben Youssef qui ont été à la base du libéralisme féminin qui sera une des justifications de la campagne puritaniste menée par le premier Almohade contre le régime almoravide. Un des aspects de cette émancipation précoce de la femme citadine fut la condamnation du voile, réminiscence des mœurs sahariennes de la dynastie régnante. A la même époque, Hawwa El Massoufia donnait des conférences littéraires et sa sœur Zaïneb récitait par cœur des recueils de poésie. D'autres femmes s'ingéniaient à mettre timidement en branle un féminisme inspiré par l'apport générateur de la femme andalouse. Vanouh, fille de Bountian est une des figures les plus brillantes de l'époque almoravide. En-

Dans le domaine culturel, les efforts conjugués de la Nation et de l'Etat tendaient, depuis les Idrissides, à multiplier, partout, des écoles qui dispensaient un enseignement élémentaire. Pour les cycles secondaire et supérieur, les mosquées servaient de classes et de salles de conférence. Les oratoires qui se comptaient par centaines dans les grands centres (785, à Fès, 3.000, d'après Dozy, à Cordoue) étaient autant d'institutions universitaires, qui se prétaient à merveille, à l'enseignement traditionnel. Des cours étaient alors donnés à toute heure de la journée par des professeurs bénévoles, la mission didactique étant considérée comme une obligation religieuse dont chaque docteur de la loi devait personnellement s'acquitter. L'étudiant n'avait alors que l'embarras du choix. La Karaouyne ne constituait qu'une mosquée-école parmi les centaines éparses, jusque dans les centres isolés du bled. La Karaouyne était « la première école du monde » (Delphin, Fès, Son Université - 1889).

Ces mosquées étaient dotées, pour la plupart d'une bibliothèque plus ou moins importante. On vient de découvrir, depuis une décennie, dans un oratoire de Fès (sous le caveau des tombes), un grand meuble à rayonnage très bien conservé, sous un linteau sculpté, où se trouvaient deux caisses de livres et de liasses de documents anciens.

« La bibliothèque de l'Emir Abou Yacoub l'Almohade s'enrichissait des dépouilles de l'âge précédent, au point d'égaler, dit-on, celle du Sultan oméïade Hakem II » (Millet, Les Almohades, p. 101).

Avec le temps, l'afflux des étudiants dans les grandes villes souleva un problème nouveau : celui du logement.

C'est alors que les Mérinides s'attelèrent activement à la tâche, dès le XIV^e siècle, pour créer des pavillons universitaires destinés à accueillir les étudiants qui affluaient des tribus voisines et même de l'extérieur.

Le bled ne manquait pas de centres scolaires propres. Au Sud même, 200 médersas florissaient.

Parlant des gens du bled, Moïse Nahon précise dans ses « Propos d'un vieux marocain » : « Beaucoup d'entre eux lisent et écrivent, tous honorent les lettrés. Ils manient leur langue avec une correction, une abundance, inconnues ailleurs chez les paysans ; ils sont doués d'un véritable génie grammatical. Ils saisissent au vol les subtilités juridiques et l'abstraction ne

les rebute pas... Ils sont — dans leur milieu — mieux armés pour la vie réelle que, chez nous, bien des porteurs de parchemins » (p. 11).

« Il est réconfortant, précise-t-il ailleurs, de voir des paysans si frustes, distinguer une supériorité strictement morale, s'incliner devant un honnête homme, sans jamais s'arrêter à la couleur de la peau ni à l'humilité des origines. J'avoue qu'à cette occasion, je ne puis m'empêcher de songer aux lynchages de jaunes et ce noirs, outre-Atlantique » (p. 47).

Il y eut, sous le 1^{er} Almohade, une sorte « d'école d'administration marocaine », dont l'effectif qui atteignait déjà 3.000 étudiants, fournissait à l'Etat ses cadres supérieurs. Parallèlement aux sciences traditionnelles, on y donnait des cours d'équitation, de tir, de natation et de rame.

Fès demeura longtemps le centre intellectuel le plus actif du Maghreb. C'est elle qui hérita du rayonnement de Kairouan et des grandes cités andalouses. Sa fameuse université, une des plus vieilles du Monde, en fit une capitale de l'esprit où venaient se rallier les étudiants nord-africains, soudanais, libyens et même européens. Nous ne citerons que le cas du futur Pape Sylvestre II, qui après avoir appris — dit-on — à la Karaouyne les chiffres arabes, les introduisit, pour la première fois en Europe. Les Ulémas formés à l'Université de Fès jouissaient d'une grande réputation dans le Monde musulman. Dans le Maroc mérinide, les doctes de la loi ne se comptaient pas. Abou Hassan se fit accompagner, dans son expédition en Ifriqiya, par 400 Ulémas dont l'immense érudition éblouit Ibn Khaldoun et l'attira vers Fès.

D'ailleurs le Maghreb a toujours été une pépinière de juristes. Plin le signalait déjà pour les temps antiques. L'Académie hébraïque de Fès a joué un rôle considérable dans la cristallisation de la loi talmudique.

Partout dans le Monde islamique, les hommes de lettres et les juristes maghrébins ont laissé des traces : le Berbère Ibn Kazzaz, expert en philologie arabe, eut le dessus sur de célèbres philologues orientaux comme le Bagdadien Saïd. Roudani de Marrakech vit ses ouvrages de physique et de Droit parvenir jusqu'aux Indes, après avoir forcé l'admiration du Moyen-Orient, par l'ampleur de leur documentation ; El Harrali éblouit les milieux intellectuels de Tunisie par son érudition encyclopédique ; El Maqqari tenait en haleine les miliers d'auditeurs qui se pressèrent autour de sa chaire, dans la mosquée de Damas.

généralement la règle chez nos charretiers et cochers européens. Une société protectrice des animaux serait tout à fait inutile chez eux. L'Orient est le véritable paradis des bêtes » (Ibid, p. 376).

Les dynasties marocaines ne se contentaient pas de fonder ou de patronner des œuvres d'assistance au Maghreb ; leur action sociale se faisait sentir dans d'autres pays où elles n'ont cessé de multiplier les habous pour subvenir aux besoins des nécessiteux.

Parallèlement à ce système de sécurité sociale, l'Etat s'efforçait d'assurer au citoyen des garanties juridictionnelles, par le choix rigoureux de juges intègres et le ferme contrôle exercé sur la magistrature. Le Sultan Moulay Ismaïl ordonna une révocation massive de tous les cadis de la campagne, jugés inaptes.

Parlant de l'Almohade Yacoub El Mansour, Millet affirme que ce souverain « adresse une circulaire aux cadis pour rappeler les règles qui doivent présider à l'observation de la justice et il annonce l'intention de faire rendre gorge aux caïds prévaricateurs » (Les Almohades, p. 112). La loi musulmane est idéale :

Les Musulmans sont convaincus de la portée universelle du Droit musulman, adaptable à toutes les conjonctures et à toutes les époques, comme en fait foi le vœu adopté à l'unanimité au cours de la séance finale du 7 juillet 1951, lors du Congrès International de Droit comparé : « ...Il est résulté clairement que les principes du Droit musulman ont une valeur indiscutable et que la variété des écoles à l'intérieur de ce grand système juridique implique une richesse de notions juridiques et de techniques remarquables, qui permet à ce Droit de répondre à tous les besoins d'adaptation exigés par la vie moderne ».

L'œuvre entreprise dans le vieux Maghreb en vue de protéger l'hygiène et la santé publique, loin d'être idéale, n'était cependant pas négligeable pour l'époque. Un maristān (hôpital) était fondé pour la première fois à Marrakech, sous les Almohades.

Parlant de cet hôpital, Abdelwahid El Marrakchi dit que Youssef « commença par choisir un vaste emplacement dans la partie plane de la ville... Il y fit planter toutes sortes d'arbres d'agrément et d'arbres fruitiers. L'eau y fut amenée en abondance et autour de toutes les chambres, sans préjudice de quatre bassins situés au centre de l'établissement et dont le principal était en marbre... Une rente quotidienne de trente dinars fut assignée pour la

nourriture proprement dite, indépendamment des remèdes, drogues, onguents et collyres. Provision de vêtements de jour et de nuit, d'été et d'hiver pour les malades. Après sa guérison, le pauvre recevait en sortant une somme d'argent pour vivre jusqu'au moment où il pourrait se suffire... Tout étranger tombé malade à Marrakech y était porté et soigné jusqu'à son rétablissement. Tous les vendredis, le prince, après la prière, s'y rendait à cheval pour visiter les malades et prendre des nouvelles de chacun... » (Les Almohades, p. 130).

Cet hôpital « non seulement, dit Millet, en 1925, laissait bien loin derrière lui les maladreries et les Hôtels-Dieu de notre Europe chrétienne, mais ferait encore honte aujourd'hui aux tristes hôpitaux de la ville de Paris » (Ibid, pp. 129-130).

A Fès, un hôpital traitait les neurasthéniques en essayant d'agir sur les nerfs du patient par la musique andalouse.

Depuis le 11^e siècle, le Maghreb a connu toute une lignée de médecins dont quelques-uns avaient une réputation universelle. Ibn Tofeil et Ibn Rochd, devaient jouer, successivement le rôle de médecins officiels de la Cour Almohade. Averroès fut, le premier, bien avant William Harvey, à analyser, dans ses « Kolliat », le mécanisme de la circulation du sang chez l'homme. La famille des Beni Zohr comptait plusieurs praticiens, tant parmi les femmes que parmi les hommes.

Il est vrai que la médecine était encore à son stade empirique. « Il faut cependant noter — remarque J. Bensimhon (Maroc Médical, septembre 1951) — qu'en de nombreux cas, cette médecine élémentaire et tout empirique, appliquait des traitements dont l'efficience est, depuis, incontestablement reconnue ».

Les médecins du Maghreb ont, de tout temps, essayé d'enregistrer les résultats de leurs propres expériences, dans des ouvrages demeurés célèbres. Quelques spécimens sont toujours conservés dans les bibliothèques privées au Maroc et ailleurs.

Mais dans les siècles derniers, l'art médical dégénéra à tel point que les maristāns ne devaient plus jouer que le rôle de simples asiles où les patients étaient abandonnés à leur triste sort. Les sciences occultes et le cabalisme ont généralement fini par fausser les lois de la médecine, qui revient, de plusieurs siècles, en arrière. Rares devenaient les médecins animés d'un esprit réellement scientifique.

C'est, surtout, par une illustration vivante que nous croyons devoir procéder, car c'est là une méthode où nous aurons le plus de chance de rester objectif, en donnant à l'auditeur l'occasion d'apprécier et de juger, du mode et du niveau de vie dans le Vieux Maghreb, du mécanisme d'assurance sociale, des moyens de sécurité dont le citoyen marocain jouissait à l'encontre des éléments subversifs et malsains qui soulevaient généralement les bas-fonds de la société médiévale. Cette société souffrait de mille maux, que venaient agraver ces fléaux classiques : la faim, la maladie, l'ignorance et l'arbitraire. Le Maroc constituait parfois un des rares îlots jouissant dans le Monde civilisé d'une relative salubrité et d'un équilibre social plus ou moins stable. L'Etat avait rarement à intervenir : les rouages de la société se coordonnaient curieusement sous l'effet de facteurs spirituels, dont les reflets devenus ternes marquent encore la vie sociale marocaine.

La description qu'Idrissi a faite du Maghreb du 7^e siècle donne une impression de prospérité générale. Les géographes de l'époque médiévale n'ont pas manqué de vanter ce pays riche où les gens vivaient dans la paix et la dignité. H. Terrasse ne put s'empêcher de le reconnaître.

C'étaient surtout des institutions autonomes, fonctionnant sous forme de fondations habous, qui se chargeaient effectivement de l'assistance des éléments non favorisés de la nation. Toute une gamme de nécessiteux en bénéficiaient, allant des pauvres veuves et orphelins jusqu'aux aveugles et malades. L'initiative privée s'ingénierait à emprunter toutes les modalités possibles pour subvenir, de façon efficace et permanente, aux besoins variés des diverses couches sociales.

La distribution de soupes populaires quotidiennes, de vivres hebdomadaires, de dotations spéciales mensuelles dans les occasions exceptionnelles, tels étaient les modes ordinaires d'assistance.

Des centres d'accueil, épargnés à travers le pays, donnaient l'hospitalité aux vagabonds et aux voyageurs de passage ; depuis le temps des Mérinides, les Sultans n'ont cessé de multiplier les asiles et les auberges publiques, jusqu'aux coins les plus reculés de la campagne. Grâce aussi à l'hospitalité privée, dont les Marocains se faisaient et se font toujours un point d'honneur jamais personne, même les étrangers, ne pouvait se sentir une gêne quelconque.

« Les chapelles et mosquées (du Rif), dit Moulieras en 1895, servent d'hôtelleries aux

étrangers et aux étudiants qui y reçoivent une hospitalité aussi gratuite qu'agréable (Moulieras, T. I, p. 56). L'hospitalité, donnée dans chaque mosquée, est considérée comme un devoir sacré par tous les habitants du Maroc » (p. 62).

« Il faut voir avec quel empressement, avec quelle loyauté scrupuleuse, le capitaliste marocain s'acquitte de l'aumône légale, c'est-à-dire de la dîme de ses revenus qu'il distribue lui-même aux pauvres, sans l'intervention de l'Etat, sa conscience et son Dieu étant seuls juges. Avec cette libéralité continue, avec cette charité obligatoire envers tous les misérables, avec cette hospitalité accordée à tous étrangers, les bureaux de bienfaisance, les maisons de santé de notre Monde moderne n'ont plus de raison d'être que la lutte implacable des classes qui menacent gravement notre vieille Europe » (Moulieras, T. II, p. 195).

L'Etat assumait, outre son rôle d'agent exécutif et régulateur, une part considérable dans l'assistance, en dotant les pauvres de pensions régulières, les étudiants et les professeurs de bourses souvent périodiques, parfois annuelles. Mais l'intervention de l'Etat se concrétisait surtout en subventions collectives à l'occasion des sécheresses, des disettes et des épidémies ou dans d'autres circonstances exceptionnelles.

Ce sentiment de solidarité chez le Maghrébin, renforcé par l'absence de castes sociales caractérisées, se double d'un sens humanitaire rare.

Les esclaves marocains ne tiennent nullement à une liberté dont ils ne sauraient que faire. Bien logés, bien nourris, bien traités chez leurs maîtres, ils finissent par se considérer comme faisant partie de la famille qu'ils servent. Leur affranchissement devient aussitôt pour eux source d'ennuis, de dangers réels (Moulieras, T. II, p. 63-64).

Les œuvres de bienfaisance se souciaient même des animaux et des oiseaux ; on s'ingénierait à constituer des fonds appréciables pour leur entretien. Les animaux infirmes faisaient l'objet d'un soin particulier. Il existe toujours, parmi les biens habous à Marrakech, un magasin dont les loyers étaient régulièrement affectés à ce genre de charité. On se rappelle encore, à Fès, la fameuse colline dite « Kodiat El Baratil » où des essaims compacts d'oiseaux de toutes sortes avaient pris l'habitude de venir s'approvisionner en grains, épargnés à cet effet au temps de sécheresse.

« ...Jamais on ne voit un Arabe, dit Gustave le Bon, maltraiter un animal, ainsi que cela est

fonds du Vieil Orient » (Mœurs et coutumes des Musulmans, pp. 207-214).

Si le Musulman a prêché l'Islam, il s'est toujours abstenu de faire pression sur le cœur des infidèles. Quand le Monde de l'Islam était à l'apogée de sa puissance et de son épanouissement, des communautés chrétiennes et juives menaient, dans son sein, une vie heureuse et paisible.

Les conquêtes de l'Islam ne tendaient ni à exploiter les terres conquises ni à implanter l'élément arabe, par une immigration massive. Pour toute l'Afrique du Nord, le chiffre des Arabes n'a guère dépassé 110.000 jusqu'au IX^e siècle, la plupart résidant en Tunisie.

Les doctes de la loi musulmane ont toujours été réfractaires à l'idée de l' « Islam, religion unique d'Etat ». Quand, au Moyen-Age, le Sultan ottoman Selim voulut en appliquer le principe dans l'Empire musulman, le « Cheikh El Islam » de l'époque s'y opposa catégoriquement, invitant le respect reconnu par l'Islam à la liberté de conscience.

Au Maghreb, les Juifs ont vécu côté à côté avec les Musulmans depuis le VII^e siècle. Ils étaient admis, très tôt, dans les murailles de Fès, ville sainte pourtant. Déjà, vers l'an mil, la colonie juive de la capitale idrisside comptait 5.000 âmes qui célébraient librement leur culte, dans des synagogues élevées en pleine médina. D'autre part, un des quartiers de Fès, dit « quartier de l'Eglise », semble avoir groupé, dès cette époque, les éléments Chrétiens de la ville.

En 1492, alors que les persécuteurs castillans s'acharnaient en Andalousie contre les Juifs et les Musulmans, le préicateur Al Maghili, un des cadis de l'Empire fut exilé de Fès, pour avoir entrepris une campagne antisémite.

Avant la vague de xénophobie provoquée par les invasions chrétiennes sur les côtes du Maroc, invasions dont un bon nombre revêtait le caractère de véritables croisades, la plupart des auteurs maghrébins parlaient respectueusement des « gens du Livre ». En citant Idrissi, célèbre géographe marocain, Quatremère note que « dans tout le cours de son ouvrage, il montre à l'égard du Christianisme et des Chrétiens, la plus rare impartialité, et cela à une époque où les conquêtes des Croisés dans la Palestine et celles des Castillans dans l'Espagne, avaient exaspéré les Musulmans au plus haut degré ».

Les Juifs expulsés d'Andalousie par les rois chrétiens furent l'objet d'une bienveillante hospitalité, partout dans le Maghreb, jusqu'à Deb-

dou qui accueillit, à bras ouverts, bon nombre d'entre eux.

La majeure partie des Juifs du Maroc descend des Juifs exilés d'Europe au Moyen-Age : Angleterre (en 1290), France (en 1385), Espagne (en 1492). Godard - Histoire du Maroc, p. 15 (se réf. aussi à l'Etude sur l'hygiène et la médecine au Maroc par Raynaud) qui ajoute l'Italie (1242), les Pays-Bas (1350) et le Portugal (1476), p. 6).

Moulay Ismaïl, que d'aucuns présentaient comme un homme brutal et avide de sang, est qualifié par des chroniqueurs chrétiens, comme « le plus grand protecteur des Franciscains, car il leur donna des priviléges qu'aucune nation chrétienne n'aurait osé demander pour eux ». Le Sultan alaouite promulga deux dahirs (en date du 20 décembre 1711 et juillet 1714) dans lesquels la peine de mort était formellement décrétée contre tous ceux qui « s'avisaient de molester les Chrétiens ou de les insulter ».

Les Juifs étaient les sujets du Sultan et, comme tels, furent soumis au régime général ; cependant, le 5 février 1884, le Sultan Sidi Mohamed ben Abderrahmane promulga un dahir qui consacra officiellement l'assimilation des Israélites aux Musulmans, mis les uns et les autres sur un pied d'égalité absolue.

Ainsi, pendant tout un millénaire, Chrétiens et Juifs ont pu mener, côté à côté avec les Musulmans, une vie paisible et tranquille, que de rares remous venaient parfois altérer superficiellement. Mais ces crises périodiques s'inscrivaient dans le cadre général de la vie sociale, et n'étaient nullement empreintes d'une rancune raciale ou confessionnelle.

ASPECT SOCIAL DE NOTRE CIVILISATION

Les anciens annalistes et chroniqueurs marocains se sont rarement intéressés à la branche culturelle de l'histoire maghrébine, encore moins à la partie purement sociale. Seuls les aspects politiques ou économiques devaient retenir leur attention. L'histoire se trouve ainsi fatallement circonscrite, chez eux, dans une histoire-bataille, incrustée parfois de digressions d'ordre littéraire ou social. Il ne nous est donc pas aisés, faute de documents précis et de renseignements solides, d'esquisser un tableau général et net sur les grands traits qui devaient marquer les domaines social et culturel de la civilisation du Maghreb. Nous tenterons, néanmoins, une synthèse plus ou moins complète, à partir des quelques éléments qui se trouvent éparpillés dans la masse touffue compilée par nos auteurs.

de leurs suzerains, purent abandonner leurs fiefs et venir en Afrique servir les rois musulmans» (Latrie). Des milices européennes, comprenant des chevaliers et de hauts seigneurs, étaient à la solde des Almohades et des Mérinides. L'Eglise elle-même, ainsi que les gouvernements chrétiens, en ont permis le recrutement en Europe même. Après les Croisades, l'Europe, en même temps qu'elle traite avec les Sultans d'Egypte et de Syrie, inaugure avec les émirs du Maghreb, une nouvelle ère de relations pacifiques et de rapports commerciaux.

A partir du XII^e siècle, nombreux devenaient les bâtiments européens qui se rendaient aux ports marocains et en partaient librement. Des chroniqueurs occidentaux constataient déjà, à cette époque, que l'on était bien loin du temps où les navires chrétiens croyaient faire un acte périlleux, en risquant un voyage sur les côtes d'Afrique. Même en cas d'agression commise par les navires européens, les défenseurs marocains ne se montraient nullement haineux dans la riposte : ils se contentaient de redresser équitablement les torts.

La protection pour les personnes et les biens des marchands, quelle que fut leur nationalité, était, aux yeux des Maghrébins, si naturelle et si nécessaire au commerce, qu'on l'accordait à tous les étrangers, « alors même que les traités autorisaient le gouvernement arabe à le dénier ».

Ce sont là quelques exemples épars, illustrant le système juridique qui régit, pendant près d'un millénaire, les rapports entre les Européens et les Arabes de l'Afrique du Nord. L'ensemble de ces principes et usages, dans l'élaboration desquels la participation prépondérante du Maghreb est évidente, a participé à l'élaboration de certaines règles du droit international contemporain.

Ces illustrations mettent en relief le sens international qui avait souvent animé les souverains du Maghreb dont la haute conception de l'entraide et de la solidarité entre nations, trouvait son expression dans l'élan sincère qui les portait au secours d'un Etat en détresse ; le Maroc savait passer l'éponge sur les vieilles rancunes, quand son ennemi traversait une crise et, déjà, en plein XII^e siècle, se nouaient « des relations politiques confidentielles entre princes opposés dans leurs croyances religieuses ».

Aussi, le Maghreb ne pouvait concevoir une solidarité internationale, de caractère purement confessionnel. Les considérations religieuses ne semblaient pas avoir dicté aux souverains du

Maroc leur politique internationale, dans les grands conflits méditerranéens. C'est que la contiguïté géographique du Maghreb à l'Occident, leur brassage historique, sans entamer notre forte affinité orientale, constituent un aspect vital de notre vocation. Le propre de cette partie intégrante du Monde libre qu'est le Maroc est de former un point de contact avec le secteur le plus névralgique de l'Europe méditerranéenne et atlantique, un pont entre les Mondes arabe et occidental.

Notre vocation méditerranéenne a été illustrée, d'autre part, par ces échanges entre le Maghreb et l'Occident, échanges que nous n'aurions guère cessé d'entretenir dans un mutuel apport, sans cet « accident colonial » qui devait, par son élan expansionniste, fausser le cours transcendant de notre histoire. Respectivement souverains, indépendants l'un de l'autre, traitant sur un pied d'égalité, l'Occident et le Maghreb ne peuvent, avec l'affermissement de la notion d'interdépendance, que renforcer leur rapprochement et réaliser, à travers des liens libres, une harmonieuse et durable équation. L'interdépendance ne saurait trouver un fond adéquat que dans une coopération sereine et souveraine ; car une collaboration n'est fructueuse qu'autant que les partenaires, jouissant de leur pleine et entière liberté, et se sentant toute latitude d'agir, consentent au compromis. Le respect mutuel et la reconnaissance des droits et des aspirations légitimes des peuples est, indubitablement, la meilleure base sur laquelle on pourrait asseoir et affirmer les interdépendances.

En recouvrant la plénitude de sa souveraineté, le Maroc reparaît sous son vrai visage ; il redevient ce qu'il a toujours été, avant d'avoir souffert des intrigues de l'ère colonialiste, l'allié sincère de l'Occident auquel le lient des impondérables qui sont l'aboutissement et le reflet d'une longue vie commune.

I. L'ESPRIT DE TOLERANCE DANS LE MAGHREB MUSULMAN

L'Islam, au dogme simple, accessible à tous, sans hiérarchie, sans formalisme, a pu conquérir une grande partie de l'Humanité, dans l'espace record de quelques décades. L'Histoire a rarement donné l'impression d'une spontanéité aussi nette dans la conquête pacifique des cœurs. « Jamais l'Arabe, reconnaît E.E. Gautier, dans toute l'ardeur de sa foi nouvelle, n'a songé à éteindre dans le sang une foi concurrente », c'est que « la tolérance est liée, précise-t-il encore, aux concepts et aux instincts les plus pro-

concluent à l'inhérence de tels sentiments à l'esprit arabe ; en analysant objectivement l'histoire du Maghreb, force nous sera de constater que l'élosion accidentelle de tels penchants coïncidait curieusement avec la naissance du colonialisme. Les sentiments provoqués, depuis, chez les Marocains par l'agressivité de certaines puissances, les menées sournoises contre leur indépendance et leur intégrité, ont dû connaître des « hauts et des bas », suivant l'attitude qu'aura prise, plus tard, une Europe plus ou moins portée à la méconnaissance des droits du Maghreb, en tant qu'entité souveraine. Le pseudo-fanatisme qu'on présentait comme l'émanation naturelle d'un esprit intolérant et étroit n'était qu'une réaction contre l'agresseur et non contre l'étranger.

Parlant du Maroc, De Foucauld dit : « On craint le conquérant plus qu'on ne hait le chrétien » (Reconnaissance, p. XVI).

Quand les causes de méfiance disparaissent, le Maghrébin redevient ce qu'il a toujours été, un homme imbu de haute sociabilité, d'amabilité spontanée et de dispositions éminemment bienveillantes. Mais, depuis la fin du siècle dernier, certains milieux avaient l'outrageante manie de stigmatiser tout élan patriotique chez l'Africain ou l'Asiatique, qu'ils taxaient résolument de fanatisme chaque fois qu'il exprimait la noble aspiration à une vie libre et souveraine. Tout mouvement national qui n'avait pas l'heure d'avoir des racines en Europe, se trouvait systématiquement entaché d'extrémisme, aux yeux de ceux qui, défiant les principes de la morale internationale, aussi bien que ceux de la logique, tenaient à perpétuer des régimes périmés, solennellement condamnés par la conscience universelle.

Le Maroc a fait, souvent, preuve d'un sens international aigu :

Dès le XI^e siècle, il donna libre accès aux commerçants étrangers qui n'ont pas tardé à y établir des comptoirs. Ce fut alors que se pose, pour la première fois, la question de savoir comment devaient être sauvegardés les intérêts légitimement acquis par les ressortissants étrangers. Nos souverains ne firent aucune difficulté pour la reconnaissance de ces intérêts ; bien mieux, ils traitèrent ces étrangers, avec une extrême sollicitude : les édits royaux, empreints d'une paternelle bienveillance, leur accordaient une large liberté d'action et leur assuraient de solides garanties. Les étrangers étaient placés, ainsi que leurs biens, « sous cette haute main royale qu'exprimait — comme dit Latrie — le mot sauvegarde chez les Chré-

tiens et le mot d'aman chez les Arabes ». Le même auteur précise que « les méfaits des Musulmans vis-à-vis d'eux étaient passibles des sévérités de la loi ».

La loi maghrébine reconnaissait « la responsabilité individuelle et dégageait les compatriotes du délinquant de toute responsabilité collective ». C'était là un principe de haute portée pratique et d'autant plus précieux qu'il fut rarement respecté et appliqué hors du Maroc.

Le peuple marocain, jaloux de sa liberté et de sa souveraineté, savait respecter les droits, la liberté et la dignité d'autrui. Latrie constate que tant que les Européens « évitèrent de provoquer la susceptibilité des Musulmans, tant qu'ils respectèrent l'esprit et la lettre des traités acceptés par leurs souverains, ils trouvèrent dans la population, et dans les gouvernements du Maghreb, les égards et la protection la plus équitable ».

Faisant abstraction de tout préjugé religieux, le Maroc, pays musulman, n'a cessé d'entretenir des relations constantes et amicales avec tous les pays, y compris le Vatican. Ses souverains s'inspiraient, dans leurs rapports diplomatiques avec le Monde chrétien, du seul principe de l'équité internationale, ne se souciant que de la sauvegarde de leur souveraineté. Les considérations racistes ou confessionnelles n'entraient jamais en ligne de compte, dans la conception maghrébine de la diplomatie et de la politique étrangères. Il n'est que de compulsier certaines archives tenues dans les chancelleries d'Europe, pour se convaincre de la haute estime dont jouissait le Maroc, au sein de la communauté chrétienne. La lettre de Grégoire VII à Ennacer en 1076 est « le plus précieux monument de ce temps et le plus curieux échantillon de la correspondance facile et amicale qui a existé entre les Papes et quelques Sultans d'Afrique ». S'adressant au Sultan, le Pape lui dit notamment : « Les nobles de la ville de Rome ayant appris, par nous, l'acte que Dieu vous a inspiré, admirent l'élévation de votre cœur et publient vos louanges ».

Cette sympathie « que jamais peut-être pontife romain n'a plus affectueusement marquée à un prince musulman », met en relief l'intime cordialité des liens entre la Chrétienté et l'Islam dont les Almohades étaient alors les représentants illustres.

Le Maroc était, d'autre part, une terre de refuge pour les Chrétiens opprimés par les grands seigneurs de l'Europe féodale. « Des chevaliers ou des princes européens, mécontents

sentaient, alors, le triple de ses importations. Voilà un argument concret à l'encontre de ceux qui présentent le Maghreb comme un pays muré, dans son isolement. Il est vrai que le Maghreb, pressé par des intrigues européennes, s'était vu contraint, un certain temps, à se replier sur lui-même. Il fut même un temps où, obsédé par les exigences de certains pays latins, le Maghreb s'adressa exclusivement aux nations protestantes riveraines de l'Atlantique, telles l'Angleterre, la Suède et le Danemark, avec lesquelles il signa des traités de commerce et d'amitié. Quelques années avant sa mort (en 1786), le Sultan Mohamed Ben Abdellah conclut, avec les Etats-Unis, un traité de commerce et de navigation pour 50 ans qui fut renouvelé en 1836.

Loin d'avoir vécu isolé du Monde moderne, ou même d'être resté indifférent à l'évolution de la politique européenne et américaine, le Maroc suivait, avec un vif intérêt et une réelle sympathie, le mouvement d'émancipation des peuples d'outre-Atlantique. Il fut le premier à reconnaître l'indépendance de la jeune République des Etats-Unis.

Mais dès le XV^e siècle, la civilisation maghrébine, cantonnée jusqu'ici en Méditerranée, put pénétrer jusqu'en Amérique latine, apportée par les conquérants ibériques du Nouveau Monde. Pendant plus de trois siècles (depuis le XVI^e), le Brésil, par exemple, a subi, systématiquement, l'influence andalouse. Tous les aspects de la société américaine s'imprégnèrent d'une teinte mauresque, plus ou moins accentuée. Les femmes brésiliennes, voilées à l'instar des Maghrébines, modelaient à la marocaine leur façon de vivre, comme faisaient les Chrétiennes de Sicile, à l'apogée de la civilisation normande (Ibn Jobeir). Tout au Brésil était à l'image de notre société médiévale, depuis le comportement social des dames mondaines qui prirent l'habitude de s'asseoir, les jambes croisées, sur des tapis de style marocain, jusqu'aux allures extérieures de la campagne. Malgré les différences climatiques, celle-ci empruntait sous couvert de l'Espagne et du Portugal, redevenus chrétiens, les mécanismes et la technique agricole maghrébins.

Le « Mauresquisme » jouit, en Amérique, d'une virile réputation. Le verbe « maurijar » est, en portugais, synonyme d'agir ; dans toute l'Amérique, l'expression « travailler comme un Marocain » est devenue proverbiale. Au Portugal, on n'a pas manqué de constater que les habitants du Sud, parmi lesquels se retrouvent les descendants des conquérants marocains, sont animés, mieux que leurs concitoyens du

Nord, d'un esprit exceptionnel d'initiative et d'entreprise, doublé d'une perspicacité, d'une endurance dans le travail, d'une persistance dans l'effort et d'une longévité comparable à celle relevée dans l'Atlas marocain.

Nous sommes même en mesure de prétendre, avec des auteurs occidentaux que si la marine portugaise avait pu parcourir l'Atlantique et contacter l'Amérique, c'était grâce aux méthodes arabes de navigation érigées en sciences. Ibn Majid, qui a laissé des œuvres célèbres sur « l'art de naviguer », était le navigateur de Vasco de Gama (1469-1524), qui découvrit en 1498 la route des Indes par le Cap de Bonne-Espérance.

Tels sont quelques traits de cette vocation atlantique du Maghreb, qui semble plus réelle que jamais, dans la conjoncture internationale actuelle.

CONSTANCE DES RAPPORTS ENTRE LE MAGHREB ET L'OCCIDENT

L'interdépendance, dans l'actualité de sa portée et de ses effets, peut être considérée comme une notion moderne. Mais, envisagée sous l'angle du droit des gens, elle se présentait déjà, quoique vaguement, comme une sorte d'altruisme ; la quintessence de cette notion, vieille comme le Monde dans son principe et son idéal, résidait dans cette bonne volonté commune, source vitale de la pérennité et de la sérénité de tout rapport entre nations.

On pourrait toujours s'entendre pour créer une certaine forme d'association entre Etats, mais la viabilité d'une telle association demeure fonction d'un certain état d'esprit à créer ou à développer chez les partenaires. C'est pourquoi l'interdépendance a, avant tout, un fond psychologique qui conditionne l'harmonisation des intérêts en présence. La bonne foi et le respect mutuel des souverainetés sont autant de garanties pour l'élaboration d'une politique de rapprochement entre les peuples.

Pour nous, Marocains, cet élan sincère vers le plein épanouissement international de notre Etre, n'a été dérouté que par cette série d'intrigues étrangères contre notre souveraineté, intrigues qui ont fini par ankyloser notre isolement, à la fin du dernier siècle, en un repli anachronique sur nous-mêmes.

D'aucuns croient déceler dans l'âme maghrébine, avide de liberté, une propension innée au fanatisme et au xénophobisme. Partant de quelques faits épars dans la masse historique ou tirés d'une actualité mal interprétée, ils

Il y a déjà tout un millénaire, Fès, image vivante des grandes capitales de l'Islam, constituait un « miracle d'adaptation à l'Etat oriental » (Gautier). Introduisant dans la vie et dans l'art en Méditerranée les derniers éléments orientaux, les Almohades berbères réalisèrent « le syncrétisme de la civilisation musulmane d'Occident ».

D'ailleurs, les grandes cités marocaines portaient presque toutes la marque et l'empreinte orientales ; ce n'est pas à tort que certains géographes devaient comparer Fès à Damas, Rabat à Alexandrie et Marrakech à Bagdad.

Cette orientation constante du Maroc vers les traditions orientales se concrétisait de plus en plus, à travers les siècles, jusqu'à l'ère mérinide, époque à laquelle la civilisation musulmane se cristallisait définitivement sous forme d'institutions nationales fortement orientalisées.

Le rayonnement d'une telle œuvre d'orientalisation mise en train par les dynasties berbères elles-mêmes, se répercuteait dans toutes les branches de l'activité. Saturé par l'apport oriental vivifiant, le Maghreb faisait bénéficier l'Orient de ses initiatives syncrétisatrices. Les Maghrébins ont été, pendant plus de trois siècles, les continuateurs africains de la mission arabe en Méditerranée, donnant ainsi la preuve d'un aspect essentiel de leur vocation.

PAR SA VOCATION OCCIDENTALE, LE MAGHREB EST LE POINT DE CONTACT ENTRE DEUX MONDES

Le Maroc est le seul pays arabe et un des rares pays du monde possédant une double-fenêtre maritime. Dominant l'Atlantique sur près de cinq cents kilomètres, il constitue un tremplin stratégique. Le privilège de cette position, au carrefour de deux mers internationales, qui sont les plus actives du monde, se renforça le jour où le Détrroit devint un couloir vital entre les pays méditerranéens et le Nouveau Monde.

Cette heureuse situation sur un des grands passages de l'Univers n'a pas manqué d'influer, profondément, sur les destinées historiques du Maghreb qui assuma, très tôt, le rôle de médiateur et de syncrétisateur entre deux mondes. La quadruple vocation du Maroc (africaine, orientale, méditerranéenne et atlantique) a fait de lui le point de contact de deux civilisations qui n'ont cessé d'agir, l'une sur l'autre, depuis plusieurs siècles, pour livrer à l'Humanité une synthèse éclectique d'une portée universelle.

La vocation atlantique du Maroc explique, entre autres, l'irradiation outre-mer de notre civilisation dont les échos se répercutèrent, à travers les ténèbres océaniques, pour aller marquer, de leur forte empreinte, dès le XVI^e siècle, la vie sociale et économique de peuples nouvellement conquis par le latinisme ibérique profondément orientalisé.

D'aucuns prétendent même, que par l'intermédiaire du Maghreb, l'orientalisme arabe a conquis le Nouveau Monde, depuis déjà près d'un millénaire. Des entreprises arabes directes, déclenchées, dès le X^e siècle, à partir des côtes atlantiques du Maroc (Safi), auraient devancé l'aventure européenne en Amérique.

L'auteur de l'ouvrage « Averroès et l'averroïsme » cita une lettre de Christophe Colomb où il reconnaissait avoir puisé ses connaissances sur l'existence éventuelle d'une terre ferme outre-atlantique, dans le traité « El-Koulliat » d'Ibn Rochd.

Un fait demeure cependant certain, à savoir que d'une part, les Arabes avaient, au moins, envisagé l'exploration de l'Atlantique et, d'autre part, établi des arsenaux sur les côtes de l'Océan et créé des escadres destinées à défendre l'Occident musulman. Le Maroc utilisait, rarement, ses rades atlantiques, durant les trois siècles pendant lesquels il a dominé l'Andalousie : le contact par la Méditerranée était plus pratique.

Mais plus tard, les relations du Maghreb avec certains pays de l'Atlantique comme le Danemark, la Suède, l'Angleterre et la Hollande l'incitèrent à profiter, de plus en plus, des rades qui jalonnent notre côte atlantique. Les Provinces-Unies (Hollande) étaient parmi les premiers pays atlantiques qui établirent avec le Maroc des rapports étroits concrétisés par un trafic régulier, à travers la Manche, trafic auquel le Traité de 1610 donna une véritable prépondérance. Les ports les plus importants étaient ceux qui s'ouvrent sur l'Océan Atlantique : Safi, Agadir et Massat. Plus tard, Salé deviendra et restera, pendant plus d'un siècle, le port le plus actif du Maghreb. Tanger, Larache et Arzila (respectivement libérés du joug ibérique en 1684, 1689 et 1691) marquèrent, par leur activité propre, cette vocation atlantique du Maghreb, devenue de plus en plus manifeste, par suite de la création de Mogador qui accapara tout le commerce marocain. En 1845, les ports atlantiques reçurent la visite de 223 navires européens. Mogador demeura active jusqu'en 1911, année à laquelle 462 navires entrèrent dans son port. Les exportations du Maroc repré-

Aspect andalou - maghrébin de la Civilisation Arabe (1)

par le professeur Abdelaziz Benabdellah

Profondément engagé dans la masse africaine, le Maroc occupe une position-clé qui surplombe deux des secteurs les plus actifs et les plus civilisés du monde : la Méditerranée et l'Atlantique.

Le Maroc qui, pendant plus d'un millénaire, a porté l'étandard de la civilisation musulmane, demeure toujours un point de contact entre deux mondes et un « lieu géométrique » essentiel pour les rapports internationaux.

Par Tanger, sa capitale diplomatique, le Maroc détient une des clés de la Méditerranée. Suez n'est pour le bassin oriental (qui fut, au Moyen-Age, une véritable mer arabe) que ce qu'est aujourd'hui Tanger et Gibraltar pour le bassin occidental. Ces deux « bouts » du Monde arabe qui dominent un centre aussi névralgique, dans la conjoncture actuelle, sont appelés à jouer un rôle des plus importants dans les tractations méditerranéennes qui risqueraient d'être inadéquates, sinon vides de substance, sans la participation égale et souveraine de tous les riverains arabes qui, de Tanger à Damas, jalonnent, sans discontinuité, près des trois cinquièmes de la côte méditerranéenne. C'est là une réalité vivante qui aurait dû s'imposer à tous les esprits occidentaux. Le Monde Arabe prend aujourd'hui l'heureuse initiative de réunir les pays méditerranéens, dans une conférence mondiale, en vue de définir le danger réel qui menace cette région devenue, avec les tiraillements de la guerre froide, une des plus névralgiques du monde.

La mission africaine du Maghreb s'est concrétisée dans une irradiation atteignant jusqu'au Niger, au Sud, jusqu'au Nil, à l'Est. Déjà, sous les Almoravides, l'Empire maghrébin englobait Alger et le Sahara jusqu'au Soudan, celui des Almohades s'étendait de la Castille à Tripoli, « unissant l'Occident musulman pour la première fois sous le même pouvoir ». Le pres-

tige mérinide s'affirmera, plus tard, à la fois au Soudan et en Egypte. Une grande partie de l'Afrique noire vivra sous l'égide chérifienne et à travers un régime pachalik jusqu'en 1893. Bref, le Maroc a toujours été « le noyau et la force vive » des plus grands empires qui s'étendent jamais sur les terres africaines du Couchant. Ce rôle éminent que l'« Empire fortuné » n'a cessé d'assumer, jusqu'à une époque récente, a été d'autant plus réel qu'à partir de l'année 1250 après J.C., date à laquelle l'Egypte elle-même tomba sous la domination turque, « il n'y eut plus d'Etats arabes politiquement indépendants qu'au Maghreb » (Max Vinterjoux). Le Maghreb est le seul Etat africain qui, surmontant les cahots d'une évolution mouvementée, a su conserver intactes, depuis la conquête arabe, son intégrité territoriale et sa pleine indépendance. Un fait reste inoui dans les annales des nations, à savoir que le Maghreb est toujours parvenu à « sceller jusque dans l'anarchie, son unité politique » (L. Provençal).

Point n'est cependant besoin de remonter à l'époque anté-islamique pour mettre en relief les destinées orientales du Maghreb.

De l'âme berbère façonnée par la foi nouvelle, émanait un sentiment de quiétude nostalgique spontané. Le Maroc, qui s'identifiait alors avec le monde d'Imazigh, trouve, dans l'Islam simpliste, souple et tolérant, les fermentes indiscibles, pour cette unité dont le particularisme tribal entravait l'élaboration. Un courant nouveau rétablit alors les contacts naturels entre deux mondes. En recevant les premiers éléments de la civilisation orientale rénovée par le génie arabe, le Maghreb rejoint les destinées qui, depuis treize siècles, n'ont cessé d'être les siennes. Dès lors, le Maroc, réinstallé dans son véritable Etre, aura, pour tous les ressorts de son comportement, une constante indélébile : s'aligner sur l'Orient.

(1) Texte de la communication faite par le Professeur Abdelaziz Benabdellah au Colloque Culturel de Florence (14, 15 et 16 décembre 1972) organisé par l'I.P.A.L.M.O., sur le thème suivant : La Civilisation maghrébine, sa vocation africano-méditerranéenne et sa contribution dans la Civilisation du Monde Moderne.

jedes Wort, wo es im Satze steht, dort vernunftgemäss begründet ist.

Ausgehend von bestimmten ausnahmelosen Erscheinungen stellt der späte arabische Grammatiker in strenger Beweisführung eine unbedingte Sprachnorm auf. Während in der ältesten Periode der arabischen Grammatik diese dem Sprachleben so wenig gerecht werdende rationalistische Auffassung noch keine grosse Rolle spielte, wuchs sie sich später in geradezu hypertropher Weise aus. Die Grammatik ist nicht mehr erklärende Wissenschaft, sondern begründet und normiert.

Ein Beispiel ihrer Methode: Das arabische Fragewort **kam** „wieviel?“ hat den Akkusativ des Gezählten nach sich. Warum? **Kam**, sagt sich der arabische Grammatiker, steht statt einer Zahl. Der Fragende weiss nicht, ob es sich um eine kleine oder grosse Zahl handelt. Die Konstruktion der Zahlen ist bei den Zahlengruppen 3-10, 11-99, 100 ff. verschieden. Also ist es bei der Unbestimmtheit der Antwort das einzige Vernunftgemässse, die Konstruktion der mittleren Zahlengruppe zu wählen, 11-99. Diese Zahlengruppe regiert den Akkusativ, und deshalb hat ihn auch **kam**.

Dies ist ein typisches Beispiel für die Beweisführung der arabischen Grammatiker. Abweichungen von der ausnahmelosen Grundform werden mit Hilfe der Analogie als regulär bewiesen, indem eines oder mehrere Ähnlichkeitsmomente aufgezeigt werden. Aus der Ähnlichkeit zweier Größen werden für die zweite dieselben Funktionen gefordert wie die erste sie hat. Dabei ist es unwichtig, ob sich die beiden Größen überhaupt vergleichen lassen. Da alle Wörter aus vokalisierten Buchstaben bestehen und diese in den verschiedensten Wortklassen vorkommen, kann man auch Nomen und Imperfekt zueinander in Beziehung setzen. Äussere und innere Ähnlichkeiten, je mehr sie beigebracht werden können, lassen auf gleiche Funktionen der verglichenen Glieder schliessen. Mit fünf Ähnlichkeitsmomenten wird dargetan, warum das Imperfekt beispielsweise dasselbe Vorrecht besitzt wie das Nomen, nämlich seine auslautenden Vokale zu ändern.

Die Begründungen werden aus allen möglichen Bereichen herangeholt. Im physikalischen Bereich geht die Ursache stets der Wirkung voran. Deshalb ist es in der Sprache nicht erlaubt, in einer Bedingungsperiode den Wenn-Satz erst an zweiter Stelle folgen zu lassen. Er bezeichnet

eine Ursache, muss also voraufgehen. Aus dem Bereich des guten Tons, der feinen Sitte, wird erklärt, wieso der Genitiv dem regierenden Wort folgen muss. Der Skave muss warten, bis sein Herr sich gesetzt hat. Genauso hat sich das regierte Wort hinter das regierende zu stellen, der Genitiv hinter das regierende Substantiv, das abhängige Wort hinter die Präposition.

So ist die arabische Sprache Inbild der Vernunft und Folgerichtigkeit des Denkens, der göttlichen Gerechtigkeit und Harmonie. Ausnahmen von den Regeln gab es in dieser Grammatik so wenig wie Ausnahmen von der Vernunft im Leben. Spätere Grammatiker haben sogar die Abweichungen von der Regel wieder durch die Vernunft begründet. Wo aber auch der grösste Scharfsinn nicht ausreicht, gewisse Ausnahmen vernunftgemäß zu begründen, werden sie einfach aus dem Quellenmaterial gestrichen. Die Vernunft des Grammatikers steht über dem Material. Er wacht über die Vernunftgemäßheit der Sprache und gleicht in diesem normierenden Tun dem Richter, der berufen ist, die Einhaltung der göttlichen Rechtsnormen sicherzustellen.

Welten trennen uns von dieser Methode und dieser Auffassung der Wissenschaft. Es ist für uns oft sehr schwer, diesen Gedankengängen zu folgen. Aus fremden Einflüssen ist diese Denkart, wie ich zusammenfassend feststelle, zumindest in der arabischen Nationalgrammatik nicht zu erklären. Griechische und arabisch-islamische Wissenschaft sind auf völlig verschiedenen Prinzipien aufgebaut. Ungerecht aber wäre es von uns, über diese Art wissenschaftlichen Arbeitens überlegen zu lächeln. Es entspringt einem hohen Motiv, der Zentralaufgabe des Menschen im mittelalterlichen Islam, der Ibadat, dem Dienst an Gott. Aus ihr folgt für den einzelnen die Pflicht zum korrekten Leben, für die Wissenschaft die Aufgabe, systematisch zu interpretieren, was Offenbarung und Tradition für die Einrichtung des korrekten Lebens ergeben. Im Erkunden und Bewahren der Offenbarung kommt der Grammatik als philologischer Wissenschaft eine hervorragende Rolle zu. Von hier aus erklärt sich vielleicht ihre spätere Erstarrung, hier lag aber auch der gewaltige Impuls zum Werk.

Der Spiegel, in welchem wir das Abbild der arabischen Sprache suchten, ist mehr als ein Spiegel im gewöhnlichen Sinn. Es ist ein Brennspiegel. Seine Leuchtkugel ist die Religion, von deren Strahlen die arabische Sprache im Brennpunkte eingeschmolzen ward zum Dienste an Gott.

Definitionen zeigen, freilich in merkwürdigem Zusammenhang und sich seltsam genug von ihrem Hintergrunde abhebend. So konnte schliesslich das Dogma von der Abhängigkeit der nationalarabischen Grammatik von der griechischen Philosophie entstehen, ganz im Gesensatz zur einheimischen Tradition, für welche die nationale Grammatik eine autochthone Wissenschaft ist. Man hat mit diesem Dogma der Abhängigkeit die Fähigkeit verloren, die älteren Quellen unbefangen zu würdigen, und vergessen, dass diese vor jenem Zeitpunkt liegen, da das Eindringen griechischer Weltweisheit in den islamischen Gedankenkreis historisch beglaubigt ist. Dabei ist oft mit recht schwachen Argumenten gearbeitet worden, und wurde versucht, sogar Einwirkungen der lateinischen Grammatik auf die grammatische Begriffsbildung der Araber festzustellen, etwa im Vergleich von lat. terminus und arabisch harf. Harf bezeichnet ein kleines, dem Umfang nach nicht abgegrenztes Quantum von Gesprochenem bzw. Geschriebenem, von Buchstabe oder Konsonant angefangen bis Wort, Redensart, Phraze, Satz. Gerade diese Harf, das wir mit Partikel wiedergeben, der dritte Redeteil, ist in der ältesten Darstellung der arabischen Grammatik anders aufzufassen als dies gewöhnlich geschieht. „Die Wörter zerfallen in drei Klassen“, sagt Sibawaihi, „Nomen, Verbum und Harf“, und definiert Harf näher mit den Worten: „Harf steht zum Ausdruck von etwas Gemeintem, das weder Name noch Aktion ist“. Harf ist damit etwas anderes als der isolierte Buchstabe oder die Buchstaben, die ein geschriebenes Wort bilden, einzeln für sich bedeutungslos sind. Alles, was nicht Nomen und nicht Verbum ist, gehört hierher und steht zum Ausdruck von etwas Gemeintem. Mit dem griechischen syndesmos hat Harf nichts zu tun. In Harf ma'na, wie der dritte Redeteil ursprünglich heisst, liegt das Hauptgewicht im zweiten Wort ma'na „Sinn“. „Sinnbezeichnende Lautgruppe“ dürfte den arabischen Begriff am besten wiedergeben. Jüdische Grammatiker verwenden oft einfach eine hebräische Uebersetzung dieses ma'na für den dritten Redeteil. Von einer Entlehnung aus dem Griechischen kann hier nicht die Rede sein. Und die Uebereinstimmung von arabisch Ism „Name“ und griechisch onoma „Benennung einer Person oder eines Gegenstandes“ alz Bezeichnung des ersten Redeteiles ist rein äusserlich. Mit dem griechischen rhema „das, was von jemand angesagt wird“, hat der Name des zweiten Redeteiles im Arabischen, Fi'l „Aktion“, gleich gar nichts zu tun.

Das Subjekt ist für den arabischen Grammatiker etwas ganz andeers als für uns. Der urs-

prünglich logische Begriff wurde von den Griechen auf die Grammatik übertragen und bezeichnet hier das Wort, von dem schlechthin etwas ausgesagt wird. Diesen einheitlichen Begriff des Subjekts kennt die arabische Grammatik nicht. Für sie ist der Satz kein Urteil, sondern eine Reihe von Wörtern, die einen Sinn geben. So unterscheidet sie verschiedene Arten von Subjekten, je nachdem was von ihnen ausgesagt wird. Wo das Verbum, arabisch Fi'l „Tun“, am Anfang, steht, heisst der zugehörige Subjektnominativ arabisch „das Handelnde“. Wo der Satz dagegen mit dem Nomen beginnt, heisst Subjektnominativ einfach „Wort, mit dem begonnen wird“. Da aber in einem passivischen Satz das Subjekt kein „handelndes“, sondern „leidendes“ Ding ist, der Ausdruck „das Handelnde“ also nicht passt, wird dieses Subjekt umschrieben als das „leidende Ding, von dem nicht genannt ist, wer ihm das Leiden zugefügt hat“.

Diese fundamentalen grammatischen Begriffe liegen schon bei den älteren Systematikern vor. Der Umfang des zu bearbeitenden Materials war für sie äusserst begrenzt. Um so mehr musste bei ihnen und ihren Nachfolgern daher die zweite Voraussetzung wissenschaftlicher Arbeit überwiegen, der konstruierende und kombinierende Verstand. Das, was der Gelehrte von sich aus hinzutut, überwiegt dann bei weitem das Material.

Andere semitische Sprachen mit dem Arabischen zu vergleichen, haben sie sich nicht einfallen lassen, weil sie diese meist kaum kannten. Logische Kategorien auf die Sprache anzuwenden, war ihnen nicht möglich, da ein System fehlte. Zudem stand ihr Arbeiten unter einem massgebenden Prinzip: Der Koran als Gotteswort ist wie Gott selbst die Vernunft schlechthin. Nun ist die Sprache des Korans Vorbild der arabischen Sprache, Muster ihres Ausdrucks. In ihre Bau muss sich daher allüberall die göttliche Vernunft bekunden. Haben die Griechen Sprechen und Denken, Sprachgesetze und Denkgesetze identifiziert, so galt den arabischen Grammatikern die Gleichung arabische Sprache = göttliche Vernunft. Aufgabe des Grammatikers ist es, hinter dem Schleier der Worte die Vernunft wiederzuerkennen, die „Geheimnisse der Sprache“ zu enthüllen, die asrar al-arabija. Der abendländische Grammatiker sucht aus den sprachlichen Erscheinungen Regeln herauszuarbeiten, die eine sprachliche Entwicklung zu erklären vermögen. Dem arabischen Grammatiker ist die Sprache so vernunftgemäß aufgebaut, dass er darüber hinaus die Vernunft dieser Regeln zeigen muss und nachzuweisen hat, dass

„Turan und China haben sich längst vertragen,
Und immer noch müssen 'Amr und Zaid sich
[schlagen.]“

Wo der arabische Unterricht nach den alten Vorbildern erteilt wird, schlagen sie sich noch heute.

Als etwas sich Wandelndes, Wachsendes ist die Sprache von den Muslimen nicht begriffen worden. Den Unterschied zwischen der Sprache und der Schrift als etwas Zufälligem, Erfundenem haben sie nicht erfasst. Ursache hierfür ist wohl auch hier der Koran. In seinem überlieferten Text liegt die Bedeutung eines jeden Wortes nicht so sehr in seinem gesprochenen Lautbild als in der bestimmten schriftlichen Ueberlieferungsform. Schrift und Sprache gelten als identisch. Die Grammatik wird nach der Textgestalt des Korans aufgebaut, nach dem Schriftbild also durch Sehen, nicht durch Hören nach den Lauten. Kleinst Einheit der Schrift ist der Buchstabe, im Arabischen gar nur der Konsonant. So ist für die grammatische Terminologie Laut und Konsonant dasselbe. Der Begriff Silbe als letzte Einheit der gesprochenen und gehörten Sprache ist dem mittelalterlichen muslimischen Grammatiker unbekannt. Die Sprache kennt keinen Terminus dafür. Da man nur nach dem Schriftbild arbeitete, musste auch der Begriff Vokal zunächst fehlen. Erst das Schriftzeichen, das später zur Bezeichnung der kurzen Vokale eingeführt wurde, erkannte man als Vokal an. Dies geschah aber nur, weil hier der Vokal durch ein besonderes Zeichen wiedergegeben wurde. Es bleibt erstaunlich, dass auf dieser Grundlage etwas unserer Lautlehre Vergleichbares geschaffen und sogar eine Lehre von den Vermassen entwickelt wurde, ohne dass man den Begriff Silbe kannte.

Ausser einem für unsere Anschauung unverständlich engen Begriff vom Material ist auch der äussere Ablauf in der Betrachtung der eigenen Sprache in Abendland und islamischem Morgenland völlig verschieden. Die Griechen, unsere eigentlichen Lehrmeister in der Grammatik, hatten vor der Erforschung der Einzelwissenschaften sich intensiv mit dem hinter den Einzeldingen liegenden Allgemeinen, mit den Grundfragen der Philosophie, befasst und namentlich die Logik aufgebaut. In ihrem Rahmen fand das in den Einzelwissenschaften, vor allem der Sprachwissenschaft erarbeitete Material einen festen Standort. Sprechen und Denken unterstehen nach griechischer Anschauung denselben logischen Gesetzen. Man konnte beide daher in denselben Kategorien erfassen. Urteil und Satz, Begriff und Wort sind ihnen identisch. Im Islam ist die Entwicklung genau umgekehrt.

Dort wird zunächst das zu bearbeitende Sprachmaterial gesammelt. Dann erst, nachdem das Quellenmaterial vorliegt, wird eine Theorie der Sprache aus ihm abgeleitet. Diese theoretische Grundanschauung ist nicht unlogisch, aber nicht wie bei den Griechen rein formal logisch. Die arabischen Nationalgrammatiker berücksichtigen über das rein Formale hinaus auch den Inhalt und Sinn der Sätze. Der Grieche und mit ihm wir heutigen Abendländer sehen hinter dem Einzelnen das Allgemeine. Der muslimische Grammatiker vermochte sich nur schwer von dem gegebenen. Einzelnen zum Allgemeinen durchzuringen. Die Sprachtheorie der Griechen war, weil sie rein formal vorging, allgemein gültig und auf alle Sprachen anwendbar. Die Begriffe der arabisch-islamischen Sprachbetrachtung sind im Grunde nur auf die arabische Sprache anwendbar, denn sie entspringen nicht allgemein-logischen Prinzipien. So wird auch verständlich, warum es in den beiden anderen vom Arabischen abhängigen grossen islamischen Literatursprachen, dem Neuheimischen Sprachbetrachtung kommen konnte. Das indogermanische Neopersische liess sich eben nicht in ein System zwängen, das nur für das Arabische Geltung hatte.

Schon im Äusseren weicht die Einteilung unserer Grammatiken von der muslimischen völlig ab. Entsprechend der logischen Gleichstellung des Wortes mit dem Begriff, des Satzes mit dem Urteil ist unsere Grammatik eingeteilt in Wortbildungs- oder Formenlehre und in Stanzbildungslehre oder Syntax. Anders der arabische Nationalgrammatiker: Er unterscheidet nur die einzelnen Wörter rein grammatisch nach ihren verschiedenen Endungen und nach der Wirkung, die die Wörter im Satze zeigen. Dann genügt es, die Wörter rein äusserlich einzuteilen und kann unter den Wortarten sogar die Lehre von der Satzbildung behandelt werden. Denn die Wörter verändern sich in ihren Endungen je nach der Stellung, die sie im Satze einnehmen.

Mit der Einteilung der Wörter in Wortarten bin ich zum Ausgangspunkt des Ganzen zurückgekehrt. Das gesamte Sprachmaterial wird in drei Redeteile gegliedert, in Ism „Namen“, Fi^{el} „Aktion“, Harf, von uns gewöhnlich wiedergegeben durch Partikel. Es ist die Einteilung, die Reuchlin der nationaljüdischen Grammatik entnahm, die letztere der nationalarabischen verdankt. An diesen grundlegenden Begriffen der arabischen Grammatik hat man in früherer Zeit oft fremden, vor allem griechischen Einfluss feststellen zu können geglaubt. Im Abendland sind als erstes nur einige verhältnismässig späte grammatische Werke bekannt geworden, die deutliche Spuren aristotelischer

Der árabische Polyhistor as-Suyuti hat jede Wissenschaft definiert als den Teil des überlieferten Materials, der verstandesmässig bearbeitet ist. Seine Begriffsbestimmung schliesst die beiden Prämissen jeglicher wissenschaftlicher Arbeit mit ein: einmal die Tradition als das überlieferte und zu bearbeitende Material, dann den bearbeitenden Verstand des Gelehrten mit seiner Gabe der Konstruktion und Kombination. Diese Begriffsbestimmung könnte ohne weiteres auch unsere bilden, und doch ist die islamische Wissenschaft, damit auch die nationale arabische Grammatik, in völlig anderer Richtung verlaufen als die abendländische. Wir suchen die Tradition, das überlieferte Material nach Kräften auszudehnen und zu mehren. In der Geschichte sind wir bemüht, immer neue Quellen zu erschliessen, um immer besser Schicksal ergründen zu können. In den philosophischen Fächern streben wir danach, durch die Herausgabe der Sprachdenkmäler, durch die Aufnahme der Umgangssprache unsere Auffassung von der sprachlichen Entwicklung immer mehr zu vertiefen. Was dabei an Theorien aufgestellt wird, richtet sich ganz nach dem Material. Aendert sich das Material oder tritt neues auf, können diese Theorien sich unter Unständen entscheidend ändern. Anders die Wissenschaft des Islams: Das Material, das zu bearbeiten ist, had schon in der Vergangenheit zu einem bestimmten Zeitpunkt seine Begrenzung gefunden. Nachdem die ersten arabischen Philologen an Hand der damals anerkannten arabischen Literatur ihre grammatische Theorie aufgestellt hatten, ist dieses begrenzte Material allein massgebend geworden für den Aufbau des grammatischen Systems. Nach dem Vorbild dieser ältesten Philologen werden hinfört in der gesamten grammatischen arabischen Literatur ausser dem Koran nur die älteren Dichter und die wenigen ganz alten Prosatexte berücksichtigt, u.a. die Berichte über die Schlachttage der alten Araber, die alten Sprichwörter, die Dicta des Propheten Mohammed. Von der nach dem Omajjadenzeitalter in reicher Masse aufblühenden guten arabischen Prosaliteratur hat man für die grammatische Darstellung keinen Gebrauch gemacht. Dass man sie stets beiseite liess und dass die Epigonen des berühmten Sibawaihi nie aus dieser Prosa Belege für die grammatischen Erscheinungen zogen, hängt mit dem Beharrungsvermögen des Islams am einmal Gegebenen zusammen. Uebertragen hiesse das, den Schriftstellerkanon für die grammatische Darstellung des Griechischen auf die homerische Dichtung und die alte Lyrik zu beschränken, auf Herodot oder Thukydides aber zu verzichten. Da die Sprache des Korans allein als kanonisch und gut angesehen wurde und sich die Sprache

des Volkes in Formenlehre und Stazbau stark von ihr unterschied, war es nur natürlich, wenn man es grundsätzlich ablehnte, Erscheinungen der Volkssprache für den Aufbau des grammatischen Systems zu verwenden.

Religiöse Erwägungen haben hier zur Einschränkung des Materials geführt. Schon im zweiten Jahrhundert nach der Hidschra macht sich zwar eine Opposition dagegen bemerkbar. Man wollte die Tradition ausdehnen, mehr Sprachgut für das grammatische System verwenden. Bald aber hatte der starre Ueberlieferungsgrundsatz über die Erweiterungs- und Neuerungstendenzen gesiegt — sogar in der Grammatik, in der wir zunächst keine Beziehung zur Religion erwarten würden, spiegelt sich der fortgesetzte Widerstreit, den wir in der dogmatischen und gesetzlichen Entwicklung des Islams kennen. Gesiegt haben die starren Anhänger des Alten. Die grossen Vertreter der nationalen Grammatik haben es darum stets abgelehnt, über die Sprache des Volkes oder etwa dessen Sprachfehler zu arbeiten. Sie haben eifersüchtig darauf gesehen, dass der Kanon der als Muster anzusehenden Sprachdenkmäler nicht ausgedehnt wurde. Sie haben deshalb in ihren Werken eigentlich immer nur dieselben Belege verwandt. Durch sie hat die Grammatik den Charakter einer normierenden Wissenschaft bekommen. Letztlich hat die Normierung mit ihrem fortgesetzten „es ist verboten“ bewirkt, dass die arabische Hochsprache seit über dreizehnhundert Jahren im Grunde dieselbe geblieben ist.

Dass eine solche Wissenschaft ohne jeden lebendigen Zuwachs lebendiger Sprache allmählich trocken, mumienhaft wirken musste, ist leicht einzusehen. Einen Eindruck davon gibt in einer Erzählung seines Rosengartens der berühmte persische Dichter Sa'di im 13. Jahrhundert. Auf einer sicher nur der dichterischen Phantasie entsprungenen Reise nach Osturkestan sah Sa'di in der Moschee von Kaschgar einen Studenten voll Eifer über ein Kapitel aus dem Lehrbuche des Zamachschari gebeugt. Hier muss ich einschalten, dass die arabische Grammatik etwa die Kasusbildung in kleinen paradigmatischen Sätzchen verdeutlicht. Man lernt die Kasusendungen im wirklich vorkommenden Sinnzusammenhang, nicht davon losgelöst. Und also hört Sa'di den Studenten lesen: „Daraba Zeidun 'Amran 'Zaid schlug den 'Amr“, und hier ist 'Amr das Objekt und Zaid das Subjekt...“. Im selben Jahr aber hatte der Herrscher von Turan endlich Frieden mit dem chinesischen Kaiser geschlossen. Und so redet Sa'di den jungen Mann in hintergründiger Ironie an:

Zwischen der indischen und der griechischen steht auch räumlich gesehen die nationale arabische Grammatik. Diese Zwischenlage hat die Frage nach einer möglichen Abhängigkeit der ersten arabischen Sprachgelehrten von fremden Vorbildern bis heute nicht verstummen lassen. Angesichts der Quellenlage wird sie mit quellenmässiger Sicherheit endgültig wohl nicht entschieden werden können. Denn es ist nicht zu erwarten, dass wir über Chalil als dem eigentlichen Begründer der arabischen Grammatik hinaus noch einmal auf ältere Quellenwerke zu ihrer Erschliessung stossen werden. Wie ein Wunderbau tritt vielmehr schon im zweiten Jahrhundert nach der Hidschra, gegen Ende des achten Jahrhunderts nach Christus, das Gebäude der arabischen Grammatik vollkommen vor uns. Der Schüler des genannten Chalil der Perse Sibawaihi, hat es aufgerichtet. Sein grammatische Hauptwerk ist die erste zusammenhängende Darstellung der arabischen Sprache. Mit dem *Tilel al-Kitab*, zu deutsch "das Buch", ist es für die einheimischen arabischen Grammatiker zum Buche schlechthin geworden und ist für sie noch heute Autorität.

Um den Entwicklungsgang der reinsten aller arabischen Wissenschaften wuchert ein Kranz von Legenden. Abu I-Aswad ad-Du'ali, Parteidräger des späteren Kalifen 'Ali, Richter in dem aus einem Zeltlager arabischer Heeresverbände zur Grossstadt erwachsenen Basra im heutigen unteren Irak, dieser Abu I-Aswad sei danach gefragt worden, wo er die grammatisch Wissenschaft gelernt habe, und habe darauf geantwortet: Von 'Ali, dem Kalifen selbst. Abu I-Aswad aber habe nie etwas von dem Gelernten preisgegeben, bis ihm der Statthalter des Iraks befahl, eine Art Sprachführer zusammenzustellen, der die Oeffentlichkeit zum Verständnis des Korans als des heiligen Buchs der Muslime führen könnte. Abu I-Aswad habe zunächst nicht gewollt, einmal aber gehört, wie jemand aus Sure 9 des Korans rezitierte: *anna llaha bari'um mina I-musrikina warasulihi*. Rasulih zu lesen statt des richtigen *rasuluhu* wirkte an dieser Stelle wie eine Blasphemie, würde es doch nichts anderes bedeuten als dass Allah los und ledig der Götzenidner sei, und los und ledig seines Propheten. Abu I-Aswad habe sich darüber entsetzt und dem Statthalter zugesagt, den Sprachführer zu schreiben.

Der historische Kern der Legende ist unschwer zu erkennen. Es geht um die Bewahrung einer heiligen Ueberlieferung, um die Reinerhaltung des nach muslimischem Glauben in reinem Arabisch geoffneten Gotteswortes. Religiöse Beweggründe gaben den ersten Anstoss zu grammatischer Beobachtung. Die Sprache des

Korans sollte vor der Verderbnis im Munde der zahlreichen Neubekehrten bewahrt werden. Der Zusammenstoss mit fremden Sprachen in den eroberten Ländern mag dabei das Nachdenken über die eigene Sprache noch gefördert haben, letzte Ursache für die Entstehung der nationalen arabischen Grammatik war er nicht. Denn anderswo hat zur gleichen Zeit etwa im abendländischen Mittelalter das Zusammentreffen mit fremden Sprachen nicht zur grammatischen Bearbeitung der eigenen geführt. Verschiedene Stufen derselben Sprache sind im Arabischen bereits vor dem Auftreten Mohammeds gegeneinander gestanden: hier eine in zahlreiche Dialekte gespaltene Umgangssprache, hier die aus der Vorzeit überkommene eigentliche altarabischen Sprache, eine gehobene, in gewissem Sinne Literatursprache. Wann und wo sich diese Hochsprache herausgebildet hat, wann sie von allen Dialektien anerkannt und wann ihr Gebrauch unter bestimmten Voraussetzungen für verbindlich erklärt wurde, wird sich nicht ausmachen lassen. Zur Zeit Mohammeds war sie jedenfalls scharf getrennt von den Dialekten, eine Art Koine oder Gemeinsprache, angewandt in Dichtung und bei feierlicher Aussage. Die altarabische Dichtung mit ihren streng ausgebildeten Versmassen hat diese Sprache rein erhalten. Die Bedeutung der Dichtung als Ersatz für die in der Beduinischen Lebensform unmögliche bildende Kunst hat dafür gesorgt, dass sie stets lebendig blieb. Der Gegensatz zwischen der Volkssprache und der Sprache der Dichter und damit des Korans musste das Nachdenken über die eigene Sprache noch vertiefen. Sicherlich sind die berufsmässigen Koranrezitatoren zu gleicher Zeit auch Grammatiker gewesen. Denn die für die Regelung des öffentlichen und privaten Lebens massgebliche Interpretation des Korans konnte nur mit genauer Kenntnis der Hochsprache erfolgen. In den aufstrebenden Städten Kufa und Basra im unteren Irak entstandenen Zentren der grammatischen Wissenschaft. Zuerst mag sie sich auf die Beobachtung der Sprache der Beduinen, auf die Sammlung und Erklärung der Dichter, der alten Kampfberichte, der Sprichwörter und Traditionen beschränkt haben. Von Kufa wissen wir, dass dort im wesentlichen nur gesammelt wurde. Die Gelehrten von Basra scheinen dagegen schon früh mit der Ordnung des Materials begonnen zu haben. Mit den Hauptvertretern der dortigen Schule, Chalil und Sibawaihi, ist die Systematisierung der arabischen Grammatik gewissermassen abgeschlossen.

Hier ist eine kurze Besinnung auf die Grundanschauungen der muslimischen Wissenschaft geboten.

S C H A L L

Die arabische Sprache im Spiegel ihrer nationalen Grammatik

Wenn wir eine heutige Schulgrammatik des Lateinischen aufschlagen, um uns Auskunft zu verschaffen über die Wortarten als den Bestandteilen des Satzes, finden wir die Einteilung in Nomina, Verba und Partikeln vor. Die Merkmale, auf denen diese Einteilung beruht, sind äusserer Natur: die deklinierbaren Nomina und konjugierbaren Verba sind veränderliche Wörter, den Rest als die unveränderlichen Wörter fasst der Begriff Partikeln zusammen. Das Unterscheidungsmerkmal versagt für die weitere Unterteilung der Partikeln. Daher ist hier der Gesichtspunkt der Leistung im Satz eingeführt worden und werden die Partikeln gegliedert in Adverbien, in Präpositionen, in Konjunktionen und Interjektionen. So hat sich in dieser Liste der Wortarten oder Redeteile im Laufe der Geschichte schon sehr Verschiedenartiges unter sehr verschiedenen Gesichtspunkten zusammengefunden.

Gehen wir etwas über zwei Jahrtausende zurück zur ersten Grammatik des Abendlandes, der griechischen techne grammaticae des Dionysios Thrax, sagt ihr Paragraph 11 u.a.: „Es gibt acht Redeteile, Nomen, Verbum, Partizip, Artikel, Pronomen, Präposition, Adverb, Konjunktion“. Die römischen Grammatiker übernehmen die griechische Terminologie in genauerster Uebersetzung. Das Vorbild des Dionysios Thrax wog so sehr, dass man an den acht Redeteilen unbedingt festhielt und statt des Artikels, den es im Lateinischen nicht gibt, die Interjektion einführte. Autoritäten wie die spätantiken Grammatiker Donat und Priscian machten diese Lehre das ganze Mittelalter hindurch verbindlich. Von der eingangs erwähnten Dreiteilung ist, soweit ich sehe, zu dieser Zeit noch keine Spur zu finden.

Im Jahre 1506 begründet Johannes Reuchlin aus Pforzheim mit seinem Buche *De rudimentis hebraicis* die hebräische Sprachkunde bei den Christen. Auf Seite 551 kommt er auf die Redeteile des Hebräischen zu sprechen und schreibt: „Es gibt drei Redeteile: Nomen, Verbum und Consignificativum — wir würden dafür Partikel sagen. Das Nomen umfasst auch das Pronomen

und das Partizip. Das Consignificativum umfasst folgende vier: Adverb, Konjunktion, Präposition und Interjektion.“ Die Einteilung unserer lateinischen Schulgrammatik stimmt mit der Reuchlins verblüffend überein. Nun fussten Reuchlin und die zeitgenössischen christlichen Gelehrten in ihrer Darstellung auch der Redeteile durchaus auf der nationaljüdischen grammatischen Bearbeitung des Hebräischen. Deren erste systematische Werke aber wurden in arabischer Sprache geschrieben und abgefasst unter dem Einfluss und nach dem Vorbild der nationalen arabischen Grammatik.

Der kleine Streifzug in der Geschichte der Grammatik hat uns auf den Zusammenhang mit einer beherrschenden Wissenschaft aus der Glanzzeit der arabisch-islamischen Kultur geführt. Einfluss und Nachleben dieser Kultur in der abendländischen Naturwissenschaft, in Mathematik und Astronomie, ihre Vermittlerrolle gegenüber dem griechischen Geisteserbe ist gemeinhin bekannt. Die bescheidene Spur des Nachlebens einer autochthonen arabischen Wissenschaft mitten in einer heutigen Schulgrammatik ist bisher wohl nicht in dieser Weise gesehen worden.

Die Erscheinung, dass ein Volk sich mit seiner eigenen Sprache beschäftigt, über sie nachdenkt und die Reflexionen in ein System zu bringen sucht, begegnet in dem mir überschaubaren Bereich unter den alter Völkern nur bei den Griechen und Indern. Auf die Rolle der nationalen griechischen Grammatik wurde schon hingewiesen. Den Griechen an Exaktheit überlegen und durchaus originell war die Tätigkeit der Inder auf diesem Gebiet. Gipfelpunkt im grammatischen Werke des Panini um die Mitte des ersten vorchristlichen Jahrtausends, haben die indischen Grammatiker der vergleichenden indogermanischen Sprachforschung den Weg gegeben. Die grossartigen Leistungen dieser Wissenschaft sind erst ermöglicht worden durch das Studium des Sanskrit und der diese Sprache schärfstens analysierenden, sie bis in die feinsten Einzelheiten durchleuchtenden indischen Grammatiker.

الفهرس العام

1) دراسات وأبحاث

صفحة

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله 5
للدكتور ابراهيم السامرائي 7
للدكتور حسين محمد 13
للأستاذ ادريس الكتاني 38
للأستاذ عبد الهادي الفضلي 47
للأستاذ محمد بن تاویت 49
للأستاذ انور الجندي 63
للأستاذ احمد الاخضر غزال 66
للدكتور محمود عبد المولى 72
للأستاذ انتون شال 75
للأستاذ الياس قنصل 82
للأستاذ عبد القادر زمامنة 85
للأستاذ عبد الحق فاضل 90
للأستاذ عبد الرحيم أبواليمين 104
للدكتور محمد يوسف 107

من مظاهر الوحدة : التكامل بين شقيعروبة الدلالة الجديدة والتطور اللفوي 1
الاكسناد في اللغة 2
دور اللغة في تنمية الطاقات البشرية وتجربة اللغات الاجنبية في البلدان الافريقية 3
نقل اللفاظ 4
ظواهر التعریب 5
الفصحي لغة القرآن 6
فلسفة الحركات في اللغة العربية 7
التعریب والتفتح في المغرب العربي 8
اللغة العربية في مرآة قواعدها القومية 9
اللغة العربية تماشي امة العربية الى الامام لانها جزء هي منها 10
تحقيقان لفوية 11
دخينل ام اثيل 12
اختلاف في المفاهيم اللغوية بين الامم 13
اللغاظ الهندية المعرفة 14

2) ابحاث عامة

للأستاذ عبد الحق فاضل 151
للدكتور محمود عبد المولى 158
للدكتور عبد العال سالم مكرم 162

تاريفهم من لفتهم - اطلنطية - 1
ملاحظات منهجية حول الدراسات الاجتماعية في الوطن العربي 2
ابن الحاجب المصري وآثره في الدراسات اللغویة 3

صفحة

183	للدكتور جلال شوقي
195	للدكتور احمد محمد الحوفي
207	للدكتور ابراهيم انيس
212	للاستاذ عيسى الناعوري
222	للاستاذ سعيد الدبوه جنى
231	لابو فارس
234	للاستاذ فيكتور بيلابيف
236	
238	للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
248	
250	للاستاذ يوسف الغريب

علم الحركة في الفلسفة العربية
الاتجاه النفسي في دراسات العقاد النقدية
النظامة الالكترونية تحصي جذور مفردات
اللغة العربية
سمات ومشابهه عربية في ادب الكاتب
الإيطالي جوفاني فيرغنا
لغة المرسيقى كاداء للتعبير الفني
دليل جديد على غروبة الارقام المستعملة
في المقرب العربي
الاستغراب في لينغفراد
الاستشراف في رومانيا
الوشائج العربية بين الخليج العربي
 والمغرب الأقصى
صور لشاعر الغربة عزيز اباظة باشا
الوديعة - الى مجلة «اللسان العربي»

(3) نشاط المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمكتب الدائم

لتنسيق التعریب

253	
257	
259	
261	
264	
267	
280	للاستاذ سعيد الدبوه جنى
283	
286	للاستاذ فونكمارو فيندور

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
رحلة وفد المكتب الدائم في البلاد العربية
اللغة العربية في المؤتمر الأفريقي التاسع
اللجنة الازدية للتعریب والترجمة والنشر
فى نشاطها الفامر
نحو استراتيجية جديدة للتربية في البلاد العربية
يین المجلة وقرائتها
حصول ثورة التعریب
عن التعریب وقضاياها :
لقاء مع الدكتور احمد سعيدان مندوب الأردن
في المكتب الدائم لتنسيق التعریب
اللغة العربية: الفصحى والعامية
اللغة العربية: الفصحى والعامية

صفحة

289	للدكتور سامي الدهان	معجم الطحانة والخبازة والفرانة
291	للاستاذ عمر الطاهر	رأي . . . نحو تفصيع العامية في الوطن العربي
293		تعليق على موضع: التطور اللغوي ونشوء اللغة
295	للاستاذ محمد قلبسي	عينة للذين يؤمنون . . . وبرهان للذين يشكون
297		رجال مجهولون وراء مشروع عظيم
298	للاستاذ حبيب علي الروي	تعقيب على نسبة ابيات
300		ترجم الكتاب والباحثين في مجلة اللسان العربي
334	للاستاذ عبد الحق فافل	قصص في اللغة

٤) أبحاث ودراسات باللغات الأجنبية

I	اللغة العربية في مرآة قواعدها القومية الملهم الاندلسي والمغربي للحضارة العربية (النص الفرنسي)
VII	الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الملهم الاندلسي والمغربي للحضارة العربية (النص الانجليزي)
XXI	اللغة العربية من اهم منابع الثقافة الفرنسية رسالة مكتب تنسيق التعریب (النص الفرنسي)
XXXVI	رسالة مكتب تنسيق التعریب (النص الانجليزي)
XXXVIII	اللغة العربية والقاربة الافريقية اعداد المؤتمر الثاني للتعریب
XLI	
XLIII	
XLV	

